الحقيقة المطلقة ...

الله والدين والإنسان



دكتور مهندس

محمد الحسيني إسماعيل

اهداءات ٢٠٠١

ا.صلاح راتب

القاهرة

الحقيقة المطلقة

الله والدين والإنسان

دكتور مهندس
محمد الحسينى إسماعيل

B. Sc. (Elect. Eng.) ; M. Sc. (Comp. & System Analysis)
PH. D. (Elect. Power & Mach.) , Cairo Univ.
PH. D. (Elect. Eng.) , Iowa State Univ. (USA)
Senior Member, IEEE (USA)
Active Member, Academy of Sciences, New York (USA)
Int. Mem., the American Association for the Advancement of Science (USA)
Consultant Engr.

****

دكتوراه فى هندسة القوى والمحركات ـ كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة (جمهورية مصر)
دكتوراه فى الهندسة الكهربية ـ كلية الهندسة ـ جامعة ولاية أيوا (الولايات المتحدة الأمريكية)
عضو (متميز) بجمعية المهندسين الأمريكية الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية)
عضو (نشط) بأكاديمية العلوم الأمريكية ـ نيويورك (الولايات المتحدة الأمريكية)
عضو (عالمى) بجمعية تقدم العلوم الأمريكية (الولايات المتحدة الأمريكية).
حائز على وسام الجمهورية (من الطبقة الثانية)
مهندس إستشارى

****

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩١٣١ / ٩٥

رقم الترقيم الدولى : ٩٧٧ ــ ٠٠ ــ ٩١٤٦ ــ ٤

ISBN : 977 - 00 - 9146 - 4

هذا الكتاب

- يتناول هذا الكتاب بحث " القضية الدينية " من منظور مطلق ، وليس من منظور نسبى ، أو من منظور دينى مقارن ، لينتهى إلى أن " القضية الدينية " هى " قضية علمية كلية " ، يحتل فيها الوجود الإنسانى ، والوجود الفيزيائى ، والوجود الكونى جزئية صغيرة لا تكاد ترى ؛ ولا يحول دون إدراك المرء لهذا ، إلا قصور النظرة الحالية إلى الدين ، كناتج طبيعى من التجربة الدينية الفاشلة التى خاضها الإنسان مع الأديان الوثنية والموجودة الآن على ساحة الفكر البشرى .

- إن " القضية الدينية " ليست " قضية غيبية " كما هو الإعتقاد السائد فى هذا . بل هى ـ فى الواقع ـ " قضية يقينية " بكل ما تحوى الجملة من معنى شامل لها . وبالتالى يمكن التثبت منها ، ومن صدقها إلى أى درجة مطلوبة من الدقة .

- إن " القضية الدينية " ليست " قضية صراع بين حضارات مختلفة " أو " قضية صراع بين أيديولوجيات مختلفة " ، كما وأنها ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها . وهى أيضا ليست " قضية سياسية " لكسب " أتباع ما أو أرض ما " . ولكنها ـ فى الواقع ـ هى " قضية وجود الإنسان ذاته ومصيره هو " . ذلك الإنسان الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ، هذا إن لم يدركه الموت قبل ذلك ، ليغادر هذه الحياة إلى اليقين الكامل ...!!! ليقف وجها لوجه ـ بحواسه كاملة ـ أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى للقضية الدينية ، وبهذا تفوته الفرصة الوحيدة لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ... ومن وراء وجود هذا الوجود ...!!!

- إن رحلة حياة الإنسان عبارة عن طريق واضح المعالم يملؤه النور ، بدايته نور ، وأوسطه نور ، ونهايته نور ، وطريقه لا يحوى حتى الظلال ؛ ولا لبس ولا غموض ولا يوجد أدنى تضحيات عقلية فيه ؛ والحقيقة المطلقة فى أنتظاره ... عند أول منعطف من هذا الطريق ... وهو ملاقيها ... شاء هذا أم أبى ...!!!

- هذا الكتاب ليس " كتاب فلسفة " أو " كتاب أدب " أو " كتاب يعكس وجهة نظر شخصية فى الدين " ؛ بل هو " كتاب علم " يحسم وبشكل قاطع المعنى الحقيقى " للقضية الدينية " . أو هو ببساطة " كتاب علم " يحسم الحقيقة المطلقة عن : الله ... والدين والإنسان ...

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ...

محتويات الكتاب

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

المقدمة

من البديهى كلنا يعلم أن هذا الصرح العلمى الشامخ الذى نعاصره اليوم ، قد تم بناؤه بتعاون بنى الإنسان ، ليس فى زمن معين فحسب ، وليس فى حضارة معينة فحسب ، بل تم بناؤه على مر الأزمنة والسنين والحضارات ... وقد شاركنا نحن جميعا - بنى الإنسان - فى بناء هذا الصرح الهائل من العلم . وجميعنا الان يتمتع بنتائج عمل اخرين ليس لنا بهم علاقة مباشرة ، ولكنها هى المساهمة الإيجابية التى قدمها الإنسان لأخيه الإنسان من أجل رفاهيات وسعادة جميعنا يسعى لبلوغها . وقد يكون من الغريب حقا ؛ أن يتعود الإنسان على قبول العطاء على المستوى العلمى بل ويمجده ؛ بينما نجد هذا الإنسان يقف ـ فى نفس الوقت ـ ويغلفة الجمود والتعصب ، ولا يقنع بأى عطاء على المستوى الدينى فحسب ، بل يرفضه أيضا رفضا قاطعا فى أغلب الأحيان ، هذا إن لم يكن فى كل الأحيان ...!!!

ومن الغريب حقا ؛ أنة **على الرغم من** التقدم العلمى والتقدم التكنولوجى الذى أحرزه الانسان فى كل المجالات تقريبا ، وكذلك تحسن إدراكات الانسان بدرجة ملحوظة وفهمه الان للنظريات العلمية الكبرى التى قاربت أن تدخل ، أو دخلت فعلا ، جذورها ونتائجها فى حيز الفكر الغيبى ، أو ما يسمى بحيز الخيال العلمى ، **إلا إننا** نجد أن هذا الإنسان يقف ويغلفه العجز الكامل والحيرة الشديدة أمام " **القضية الدينية** " ، حيث ما زال الإنسان مترددا بين قبولها على إنها " **قضية حقيقية** " فعلا ، أم إنها مجرد " **قضية من صنع خيال الإنسان وفكره** " تعكس ضعفه المتناهى أمام هذا الوجود الغير متناهى . أو أن " **الدين** " هو المحاولة المبذولة من جانب الإنسان لتبرير وجوده الغير مدرك ، فى هذا الوجود المدرك والغير مدرك معا ...!!! أو أن " **الدين** " هو الإضطراب النفسى أو الإضطراب الباطنى للإنسان الناتج ، **عن** وعيه لنفسه ـ ككائن متميز ومختلف عن الطبيعة المحيطة به ـ وبنهايته التى يحدها الموت ، **وعن** الضغط الواقع عليه نتيجة غريزة حب البقاء التى تفرض عليه التمسك بهذا الوجود .

وعلى الرغم من أنه يمكن إعطاء الإنسان بعض الحق فى هذا الموقف من الدين ، نظرا للميراث الدينى الذى خلفته له التجربة الدينية المريرة والفاشلة ـ معا ـ والتى خاضها مع الأديان الوثنية والموجودة الان على ساحة الفكر البشرى ، وتناقضها الصارخ مع ما إنتهى إليه الإنسان من منطق علمى ثبت صلاحياته بشكل مطلق على مر حضارات الإنسان وعلمه . إلا إن هذا لا يعطى الإنسان العذر الكافى أو المبرر المعقول فى أن يغلق الطريق أمام نفسه نحو المعرفة

الدينية الصحيحة فى هذا الإتجاه ، وهو أحوج ما يمكن لها لإدراك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، وما سيؤول إليه من مصير .

إننا ـ معشر الإنسان ـ شركاء فى هذا الوجود ، ولقد تشابكت أيدى الجميع للبحث عن الحقيقة المطلقة بمعناها الشامل ، ولكن إقتصر هذا البحث ـ حتى الان ـ على ظاهر محدود فقط من هذه الحياة الدنيا ، لهذا أصبح لزاما علينا ـ مع التطور الحالى ـ أن نخطوا الخطوة التالية لنتعدى ذلك الظاهر المحدود إلى الواقع الغير محدود من هذا الوجود ، ولنتجه معا للبحث عن الوجود المطلق بعقل متفتح ورؤية كلية بعيدة عن التعصب والإستغلاق الفكرى ، خصوصا بعد أن تحسن ما لدينا ـ كثيرا ـ من إدراكات جعلت من رؤيتنا للطبيعة أكثر شمولية وموضوعية عن ذى قبل .

إن " **الوجود المطلق** " ، كما سنرى حالا ، لا يمكن أن يعبر عنه إلا " **القضية الدينية** " . والقضية الدينية ـ كما سنرى ـ ليست " **قضية غيبية** " على الإطلاق ، كما نشأنا على الإعتقاد الزائف فى هذا ، بل هى ـ فى الواقع ـ " **قمة قمم القضايا العلمية** " ، وليس هذا فحسب ، بل هى " **قمة قمم القضايا اليقينية** [١] " أيضا ، بالمفهوم الحرفى والكامل لهذا المعنى ، حيث يكون الإنسان فيها ـ أى فى القضية الدينية ـ حاضرا ومستقبلا ، وجودا ومصيرا ، علما وفيزياء ، أرضا وكونا [٢] ... إلى اخر ، جزئية صغيره من واقع تضمه هذه القضية الكلية .

وبادئ ذى بدء ؛ لابد لى وأن أؤكد على أن : " **القضية الدينية** " ليست " قضية صراع بين حضارات مختلفة " ، وهى أيضا ليست " قضية صراع بين أيديولوجيات [٣] مختلفة " ، كما وإنها ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها . وهى أيضا ليست " قضية سياسية " لكسب أتباع ما أو أرض ما . ولكنها فى الواقع ؛ هى " قضية وجود الإنسان نفسه ومصيرة هو " . ذلك الإنسان العاجز الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ، هذا إن لم يدركه الموت قبل هذا ، ليغادر هذه الحياة ـ بحواسه كاملة ـ إلى اليقين الكامل ...

---

[١] " **اليقين** " هو العلم الذى لا يحتمل الشك ، وبالتالى فإن " القضية اليقينية " هى قضية صحيحة صحة مطلقة ، بينما " القضية العلمية " ، فهى قضية صحتها دائما " **معلقة** " بعدم إكتشاف ظواهر جديدة لا تحققها القضية العلمية المعنية . فإن وجدت مثل هذه الظواهر التى لا تحققها " القضية العلمية " أصبحت " القضية العلمية " فى هذه الحالة قضية صحيحة صحة جزئية ، وليست صحة مطلقة . والأدلة على هذا فى مجال الفيزياء العامة متعددة نذكر منها على سبيل المثال الحكم على النظرية الذرية لـ " **نيلز بوهر** " ، والذى جاء بعدم الدقة ، وذلك بعد صدور هذه النظرية (أو هذه القضية) بحوالى عشر سنوات من ظهورها (أنظر الحكم فى صفحة ٤١٣ من هذا الكتاب) .

[٢] كلمة " **علم** " لها مدلول أعم وأشمل من مدلول كلمة " **فيزياء** " ، فالعلم يشمل الفيزياء وغير الفيزياء . وكلمة " **كون** " هى أعم من كلمة " فيزباء " ، لأن الكون يشمل كل ما هو مدرك (أى الفيزياء) ، وما هو غير مدرك ولم يكتشف بعد .

[٣] **الأيديولوجية** (Idiology) : هى مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية . أو هى طريقة (أو محتوى) التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة . أو هى الأهداف المتكاملة التى تشكل قوام برنامج سياسى إجتماعى لأى مذهب .

ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى للقضية الدينية ، لأنه بهذا سوف تفوته الفرصة الوحيدة ـ أثناء حياته الأرضية ـ لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، كما إنه لم يدرك الغايات المطلقة من وراء وجود هذا الوجود ....!!!

إنه لم يعد من المقبول منطقيا الآن ، ونحن نقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ، وبعد أن وصلنا إلى كل هذا الكم التراكمى من العلم فى جميع فروعه ، كما لم يعد يفصل بيننا وبين النظريات الشمولية الان إلا خطوة واحدة أو بضع خطوات قصيرة أوشكنا أن نقطعها ...!!! **لم يعد من المقبول منطقيا بعد كل هذا** ، أن نقف تجاه الدين هذه الوقفة التى تتسم بالبدائية والبعد عن الواقع والنظرة القاصرة ، بدون الدراسة الكافية التى تنتهى بنا إلى الأحكام القاطعة بشأن هذه القضية الهامة . أو أن نقف هذه الوقفة القاصرة من الدين بدون الإستفادة من القوانين العامة التى إنتهينا إليها ، والتى يمكن أن تعاونا بشكل مباشر فى أن نقول الكلمة الفصل فى هذه القضية المصيرية بالنسبة للإنسان ووجوده ...!!!

صحيح إنه يجب علينا الإعتراف بأن الحائل الوحيد الذى يعوق بلوغنا إدراك المعنى الحقيقى للدين هو قصور الفكر فى هذا الإتجاه ، إلا إن هذا ليس عذرا كافيا أو مبررا معقولا فى أن نقف مكتوفى الأيدى عن الكف فى بذل المحاولات الكافية لإستكمال هذا النقص المعرفى فى هذا الإتجاه بشتى الوسائل . بل يجب علينا أن نولى موضوع الدين ، العناية الكافية من ناحية الدراسة الحره بدون الحساسيات التى يمكن أن تفرضها علينا الوراثة الدينية أو كهنة العقيدة .

إن رفض الإنسان لقبول مبدأ إخضاع " **فكر العقيدة للفكر العلمى السائد** [4] " ، حتى يمكن الوصول إلى الحكم القاطع فيها ، يجعل من الإنسان هو ذلك الأحمق الذى تصل به درجة الحمق المحلى وقصور الفكر ... إلى الحد الذى يجعله يطعن نفسه بنفسه ... ويهلك نفسه بنفسه ... بدون أن يعى ... وبدون أن يدرك ماذا يفعل ....!!!

إن الأمانة العلمية تقضى ، كما تقضى علينا الإخوة البشرية أيضا ، وكما يحتم علينا ذلك أيضا " **الله** " ، أن نمد يد العون إلى بعضنا البعض فى جانب العقيدة ، كما مددناها إلى بعضنا البعض فى جوانب العلوم والمعارف الأخرى . كما يجب أن نقف من بعضنا البعض موقف صدق ، تكون فيها التبصرة غايتنا ... والمصارحة فيها منهاجنا ... وتوعية بعضنا البعض هدفنا ، وذلك

---

[4] سنرى حالا ـ فى هذا الكتاب ـ أن " الفكر العلمى السائد هو الذى سيخضع لفكر العقيدة " وليس العكس ، وذلك بلا أدنى تضحيات عقلية ، أو منطقية . سوف نجد أن " **القضية الدينية** " **هى** " **القضية العلمية الكلية** " بينما نجد العلم بمفهومه الحالى هو " **القضية العلمية الجزئية** " . أو أن العلم هو أحد النتائج الجزئية والحتمية للقضية الدينية العامة .

قبل فوات الأوان ، وضياع الفرصة الحقيقية للمعرفة ، حيث يكون الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .... هو ذلك الإنسان ، الظلوم لنفسه ، الجهول بحقيقة وجوده ، والذى جاء إلى هذا الوجـود ولـم يحقق الغايات من هذا المجيء ....!!!

وفى الحقيقة ؛ يمثل هذا الكتاب المحاولة المبذولة لوضـع النقـاط علـى الحـروف بالنسـبة للقضيـة الدينيـة ، وبحثهـا ومناقشـتها بنفس الأسـاليب المتبعـة فـى المنـاهج الفيزيائيـة والطـرق التجريبيـة المتعارف عليها والمؤكد صلاحيتها وصدقها المطلق ، وصحة إسـتنتاجاتها علـى مـدى تقـدم علـم الإنسان وحضاراته .

وهنا ينبغى أن أشير إلى أن بحث " القضية الدينية " من منظور مطلق ، وليس من منظور نسـبى ، أو مـن منظـور دينـى مقـارن ، يفـرض علينـا اللجـوء إلـى فـرض " **مسـلمات أساسـية : Essential Postulates** " يفترض صحتها ، أو حتى خطؤها (فهذا لا يهم) ، ولا يقام على هذه المسلمات البرهان بشكل مباشر ، ولكن يتم البرهنة عليها من خلال ما تؤدى إليه من نتـائج قابلـة للملاحظة والقياس والتحقيق .

فينبغى أن نعرف أنه لا يمكن بناء " **أى نظرية** " ، بدون اللجوء إلى فرض المسلمة أو المسلمات الكافية ، **والفروض (Hypotheses) الأساسية** التى تقوم عليها أو تؤسس عليها هذه النظريـة . ولا بد لنا أن نعرف أن المسلمات الأساسية ـ فى أى نظرية ـ لا يقام عليها البرهان بشـكل مباشـر ، بل يقام عليها البرهان بشكل غير مباشر . وذلك بالنظر فيما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج . ومن واقع إختبار صحة هذه النتائج يتم الحكم على صحة المسلمات نفسها . فـإن صحـت نتـائج المسلمات صحت المسلمات نفسها ، أى إننا نكون قد أقمنا الدليل بذلك أو البرهـان علـى صحتهـا وصدقها . وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها المسلمات ، بطلت المسلمات نفسها ، أى أننا نكـون قد أقمنا الدليل بذلك أو البرهان على بطلان هذه المسلمات . **كما ينبغى أن ننبـه إلـى أنـه : ليس القيمة فيما يفرض من مسلمات ، بل القيمـة فيمـا تـؤدى إليـه هـذه المسـلمات مـن نتـائج قابلـة للملاحظة والقياس والتحقيق للتثبت من صحة وصدق هذه المسلمات .**

وليس فى هذا أى تجاوز علمى ، فالأمثلة الدالة على هذا المنهاج ، وصحة إستخدامه ، كثيرة فـى مجال الفيزياء العامة ، بل وفى كبرى النظريات العلمية فيها . فعلى سبيل المثال نجد أن :

النظرية النسبية الخاصة : The Special Theory of Relativity تقوم على مسلمتين أساسيتين [5] هما :

المسلمة الأولى : وهى التى تقول بأن سرعة الضوء هى سرعة ثابتة بالنسبة لجميع الأنظمة القصورية **Inertial Frame of References** وهى سرعة لا تتأثر بحركة المصدر أو المستقبل (وهذا يعنى أن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة مصدر الضوء ، كما لا تتأثر بحركة الشخص الملاحظ لها) .

أما المسلمة الثانية : فهى تقول بأن القوانين الطبيعية أو الفيزيائية ، أو المعادلات الرياضية الدالة عليها واحدة لجميع الأنظمة القصورية ، بغض النظر عن سكونها أو حركتها المنتظمة فى خط مستقيم .

وإستنادا إلى تلك المسلمتين ، فقد تم إستنتاج مجموعة من القوانين الفيزيائية الأساسية ، والتى أمكن التحقق من صحتها معمليا وتطبيقيا . نذكر منها على سبيل المثال ؛ معادلة انشتين الشهيرة التى تربط بين كتلة الجسم والطاقة الكلية الكامنة فى هذه الكتلة ، والتى تقول بأن : [**طاقة الجسم = كتلة الجسم × مربع سرعة الضوء**] . ولما تحققت فعلا صحة هذه المعادلة معمليا وعمليا ، فإننا نكون - فى الواقع - قد أقمنا الدليل ، أو البرهان ، على صحة وصدق هاتين المسلمتين الأساسيتين . وهذا هو عين المنطق المستخدم فى هذا الكتاب .

فإذا أردنا أن نناقش الدين بمفهوم النظريات الفيزيائية السابق ذكرها ، فلا بد لنا أن نفترض مسلمة ما أو عدة مسلمات أساسية ، ثم نشرع فى السير لنرى ما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج . ثم علينا ، بعد ذلك ، أن نختبر مدى صحة وصدق هذه النتائج بكل الوسائل . وبديهى إن صحت النتائج صحت المسلمات المفروضة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمات المفروضة . وبديهى ليس فى هذا أدنى تجاوز علمى ، كما سبق وأن بينا .

وإستكمالا لتطبيق هذا المنهاج العلمى لابد لنا وأن نؤكد على أنه : كما لا يمكن الجمع بين المتناقضات فى القضية العلمية ، فكذلك لا يمكن الجمع بين المتناقضات فى القضية الدينية . على إعتبار أن الأخيرة (أى القضية الدينية) سوف تخضع لنفس القواعد والأسس والمعايير التى تخضع لها القضية العلمية .

---

[5] بديهى - هنا - لا يهم فهم هاتين المسلمتين لإستمرار قراءة هذا الكتاب . فالمقصود من ذكرهما فقط ، هو بيان أن النظريات الفيزيائية الكبرى تستند إلى مسلمات لا يتم البرهنة عليها بشكل مباشر ، على النحو السابق ذكره . بل يتم البرهنة على صحة هذه المسلمات من خلال ما تقدمة إلينا من نتائج صحيحة قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق .

وإستنادا إلى هذا الفكر المتقدم ، فقد تم تطبيق هذا المنهاج العلمى أو المنهاج التجريبى - فى هذا الكتاب - على حشد من الديانات الأساسية والموجودة الان على الساحة البشرية . وكان على الكاتب ، إختيار أحد **الأنظمة الدينية** ***(أى دين ، بلا أدنى حساسيات أو تعصب ما)*** [٦] ، ثم **نفترض فيه الصحة أو حتى الخطأ - فهذا لا يهم** - وذلك كمسلمة أساسية أولى ، ثم نشرع فى بحث ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج . ثم نقوم بإختبار هذه النتائج بشتى الطرق ، فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . ثم نكرر هذا بالنسبة لباقى الأنظمة الدينية الأخرى . ونود أن نؤكد هنا - كما سنؤكد على ذلك دائما - على أنه : " **ليست القيمة فيما يفرض من مسلمات ، بل القيمة فيما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق** " .

وبناء على هذا ، فإن فرضية أساسية أو مسلمة أساسية تقول مثلا بأن : " **الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة** " ، لن يزيد قبولنا لها عن معنى " **القبول المعلق** " ، بمعنى أن قبولنا النهائى لهذه المسلمة سوف يتوقف على مدى إختبارنا لصحة ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج . فإن صحت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة صحت المسلمة نفسها أى أن " **الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة** " فعلا ، وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة بطلت المسلمة نفسها ، أى أن " **الديانة الإسلامية هى ديانة باطلة** " فعلا . وليس فى هذا أى تجاوز منطقى أو تجاوز علمى أو فكرى كما سبق وأن ذكرنا .

وبديهى سوف نطبق نفس هذه المبادىء على الديانات الأخرى ، ثم نجرى عليها نفس الإختبارات السابقة ، فإن صح ما تؤدى إليه المسلمة من نتائج صحت المسلمة نفسها ، وإن بطلت ما تؤدى إليه المسلمة من نتائج بطلت المسلمة نفسها . **فنحن نؤكد دائما على أنه ؛ ليست القيمة - كما سبق وأن ذكرنا - فيما يفرض من مسلمات ، ولكن القيمة فيما تنتهى به هذه المسلمات من نتائج يمكن وضعها تحت الإختبار والمشاهدة والقياس والتحقيق ، لتصبح هذه النتائج دليل الصدق أو دليل الخطأ على ما تم فرضه من مسلمات .**

وسوف نكرر القول بهذا الفكر مرارا على طول هذا الكتاب ؛ حتى لا ينسى القارئ ما يدور فيه من فكر علمى من جانب ، وحتى لا يعتقد خطأ بأن هناك تسليم أعمى بالمسلمة المفروضة بدون

---

[٦] من المهم أن نشير هنا ، إلى أن المسلمات الأساسية التى تفرض فى " النظريات العلمية " لا تأتى من فراغ ، بل عادة ما تكون لها جذور فى أرض الواقع . فقد تشير الخبرة اليومية - مثلا - إلى صحتها ، أو قد يكون هناك بعض الدلائل - مثلا - التى توحى بأنها صحيحة . كما سبق وأن رأينا فى المسلمات الخاصة بـ " النظرية النسبية الخاصة " .

إخضاع نتائجها إلى الإختبار الصارم والتجربة القاطعة ، حتى يمكن القطع بصحتها . ولأننا إن لم نفعل هذا ؛ لا نفقد " للقضية الدينية " معناها فحسب ، بل يصبح " الدين " أيضا هو " قضية إيمان جزافى أو إيمان إعتباطى " يعوزه البرهان اللازم لتأكيد صحته وصدقه ، **وبهذا يفقد هذا الكتاب مصداقية عنوانه ، كما يصبح كتابا بلا هدف .**

وبديهى أن مثل هذا المنهاج العلمى ، يستلزم عرض الأنظمة الدينية على نحو كلى وشامل (Global) ، حتى تسهل معه (أى حتى يسهل مع هذا العرض) الرؤية الكلية والموضوعية للنظام الدينى ككل على نحو واضح ومتكامل . وبذلك يمكن رؤية ما يقدمه الدين من فكر مباشر للبشرية . ولهذا فقد تجنب هذا الكتاب أى مناقشات فلسفية تقول بها العقيدة تجنبا للتشتت الفكرى من جانب ، وحتى يكون الكتاب أكثر موضوعية وتركيزا من جانب اخر . فعادة ما تؤدى المناقشات الجانبية لفلسفات الديانات إلى تسرب الحقيقة أو حتى إختفائها عند الإستغراق الكامل فى هذه المناقشات الفرعية لتلك الفلسفات . كما يمكن أن تحجب مناقشة هذه الفلسفات فكر العقيدة نفسه عن العين الغير متخصصة . لذا فإن العرض العقائدى فى هذا الكتاب هو عرض موضوعى وعلمى إلى أقصى درجة ممكنه .

وقد بدأ هذا الكتاب بالفصل الأول الذى يشرح فيه المؤلف بعض الإعتبارات الأساسية فى مناقشة الفكر الدينى ومفهوم التبشير كما نألفه فى حياتنا اليومية . كما يشرح المؤلف الدوافع من وراء ظهور هذا الكتاب ، وذلك من خلال تجربه.دينية وعلمية مباشرة عاشها المؤلف على مدار سنوات طويلة وممتدة فى مجالات متشعبة ومتباينة من العلم والدين والفلسفة .

أما الفصل الثانى فهو يستعرض رحلة الفكر الإنسانى مع الدين ، كما يتعرض للمفهوم الحالى للدين من خلال المنظور الإنسانى له (وليس من المنظور الإلهى) . وهو مفهوم - كما سنرى — قاصر ومحدود للغاية ، بل وسنرى أن التعاريف الحالية للدين تسمح بتسرب الأديان الوضعية والأديان الوثنية من خلالها لتحتل مكانا طبيعيا جنبا إلى جنب مع الديانة الصحيحة . لذا لزم إعادة صياغة " **تعريف الدين** " بمفهوم أكثر دقة عن ذى قبل ، حتى لا يسمح – هذا التعريف – بتسرب مثل هذه الديانات الوثنية من خلاله . كما تم وضع الحد الأدنى من الشروط الواجب توافرها فى الديانة ، لكى تكون صحيحة وبأنها وحى إلهى قادم – حقا – من السماء . وبالتالى نستطيع - الان - الحكم وبشكل قاطع على الأديان الموجودة على الساحة البشرية من حيث صحتها أو بطلانها .

وفى هذا الفصل أيضا ، تم الإنتهاء إلى أن " **القضية الدينية** " هى " **قضية علمية كلية** " بكل ما فى هذه الجملة من معنى . كما وإنها (أى القضية الدينية) ليست " قضية غيبية " ، كما نشأنا على الإعتقاد الزائف فى هذا ، بل هى " قضية يقينية " يمكن إخضاعها لشتى فروع المناهج العلمية والتجريبية المألوفة لبحثها إلى أى درجة مطلوبة من الدقة ، والحكم عليها بشكل قاطع ، شأنها فى ذلك شأن أى قضية علمية أخرى . **وبديهى سوف تعتمد البراهين المقدمة على المسلمات المفروضة ، أما الحكم على صحة المسلمات نفسها فسوف يعتمد على النتائج النهائية المستنتجة منها ، وهذه النتائج هى التى سوف تخضع للإختبار لبيان مدى صحتها .**

كما يناقش هذا الفصل أيضا " **ظاهرة تعدد الأديان** " ، وقبول الإنسان لهذه الظاهرة على إنها جزء من الفطرة البشرية . وسنلمس أن " **الفطرة بإدراك وجود الله** " ، وكذا عمليات " **غسيل المخ الجماعية** " التى يجريها كهنة العقيدة على الأتباع والشعب ، هما العاملان الحاسمان فى وجود مثل هذه الظاهرة . كما سيتعرض هذا الفصل أيضا إلى موقف المناهج التجريبية فى العصور الحديثة ، وكذا موقف مدارس علم النفس من " القضية الدينية " . وسيرى القارىء إلى أى مدى التخبط الموجود فى تحديد العلاقات بين هذه المناهج وبين القضية الدينية . وسوف يناقش هذا الفصل أيضا أهم البراهين الدالة على وجود الله ، والتى جاء بها الفكر البشرى ، والبراهين المقابلة لها كما يجىء بها الفكر القرانى . كما ناقش هذا الفصل أيضا بإختصار بعض الديانات الموجودة الآن وما تقدمة من فكر للإنسان .

أما الفصل الثالث فهو يعرض للتجربة البشرية مع الديانتين اليهودية والمسيحية تخصيصا ، وبدون أى فلسفات وكما يقول بها أهل العقيدة . وهو عرض تجريدى وكلى إلى أبعد مدى . وسيرى القارىء جيدا ما تحويه هذه الديانات من مضامين قد خلفت المرارة للإنسان ، وحدت به نحو الإبتعاد عن الدين والتدين على نحو مطلق . وقد ناقش هذا الفصل حقيقة الأنبياء ، والنصوص المقدسة ، والفكر الإلهى ، كما تقدمة تلك الديانتين ، من واقع فكر الكتاب المقدس وكما يؤمن به أهل العقيدة .

أما الفصل الرابع فهو يناقش رد الفعل الدينى لدى العلماء والفلاسفة والمفكرين ، لما سببته لهم هاتين الديانتين (اليهودية والمسيحية معا) من رد فعل سىء حول مفهوم الدين . وكذا مسئوليتهما الحقيقية عن إبتعاد الإنسان أو عزوفه عن الدين والتدين بوجه عام .

ولبيان عجز العقل البشرى وما يقدمه من حلول بديلة ، حول قضايا وجود الإنسان ومصيره ، لزم تلخيص الفلسفة البشرية على نحو كلى وشامل منذ نشأتها منذ فجر الحضارة البشرية ، وحتى

الفلسفات المعاصرة . أو بمعنى آخر تقديم الفلسفة البشرية كاملة فى جرعة مكثفة ، حتى يتبين لنا جيدا بأن الفلسفة لم تقدم للبشرية فكرا يذكر عن الدين ، أو التدين ، أو الله ؛ بل وقفت ـ الفلسفة ـ عاجزة عجزا كاملا أمام هذه القضايا المصيرية بالنسبة للإنسان . . .

كما تم مناقشة أهم الأديان الأخرى ، على طول الكتاب ، والموجودة ـ الان ـ على ساحة الفكر البشرى مثل الديانة البوذية ، والهندوسية ، والزرادشتية ، والتاوزمية ... وذلك بإختصار شديد جدا ، ولكنه ـ مع ذلك ـ يكفى للإلمام الكلى بهذه العقائد ، وما تقدمة هذه الأديان من فكر للإنسان . كما يحوى الكتاب أيضا ، أربع ملاحق ، غير الخاتمة . وهى ملاحق ضرورية لإستكمال الإتصال الفكرى فى العرض . ثم ينتهى الكتاب بالحقيقة المطلقة عن وجود الله حقا ، وعن وجود الدين حقا ، بالبراهين العلمية القاطعة والتى لا تقبل معها أى شك .

هذا وقد تم توخى الدقة فى كتابة هذا الكتاب إلى أبعد الحدود ، وذلك لما تمليه الأمانة العلمية ، والدقة المطلوبة فى مثل هذه الكتابات . ولهذا كان لا يتم الإستشهاد إلا بالمصادر المعتمدة ، والموسوعات العلمية والمراجع الموثوق بها فقط . وأحيانا كان يلزم التأكد من وجود المعلومة فى أكثر من مصدر حتى يمكن كتابتها هنا ، وخصوصا إذا ما كانت المعلومة تاريخية وذات حساسية خاصة .

كما بذل المؤلف قصارى جهده ، لكى يجعل هذا الكتاب مكتفيا بذاته (**self-contained**) ، بمعنى أنه لا حاجة للقارىء لأن يلجأ إلى الخروج منه إلى كتاب اخر ، لإستكمال سياق مطرد أو غير مطرد فيه . مع توخى الإيجاز الشديد ـ فى العرض ـ ما استطاع حتى يتجنب الإطالة على القارىء ، من جانب ؛ وحتى يتجنب إحتمال ضياع الحقيقة عند مناقشة فلسفات لا لزوم لها ، من جانب اخر . وقد إنعكس هذا وذاك على كثرة التذييلات الواردة بالكتاب ، حتى بلغت أكثر من خمسمائة وثمانين تذييلا ، بين مصدر وتعليق ونقد . كما يلزم الإشارة هنا إلى أن الكاتب ـ فى أحيان قليلة جدا ـ فضل تكرار بعض النصوص عن الإشارة إليها فى صفحات سابقة ، حتى لا يقطع إتصال فكرى مستمر إستكمالا لرؤية متكاملة لبرهان هام ، أو لتأكيد فكرة ما من منظور مخالف لما سبق عرضه .

وقد أعد هذا الكتاب ليكون مرجعا لكل من يهمه معرفة وجوده ومصيره بشكل قاطع ومحدد . كما كتب هذا الكتاب ليخدم كلا من القارئ العادى ، والقارئ الدارس ، وكذا القارئ المتخصص فى برامج مقارنة الأديان ، كل على حد سواء .

كما يجب أن يفهم ؛ أن هذا الكتاب ليس " كتاب فلسفة " ، أو " كتاب أدب " ، كما وأنه ليس " كتاب يمثل وجهة نظر شخصية فى الدين " ؛ بل هو " كتاب علم " بكل ما تحوى هذه الجملة من معنى لها . فهو " كتاب علم " يحسم وبشكل قاطع المعنى الحقيقى " للقضية الدينية " ، أو هو ببساطة " كتاب علم " يحسم الحقيقة المطلقة عن ... " الله ... والدين ... والإنسان " .

ثم تبقى كلمة أخيره ، وهى أن هذا الكتاب هو - فى الواقع - نتاج عمل مضن ومتصل لسنين طويلة ، لبحوث علمية ودينية وفلسفية فى غاية من التنوع والتباين ، قام بها شارد فى أدغال العلم ، شاء له الله أن يعثر على الحقيقة ، فعاد بها وهو موقن من أنه قد حسم أمر القضية الدينية ...!!! **فشرع يكتب هذا الكتاب ، وهو يملؤه الحزن والأسى ...** على ذلك الإنسان ... الظلوم لنفسه الجهول بحقيقة وجوده ...!!!

شرع يكتب هذا الكتاب .... إلى ذلك الإنسان ... الذى يستهويه الغموض - بوعى منه أو بدون وعى - والذى تأخذه العزة بالجهل إذا ما عثر على صدفة (**a shell**) ... فيعتقد أنه قد أدرك شيئا ...!!! أو يعتقد أنه هو الذى صنع هذه الصدفة (**The Shell**) ...!!!

شرع يكتب هذا الكتاب .... إلى ذلك الإنسان ... الذى لا يريد أن يدرك أن رحلة حياته عبارة عن طريق واضح المعالم يملؤه النور ... بدايته نور ... وأوسطه نور ... ونهايته نور ... وطريقه لا يحوى حتى الظلال ... ولا لبس ولا غموض ... ولا يوجد أدنى تضحيات عقلية فيه . ومع ذلك فهو يصر - بوعى منه أو بدون وعى - على أن يغمض عينيه دون كل هذا النور ...!!! ثم يصرخ مدعيا أنه لا يرى هذا النور ...!!!

شرع يكتب هذا الكتاب .... إلى ذلك الإنسان ... الذى لم ولن يدرك إنه الخاسر الوحيد فى هذا الوجود ... إذا لم يدرك حقيقة وجوده ... وحقيقة وجود هذا الوجود ... لأن الحقيقة المطلقة فى أنتظاره ، عند أول منعطف من طريق حياته هذا ... وهو ملاقيها ... شاء هذا أم أبى ...!!! وسيدرك فى ذلك الحين - إن لم يع هذه الحقائق - أنه لم يحقق الغايات من خلقة ...!!! وأن عليه أن يدفع الثمن عن كل هذا ...!!!

الفصل الاول

الدوافع ...

١ ـ بداية وإعراض

فى الحقيقة ؛ لم أقصد بهذا الفصل أى سيرة ذاتية خاصة ، ولكن يصبح الكلام عن تجربة معينة أمرا حتميا ولا مفر منه ، خصوصا إذا ما كانت التجربة تعكس إتجاها فكريا عاما ، لا يرتبط بفكر الكاتب فحسب ، أو بالفكر المحلى لمجتمع ما فحسب ، بل يرتبط إرتباطا وثيقا بالفكر العالمى للإنسان ووجودة على سطح هذا الكوكب المحدود . وخصوصا إذا ما كانت التجربة ـ بأخطائها ـ قابلة للتكرار لمفردات الوجود الانسانى ، ما لم نلق عليها الضوء الكافى لتجنب الوقوع فيها مرات ومرات وبغير نهاية .

والغريب أنه على الرغم من التقدم العلمى والتقدم التكنولوجى الذى أحرزه الانسان فى كل المجالات تقريبا ، وعلى الرغم ـ كذلك ـ من تحسن إدراكات الانسان بدرجة ملحوظة وفهمه الان للنظريات العلمية الكبرى التى قاربت أن تدخل ، أو دخلت فعلا ، جذورها ونتائجها فى الحيز الغيبى ، أو ما يسمى بحيز الخيال العلمى ـ كما سنرى ـ إلا أننا نجد هذا الإنسان يقف يغلفه العجز الكامل أمام القضية الدينية ، فلا يزال لا يستطيع حتى الان أن يجزم بصحتها أو خطئها ، أو حتى وجودها من حيث المبدأ أو عدم وجودها .

والغريب كذلك أننا ما زلنا ما ننظر إلى " القضية الدينية " على أنها " قضية غيبية " لا يمكن التثبت من صدقها ، كما يمكن أن تلعب الأسطورة فيها والخرافة [1] دورا رئيسيا ، بل والأكثر غرابة أن نظل على هذا الإعتقاد ..!!! ونحن نقف على مشارف القرن الواحد والعشرين .

---

[1] عادة ما تقوم الموسوعات العلمية الغربية بتصنيف " *الدين وعلم الأساطير : Religion and Mythology* " على أنهما من الموضوعات ذات الطابع المشترك ، لذا يتم تصنيفهم فى نفس القسم من المعارف الذى يحمل هذا العنوان . أنظر على سبيل المثال : " *قاموس ويبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopeidc Unabridged Dictionary* " ؛ ص : ١٧٠٧ . (وكما نعلم فإن الأساطير تعنى القصص الخرافية) .

وتعود الذاكرة إلى صدر الشباب ، حيث تبدأ القصة ، عندما كنا طلبة في كلية الهندسة [٢] ، حيث الفكر والطموح لا يحدهما حواجز الزمان والمكان .... والقضايا العلمية [٣] تترى من حولنا لتعلن عن الدقة البالغة للعلم ، ولتأخذ مكان الصداره في الفكر ، وتحتل الحيز الاكبر من النفس ، ويصبح المنطق العلميّ هو المنطق المسيطر – على المرء – حتى على الاسلوب النمطي للحياة اليومية ، ويدفع هذا بالقضايا الإيمانية والتي تؤخذ كمسلمات بدون تمحيص الي خلفية الصورة ، حتى يكاد يصعب على المرء أن يتبين ملامحها على مر الوقت ، وكانت العبادة في ذلك الوقت تمارس بأبسط مفهوم لها ، وهو مفهوم الوراثة .

وكانت إحدى سمات تلك الفترة [٤] الهجوم الضاري على الدين ، كما كانت الإتجاهات الفكرية السائدة في ذلك الوقت تتجه الي إتهام الدين بكل ما هو تخلف وقهري ، بينما التحرر من الدين معناه التقدم الحضاري بأوسع معانيه ، بل والسعاده المرجوه في هذا الوجود على نحو مطلق .

فبيت الداء هو الدين ، حيث إنه مصدر كل قصور وكل بلاء ، بل وأصبح عبئا ثقيلا على كاهلنا أصابنا منه الارهاق ، بل وأصبح لزاما علينا كذلك أن نحزم أمرنا للتخلص منه نهائيا . وربما كان التردد ، أو ربما كانت تنقصنا الجرأة أو الشجاعة الكافية لاتخاذ مثل هذا القرار الحاسم . وقد أصبح الدين بهذا المفهوم تراثا فكريا متخلفا ومتوارثا عن الاباء والأجداد ، وارتبط إرتباطا مباشرا بمفهوم الطفولة الفكرية للإنسان وبداية نشأته على سطح هذا الكوكب ... كوكب الأرض .

وقد وقعنا – في تللك الفترة – أسرى لإعلام ساند لهذا المفهوم ، بل إن بعض المجلات الكبرى كانت تخصص مساحات كافية للهجوم الضاري على الديانة الاسلامية ، وأصبح التندر – بالألقاب – على الأنماط الدينية ورجال الدين من الأمور الشائعة في ذلك الوقت .

---

[٢] جامعة القاهره .

[٣] تستخدم أحيانا " القضية العلمية " - هنا - بنفس معنى " القضية الفيزيائية " ، وإن كان كلمة " علم " لها معنى أعم وأشمل من كلمة " فيزياء " . فالعلم يشمل الفيزياء وغير الفيزياء ؛ مثل العلوم الاخرى ، كعلم الرياضيات وعلم الكيمياء وعلم الاحياء وعلم الاجتماع وعلم الإقتصاد ..... إلى آخره .

[٤] كان هذا في الستينات ، وليس للتاريخ هنا أي أهميه تذكر ، فالقصه متكرره ، وما زال الهجوم قائما على الدين في صور المذاهب الوضعية ، ولن ينتهي الإنسان من هذا ما لم يتنبه إلى حقيقة الدين وحقيقة وجوده ومصيره ، ومعرفة الغايات من خلقه .

وكنا لا نتصور ـ نحن الطلبة ـ أن رجال الفكر قد يخطئون فى القضايا الهامة أو القضايا المصيرية ، فمثل هذه القضايا يجب ألا ترسل نتائجها على عواهنها بدون التمحيص الكافى حتى لا تغرر بها أجيال حالية وتضل بها أجيال قادمة .

فنحن الطلبة قد تعودنا على الإحترام الزائد للأساتذة ، فهم قدوتنا فى العلم ، وبالتالى فهم قدوتنا فى التفكير . وما إنتهوا إليه بشأن الدين هو قطعا الصواب ، وكان هذا ـ كما يبدو لنا فى ذلك الوقت ـ هو الناتج الطبيعى بل والحتمى للتطور الحضارى للانسان ، ولم لا ... وقد فهمنا منهم أن " **القضية الدينية** " هى " **قضية غيبية** " فى المقام الاول والأخير ، والخرافات فيها هى الفكر السائد ، كما كانوا يعرفون الدين بأنه " **عهد الطفولة الفكرية للبشرية** " أو بمعنى اخر إنه المحاولات الأولى للبشرية لشرح العالم الفيزيائى المحيط بنا من خلال الأسطورة والخرافة . حيث كان الانسان البدائى يرى الظواهر الطبيعية ويحتار فى تفسيرها ، ولا يفهم أسباب حدوثها ، لهذا كان ينسبها الى إرادة إلهية (مثل ارادته) هى التى تتحكم فى سير الظاهرة وحدوثها .

أما بعد التقدم الحالى ، فإن الإنسان الحديث يستطيع الوقوف على التفاصيل الدقيقة لحدوث الظواهر الطبيعية وأسبابها بدرجة كافية من الدقة ، بل والأكثر من هذا ، إن الإنسان الحديث إستطاع السيطرة والتحكم فى هذه الظواهر وتسخيرها لخدمته ، وهذا ما نلمس اثاره الواضحة فى تقدمنا العلمى والتكنولوجى الذى نعاصره الان . وبهذا إنتفت الحاجه إلى فكر الإرادات التى كانت تنسب إليها الظواهر الطبيعية . وبهذا خلصوا إلى أن الدين هو " **حيز الارادات** " الخفية أو الإلهية التى تتحكم فى سير الظواهر الطبيعية ، بينما يصبح العلم هو " **حيز الاسباب** " لشرح وتفسير وتسخير هذا العالم الزاخر بهذه الظواهر الطبيعية .

وبناء على هذا فكلما تعرفنا على سبب ظاهرة ما ، نقص " **حيز الارادات** " واحدة ، بينما ـ فى الجانب الاخر ـ زاد " **حيز الاسباب** " واحدة ، وبذلك فإن حيز الدين اخذ فى التقلص أو التناقص ، بينما حيز العلم ـ فى الجانب الاخر ـ اخذ فى التزايد حتى يفرغ الدين من المضامين الخاصة به ، بعد غاية تقدمنا العلمى .

ولهذا يصبح الدين قضية محتوم بفنائها ـ شئنا هذا أم أبينا ـ فالتقدم العلمى أمر واقع ومستمر ولا مفر منه ، وسوف يفرغ القضية الدينية فى النهاية من مضامينها المملوءة بالإرادات ، وبذلك يتلاشى الدين تدريجيا من الوجود حتى بدون عناء التصدى له ، أو التصادم معه .

وعلى الرغم من سذاجة هذا الفكر – كما سنرى حالا – الذى يحوى قدرا كبيرا من ضعف النضوج الفكرى للقائل به ، من جانب ، كما يحوى عدم إدراك أو فهم الإنسان لمعنى الدين ، من جانب اخر ؛ إلا أنه كان يلقى صدى لا بأس به فى نفوسنا ، نظرا لجهلنا المحلى فى ذلك الوقت ، هذا إلى جانب أننا كنا ننظر الى العلم بقدسية زائدة لإستدلالاته الرياضية المثيرة ، وتنبؤاته الدقيقة التى لا تخطئ ...

فالعلم يعنى لدينا الكثير ، لأن كل قضاياه يقينية لا يشوبها أدنى شك ، بينما الدين مازال يعنى لدينا فكر القضايا الغيبية حيث الاسطورة والخرافة هى التى يمكن أن **تلعب الدور الرئيسى والحاسم فيه ، وحيث لا يمكن القطع بصحة ما يحويه من مضامين .**

وفى الحقيقة ، كان هذا الفكر هو ترديد لما قال به " **أوجيست كونت**[٥] " زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة (أو المذهب الواقعى) فى العالم ومؤسسها ، حيث كان يقول أن **قوانين العلم التجريبى تغنى عن الإيمان بالله** ، وأن هذه القوانين تدل على أن الطبيعة لها وجود مكتف بذاته . ويضيف كونت بأن التفكير البشرى مر بمراحل ثلاث أسماها باسم " **قانون الاحوال الثلاثة** " وهى على التوالى :

١ – الحالة اللاهوتية أو الدينية[٦] .
٢ – الحالة الميتافيزيقية .
٣ – الحالة العلمية أو الوضعية .

---

[٥] أوجيست كونت : **Auguste Comte** (١٧٩٨ – ١٨٥٧) : رياضى وفيلسوف فرنسى . مؤسس " **الفلسفه الوضعيه** " ، أو " الفلسفة الواقعية " أو " المذهب الواقعى " أو " الوضعية المنطقية : Logical Positivism " بالتعبير الحديث . وقد ولد كونت بمونتلبتى بفرنسا ، من أسرة شديدة التعلق بالمسيحية الكاثوليكية ، ولكنه سرعان ما فقد الإيمان بهذه الديانة منذ الرابعة عشرة من عمره ، ثم نادى بـ " **المذهب الواقعى** " ، الذى يعنى أن الفكر الإنسانى لا يدرك سوى الظواهر الواقعة ، وما بينها من علاقات وأحاسيس فقط ، ولا يدرك غير ذلك . وينسب أيضا إلى كونت تأسيس علم الإجتماع وفصله عن الفلسفة . (تاريخ الفلسفة الحديثة ؛ يوسف كرم . دار المعارف . ص : ٣١٦ / ٣٢٩) .

[٦] **ففى الحالة اللاهوتية** : كان دأب العقل البحث عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها ، وتدرج فى هذا البحث إلى درجات ثلاث : الدرجة الأولى هى " **الفيتشية : Fetishism** " (أو التقديس الأعمى) ؛ وفيها يضيف العقل إلى الكائنات الحية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان . وتأتى الدرجة الثانية **بتعدد الألهة**، حيث يسلب فيها - العقل - الكائنات الطبيعية ما كان قد خلع عليها من حياة ، ويضيف أفعالها إلى موجودات أخرى غير منظورة تؤلف عالما علويا . أما الدرجة الثالثة ، فهى **توحيد كثرة الالهة فى إله واحد مفارق** . وفى هذه الحالة تتسع الشقة ويزداد التضاد . **ثم تأتى الحالة الميتافيزيقية** : ويرمى فيها العقل كذلك إلى إستكناه صميم الأشياء ومصيرها أيضا ، ولكنه يستبدل المعان المطلقة السابقة بعلل ذاتية يتوهم فيها العقل بأنها تقبع فى باطن الأشياء ، وما هى إلا معان مجردة قد جسمها له الخيال . **وأخيرا الحالة الواقعية** : وفيها يدرك العقل إمتناع الحصول على معارف مطلقة ، فيقصر همه على تعرف الظواهر واستكشاف قوانينها . ويقول كونت بأن الحالات الثلاث السابقة تتعاقب فى كل إنسان . ففى الحداثة نقنع بسهولة بالتفسيرات اللاهوتية ، وفى الشباب نقتصى عللا ذاتية ، وفى سن النضج نعول على الواقع .

وإنه بمنطق التطور التاريخى الحاسم يصبح الدين والميتافيزيقا مجرد خرافات ورثناها من القرون السابقة ، وقضت عليها حاليا سيادة العلم الحتمية ، وأى محاولة لإحيائها أو الدفاع عنها تعتبر عملا من الأعمال المضادة لطبائع الاشياء . ويقول كونت :

" إن الاعتقاد فى ذوات عاقلة أو إرادات عليا لم يكن إلا تصورا يخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية ، وإن العالم الطبيعى لا يبقى فراغا يسده الاعتقاد بوجود إله ، ولا يبقى سببا يدفعنا إلى الايمان " .

وبهذا ينتهى كونت الى رفض الدين كلية ، ثم سرعان ما يتناقض مع نفسه ، ثم ينتهى إلى وضع دين جديد أسماه " **دين الانسانية** [7] " ...!!! هكذا ببساطة شديدة ...!!!

وبديهى إن المتأمل فى مثل هذا السلوك ينتهى إلى أن تجربة أوجيست كونت مع الدين الشائع فى مجتمعه ، أى الديانة المسيحية ، هى تجربة فاشلة أصابته بالإحباط ، وانعكس اثارها لديه بأن قام برفض الفكر الدينى كله ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن ينفصل عن التدين الفطرى لديه أو الحاجة الى التدين ، لذا نراه يلجأ الى وضع دين اخر أسماه " **دين الإنسانية** " .

إن الفلسفة الوضعية المنطقية ـ كما سنرى حالا ـ هى فكر طفولى إلى حد كبير ، يرضى السذج والشباب المراهق (**Teen-agers**) بالدرجة الأولى ، فإذا ما بلغ الفرد درجة متواضعة ، وليس درجة عالية ، من النضوج الفكرى أو العلم فإنه سرعان ما يتنبه إلى ضحالة مثل هذا الفكر وضعفه . وعلى الرغم من ذلك ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ فقد كان هذا الفكر يلقى صدى لا بأس به فى نفوسنا فى تلك الفترة .

---

[7] يقول **أوجيست كونت** بأن **الدين هو خاصية النوع الإنسانى** ، ولهذا فإن الإنسان فى حاجة دائما إلى التدين . ولهذا نادى كونت بديانة جديدة سماها " **الديانة الإنسانية** " . حيث يقول بأنها " **ديانة واقعية** " ، تكون فيها " **الإنسانية** " هى " **الموجود الأعظم** " . ويكون فيها الفلاسفة بمثابة الدماغ لهذا الموجود الأعظم ، وتكون النساء بمثابة أعضاء العاطفة ، وواجبهن إثارة عواطف الحنان والغيرة الكفيلة بإستكمال " الموجود الأعظم " . وبعدهن يجيء رجال الصناعة والمال وهم بمثابة أعضاء التغذية لهذا الموجود الأعظم . وأخيرا يجيء العمال وهم بمثابة أعضاء الحركة له .

وتقدم العبادة لهذا " الموجود الأعظم " فى صور مشتركة وفردية . فالعبادة المشتركة تكون فى صورة الأعياد التذكارية تكريما للمحسنين إلى الإنسانية ، وبهذا تمتلىء الإنسانية ـ أى الموجود الأعظم ـ بالسرور والعرفان بالجميل . وفى العبادة الفردية يتخذ الأشخاص نماذج للمثل الأعلى . ولما كانت كرامة الفرد جزءا من " الموجود الأعظم " ، لذا لزم أن يوجه الفرد أفكاره وأفعاله إلى صيانة هذا " الموجود الأعظم " وإبلاغه حد الكمال ، كما يجب أن يصبح شعار الجميع هو " الحياة لأجل الغير " . وهذه هى الديانة الإنسانية التى مسخ بها كونت الديانة المسيحية ، ونصب نفسه كاهنها الأكبر . ووضع لها شعارا : المحبة كمبدأ ، والنظام كأساس ، والتقدم كغاية (ويمكن مقارنة هذا الشعار بالشعار المسيحى : الله محبة ، الله فداء ، الله خلاص) . أنظر " تاريخ النسفة الحديثة " ، يوسف كرم ، دار المعارف . ص : ٣٢٩/٣١٦ .

وكـان لـى بالكليـة ، زميل نابـه الفكـر أميـل إلـى الثقـة بـه لسـعة أفقـه وذكائـه ، ومنطقـه العلمـى ، حيث كـانت تربطنـا بعـض اللقـاءات العـابرة لمناقشـة بعـض القضايـا العلميـة والقضايــا العامــة ، حيث كـان يجنـح بنـا الحديـث أحيانـا للخـوض فـى القضايـا الدينية ومـدى جدواهـا ، و كنـا عــادة ما نفترق بـدون حمـاس لـرأى مـا حولهـا .

وفـى إحـدى الأيـام إستوقفنى زميلـى هـذا ... فجـأة ... وبـدون حتـى أن أتنبـه لوجــوده ، وكــانت علـى وجهـه إبتسـامة باهتـة تحمـل كـل معـانى التهكـم والسـخرية ، ولا يكـاد يتبينهـا غـيرى ، وبـدون مقدمـات ... وكمـا لـو كنـا نكمـل حديثـا مرسـلا وصـل إلـى مـداه .. وكـان علينـا أن ننهيـه بسـرعه ونغـادر المكـان لضيـق الوقـت واللحـاق بالمحـاضرات ... وبـادرنى ...

قـائلا : ألا تعلـم أن " **محمـدا** " [8] كـان يحـب الخـلاء ، وكـان يخلـو إلـى نفسـه فـى غـار حراء لفـترات طويلـة جدا مـن حياتـه .

قلت لـه : أعلـم

قـال : ألا تعلـم أن " **محمـدا** " قـد أتـى بـالدين الإسـلامى بعـد أن تجـاوز سـنه الأربعيـن ...

قلت لـه : أعلـم

فـازدادت إبتسـامته الباهتـه قليـلا ، وتـأكدت مـن أنهـا تحمـل كـل معـانى الرثـاء علـى والسـخرية منـى ...

ثـم قـال : ألا تعتقـد أن يبقـى إنسـان يفكـر ـ فـى مسـألة مـا ـ زهـاء أربعيـن عامـا ... ولا يصل فيهـا إلـى نتيجـة مـا ...!!!

وازدادت إبتسـامته إتسـاعا حتـى بـدت لمـن حولـى ... وأحسسـت مـن خلالهـا بكـل معـانى السـخرية والتهكـم علـى ، لقصـور فهمـى فـى عـدم إدراك مثـل هـذه الحقيقـة البسـيطة ...!!! ولـم ينتظـر منـى إجابـة مـا ، ثـم تركنـى وانصـرف ... بعـد أن رمـانى بنظـرة إسـتعلاء جعلتنـى أتخبـط فـى جهلـى ، وأتحـرج منـه ... إذ كيـف سـألقاه ثانيـة بعـد أن علـم منـى كـل هـذا المبلـغ مـن الجهـل ، وضيـق الافـق وعـدم الفهـم ...!!!

وللحـق لقـد أثـر علـى هـذا الموقـف العـابر تـأثيرا بالغـا ... فـأدركت للحظـة مـدى قصـر نظـرى ... فكيـف لـم أتنبـه الـى هـذه النتيجـة البسـيطة ، وأنـا المعـروف عنـى دقتـى العلميـة .

---

[8] يقصد بهذا الرسول " محمد " صلى الله عليه وسلم .

وبهذا اللقاء العابر والإبتسامة الساخرة ، أصبحت الديانة الإسلامية ، دينا وضعيا ونتاجا طبيعيا لتأمل **محمد** (ﷺ) الفكرى كل هذه الفترة الطويلة من حياته . وأثمر هذا الوضع عن عزوفى عن الدين بطريقة لا شعورية ، وابتعدت عنه بعد ذلك بشكل واضح .

٢ ـ *أمل يتضاءل*

إنتهت دراستى الجامعية ، و بدأت حياتى العملية ، وبدأت معها رحلة البحث عن الحقيقة ، وكانت طبيعة عملى أن أتواجد فى أماكن ووحدات نائية تبعث فى النفس جوا من الصفاء الروحى [9] الواضح ، والذى لا يكاد يفصل ـ فيه ـ بين المرء وبين إدراك الحقيقة المطلقة إلا حائل رقيق جدا ، يمكن للفرد أن يخترق حجبه لو أحسن التأمل فيه . وكان عندى من الوقت ما يكفى للقراءة والتأمل فى هذا الجو الصافى وبدأت بكتب المنطق فى الرياضيات ، وكتب الفلسفة ، وقرأت فى تلك الفترة ، كمية كافية عن نوابغ الفكر الغربى وأراؤهم أمثال [10] :

ديكارت ـ إسبينوزا ـ لوك ـ باركلى ـ هيوم ـ كانط ـ هيجل ـ نيتشة ـ ماركس ـ سارتر ـ برتراند راسل ... وأخرين .

وفى الواقع ؛ لم تثمر قراءاتى لكل هؤلاء عن شىء يذكر عن الدين أو التدين ، بل أحسست بمدى التخبط الواضح فى فكر هؤلاء عند تناولهم للقضية الإلهية ، والغاية من وجود الإنسان ومصيره . بل ذهب برتراند راسل [11] ، وهو أحد رموز المنطق الرياضى لدى الفكر البشرى ، بإعتناق مذهب اللاأدرية (**Agnosticism**) . وهو موقف يفتقر كثيرا إلى الذكاء ، حيث أن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من إتخاذ قرار بالإيمان . فإن خلق الكائنات والتنوع الهائل الذى توجد عليه هو أمر واضح ولا يمكن غض البصر عنه ، كما لا يمكن إسناده الى صدف متكررة بغير نهاية ، لذا فإغلاق المرء لعينيه أمام كل هذا الكم الهائل من الحقائق لن ينفى وجود هذا العالم .

---

[9] كان هذا قبل حرب سنة ١٩٦٧ ، أما فى أثناء فترة حرب ٦٧ ، فكان الموت الذى يتراقص حولنا والمواقف العصيبة التي نمر بها تحتم علينا التوجه للبحث عن " الله " بشعور مخلص .

[10] أنظر كذلك الباب الرابع ، فقرة (٤. ٣. الفلسفة منذ نشأتها وحتى الفلسفة المعاصرة) لملخص كامل ـ فى جرعة مكثفة ـ لما قدمته الفلسفة للبشرية من فكر .

[11] **برتراند رسل** (١٨٧٢ – ١٩٧٠) من زعماء الفلسفة الوضعية ، وهى من المذاهب التجريبية التى لا تعترف إلا بالواقع المحسوس ، ولهذا ترد المعرفة إلى التجربة وترفض المفاهيم الميتافيزيقية العامة . أنظر الفصل الرابع لمزيد من التفاصيل ، فقرة (٤. ٣.) .

وقادتنى قراءاتى فى هذه الإثناء الى الكتب الروحية ، حيث وجدت مكتبة لا بأس بها بالعربية [١٢] . وفى الواقع أثمرت هذه القراءات عن تيقنى من وجود هذا العالم الغيبى (عالم الارواح) ، وإن كانت إدراكاتنا وحواسنا لا تسعفنا للإحاطة بدرجة معقولة أو كافية عن معرفة هذا العالم الزاخر بالظواهر ... أوحتى إستنتاج بعض القوانين بدرجة معقولة من الدقة والتى تتحكم فى مسار هذا العالم أو حتى كيفية الإتصال به .

وللحق ـ وليس فى هذا أدنى لبس ـ فقد إزدحم منزلى بالظواهر الروحية فى تلك الفترة بدرجة أثارت دهشتى وقلقى معا ، وتأكدت من حقيقة مؤداها أن الإهتمام بالظواهر الروحية قد تدفع لك بأرواح معاونة أو مرشدة ، أو ربما أرواح إعتراها الفضول لإهتمامك بها ، فجاءت تسعى إليك للتعرف على ماهيتك ، تماما كما تريد أنت التعرف على ماهيتها وماهية عالمها المجهول . وعموما فقد اثرت السلامة وانسحبت من هذه القراءات فى وقت ملائم جدا ، واكتفيت بوضع كتب الارواح بأحد أرفف مكتبتى بعد أن كانت تحتل مكانا مفضلا فى حجرة النوم . وبهذا توقفت الظواهر الروحية بالمنزل ، ولم تثمر هذه القراءات عن أى فكر يذكر عن الله أو الدين ، وإن كانت قد أثمرت بشكل واضح وملحوظ عن وجود عالم أو ربما عوالم غيبية تحكمها قوانين مغايره تماما لما نألفه نحن أو نعرفه فى عالمنا الفيزيانى هذا .

واستمرت القراءة بشكل منتظم أملا فى الوصول الى حل قاطع وحاسم بشأن القضية الدينية ولكن بدون جدوى . وبدأ الأمل يتضاءل ويشحب فى الوصول الى نتيجة ما ، أو حتى الاحساس بالإقتراب منها ... حتى قاربت النفس إلى اليأس ...

٣ ـ دراسة دين

كان ذلك فى إحدى الأمسيات ، بينما كنت أقرأ فى احدى الكتب البسيطة ذات الفلسفات المحدودة ، فإذا بالآيات القرآنية التالية تعترض طريقى و تستوقفنى لتلقى على كما من الدهشة والظلال غير محسوب ، لما فيها من معان علمية ، وجاءت هذه الايات فى قوله تعالى :

---

[١٢] أنظر قائمة مراجع الكتاب .

[إن فـى خلـق السـماوات والأرض واختـلاف الليـل والنهـار لآيـات لأولـى الألبـاب.(١٩٠) الذين يذكـرون اللـه قيامـا وقعـودا وعلـى جنوبهـم ويتفكـرون فـى خلـق السـماوات والارض ربنـا مـا خلقت هـذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النـار (١٩١) ربنـا إنـك مـن تدخـل النـار فقـد أخزيته ومـا للظـالمين مـن أنصار (١٩٢) ربنا إننـا سـمعنا مناديـا ينـادى للإيمـان أن ءامنـوا بربكـم فآمنـا ربنـا فـاغفر لنـا ذنوبنـا وكفـر عنـا سـيئاتنا وتوفنـا مـع الأبـرار (١٩٣) ربنـا وءاتنا مـا وعدتنـا علـى رسلك ولا تخزنـا يـوم القيامـة إنـك لا تخلـف الميعـاد (١٩٤)]
(القران المجيد : ال عمران {١٣} : ١٩٠ - ١٩٤)

لقد كنت حتى هذه اللحظـة أعتبر نفسى ملمـا بدرجـة كافيـة بالديانـة الإسـلامية ، حتـى بعـد ابتعـادى عنهـا ، وللحـق تعجبـت أشـد العجـب ، إذ كيـف يحـوى القـران مثـل هـذه الايـات وبمثـل هـذا التسلسـل الفكـرى الواضـح عن العلـم ، وأنـا لا أدرى عنـه شـيئا .

ومن جهة أخـرى فأنـا لـم أكـف عـن التفكير فـى خلـق الكـون ، فدراسـاتى العلميـة قد تقدمـت فـى تلك الفـترة بدرجـة ملحوظـة فـى المجـالات الكهرومغناطيسـيه والرياضيـات بصفـة خاصـة ، والنظريـة النسبية ونظريـة الكم بصفـة عامـة . فكيـف يحـوى القـران هـذا الاتجـاه الفكـرى ، والفكـر العلمـى الواضـح ويخـص بـالذكر ... [**الذيـن يذكـرون اللـه قيامـا وقعـودا وعلـى جنوبهـم ويتفكـرون فى خلـق السـماوات والأرض ...**] وأنـا لـم أتنبـه لهـذا ...!!!

ففـى الواقـع ؛ أنـا لـم أكـف عـن التفكـر فـى اللـه ، وإن كـان هـذا ذكـرا صامتـا ، كمـا لـم أكـف عـن التفكـر فـى خلـق السـماوات [١٣] والأرض ، وكـان هـذا هـو غايـة بحثـى ، متمثـلا فـى البحـوث فـى المجـالات الكهرومغناطيسـيه والجاذبيـة العامـة ، ودراسـاتى التـى شـملت تقريبـا كـل فـروع الفيزيـاء الكلاسـيكيه والمعاصره وتطبيقاتهـا الهندسـية .
وقمت لفورى لأحضر المصحـف ، فـلا يكـاد يخلـوا بيت مسلم منـه ولكنـه فـى أغلـب الأحيـان لا يكـون مطروقـا ، لأتـأكد مـن وجـود تلـك الايـات وبهـذا التسلسـل الـوارد وعلـى هـذا النحـو الـذى قرأتـه ... ووجدتهـا فعـلا ..!!!

ثم كان هذا الخـاطر ـ المنطقـى ـ الـذى هتـف فـى نفسـى : لقد أتعبـك البحـث فـى كتـب المنطـق وكتـب الفلسـفة والـروح ... ولـم تحصـل علـى نتيجـة مـا ، وقـد إعتمـدت فـى تقييمـك للدين علـى رجـال فكـر تنقصهـم الرؤيـة الصحيحـة فـى أغلـب الأحيـان ، وهـا أنـت كنـت تعتقـد حتـى هـذه

[١٣] سيأتى شرح النموذج القرآنى لفكر " السماوات " فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

اللحظة إنك ملم بالديانة الإسلامية بدرجة كافية من المعرفة . ولكنك أمام هذه الأيات أدركت أنك لا تعرف الحد الأدنى منها . ثم أضاف هذا الخاطر ... فلم لا تقرأ القران وتدرس الدين الإسلامي ؟ ولو من باب الفضول شأنه في ذلك شأن أى قراءات أخرى مثل كتب الفلسفة والمنطق والتى لم تثمر معك شيئا ، ولم تأت بنتيجة ما يمكنك الإعتماد عليها .

وقد كان ... وإندفعت وراء هذا الخاطر ... وكان ذلك بدء الدراسة الجادة والمتأنية للقرآن المجيد ، ولشدة دهشتي ، أنني وجدت أن الصياغة القرانية قد جذبتني بدرجة كبيرة حتى أدركت أنني أمام صياغة رياضية محكمة للكلمات العادية (Compact Mathematical Formulation for the Normal Words) بفكر وعلم إلهى محيط ليس من السهل إدراك كل جزئياته ، أما إدراك بعض جزئياته ، فتعتمد إلى حد بعيد على ثقافة المرء العلمية ، ومدى نضوجه العلمي .

كما بدأت في دراسة السيرة الذاتية لمحمد (ﷺ) [14] ، وقد جذبني وضوح هذه السيرة ودقتها ، كما أعجبني بعض آراء المشركين في بداية الدعوة ، في مناقشة الفكر الديني الجديد لديهم ، وكيف لعب " **مبدأ مقاومة التغيير** [15] " ، و " **الوعى الاجتماعى** " دورا أساسيا في اعتراض المشركين على الدعوة الجديدة ، وقد إتضح هذا في مواقف كثيرة لكثيرين منهم . منها حينما أسلم حمزه (عم الرسول) ورأى المشركون أن أصحاب الرسول (ﷺ) يزيدون ويكثرون في العدد ... فقال عتبة بن ربيعة يوما (وكان سيدا حليما في قومه ، توفده قريش في الملمات ليكون لسانها المعبر وعقلها المفكر) وهو جالس في نادى قريش ، ورسول الله (ﷺ) جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش

---

[14] ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين ١٢ ربيع أول (عام الفيل) الموافق ٢٩ أغسطس عام ٥٧٠ م . واتاه الوحى فى غار حراء فى يوم ٢٥ أو ٢٧ أو ٢٩ من شهر رمضان (١٥ - ١٧ - ١٩ - يناير عام ٦١١م) وتوالى الوحى عليه طيلة ثلاث وعشرين سنه ، مرشدا وهاديا وموجها له فى كل أعماله . وهاجر مع أصحابه إلى مدينة يثرب (المدينه المنوره الان) فى عام ٦٢٢م (بداية التأريخ الهجرى) . وفتح مكه ومعه عشرة الاف مؤمن ، وحطم أصنام الكعبه وطهرها من الأوثان عام ٦٣٠م . ومات محمد (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين ١٢ من ربيع الاول الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٢م . وعاش محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيرا ، وقال قبل موته " **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة** " . ولم يترك ما يستحق أن يورث .

[15] " مبدأ مقاومة التغيير : **Principle of resistance to change** " هو مبدأ فيزيانى ، ويمثل فى الواقع أحد صور قانون نيوتن الثانى ، وهو الذى ينص على أنه لابد أمن وجود قوة خارجيه مؤثرة حتى نستطيع تغيير حالة الجسم من السكون أو الحركه المنتظمه فى خط مستقيم . ويصاغ هذا المبدأ من وجهة نظر الفلسفة ، كما يقول وليام جيمس بأنه : لا يوجد أكثر إيلاما فى العالم لأى إنسان من أن يقول برأى جديد .

؛ ألا أقوم إلى محمد ، فأكلمه وأعرض عليه أمورا : لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد : قم إليه فكلمه . فقام إليه عتبه حتى جلس إلى محمد (ﷺ) فقال [16] :

" يا ابن أخى : إنك منا حيث قد علمت . من البسطة فى العشيرة ، والكمال فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به الهتهم وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منى بعضها . "

فقال رسول الله (ﷺ) : " قل يا أبا الوليد . أسمع " .

قال : يا ابن أخى . إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا . جمعنا لك من أموالنا حتى جعلناك أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فربما غلب التابع على الرجل ، حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله (ﷺ) يستمع منه ...

قال : لقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم

قال : فاسمع منى

قال : أفعل

قال : *بسم الله الرحمن الرحيم*

[حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا فى أكنه مما تدعونا إليه وفى ءاذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون (٥) ...]

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ١ - ٥)

[فى أكنة : عليها أغطية / وقر : ثقل وصمم / حجاب : ستر]

---

[16] " الرسول (ﷺ) لمحات من حياته ... ونفحات من هديه " د. عبدالحليم محمود ؛ سلسلة البحوث الإسلامية . الكتاب الأول ، ص : ١٠١ وما بعدها .

ثم مضى رسول الله (ﷺ) يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت إليه ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه . ثم انتهى رسول الله (ﷺ) الى السجده (الاية ٣٨ من هذه السورة) .

ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : **نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .**

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائى ؛ أنى سمعت قولا ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه . فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

وفى الحقيقة لقد تعايشت [١٧] مع أحداث هذه القصة عند قراءتها لأول مرة ، لدرجة أنى ذهبت مع عتبة بن ربيعة وجلست معه أمام محمد (ﷺ) وقد أعجبنى منطق عتبة كثيرا ، وخصوصا عندما أخذ بالجانب النفسى لما يكون عليه الرسول من رغبة فى طلب للدنيا من مال أو جاه أو خلافه ، ووصل إعجابى ذروته ، عندما أشار " عتبة " إلى الرسول (ﷺ) إلى إمكانية أن يكون به مس ما ، أو مرض ما ، وإنه سوف يطلب له الطب فى شفائه ، وكنت أرى هدوء النبوة الغريب فى الإنصات إلى عتبة ، فلم يقاطعه حتى إنتهى ، ثم سأله : أفرغت يا أبا الوليد ... فلما علم أنه فرغ ... قرأ عليه بداية " سورة فصلت " كما ذكر ....

وللحق ... عندما قرأ رسول الله (ﷺ) سورة فصلت على عتبة ، على النحو السابق ذكره ، إنبهرت أنا تماما ولم أدر كيف حدث لى ذلك ـ سبحان الله ـ ووقعت منى كلمات هذه السورة كالصاعقة التى زلزلت كيانى من الأعماق ... وما زالت كلمتى **(حم تنزيل**

---

[١٧] الكاتب

..) تـتردد أصداؤهـا فـى نفسـى ، ولا يحتملهـا كيـانى الضعيـف ، إذ أرى أن " اللـه " ـ سبحانه وتعالى ـ قد تجلى بقدراته على رسوله الكريم فى هذه الكلمات . وبذلك قد أدركت بعين اليقين كلمات المشركين عندما قالوا لبعضهم :

" نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به "

وبكل أسف ، فإننى مازال ينتابنى الحزن ، كلما تذكرت هذه القصة ، مشاركة **لأبى حذيفة بن عتبة** عندما علم بمصرع والده " عتبة " ، فى غزوة بدر وهو فى جانب المشركين ، ولم يسلم .

فعقب مصرع والده ، نظر رسول الله (ﷺ) ، فى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فألقاه كئيبا وقد تغير لونه .

فقال له : لعلك يا أبا حذيفة قد دخلك من شأن أبيك شئ ؟

قال أبو حذيفة : لا والله يا رسول الله ؛ ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه . ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا وكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام . فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما كان عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى أمره .

فقال له رسول الله (ﷺ) : خيرا ودعا له بالخير .

ولعل موقف عتبة هذا يقفه كثيرون الآن من أهل الملل والديانات والملل الأخرى تجاه العقيدة الإسلامية ، فعلى الرغم من إدراك بعضهم من أن العقيدة الإسلامية صحيحة إلا أنهم يصرون على موقفهم تجاه ديانتهم الوثنية . ويرى علماء الاجتماع ، أن الدافع وراء هذا الموقف هو :

ظاهرة " التكيف الإجتماعى " والتى تأخذ طابع مجاراة الأخرين . فالإنسان يرغب أن يفعل ما يتوقع منه الأخرون أن يفعله ، وبذلك يفقد الإنسان شخصيته ، ويصبح أسيرا لوعيه الإجتماعى بشكل مطلق ، ويصبح بهذا " إنسانا بلا شخصية " كما يسميه بذلك جورج سيميل .

وبداهة فإن رجاحة العقل والمنطق مع الإصرار على الخطأ سوف يضاعف من خسران الفرد لنفسه . فإذا كان جهله بالدين لن يعفيه من المسئولية لعدم ادراكه للحقيقة الدينية البسيطة ، والتى تقع وجميع حقائقها فى حيز أو دائرة إدراك الفرد العادى ـ كما سنرى ـ

فما بالك والأمر أصبح إنكارا بعد علم ، فبديهى إن هذا العناد لن يمثل إلا وبالا على صاحبه ، وخسرانا كاملا لنفسه ، لأن هذا لن يجعله يحقق الغايات من خلقه وعن قصد .

٤ ـ *التحول ...*

إستمرت الدراسة المتأنية للديانة الإسلامية فترة زمنية لا بأس بها ، ولكن حدث فجأة ، ما لم يكن مقدرا أو يكن فى الحسبان . حيث كان على أن أوقف دراستى الدينية هذه ، على الرغم من تقدمى الملحوظ فيها . وعلى الرغم من أنه لم يداخلنى أدنى شك ولا للحظة فى منطقية هذا الدين . ولكن ربما كان هذا هو طبيعة الفكر المنطقى لدى ، والذى يسيطر على إلى أبعد الحدود الممكنة ، والذى يجعلنى سريع التأثر بكل ما هو منطقى وعقلانى إلى درجة كبيرة جدا ...

وكان هذا عندما أسر زميل لى ـ يخشى على من الفتنة ـ من أن هناك جماعات تبشيرية بدأت نشاطها بالفعل فى التبشير فى جماعات المسلمين ، حيث تدعوهم لإعتناق الديانة المسيحية ، بعد إقناعهم بها . ولم يتنبه زميلى هذا الى أنه قد لفت نظرى ـ بدون أن يقصد ـ إلى ما يمكن أن تكون عليه الديانة المسيحية من منطق فكرى ، يمكن أن يكون أعلى بشكل أو بآخر من المنطق الفكرى الموجود بالديانة الإسلامية .

وكان من المنطقى أن ينتهى فكرى إلى أن هؤلاء القوم لابد وأنهم يملكون " **الكلمة الأقوى** " أو بمعنى آخر أنهم يملكون " **الحجة الأقوى** " . فبديهى لابد وأن هؤلاء القوم قد درسوا الديانة الإسلامية ، وانتهوا من هذه الدراسة إلى أنها ديانة باطلة فى مجملها ، وكان عليهم من منطلق الأخوة الإنسانية ، ومن منطلق الأمانة العلمية أيضا ، أن يقوموا بتبليغنا بهذه النتيجة حتى لا نخسر وجودنا ـ نحن المسلمون ـ على نحو مطلق بدون أن ندرى . وبديهى أيضا يجب أن يكون سعيهم هذا سعيا مشكورا .

وبديهى أيضا لا تحتاج هذه النتيجة التى إنتهيت إليها ، إلى عبقرية خاصة أو حتى إلى ذكاء خاص أو غير عادى ، فربما كانت هذه النتيجة هى الحد الأدنى المتوقع من الذكاء البشرى ، الذى يتجاوز ذكاء القرد كما نعلم ...!!!

ولهذا كان على أن أوقف إستكمال دراستى للديانة الإسلامية ، على الرغم من المنطق الرياضى المتعالى الذى وجدته فيها ، إلا إننى كنت أرى أنه ليس هناك داع من إضاعة

الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع ، طالما أن هناك دين أكثر منطقية وأكثر حجة ورجاحة من الدين الإسلامى . وإنتهيت إلى قرار البدء فى دراسة الديانة المسيحية .

وللحق ؛ كان هذا القرار صعبا لدى ، ولأول مرة عرفت معنى الخوف من التحول من ديانة إلى ديانة أخرى . وظللت متوجها إلى الله مخلصا ــ فى تلك الفترة ــ متجاوزا المضامين الدينية ، ليهدينى ــ الله ــ إلى سبيل الرشاد ؛ فهو الغاية وهو المراد أولا وأخيرا . وكان على أن أبحث عن الطريق الحقيقى الذى يؤدى إليه ، مهما كلفنى هذا من ثمن محدود فى هذه الحياة . ولما كانت الحياة محدودة ، ولا نعرف متى تنتهى ، كما لا يمكن المقامرة بها كاملة حيث لا يوجد لها دور ثان ، كما تمليه علينا الفطرة ، لذا لزم على حزم الأمر ، وإتخذت ما أراه مناسبا مهما كان ، ومهما كلفنى هذا من ثمن ...

وعرجت على صديق لى مسيحى ، كنت أعلم تدينه وصلته الوثيقة بالكنيسة ، وأعلمته برغبتى فى دراسة الديانة المسيحية ، ولكننى لا أعرف من أين أبدأ ؟ ولا كيف أبدأ ؟ فتطوع مشكورا بعد عدة أيام من هذا اللقاء وأحضر لى الكتاب المقدس ، وعدة كتب أخرى لشروح العقيدة وقانون الإيمان المسيحى ، وأعطاها لى متمنيا لى التوفيق . وأحضرت الكتب معى إلى المنزل ، وتوكلت على الله ، وعكفت على دراسة هذا الدين .

وللحق تعجبت ... وإزداد تعجبى كلما توغلت فى دراسة هذا الدين ... وللحق لقد هالنى ما رأيت ، وأصبحت حائرا أمام سلوك الإنسان تجاه الدين عموما ، وتجاه الديانة اليهودية / المسيحية [18] على وجه الخصوص . وتبددت الدهشة عندما أدركت أن هذه الديانة هى المسؤوله المسؤولية المباشرة عن نشأة المذاهب الفكرية المختلفة ، وضياع الإنسان فى هذا الخضم الهائل من الوثنيات الفكرية .

٥ ــ العودة والتوسع فى دراسة الأديان

كان على أن أعود مرة أخرى ــ مطمئن النفس ــ إلى ما إنتهيت إليه مسبقا ، لإستكمال دراستى للديانة الإسلامية ، والتى لم يعد عندى أدنى شك فى صحتها ، بعد دراستى للديانة المسيحية ، **وليس هذا من منطلق الإيمان المقارن** ؛ أى بمعنى أن كل الأديان سيئة ولكن هناك دائما ما هو أسوأ . ولكن من منطلق ــ كما سنرى ــ إن العقل يقف أمام هذه

[18] أنظر الباب الثالث للتفاصيل .

الديانـة عـاجزا وخاشـعا ومتدنيـا بشـكل واضـح أمـام منطـق فكـرى إلهـى متعـال ومحيـط . ونظـرا لعـدم نضـوجـى ـ الكـافى ـ فـى تلـك الفـترة ، فقـد إعتقـدت أن المنطـق الفكـرى لـم يصـل بعـد إلـى درجـة الكمـال فـى أى فكـر ، مهمـا كـان ، حتـى وإن كـان هـذا الفكـر هـو فكــر القـران المجيـد نفسـه . ولكـن مـع تقـدم العمـر وإزديـاد النضــج الفكـرى ، وصلـت إلـى نتيجـة حاسـمة مؤداهـا أن المنطـق الفكـرى فـى الديـن الإسـلامي هـو منطـق بلـغ الـذروة فـى الكمـال الفكـرى ــ كمـا سـنرى ـ إلـى درجـة لا يتطـاول إليهـا الإنسـان المعـاصر ، ولا إنسـان المسـتقبل .

وعلـى الرغـم مـن أننـا نقـف الان علـى مشـارف الإقـتراب مـــن " نقطـة التجمـد الفيزيـائى [١٩] : The freezing point of physics " ؛ بمعنـى الإقـتراب بشـكل واضـح مـن نهايـة العلـم الفيزيـائى (وليـس التطبيقـى) ، إلا إننـا نجـد أنفسـنا مـا زلنـا أقزامـا أمـام هـذا الفكـر القرانـى ، الـذى يقـوم بتوسـيع إدراكـات الإنسـان المحـدودة ليـس فقـط عـن وجـود افـاق فيزيانيـة جديـدة ، لا يمكـن للإنسـان سـبر غورهـا تحـت أى فكـر أو أى مسـمى علمـى اخـر ، بـل أيضـا عـن وجـود عوالـم متعاليـة يقـف قصـور الفكـر البشـرى وحواسـة حـائلا واضحـا دون إدراكهـا ، وذلـك علـى الرغـم مـن أننـا نسـتطيع البرهنـة علـى وجودهـا . ولهـذا نـرى قولـه تعـالى فـى سـورة الإسـراء ـ عـن القـران المجيـد ـ يجـىء كـالنحو التـالى :

[قل لئـن إجتمعـت الإنـس والجـن علـى أن يـأتوا بمثـل هذا القـرآن لا يـأتون بمثلـه ولـو كـان بعضهم لبعض ظهـيرا (٨٨)]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٨)

[ظهيرا : معينـا]

وهو ما يعنـى بـأن الإنـس والجـن لـو إجتمعـوا علـى فكـر أو عقـل كـائن واحـد ، فـإن هـذا الكـائن لن يسـتطيع الإتيـان بمثـل هـذا القـران .

وفـى الواقـع ؛ أحسسـت بأنـه ينبغـى علـى أن أقـوم بدراسـة بـاقى الأديـان الموجـودة علـى السـاحة البشـرية ، تحسـبا لوجـود أحدهـا ذى صياغـة صادقـة وحقيقيـة بـدون أن أدرى ، وابتـدأت هـذه الدراسـة بالأديـان الأكـثر شـيوعا ، والتـى يعـرف بأنهـا ديانـات سـماوية ، كمـا وإنهـا تحمـل طـابع الوحـى الإلهـى .

---

[١٩] بمعنى إننا قاربنا إلى الوصول إلى نهاية الفيرياء النظرية ؛ أنظر : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

وفى الحقيقة ؛ وقفت طويلا أمام الكتاب المقدس متأملا نصوصة ، ومتأملا شروحة . فالشروح لا تتفق مع النصوص ؛ والنصوص أبعد ما يمكن عن أن تكون نصوصا مقدسة ، كما لا يمكن التعبد بها تحت أى إسم أو مسمى ، أو تحت أى إدعاء أو مبرر . كما وإن الفكر موجه – فى هذه الديانة – إلى مفاهيم بعينها بدرجة كبيرة ، وليس فهما مباشرا كما جاءت به النصوص ، مع تذكير دائم ومتكرر – من شراح العقيدة – بما ينبغى أن يفهمه المرء من هذه النصوص . ودائما ما يحث رجال الدين أفراد الشعب على إلغاء عقولهم ما أمكن ، وكلما أمكن ، تحت دعوى إن **الدين قضاياه غيبية** لا يمكن القطع بصحتها أو إدراك مغزاها . وبهذا تصبح النصوص – فى النهاية – قضايا مسلم بها بعماء كامل .

وهكذا يمشى الفرد مكبا على وجهه ، يحمل أثقالا ينوء بها ؛ أو يكون البديل هو أن يلقيها كلها مبتعدا عنها وعن الدين كله وهو لا يلوى على شىء . وفى هذا الشأن ينبهنا الله – عز وجل – بقوله تعالى [٢٠] :

[أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم (٢٢)]
(القران المجيد : الملك {٦٧} : ٢٢)

وكان على – بعد هذه الدراسة – إستخراج فكر العقيدة مجردا من الكتاب المقدس ، من وسط حشد هائل من الشروح والفكر الموجه والمبررات ؛ وعلى الرغم من صعوبة هذا العمل إلا إنه ليس مستحيلا بوجه عام ، وقد تم تدوين هذا العمل فى الفصل الثالث .

فالكتاب المقدس عبارة عن بقايا متناثرة من بعض الكتب المقدسة فى وسط خضم هائل من نصوص صاخبة من الوثنيات الفكرية عن الإله والأنبياء .

فالإله [٢١] فى الكتاب المقدس تراه يمسك به الإنسان ويتصارع معه ، ولا يستطيع (الإله) الإفلات منه إلا بشروط يمليها عليه الإنسان . ثم يأتى الشيطان ليأخذه إلى جبل عال ، ويحاول إغواءه وإغراءه ويضعه أمامه ويطلب منه أن يخر أمامه ويسجد له . والإله ينبغى عليه أن يموت ليقتحم مملكة الجحيم ليصل إلى الشيطان ليسترد منه سلطته المسلوبة ؛ ولا سبيل للإله لإسترداد هذه السلطة التى سلبها منه الشيطان ، إلا بخداعه بإسلوب

[٢٠] يجب التنويه هنا إلى أن الإستشهاد بآيات القرآن المجيد ، يخضع للشروط السابق ذكرها فى مقدمة الكتاب .
[٢١] لا يمكن أن نزج بلفظ الجلاله (الله) هنا فى هذه النصوص . لذا فكلمة " إله " ، المستخدمة فى أى موقع هنــ "الله " فى الشروح المكتوبة .

ساذج لا يستطيع معه ـ الإله ـ حتى الإحتفاظ بالحد الأدنى من الكمالات الإنسانية وليس الكمالات الإلهية . والإله ينبغى عليه أن يموت بأسلوب فى غاية من المهانة بيد الإنسان مخلوقه ، فيترك ـ الإله ـ الشيطان ليقوم بإغواء الناس لتمسك به (إى تمسك بالإله) ، ويعرونه من ملابسه ويضربونه على رأسه ويبصقون عليه ، ويعذبه الإنسان ويصلبه حتى الموت ... تحت دعوى أن الإله يحب الإنسان [٢٢] ...!!!

ثم تصل المأساة الى ذروتها عندما ينتهى الأمر بالإله إلى أن يصبح " خروف مذبوح له سبعة عيون وسبعة قرون ...!!! " وليهوى الإنسان الى ذلك الحضيض الفكرى ... ليرعى بجوار هذا الإله المسخ ...!!! ليصيح بين الفينه والفينه قائلا " المجد للإله ... والخلاص للخروف ...!! " كما سنرى هذا فى الفصل الثالث رؤية العيان . فهذا هو " **الإله** " ... وهذا هو " **الإنسان** " فى الكتاب المقدس ...!!! .

[سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣) تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٤٣ - ٤٤)

إنه كان حليما على ذلك الإنسان الأحمق فى تصوراته .... غفورا له إذا ما تاب وأناب عن هذه الدعوى قبل فوات الأوان ... فأى رحمة بعد هذا ...!!

وبديهى أن يكفر الفكر البشرى بمثل هذه التصورات الوثنية عن الإله ، ليترك هذا فراغا واضحا فى النفس البشرية ، يحاول الإنسان سدها أو ملأها بشتى المذاهب الفكرية ، أو بالتنكر للعقيدة على نحو مطلق ويتجه إلى الإلحاد ؛ وبديهى كذلك أن ينسحب حكم البشرية ــ على هذا النحو ــ على الدين الصحيح بوعى منها أو بدون وعى ، ويكون الإنسان هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود بدون أن يدرى .

أما الأنبياء ــ فى الكتاب المقدس ــ فلا بأس فى أن يكونوا ... زناة ... وقتله ... ومخادعون ...!!! ولا بأس أن ينتهى الأمر ببعضهم الى عبادة الأصنام ... هكذا ببساطة شديدة ، وسنأتى إلى تفصيل ذلك ـ بالنصوص المباشرة ـ فى الفصل الثالث .

---

[٢٢] هذه النزعة هى أحد صور الماسوشيه الساديه Sadomasochism ، وهو مرض نفسى يعرفه علماء النفس : بأنه إنحراف جنسى يتلذذ فيه المرء بإنزال العذاب بالآخرين أو بنفسه . فلا يعقل أن يقبل الإنسان أن يعذبه الأخرين - مهما رأى ذلك منطقيا - إلا إذا كان ذى طبيعة شاذة أو كان غير عاقل كما أجمع على ذلك علماء النفس .

وإذا نبهت أهل العقيدة بأن هــذه لا يمكــن أن تكــون نصــوص مقدسـة ، وإن هــذا لايمكــن أن يكــون سلوك أنبيـاء ؛ وإن هـذه تحريفـات شـديدة الوضـوح والدلالـة ؛ قـالوا لــك :

إن هذه النصوص لأكبر دليل علــى صحــة الكتـاب المقـدس لدينـا ؛ إذ لــو كــان هــذا الكتـاب محرفـا لحذفت منــه تلـك النصــوص ، ولكــن نظـرا لدقتـه المتناهيـة وإسـتحالة تحريفـه فـإنك تجـد فيـه هـذه النصـوص كمـا هـى ، وكمـا نـزل بهـا الوحـى الإلهـى مـن السمـاء إلــى الأرض .

وبديهـى أن معنـى هـذا أن هـؤلاء القـوم يتقبلـون ـ بسلاسـة غريبـة ـ مـا تجـىء بــه النصــوص مـن بشـاعة فـى المعـانى ، وبشـاعة فـى التصـورات عــن الإلــه وعــن الأنبيـاء ، فـلا إعــتراض لديهـم إذن علـى هـذه التصـــورات ...!!!

ولهــذا لا غــرو إذن ؛ فــى أن نجـد الموســوعات العلميـــة الغربيـــة تقــوم بتصنيـــف " *الديــن والأســطورة : Religion and Mythology* " علــى أنهمــا مـــن الموضوعــات ذات الطــابع المشـترك ، ولهـذا يوضـع الدين فـى نفـس القسـم مـع الأسـاطير ، تحـت نفس العنــوان السـابق ، كما سـبق وأن نوهنـا إلـى هـذا فـى التذييـل رقـم (١) .

ولكـن كيـف هـذا ... ؟؟!! كيـف يتقبـل الإنسـان ـ ذلـك الكـائن العـاقل المتعقـل ـ كـل هـذا الفكـر الوثنــى عــن " اللــه " ... ؟؟!! ويتـوه علمــاء النفـس بحثـا وتجـارب ... للعثورعلــى تفســير منطقـى لهــذا الوضـــع الفكــرى الشــاذ للإنســان ...!!! ولكــن بــدون جــدوى كمــا ســنرى فــى الفصـل الثـانى .

وفــى الحقيقـة ؛ كمـا سنرى ـ فـى الفصل التـالى ـ إن قبـول الإنسـان لهـذا الوضـع الشــاذ لفكــر الإلــه المسـخ ، لهـو مـن أكـبر الأدلـة علـى وجـود اللـه ، وعلـى فطريـة وجـود اللـه فــى النفـس البشـرية . وهـذه الفطـرة هــى السـبب الرئيسـى التــى تقـع خلـف فكـر وفلسـفة تعـدد الأديـان السـائد الآن فـى المجتمعـات البشـــرية ، وخلـف تفشــى فكـر المذاهـب الوضعيــة فيهــا . فالأنسـان لا يستطيع أن ينفصـل عن اللـه ، فـى كل مراحـل حياتــه . ولذلـك عندمـا يخـير (لا شـعوريا) : بيــن الإحتفــاظ بالإلــه ـــ مهمــا كــانت صورتــه الأسـطورية ـــ وبيـن الإنفصـال عنـه ؛ نجـده تلقائيـا ـ بوعـى منـه أو بدون وعـى ـــ يختـار أن يحتفـظ بالإلــه (مهمـا كــانت صورتــه هـذه) ، علــى أن يبقـى فـى هـذه الحيـاة بـدون إلــه أو أن ينفصـل عنـه بشــكل أو بآخر (أنظـر الفصل الثــانى) .

وبديهي لا يمكن أن تدرس العقيدة المسيحية ، أو أن تلقن لأتباعها ، أو عند القيام بالتبشير بها على هذا النحو المذكور ، وإلا فلن يقبلها أحد ؛ بل عادة ما يتم إلتقاط بقايا نصوص الكتب المقدسة الموجودة بها ـ بعناية شديدة ـ حيث يتم التبشير بها فقط ، وتجنب ما عدا ذلك . كما لا يمكن التعرض للفكر الكلي للديانة عند التبشير بها ، بل هي جزئيات فقط يتم الكلام عنها بإقتدار غريب ، مع تجنب الكلام عن الأفكار الكلية عن الإله ، والنصوص والأنبياء فيها .

٦ ـ الفكر التبشيرى عن قرب

في أثناء إقامتي بالولايات المتحدة الأمريكية كان هناك مجموعتين[٢٣] من المبشرين يقومان بالتبشير لي ، وفي أسرتي ، في محاولة منهم لتنصيرنا . والمجموعة الأولى هي جماعة " **شهود يهوا** : **Jahova Wittness** " [٢٤] ، أما الجماعة الثانية فهي تمثل : " الكنيسة المسيحية الإنجيلية البروتستنتينية : The Evangelical Protestant Church " . وفي الحقيقة كنت قد قبلت مبدأ التبشير كنوع من إستكمال دراستي للأديان ، فضلا عن الوقوف على بعض الأمور الهامة التالية :

- **أولا** : التعرف على الفكر التبشيرى عن قرب .
- **ثانيا** : التعرف على مدى إلمام المبشرين بالديانة الإسلامية . فقد كنت حتى هذه اللحظة لا أتصور أن يقوم مبشر مسيحي ـ بالتبشير بالديانة المسيحية ـ في الديانة الإسلامية وهو لا يعلم شيئا عن الإسلام . فمن غير المنطقي أن يأتي إليك تاجر ويطلب منك إستبدال سلعة جيدة تملكها ، بسلعة أخرى رديئة هو يملكها ، إلا إذا كان

---

[٢٣] في العادة تتكون كل مجموعة من سيدتين أنيقتين ، تجاوزتا الخمسين عاما بقليل ، وكل مجموعة تحمل الكتاب المقدس الخاص بها . وعادة ما كان يتم التبشير تحت إشراف إدارة أعلى مكونة من أربعة أفراد - رجلين وسيدتين - وهم أكثر خبرة في نصوص الكتاب المقدس عن السيدتين . وكنا نحظى بزيارة هذه الإدارة كلما كانت هناك أسئلة لا تستطيع المجموعة الأولى الإجابة عنها .

[٢٤] هي جماعة منبثقه عن الفكر المسيحي ، ويحمل الكتاب المقدس لديها عنوان : " **الترجمة العالمية الجديدة للنصوص المقدسة** : **New world Translation of the Holy scriptures** " . وهم يعتبرون أن ترجمتهم للنصوص المقدسه هي الترجمة الأكثر دقة من الأصل اللاتيني لها ، وبالتالي فإن كتابهم المقدس هو أدق من حيث المعنى من الكتاب المقدس المتداول بين الطوائف الأخرى في العالم المسيحي . وبهذه الترجمة إختلف فكرهم إختلافا جذريا عن هذه الطوائف المسيحية الأخرى ، وسنتعرض لبعض تفاصيل هذا الفكر في الصفحات التالية .

لا يعلم ماذا تملك . أما إذا كان يعلم ماذا تملك ؛ فلابد وأن يكون هذا التاجر إما أبلها أو فاقد العقل .

- **ثالثا** : التعرف على مدى قبول المبشرين لمبدأ الحوار الدينى بين الأديان .
- **رابعا** : التعرف على مدى إلمام المبشر بديانته هو (أى الديانة المسيحية) ، وكيفية تبريره للأخطاء والمتناقضات التى يحتويها الكتاب المقدس (أنظر الباب الثالث) .

وفى الواقع ؛ لقد أفادنى هذا الفكر التبشيرى بدرجة كبيرة ، لأنه قد ألقى كثيرا من الضوء على نماذج من الفكر البشرى تجاه الدين ليس من السهل تفسيره . وربما كانت أهم الملحوظات على هذه الفئات التبشيرية هى كالتالى :

- **أولا** : لقد كانت كل مجموعة – من المجموعات التبشيرية – تحمل الكتاب المقدس الخاص بها ، وعلى الرغم من أن الفوارق فى الصياغة كانت طفيفة جدا ، إلا أن الفوارق فى المعانى التفسيرية التى كانوا يتبعونها كانت أضخم من أن تحسب . لأن النصوص تسمح بمثل هذا التباين الصارخ فى الفهم . ونذكر منها هنا خلافين فقط على سبيل البيان :

أما الخلاف الأول ؛ **فهو الخلاف الخاص بمنظور السيد المسيح فى الديانة المسيحية** ؛ فعلى الرغم من وجود فكرة الفداء والصلب عند كل من جماعة " شهود يهوا " والفئات الأخرى للطوائف المسيحية [٢٥] ؛ إلا أننا نجد أن السيد المسيح – فى فكر جماعة " شهود يهوا " – هو كبير أو رئيس الملائكة : أى " **الملاك ميخائيل** " [٢٦] . حيث يمثل السيد المسيح المولود الأول " **The first born** " لله ، بمعنى أن الله قد خلقه ، شأنه فى ذلك شأن أى مخلوق اخر ، ولكن – الله – قد بدأ به الخلق ليعاونة بعد ذلك فى إستكمال باقى

---

[٢٥] تؤمن المسيحية بعقيدة " **الثالوث القدوس** " والتى تعنى بأن " الله " له ثلاث صور أو ثلاثة أقانيم هى : " **الأب والإبن والروح القدس** " . وكلمة " **أقنوم** " فى اللغة اللاتينية تعنى شخصيات الدراما المسرحية أو التمثيلية ؛ ومن ثم فإن أدق **فهم لكلمة أقنوم يمكن أن يكون " دور " ؛ أى دور الله فى الدراما العظمى لإعلان الله وخلاص الإنسان** .
وبهذا المعنى يكون دور " **الله** " فى السماء هو " **الاب** " . وعندما نزل " **الله** " على الأرض وتجسد فى صورة يسوع المسيح (أو عيسى بن مريم عليه السلام) ، أصبح دوره هو " **الإبن** " . أما دوره كـ " **روح القدس** " فله تعريفات عديدة ؛ منها " **الله** " عندما يعمل مع رسله لهداية الناس ، ومنها " **النار الإلهية** " ؛ وسوف نعرض لمزيد من هذه التفاصيل فى الفصل الثالث .
[أنظر : " بماذا يؤمن المسيحيون " جورجيا هاركنس ، ترجمة إسحق مسعد (الكنيسة الأسقفيه) . ص ٥١/٦٨] .

[٢٦] أنظر على سبيل المثال :
" Aid to Bible Under standing " ; WatchTower Bible and Tract Society of New York , Inc. page : 1152 .

عمليات الخلق الأخرى . كما أعده ـ الله ـ كذلك للقيام بتنفيذ بعض المهام الخاصة ، كنزوله ـ أى نزول المسيح ـ على الأرض للقيام بعملية الفداء والصلب [27] بتكليف من الله ، وقيادة قوات الحرب ـ فيما بعد ـ ضد الشيطان .

بينما نجد أن **السيد المسيح** فى فكر الفئات المسيحية الأخرى هو " **الله نفسه** " بعد أن تجسد ونزل على سطح الأرض فى الصورة البشرية لقيامه بنفس عملية الفداء والصلب .

وبديهى أن الفارق بين المنظورين ؛ هو الفارق بين المخلوق والخالق . هذا الى جانب فكر الشرك الواضح ـ بالله ـ عند جماعة " شهود يهوا " ، نظرا لقيام " المسيح " بالمعاونة فى إستكمال باقى عمليات الخلق مع " الله " . وبديهى إنها فوارق أضخم من أن تحسب .

أما الخلاف الثانى ؛ **فهو الخلاف الخاص برؤية الصليب** ؛ فبينما نجد " **الصليب** : The Cross " يمثل ***الرمز المركزى للايمان المسيحى عند كل فئاتها*** (ويسمى التعليم المسيحى عن الصليب بعقيدة الكفارة [28]) ، إلا إننا نجد أن هذا الرمز لا تقول به جماعة شهود يهوا ، وليس هذا فحسب ، بل لا يأتى ذكر كلمة " **صليب** " على نحو مطلق ، فى الكتاب المقدس الذى يحمله جماعة " شهود يهوا " . فقد أستبدلت كلمة صليب فى الكتب المقدسة الخاصة بالفئات المسيحية الأخرى ، بكلمة " **وتد أو خازوق التعذيب** : Torture Ŝtake " فى الكتاب المقدس الذى يحمله جماعة " شهود يهوا " .

وبديهى سوف يترتب على هذا خلافات كثيرة أخرى فى تفسير النصوص ـ كنتائج طبيعى من وجود خلاف فى المنظورين الأساسيين السابقين ـ ولكننا لن نتعرض لها هنا حتى نتجنب الدخول فى قضايا ـ ثانوية ـ تصرفنا عن الغاية الكلية لرؤية الدين كما يعرضه الكتاب المقدس لتلك الفئات الأساسية .

• **ثانيا** : كانت كل فئة منهم ترفض رفضا قاطعا أن تنظر فى الكتاب المقدس الخاص بالفئة الأخرى ، **بل كثيرا ما كنت أرى الفزع يصيبهم** ـ بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ـ عندما أقوم بفتح الكتاب المقدس الخاص بالفئة الاخرى أمام الفئة الأولى ، وذلك فى محاولة ـ عفوية ـ منى فى بعض الأحيان ، لمقارنة نفس النصوص عند الطائفتين لبيان مدى التناقض بين معنيى ما فى الكتاب المقدس ، وذلك على الرغم من أن الترجمتين

[27] سنأتى إلى معنى الفداء والصلب فى الفصل الثالث .
[28] " بماذا يؤمن السيحيين " جورجيا هاركنس ، ترجمة إسحق مسعد (الكنيسة الأسقفيه) . ص ٦٢ .

تنتسبان إلى نفس الأصول اللاتينية لها ، كما يقولون . إلا أننى كنت أراهم ـ عندما أفعل هذا ـ يشيحون بوجوههم بطريقة بالغة العصبية حتى لا تقع أعينهم على نصوص الكتاب المقدس الاخر . فقد كانت كل فئة تخاف على نفسها من الفتنة بدرجة كبيرة جدا وتدعو للدهشة . وبديهى إن هذا يعكس كيانا فكريا هشا ، سوف يتناثر حطاما عند الإصطدام مع أول تفسير مغاير لما تم تلقينه لهم .

وبديهى أيضا ، إن هذا يعكس مفهوم الفكر الموجه فى العقيدة المسيحية نفسها ، فالشروح لا تعكس المعنى الحقيقى للنصوص ، وإلا لما كان هناك ضرورة لمثل هذا الخوف طالما أن المعانى واحدة لدى جميع الفئات ، ولكن وجود مثل هذه الخلافات الجوهرية بين فئات العقيدة الواحدة ، هى التى تدفعهم إلى مثل هذا الخوف الواضح .

وبديهى وهذا هو حالهم مع ـ مجرد ـ ترجمات مختلفة لنفس النصوص المقدسة لديهم ، وذلك من الأصل اللاتينى لها ، فما بال حالهم إذا أشرت إلى " **القرآن المجيد** " فى أثناء حوارى معهم ؛ فقد كان معنى هذا أن الشيطان بعينه سوف يتلبسهم ، بما لا يدع مجالا لأى شك .

وعلى هذا فمبدأ الحوار الدينى كان مرفوض لديهم تماما ، وعندما كنت أنبههم الى أنهم بمثابة التاجر الذى يعرض بضاعته على مستهلك ، بدون أن يدرى ما إذا كان هذا المستهلك لديه بضاعة أفضل أوأحسن منها أو لا ؛ فكانوا يرددون دائما نفس الإجابة ، وبنفس الكلمات ، فقد كانوا يقولون :

" نحن لا يعنينا ما تؤمن به ، ولكننا نبشر بما نؤمن به فقط ، ولا نريد أن نعرف أكثر من هذا ".

فقد كان هذا كل مبلغهم من العلم ، ومن ضيق الأفق الذى يدعوا إلى الشفقة عليهم . ففى الواقع ؛ فإن مثل هذا الإنغلاق الفكرى يكشف عن عملية " **غسيل مخ كبرى** " بكل ما تحوى هذه الكلمة من معنى عريض ، فقد محى تماما كل ما لديهم من منطق فكرى ، وترك فقط ما تنبه عليهم أن يفعلوه أو أن يقولوا به . إنهم كانوا قوما مبرمجين إلى درجة بعيدة للغاية ، فقد كانوا بمثابة شرائط تسجيل بشرية (رباعية الأبعاد) ، يعاد تشغيلها من حين لاخر عند الحاجة . كما لم يتجاوز الفكر التبشيرى لديهم عن فكر كسب الأتباع أو فكر المهنة التى تم تكليفهم بها بطريقة الية للغاية .

أما مبلغ علمهم عن ديانتهم فلم تخرج عن العلم ببعض المقتطفات المتناثرة ، فى صفحات بعينها ، أو ببعض النصوص التى تخدم الغرض من فكر الدعوة ، وهو فكرة الفداء والصلب والخلاص بالنسبة للفئات المسيحية المعتادة . وفكر معركة الخير والشر القادمة " The Armageddon or Har-Magedon " والتى سوف ينتصر فيها جيوش " الله " الغير مرئية – من جانب – على الأشرار أو " جيوش الشيطان " من جانب اخر ، بالنسبة إلى جماعة " شهود يهوا " . وسوف يكون يوم الإنتصار هذا ، بمثابة يوم القيامة وبداية عهد السلام على الأرض ، وسوف تكون فئة " شهود يهوا " هى الفئة الوحيدة الناجية بعد هذه المعركة .

أما بالنسبة " للرؤية الكلية : **The global view** " للدين ، فهى تتسم بضبابية وتعتيم شديد ، وعدم إتساق فى المعانى الواردة ، حيث الأسطورة والفكر الوثنى يلعبان فيها الدور الأساسى والحاسم أيضا (أنظر الفصل الثالث) .

- **ثالثا** : أما مدى إلمام المبشرين بالديانة الإسلامية فهو يكاد يكون معدوما تماما ، بل هو معدوم فعلا . وحتى إن وجد فهو غير صحيح . ومما يؤكد هذا الفكر أيضا أنه كان يأتى إلينا فى بعض الأحيان ، بعض فئات مسيحية تبشيرية أخرى – مثل طائفة المورمون [٢٩] – لتقوم بالتبشير فينا ، ولما كانوا يعلمون بأننا مسلمين كانوا يهزون رؤسهم باسى شديد ويقولون : " **السحر الأسود The Black Magic** " ثم ينصرفون وهم لا يلوون على شىء .

وأود أن أنبه أن الدين الإسلامى ليس " سحرا أسود " أو خلافه ولكن حجم المنطق الفكرى والمنطق الرياضى والمنطق الفيزيائى[٣٠] الداخل فى هذا الدين [٣١] – كما

[٢٩] طائفة المورمون (Mormon) هى طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف سمث (١٨٠٥ – ١٨٤٤) عام ١٨٣٠ ، وقد أباحت تعدد الزوجات فترة ثم عادت فحظرته . وتعرف كنيسة هذه الطائفة بإسم " كنيسة عيسى المسيح للقديسين العصريين : Church of Jesus Christ of Latter-day saints " .

[٣٠] **المنطق الرياضى** : هو منطق يهتم بالعلاقات المنطقيه بين مفردات أو متغيرات النظريه الواحده ، ويمكن أن تكون هذه المتغيرات كميات تجريديه بحته ، ليس لها علاقه بالواقع الفيزيائى المحيط بنا . وفى هذه الحاله فإن نتائج هذا المنطق ليس بالضرورة كميات يمكن قياسها ، وخصوصا اذا كانت المقدمات أو الفروض لا تعكس واقع فيزيائى . ولهذا فإن المنطق الرياضى كثيرا ما يعالج من أبواب الفلسفه . أما نتائج المنطق الرياضى فهى بالضروره صحيحه ، لإنه يمكن ردها فى النهايه إلى الصوره : [أ هو أ] أو [أ = أ] ؛ وبالتالى فالنتيجه تحوى دليل أو اية صدقها.

أما المنطق الفيزيائى : فهو الى جانب أنه منطق رياضى ، إلا أن متغيراته عادة ما تمثل كميات فيزيائية قابله للقياس . وبالتالى فإن نتائج هذا المنطق يمكن التثبت من صحتها بالقياس المباشر ، وتمثل نتائج هذا المنطق النبوات العلميه التى

سنرى – أضخم من أن يحسب ، لذا فحجم المعرفة بالله ، وكذا حجم المعرفة بالدين والتدين داخل هذه الديانة تصل الى درجة اليقين الكامل الذى لا تشوبه أدنى شائبة من الشك . وبالتالى فإنقياد أتباعه لتعاليمه يكون انقيادا كاملا ولكن للأسف الشديد فكثير ما تستغل بعض الفئات الضالة مثل هذا الإنقياد الجماهيرى لتوجيه هذه الجماهير إلى خدمة أغراضها أو لتحقيق أهداف ذاتية . وغالبا ما تكون بعيدة كل البعد عن النصوص والأهداف السامية لهذا الدين .

إن أشد ما يسىء الى الدين الإسلامى هو جهل الأتباع (The ignorance of followers) ، ولهذا ينسب إليه الغربيون خطأ مثل هذه الأسماء كـ " السحر الأسود " أو " الإسلام المقاتل The Militant Islam " وخلافه .

والقائل بمثل هذه الأقوال غالبا ما يعكس عدم درايته التامة – هذا إن لم يكن مغرضا – بهذا الدين . ومثل هذا القائل ، غالبا ما يكتفى بملاحظة سلوك الأتباع ، أو السلوك الظاهرى لبعض الجماهير المضللة أو جماهير ذات طابع فكرى منحرف ، كما فى بعض الطوائف الإسلامية (نرى هذا فى بعض إحتفالات المذهب الشيعى [٣٢]) ، ليكون هذا السلوك دليلا عنده على المضامين التى يحويها هذا الدين . وبالتالى الحكم خطأ عليه بدون أن يكلف نفسه مشقة دراسة هذا الدين أو حتى المعرفة الجزئية به .

فالحقيقة التى لا تقبل الجدل – كما سبق وأن ذكرنا وكما سنرى حالا – أن الدين الإسلامى هو نظرية علمية متعالية اية فى الإحكام تمثل الصياغة الحقيقية المنطقية – الرياضية والفيزيائية والعلمية معا – للإنسان ... كوجود ومصير . وتحوى هذه النظرية جميع

يستفاد منها فى التقدم التكنولوجى الذى نعاصره الان . ويطلق أحيانا على المنطق الفيزيائى عنوان " المنطق الرياضى التطبيقى " لأنه يمثل تطبيق المنطق الرياضى فى مجال الفيزياء العامه .

[٣١] **" الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى "** لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٣٢] **أحد الأمثلة البارزه التى تسىء للإسلام إساءة بالغه فى هذا الشأن ، هو ما يفعلة أصحاب المذهب الشيعى** (وهو أحد الطوائف المحسوبة بسلوكها - الدموى - على الإسلام ، والإسلام برىء من هذا السلوك تماما) . فقد ضلت هذه الفئة ضلالا بعيدا فى حزنها المبالغ فيه على مقتل الإمامين على والحسين (وهما من حوارى الرسول - من المنظور المسيحى - هذا إلى **جانب صلة القربى معه) ، بينما لا يوجد أى علاقة على وجه الإطلاق ، بين مقتل هذين الإمامين (على والحسين) وبين تعاليم الدين الإسلامى** . ونرى هذا الحزن قد ملأ التركيبة المزاجية للشخصية الشيعية ، حيث يبلغ هذا الحزن ذروته فى **العاشر من محرم سنويا** ، حيث يقوم الشيعة بضرب قاماتهم وأكتافهم . ويشجون رؤسهم بالسلاسل والسيوف والمدى ... لتأكيد أساهم البالغ على الإمامين على والحسين . وللحق ؛ كنت أرى بعض إحتفالات هذه الفئة الضالة بسلوكها هذا (والمحسوبة - بهذا السلوك - على الإسلام ظلما وجورا) فى التلفزيون الأمريكى ، وكان قلبى ينخلع لهول ما كنت أرى ، ومدى الإساءة البالغة التى تسببها هذه الفئة بسلوكها الدموى والبدائى إلى الدين الإسلامى ، والإسلام برىء من هذا السلوك تماما . وربما كانت تأخذ هذه الفئة بما دأب المسيحيون على فعلة فى أسبوع الالام (السابق على الفصح) ، وهكذا تأصلت هذه الضلالة لدى الشيعة كما فى بعض الفئات المسيحية .

الخطوات اللازمة للبرهنة على صحتها وصدقها . والديانة الإسلامية لا تقع فى الحيز الغيبى الذى يصعب معه التأكد من صحتها . ولكن كلا من عالمى الغيب والشهادة (أى العالم الغير مدرك والعالم المدرك بالحواس) ، وهما يمثلان الفعل الإلهى ، يقعان

بين دفتى هذه الديانة ، حيث يمثل الغيب فيها الإمتداد الطبيعى والمنطقى للعالم الفيزيائى المحسوس ، هذا إلى جانب أن الغيب نفسه يكاد يكون محسوسا فيها ، ولا تحوى الديانة أى دور ـ مهما صغر ـ **للأسطورة أو الخرافة فى هذا الغيب .**

والإنسان بوجوده وحاضره ومستقبله وعلمه وكونه ومصيره ... إلخ ، هو جزئية صغيرة جدا من فكر إلهى محيط يمكن ادراكه بقليل من الجهد فى هذا الدين . ولا أعتقد أن هناك أيا من النظريات العلمية الكبرى[٣٣] لا يحوى القران المجيد مضمونها بشكل كيفى كامل ، بل الأكثر من هذا ـ ورغم ما فى ذلك من مجازفة علمية ولكنها محسوبة أيضا ـ إن القران لا يقدم لنا النموذج النهائى لكوننا الفيزيائى فحسب ، بل يقدم لنا كذلك الصيغة النهائية للنظرية الفيزيائية الموحدة [٣٤] التى تحوى كل مظاهر الوجود فى صياغة رياضية فيزيائية واحدة ، كما يقدم لنا الفكر القرانى النموذج الكونى اللازم الذى يحوى الحلول اللازمة لمشكلة المادة (**The Problem of Matter**) والتى لم تحلها بعد ميكانيكا الكم ولا النظرية النسبية حتى وقتنا المعاصر .

فعلى سبيل المثال ؛ عندما يتعرض القران لفكر الأكوان الموازية [٣٥] ، فإنة يؤكد لنا أن القوانين الفيزيائية التى تحكم هذه الأكوان هى قوانين فيزيائية مغايرة تماما للقوانين الفيزيائية التى تحكم كوننا هذا . وهذا الفكر لم يتطاول إليه الفكر البشرى حتى يومنا هذا ، ولو من باب قصص الخيال العلمى . وحتى الان لم يأخذ العلم فكر الأكوان الموازية المأخذ الجدى ، وإن أعتبر أحيانا فى بعض قصص الخيال العلمى ، ولكن بمفهوم قاصر جدا ، هو نفس المفهوم الفيزيائى لكوننا الذى نحيا فيه . ولكن القران المجيد يقرر حقيقة

---

[٣٣] " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب . أنظر كذلك الفصل الثانى ، من هذا الكتاب (بند ١١. ٦) ؛ لبعض التفاصيل عن : " **نظرية الإنفجار الأعظم : The Big Bang Theory** " .

[٣٤] المرجع السابق . وتسمى هذه النظرية أيضا بإسم " **نظرية لكل شىء** " وتسمى أيضا " **TOE** " بمعنى أخمص القدم ، أو أصل الفيزياء العامه ، وهى تعتبر ما بعد " نظرية الخيوط أو الأوتار المتناهية : **The Super String Theory** " ، أو هى " نظرية الخيوط أو الأوتار المتناهية " فى شكلها النهائى .

[٣٥] أنظر الملحق الثالث من هذا الكتاب للتفاصيل .

تواجد مثل هذه الأكوان الموازية ، أو بمعنى أدق الأكوان المتراكبة ، ولكن بقوانين فيزيانية مغايرة لما نألفه عن كوننا هذا .

وحتى " نظرية النشوء The Evolution Theory " التى جاء بها داروين [٣٦] سوف تصبح خير شاهد على قصور الفكر البشرى عن إدراك الحقائق الكلية ، إذا ما قورنت " بفكر التطور " العريض الذى أخبرنا به الحق تبارك وتعالى ، فى قرآنه المجيد ، عن الإنسان ووجوده ومصيره .

٧ ـ الدوافع ...

لقد بات مؤكدا لدى أن الإنسان **ليس لديه** حتى الان " **نظرة كلية : Global View** " شاملة للأديان الموجودة على الساحة البشرية . وحتى على مستوى الموسوعات العلمية ، التى غالبا ما تقوم بعرض الديانات من المنظور الدينى كما يفهمه أهل العقيدة ، وغالبا ما يكون هذا المنظور هو المنظور المراد إبرازه فقط من جانب أهل العقيدة ، حيث لا تقوم الموسوعات بعرض الديانات كدراسة نقدية لها ما لها وعليها ما عليها .

كما يوجد جانب اخر لا يقل أهمية عن هذا ، وهو جانب عدم وضوح الفرق بين معنى " القضية الدينية " ، وبين معنى " القضية الإلهية " فى فكر كثير من الكتاب والنقاد والفلاسفة . فكثيرا ما كنت أجد مؤلفين أو كتابا تصيبهم المعاناة إرهاقا فى التدليل والبرهان على " وجود الله " ، وبعد أن ينتهوا من هذا البرهان ، أجدهم ينتهوا ، أو بمعنى أدق **يقفزوا إلى النتيجة التى تقول بأن " دياناتهم صحيحة "** . ومعنى هذا أن هؤلاء المؤلفين لم يدركوا : **أنه لا توجد ثمة علاقة ما ، بين البرهان على " وجود الله " ، وبين البرهان على " صحة الدين "** ، فكلاهما قضايا مستقلة عن الأخرى ، كما سنرى حالا ، ولكل منها براهينها الخاصة بها والمميزة لها .

وكما سبق وأن ذكرت ، أن الكتاب المقدس عبارة عن بقايا نصوص متناثرة من بعض الكتب المقدسة فى وسط خضم هائل من نصوص صاخبة من الوثنيات الفكرية عن الإله والأنبياء . لذا كان يلزم إستخراج فكر العقيدة مجردا من هذا الكتاب ، من وسط حشد كبير من الشروح والفكر

---

[٣٦] تشارلز روبرت داروين Charles Robert Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢) : عالم طبيعه بريطانى . صاحب النظريه الدارونيه . أشهر آثاره " **أصل الأنواع : The Origin of Species** " عام ١٨٥٩ ، والتى تقول بأن الإنسان قد نشأ من أصل حيوانى (واحد من فصائل القرود) ، وتطور حتى أخذ شكله الحالى . أنظر الملحق الثالث من هذا الكتاب : " كلمة موجزة عن : قصة خلق الإنسان والنظرية الدارونية التى جاء بها القرآن المجيد " .

الموجه والمبررات . وعلى الرغم من صعوبة هذا العمل إلا إنه ليس مستحيلا على أى حال ، وذلك حتى يمكن أن يكون لدى الفرد العادى عمل كلى متكامل وبسيط يستطيع تتبعة بدون أى عناء وبدون حتى إمعان كبير للفكر . وقد تم تدوين هذا العمل فى الباب الثالث . وبديهى أن هذا يعنى ، أنه قد تم عرض الفكر الكلى للديانتين (اليهودية والمسيحية) مجردا من أى تعليق ، أو أى إضافات تبعدنا عن فهم القضية الدينية على نحو مجمل لكل منهما .

وبديهى أنا لم أعن فى هذا الكتاب بالقطع المتناثرة من بقايا الكتب المقدسة الموجودة بالكتاب المقدس الحالى ، فقد عنى بهذا القران المجيد . فقد أعاد القران المجيد صياغة هذه النصوص المقدسة السابقة له ، الصياغة الصحيحة لها فى إحكام شديد ، تصديقا لقوله تعالى الى محمد (ﷺ) :

[وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ... (٤٨)]

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ٤٨)

كما لم أعن بالمتناقضات الموجودة بالكتاب المقدس ، لأن أئمة العقيدة يرون أن وجود مثل هذه المتناقضات بالكتاب المقدس هى من أقوى البينات والأدلة على صحة هذا الكتاب ، حيث يقول القديس **يوحنا ذهبى الفم** عن الخلافات الموجودة بالأناجيل [٣٧] :

" **أن ما يرى فى البشائر** (أى فى الأناجيل) **من الفروق هو من أعظم البينات على صحتها لأنه لو كان هناك إتفاق تام فى كل الأمور لكان أعداء الحق يقولون أن الكتبة** (أى كتبة الأناجيل) **قد تشاوروا أولا واتفقوا على ما يكتبونه** "

وبهذا المفهوم يصبح وجود المتناقضات [٣٨] فى الكتاب المقدس بينة ، ودليل صدق على صحته ، وبالتالى لا جدوى ولا قيمة من مناقشتها مع أهل العقيدة . وهكذا تطوع أخطاء ومتناقضات الكتاب المقدس فى فكر العقيدة المسيحية إلى الحد الذى تصبح فيه ضرورة لازمة لصحة هذا الكتاب ودليل صدق عليه . هذا وقد عنيت كتب كثيرة ــ من قبل ــ بمثل هذه المناقشات ولم تثمر شيئا حول إعطاء المعنى المراد .

[٣٧] " حل مشاكل الكتاب المقدس " القس منسى يوحنا ؛ مكتبة المحبة ، ص : ١٥ .

[٣٨] نلاحظ هنا أن القديس يوحنا ذهبي الفم يطلق كلمة " **فروق** " على " **المتناقضات** " ، كما يطلق على من لا يؤمن بهذه المتناقضات إسم " **أعداء الحق** " .

كذلــك لــم أعــن أيضــا بمــا ينبغــى أن تكــون عليــه الديانــة المســيحية أو الديانــة اليهوديــة ، باعتبارهمــا ديــانتين ســماويتين ، فقــد عنــى بهــذا أيضــا القــران المجيــد ؛ مــن منطلــق أن اللــه ــ ســبحانه وتعــالى ــ واحــد ولا متغــير ، لــذا فينبغــى أن تكــون جميــع الأديــان الســماوية الســابقة علــى الإســلام هــى الأخــرى واحـــدة ولا متغــيرة ، وذات دعــوة واحــدة ، كمــا جــاء فــى قولــه تعالى فــى محكم تنزيلـه :

[شــرع لكــم مــن الديــن مــا وصــى بــه نوحــا والــذى أوحينــآ إليــك ومــا وصينــا بــه إبراهيــم وموســى وعيســى أن أقيمــوا الديــن ولا تتفرقــوا فيــه ... (١٣)]

(القران المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣)

وبهذه المعانى الواردة فى هذه الاية الكريمة ، فإن كل ما يقال عن الديانة الإسلامية ، يعنى فى نفس الوقت الديانتين اليهودية والمسيحية معا ، وذلك قبل حدوث التشويهات الحالية فيهما .

ولهذا كانت كل غايتى ـ فى هذا الكتاب ـ هى الإهتمام بالرؤية **الإلهية والأنبياء والنصوص** ، كمــا تجىء بها الديانتان اليهودية والمسيحية ، وكما يعرضها الكتاب المقـدس ويعـترف بهـا أئمـة العقيـدة نفسها . فربما ـ من جانب ـ كانت هذه الرؤية غير معلومة لدى الكثيرين من أهل العقيدة نفسها ، أو ربما كانوا يتظاهرون بالجهل أمامى عندما كنت أعرض عليهم القضية الكلية للديانة ، أثنـاء قيـامهم بالتبشير لى ، وفى أسرتى أثناء إقامتنا فى الولايات المتحـدة الأمريكيـة . ومـن جـانب اخـر ؛ فـإن هذه الرؤية الكلية غير معلومة لدى كثيرين من العامة أيضا ، كما وإنها ليست معلومة لدى لكثـيرين كذلك من المهتمين أو المشتغلين بعلم مقارنة الأديان من المسلمين أو الأديان الأخرى أيضا .

فعلى سبيل المثال نجـد أن مؤلـف كتـاب [٣٩] " **اليوم الآخـر بين اليهوديـة والمسـيحية والإسـلام** " يتساءل ــ فى كتابة ــ عن علاقة خطيئة أدم بموت البشر ، فنجده يقول فى كتابه المذكور فى صفحة ٧٢ :

" والتساؤل الذى نطرحه هنا للنصارى هو : ما علاقة خطيئة آدم بموت البشر ؟ "

فالمؤلف كما نرى ، بعد دراسته للمؤلفات المسيحية لم يصل إلى إجابة ما على هذا السـؤال ، كمـا كان يحاول جاهدا ـ فى كتابه هذا ـ إستجداء علماء المسيحية للإجابة على هذا السـؤال وعلـى أسـئلة

---

[٣٩] تأليف الدكتور فرج عبد البارى أبو عطا الله ، وتقديم الأستاذ الدكتور يحى هاشم حسن فرغل . والكتاب إصدار دار الوفاء ؛ الطبعة الثانية : ١٩٩٢ .

أخرى مشابهة ولكن دون جدوى من أن يسمع إجابة منهم . فكما نرى من مقدمة الكتاب المذكور ، ***أن المؤلف لم يدخر جهدا فى البحث عن هذه الحقيقة أينما كانت*** ، وأينما وجدت عند قيامه بإعداد كتابه هذا ، ولكنه لم يحظ بالإجابات المنشودة عليها ، لهذا نجده يقول فى صفحة ٢٠ :

" ... ولم أكتف بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى بالكنيسة القبطية الذى يمثل طائفة الأرثوذكس ، فذهبت الى مدير معهد الدومينيكان للدراسات الشرقية الأب جورج شحاته قنواتى ، لأعرف رأى الكاثوليك فى بعض النقاط المثارة فى البحث [٤٠] ، ولم أجد ما كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل ، ***بل وصرفنى عن البحث فى علم مقارنة الأديان*** ، وأحالنى إلى أحد الرهبان الفرنسيين فى المعهد وكانت اللغة عائقا دون حديث الراهب معى ....

وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكل عائقا لى فى مواصلة البحث وسبر غور كثير من النقاط المثارة فى البحث فى مجال المقارنة ، فذهبت إلى دير سانت كاترين بجنوب سيناء ــ وهو دير تاريخى قرأت أنه يحوى الكثير من المراجع والمخطوطات ــ فذهبت بخطاب من الكلية **ولكن رفض القائمون على الدير والمكتبة أى عون علمى فيما يتعلق بالبحث ، إلى حد أنهم لم يوافقوا أن يتحدثوا معى شفويا فى موضوع الآخرة فى التصور النصرانى** ، وقفلت راجعا أبحث عن مصادر اليوم الاخر فى مظانه عند النصارى واليهود ، وبذلت قصارى جهدى فى هذا الصدد . وأسجل أن عدم توافر المصادر اليهودية كانت عائقا لى عن البحث فى كثير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد وحسبى ذلك [٤١] " (إنتهى)

لذلك كانت الأمانة العلمية ــ لدى ــ تقتضى بأن أعرض ما إنتهيت إليه ليستفيد من ذلك من يريد ، وليكون هذا الكتاب شاهد صدق على التجربة الدينية للبشرية مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، ولأديان أخرى كتبت ضمنيا هنا ــ فى هذا الكتاب ــ مثل الديانة البوذية ، والتاوزمية ، والهندوسية . كما يكون هذا الكتاب شاهد صدق لمن يريد أن يرى الحقيقة بعينيه المجردتين وبنظرة علمية مجردة ومحايدة .

وأود أن أنبه ــ وسوف أكرر هذا دائما ــ إن عرض الحقائق ليس معناه تسفيها لمعتقدات أخرين ، بل هى فى الحقيقة محاولة لتبصير اخرين بواقع الوجود والمصير ، وهى كذلك

[٤٠] الكتاب السابق ؛ وهو عبارة عن رسالة الماجستير الخاصة بالسيد الدكتور الكاتب .
[٤١] راجع البند السادس كذلك من هذا الفصل .

أمانـة علميـة تجـاه أجيـال حاليـة من جـانب ، وأجيـال قادمـة مـن جـانب اخـر . وكمـا يحتـم علينـا ذلك أيضا الله كمـا جـاء فـى قولـه تعـالى :

[وكذلك جعلنـاكم أمــة وسـطا لتكونـوا شـهداء علـى النـاس ويكـون الرسـول عليكـم شـهيدا .... (١٤٣)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٤٣)

ومـا زلـت أكرر إن مثل هـذا العـرض لا يمثـل هجومـا علـى ديـن مـا ، بقـدر مـا هــى تجربـة لرجـل علـم فحسـب ، رأى أن يسـطرها ... فربمـا لا تسـنح لكثـيرين أن يمـروا بمثـل هــذه التجـارب التـى مـر بهـا ، وعلـى هـذا النحـو ، وبالتـالى يبقـى فكـر " **القضيـة الدينيـة** " **رمــزا علــى فكــر** " **القضيـة الغيبيـة** " التــى لا يمكـن القطــع بصحتهــا ، والتــى يمكــن أن تلعــب الخرافـة والأســطورة فيهــا دورا رئيسـيا فــى تشـكيلها . كمــا يمكــن أن تظــل نظــرة الإنسـان للديـن قـاصرة كمـا هـى عليـه الان ، وبالتـالى سوف تبقـى ظـاهرة تعـدد الأديـان أمـرا واقعــا ، قائم ومفروض ــ علـى البشـرية ــ ولا منـاص منـه .

وأود أن أنبــه أصحــاب المذاهــب الفكريــة المختلفـة ؛ ســواء كــانوا علمــانيين ، لاأدرييــن ، ملاحـدة ، وجودييـن ، شيوعيين ..أو خلافـه [٤٢] ، إلـى أن **جميــع هــذه المذاهــب الفكريــة قـد نشـأت ونمـت فـى جـو مـن المسـيحية الخالصـة** ، بـل أن معظمهـا ــ إن لـم يكـن كلهـا ــ هـى فـى الواقــع **صــور مختلفــة مــن صــور التمـرد علـى الكنيسـة** ، وعلــى الديانــة المسـيحية ذاتهــا وأفكارهـا وصورهــا ، وخـير شـاهد علـى هـذا هـو الواقـع التـاريخى للإنسـان ، ونصـوص المسـيحية ذاتهـا هـى التـى أدت الـى هـذا الوضـع المتردى للبشـرية مـن تنكـر للديـن ، والـذى سـوف نعـرض لـه ، ولهـذه المعـانى فـى الفصـل الثـالث .

لـذا يجـب أن يـدرك أصحـاب هـذه المذاهـب الوضعيـة المختلفـة ، إلـى أن التجربـة البشـرية الفاشـلة مـع الديانـة المسيحية [٤٣] ، هـى التـى أدت بهـم الـى هـذا الوضـع المـتردى تجـاة الديانـة الحقيقيـة . وأن مـا إنتهـوا إليـه سـببه الرئيســى هـو المـيراث الدينـى الفاشـل المتسـم بالخرافـة والأسـطورة ، وتنـاقض ذلـك مـع مـا إنتهـى إليـه الإنسـان المعـاصر ، مــن تقـدم علمـى ومنطـق

---

[٤٢] **علمـــانيون : Secularists ، لاأدريـــون : Agnosticists ، ملاحـــدة : Atheists ، وجوديـــون : Existentialists ، شيوعيون : Communists ....**

[٤٣] يستطيع القارئ ـ هنا ـ الذهاب مباشرة إلى الفصل الثالث من هذا الكتاب لتصفحة لبيان ماذا أقصد بهذا المعنى .

رياضى وفيزيانى ، نلمس اثاره المباشرة من واقع التقدم العلمى والحضارى اللذين نعاصرهما الان .

وربما السلوك الظاهرى لأصحاب هذه المذاهب الفكرية ، هو سلوك من يحترم عقله ، الذى زوده الله به ، حيث لم تستطع هذه الفئات التواؤم مع أو الإحتفاظ بفكر دينى وثنى أو أسطورى على النحو المشار إليه ، لتناقض ذلك مع الفطرة السوية التى أودعها الله فى الإنسان ؛ ولكن ذلك لن يعفيهم من مسئولية البحث عن الحقيقة . فالإنسان يجب أن يعى جيدا إنه مخلوق لهدف محدد وغاية بعينها ، فإذا لم يحقق هذا الهدف وهذه الغاية بعينها فإنه سوف يخسر وجوده ومصيره هو ، وليس وجود ومصير الآخرين .

أما قول البعض بأن الأديان ما هى إلا طرائق مختلفة (**Methodology**) فى أسلوب علاقة الفرد بالله ليس إلا ، فإن مثل هذا القول لا يفقد الدين معناة الحقيقى فحسب ، بل يفقد كذلك الهوية الشخصية " **الله** " ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ـ كما يهوى الإنسان بهذا الفكر إلى فكر وثنيات التعدد والشرك . فلابد أن يعى الإنسان أن " **الله هو مصدر الدين وليس الدين هو مصدر الله** " ، والفرق بين الصياغتين هو الفرق بين الوحدانية والتعدد ، أو الوحدانية والشرك بـ " الله " ، وليس هذا فحسب بل يصبح تشكيل العقيدة نفسها وتعريف الله أمورا متروكه للإنسان ، وليست أمورا متروكة لله ...!!!

كما وإن القائل بهذا الفكر ، أى الفكر القائل بأن الدين طرائق مختلفة فى أسلوب علاقة الفرد بالله ، يعكس أيضا عدم دراية الفرد بالأديان . لأن معنى ذلك إنه لا يعلم أن هناك دين صحيح على الساحة البشرية يحدد أو يعرف العلاقة المتبادلة فيه ـ بين الله والإنسان ـ الله نفسه وليس الإنسان . فمثل هذه العلاقات لا تترك لأهواء الإنسان يحددها هو كيف يشاء . وبالتالى فجميع الأديان ـ بالنسبة للقائل بهذا الفكر ـ متساوية ، من جانب ، كما تحوى قدرا من الخرافة والأسطورة ، من جانب اخر .

إن العلاقة بين الفرد والله ـ كما سنرى حالا ـ ليست علاقة يحددها الفرد ذاته ، فالإنسان مخلوق وليس خالقا ، ولكن هى علاقة يحدد إطارها العام الله ، سبحانه وتعالى ، لهدف محدد وغايات بعينها من خلق الإنسان ، ومن خلق هذا الوجود . فالإنسان غير مؤهل فطريا (**By default**) ، لمعرفة الغايات والهدف الإلهى من خلقه ، كما وإنه غير مؤهل فطريا لمعرفة المقاصد الإلهية عن وجود هذا الوجود بوجه عام .

ومن جانب اخر ؛ ينبغي أن يعي الإنسان أن المتكلم في الدين هو الله بكل كمالاته المطلقة واللامتناهية . فماذا يتوقع الإنسان أن يجد من هذا المتكلم ....؟؟!! بديهي لابد وأن يتوقع — الإنسان — أن يجد الدين يحوى الحكمة البالغة والغير متطاولة ، والتي لا تجعل من الإنسان يخر أمامها ساجدا متضائلا **فحسب** ، بل تجعله **أيضا** يتساوى في هذا مع الوجود المطلق في التناهي والمحدودية أمام اللامتناهي واللامحدود ....

كما يجب على أصحاب المذاهب المختلفة أن يتنبهوا الى أن إيمانهم بأى مذهب مهما كان ... بعد أم قرب من الدين ، هو — في الحقيقة — تدين بديل ، ولكنه لدين خاسر . فالإنسان لا يمكن أن ينفصل عن الله — كما سبق وأن ذكرنا — في جميع مراحل حياته ؛ ففطرية الله في النفس البشرية هي حقيقة تصل الى مرتبة القانون الفيزيائي العام [٤٤] ، ولا جدوى من إنكارها لدى القلة ، وهذه الفطرة هي التي تدفع بالإنسان إلى التدين . كما وأن هذه الفطرة قد بلغت من الإنسان حدا من القوة ، جعلته يقوم بالتضحية بعقله وبمنطقه الفكرى ، كما هو الحال في معتنقي الديانات الوثنية ، عن أن يقوم بالتضحية بـ " الإله " مهما كانت وثنيات هذا الفكر ، ومهما كانت تصوراته اللاعقلية واللامنطقية عن الإله . وهذه هي كارثة البشرية — في كل العصور — تجاه الدين .

هذا وقد أصبح الإعتقاد السائد ، لدى الغرب بصفة عامة — بكل أسف — أن . " **الدين والعقل لا يجتمعان** " . وقد أعتبر هذا المنطوق الان ؛ **مسلمة أساسية لا تقبل الجدل** ، كما أعتبرت فيها أيضا الصحة المطلقة ؛ وبذلك حرم الإنسان نفسه من رؤية الدين الصحيح ، وخسر وجوده — كما سنرى — لأنه لم يحقق الغايات من خلقه . وتحقيق الغايات من الخلق لم تتجاوز في معناها عن تحقيق قوانين سرمدية عليا ندركها عن بعد ، ونخضع لها بطريقة أو بأخرى ؛ تماما كما تخضع الشمس والكواكب لـ " **قانون الجذب العام** " .

كما على الإنسان أن يتنبه إلى أنه عندما يقف أمام " **القضية الدينية** " فهو — في الواقع — يقف أمام " ***قضية أساسيه وجوهرية*** " هي " ***قضية وجوده ومصيره*** " . كما وإن وجوده ليس مجرد نكتة أخرجتها الطبيعة ، وروجت لها بقوانين مسخرة لخدمته . بل أن

---

[٤٤] مثل هذه القوانين ، هي قوانين ذات طابع إحصائي ، يؤكد **صحتها إعتقاد** ملايين الملايين أو بلايين البشر التي تؤمن بهذه الفطرة على مر الأزمنة والحضارات . وتأخذ هذه الفطرة الصور المختلفة للدين والتدين لدى الفرد (أنظر الفصل الثاني) . ولا ينتقص من صحة هذا القانون العام وجود نسبة ضئيلة جدا تتنكر لهذه الفطرة . فـ " قانون التوزيع الإحصائي العادى : The Statistical Normal Distribution Law " ؛ يسمح بوجود قلة منكرة للدين ، كما يسمح — على الجانب الاخر — بوجود قلة شديدة التطرف في التمسك بالدين .

وجوده هو نتيجة حتمية لوجود " **خالق ؛ قادر ؛ متعال ؛ ظاهر ؛ باطن** ؛ ... " يحول فقط جهل الإنسان دون إدراكه لهذا ...
وأرجو أن يتنبه الإنسان ويفيق إلى حقيقة هذا الوجود ، قبل أن يفيق وهو يقف بحواسه وإدراكاته كاملة ـ كما سنرى ـ أمام الحقيقة المطلقة وجها لوجه ، عقب موته مباشرة .
وفى هذا الصدد يقول الرسول الكريم :

" الناس نيام فإذا ماتوا إنتبهوا " [45]

فهذا هو الإنسان وحقيقته ، **فالإتصالية قائمة بين الوجود والمصير** ، وليس هناك أدنى تضحيات فكرية ، أو تضحيات بوجود قاصر من أجل مصير ممتد ...

إن التدين المستتر أو التدين البديل ، والذى يأخذ جميع صور الإهتمام ، هو التوجه الخاطىء للدوافع الفطرية والنفسية الكامنة فى النفس البشرية للتشبث بالله . إن الإنسان يقوم بالتشبث بأى إهتمامات ، أى إهتمامات قد تختلف وتتباين بدرجة كبيرة حسب درجة نضوج الفرد الفكرى وثقافته ، كما يجب أن يؤخذ الجانب الإقتصادى والصحة العامة فى شكل ومضمون هذا الإهتمام .

وقد تأخذ هذه الإهتمامات فى الإنسان صورا شتى كالجنون بمطرب أو مطربة ، أو الإدمان لشىء ما ، أو التشيع لحزب ما ، أو حتى الإقامة فى معمل للبحث خلف معادلة أو تجربة علمية . فالإنسان فى كل هذا ، لا يدرى إلى أين ينتهى به المقام بهذا الإهتمام ؟ فالغاية النهائية من أى إهتمام ... حتى بعد تحقيقه ، تترك الإنسان فى نفس نقطة الإبتداء ... خاوى المضمون ، ليبحث عن إهتمام تال ... أو غاية أخرى ... **ولا يدرى إلى أين تقوده هذه المرة ؟!** ... لينتهى إلى نفس نقطة الإبتداء ... وإلى نفس الخواء ... وهو لا يدرى إلى أين يتجه فى المرة القادمة .... ما لم يدرك أن الله هو الغاية من وراء كل إهتمام ... ولكن الإنسان لا يعى ...

إن الإهتمام ... هو سكرة الحياة ... والإنسان يتقلب بين إهتمام واخر ... وهو لا يدرى أنه يبحث عن الله بدون أن يعى ... حتى الموسيقى ... حتى الأغنية ... أصبحت تلك الصرخة التائهة التى يطلقها الإنسان ـ ذلك العاجز ـ من أعماقه ليتردد صداها فى هذا

---

[45] باب الفتوح ؛ ص : ١٥٣ . ويتأكد هذا المعنى أيضا فى قوله تعالى للإنسان يوم القيامة :
[**لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)**] (القران المجيد : ق {٥٠} : ٢٢)

الفضـاء اللانهـائى ... ثم تتلاشى لتعلن عن حيرة الإنسـان فـى البحث عن اللـه ... ورغبتـه فـى أن يلقـاه ... لتعلن دائمـا عن حاجتـه الفطريـة إليـه ... بـدون أن يعـى .... !!!

وفى هذا الشـأن يقـول المولـى عز وجـل :

[يا أيها الإنسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه (٦)]

(القران المجيد : الانشقاق {٨٤} : ٦)

[كادح إلى ربك : جاهد فى عملك إلى لقاء ربك]

فالإنسـان ؛ فـى حركتـه وفـى سكونه ، فـى ضحكـه وفـى بكائـه ، فـى سعيه وفـى وقوفـه ، فـى علمـه وفـى جهلـه ، فـى عملـه وفـى لهوه ، فـى صحتـه وفـى سـقمه ... هـو فـى طريـق واحـد ... هـو الطريـق إلـى اللـه ... سـواء أدرك هـذا أم لـم يـدرك ...!!

إن الحكمـة الإلهيـة قـد قضـت بـأن يبتلـى أو يختـبر هـذا الإنسـان الحـائر فـى قضيـة دون مستوى ذكائـه الفطـرى بكثير ، فـى قضيـة قـد غلفتهـا البسـاطة بدايـة ونهايـة ، وهـذه القضيـة ... هـى ... " **القضيـة الدينيـة** " .

إن الساحة البشرية تغص الان بالأديـان ... التـى تكـاد تتقـارب فيمـا بينهـا فـى الفكـر الوثنـى ، وتبقـى الديانـة الإسـلامية [٤٦] ـ كمـا سنرى ـ " الفكـر الكلـى المتعـالى فـوق الحـدود البشـرية " أو هـى " النظريـة الفيزيائيـة المتعاليـة " ، التـى تحـوى مضـامين كليـة ايـة فـى الإحكـام والعلـم ؛ وهـذه النظريـة تمثـل الصياغـة الحقيقيـة ـ المنطقيـة والرياضيـة والفيزيائيـة معـا ـ للإنسـان ... حـاضر ... ووجـود ... ومصـير . أو هـى الصياغـة لذلـك الإنسـان ... الغايـة مـن الخلـق ... ومنتهـى المصـير ...

وتحـوى هـذه النظريـة جميـع الخطـوات اللازمـة والضروريـة للبرهنـة علـى صحتهـا وصدقهـا ، شـأنها فـى ذلـك شـأن أى نظريـة فيزيائيـة ، أو أى نظريـة رياضيـة أو كلاهمـا معـا . والديانـة الإسـلامية لا تقـع فـى الحـيز الغيبـى الـذى يصعـب معـه التـأكد مـن صحتهـا وصدقهـا ، بـل علـى العكـس مـن ذلـك ، فهـى تحـوى كـلا مـن العـالم الفيزيـائى والعـالم الغيبـى بيـن دفتيهـا ، وحيـث يمثـل الغيـب فيهـا الإمتـداد الطبيعـى والمنطقـى للعـالم الفيزيـائى ، بـل والأكـثر مـن

[٤٦] كما سبق وأن ذكرنا ، وسنكرر ذلك على مدى الكتاب ، أن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " هـى " **مجرد مسلمة أساسية** " أى أن قبولنا لها هو " **قبول معلق** " . بمعنى أن القبول النهائى لها سوف يتوقف على مدى ما تؤدى إليـه ـ هـذه المسلمة ـ من نتائج . فإن صدقت النتائج صدقت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة ، وهذا هو عين ما يحدث فى مجال النظريات الفيزيائية الكبرى ، كما سبق وأن ذكرنا فى المقدمة .

هذا فإن الغيب فيها يكاد يكون ملموسا أو محسوسا أيضا . ولا تحوى الديانة أى دور ـ مهما صغر ـ للأسطورة أو الخرافة فى الجانب الغيبى فيها . أما حجم المنطق ـ الرياضى والفيزيائى معا ـ فيها فهو أكبر من أن يحسب ، ويتعدى ذروة الكمال الفكرى للحدود البشرية . والإحاطة الإلهية فى هذه الديانة تجعل الإنسان يقف عاجزا حتى عن إدراك مدى ضآلته ، أمام إدراكات إلهية كلية متعالية ليس للفكر البشرى العهد بها .

٨ ـ موقف الكنيسة من التطور الفكرى

كان يلزم هنا أن نشير فى إيجاز شديد إلى موقف الكنيسة من الاتجاهات الفكرية الحديثة لبداية الفيزياء المعاصرة ، كما كان يلزم أن نشير كذلك إلى موقف الكنيسة من أصحاب الأراء التى حاولت التحرر من الأفكار الوثنية للفكر الدينى . وربما كان هذا أيضا مهما ـ من جانب اخر ـ للأشارة الى أن بداية تاريخ الفكر الفيزيائى الحديث لم يتجاوز الثلاثمائة عاما إلا بقليل .

لقد كان النظام البطليموسى ، الذى تتبناه الكنيسة حتى منتصف القرن السادس عشر يشترط أن الإيمان بالقصد والتدبير الإلهى فى خلق الحياة على الأرض ، يستلزم أن تكون الأرض مميزة بين العوالم العلوية والسفلية وكانوا يحسبون أنها لا تكون مميزة على هذا النحو ، إلا إذا كانت الأرض فى مركز الكون كله ، وتقوم الكواكب والشموس دائرة أو ثابتة من حولها ، غير أن هذه الصورة قد تغيرت تماما عندما نشر الفلكى البولندى **نيقولا كوبرنيكوس**[٤٧] كتابه (دوران الأجرام السماويه حول محورها) سنة ١٥٤٢ (وذلك قبل وفاته بسنة واحدة) والذى يحوى ملاحظات وقياسات عن النظام الشمسى والذى أثبت فيه **كوبرنيكوس** أن الكواكب تدور حول الشمس وليس العكس ، وبذلك أخرج كوبرنيكوس الأرض من مركز الكون ، وأطلقها مع الشمس فى أجواء الفضاء ضائعة فى افاق ليس لها نهاية .

وخالف هذا الكشف الكوبرنيكى قواعد الدين المسيحى وخرج على سنن الإيمان به ..؟!

ولهذا صودر الكتاب وأجمعت فئات الكنيسة من رومانية ولوثرية على تحريم ومنع تعليمه .

---

[٤٧] نيقولا كوبرنيكوس **Nicolaus Copernicus** (١٤٧٣ - ١٥٤٣) ، فلكى بولندى ؛ قال بأن الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس وحول نفسها .

وقد أوحت النظرية الكوبرنيقية في ذلك الحين (نهاية القرن السادس عشر) إلى الراهب الدومينيكي : The Dominican Monk (وهو الذى يؤمن بعيسى كإله) جيوردانو برونو [48] ، بإمكان التوسع في مراجعة أفكارنا العادية القائمة على الحواس عن المكان والحركة لتصبح هذه المراجعة نقدا شاملا " **للأفق المتناهي** " الذى تقدمه لنا هذه الحواس . فإذا كنا مخطئين في تصورنا للعلاقة بين الشمس والأرض ، فربما كنا مخطئين كذلك في تصورنا للكون بأسره الذى نعيش فيه . وربما كان كوننا لا محدودا تشيع فيه " روح عالم جوهرية واحدة " ، تحقق الانسجام بين الاتجاهات المتضاربة للعوالم والقوى المتناهية .

وبهذا يتخذ **برونو** عقيدة جديدة لحياته ، هاتفا بأن رؤية الوحدة اللا متناهية تبهج عقله وتحرر قلبه من ذلك الخوف السخيف من الموت ومن المحن الأرضية ، ومن ثم فإن فلسفة الكون اللامتناهي تحل – في رأيه – محل المسيحية بوصفها السبيل الوحيد للخلاص والسعادة . وجاهر برونو بقبوله للنظام الكوبرنيكي ، فعد ذلك منه خروجا وهرطقة على الكنيسة ، فلجأ إلى جمهورية البندقية ، ولكنه – مع ذلك – حوكم سنة ١٥٩٤ ، وحكم عليه وألقي في غياهب السجن ، وبعد أن قضى فيه ست سنوات ، وهو يرفض أن يتزحزح عن رأيه ، رأى أولي الأمر بالكنيسة أن السجن لا يكفي لمعاقبته ، فحكم عليه بالموت حرقا وهو حي بتهمة الكفر والزندقة .

وقد كانت كلماته الأخيره :

" إنكم وأنتم الحاكمون علي ، أشد خوفا مني أنا المحكوم عليه ، لقد كافحت ... وهذا كثير ... أما النصر ففي أيدي القدر ، أما كيف يكون حكم القدر فالعصور المقبلة لن تنكر لي هذا ، وستحدد من منا المنتصر ، إنني لم أخش الموت فآثرت الموت على حياة الجبن "

وهكذا حرقت الكنيسة الإيطالية الراهب الدومينيكي جيوردانو برونو وهو حي سنة ١٦٠٠ ، لمجرد إيمانه بأحد الحقائق العلمية البسيطة ، وهي دوران الأرض حول الشمس ...!!

ولا ننس – ونحن في هذا الصدد – قرار مجمع الكرادلة في روما في ٢٦ فبراير سنة ١٦١٦ عندما قرر تحريم كتابات كوبرنيكوس وكبلر [49] وندبوا الكردينال بلرميني

[48] جيوردانو برونو **Jiordano Bruno** (١٥٤٨ ؟ – ١٦٠٠) راهب وفيلسوف ايطالي .

[49] يوهانس كبلر **Johannes Kepler** (١٥٧١ – ١٦٣٠) فلكي ورياضي ألماني ، وهو مكتشف قوانين حركه الكواكب الثلاثه حول الشمس ، والمعروفه باسمه الان . وقد صدر القانونين الأول والثاني في كتابه " الفلك الجديد " سنة ١٦٠٩ ، ثم إكتشف القانون الثالث بعد ذلك بعشرة أعوام .

Bellarmine ليقـرع غـاليليو غـاليلى ٥٠ عـالم الفلـك الايطـالى المشـهور ، وأبـو الأسـلوب التجريبـى ، لقيامـه بتحقيـق وتدريـس مـا جـاء بهـذه الكتـب باستخدام تليسـكوبه الـذى صنعـه بيديـه . وقـد وجـد غـاليليو غـاليلى نفسـه مخـيرا بيـن السـجن و العـذاب ، مـن جهـة ، أو التوقف عن تعليم أراء كوبرنيكوس وكبلر ، من جهـة أخـرى . والتـى تعدهمـا الكنيسـة اراء هرطقية وفاسدة . وصدع غاليليو للأمر ، إذ ما زالت صورة برونو وهو يحرق حيا قائمـة فى ذهنـه .

ثم أستدعى غاليليو مرة أخرى فى فبراير سنة ١٦٣٣ ، بعد أن أصبح شيخا طاعنـا فـى السن ، للمثول أمام مجمع الكرادلة ، ليتلقى قرار محكمة التفتيش ليعلن توبته وإرتـداده عـن أفكاره ، ويمنـع مـن الكـلام عـن حركـة كواكـب المجموعـة الشمسـية ، ودوران الأرض حـول الشمس والتـى أقام عليها الدليل بإستخدام تليسـكوباته .

وخرج غاليليو الشيخ الطاعن فى السـن مـن المحكمـة بعـد أن صـودرت كتبـه وحكـم عليـه بالسجن مدى الحياة ، ولم تشفع لـه شيخوخته فى تخفيف الحكم عليـه . وقـد روى عنـه إنـه قـال وهـو خـارج مـن المحكمـة " **ومـع ذلـك فهـى تـدور** " مشـيرا إلـى الأرض . ووضـع غاليليو فـى سجنه فـى ارشترى (**Arcetri**) ، حيث توفـى فيـه فـى ٨ ينـاير سـنة ١٦٤٢ ، وهو مكفوف البصر تماما .

وهذا هو موقف الكنيسة من الأفكار العلمية أو الفكـر المنطقـى ، وربمـا كـان هـذا الموقـف معلوم لدى الكثيرين ، ولكن كان يلزم الإشارة إليه ـ كما سبق أن ذكرنـا ـ للوقـوف علـى التواريخ الخاصـة ببداية الفكـر الفيزيـائى الحديـث ، والـذى لـم يتجـاوز الثلاثـة قـرون إلا بقليل .

ونود أن نشير هنـا إلـى أن الوضـع الغـير متمـيز لـلأرض والشـمس ، والعلاقـة بينهمـا وكـذا الشكل النهائى للكون كما ندركه اليوم من خلال الفيزيـاء المعـاصرة ، هـى إحـدى الحقـائق العابرة التى ذكرت فى القران المجيد ، ليس فقط كما جاء بها العلـم الحديـث ، بـل تعـدى هذا بإضافـات جوهريـة تمامـا لصيغـة العلاقـات الجذبيـة المتبادلـة بينهمـا ، تتعـدى مفهومنـا الحالى والنابع من الفكر الفيزيائى المعاصر مـن خـلال كـل مـن النظريـة النسـبية العامـة ، وميكانيكا الكـم [٥١] .

---

[٥٠] غاليليو غاليلى **Galileo Galilei** (١٥٦٤ - ١٦٤٢) فلكى وفيزيائى إيطالى . يعتبر أبو المدرسه التجريبيه . صنع أول تليسكوب فلكى عام ١٦٠٩ .

[٥١] أنظر الفصل الثانى ، فقرة (٦ .١١) ، لبعض التفاصيل العلمية .

والغريب عندما كان أعضاء الكنيسة يدعون إلى النظر إلى أقمار المشترى من خلال تليسكوب غاليليو ، كانوا يرفضون ذلك ، وإذا نظروا ورأوها قالوا إنها من خداع الحواس أو من خداع الزجاج ؛ وإذا تأكدوا من وجود هذه الأقمار قالوا إنها غير ظاهرة للعين المجردة ، وبالتالى فلا يمكن أن تكون لها أى تأثير على الأرض ، إذن فهى غير موجودة . وهذا هو دأبهم عند الإصرار على الرفض المطلق ... مهما كانت ثبوت الأدلة وقطعيتها . وبديهى إن هذا أيضا يعكس مفهوم الإيمان لديهم ، فهم يصرون على قبول الدين مهما كانت مضامينه ، ومهما كانت التضحيات التى يقدمونها ، حتى وإن كانت التضحية بالعقل ذاته .

وبكل أسف ، إن مثل هذا السلوك يعتنقه كثيرون الان ، كما كان يعتنقه كثيرون فيما مضى . وهو تكرار لموقف الإنسان تجاه الأنبياء عندما كانوا يدعون أقوامهم إلى الحق ، وإلى الإتجاه إلى المعرفة الصحيحة لله ـ سبحانه وتعالى ـ كما جاء فى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام :

[قال ربى إنى دعوت قومى ليلا ونهارا (٥) فلم يزدهم دعاءى إلا فرارا (٦) وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا إستكبارا (٧)]

(القران المجيد : نوح {٧١} : ٥ – ٧)

[فرارا : هروبا من نوح عليه السلام / إستغشوا ثيابهم : تغطوا بثيابهم حتى لا يروا نوح عليه السلام]

إن إلغاء العقل وإتباع الهوى ينحدر بصاحبه الى أقصى درجات الهبوط الفكرى ، ولهذا ينبهنا الله ـ عز وجل ـ إن مثل هذا السلوك ينحدر بالإنسان الى درجة أدنى من درجة البهائم ؛

[أرأيت من إتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)]

(القران المجيد : الفرقان {٢٥} : ٤٣ – ٤٤)

وبهذه الايات يلقى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الضوء على الجانب النفسى لسلوك الإنسان ، لعله يتنبه الى حقيقة تصرفاته ، ولعله يعى هذا لتدارك موقفه قبل فوات الأوان .

وما أكثر التنبيهات المتكررة للإنسان وحثه على إستخدام عقله الذى أهله الله به فطريا . وما قيمة العقل للإنسان إذا لم يهديه هذا العقل إلى المعرفة الحقة بحقيقة وجوده ، وإلى المعرفة الحقة بحقيقة الله خالقه ، سبحانه وتعالى . وفى هذا الصدد ينبهنا المولى ـ عز وجل ـ إلى ضرورة عدم الإتباع الأعمى لاباء جهلة ولا يعقلون شيئا ، فإن هذا يجعل الإنسان فى حكم الأبكم والأصم والأعمى ، وفوق ذلك فهو لا يعقل ...

[وإذا قيل لهم إتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (١٧٠) ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون (١٧١)]
(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠ - ١٧١)

٨ ـ *الخاتمة*

إننا نقف الان على مشارف القرن الواحد والعشرين ، وما زال أغلب الناس ينظرون الى الدين بعين الريبة والشك ، وهل " القضية الدينية " هى " قضية حقيقية " فعلا أم هى مجرد " قضية من صنع خيال الإنسان " ، تعكس ضعفه المتناهى أمام هذا الوجود الغير متناهى . أو أن الدين هو مجرد المحاولة المبذولة من جانب الإنسان لتبرير وجوده الغير مدرك فى هذا الوجود المدرك والغير مدرك معا ....

إن كلنا يعلم أن هذا الصرح العلمى الشامخ الذى نعاصره اليوم ، قد تم بناؤه بتعاون بنى الإنسان ، ليس فى زمن معين فحسب ، وليس فى حضارة معينة فحسب ، بل قد تم بناؤه على مر الأزمنة والسنين والحضارات ... لقد شاركنا نحن جميعا - بنى الإنسان - فى هذا البناء .... وجميعنا الان يتمتع بنتائج عمل اخرين ليس لنا بهم علاقة مباشرة . لقد تعود الإنسان على قبول العطاء على المستوى العلمى ، ولكننا لم نتعود على قبول العطاء على المستوى الدينى ... !!!

إننا شركاء فى هذا الوجود ، ولقد تشابكت اللأيدى اليوم للبحث عن الحقيقة ، ولكن إقتصر ذلك على ظاهر محدود جدا من هذه الحياة الدنيا ، وأصبح لزاما علينا - مع التطور الحالى - أن نخطوا الخطوة التالية لنتعدى ذلك المحدود إلى هذا الوجود اللامحدود ، وخصوصا بعد أن تحسن كثيرا ما لدينا من إدراك ... وأصبحت رؤيا الإنسان أكثر شمولية وموضوعية عن ذى قبل .

إن العدل الإلهى قد قضى بأن تكون " القضية الدينية " فى متناول الجميع ، فليس عدلا أن يحاسب المرء على ما لا يطيق الحكم عليه ، أو ما لا يستطيع الوصول إليه فكريا ، أو فيما هو وراء إمكانياته العقلية ، من منطلق قوله تعالى :

[لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .... (٢٨٦)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٨٦)

[ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون (٦٢)]

(القران المجيد : المؤمنون {٢٣} : ٦٢)

لقد زود الله الإنسان بقدر كاف من العقل والمنطق والملكات الفكرية اللازمة لإدراك تلك الحقيقة البسيطة ، فهل فعل الإنسان ذلك ...؟!

إن " القضية الدينية " ليست " قضية غيبية " كما نشأنا على هذا الإعتقاد الزائف ، بل أن " القضية الدينية " ـ كما سنرى ـ هى " قضية يقينية " بالمعنى الحرفى والكامل للكلمة ، يكون فيها الإنسان ... وجوده ... حاضره ومصيره ... علمه وفيزياؤه وكونياته ... ألخ ، جزئية صغيرة منها . ولإدراك ذلك مطلوب فقط التحرر من وثنيات الميراث الدينى ـ إن وجد ـ والتمسك بالعقل وما إنتهى إليه الإنسان من منطق علمى تأكدت صلاحياته على مر العصور والحضارات ، وثبت ثبوت مطلق صحة صدقه من واقع التقدم العلمى والتكنولوجى الذى نحياه ...

كما وإن على الإنسان أن يتنبه إلى أن " **القضية الدينية** " ليست " **قضية صراع بين حضارات مختلفة** " كما يرى كثيرون من محدودى النظر ، بكل أسف ، كما وإنها ليست أيضا " **قضية تبشيرية** " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها ، وهى أيضا ليست " **قضية سياسية** " لكسب أتباع ما أو أرض ما . إنما هى ـ فى الواقع ـ قضية أعم وأشمل من هذا المفهوم القاصر ، فهى ـ فى الحقيقة ـ " **قضية وجود الإنسان ومصيره هو** " . هى قضية وجود ذلك الإنسان الضعيف الذى يحيا على سطح هذا الكوكب المحدود ، كوكب الأرض ، ذلك الإنسان الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ... هذا إن لم يدركه الموت قبل ذلك ... ثم يغادر هذه الحياة الى اليقين الكامل ... ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة المطلقة ... حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ... إن لم يتنبه إلى حقيقة الغايات من هذا الوجود ... وما سوف يؤول إليه من مصير ...!!! إن على الإنسان أن يعى ويتنبه ، ألا تصل به درجة الحمق المحلى ... الى أن يطعن نفسه بنفسه ... ويهلك نفسه بنفسه ... بدون أن يدرى .

إن إدراك الحقيقة سهلة المنال ، وما على الإنسان إلا أن يتجاوز جهله المحلى ، وينصت الى صوت العقل ... وصوت العقل فقط هو الذى يمكن أن يقوده الى اليقين الكامل ... فالعقل الذى أودعه الله فينا هو الميزان الدقيق الذى يمكن به أن نفرق بين الحق والباطل ، وهو الذى ميز به الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان عن الحيوان .

إنه لم يعد من المقبول منطقيا ، وبعد أن وصلنا الى كل هذا الكم التراكمى الهائل من العلم ... ونحن نقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ولم يعد بيننا وبين النظريات الشمولية إلا خطوة على وشك أن نخطوها ، لم يعد من المقبول إطلاقا بعد كل هذا ... أن نقف تجاه الدين هذه الوقفة التى تتسم بالقصور المطلق ، والنظرة الوثنية ، متأثرين فى ذلك بفكر تجربة محدودة ، لا ينبغى أن ينسحب حكمها إلا على مساحة محدودة وضيقة من التراث الفكرى للبشرية . لذلك لا ينبغى لنا أن نقوم بتعميم نتائج تجربة خاطئة بحمق زائد فى كل قطاعات الحقيقة ، لنوصد طريق المعرفة الحقة أمام أنفسنا ونحن أحوج ما يمكن إلى المعرفة اليقينية فى هذا الإتجاه .

إن الإخوة البشرية تحتم علينا ـ كما يحتم علينا ذلك أيضا الله ـ فى أن نمد يد العون الى بعضنا البعض ، وأن نقف موقف صدق مع أنفسنا ، حيث تكون المصارحة هى غايتنا ، والعلم هو هدفنا ، وتبصرة بعضنا البعض منهاجنا ، قبل فوات الأوان ... ويكون الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .... هو ذلك الإنسان ... الظلوم لنفسه ... الجهول بحقيقة وجوده ....

يا أيها الناس ....

[قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)]
(القران المجيد : الأنعام {٦١} : ١٠٤)

الفصل الثانى

الدين وظاهرة التعدد

١ - المقدمة

بديهى أن الدين ظاهرة إجتماعية لا يكاد يخلوا منه مجتمع من المجتمعات الإنسانية قديما أو حديثا . فالحقيقة التى لا تقبل الجدل أن الدين ظاهرة إنسانية ، وهو قديم النشأة مع الإنسان ، وإن إعتناق الجماعات البشرية للدين منذ عهدها الأول بالحياة - على أى وجه وعلى أى صورة — هو حقيقة تاريخية لا شك فيها . لذلك لم تستطع أى جماعة إنسانية أن تنفصل عن الدين فى أى طور من أطوارها لا قديما ولا حديثا . وفى هذا الشأن تقول موسوعة أديان العالم [١] :

" إن المنظر الشامل للأديان فى العالم الان ، هو منظر اسر ومعقد للغاية ، فمنذ أقدم الأزمنة إلى الوقت الحاضر ما زالت المعتقدات الدينية مزدهرة ، وقد أنتجت هذه المعتقدات أعدادا لا يمكن حصرها من الشعائر والطقوس الدينية ، وذلك فى محاولة - من الإنسان - لإعطاء معنى ما ، لهذا العالم وكذا إعطاء معنى دائم لهذه الحياة . وإن المرء ليشعر بالحيرة إزاء هذا التنوع الغير محدود من المظاهر الدينية ، إذا ما ألقى المرء نظرة على أديان البشرية منذ أديان ما قبل التاريخ ، والأديان القبلية ، وحتى الديانة الإسلامية " . (إنتهى)

ولو تصفحنا - الان - تاريخ البشرية منذ أقدم العصور حتى وقتنا هذا ، لوجدنا أن أديان العالم تحتوى عددا لا يمكن حصره من الديانات والطقوس والرموز الدينية . فنجد من الناس من عبد الحيوان وألهه ، ونجد منهم من عبد الشمس ، ومنهم من عبد النار ... وتنوعت الأديان بدرجة كبيرة تدعو للدهشة .

وقد جاءت شهادة تاريخ الأديان ناطقة بأن الظواهر الدينية قد صبغت بطابعها كل مظاهر النشاط الإجتماعى والإقتصادى والسياسى خاصة عند الأمم القديمة . بل ويمكن القول بأن أصدق ما توصف به الحضارات القديمة أنها إنعكاسات للمعتقدات الدينية السائدة والشعائر التى كان

---

[١] " أديان العالم ، من التاريخ القديم إلى الوقت الحاضر " الناشر ؛ جيفرى باريندر ، ص ٥٠٨ .
" **World Religions, From Ancient History to the Present** " : Editor : Geoffry Parrinder , pp 508 .

يمارسها شعوب هذه الحضارات . ويتمثل لنا هذا في وضوح عند أمم الشرق القديمة التي قامت بها حضارات بجانب ما لها من ديانات وفلسفات خاصة ، مثل المصريين القدماء ، والهنود والفرس ، والصينيين ، والإغريق القدماء ، وما إلى ذلك من ديانات وحضارات .
غير أنه من الضرورى أن نشير هنا إلى أن ظاهرة التدين لحياة الجماعات لا تعنى أنها كانت واحدة فى كل الجماعات الإنسانية على إختلاف أنواعها ، إنما كانت الظواهر الدينية تختلف من جماعة لأخرى .

وعلى الرغم من أن الإنسان الحديث قد فشل فى تحديد تاريخ لنشأة الأديان على سطح الأرض ، إلا إنه لم يسلم بأن الدين قديم النشأة مع الإنسان ؛ لذا نراه ينكر أن فكرة الدين والتدين قديمة بقدم الإنسان ، بل ويرى فريق - لا بأس به - من العلماء والفلاسفة أن فكرة الدين والتدين قد أستحدثت على يد الإنسان نفسه ، وفى عصور متأخرة عن نشأته الأولى على سطح الأرض .
وفى هذا يقولون إن الإنسانية كانت تحيا قبل ذلك على أسس مادية صرفة قوامها الفنون الجميلة ، كالنحت والتصوير والبناء [٢] ، دون أن تتجه بتفكيرها إلى الدين أو تحاول أن تشكل لنفسها طقسا من طقوسه أو معتقداته . ولم تكن فكرة الدين فى نظر هذه الفئة ، إلا إختراعا من رجال الدين أو الكهنة أو القساوسة . وفى هذا ذهب " فولتير [٣] " كما ذهب إلى هذا " جان جاك روسو [٤] " الذى قرر فى " **نظرية العقد الإجتماعى** " ؛

" أن القانون لم يوضع إلا لخدمة مصالح الفئة الغالبة من الناس ، والسيطرة على الفئة المغلوبة ، وسلبها كل حق فى الحياة ومقوماتها الضرورية " .

فالدين فى نظر هؤلاء ليس إلا أداة لتدعيم سلطان النظم الضالة التى تنكر حقوق الإنسان فى صورتها الفردية أو الجماعية ، وتقوية هذه النظم على الضعفاء المظلومين ، وتسخير الناس لمشيئتهم ؛ وهذا ما حمل الساسة والمفكرين على تزييف أو خلق فكرة الدين ، لإيقاع الناس فى دائرة من التوهم بأن هناك قوة سماوية عليا أزلية ، تهيمن عليهم وتعدهم بالجنة جزاء صبرهم وإحتمالهم لهذا الظلم . وبديهى إن فكر كهذا يحمل فى طياته المعنى الضمنى لتعريف الدين بأنه :
" دائرة من التوهم لتمكين فئة ظالمة من البشر من ظلم أو إستضعاف الفئة الباقية من البشر "

---

[٢] أهملوا بذلك ظاهرة الموت التى تطارد الإنسان منذ ميلاده ، ونشأته على الأرض . وكذلك رؤيا الأسلاف فى المنام ، والتى توحى بوجود حياة أخرى .
[٣] فولتير Voltaire (١٦٩٤ - ١٧٧٨) ، فيلسوف فرنسى ، يعتبر أحد أكبر رجال الفكر فى القرن الثامن عشر .
[٤] جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ - ١٧٧٨) كاتب فرنسى ، كان لأراؤه السياسية أثر كبير فى تطور الديمقراطية الحديثة .

وبديهى إن هذا الفكر لم يكن إلا نتاج تجربة دينية تسمح بمثل هذا الظلم وهذا الإستضعاف . أو بمعنى اخر ، إن هذا الفكر لم يكن إلا نتاج دين أو أديان وثنية لا تعبأ بظلم الإنسان لأخيه الإنسان فحسب ، بل تقدم أيضا الإنسان ذاته قربانا على مذبح الإله ..!! وبديهى إن تعريف الدين بمثل هذا النص ، قد دفع بكثير من المفكرين والفلاسفة ليس إلى الإعراض عن الدين فحسب ، بل دفع هذا أيضا بنيتشه [٥] إلى أن يقول :

" إن الإله [٦] قد مات " ، ولا توجد آلهة تستحق التدين لها ، والدين الحقيقى هو الشجاعة ، وإن كل فرد جدير بالحياة لابد وأن يتزين بالشجاعة .

وقد أدى هذا الوضع المتردى للفكر الدينى أو لمفهوم الدين على وجه عام ، إلى نشأة عقائد كثيرة مضادة للدين (**Anti-Religion Creeds**) ، أصبحت فى جوهرها هى الأخرى أديان وثنية ، كما سنرى حالا . ومن أمثال هذه المذاهب :

الإلحاد (**Atheism**) ، واللاأدرية (**Agnosticism**) ، والفلسفة الإنسانية (**Humanism**) ، والعلمانية (**Secularism**) ، والعلمية المادية (**Scientific Materialism**) أو الجدلية المادية (**Dialectical Matrialism**) ، والشيوعية (**Communism**) ، والوجودية (**Existentialism**) إلى اخر هذه المذاهب الوضعية ...!!! وبذلك زادت وثنيات العالم ، وثنيات على وثنيات . وسنعود بشىء من التفصيل لهذه المذاهب الوضعية فى الباب الرابع .

وعندما يتكلم الغرب عن هذه المذاهب الوضعية ، فإنهم يقولون بأن أتباع هذه المذاهب لا تهاجم الأديان الأسطورية فحسب ، بل تهاجم أيضا الأديان على نحو عام ، فهى تهاجم الدين أيا كانت صورته . وربما تنبه الغرب أم لم يتنبه ، بأن جميع هذه المذاهب قد نشأت كلها فى جو من المسيحية الخالصة ، وبالتالى فإن الفكر المسيحى ، هو المسئول المسئولية المباشرة عن تولد هذه المذاهب الوضعية ونموها فى أحضان الديانة المسيحية ، مما يؤكد على وثنية أو أسطورية الفكر المسيحى بحكمهم هم . ولا يعفى ـــ الفكر المسيحى ـــ من هذا الحكم ، وجود بعض مكارم

---

[٥] فريدريك نيتشه **Friedrich Neitzsche** (١٨٤٤ - ١٩٠٠) ، فيلسوف ألمانى ، بشر بالإنسان الأعلى أو السوبرمان (**Superman**) . وقد أصيب نيتشه فى حياته بمرض سرى عجل بوفاته .

[٦] أود أن أشير هنا ؛ إنه سوف يتم إستخدام كلمة " إله " بدلا من لفظ الجلالة " الله " ـ كلما أمكن ـ فى بعض صياغات الكتاب ، وذلك حتى نتجنب إستخدام لفظ الجلاله " الله " فى وثنيات الفكر البشرى . وهذا عكس الشائع فى مثل هذه الكتابات . حيث جرى العرف على إستخدام لفظ الجلاله " الله " بدون تحفظ يذكر ، وذلك للدلالة على كلمة (**God**) فى اللغة الإنجليزية . ويستطيع القارىء (المتدين) أن يدرك الهوة الوثنية التى يمكن أن ننزلق فيها ، إذا ما إستخدمنا لفظ الجلالة " الله " فى كل المواضع بدلا من كلمة " إله " .

الأخلاق داخله ، أو قصص أنبياء ذات تاريخ حقيقى ، فالعبرة دائما فيما يتمخض عنه الدين كناتج نهائى للإتباع .

وكما سنرى ـ إنظر الفصل التالى ـ فإن هذه المذاهب الفكرية نشأت كنتيجة حتمية من تصادم الفكر البشرى مع الفكر المسيحى ، وذلك كناتج طبيعى من إحترام العقل ، وإحترام الذات ، ومنطقية التفكير العلمى التى ترسخت أصولها وقواعدها وأساليبها مع تقدم البشرية فى تحليل القضايا المختلفة . فإذا ما إلتزمنا الدقة فى التعبير ، فإننا يمكننا القول ، بأن هذه المذاهب الفكرية ـ كما تبدو ـ ليست فى الواقع **إلا** أديانا بديلة للديانة المسيحية . حتى إننا يمكن تسميتها باسمها الحقيقى وهى :

" المذاهب (الوضعية) الدينية المضادة للدين "

أو إذا أردنا أن نكون أكثر تخصيصا فإننا نسميها :

" المذاهب (الوضعية) الدينية المضادة للديانة المسيحية "

كما يمكن القول بأن هذه المذاهب هى خير شاهد ، أو هى شاهد صدق على :

- فطرية الدين والتدين لدى الإنسان .
- فشل الديانة المسيحية فى إحتواء الفكر البشرى .
- قصور الفكر البشرى فى إدراك المعنى الحقيقى للدين .

وأود أن أنبه إلى أن هذا ليس هجوما ما على الديانة المسيحية على نحو أو اخر ، ولكنه تقرير حالة عن واقع فعلى تعيشه البشرية الان . بل ويستطيع من يداخله أى شك ـ وحتى قبل أن يسترسل فى قراءة هذا الباب ـ أن يذهب مباشرة إلى الفصل الثالث ليرى المسيحية بنصوصها ، وأنبيائها ، وفكرها الإلهى من واقع الكتاب المقدس وكما يراها أهلها ، أو بمعنى أدق كما يراها علماؤها وبدون أى إضافات من الكاتب .

إن التجربة الفكرية التى خاضها المفكرون مع الديانة المسيحية ، قد إنتهت بالفشل الذريع ، وانعكس اثار هذا الفشل برفض هؤلاء المفكرين ليس للديانة المسيحية فحسب ، بل رفضوا معها كل ماهو يمت للفكر الدينى بصلة . وربما كان لهم بعض العذر فى هذا ، وليس كل العذر لأنه لا يصح تعميم أحكام عامة من واقع نتيجة واحدة لتجربة فاشلة وخاطئة معا .

فعلى الرغم من أن المظهر الخارجى لأصحاب المذاهب الفكرية الوضعية ، يوحى لهم وللاخرين ـ على حد سواء ـ بأنهم يرفضوا الدين على نحو مطلق ، إلا أنهم ـ فى حقيقة الأمر ـ شديدوا

التدين ، ولكنهم يدينون بأديان وثنية بدون وعى منهم . فالإنسان لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين فى جميع مراحل ولحظات حياته . فماذا يفعل إذن ...؟!! فليصنع الإنسان دينا وضعيا لنفسه ، أو بمعنى أدق ، فليصنع مذهبا فكريا لنفسه ليعتنقه ويتدين به ، وليقذف بالديانة المسيحية إلى مكان بعيد ...!!! ولتنسحب هذه التجربه الدينية المريرة لدى الإنسان - بدون تروى - على كل الأديان حتى وإن كان بينها الدين الصحيح ...!!!

وكما سنرى من خلال هذا الفصل ، إلى أن : " **القضية الدينية** " **ليست** " **قضية غيبية** " ، كما جرت الأعراف المتداولة بإعتبارها هكذا ، حيث الخرافة والأسطورة يمكن أن تلعب الدور الحاسم فيها [٧] ، ولكنها (أى القضية الدينية) فى الحقيقة هى " **قضية علمية كلية** " ، يحتل فيها الإنسان فيها ، وجوده ومصيره ، علمه وكونياته ، جزءا ضئيلا منها . فالوجود الفيزيائى بالمفهوم العام والعريض يعتبر " **جزئية محدودة** " من واقع متسام ، يطلق عليه إسم " **القضية الدينية** " . لذا وجب على الإنسان إعادة النظر فيما إنتهى إليه من فكر نحو الدين . كما ينبغى إعادة النظر فى التعاريف المتاحة للدين ، وهل هى تمثل التعريف الحقيقى للدين ، أم أننا مازلنا نتخبط فى جاهلية العصور الأولى للبشرية تجاه الفكر الدينى .

إن فكر هذا الكتاب ليس فكرا تبشيريا ، ولكنه عرض لحقائق الدين ، التى طال التعامل معها بإستقلالية كاملة بعيدا عن المنطق الفكرى للإنسان . ففكر هذا الكتاب لم يتجاوز فى معناه إلا تقنين وضع الإنسان فى هذا الوجود ، وإسباغ الشرعية العلمية على مضامين الفكر الدينى (أو بمعنى أدق القول بالعكس ؛ أى بمعنى إسباغ الشرعية الدينية على المضامين العلمية) . وبذلك يمكن أن ننتقل بالقضية الدينية من حيز الغيبيات ، إلى حيز اليقين الكامل الذى يمكن التحقق من صدقة على نحو مطلق .

كما يجب التنبه ، إلى أن " القضية الدينية " ليست قضية صراع بين " أيديولوجيات معينه " ، أو " قضية صراع بين حضارات مختلفة " ، كما يرى كثيرون من محدودى النظر ، بكل أسف . وهى أيضا ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها ، كما وإنها ليست " قضية سياسية " لكسب أتباع ما أو أرض ما ...!! بل هى قضية أعم وأشمل من هذا المفهوم القاصر بكثير ، فهى - فى الحقيقة - " قضية وجود الإنسان نفسه ومصيره هو " .

---

[٧] كما سبق وأن ذكرنا ، فإن الموسوعات العلمية الغربية عادة ما تقوم بتصنيف " ***الدين وعلم الأساطير :*** ***Religion and Mythology*** " فى نفس القسم من المعارف ، وكما نعلم أن الأساطير تعنى القصص الخرافية . أنظر على سبيل المثال : " ***قاموس وبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopeidc Unabridged Dictionary*** " ، ص : ١٧٠٧ . أنظر الفصل التالى من هذا الكتاب للتفاصيل .

فبديهى إن الإنسان ـ أى إنسان ـ لم يعد له من الحضارات البشرية ، كما لم يعد له من عمر الأرض ، وكما لم يعد له من هذا الوجود شيئا .... إلا عمره هو ...!! فأنه سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ـ هذا إن لم يدركه الموت قبل ذلك ـ ثم يغادر هذه الحياة الى اليقين الكامل ...!! ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة المطلقة ...!! حيث يكون هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود ، إن لم يع حقيقة وجودة والحكمة الغائية من خلقه . لذا لزم عليه إخلاص النية فى البحث عن الحقيقة المطلقة أيا كأن مكانها لضمان خلاصه أو نجاته بتحقيق الغايات من خلقه ، فقد قضى العدل الإلهى ألا نحاسب على ما لا نستطيع التمييز فيه أو إدراكه ... كما تشاء القدرة الإلهية بأن تجعل الفوارق ـ الان ـ بين الدين الحق والديانات الوثنية الموجودة على الساحة البشرية أضخم من أن تحسب ، مما يسهل معه إدراك الحقيقة بيسر بالغ ...

٢ ـ الدين والمدرسة التجريبية

على الرغم من التقدم العلمى والتكنولوجى الملحوظ الذى أحرزه الإنسان فى الاونة الأخيرة من العصر الحديث ، والذى يعكس التطور الفكرى للإنسان وقدراته ، إلا إننا نجد إن هذا الفكر يقف عاجزا تماما أمام القضية الدينيـة ، ولا يستطيع أن يجزم فيها بقرار حاسم ، حول صحتها أو بطلانها ، حول وجودها أو عدم وجودها . **بل ومازال الفكر البشرى ينظر إلى** " القضية الدينية " برمتها على إنها " قضية غيبية " فى المقام الأول والأخير ، بحيث يمكن أن تحوى أى كم من الوثنيات الفكرية ... طالما أنه لا يمكن البرهنة أو القطع بصحة المضامين الدينية الواردة فيها . وليس هذا فحسب ، بل أن تطبيق المنهاج العلمى أو المنهاج التجريبى على المضامين الفكرية الواردة بالأديان الوثنية الموجودة الان على الساحة البشرية ، لا يقطع بعدم صحتها فحسب ، بل دفع هذا بالكثيرين إلى إطلاق الحكم بإعدام " القضية الدينية " على نحو مطلق بدون ترو فى إطلاق مثل هذا التعميم . حيث يقول برتراند رسل فى هذا الصدد :

" إن القضية الدينية يجب ألا تقبل إلا إذا كان لها سند كالسند المطلوب فى القضية العلمية "

ولما لم يجد برتراند رسل [٨] ، مثل هذا السند المطلوب فى القضية الدينية (المسيحية) ، قام باعتناق مذهب اللاأدرية ، وأصبح واحد من أشهر معتنقيه .

---

[٨] (لورد) برتراند راسل : **Lord Bertrand Russel** (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، رياضى وفيلسوف إنجليزى . من آثاره " تحليل المادة : The analysis of Matter " (عام ١٩٢٧) . ويعتبر ـ برتراند رسل ـ من زعماء الفلسفة الوضعية (Positive Philosophy) ؛ وهى من المذاهب التجريبية التى لا تعترف إلا بالواقع المحسوس ، ولهذا ترد المعرفة إلى التجربة ، وترفض المفاهيم الميتافيزيقية العامة .

ويقول ديفيد هيوم [9] رائد المدرسة التجريبية ، بأن المعرفة المتبادلة بين الناس يستحيل عقلا أن تخرج عن المعرفة الرياضية [10] أو المعرفة الفيزيائية [11] ؛ أما ما عدا ذلك فلا يكون من المعرفة فى شىء ، حيث أننا نقبله كتعبير فنى فى قصيدة شعرية مثلا ، أو إنفعال ذاتى لا يقصد به معرفة موضوعية يجوز الجدل والمراجعة فيها ، على أن يكون الحكم فى قبولها أو رفضها هو الناقد الفنى لا صاحب المنطق العقلى . ويقول ديفيد هيوم فى ختام كتابه :

" بحث فى الفهم البشرى : An Enquiry Concerning Human Understanding "

" إننا إذا إستعرضنا المكتبات بهذه المبادىء (أى المعرفة الرياضية والمعرفة الفيزيائية) فيالها من إبادة تلك التى نضطر الى فعلها ..!! فلو تناولنا مثلا " كتابا فى اللاهوت [12] أو المتافيزيقا المدرسية ، وسألنا أنفسنا ؛

هل يحتوى هذا الكتاب على تدليلات بالكم والعدد ؟ لا ...

هل يحتوى على تدليلات تجريبية خاصة بأمور الواقع ؟ لا ....

إذن فألق بهذا الكتاب فى النار لأنه يستحيل أن ينطوى على شىء غير سفسطة ووهم [13] " .

وهكذا يرى فلاسفة الغرب أن تطبيق المنهاج العلمى على كتب اللاهوت المسيحى لم تثمر عن أى فكر رياضى أو فيزيائى يستحق الإهتمام ، وبالتالى فهى كتب سفسطة يجب التخلص منها

---

[9] ديفيد هيوم **David Hume** (١٧١١ – ١٧٦) فيلسوف أسكتلندى (ومؤرخ) . نشر كتابه الرئيسى الذى يحوى لباب فلسفته كلها قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين . ويعد هيوم أبا لحركة فلسفية تعاصرنا اليوم وتعرف بإسم " **الفلسفة الوضعية المنطقية** " حينا وبإسم " **الفلسفة التجريبية العلمية** " حينا آخر .

[10] **المعرفة الرياضية** : وهى معرفة تنحصر أطرافها فى فكر الفرد ، وهى تمثل علاقات منطقية متبادلة بين فكرة وأخرى ، كأن يدرك الفرد إن إحدى الفكرتين نتيجة تلزم عن الأخرى . فمثلا إذا أخذنا " مثلث " وهو شكل مستوى محوطا بثلاث أضلاع ، إذن فلابد إن يكون له ثلاث زوايا ، وأن مجموع زواياه يساوى الزاوية المستقيمة (أى ١٨٠ درجة) ، وأن الضلع الأكبر يواجه الزاويه الكبرى ، .... وهكذا . هنا تكون النتائج التى نصل إليها " يقينا " حتى ولو لم يكن فى العالم بأسره مثلث واحد . إذ إننا فى الواقع نحلل الفكرة وننظر إليها من زوايا مختلفة ، كمن يكرر الفكرة عدة مرات . وهذا هو عين المنهاج الرياضى . وبالتالى فإن الإستدلالات الرياضية يقينية النتائج ، إذا ما صحت خطوات الإستدلال . وبذلك لا عجب أن تصبح الرياضة كلها براهين ذاتية يمكن ردها الى الصورة " أ هو أ " أو " أ = أ " ، وبالتالى فلا مكان للخطأ فيها طالما أن خطوات الإستنباط الرياضى فيها صحيحة . أما ؛

[11] **المعرفة الفيزيائية** : فهى المعرفة المستمدة من أرض الواقع ، فهى تعنى بوصف العالم الخارجى بما فى ذلك الظواهر الطبيعية . فمثلا إننا نعلم أن " البرودة تجمد الماء " وأن " السباع لا تأكل العشب " وأن " الأجسام تتجاذب بقانون الجذب العام " ، حيث أن الفكر الخالص وحده ليس بقادر على أن يعلم بأن البرودة تجمد الماء ، وأن السباع لا تأكل العشب ، وأن الأجسام تتجاذب بهذا النحو ؛ بل لابد لنا من الخبرة المستمدة من المشاهدة المباشرة والحواس لإدراك ذلك . حيث أن الفكر الخالص غير المعتمد على الخبرة الحسية ليس لديه ما يمنع من أن يتصور عكس ذلك أو نقائض هذه الأمور مثل " البرودة تذيب الثلج " وأن " الأسود تأكل العشب " وأن " الأجسام لا تتجاذب " ، .... وهكذا . فالذى حملنا على ما نقوله عن وقائع الطبيعة هو الخبرة الحسية التى أحاطتنا بما يقع نتيجة الملاحظة المباشرة .

[12] **كتب اللاهوت** هى كتب شروح العقيدة المسيحية التى تناقش طبيعة السيد المسيح الإلهيه (أنظر الفصل التالى) .
[13] " **ديفيد هيوم** " – د. زكى نجيب محمود ، دار المعارف . ص : ١٠ – ١٣ .

بإلقائها فى النار . ولكن هل معنى ذلك أن **ديفيد هيوم** كان ينكر التصديق بوجود الإله ؟ .. لا ... بل كان يؤمن بوجود الله ، ويعتبر التصديق بوجوده جزء من الفطرة البشرية التى لا يمكن الإنفصال عنها ، ولهذا نجده يقول [١٤]:

" إن عواطفنا ودوافعنا العملية ترغمنا بقوة على التصديق بوجود الإله ، حتى لو كان التحليل الفلسفى يؤكد لنا إفتقارنا فى وسائل الإرتقاء الى معرفة تتسم بيقين برهانى له ، ويرجع ضرورة الإعتقاد فى الله الى الميل الذاتى فى طبيعتنا (يقصد بذلك الفطرة) أكثر من رجوعها الى طابع القهر الذى تنطوى عليه بينة النظام الكونى ، والتدبير الباطن الذى يكشف عنه العقل "

وقد كان يطيب لهيوم أن يستشهد بسينيكا (Ceneca) [١٥] فى قوله : " إن معرفة الله معناها عبادته [١٦] وليس معنى هذا أن معرفة الله تدفعنا الى القيام بشعائر العبادة ، بل معناه أن المعرفة النظرية هى بذاتها جوهر العبادة ، ولا شىء سواها " .

وهكذا كان ديفيد هيوم (رائد المدرسة التجريبية) يرفض الفكر الدينى ، أى الديانة كما جاءت بها كتب اللاهوت المسيحي ، لأنها تتعارض مع الفكر الرياضى والفكر التجريبى ، أو بمعنى اخر لأنها تتعارض مع المنهاج أو المنطق العلمي ولا تتفق معه ؛ بينما كان يقرر فى نفس الوقت أن فطرية الله فى النفس البشرية أمر حتمي وقدرى حتى وإن إفتقرنا إلى وسائل الإرتقاء لمعرفة البرهان اليقينى له .

وبديهى إن فكر ديفيد هيوم هذا ليس بدعة ، ولكنه إتجاه عام لدى قطاع كبير من البشرية ، ففى الواقع إن هذا الفكر يمثل ثلث الأنماط الفكرية المحتملة للبشرية بأسرها (كما سنرى فى بند تالى) . وبديهى أن النتيجة الطبيعية لهذا النمط الفكرى هو :

" إن الله لا يمكن أن يعبد بأى دين ، إذا ما أخذ العقل فى الإعتبار "

وإلا إستطاع ديفيد هيوم أن يحتفظ بالدين المسيحى ليعبد به الله . أو بمعنى اخر ، إن الدين الذى تناوله ديفيد هيوم لم يؤد إلى أو لم يفد فى معرفة " الله " فى شىء ، وبالتالى أصبح لا يمكن الإحتفاظ به كطريق يؤدى الى معرفة معقولة عن الله .

---

[١٤] " الله فى الفلسفة الحديثة " جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ١٧٢ .

[١٥] لوسيوس أنايوس سينيكا **Lucius Annaeus Ceneca** (٤ ق. م. ؟ – ٦٥ م.) خطيب وزعيم سياسى رومانى . وضع عدد من المؤلفات الفلسفية والمسرحيات التراجيدية .

[١٦] قارن هذا مع ما ورد ذكره فى القرآن المجيد : [**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)**] (الذاريات {٥١} : ٥٦) .

٣ـ الدين والتحليل النفسى

يقول سيجموند فرويد [١٧]:

" إن الدين ينبع من عجز الإنسان فى مواجهة قوى الطبيعة فى الخارج ، والقوى الغريزية فى الداخل . وقد نشأ الدين فى مرحلة مبكرة من التطور الإنسانى عندما لم يكن الإنسان يستخدم عقله بعد فى التصدى لهذه القوى الخارجية والداخلية . وهكذا بدلا من التعامل مع هذه القوى عن طريق العقل ، نجدة يتعامل معها " بعواطف مضادة " أى بقوى وجدانية أخرى ، تكون وظيفتها هى الكبت أو التحكم فيما يعجز عن التعامل معه عقليا [١٨]. "

(وكما سنرى حالا إن الدين هو ـ فى الواقع ـ " قضية عقلية بحتة " ، أو بمعنى اخر هو " قضية علمية كلية " ، بينما الطبيعة أى القوى الخارجية والداخلية هى " قضية علمية جزئية " أى أن الطبيعة هى حالة خاصة جدا من الحالة العامة ألا وهى " الدين " ، مما يعكس جهل فرويد بالدين وبتعريفه ، وهو ناتج طبيعى أيضا لتجربته مع الأديان المتاحة لديه وهما الديانتان اليهودية والمسيحية ، حيث كان فرويد ـ نفسه ـ يهوديا) .

ويضيف " فرويد " :

" بأن الدين هو تكرار لتجربة الطفل مع والده ، فيتعامل الإنسان مع القوى المهددة له بنفس الطريقة التى تعلم بها وهو طفل أن يتعامل بها مع شعوره بعدم الأمان ، وذلك بالإعتماد على والد يعجب به ويخافه . ويقارن " فرويد " بين الدين وعصاب الإنحصار [١٩] (**Obsessional neurosis**) الذى نجده عند الأطفال . فالدين فى رأيه عصاب كلى أو جماعى (**Collective neuroses**) تسببه ظروف مماثلة للظروف التى تحدث عصاب الطفولة . وفى هذه العملية ينمى الأنسان ، ما يطلق عليه " فرويد " إسم "**الوهم**" ، وهذا الوهم تؤخذ مادته من تجربة الأنسان الخاصة عندما كان طفلا . إذ يتذكر الإنسان حين يواجه قوى خطرة لا سبيل الى السيطرة عليها أو فهمها ، فيتذكر الإنسان ويعود القهقرى الى تجربة مر بها وهو طفل ، حينما كان أبوه يحميه ، أبوه الذى يعتقد أنه أوتى حكمة عالية وقوة ، وهو يستطيع أن يكسب حب أبيه ، بإطاعة أوامره ، وتجنب نواهيه ؛ وبهذا يتجه الناس إلى تكوين فكرة " **الإله** " .

---

[١٧] سيجموند فرويد Sigmond Frewd (١٨٥٦ – ١٩٣٩) طبيب أمراض عصبية نمساوى ، مؤسس المدرسة التحليلية فى الطب النفسى (**Psycho-analysis**) .

[١٨] " الدين والتحليل النفسى " د. أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ١٥ / ١٦ .

[١٩] مرض عصبى يعنى إستحواذ فكرة ما أو عاطفة ما على الطفل بشكل مرضى .

كما يرى فرويد إن الدين يقوم بتعليم الناس الإعتقاد فى " **وهم** " ، **بتحريم التفكير النقدى** . ويقول فرويد : إن كبت التفكير النقدى فى نقطة معينة يؤدى الى إفتقار قدرة الشخص النقدية فى مجالات أخرى من الفكر ، **ومن ثم يعوق قوة العقل** .

(وهكذا تنحصر خبرات فرويد ـ مرة أخرى ـ فى تجربة الفكر البشرى مع الديانتين المسيحية واليهودية ، حيث لم يتجاوز وصفه إلا ناتج هذه التجربة ، ورؤيته لصراع الكنيسة وحجرها على تطور الفكر البشرى ـ أنظر الفصل الأول بند ٨ ، والفصل الثالث لمزيد من التفاصيل) .

ويرى فرويد أن المثل والقيم : كالعقل ، وتخفيف العذاب على الإنسان ، والأخلاق جميعها مهددة من الدين . وهو يعترض على ربط الدين بالأخلاق لسببين :

السبب الأول : أن الدين يضع أسسا مهزوزة أشد الإهتزاز للأخلاق [٢٠] .
أما السبب الثانى : ففى رأيه أن الإعتقاد الدينى فى سبيله الى الإنحلال ، لذا فإن الإرتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدى بالتالى إلى تحطيم قيمنا الأخلاقية ، عندما ينتهى الدين من حياتنا .

وهكذا ؛ فالمتأمل فى فكر ونصوص " فرويد " ، يجد أنها تعكس ـ فى الواقع ـ تجربته الشخصية مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، وإنسحبت كل تحليلاته على نصوص وفكر هاتين الديانتين ، ورد الفعل العام لدى الأفراد تجاههما .
ولهذا تمثلت جهود فرويد المبذوله فى إيجاد تفسير معقول لسلوك جحافل من البشرية ـ مفترض فيها الذكاء والعقل ـ تجاه دين أو أديان وثنية مليئة بالمتناقضات وبقيم أخلاقية فى الحضيض ، ومع ذلك تصر هذه الجموع البشرية على الإحتفاظ بالدين ، وبهذه المتناقضات مهما كلفها ذلك من ثمن ، حتى لو كان هذا الثمن هو التضحية بعقلها ، أى بعقل الإنسان ذاته ...!!!

فكيف هذا ...؟؟!! كيف يقوم هذا الإنسان ـ ذلك الكائن العاقل المتعقل أى المنطقى ـ بقبوله طواعية لمتناقضات صارخة ووثنيات متردية ، تتناقض تناقضا واضحا وصارخا ، مع الفطرة النقية التى خلق عليها الإنسان ، ومع الفكر والمنطق الإنسانى ... ؟؟!! ثم كيف يصر الإنسان هذا الإصرار الغريب على الإحتفاظ بمثل هذه المتناقضات والوثنيات المتردية ... ؟؟!! ولا يقوى الفكاك أو التحرر منها ، بل ويسلم ـ طواعية ـ بالإحتفاظ بهذا كله على أنها حقائق لا تقبل الجدل ...!!!

---

[٢٠] أنظر الفصل الثالث لرؤية إلى أى مدى الإنحدار الخلقى الذى تجىء به المسيحية واليهودية .

فبديهى لابد وأن يكون هذا المنظر بالنسبة لفرويد ، وبالنسبة إلى علماء النفس ، سواء القدماء منهم أو المعاصرين ، محيرا للغاية... !!! وكان السؤال الملح على خاطر الجميع هو ... كيف يمكن إيجاد تفسير معقول لمثل هذا السلوك الإنسانى ..؟؟

ويتخبط الجميع (جميع علماء النفس) فى تحديد الدوافع وراء هذا السلوك البشرى ...!!!

ففرويد ـ كما رأينا ـ قد رأى أن الإنسان يسهل عليه الإحتفاظ بالأديان الوثنية ، بإعتبار أن الدوافع السلوكية للأنسان تجاه الدين ، تماثل الدوافع السلوكية للطفل تجاه أبوه ، وبهذا إحتفظت البشرية بالمنهاج الدينى الوثنى كنوع من الإمتداد للفكر الطفولى لدى الإنسان .

بينما يرى بعض علماء النفس المعاصرين ، أن قدرة الإنسان على الإحتفاظ بالديانات الوثنية ، ترجع ـ فى الواقع ـ إلى أن الإنسان يملك " **القدرة على التبرير** " ، وأن هذه القدرة هى جزء من الطبيعة البشرية ، وبهذه الطبيعة يصبح الإنسان قادرا على قبول أشياء بعيدة عن الأمر الواقع ، أو بعيدة عن العقل [٢١] بسهولة ويسر .

وكما سنرى حالا ، لا فرويد قد وفق فى فهم معنى الديـن ، ولا علماء النفس ـ الغربيين ـ قد وفقوا إلى فهم معنى الدين ، حيث أن تجربتهم الدينية لا تسمح لهم بهذا ، وبالتالى لم يوفقوا ـ كلاهما ـ إلى فهم الدوافع البشرية وراء هذا السلوك الجماعى للبشرية على قبول الديانات الوثنية .

وعموما ، كما سنرى فإن فكر فرويد ، شأنه فى ذلك شأن غالبية علماء النفس الغربيين ، فى تفسيره للسلوك الجماعى للبشرية تجاه الديانة الوثنية ، لم يتجاوز رد الفعل الطبيعى للفكر الإنسانى تجاه الديانتين اليهودية والمسيحية ، وإستبداد وحكر الكنيسة على هذا الفكر البشرى ، وذلك على مدى القرون الطويلة السابقة لحركة التنوير ، وقيام الكنيسة بتجريد العقل البشرى من أثمن ما يتميز به ، وهو القدرة على التمييز بين المتناقضات ، مثل الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، والخير والشر ... إلى اخره . وعندما أراد الفكر البشرى التحرر من قيود الكنيسة وسيطرتها ، كان عليه أن يدفع ثمن هذا ... دماء ... ودماء ... ودماء على يد محاكم التفتيش الدينية ، وكان جميع أعضائها من رهبان الكنيسة ، كما سبق وأن أشرنا إلى جانب من ذلك من الفصل السابق (أنظر الفصل الأول بند : ٨ ، والفصل الثالث لمزيد من التفاصيل) .

---

[٢١] أنظر بند ١٢ : " ظاهرة التبرير أو التداخل والتضحية بالعقل " ، وذلك لإستكمال مناقشة الدين وعلم النفس .

وأخيرا لابد لنا أن نشير هنا ، إلى أنه لا ينبغى أن يفهم من فكر فرويد على أنه تفسير لقبول الإنسان للدين على نحو مطلق ، بل هو — فى الواقع — يمثل تفسير لظاهرة قبول الإنسان للديانات الوثنية .

ونكرر القول هنا ، أن فرويد كان يحاول أن يجد تفسيرا لموقف الإنسان المتناقض مع نفسه ؛ فالإنسان فى الجانب الواقعى تجده كائنا عاقلا متعقلا (أى منطقيا) ، بينما تجده فى جانب الديانة الوثنية كائنا فاقدا لعقله ومنطقه معا . فكيف يمكن له حل مثل هذا اللغز ..؟؟
وهذا هو ما ذهب إليه فرويد لتفسيره ، شأنه فى ذلك شأن بعض علماء النفس ، ليس إلا . لذا يجب النظر إلى فكر فرويد بشكل متكامل ، بناء على هذا المفهوم . أى لا تؤخذ النتيجة التى قال بها فرويد (أى تماثل سلوك الطفل أمام أبيه ، مع سلوك الإنسان أمام الدين) على أنها تفسير لقبول الدين على نحو مطلق ، بل إن هذا يمثل فقط تفسير قبول الإنسان للدين الوثنى . ولما لم يكن أمام فرويد إلا أديانا وثنية ، فقد عمم رأيه بطريق الخطأ على الدين الحق كذلك ...!!!

ثم تبقى كلمة أخيرة ، وهى إن وجد ذلك الإنسان المفكر فى الجانبين ، أى فى الجانب الواقعى وفى الجانب الدينى معا ، فإن رأى فرويد سوف يفقد صحته . فرأى فرويد مبنى أساسا ، على وجود إنسان غير مفكر فى الجانب الدينى ، وإنسان مفكر فى الجوانب غير الدينية .

وعموما ؛ سوف يعرض هذا الكتاب فى الصفحات التالية ، الدوافع وراء كيفية قبول الإنسان للديانات الوثنية ، وما نقدمة هنا — على صفحات هذا الكتاب — لإثبات صحة ما نقول ، ليس من باب القضايا الجدلية ، التى يمكن أن تقبل فيها تعدد الآراء ، كما هو الحال فى المناطق الفلسفية حيث لا توجد بها حقيقة مطلقة ، ولكن ما نقدمة هنا هو نوع من الحقائق العلمية التى لا تقبل الجدل ، بل أن البرهان القائم عليها يتجاوز البرهان اللازم لبرهنة أى قضية فيزيائية كبرى ، والذى يمكن ملاحظة نتائجة والتأكد من صحته معمليا وبشكل مطلق ومباشر ....

أما عن كيفية نشأة الدين عند الإنسان ، فيعرض فرويد رأيا فى غاية من السذاجة والغرابة معا ؛ ففى عام ١٩١٣ قدم فرويد نظرية عن " **نشأة الدين** " عند البشرية فى كتابه " **الطوطم والتابو (أى الوثن والمحرم)** **Totem and Taboo :** " ، حيث إعتمد فرويد فى نظريته هذه — كما يقول — على معلومات مستقاة من ملاحظة سلوك بعض قبائل الباسفيك ، ومن سلوك جماعات من قطعان الحصان البرى وقطعان الماشية [٢٢]. وتقول هذه النظرية :

[٢٢] لاحظ الجمع بين سلوك الإنسان والحيوان معا فى الإستدلال على صحة نظريته الدينية .

" بأنه فى الأزمنة القديمة كان هناك أب قوى لأحد القبائل الرحل ، يحتفظ لنفسه بكل نساء القبيلة ، وكان يقوم بطرد أبنائه الذكور من القبيلة عندما يكبرون ويصلون إلى سن النضج الكافى ...
وتجمع الأبناء المطرودين فى النهاية ، ثم إتحدوا فى أحد الأيام ، وقاموا بقتل أبيهم المستبد هذا ... ثم قاموا بعد ذلك بإقتسام نسائه [٢٣] فيما بينهم . ويضيف فرويد ، أنه بعد أن تم للأبناء هذا ، قاموا بإلتهام ضحيتهم (جثة أبيهم) ، وبهذا قد حققوا ذاتهم على هذا الأب المستبد ومصدر خوفهم . وإعتبروا أنفسهم بأكل جثة أبيهم ، قد نالوا قوته ، وفى نفس الوقت يكونوا قد مجدوه إذا ما إحتفلوا بهذه المناسبة بشكل متكرر فى صورة إحتفال مهيب أو عيد متكرر .
ثم قاموا ـ بعد ذلك ـ بصنع أوثان (**Totems**) لحيوانات مختلفة ، كرموز على قوة الأب ، كما إعتبروا أنه يمكن إحياء ذكرى جريمتهم هذه ، بالإحتفال بها فى صورة أعياد تقام فيها الشعائر ، وتقدم فيها الأضاحى لتؤكل " .

وهذه هى قصة نشأة الدين لدى سيجموند فرويد ... أشهر علماء النفس ...!!! وتعلق " **موسوعة أديان العالم** [٢٤] " على هذه القصة الساذجة فتقول :

" ليس هناك أى دلائل تاريخية تشير إلى صدق هذه القصة العجيبة ، التى قال بها فرويد ، والتى تثير الدهشة حقا . فقد أخطأ فرويد فى فكره تماما عندما قال إن الأقوام البدائية يأكلون أوثانهم المقدسة (**Their Totems**) . فلا يوجد ـ فى العالم ـ إلا حالة واحدة قد سجلت لإحدى القبائل البدائية فى أستراليا ، هى التى تقوم فيها القبيلة بإلتهام وثنها المقدس . ولم يعرف بالضبط سبب قيام القبيلة بالإحتفال على هذا النحو .
كذلك لا يوجد أى دليل تاريخى ، أو أى دلائل أخرى فى آثار الحضارات القديمة ، أو أى دليل اخر فى أى مكان لفرضية أن الدين قد بدأ فى البشرية ، بهذا الهجوم القاتل من أبناء غيورين ، على أب قاس ، وقيامهم بقتله .
كذلك لا يوجد أى دليل آخر ، يشير إلى أن الدين قد بدأ فى منطقة معينة ، أو فى مكان ما على سطح الأرض ، وإنتشر منها إلى الأجزاء الأخرى من العالم . "

وتضيف " موسوعة أديان العالم " قائلة : أن عالما كبيرا كفرويد قد ضل ضلالا بعيدا فى فرضيته هذه عن أصل الدين . كما ضل ، من قبل ، فى تفسيره لتاريخ النبى موسى (عليه السلام) .

---

[٢٣] المفروض أنهم أمهاتهم .
[٢٤] " أديان العالم ، من التاريخ القديم إلى الوقت الحاضر " الناشر : جيفرى باريندر ، ص : ١٣ – ١٤ .
" **World Religions, From Ancient History to the Present** " ; Editor ; Geoffry Parrinder, pp 13-14 .

٤ ـ الأنماط الفكرية والتدين المستتر أو الزائف

لقد ذهب الإنسان يبحث عن الإله ... فوجده فى الدين . ففى الدين يذكر الإله ، وفى الدين يعرف الإله ، وفى الدين يعبد الإله ، **فإعتقد الإنسان ـ خطأ ـ أن الدين مصدر الإله** . ولكن من هو الإله فى الدين ... ؟!! لقد وجد الإنسان الإله فى الدين فى وضع متردٍ للغاية (أنظر الفصل الثالث لمزيد من التفاصيل لما تجيء بـه الديانتان اليهودية والمسيحية عن الإله) . فقد وجده الإنسان إلها مسكينا إجتمعت فيه كل النقائص البشرية ، لتهوى بـه من عليائه إلى الحضيض الفكرى المقزز ....!!!

وكان على الإنسان إما أن يرفض " **الدين والإله** " معا ، ويعرض عنهما لما جاء بـه الدين من وثنيات فكرية عن الله ، وإما أن يحتفظ الإنسان بالإله وبفكرته ـ الفطرية ـ عنه من كمال وإستعلاء إلهى ، ويرفض " **الدين** " فقط وما جاء به من وثنيات وتطاول على الله . ولكن الإنسان ـ كما سنرى حالا ـ لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين فى جميع مراحل ولحظات حياته . فماذا يفعل إذن ؟ !! فليصنع الإنسان لنفسه دينا وضعيا ، أو بمعنى أدق ، فليصنع مذهبا فكريا لنفسه ليعتنقه ويتدين به ، وليقذف بالديانة المسيحية إلى مكان سحيق ...!!

ولتنسحب التجربة الدينية المريرة لدى الإنسان ـ بدون ترو ـ على كل الأديان حتى وإن كان بينها الدين الصحيح . وبهذا لم يصب الإنسان فى حكمه هذا ... ؟!!

ولكن السؤال الآن ... هل هذه المذاهب الوضعية هى أديان (مقنعة) ، أم إنها مجرد فكر موضوعى وليس تدينا ما ؟؟!! وللإجابة على هذا السؤال ؛ نقول أن الواقع يبرهن لنا على أن المذاهب الوضعية ـ ببساطة شديدة ـ هى فى جوهرها أديان حقيقية بالمعنى العريض للكلمة ، بالنسبة للإنسان ، ولكنها ـ فى الواقع ـ أديان وثنية هى الأخرى . وربما خير دليل وشاهد على هذا ، هو المذهب الشيوعى الذى إعتنقته دولة الإتحاد السوفيتى سابقا ، ووضعته فعلا موضع التطبيق الفعلى داخلها . فماذا كانت نتيجة هذا المذهب ... ؟؟!! لقد سلكت الدولة بهذا المذهب ، كما سلك به الإنسان ـ بوعى منهما أو بدون وعى منهما فهذا لا يهم ـ نفس السلوك الذى يتبعه الإنسان والدولة تجاه الدين ، كما تقول بهذا موسوعة أديان العالم :

" ففى الواقع ؛ **أخذت الشيوعية الطابع الدينى** أو الديانة المستترة بالنسبة إلى المجاميع الصغيرة ، أو فى مؤسسات الشعب العامة . ففى الحقيقة ، لقد وقعت هذه الشعوب فى فخ العقيدة بدون أن تدرى . فعلى سبيل المثال ؛ فإن عروض الدولة الضخمة تشبه إلى حد كبير الإحتفالات الدينية ، وكان يحدث هذا بشكل واضح فى روسيا سابقا . وكذلك مؤسسى النظام أو اباء الشيوعية أو

معلميها قد تم تأليههم ، وأصبحت تماثيلهم وكذا صورهم توضع فى الميادين العامة ، وفى معظم المكاتب الحكومية (وهو ما يحدث أيضا فى الأنظمة الدكتاتورية على نحو عام) ، والمبانى الخاصة ، وأصبحت هذه التماثيل والصور بمثابة الرموز الدينية (أى الأيكونات : **Icons**) . كما أصبحت قبورهم مزارات أو أماكن للحج ، حيث يقف الناس فى طوابير لساعات طويلة جدا لإلقاء نظرة على جثمان مؤسسى هذا النظام .

وكذلك أصبحت كتب الشيوعية تأخذ طابع التوقير والتقديس ، وتعامل وكأنها كتب معصومة من الخطأ ، وكان هناك إيمان شيوعى بأن هناك عصر ذهبى سوف يأتى ، وهو عصر المساواة والسلام . وهذا الإيمان مماثل للإيمان المسيحى واليهودى بالأخرويات ، وبمعنى البعث والحساب . وبذلك أصبح للمجتمعات الشيوعية (روسيا سابقا) والصين ، الأساطير والرموز الخاصة بها والتى تشبه إلى حد بعيد الأساطير والرموز الدينية فى الأديان الوثنية الأخرى " .

وفى هذا الصدد يسأل اريك فروم [٢٥] :

هل لدينا " **طوطمية : Totems** " [٢٦] فى حضارتنا المعاصرة ؟ ويجيب فيقول ، نعم لدينا حظ كبير منها . وإن كان من يكابدون منها لا يعتبرون أنفسهم فى حاجة إلى معونة " الطب النفسى" . فالشخص الذى يكرس نفسه تكريسا تاما للدولة أو لحزب سياسى ، حيث يكون معياره الوحيد للقيمة أو للحقيقة هى مصلحة الدولة أو الحزب ، كما يجعل من علم الدولة أو الحزب رمزا مقدسا ؛ مثل هذا الشخص - فى الواقع - يعتنق دينا قبليا ، ويتعبد بعبادة طوطمية ، وإن إعتقد أنه يعتنق مذهبا عقليا لا غبار عليه (وهذا بالطبع ما يعتقده كل المؤمنين بأى نوع من أنواع الديانات البدائية أو الوثنية) .

ويضيف قائلا : فإذا أردنا أن نفهم كيف تمتلك بعض النظم كالفاشية [٢٧] ، أو الستالينية [٢٨] ، ملايينا من البشر على إستعداد للتضحية بتكاملهم وعقلهم للمبدأ القائل " **وطنى مخطئا أو مصيبا** " ، فلا مناص لنا من أن ننظر فى نزعتهم الطوطمية ، والصبغة الدينية التى يتسم بها توجيههم .

ويضيف اريك فروم فيقول :

---

[٢٥] " الدين والتحليل النفسى " د. أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٣٣ .

[٢٦] **الطوطم : Totem** ؛ هو أى وثن تتخذه القبيلة أو العشيرة أو مجتمع ما رمز لها . وهذا الوثن يكون على هيئة صورة ما ، أو رمز خشبى ، أو تمثال ، أو طير ، أو خلافه . وعادة ما يقوم القوم بتقديس هذا الطوطم ، أو حتى عبادته . ويؤدى نفس المعنى تماثيل أبطال الشعوب الشيوعية وصورهم ، التى تعلق أو توضع فى الميادين العامة .

[٢٧] الفاشية : **Facism** ؛ هو نظام دكتاتورى (تسلطى) صارم ، يتحكم فى المجتمع والإقتصاد .

[٢٨] الستالينية : **Stalinism** ؛ هى التطبيق لمبادىء الماركسية - اللينينية (الشيوعية) فى فترة حكم ستالين (١٩٤١ - ١٩٥٣) فى الإتحاد السوفيتى ، ودول وسط أوربا الإشتراكية .

ومن أشكال الوثنية الحديثة ، شكل جماعى متغلغل نجده فى عبادة السلطان والنجاح ، وفى سلطة السوق . ولكننا نجد إلى جانب هذه الأشكال الجماعية شيئا اخر . فلو أننا خدشنا سطح الإنسان الحديث لإكتشفنا عددا من الأشكال الفردية البدائية للدين . وكثير من هذه الأشكال تسمى أمراضا عصابية ، بيد أن المرء يستطيع أن يسميها أيضا ـ دون أن يجانبه الحق ـ بأسمائها الدينية : كعبادة الأسلاف ، والطوطمية ، والطقوسية ، وعبادة الطهارة .. إلى اخرة .

وهذا هو الإنسان ، ذلك الظلوم لنفسه والجهول بحقيقة وجوده ، والذى لم يستطع أن ينفصل عن الدين والتدين ، فماذا فعل ؟؟!! لقد صنع الإنسان لنفسه مذهبا فكريا ليعتنقه ، أو بمعنى أدق لقد صنع الإنسان لنفسه دينا وضعيا ليتدين به ، ووثنا يعبده ... يخلد إليه .. ويتظاهر أمامه بالسكينة ... وهو لا يعى أنه هالك فى النهاية ... !!!

٥ ـ الفطرة والحد الأقصى للمعرفة الإلهيه

يقول رينيه ديكارت [٢٩] ، مؤسس الفلسفة الحديثة ، عن فطرية وجود الله فى النفس البشرية :
" من المؤكد إننى أجد فى عقلى فكرة الإله ، فكرة كائن كامل كمالا مطلقا ، وهى فكرة لا تقل وضوحا عما أجده فى عقلى من أشكال أو أعداد مختلفة . كما إنى أدرك وجودا فعليا أبديا ينتسب إلى الله ، تماما كما أدرك أن الأعداد والأشكال تنسب كل منها إلى طبيعتها الخاصة . وليس معنى ذلك إن تفكيرى يستطيع أن يأتى بهذه النتيجة أو أن يفرض ضرورتها على ، بل العكس إن ضرورة وجود الإله هى التى تفرض أن تكون لدى هذه الفكرة عن وجود الله [٣٠] "

أما الراهب الألمانى مارتن لوثر [٣١] :
" فإنه يسلم بأن البشر جميعا يمتلكون نصيبا من المعرفة الطبيعية بوجود الله . وبأن هذه حقيقة فطرية من حقائق العقل " ، وكان يقول : " مع أن العقل الطبيعى يستطيع أن يعرف أن الله موجود ، إلا أنه لا يستطيع أن يحدد عن يقين من هو ، وماذا يكون فى طبيعته الخاصة " . فقد

---

[٢٩] رينيه ديكارت **Rene Decartes** (١٥٩٦ – ١٦٥٠) ، فيلسوف وفيزيائى ورياضى فرنسى ، ويعتبر مؤسس الفلسفه الحديثه .
[٣٠] " الله فى الفلسفة الحديثه " جيمس كولنز ـ ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٩٢ .
[٣١] مارتن لوثر **Martin luther** (١٤٨٣ – ١٥٤٦) راهب ألمانى ، تزعم حركة الإصلاح البروتستانتى فى ألمانيا .

كان يرى مارتن لوثر أن قدرتنا العقلية قد لفها العجز فى مواجهة المسائل التى تتعلق بالكمالات الإلهية [٣٢] "

أما جون كالفن [٣٣] فى شرحه للأساس الطبيعى للمعرفة ، فيقول [٣٤] :
" إن معرفتنا الطبيعية بالله مستمدة من مصدرين ، هما الفطرة والتجربة ، أما إنه يوجد فى العقل الإنسانى - وبالفطرة الطبيعية حقا - إحساس بالألوهية ، فشىء نؤمن به بلا مناقشة ؛ فمادام الله نفسه ، قد أراد أن يمنع أى إنسان من التظاهر بالجهل به ، فقد منح الناس جميعا فكرة عن ألوهيته . وليس للإحساس بالألوهية عضو خاص للمعرفة ، ولكنه هو نفسه الوعى بالإله الحقيقى الذى يبعثه فينا تلقائيا ضمن تكويننا الطبيعى والذى يثبته فينا تثبيتا لا يمحى من عقولنا ."

ويشير كالفن ، وهنا يستعير كثيرا من سينيكا [٣٥] وشيشرون [٣٦] ، فهم جميعا يتفقون حول هذا المعنى ، فيقول :

" بأن الطابع التلقائى الذى تتسم به المعرفة الفطرية لله يرجع إلى طبيعتها البسيطة ، وإلى وجودها العام فى جميع العقول ، بحيث لا تصلح أساسا لأى مباهاة بحدة ذكائنا . أما إنها محفورة فى عقولنا حفرا لا سبيل إلى محوه ، فهذا معناه أن الناس جميعا مسؤولون دائما عن الإعتراف بوجود الله ، ولا عذر لهم إن لم يفعلوا ذلك . وبتأثير هذا الدافع الطبيعى ، يؤكد العقل الإنسانى وجود الله بوصفه الصانع الوحيد للعالم ، وبوصفه متميزا عن ايات قدرته ، وبوصفه مطالبا لنا بالعبادة ... بيد أن إحساسنا بالألوهية لا يتضمن معرفة كفو له " .

وربما كان من المفيد أيضا ، إستعادة ما كان يقوله ديفيد هيوم (انظر بند ٢ السابق) حول فطرية وجود الله فى النفس البشرية . حيث كان يقول :

" إن عواطفنا ودوافعنا العملية ترغمنا بقوة على التصديق بوجود الإله ، حتى لو كان التحليل الفلسفى يؤكد لنا إفتقارنا فى وسائل الإرتقاء الى معرفة تتسم بيقين برهانى له ، ويرجع ضرورة

---

[٣٢] " الله فى الفلسفة الحديثه " جيمس كولنز - ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٢٢ .

[٣٣] جون كالفن John Calvin (١٥٠٩ – ١٥٦٤) لاهوتى فرنسى ، مؤسس المذهب الكالفنى . نشر راية الإصلاح البروتستانتى فى فرنسا ثم فى سويسرا .
[٣٤] " الله فى الفلسفة الحديثه " جيمس كولنز - ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٢٦ .
[٣٥] أنظر تذييل رقم ١٥ ، ص : ٦٠ .
[٣٦] ماركوس توليوس شيشرون Marcus Tullius Cicero (١٠٦ ق. م. – ٤٣ ق. م.) سياسى وخطيب رومانى تعتبر خطبه آية فى البلاغة اللاتينية .

الإعتقاد فى الله الى الميل الذاتى فى طبيعتنا (يقصد بذلك الفطرة) أكثر من رجوعها الى طابع القهر الذى تنطوى عليه بينة النظام الكونى ، والتدبير الباطن الذى يكشف عنه العقل "
وكان يطيب لهيوم أن يستشهد بسينيكا (Ceneca) فى قوله.: " إن معرفة الله معناها عبادته [٣٧] وليس معنى هذا أن معرفة الله تدفعنا الى القيام بشعائر العبادة ، بل معناه أن المعرفة النظرية هى بذاتها جوهر العبادة ، ولا شيء سواها " .

وهكذا ؛ فكما نرى أن غاية أو خلاصة الفكر البشرى حول " قضية فطرية إدراك وجود الله فى النفس البشرية " [٣٨] يمكن تلخيصها فى الاتى :

١- أن جميع الناس تتسم بمعرفة فطرية عن وجود الله ، وأن هذه المعرفة الفطرية قد وضعها الله فى جميع العقول ، ولا سبيل لمحوها .
٢- أن جميع الناس مسؤولون عن الإعتراف بهذا ، ولا عذر لهم إن لم يفعلوا .

وبديهى إن ما إنتهى إليه الإنسان من معرفة ، هى معرفة تأخذ طابع القانون الإحصائى (Statistical Law) . بمعنى إنها معرفة تنبع من ملاحظة الإنسان لنفسه ، ومن ملاحظاته التى شاهدها على الجماعات البشرية المختلفة على مدار التاريخ ، ومن خلال الحضارات المتتابعة ، ووجد إنها تنطبق على الغالبية العظمى من الناس ، وبالتالى فهى معلومة صحيحة ومؤكدة وتأخذ صفة القانون ، حتى وإن لم تتحقق بشكل مباشر فى بعض الأفراد أو بعض الأقليات البشرية . فالقوانين الإحصائية (التوزيع العادى **The Normal Distribution**) تسمح بهذا .

والان ؛ إذا ما ذهبنا الى " **الديانة الإسلامية** [٣٩] " ، لنرى هذه الحقيقة الفطرية والمركبة فى النفس البشرية ، وكيف صاغها الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى القران المجيد . ففى الواقع ؛ إننا سنجد أن غاية أو نهاية الفكر البشرى والذى توصل إليه الإنسان من خلال مفكريه وفلاسفته على مر الحضارات المختلفة ، هى معرفة منقوصة وغير كاملة ، إذا ما قورنت بنظيرتها الوارد ذكرها فى القران المجيد . فغاية الفكر البشرى فى معرفة القضايا الإلهية ، هى معرفة منقوصة وغير كاملة ، كما قضت بذلك الحكمة الإلهية المتعالية ، على أن يقوم الله بإستكمال هذه المعرفة للإنسان فى أثناء حياته الأرضية على سطح هذا الكوكب .

---

[٣٧] قارن هذا مع ما ورد ذكره فى قوله تعالى :
[**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** (٥٦)] (القران المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)
[٣٨] أنظر كذلك ما قاله انشتين حول هذا المعنى فى البند التالى .
[٣٩] سوف نكرر دائما ، وكما سبق وأن ذكرنا فى المقدمة ، أن قبولنا للمسلمة التى تقول بأن " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة " ، هو " **قبول معلق** " ، يتوقف على مدى ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج . فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة ، وهذا ما يحدث فى النظريات العلمية الكبرى (أنظر مقدمة الكتاب) .

وبديهي نحن لا نتوقع أن يتساوى العرض الفكرى أو العرض المنطقى **لنفس القضايا** التى يذكرها الفكر الإنسانى ، وما يتم ذكره أو ما يتم عرضه بمعرفة الفكر الإلهى ، كما ورد فى الدين . **فالمتحدث فى الدين هو الله بكمالاته المطلقة واللامتناهية** . لذا فنحن نتوقع أن يكون هناك فروقا جذرية فى العرض بين ما يعرضه الإنسان وبين ما يعرضه " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ لنفس القضايا . فبديهى أن يحيط الفكر الإلهى بالفكر البشرى ، ويتجاوزه بلا حدود ، عند صياغتة لنفس القضايا ، وهذا هو الحادث فعلا . فإذا ما تناولنا القضية السابقة ، أى قضية فطرية وجود الله فى النفس البشرية ، فنجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد عرضها فى قرانه المجيد فى الثلاث ايات التالية :

[وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤)] [٤٠]

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

وهنا نرى أن حجم الفكر الوارد فى هذه الآيات الثلاث أعمق من أن يحاط . فالايات تحوى القضايا المنطقية ، والقضايا الإحصائية ، والقضايا الفيزيائية التى يمكن التثبت منها بشكل قاطع ، كما تحوى كذلك قضايا غيبية تمثل ـ فى الواقع ـ الإمتداد الطبيعى والمنطقى لهذا الواقع الفيزيائى السابق ذكره ، والذى نحياه .

فبادئ ذى بدء ، فإننا نرى بوضوح أن الله ـ عز وجل ـ فى الآية الأولى يقرر أن " الادراك بوجوده " هى فطرة موجوده فى النفس البشرية ، وهو قد بدأ تكوينها أو تركيبها فى الإنسان منذ بدء المرحلة الجنينية له ؛ كما جاء فى قوله تعالى : **(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ...)** ؛ فقد بينت الدراسات الحديثة أن خلق الإنسان يتم من سوائل تخرج من الصلب (العمود الفقرى) ، وعظام الصدر من الرجل

[٤٠] عن ابن عباس (رضى الله عنه) فى تفسير تلك الآيات يقول :
" إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به ، وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم فى صلبه . فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ . فمن أدرك منهم الميثاق الاخر (أى الإسلام) فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر (أى الإسلام) فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول ، أى على الفطرة " .

والمرأة [٤١] . كما بينت كذلك الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى (أى أصل النوع) فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية لعظام العمود الفقرى (أى **الظهر**) وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر . وهذه كلها معان فيزيانية مرتبطة بمعنى **(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ..)** والتى يمكن التثبت منها بشكل قاطع ، وهكذا فالفطرة قد بدأت فى التشكيل مع التكون الجنينى للإنسان .

ثم نأتى بعد ذلك الى الإجابة على التساؤل الخاص لماذا وضعت هذه الفطرة فى النفس البشرية ، والإجابة على هذا تحوى إحتمالين ؛ الإحتمال الأول : حتى لا يتظاهر الإنسان بالغفلة :

(... أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)

والغفلة هنا تعنى الإنصراف عن المعرفة الإلهية ، كما تعنى التظاهر بالجهل وهو ما قال به جون كالفن بالضبط . أى أن هذا هو عين ما توصل إليه الفكر البشرى متمثلا فى فكر العلماء والفلاسفة . أما الإحتمال الثانى - وهو مالم يتوصل إليه الفكر البشرى - هو :

(أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ...)

فعذر الإتباع لأهل مشركين ، هو عذر غير مقبول أيضا . فالله ، قد زود الإنسان بالعقل اللازم والملكات الكافية ليتأكد من صحة " القضية الدينية " من جانب ، وكذا صحة التوجه إلى الله ، سبحانه وتعالى ، من جانب آخر . لهذا لن يقبل من الإنسان أن يقول :

(إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)

---

[٤١] ويتأكد هذا المعنى أيضا بمزيد من التفاصيل ، كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الطارق :

[فلينظر الإنسان مم خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب والترائب (٧)]
(القرآن المجيد : الطارق {٨٦} : ٥ – ٧)

والصلب هى منطقة العمود الفقرى (أى الظهر) ، والترائب هى عظام الصدر . ومعنى الآية الكريمة أن خلق الإنسان يتم من سوائل تخرج من الصلب (أى من العمود الفقرى) ، وعظام الصدر من الرجل والمرأة ، وجميعها حقائق قالت بها الدراسات الجنينية الحديثة . فقد بينت هذه الدراسات أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى (أصل النوع) فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية لعظام العمود الفقرى (**أى الظهر**) وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر . وتبقى الكلى فى مكانها وتنزل الخصية الىمكانها الطبيعى فى الصفن بعد الولادة . وعلى الرغم من إنحدار الخصية إلى أسفل فإن الشريان الذى يغذيها بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بحذاء الشريان الكلوى (أى من الظهر أيضا) . كما وإن العصب الذى ينقل الإحساس إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدرى العاشر الذى يغادر النخاع الشوكى (أى من الظهر) بين الضلعين العاشر والحادى عشر . وسنأتى الى مزيد من التفاصيل - إن شاء الله - فى الكتاب التالى .

أما " القضايا الغيبية " الأخرى الوارد ذكرها فى نفس الآيات الثلاث الكريمة السابقة ، فهى قضايا تمثل الإمتداد الطبيعى والمنطقى لوجود هذه الفطرة فى النفس البشرية ، والأعذار المترتبة على إنكارها . ونأتى من هذه القضايا إلى ثلاث يدور فكرها حول : لمن ؟ ... ومتى ؟ ... وأين ؟ يذكر الإنسان أعذار إنكاره لهذه الفطرة ؟ والإجابة على هذه الأسئلة تقررها الأية الكريمة على النحو التالى :

- لمن نذكر هذه الأعذار ؟ (نذكرها لله ، عند حسابنا على عدم معرفتنا له) .
- ومتى نذكر هذه الأعذار ؟ (نذكرها يوم القيامة ، عند بعث الإنسان بعد موته) .
- وأين نذكر هذه الأعذار ؟ (نذكرها فى الاخرة ، أى فى مكان البعث) .

وسنعود الى معنى البعث ومكانه والحساب ، بعد التعرض لشرح الأكوان الموازية [٤٢] فى النموذج القرانى الشامل لنرى بعضا من الفعل الإلهى الكلى ، ليدرك الإنسان مدى ضالته ، وضالة كونه ، وضالة علمه وفيزيائه ، بالنسبة للوجود الشامل الذى يحويه - أى يحوى الإنسان وفرعياته - كجزئية متناهية فى هذا الوجود غير المتناهى والمتمثل فى " القضية الدينية " .

وكما نرى فإن الغيب فى هذه الأيات الثلاث قد تداخل مع قوانين منطقية ، وإحصائية ، وفيزيائية يمكن التثبت منها على نحو مطلق . وبهذا يمكن أن تحمل الايات فى طياتها البرهان الضمنى على صدق الغيب الوارد ذكره بها ، حتى وإن لم توجد الأدلة أو البراهين المباشرة للبرهنة على وجود هذا الغيب . فالقضايا الغيبية فى القرآن المجيد يتم برهنتها بطرق غير مباشرة ، شأنها فى ذلك شأن البراهين الدالة على صدق وصحة المسلمات فى القضايا الفيزيائية الكبرى ، كما سبق ذكره وبيانه فى مقدمة هذا الكتاب .

وعلى هذا النحو ، فإن الفكر الإلهى - فى القران المجيد - لا يقوم على مجرد سرد القضايا التى يريد عرضها على الإنسان ويطلب منه التصديق بها ، وإلا أصبحت " القضية الدينية " بهذا المعنى مجرد مسلمات تنقصها البراهين الدالة على صدقها . ولكنه يتعدى فكر هذا السرد ، أو فكر مجرد عرض القضايا ، إلى فكر " **البرهان التداخلى** " ، بمعنى التداخل بين الغيب والواقع أو الغيب والشهادة . ولهذا يمكن أن يطلق على فكر البرهان التداخلى أيضا ؛ فكر : " **البرهان الغيب - فيزيائى** " .

والمعنى المقصود هنا أن الفكر الإلهى يقوم بعرض عدة قضايا معا فى الاية الواحدة (أو فى عدة ايات) ؛ بعض هذه القضايا فيزيائى بحت ، والبعض الاخر غيبى يمثل الإمتداد الطبيعى

[٤٢] أنظر " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

للقضايا الفيزيائية . أما القضايا الفيزيائية فيمكن التثبت منها بطريقة مباشرة ، إما من واقع الملاحظة المباشرة على مفردات الوجود (وهو ما ينبع منه القوانين الإحصائية) ، أو التحقق منها بطريقة معملية أو تطبيقية تتوقف على المستوى العلمي والحضاري للعصر الذى يتم فيه تفسير ، أو تأويل الايات المعنية . وفى هذه الحالة تكون القضية ـ الإلهية ـ الفيزيائية المعروضة هى بمثابة النبوءة العلمية .

أما القضايا الغيبية فهى تمثل ـ فى الواقع ـ الإمتداد الطبيعى للايات الفيزيائية الوارد ذكرها فى الاية أو الآيات المعنية ، وبهذا يثبت البرهنة عليها كنتيجة تالية لصحة النتائج الفيزيائية ، والتى تم البرهنة أو التأكد من صحتها . كما يمكن أن تكون القضايا الغيبية المعروضة ؛ هى " قضايا غيبية محلية " ، **بمعنى أنها قد تكون قضايا مرجأ التحقق منها الى عصور أخرى** ، لحين نضوج الفكر البشرى فيها بالدرجة الكافية ، والذى يمكن أن يسمح تقدمه العلمى فى هذه الحالة بالتثبت من صدقها . كما جاء فى قوله تعالى :

[ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨)]
(القران المجيد : ص {٣٨} : ٨٧ – ٨٨)

أى أن إدراك معانى القران المجيد ، لن يتأتى إلا مع تقدم الحضارة البشرية (**ولتعلمن نبأه بعد حين**) ، وهذا ما يؤدى إلى فكر " **البرهان الحركى أو البرهان الديناميكى The dynamic proof** " فى القران المجيد (وسنأتى الى تفصيل ذلك فيما بعد) .

ولننه هذه الفقرة بالقول ؛ بأن فطرية وجود الله فى النفس البشرية ووحدانيته ، هى من الأمور الواضحة بجلاء ، لذا ينبغى للإنسان أن يتحرر من وثنيات الفكر البشرى ؛ ويتجه لهذه الحقيقة مباشرة ، فهى حقيقة بسيطة ويمكن إدراكها بدون عناء ، وبدون فلسفات ، وبدون مراوغة فى التفسيرات ، والتبريرات الوثنية التى تهبط بالفكر البشرى الى الحضيض .
كما يجب ألا تكون القضية الدينية إيمانا إعتباطيا ، أو إيمانا ساذجا لفكر وثنى ، فالإنسان هو الخاسر الوحيد لإعتقاده هذا . فعلى الإنسان أن يعى أن القضية الدينية هى قضية علمية تمحيصية فى المقام الأول والأخير ، شأنها فى ذلك شأن القضايا العلمية المختلفة ، والغيب فيها هو قيم نهائية يستطيع الإنسان الإقتراب منه الى أى درجة يشاء ، حيث يتوقف ذلك على درجة التكامل الفكرى للإنسان ، ومدى وصوله الى النضوج الفكرى الكافى فى إدراكاته المعنية .

ثم نختم هذه الفقرة ، بكلمة أخيرة لها دلالة كونية عميقة ، يدركها الصوفية برؤية روحية (أو قل برؤية وجدانية) ، حول معنى فطرية إدراك الإنسان لوجود الله ، كما تشير إليه الاية الكريمة فى قوله تعالى :

[إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين (٧٢)] [٤٣]

(القران المجيد : ص {٣٨} : ٧١ – ٧٢)

[والطين : هنا بمعنى العناصر الأرضية]

وهنا **تتناهى الفطرة** فى قوله تعالى (... **ونفخت فيه من روحى** ...) إلى مقام المعرفة المباشرة بـ " الله " . **فيصبح إدراك الإنسان لوجود الله ينبع من إدراك الجزء للكل ، أو تعريف النفس بالنفس ، أو تعريف الـ " هو " بالـ " هو " ، وبلا إتحاد .. وبلا حلول** [٤٤] .

وقد يتناهى هذا الفكر عند بعض الصوفية ، إلى الحد الذى دفع بالحلاج [٤٥] بأن يقول : " **ما فى الجبة إلا الله** " (والجبة هى الرداء الذى يلبسه) ، أو قوله " **أنا الحق** " . و" **الحق** " هو إسم من أسماء الله الحسنى ، أو هى صفة مطلقة من كمالاته الإلهية ، سبحانه وتعالى .

---

[٤٣] أنظر الملحق الثالث لمزيد من التفاصيل .

[٤٤] لا يقر الإسلام أى مذهبا يقول بحلول " **الله** " فى حسد إنسان ، كما لا يقر المذهب القائل بفناء الذات الإنسانية فى الذات الإلهية . وكذلك لا يقر الإسلام أى مذهب يقول بوحدة الوجود ؛ أى أن " **الله** " هو مجموعة الموجودات . أو بمعنى اخر أن " **الله** " هو الكون وموجوداته ومخلوقاته ما ظهر منها وما بطن . فجميع هذه المذاهب هى فكر مرفوض فى الديانة الإسلامية ، ولا يوجد أيا من النصوص القرآنية تؤدى إلى مثل هذه المعانى .

[٤٥] هو " شهيد التصوف الإسلامى " : الحسين بن منصور الحلاج (٨٥٨ – ٩٢٢ م) ؛ (٢٤٤ – ٣٠٩ هـ) . وقد دفع فكره هذا بمعاصريه إلى إتهامه بالكفر والفسوق ، وبأنه يقول بـ " **نظرية الإتحاد والحلول** " ، أى بإتحاد الله به أو بحلول الله فيه . وقد أدين الحلاج على هذا ـ وقيل أنه أدين لأسباب سياسية وإتخذت هذه المقوله ذريعة لإدانته ـ ثم صلب وقتل وأحرقت جثته ، فى بغداد فى ٢٦ مارس عام ٩٢٢
وفى ليلة صلبه أنشد يقول :

عجبت منك ومنى … يا منية المتمنى
أدنيتنى منك حتى … ظننت أنك أنى
وغبت فى الوجد حتى … أفنيتنى بك عنى

ويحكى عن الحلاج كثير من الكرامات (وهى المعجزات لغير النبى أو الرسول) والايات التى جرت على يديه ؛ منها : أنه كان يخرج فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء . ويمد يده فى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم ، قد كتب عليها (قل هو الله أحد) وكان يسميها دراهم القدرة . كما كان يخبر الناس بما أكلوا ، وما صنعوا فى بيوتهم ، ويتكلم بما فى ضمائرهم . كما تحدث أصدقاء الحلاج وخصومه عن قدرته على شفاء المرضى ، بالرقية حينا ، وبقراءة القران أحيانا ، بل تحدثوا عن إحيائه للموتى ، كما حدث لببغاء ولى عهد الخلافة العباسية .

ولما صلب الحلاج تعرض للتعذيب الشديد ، فقد بترت يداه ، وقطعت قدماه ، وهو لم يتغير ، وظل على نشوته ومناجاته وضراعاته وذكره لله . وظل الحلاج ثلاثة أيام على هذا الحال حتى قطع رأسه فى اليوم الثالث ، ويقول ابن

وتنتهى الفطرة الإنسانية إلى إدراك وجود الله ، وينتهى إدراك وجود الله إلى حب الله ، وينتهى ذروة الحب الإلهى بالصوفى - فى تجربته الروحية - إلى مقام الفناء . فقد يفنى الصوفى فى محبوبه الأعلى (الله) ، فناء لا يشاهد من خلاله غير جمال الحبيب . ويصبح الصوفى فى بحر الفناء الزاخر ، لا يحس بشىء من الموجودات ، ويعيش فى عالم من الجمال المطلق ، عالم الحق المطلق ، وعالم الخير المطلق ، حيث ترفع الأستار عن الأسرار ، وتتجلى له الحقائق . وقد أسكرته أنوار التوحيد ... ولهذا يقول شارح المواقف للنفرى :

" أقل علوم القرب - أى القرب من الله - هو أنك إذا نظرت إلى أى شخص محسوس أو معقول ، أو غير ذلك فسوف ترى " **الله** " فيه رؤية أبين من رؤية الشىء نفسه . والدرجات فى ذلك متفاوته . فبعض الصوفية يقولون : إنهم لا يرون شيئا إلا ويرون الله قبله ، وبعضهم يقولون : إنهم لا يرون شيئا إلا ويرون الله بعده ، واخرون يقولون : إنهم لا يرون شيئا إلا ويرون الله معه ، ويقول غيرهم : ما رأينا شيئا غير الله "

ويقول معروف الكرخى : " إذا إنفتحت عين بصيرة العارف ، نامت عين بصره ؛ **فلا يرى إلا الله** " .

والفناء - بدون تداخل أو إتحاد أو حلول - هو غاية الصوفية ، وهناك تعريفات كثيرة للفناء ، منها ما يقول به أبو القاسم الجنيد : " أن الفناء هو دخول صفات المحبوب (الله) ، على البدل من صفات المحب (الإنسان) " أى التخلق بأخلاق الله وصفاته ، ليكون الفرد ربانيا .

ويقول ابن القيم [٤٦] حول الفناء :

خفيف (فى أخبار الحلاج ، طبع فى باريس) " ثم ضرب عنق الحلاج فبقى جسده ساعتين من النهار قائما ، ورأسه بين رجليه ، وهو يتكلم بكلام لا يفهم ، وكان آخر كلامه أحد ، أحد ... "

وقد سأل الشيخ الأكبر محى الدين بن العربى الحلاج (فى مشهد روحى أو رؤية منامية) ، عن كيفية تحمله لكل هذا العذاب ، ولماذا ترك بيته (أى جسده) يخرب ؟ أجابه الحلاج وهو يبتسم :
" لما إستطالت على بيتى (أى جسدى) الأكوان ، حين أخليته ، وخلفت هارون فى قومى (اى خلف بقية عقله فى جسده) ، إستضعفوه لغيبتى ، فأجمعوا على تخريبه ، فلما هدموا من قواعده ما هدموا ، وكنت قد فنيت ، رددت إليه بعد الفناء ، فأشرفت عليه ، وقد حلت به المثولات ، فأنفته نفسى ، وقلت : لا أعمر بيتا تحكمت فيه الأكوان ، فانقبضت نفسى عن دخوله ، **فقيل : مات الحلاج ؟ والحلاج ما مات ؟ ولكن البيت خرب ، والساكن إرتحل** " .

والحلاج يقول أنه فى جهاده الروحى ، لم يستطع أن يتخلص تماما من جسده ، ومن العلاقات التى للكون على هذا الجسد . فرحل بروحه إلى الله ، وترك العقل أو بقية منه ، ليخلفه فى تدبير هذا الجسد ، كما رحل موسى - عليه السلام - إلى الله ، وترك هارون فى قومه ليخلفه فيهم . وهنا تحكمت الأكوان فى جسده لغيبته عنه ، واستضعفوا خليفته ، فأدى ذلك إلى تقويضه . [أنظر كذلك : " **الحلاج - شهيد التصوف الإسلامى** " ، طه عبد الباقى سرور . الطبعة الثانية . دار نهضة مصر]

[٤٦] " **مدارج السالكين** " ج : ١ ؛ ص : ٨٠ . و " **الحلاج - شهيد التصوف الإسلامى** " ، طه عبد الباقى سرور . الطبعة الثانية . دار نهضة مصر ؛ ص : ٢١٣ .

" الفناء الذى يشير إليه القوم ، ويعملون عليه ، هو أن تذهب المحدثات فى شهود العبد وتغيب فى أفق العدم ، كما كانت قبل أن توجد ، ويبقى الحق تعالى كما لم يزل . ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم . ثم يغيب شهوده أيضا فلا يبقى له شهود . ويصير الحق (الله) هو الذى يشاهد نفسه بنفسه ، كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات ، وحقيقته أن يفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل " .

وهكذا الرؤية الصوفية ... لله ... إنها رؤية ترديدية لـ " **جزئية** " فقط ، عن قول " الله " تعالى عن صفاته أو كمالاته الإلهية :

[هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (٣)]

(القرآن المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

حيث يتجلى معنى [**هو الأول والآخر ...**] فى غياب الإنسان برمته ... فلا يبقى إلا " **هو** " . ويتضح هذا جليا فى فكر الحلاج عند تفسيره للآيات السابق شرحها :

[وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) ....]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢)

فيقول - الحلاج - عن قوله تعالى : (**ألست بربكم ؟**) بأنه هو المخاطب وهو المجيب ... (أى لا وجود للإنسان) . كما يقول فى تفسير قوله تعالى : " **قالوا : بلى ؟** " بأنه هو القائل عنكم سواكم ، والمجيب عنكم غيركم فسقطتم أنتم ، أو بقى من لا يزال ، كما لم يزل " .

ومن أمثلة مواجيد الحلاج ؛

أنا من أهوى ومن أهوى أنا — نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنى أبصرته — وإذا أبصرته أبصرتنا

وهى أمثلة من الفطرة أو الإدراك المباشر لوجود الله فى الفكر الصوفى ؛ التى يمكن أن تصل إلى حد ترديد :

غبت بك عنى — فظننت أنك أنى

فهكذا الفطرة أدناها إدراك وجود الله ... وأعلاها الفناء (بلا اتحاد) فى الله ... وأوسطها المشاهدة الوجدانية المباشرة لله ... ولكل مقام ...!!! . ويبقى فلاسفة الإنسانية ، أو أطفال الفكر

البشرى - كما هم - فى أول الطريق ...!! ويبقى الإنســان لا يعـى مـا يـدور حولـه ...!!! إلا المشاهدة القاصرة ... لعالم محدود ... فــى أضيـق معانيـه ...!!! ثـم يتسـاءل عـن برهـان ... للظاهر ... وعن برهان ... للأول ... وعن برهان ... للاخر ...!!!

و [هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (٣)]

(القران المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

٦ - *قصور الفكر البشرى*

ينبغى أن يدرك الإنسان أن الفكر البشــرى فـى أرقـى صـوره وأعلـى مراتبـه محـدود للغايـة عن المعرفة الحقة لله ، سبحانه وتعالى . فكما رأينا فى الفقرة السابقة أن مـارتن لوثـر كـان يـرى أن قدرتنا العقلية يلفها العجز فـى مواجهـة المسـائل التـى تتعلـق بالكمـالات الإلهيـة ، حيـث لا يمكـن للإنسان الإستناد الى أى خبرات مهما كانت لإستنتاج هذه الكمالات .

وبديهى إن فكر الأنبياء قبل بعثتهم ، أى قبل إختيارهم للتبليغ عن الله - سبحانه وتعالى - ، يمثـل أعلى مراتب الفكر البشرى فى الرغبة والشوق الحقيقـى فـى معرفـة اللـه . فهـم ذروة الإصطفـاء الإلهى وقدوة البشرية للبشرية . ومع ذلك نجد أن فكر الأنبياء الخاص لـم يقدهـم إلـى أى معرفـة مباشرة عن اللـه ، ولهـذا يـلزم دائمـا المعاونـة الإلهيـة المباشـرة للإنسـان للحصـول علـى هـذه المعرفة . ويصور لنا الله - سبحانه وتعالى - حال إبراهيـم (عليـه السـلام) قبـل بعثتـه ، ومـدى إجتهاده فى البحث عنه - أى عن الله - ولكن بلا جدوى وبدون طائل ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكـون مـن الموقنيـن (٧٥) فلمـا جـن عليـه الليل رءا كوكبا قال هذا ربى فلمـا أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦) فلما رءا القمر بازغـا قـال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلمـا رءا الشـمس بازغـة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون (٧٨) إنـى وجهـت وجهـى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (٧٩)]

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ٧٥ – ٧٩)

[أفل : غاب]

فالايات الكريمة تبين أن غاية إدراك إبراهيم - عليه السلام - هو أن الله موجـود فحسـب . ولكـن من هو ... أهو كوكب ؟ ... أهـو القمـر ؟ ... أهـو الشـمس ؟ بديهـى لا ... فكلهـا أفلـت (أى

غابت) ، ولا ينبغى لكمال الإله أن يغيب عن مخلوقاته ؛ بل هو فى حضور دائم معهم . إذن لا سبيل إلى معرفة " الله " من خلال الفكر الإنسانى فحسب . ويتأكد إبراهيم ـ عليه السلام ـ من هذا ، أى أنه لا سبيل لمعرفة الله إلا به ، أى بمعونته ، لهذا نجده يقول [٤٧] :

(... لإن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين)

فكما نرى أن قمة الإدراكات البشرية ، هى مجرد إدراك أن الله موجود وحسب ، وإنه واحد [٤٨] وحسب ، ومن كمالاته أنه لا ينبغى أن يغيب عن مخلوقاته ، بل يجب أن يكون حضورا دائما ومستمرا معهم ، وهذا هو غاية إدراكات الإنسان الفطرية ، والمتمثله فى صفاء فطرة الإنبياء ونقائها .

أما أن يدرك الإنسان أن الله هو ...

[... الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤)]

(القران المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ – ٢٤)

أو أن يدرك الإنسان أن :

[الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم (٢٥٥)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

أو أن يدرك الإنسان أن :

[... الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير (٣)]

(القران المجيد : غافر {٤٠} : ٢– ٣)

[ذى الطول : ذى الفضل والنعمة المبسوطة علي خلقه]

---

[٤٧] التفسير هنا يتفق مع ما جاء فى " تفسير المنتخب " و " تفسير الطبرى " ، ويختلف مع ما جاء فى " تفسير الجلالين " .

[٤٨] فهذه هى الفطرة التى نولد عليها ، والتى يمكن أن تسمى (The Default) بلغة الكمبيوتر ، كما سبق أن بينا فى الفقرة السابقة .

إلى اخر هذه التعريفات الخاصة بالصفات الإلهية المباشرة . فهذا لا يمكن أن يتأتى من فكر بشرى تأملى ، أو من تجربة حسية مباشرة ، بل يأتى من تعريف الله لذاته مباشرة . فالإنسان لم يؤهل فطريا بهذه المعرفة عن الصفات الإلهية . فغاية تأهيلنا الفطرى هو معرفة أن : الله موجود وحسب ، وأن الله واحد فحسب . ولم تقضى حكمة الله ـ ولو شاء فعل ـ أن يؤهلنا فطريا بإدراك الكمالات الإلهية الخاصة به ، أو إدراك الفعل الإلهى الكلى له ، فكلها أمور معرفية تكميلية يتم تلقيننا إياها فى أثناء حياتنا الأرضية ، كما سيأتى شرح ذلك فيما بعد . فغاية علم الإنسان هو بعض الإدراكات الجزئية والمحدودة عن الله ، وعن الفعل الإلهى الكلى له .

وعلى ذلك كان يلزم التدخل الإلهى المباشر ، من خلال وحيه لأنبيائه ولرسله ، لإستكمال التعريف به ، والإخبار عن هذه الكمالات (أى صفات الله أو أسمائه الحسنى) ، وعن فعله الإلهى الكلى .

ثم ننتقل إلى مسألة أخرى ؛ وهى إننا لا ندرك بالفطرة أن **الله قد قرر** بألا نتوجه بالعبادة لأحد سواه ، أو لأحد غيره ، لذلك لزم أن يبلغنا " **هو** " بهذا الأمر أو هذا القرار الإلهى . لذلك نجد قوله تعالى لنا :

[وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ... (٢٣)]
(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

فبديهى إن الفطرة وحدها لا تكفى لإدراك هذا الأمر أو هذا القرار الإلهى ، الذى يقضى بأن على الإنسان التوجه بالعبادة لله وحده ، فلا ينبغى للإنسان أن يتوجه بالعبادة لأحد غير الله ، وبهذا تصبح " **وحدانية الدين** " ذات معنى . فلولا هذا القرار الإلهى لأصبح من حق الإنسان القول بتعدد الأديان ، فلا فرق إذن فيما يعبد الإنسان ، ولتتساو الأديان إذن ، بما فى ذلك عبادة الأصنام والأوثان ، طالما أن مبدأ العبادة ـ لغير الله ـ على نحو عام مقبول من الله .

ونلاحظ هنا ، أن هذا القرار الإلهى يعنى أيضا أن الإنسان مفطور نحو العبادة ، أو بمعنى اخر أن الإنسان يخرج من المصنع الإلهى (**By Default**) متوجها نحو العبادة . ولكنه ـ مع ذلك ـ خلق على نحو لا يدرك ماذا يعبد إلا من خلال عمليات إستقراء معينة ينتهى منها إلى شكل هذا المعبود . ومن هذا المبدأ لزم التدخل الإلهى المباشر لمعاونة الإنسان على نحو إيجابى فى التعرف عليه (أى على الله) ، وعلى ماذا يعبد . وكما نرى فإن الاية الكريمة السابقة تحوى

كذلك الأمر الإلهى الخاص ببر الإنسان بوالديه [49] . فبديهى إن مثل هذه القرارات ، الفطره وحدها غير كافية لإدراكها أو لتزويد الإنسان بمثل معارفها .

ثم نأتى كذلك إلى النواهى الإلهية ، لنرى الإحكام الإلهى المتناهى والمذهل معا فى الصياغة ، وفى المعانى الكلية الحاكمة للأخلاق العامة ، كما جاء فى قوله تعالى لرسوله الكريم :

[قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط [50] لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٥١ – ١٥٢)

وبديهى أن هذه كلها معان لا يمكن إدراكها بشكل مفصل من خلال الفطرة وحدها . حتى وإن كان هناك إدراك جزئى (أو فطرة جزئية) بمعرفة هذه المعانى . ولكن الإدراك الكلّى لهذه المعانى لا يتم إلا بالإخبار المباشر من الله ــ سبحانه وتعالى ــ للإنسان من خلال وحيه لمن يصطفى من البشر .

ويمتد هذا العجز البشرى حتى إلى عدم إدراك الغاية الكلية من الدين ، فعلى الرغم من أن فكر الأنبياء يمثل الحد الأعلى للفكر البشرى فى القضية الدينية والقضية الإيمانية ، إلا أننا نجد إن هذا الفكر ـ بمعزل عن الوحى ـ يقف عاجزا تماما عن إدراك الحكمة الإلهية المتعالية للدين ، ولحقيقة

---

[49] وتستكمل الآية الكريمة السابقة بقوله تعالى :

[وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا (٢٤)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣ ـ ٢٤)

وهنا نرى أن الرحمة بالوالدين يجب أن تكون عند ذروة إحتمال الإنسان النفسى لهما ، وذلك عند حاجتهما إليه وإقامتهما عنده . فهنا يكون الإختبار الإلهى ، وهنا يكون الأمر الإلهى للإنسان بالرحمة بهما وهما على هذه الحالة ، وليس الرحمة بالوالدين فى ساعات الرخاء فقط أو فى زيارة عابرة لهما .

[50] هنا نرى الإحكام المذهل فى الصياغة القرآنية ؛ فبقية القضية الجزئية : [**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده**] ، نراها قد أدمجت تحت حكم القضية الكلية التالية لها وهى : [**وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**] . وبهذا المعنى يكون الإستكمال الضمنى للقضية الأولى هو أن اليتيم سوف يحصل على ماله بدقة بالغة بعد بلوغه سن الرشد أو التعقل .

هذا الوجود وغاياته . ويتمثل هذا جليا فى دعاء إبراهيم (عليه السلام) حتى بعد بعثته ، لله - سبحانه وتعالى - عندما قال ....

[وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر ... (١٢٦)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٢٦)

وهنا يربط إبراهيم (عليه السلام) القضية الدينية الخاصة بالإيمان بالله وبالبعث ، بالأمن الفردى فى الحياة والرزق . فعلى حسب دعاء إبراهيم (عليه السلام) إن الله ينبغى أن يقصر الرزق على من امن به (أى من امن بالله) وباليوم الاخر فقط دون سواهم .

وبديهى أن " **القضية الدينية** " بهذا المفهوم تصبح " **قضية قهرية** " . إذ ينبغى للإنسان أن يكون مؤمنا بالله ، حتى لا يفقد الأمن فى حياته من جانب ، وحتى لا يفقد الرزق — الذى يرزقه به الله ليحيا — من جانب اخر . وبهذا المفهوم لا تصبح " القضية الإيمانية " قضية قهرية فحسب ، بل يصبح الدين كله عبارة عن " **أكل عيش** " و " **أمن فردى** " . وهنا تفقد الحرية معناها ... فليس للإنسان هنا - أى - خيار فيما يفعل أو فيما يعمل وفيما يؤمن ، وليس هذا فحسب ، بل يفقد إختبار الإنسان - فى إدراك الحكمة من وجوده - معناه هنا أيضا ..!!

وهنا يلزم التدخل الإلهى لتصحيح مسار الفكر البشرى ، وللتأكيد على أن القضية الإيمانية تدخل فى حيز الحرية الشخصية ، وهو الحيز المسموح به للإرادة الإنسانية لأن تعمل بدرجة كافية من الحرية . كما جاء فى قوله تعالى - تنبيها لإبراهيم - وإستكمالا للاية الكريمة السابقة :

[... قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير (١٢٦)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٢٦)

وحتى لا يخطىء الحساب ، أو الفكر فى الجمع بين نصفى الآية الكريمة نذكرها كاملة ، كما فى قوله تعالى :

[وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير (١٢٦)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٢٦)

وهذا هو الفكر الإلهى المحيط ، القاضى بأن تكون القضية الدينية قضية مستقلة عن الأمن الشخصى وعن الرزق (بشكل مباشر) . لتخرج بذلك من حيز القهرية أو الجبرية الى حيز الإختيار الشخصى ، أو الحرية الشخصية من جانب ، ولتصبح فى النهاية منوطة بالحساب الإلهى الأخروى من جانب اخر .

ويتأكد هذا المعنى مرة أخرى حول تساوى عطاء الله الدنيوى للكافرين والمؤمنين على حد سواء ، طالما تم الأخذ بالأسباب الدنيوية ، كما جاء فى قوله تعالى :

[كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (٢٠)]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٠)

وبهذا يقع الدين إجمالا ، فى حيز حرية الإنسان والإختيار الفردى .

وبديهى يمتد قصور الفكر البشرى إلى (واضعى) الأديان الوضعية . ففى الديانة البوذية نجد ، على سبيل المثال ، أن مؤسسها " **جوتاما بوذا** " [٥١] لم يستطع أن يضيف حرفا واحدا عن الإله أو الفكر الإلهى . فنراه يقف يغلفه العجز الكامل أمام المعرفة الإلهية . وبديهى أن هذا متوقع كذلك ، فكيف يتحدث عن الإله وهو لا يدرى من هو ؛ ففى إحدى خطبه وقف يسخر ممن يقولون بوجود الإله ، فيقول [٥٢] :

" إن المشايخ يتكلمون عن الله ، ولم يروه وجها لوجه ، فهم كالعاشق الذى يذوب كمدا وهو لا يعرف حبيبته ، أو كالذى يبنى السلم وهو لا يدرى أين يوجد القصر ، أو الذى يريد أن يعبر نهرا فينادى الضفه الأخرى لتأتى إليه "

ومن أجل إهمال بوذا للإله ، والإتجاه إلى نكرانه أحيانا ، إتجه براهمة عصرة (وهم رجال الديانة الهندوسية) إلى أن يصموه بالإلحاد . ثم ماذا حدث بعد وفاة بوذا ... ؟؟ لقد ألهه أتباعه ... ولكن لماذا ..؟؟!!

إن الإيمان بوجود الإله (الله) هو إتجاه نفسى قوى ، فهو إتجاه فطرى فى الإنسان - كما سبق وأن بينا - ,إهمال هذا الإتجاه يحدث إضطرابا فى الفكر البشرى ، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون فى الإله ويعملون إلى الوصول إليه والتعرف عليه ولكن بلا جدوى . ولما كان بوذا قد ترك هذا الحيز خاليا ، نجد أن الأهواء قد لعبت بهم فإتجه بعضهم الى الإعتقاد بأن بوذا

---

[٥١] **غوتاما بوذا (Gautama Buddha)** (٥٦٣ ؟ - ٤٨٣ ق. م.) ، فيلسوف هندى ، ومؤسس الديانة البوذية.

[٥٢] " سلسلة مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى " الكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة ؛ ص ١٦٨ .

ليس إنسانا محضا ، بل أن روح الله قد حلت به ، فيقولون بأنه شخصية ثنائية : لاهوتية (ذى طبيعة إلهية) وناسوتية (ذى طبيعة إنسانية) ، وهم فى ذلك مثل العقيدة المسيحية وفكرها عن السيد المسيح . وبهذا أقيمت التماثيل لبوذا ... وعبد بوذا ... لتصبح الديانة البوذية ديانة وثنية هى الأخرى .

وفى الحقيقة ؛ كنت ـ قبل دراستى للديانة البوذية ـ أعتبر جوتاما بوذا هو أحد الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم صراحة فى القران المجيد (ثم شوهت شريعته من بعده مثل ما حدث مع موسى وعيسى عليهما السلام) ، وذلك كما جاء فى قوله تعالى :

[ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله فإذا ما جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)]

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٧٨)

فكما نرى أن القران الكريم لا يضم كل أسماء الأنبياء والرسل التى إصطفاها الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأرسل بها إلى البشرية على مر الأزمنة والحضارات ، ولكن إقتصر الأمر على الأحسن منها فقط ؛ لقوله تعالى :

[نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت قبله لمن الغافلين (٢)]

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٢)

وبناء على هذا ، فإن سيرة الأنبياء التى لم تذكر ـ فى القران ـ لابد وأن تكون على درجة أقل فى العظات أو فى الإستفادة الإنسانية ، وذلك حتى تتحقق كلمة (... **أحسن** ...) الواردة بالاية الكريمة ، وبالتالى لم يتم ذكرها .

وبديهى لا يمكن لرسول أو نبى أن يصطفيه الله ، وهو لا يدرى بمثل هذا الإصطفاء أو هذا الإختيار الإلهى له . وعلى ذلك فلا يمكن لنبى أو رسول أن يشكك فى وجود الله وهو المتحدث باسمه على الأرض . ولما كان بوذا يتشكك ، بل ويشكك فى وجود الله ، كما وإنه لم يستطع أن يتكلم بكلمة واحدة عن الله ؛ فبديهى إنه (أى بوذا) لا يمكن أن يكون ـ بمقياس الوحى الإلهى ـ رسولا أو حتى نبيا ، طالما إنه لا يعرف إذا كان هناك إله أم لا . وبديهى لا يمكن أن يكون الله قد إصطفاة وهو لا يدرى شيئا عن هذا الإختيار الإلهى له .

وبالتالى فإنه ، يمكن الإنتهاء إلى أن الديانة البوذية [٥٣] هى " **ديانة وضعية** " بالمعنى العريض للكلمة . أو بمعنى اخر هى ديانة فكرها إنسانى بحت ، وليست وحيا إلهيا بأى صورة من الصور . وفى الواقع ؛ إن الديانة البوذية [٥٤] كلها تدورفى فلك اية واحدة من آيات القرآن المجيد ، هى قوله تعالى :

[لقد خلقنا الإنسان فى كبد (٤)]

(القران المجيد : البلد {٩٠} : ٤)

والكبد : هو المشقة والعناء . وهكذا تقرر الاية الكريمة ، أن " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ قد خلق الإنسان على حال من المشقة والمعاناة فى هذه الحياة الدنيا ، لحكمة إبتلاء أو إختبار الإنسان فيها ، كما جاء فى قوله تعالى فى موضع آخر :

[الذى خلق لكم الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (٢)]

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

---

[٥٣] تدور الديانة البوذية كلها حول ما يسمى **بالحقائق الأربعة المقدسه** وهى :
الحقيقة الأولى : الألم موجود (فالولادة والمرض والموت ومتاعب الحياة من فراق أحبة أو لقاء أعداء تأتى بالألم) .
الحقيقة الثانية : لهذا الألم سبب (وعلة الألم هى الشهوات والرغبات لأنها التى تنمى فينا الرغبة فى اللذه والتملك والشوق إلى عالم المستقبل) .
الحقيقة الثالثة : هذا السبب قابل للزوال (يبطل الألم متى بطلت الشهوه وانتفى الظمأ للأشياء) .
الحقيقة الرابعة : الوسيلة لزوال الألم موجودة .

وتقول البوذية بأنه يمكن إبطال الألم بسلوك **الطريق المثمن ، أى الطريق ذى الثمانى شعب** ، وهى :
(١) الإعتقاد الصحيح (٢) العزم الصحيح (٣) القول الصحيح (٤) العمل الصحيح (٥) العيش الصحيح (٦) الجهد الصحيح (٧) الفكر الصحيح (٨) التأمل الصحيح .

كما يقول بوذا بأن هناك **قيود عشرة تحول دون بلوغ الإنسان درجة النجاة والسلام** وهى :
(١) الوهم الخادع فى وجود النفس (٢) الشك فى بوذا وتعاليمه (٣) الإعتقاد فى تأثير الطقوس والتقاليد الدينية (٤) الشهوة (٥) الكراهية (٦) الغرور (٧) الرغبة فى البقاء المادى (٨) الكبرياء (٩) الإعتداد بالبر الذاتى (١٠) الجهل .

هذه هى الديانة البوذية ... ولا ندرى أى قدسيه فى أن نقول أو نعرف أن :
الألم موجود ــ ولهذا الألم سبب ــ وهذا السبب قابل للزوال ــ كما أنه توجد وسيلة لزوال الألم
ويقول بوذا لأتباعه :
" لقد أحرزت علم هذه الحقائق الأربع المقدسة ، وأحرزت فهمها بإنجلاء تام فصرت على يقين بأنى قد ظفرت بالبوذية الكبرى ، **وقد عرفت أنه قد ضمنت لى النجاة بروحى ، ومولدى هذا آخر مولد ، وليس لى بعد هذا من مولد مستأنف** " . وبديهى نرى من هذا الكلام ؛ أن بوذا كان يؤمن بتناسخ الأرواح ، وهو ما تنادى به أديان الهند الأخرى مثل الهندوسية والجينية ، والتى كانت موجوده فى عصره .
وتناسخ الأرواح أو تكرار المولد ، هو قانون الجزاء الذى يحمل الإنسان تبعة أعماله ، ويجزيه عليها عن طريق تناسخ الأرواح . والخبرة البشرية العادية تفيد بأنه ليس هناك بين المولد والمولد الآخر أى إتصال ، ومع ذلك فإننا نجد أن أصحاب هذه الديانة ما زالوا يؤمنون بها ..!! ، وبناء على هذا الفكر ، فإن الأرواح ــ فى دورات الحيوات التالية ــ تعاقب على أعمال لا تعرفها أو تتذكرها ، وبالتالى لا يوجد السبيل لإكتساب الخبرات لتصحيح هذه الأخطاء . وبهذا قد يتكرر مولد الإنسان إلى مالا نهاية ، والإنسان يقف كالأبله لا يدرى ماذا تفعل به الأقدار .

[٥٤] أنظر التذييل السابق ، وبند (١٤) من هذا الفصل ، لتفاصيل أخرى عن الديانة البوذية وفكر الخلاص بها .

وتاه جوتاما بوذا فـي محاولـة لإيجـاد حـل لهـذه المشكلة ؛ وإختلـط عليـه فكـر الزهـد والتقشـف والمعاناة [٥٥] ، بفكر القوانين الأخلاقية . ولم يهتد بوذا إلى حل هذه المشكلة .:.!!! ويجـيء حـل هذه المشكلة في القانون الإلهى المتعـالى ـ **والذى يمكن التثبت منه بإتباعه** ـ كما جاء فى قـوله تعالى :

[... فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبـع هـداى فـلا يضـل ولا يشـقى (١٢٣) ومـن أعـرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال ربى لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦)]

(القران المجيد : طه {٢٠} : ١٢٣ ~ ١٢٦)

[والضنك : هو الضيق من كل شيء ، وتأتى الكلمه هنا بمعنى التعاسـة أى عكس السـعادة . لاحـظ كذلـك التضاد بين إتباع الهدى والإعراض عن الذكـر . فاتبـاع الهـدى أعلـى مراتـب الإيمـان ، والإعـراض عـن الذكر هو أدنى جوانب الكفر]

فالاية الكريمة تبين أن سعادة الإنسان منوطة بإتباع الإنسان لهدى الله . وإتباع الهدى معناه الأخذ بأوامر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونواهيه ، وعبادته وذكره . كما تحدد الاية الكريمة شقاء الإنسـان يكون قدرا محتوما عند الأخذ بالمعصية والإعراض عن ذكر الله وكذا الإعراض عن عبادته .

وهذا هو الفكر البشرى ، إنه فكر ناقص لا يدرك عن الله شيئا أكثر من إدراكه الفطرى بوجـوده ؛ أما أن يتكلم الإنسان عن ذات الله وصفاته وكمالاته ، فإن الله لم يؤهل الإنسان بهذه الفطـرة ، ولو شاء فعل . لذلك فإن التعريف بالله وصفاته وأعماله ، لابـد وأن يتـم الإخبـار عنهـا بمعرفتـه "**هو**" ـ سبحانه وتعالى ـ وبصياغته المباشرة " **هو** " ـ من خلال وحيه لأنبيائه ورسله ـــ حتـى لا يخطئ الإنسان فى التصور أو الفهم عند التبليغ . فلم يـترك اللـه ـ سبحانه وتعـالى ـ مثـل هـذه الأمور لأهواء الإنسان تلعب به كيف تشاء كما نرى الان فى الصور المختلفة لتعدد الأديان .

---

[٥٥] كان بوذا يفرض على من يدخل النظام (أى الديانة البوذية) التبتل ، ويحظر عليه أخذ الفضة والذهب ، وعليه ألا يأكل فى اليوم إلا وجبة واحدة فى الضحى . ويحمل فى يده طبق الإحسان أو " الكشكول " ينتقل به من بيـت إلـى اخـر ليجمع قوت يومه من الصدقات . وعلى هذا فينبغى على البوذى الصادق أن يمتهن نفسـه ويعيش عالـة علـى المجتمـع معتمدا على الإستجداء وجمع الصدقات . وقد عانى بوذا نفسه من شر هذا العناء ، أى عناء الإستجداء ، لأنه كثيرا مـا أهانه الناس على هذا الإستجداء وردوه دون عطاء . ويعتقد بعض المفكرين أن مـا تعانيـه البلـدان التـى سـادها الفكـر البوذى ، إنما سببه هى فكرة الإستجداء فى هذه الديانة .

ولإستكمال الرؤية العاجزة للإنسان عند تناوله لقضايا لم يؤهله الله لمعرفتها فطريا ، نورد اخر حديث لانشتين [٥٦] ، مع الكاتب الأمريكى المفكر " جون فيرك " [٥٧] حول اراء انشتين فى معنى النسبية ، وفى معنى بعض القضايا الكبرى كـ " اللـه " و " الإنسان " و " مصير الإنسان بعد الموت " . والحديث طويل ولكن سنكتفى بسرد الجانب الدينى منه فقط هنا ، أما الجانب الفيزيانى فقد تم التعرض له بتفصيل أكبر فى كتابات أخرى . والحوار بين فيرك وانشتين قد جرى على النحو التالى :

فيرك : ما هى الكهربانية ؟

آنشتين : قد تكون الكهربائية هى القوه الأساسية التى تهيمن على الكواكب بأسرها .

فيرك : هل تريد القول بأن الكهرباء هى الله ؟

آنشتين : إنى أتردد فى التلفظ بعبارة طائشة من هذا القبيل .

فيرك : هل تؤمن بالله ؟

آنشتين : إن سؤالك هذا يعد من أصعب الأسئله فى العالم ، فإنه ليس سؤالا يجاب عليه بنعم أو بـ " لا " . أما أنا فلست ملحدا ولا أدرى ما إذا كان يصح القول بأننى من أنصار مذهب وحدة الوجود . فالمسألة أوسع نطاقا من عقولنا المحدودة .

فيرك : إن الرجل الذى يكتشف أن الزمان والمكان منحنيان ويحبس الطاقة فى معادلة واحدة (يقصد فيرك بهذا معادلة أنشتين نفسه ، والوارد ذكرها فى مقدمة الكتاب هنا) جدير به ألا يهوله الوقوف فى وجه غير المحدود .

آنشتين : إسمح لى أن أجيب بأن أضرب لك مثلا ، إن العقل البشرى مهما بلغ من عظيم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الإحاطة بالكون . فنحن أشبه الأشياء بطفل دخل مكتبة كبيرة إرتفعت كتبها حتى السقف فغطت جدرانها وهى مكتوبة بلغات كثيرة ، فالطفل يعلم أنه لابد وأن يكون هناك شخص ما قد كتب تلك الكتب ، ولكنه لا يعرف من كتبها ، ولا كيف كانت كتابته لها ، وهو لا يفهم اللغات التى كتبت بها . ثم أن الطفل يلاحظ أن هناك طريقة معينة فى ترتيب

---

[٥٦] ألبرت هيرمان آنشتين Albert Herman Eistein (١٨٧٩ – ١٩٥٥) . أشهر علماء الفيزياء . منح جائزة نوبل فى الفيزياء سنة ١٩٢١ . وآنشتين هو صاحب النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة ، وهما من أشهر نظريات الفيزياء المعاصرة . وآنشتين هو صاحب محاولة غير موفقة فى وضع نظرية المجال الموحد ، التى بذلت لتوحيد المجالين الكهرومغناطيسى (أى المجال الكهربائى والمجال المغناطيسى) مع مجال الجذب العام .
والمعروف الآن أنه يوجد خمس مجالات فى الكون هم : الثلاثة مجالات السابقة ، ومجالين آخرين على مستوى نواة الذرة هما : مجال التفاعل النووى القوى : The Strong Nuclear Interaction ، ومجال التفاعل النووى الضعيف : The weak Nuclear Interaction . (أنظر التفاصيل فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب) .

[٥٧] " الألوهية وفكر العصر ـ أهناك إله " حامد عوض سمعان ، المركز الثقافى الجامعى ، ص : ٢٢٣ – ٢٢٥ .

الكتب ونظاما خفيا لا يدركه هو ، ولكنه يعلم بوجوده علما مبهما ، وهذا على ما أرى هو موقف العقل الإنسانى من " الله " مهما بلغ ذلك العقل من السمو والعظمة والتثقيف العالى .

فيرك : أليس فى وسع واحد من ذوى العقول العظيمة أن يحل لنا هذا اللغز ؟

آنشتين : نرى كونا بديع الترتيب خاضعا لنواميس[٥٨] معينه ، ونحن نفهم هذه النواميس فهما يشوبه الإبهام ، وإن عقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التى تهيمن على مجاميع النجوم .

(إنتهى الحوار)

هذا هو رأى آنشتين أعظم فيزيانى بالمقياس البشرى المحدود والغافل معا ... !! والذى أوصى بمخه للبحوث العلمية بعد موته لدراسته . هذا العالم الذى كان جديرا بالدراسة حيا وميتا ، كما يقال عادة . ماذا قدم هذا العالم للبشرية عن القضية الإلهية .. لا شىء ...!! (أو صفر بتعبير رياضى) ، فهو لا يعلم عن وجود الله إلا وجودا مبهما ، أى موجود فحسب ، شأنه فى ذلك شأن أى فرد آخر ، فإدراكنا بوجود الله هو من الأمور الفطرية ...!!

فالحقيقة الضمنية الوحيدة التى يمكن أن يؤدى إليها هذا الحديث هو أن " القضية الدينية " لابد وأن يكون المتحدث فيها هو " الله " سبحانه وتعالى . فالإدراكات المحدودة للإنسان تحول دون معرفة الغايات الإلهية ، كما تحول دون إدراك الصفات أو الكمالات الإلهية ، وكذا الفعل الإلهى الكلى (كما سنرى) ، لذا لزم الإخبار عنها مباشرة بمعرفة الله - سبحانه وتعالى - وبنفسه ؛ وإلا فلا سبيل لمعرفتها .

ونستأنف الحوار مرة أخرى ... ويتناول فيرك الحديث مع انشتين عن الإنسان وعن الخلود بعد الموت ...

يقول فيرك لآنشتين : ما هو الفرد ؟

آنشتين : الحياة نسيج عظيم والفرد خيط ضنيل فى نموذج هائل عجيب .

فيرك : هل تعتقد فى الخلود الشخصى ؟ أى بقاء الشخصية بعد الموت ؟

آنشتين : لا ... إنى أشبه الجنس البشرى بشجرة ذات أفرع وأغصان ، فليس لكل فرع وكل غصن روح أو نفس فردية [٥٩].

فيرك : هل تتوق الى الخلود الشخصى ؟

آنشتين : كلا فحسبى حياة واحدة .

---

[٥٨] الناموس : هو القانون أو الشريعة أو القانون الفيزيانى العام .

[٥٩] وهذا يعكس إيمانه بوحدة الوجود ، والتشبيه الذى ذكره يعنى أن " الله " هو الشجرة والكون والإنسان هو باقى مفردات الشجرة ، كالأغصان والأوراق .

فيرك : سألت مرة صديقى المرحوم البروفيسور هوغو فيستربرج من جامعة هارفارد " هل تؤمن ببقاء الشخصية بعد الموت ؟ " .... فأجاب : " إنى لا أستطيع تصوير الشخصية بأشياء يحدها الزمن " وقد فهمت من هذا الكلام إنه أراد التنصل من الإجابة .

آنشتين : لا أرى رأيك ، لأن هذا الجواب هو كل ما يمكن الرد به أو يقال للرد على سؤالك .

(إنتهى الحوار)

وهذا هو رأى انشتين عن الإنسان ... ماذا أضاف عن الوجود أو عن الإنسان ... !!! ... لا شيء ...!! " فالوجود لديه قطعة من القماش ، الإنسان خيط رفيع فيها " . فهل هذا الرأى قد ألقى الضوء على الإنسان وحقيقته ، أى حقيقة وجودة ومصيره . أو حتى هذه المعانى تكفى لتعريف الإنسان على نحو ما أو اخر ...!! بديهى إن مثل هذا الرأى لم يقدم شيئا ، ولم يعرف شيئا .. أى إنه لاشيء (أو صفر بتعبير رياضى) .

فهذا هو العجز البشرى عندما يتحدث الإنسان عن وجوده أو عن قضايا لم يؤهله الله بمعرفتها فطريا ... لذا لزم الإخبار عنها (عن هذه القضايا) بمعرفة الله مباشرة ، من خلال وحيه للإنسان ، ولمن يصطفى منهم من الرسل .

ولكن ما هى الخلفية الدينية لانشتين (والمعروف إنه يهودى الديانة) ، فيستكمل فيرك حواره معه فيقول :

فيرك : يعترف سبينوزا - الذى تعجب به - بوجود قوة مدركة .

آنشتين : أنا مسحور بمذهب ألوهية القوه المدركه التى يقول بها [٦٠] سبينوزا ، ولكنى أرفض لبس " الجاكتة " الضيقة لفلسفة أى إنسان .

فيرك : ما هو أثر سبينوزا فى الفلسفة الدينية ؟

آنشتين : سبينوزا هو أعظم الفلاسفة لأنه أول فيلسوف بحث فى النفس والجسم بإعتبارهما كائنا واحدا لا كائنين منفصلين [٦١].

فيرك : ألم يسبقه فى ذلك أحد فى الهند ؟

---

[٦٠] باروخ سبيوزا Baruch Spionoza (١٦٣٢ - ١٦٧٧) ؛ فيلسوف هولندى . كان من أكبر القائلين " بوحدة الوجود " (أنظر الفصل الرابع لمزيد من التفاصيل) .

[٦١] أنظر الفكر القرآنى حول هذه القضية فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

أنشتين : معظم الفلاسفة مدينون للهندوس [٦٢] ، وإن فلسفة إسبينوزا هى من بناء أفكاره ، لأن الهندوس يتجاهلون الجسم فى فلسفتهم ، لذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا وحدة جوهرية بين الروح والجسد . (إنتهى الحوار)

هذه هى الخلفية الدينية لأنشتين ، فإلى جانب ديانته اليهودية فهو ـ كما يبدو ـ ملم بالديانة الهندوسية . وعموما فهو لا يعترف بالأديان ، كما نرى من إجابته ، حيث لا يعترف بالبعث ، ولا بالخلود الشخصى . وبديهى أن الأديان التى يعرفها أنشتين لم تقدم له شيئا يذكر عن تصوره لله أو حتى تصوره عن نفسه أو تصوره للكون ، ولهذا لجأ إلى فلسفة إسبينوزا الوضعية لعلها تحقق له إشباعا دينيا ما .

وأخيرا ، وقبل أن نترك هذا البند ، نقول لقد بقى لأنشتين إدراكه الفطرى بالله ، وإحساسه بوجوده ، وهذا هو غاية علم الإنسان ، فنجده يقول فى موضع آخر :

" إن أعظم جانشة من جانشات النفس وأجملها تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء والإظلام . إن الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته مثل الميت . إنه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه ، وإظلام لا نستطيع أن نطلع فجره ، ومع هذا فنحن ندرك أن وراءه شيئا من الحكمة ، أحكم ما تكون . ونحس أن وراءه شيئا من الجمال ، أجمل ما يكون . فهو حكمة وهو جمال لا تستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، إلا فى صورة بدائية وآلية لهما ، وهذا الإدراك بالحكمة ، وهذا الإحساس بالجمال فى روعته هو جوهر التعبد عند الخلائق .... إن دينى هو إعجابى فى تواضع تلك الروح السامية التى لا حد لها ، تلك التى تترامى فى التفاصيل الصغيره القليلة التى تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، وهو إيمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنه تترامى عندما ننظر فى هذا الكون المعجز للأفهام ، وإن هذا الإيمان يؤلف عندى معنى { الله } " .

---

[٦٢] الهندوسية ؛ هى ديانة الغالبية العظمى فى الهند الآن ، وقد قامت على أنقاض الديانة الويدية ، وكتابها المقدس هو " الويدا " . وترجع نشأة الديانة الهندوسية إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد (أى حوالى سنة ٣٠٠٠ ق. م.) . والهندوسية هى ديانة تكثر فيها تعدد الآلهة إلى درجة تدعوا للدهشة ، وعلى الرغم من هذا التعدد إلا إنهم كانوا يميلون للتوحيد أحيانا . وحوالى القرن التاسع قبل الميلاد إنتهى فكر الكهنة إلى جمع الآلهة فى إله واحد ، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء هى : " **براهما** " من حيث هو موجد ، وهو " **فشنو** " من حيث هو حافظ ، وهو " **سيفا** " من حيث هو مهلك . وقد جاء فى كتاب " **الباجافاتا بورانا** " وهو من الكتب الهندية المقدسة أيضا ، أن كاهنا توجه إلى الآلهة برهما وفشنو وسيفا وسألهم : أيكم الإله بحق ؟ فأجابو جميعا : إعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فرق بيننا نحن الثلاثة ، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال ؛ بأعماله من خلق وحفظ وإعدام ، ولكنه فى الحقيقة واحد . فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا ، أو عبد الواحد الأعلى . وهكذا فتحت الهندوسية الباب أمام المسيحية فيما يسمى " تثليث فى وحدة ، ووحدة فى تثليث " .

٧ - " الوعى الفطرى بوجود الله " و " ظاهرة تعدد الأديان "

كنت فى أثناء إقامتى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أحرص دائما علـى مشـاهدة صـلاة الاحـاد الجماعية ، أى مساء كل يوم أحد ، والتى يعتـبر القـداس الإلهـى جوهرهـا . حيث كـانت تذيعهـا ثلاث محطات تليفزيونية - على الأقل - فى الولاية التى كنت أقيم بها من الكنائس مباشـرة . وفـى الواقع كنت أفضل مشاهدة " القس جيمى سواجارت " [٦٣] حيث كان أفضل المتحدثين تـأثيرا فـى مستمعيه فى ذلك الوقت .

وكما سبق وأن ذكرت أن الكتاب المقدس عبارة عن بقايا متناثرة من كتب مقدسة فى وسط خضـم هائل من الوثنيات الفكرية (أنظر الفصل التالى) . وبديهى أن تلتقط هذه البقايا المقدسة ـ بعنايـة فائقة ـ من بين هذه الأنقاض لإقامة شعائر صلاة الآحاد .

وعندمـا كـان جيمـى سـواجارت يبـدأ الصـلاة الجماعيـة ، كـان يستحث المصلين دائمـا للإتجــاه بمشاعرهم وقلوبهم إلى " اللـه " فـى السماء . وإن عليهـم إستحضار عظمـة اللـه فـى نفوسـهم ، ويطلب منهم أن يسألوه الرحمة المتكررة لهم وللاخرين [٦٤] ، حيث يحدد فيها المرء فى كـل مـرة أمرا يرجوه من مراحم الرب مثل :

يا رب إرحمنى من أفكارى الشريرة ...

يا رب إرحمنى من تشتت الفكر ...

يا رب إرحم فلان من ضيقته ...

يا رب إرحم أولادنا من مغريات الخطية ...

وهكذا ....

ويطلب جيمى سواجارت من جموع المصلين أن يقوموا بتسبيح الرب ، ويتكرر التسبيح ، وتـزداد حدة إنفعال المصلين ... وكان يردد من الكتاب المقدس ...

---

[٦٣] كان القس " **جيمى سواجارت** " يؤكد دائما فى خطبه على بعض تعاليم الكتاب المقدس ، والتى تقول " بأنه لا جنس قبل الزواج ولا جنس خارج الزواج : No sex before marriage and no sex outside marriage " . بل كـان يذهب الى أبعد من هذا ، حيث كان يهاجم رقص الشباب فى جميع صـوره ، ويهـاجم مدينـة هوليـوود (مدينـة السينما الأمريكية) ويعتبرها بؤرة من بؤر فساد العالم . وقامت فى تلك الأثناء منـاظرة موضوعهـا : " **هل الكتـاب المقدس كلمة الله** " ، بين جيمى سواجارت وبين الداعيه الإسلامى **أحمد ديدات** . وقد تهكم القس جيمـى سـواجارت فـى بدايـة المناظرة على مبدأ تعدد الزوجـات فـى الإسـلام (وهـو مبـدأ مشـروط ويحـوى فـى جوهـره المنـع ، ويبـاح للضـرورة القصوى وبشروط خاصة) . وقال جيمى سواجارت عن الديانة المسيحية ، إنـه يجـب عليـه – كواحـد مـن أتبـاع هـده الديانة – أن يحصل على أفضل طائر له (يعنى إختيار زوجته) من الطلقة الأولى . ثـم كـانت فضيحتـه الجنسية بعـد ذلك ، بعد أن إبتزته العاهرة التى كان يعاشرها ، والتى كان يخصص لها رحلتين شهريتين للإتصال بها بطريقة شاذة إشباعا لرغباته ونزواته . وتوالت الفضائح الجنسية فيما بعد ، على قساوسـة آخريـن أمثـال القس جيم بيكـر ، والقس مارفن كورميج وغيرهم ، وجميعهم من المتحدثين بالتليفزيون .

[٦٤] تعرف هذه الصلاة " **بصلاة كيرييليصون** " . وكيرييليصـون هـى كلمـة يونانيـه مركبـة مـن مقطعيـن ؛ كـيرى : وتعنى رب ، أليصون : وتعنى إرحم . فيكون معناها " يا رب إرحم " .

[باركى يا نفسى الرب . هللويا [65]]

(الكتاب المقدس : مزامير {١٠٤} : ٣٥)

[هللويا . سبحوا يا عبيد الرب . سبحوا إسم الرب . ليكن إسم الرب مباركا من الآن والى الأبد . من مشرق الشمس الى مغربها إسم الرب مسبح]

(الكتاب المقدس : مزامير { ١١٣ } : ١-٣)

[هللويا . سبحوا إسم الرب ...] (الكتاب المقدس : مزامير {١٣٥} : ١)

وهكذا ... وتتكرر ... هللويا ... هللويا ... من جيمى سواجارت ، ليزيد المصلين تسبيحا لله ، ويستحث المصلين على زيادة الإحساس بوجود الله معهم ، ليصل إنفعال المصلين بالحضرة الإلهية الى الذروة ، وهنا تجد الدمع يفيض من عيونهم بغزارة ... ويبكى الإنسان ليسطر :

" شهادة صدق على وجود الله ، وعلى فطريته فى داخل النفس البشرية "

وهكذا لقد تخطى الإنسان ـ بهذا التسبيح المباشر لله ـ كل المضامين الدينية ، وإتجه بقلبه مخلصا إلى الله ، فوجده لديه ... وأدرك وجوده فى نفسه ... وبكى إنسان الفطرة لديه ... وبكيت معه ...!! وهذا هو الإنسان ...!!!

ولنترك الكنيسة الآن .... ولنتجه سويا إلى المسجد ... لنسمع بكاء المصلين المستحضرين لعظمة الله ، ويزداد الإنسان إدراكا لوجود الله ، ليزداد بكاء الإنسان ليصبح نحيبا ، وليتردد أصداؤه بين جدران المسجد ، ليكون نسيج الوجود كله تسبيح ... فيسبح الإنسان ... وتسبح الجدران ... ويسبح الطير ... وتسبح الجبال ... ويسبح الرعد ... حمدا له ... والملائكة من خيفته . ويذكرها الله فى محكم تنزيله ، لتكون شهادة صدق على الإنسان وغروره :

[... وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩)]

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ٧٩)

وكنا فاعلين هذا بقدرتنا .

[ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ... (١٣)]

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٣)

---

[65] تنطق هذه الكلمة " هل - لى - لويا " وهى تعبير عبرى معناه " سبحوا يهوا (أى الله) أيها الناس "
" Praise Joh (Jahova) , you people " (See, "Aids to Bible Understanding " , page 705)

ذلك هو الله ...

[سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣) تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٤٣ - ٤٤)

حليما على ذلك الإنسان وجهله ، غفورا لغروره وظلمه لنفسه ... وليتضاءل الوجود بأسره ، وليتضاءل الكون باتساعه ، وليتضاءل الإنسان بعلمه ، أمام القدرة المتعالية " لله " ، ذلك هو :

[... الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار (١٦)]

(القران المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

ونترك الكنيسة ... ونترك المسجد ... ونتجه إلى المرصد الفلكى ... ويروى لنا العالم الهندى " عناية الله مشرقى [٦٦] " قصته مع سير جيمس جينز[٦٧] فيقول : كان سير جيمس جينز يلقى عليه محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وأبعادها وفواصلها اللامتناهية ، وطرقها ، ومداراتها وجاذبيتها ، وطوفان أنوارها المذهلة ، حتى إننى شعرت بقلبى يهتز من هيبة الله وجلاله ، أما (السير جيمس) فوجدت أن شعر رأسه قائما والدموع تنهمر من عينيه ، ويداه ترتعدان من خشية الله . وتوقف فجأه ثم بدأ يقول :

" يا عناية الله ..!! عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهى ، وعندما أركع أمام الله وأقول له : إنك عظيم ... أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين ، وأحس بسعادة تفوق سعادة الاخرين ألف مرة "

وهكذا أدرك الإنسان " وجود الله " من خلال علمه ، وسبح لله خشية منه . وليذكرها الله فى محكم تنزيله ، لتكون شهادة صدق على الإنسان وغروره :

[... ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (٢٧) ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور (٢٨)] [٦٨]

---

[٦٦] " الإسلام يتحدى " ؛ وحيد الدين خان ، المختار الإسلامى . ص : ١٣٣ .

[٦٧] (سير) جيمس جينز (Sir) Games Jeans (١٨٧٧ - ١٩٤٦) ، فيزيائى ورياضى وعالم فلكى بريطانى ، قال بأن المادة تخلق على نحو موصول .

[٦٨] تعنى هذه الاية الكريمة أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله ، سبحانه وتعالى . وإستكمالا للقصة المذكورة ، يقول الدكتور عناية الله مشرقى : لقد إستسمحت سير جيمس جينز فى قراءة هذه الأية ، فلما قرأتها عليه وسمع النص القرانى :

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٢٧ – ٢٨)

[جدد : جمع جدة وهو الطريق فى الجبل وغيره / غرابيب : جمع غربيب وهو شديد السواد]

وهكذا أدرك العلماء جزئية صغيرة من " فعل إلهى كلى ومحيط " وهو " العلم " ، وبذلك أدرك العلماء الله ووجوده فى أنفسهم ... وركعوا ... وبكوا ... بعد أن أدركوا الله لديهم .

وهكذا أدرك العامة وجود الله ، وأدرك الخاصه وجود الله ، وأدرك العلماء وجود الله ... وهكذا أدرك الإنسان وجود الله ...!!! وفجأة - وبهذا الإدراك - ووسط هذا الحماس ...!! قام الإنسان وبإنفعال شديد ، وحماسة زائدة بهذه المعرفة ، وبدون أن يعى أو أن يدرك ما يقول ... وقال :

" حسنا ...!! لقد تأكد لدينا – نحن بنى البشر – بما لا يدع مجالا لأى شك أن الله موجود ، ولما كان الدين هو مصدر الإله ، لذا لزم الأمر أن يكون الدين صحيحا طالما أن وجود الله صحيحا

وأصبح هذا الفكر مسلمة نهائية ملزمة للإنسان ولها صفة القانون ، ولم يناقش الإنسان ما جاء به الدين مستندا إلى تلك المسلمة . وأصبحت تلك المسلمة بمثابة " **خيط العنكبوت الذى نسجه الإنسان حول نفسه** " ، وسقط الإنسان فى الفخ - كما سنرى - بهذه المسلمة التى فرضها على نفسه ، ليهبط بها إلى غياهب التعدد والشرك ... بدون أن يعى ...!!

لقد أدرك الإنسان البرهان المادى (أى الأثر المادى) والوجدانى عليه ، نتيجة وجود الله وفطريته فى النفس البشرية ، وأصبح لزاما على الإنسان أن يقر بصحة الدين ، طالما أن الدين هو مصدر التعريف بالإله . ولم يناقش الإنسان الدين وما جاء به عن الإله . **ولم يدرك الإنسان أنه ليس ثمة علاقة بين فطرية الله فى النفس البشرية ، وبين ما يمكن أن يأتى به الدين من وثنيات فكرية عن الله ، فـ " القضية الدينية " هى قضية مستقلة عن " قضية وجود الله "** .

إن على الإنسان أن يدرك أن " قضية المضامين الدينية " هى قضية مختلفة تماما عن " قضية وجود الله " . فبينما الثانية (أى قضية وجود الله) هى قضية فطرية فى النفس البشرية فى

[.. **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ..] ، صرخ قائلا : ماذا قلت ؟ [.. **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ..] مدهش ، وغريب ، وعجيب جدا ، إنه الأمر الذى إكتشفته بعد دراسة ومشاهدة إستمرت نحو خمسين عاما ..!! هل هذه الآية موجوده حقا فى القرآن ..!! لو كان الأمر كذلك فأكتب شهادة منى بأن القرآن موحى به من عند الله . وبديهى نحن لا نقول بهذا تأييدا للفكر القرآنى ، بل نقول بهذا لأن **أحد العلماء** قد أدرك جزئية قال بها القرآن المجيد فى إحكام شديد ، فى ستة كلمات فقط ؛ بينما - هذه الجزئية - قد إستغرقت معرفتها منه حياته بالكامل لإدراك معناها .

المقام الأول ، إلى جانب كونها قضية رؤية مباشرة لهذا الوجود المتنوع ، مما يسهل الإستدلال عليها ذاتيا وخارجيا ، بل ويمكن إدراكها إدراكا مباشرا بقدر لا يخطئه الفكر البشرى .

إلا أننا نجد أن القضية الأولى (أى قضية المضامين الدينية) هى " قضية علمية " فى المقام الأول والأخير . إذ يجب أن تحوى البينات الذاتية واللازمة للبرهنه على صحتها ، وهو برهان لا يقل فى دقته وصرامته عن البرهان اللازم للدلالة على صدق أى نظرية علمية كبرى . هذا من جانب . ومن جانب اخر ؛ يجب ألا تحوى القضية الدينية أى مضامين متناقضة مع نفسها أو مع المنطق الفكرى المتفق عليه لدى الإنسان . حيث أن وجود مضامين متناقضه مع بعضها البعض ، سوف يكفى لتقويض القضية الدينية من جذورها , وتصبح القضية بهذا المعنى " **غير متسقة مع نفسها : Self - inconsistent** " ، وهو ما تعتبره الفيزياء العامة أو الرياضه السيف الذى يقضى على أى نظرية فيزيانية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها .

وكم من كتب كتبت لبيان أن الله موجود ، وجال فيها الكاتب وصال ، وأجهد نفسه فى البرهنه على وجود الله بشتى الطرق ، ثم فجأه قفز إلى النتيجة التى تقول بأن : " ديانته صحيحة " أو بمعنى آخر أن المضامين الدينية لديانته صحيحة طالما إنه قد برهن على وجود الله . ولم يدرك الكاتب أنه ليس هناك علاقة بين البرهان على وجود الله ، وبين البرهان على صحة المضامين الدينية . حيث أن كلا منهما قضية مستقلة عن الأخرى . صحيح أن هناك علاقات متبادلة بين القضيتين ، ولكن لابد لنا من الوعى والحذر عند الربط بينهما . فلا بد وأن يعى الإنسان ــ وكما سنرى ـ أن :

" الله مصدر الدين ، وليس الدين مصدر الله "

فالقضية الأولى (الله مصدر الدين) تعنى وحدانية الدين ، بينما القضية الثانية (الدين مصدر الله) تعنى تعدد الأديان . وسنعود الى شرح هذا المعنى فى فقرة أخرى .

ولابد لنا أن نؤكد مرة أخرى ، أن " الوعى الفطرى بوجود الله " ، والذى يمكن أن نراه فى دموع الإنفعال " بالحضرة الإلهية " لدى الأفراد فى المساجد ... فى الكنائس ... فى المعابد ... فى أى دور للعبادة لأى دين ، وكما نجده كذلك لدى العلماء ، ولدى العامه ، ولدى الخاصة ... ولدى الإنسان فى أى مكان ... وفى أى زمان ...!!! إن هذا الوعى ـ فى الواقع ـ يؤكد على "وجود الله " وفطريته فى النفس البشرية . بل ويجعل الإنسان يدرك بحاسة لا تخطىء بأن " الله موجود " حقا وصدقا . وكثيرا ما يتعدى الإنفعال الذاتى بالحضرة الإلهية دموع الإنسان إلى بكائه ، أو حتى عويله بصوت مرتفع ، وفى بعض الأحوال ــ الخاصة جدا ــ يصل الإدراك الذاتى

بالوجود الإلهى إلى حد فقدان المرء لوعيه أو حتى الإغماء . ولن نسترسل فى طرق الإقتراب من الله لدى الصوفية [٦٩] . فجميع هذه الطرق لها محاذيرها الخاصة [٧٠]. كما وإن جميع هذه الخبرات متاحة للجميع ، ومتاحة لمن يشاء .

والواقع إن المشكله الحقيقية فى تعدد الأديان تكمن فى هذا " الوعى الفطرى لدى الإنسان بوجود الله " مع عدم إدراك أن هذا الإنفعال ذاتى وينبع من النفس البشرية ذاتها ، وليس للوثن الماثل أمامه الإنسان أى علاقة بهذا الإنفعال . وشأن هذا الإنفعال هو شأن أى غريزة فطرية أخرى لدى الإنسان . فالإنسان يجوع ويعطش سواء رأى الطعام والشراب أم لم يرهما ، وكما يسيل لعاب الإنسان إن أدركته رائحة الشواء ، كذلك تسيل دموع الإنسان إن أدركه الإحساس الصادق بوجود الله .

وكما يشبع الإنسان الطعام الجيد ، يشبعه أيضا الطعام الفاسد ، ولكنه يقضى عليه . وكذلك الدين ، فكما يفى الدين الصحيح بحاجة الإنسان ، يفى الدين الفاسد أيضا بحاجة الإنسان (وذلك فى حدود عدم نضوج الفرد الفكرى ، أو التدين الساذج) ، ولكنه يقضى عليه فى النهاية .
إن " دموع الإنفعال بالحضرة الإلهية " هى شهادة صدق على " وجود الله " ، وهى دموع ناتجة من إنفعال المرء الذاتى " بحضرة هذا الوجود " وليس للمؤثرات الخارجية أو المثول بين يدى وثن أو التواجد فى دور خاصة للعبادة أكثر من إستثارة لهذه الغريزه الفطرية فحسب ، وتهيئة الظروف المناسبة لحدوثها . فالغريزة ذاتية فى الفرد (وليس لها عضو خاص) ، والفرد نفسه

---

[٦٩] هم فئات تنسب الى شيوخهم (مثل الطريقة الشاذليه ، والنقشبنديه ، والرفاعيه ، والعزميه ، والبيوميه ، ... وغيرهم) ، ومعظم هذه الطرق - إلى جانب العبادة المفروضة - تقوم على ذكر الله (بمعنى ذكر أسماء الله الحسنى بعددها الواقع عليها) فى أوقات محددة وليال محددة . وللأسماء الحسنى (أو الكمالات الإلهيه) لها تجليات شتى . وإن لكل إسم من أسمائه - سبحانه وتعالى - بابا يوصل إليه ، وروحانية يصعد بها المرء إليه ، تصديقا لقوله تعالى :

[**ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها** ... (١٨٠)] (القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٨٠)

ويرى الصوفية أن ذكر أسماء الله الحسنى بعددها الواقع عليه (أنظر التفاصيل العددية فى الكتابات التالية إن شاء الله) هى مفتاح الوصول إلى إدراك الحضرة الإلهية ، وتجاوز هذا العدد خطرا لمن لا شيخ له (أى لمن لا مرشد له) يهديه السبيل فى هذا الطريق .
والصوفية يروا أن الحجب تتفتق من حولهم شيئاً فشيئاً بالذكر ، حتى يقع الشهود (بمعنى شهود الحضرة الإلهية) ، فإذا حصل الشهود إستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وهنا يقف القلم عاجزا عن وضع المعانى فى الكلمات ، وتصل النشوة مداها ؛ وليس كل ما يعرف يمكن أن يقال .

[٧٠] أو بمعنى آخر ؛ يجب ألا يترك المرء إنفعالة الذاتى بالحضرة الإلهية على عواهنها ، حتى لا ينزلق المرء كثيرا إلى منطقة الجذب الإلهى ... حيث **يمكن** ألا يكون هناك عودة صحيحة - ربما - لفكر الإنسان أو صحته .

هو مصدر الإحساس بها ، كما هو مصدر الإحساس بالإلهام الإلهى الحادث فى نفسه ، وليس الوثن أو التواجد فى مكان خاص هو مصدرها .

إن هذا الإحساس ، أو هذه الفطرة هى - فى الواقع - " **حجر الزاوية فى مشكلة تعدد الأديان** " . وعادة ما يقوم رجال الدين أو **الكهنة صناع العقيدة** - بوعى منهم أو بدون وعى ، بعلم منهم أو بدون علم - بزرع الوثن فى هذا الجو الإنفعالى ، بعملية غسيل مخ منظمة ، ليصبح الوثن - بعد هذا - إلها ، ويعبد الوثن ، وتعدد الالهه ، وتعدد الأديان .

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أنه بعد غرس الوثن فى فكر أتباع العقيدة ، يقوم رجال الدين أو الكهنه بتغليف العقيدة بنوع خاص من الغموض ، والقدسية اللازمة والتى لا تسمح للأتباع بمناقشة قضايا الدين بأسلوب علمى أو منطقى . وفى هذا الصدد يقول جروف (Grove) [٧١] :

" كانت سلطة محاكم التفتيش تحجر على الفكر الإنسانى ، وكانت تتجسس على المعرفة لتتكل بها ، وتولدت عن هذه السلطة رهبة نفسية لدى الأفراد حتى صارت بحكم التقادم عادة دينية ، فلم يعد من السهل على الرجل الأوربى أن يعالج مسألة فى الدين بطريقة علمية ، وذلك لما للدين من الحرمة والقداسة عند الناس . فلا يكاد الكاتب يحاول ذلك حتى يوصم بأنه ملحد أو هرطيق مهما كان الباعث له على هذا البحث ساميا ... " ومازلنا نرى بعض آثار هذا الفكر حتى يومنا هذا لدى بعض العامة والخاصة .

وبديهى أن يتنوع إسلوب زرع الوثن فى النفس البشرية بتنوع الأديان . ويصبح هذا الإسلوب بمثابة " **عملية غسيل مخ جماعية** " يجريها كهنة العقيدة على الجموع الغفيرة من الأتباع .

فعلى سبيل المثال ، نجد فى الفكر المسيحى ، وقبل قيام الفرد " بصلاة طلب الرحمة [٧٢] " ، **فإن رجال الدين يطلبون من الفرد ترديد - فيما بينه وبين نفسه - ما ينبغى منه الإعتقاد فيه** ، وذلك حتى يترسخ فى نفسه هذا الإعتقاد ليصبح قانون إيمانى مطلق . وفى هذا الصدد نجدهم يقولون [٧٣] :

[أيها الأخ الحبيب عندما تصلى مع الكنيسة صلاة كيربيليصون ٤١ مرة ، حاول أن تتذكر الجلدات التسعة والثلاثين التى ألهبت ظهر حبيبك يسوع من أجلك ، وتتذكر إكليل الشوك الذى

٧١ " يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء " د. رؤف شلبى ، مكتبة الأزهر . ص : ٣٤ .
٧٢ تعرف هذه الصلاة " بصلاة كيربيليصون " ، كما سبق الإشارة إليها فى بداية هذه الفقرة .
٧٣ " كيف تستفيد من القداس الإلهى " ، كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر ، ص : ١٧ .

وضعوه على رأسه بإستهزاء وسخرية . وتتذكر كيف ضرب على رأسه بالقصب فانغرست الأشواك فى جبينه حتى أدمته ، ولا تنسى تلك **الطعنة النجلاء فى جنبه الإلهى** فسالت الدماء طهرا للأرض كلها .... هذه هى الآلام التى تريدنا الكنيسة أن نتذكرها عند تلاوة هذه الصلاة القصيرة فى مبناها العظيمة فى معناها] . (إنتهى)

فهكذا نرى إن على المصلى ، أثناء الصلاة وأثناء إستحضاره للعظمة الإلهية فى نفسه ، أن يكرر تذكره (٤١ مرة) لما فعلته البشرية بإلهه :

- فعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "بالإله " [٧٤] وجلدوه تسعة وثلاثون جلدة .
- وعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "بالإله " ووضعوا فوق رأسه إكليل من الشوك.
- وعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "بالإله " وكيف ضربوه فوق رأسه (الكريم) بالقصبة .
- وعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "بالإله " وكيف طعنوه فى جنبه الإلهى بالحربة.
- وعليه أن يتذكر كيف سالت الدماء من الجنب الإلهى لتكون طهرا على الأرض .

لتترسخ صورة " الإله " فى فكر العامة ـ كما رسمتها الديانة بعناية شديدة ـ بأنه ذلك " الإله المتجسد " [٧٥] ، والذى أمسكت به مخلوقاته وأنزلت به كل صنوف العذاب والذل والهوان ، من جلد وضرب وركل وبصق وطعن ، ولم يكتف المخلوق بكل هذا ...!!! بل قام الإنسان " بقتل الإله دون أن يعترض الإله أو حتى يفتح فاه " [٧٦] .

وهذا التجاوز الفكرى على الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ نجد جزاؤه فى قوله تعالى :

[ونسوق المجرمين الى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من إتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧) وقالوا إتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠) إن دعوا للرحمن ولدا (٩١) وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٢) إن كل من فى السماوات والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا (٩٣) لقد أحصاهم وعدهم عدا (٩٤) وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (٩٥)]

---

[٧٤] كما سبق أن ذكرت ، لا يمكن أن أزج بلفظ الجلاله " الله " ، فى مثل هذه الوثنيات . بينما التعبير يعنى " الله " ... [**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** ...] (أنظر الباب التالى للتفاصيل) .

[٧٥] الله فى الصوره البشريه على الأرض هو " الإبن " ، والله فى السماء هو " الآب " ، أما الروح القدس فهو (الله أيضا) ، فهو الإقنوم الثالث فى اللاهوت وهو ليس صفة بل هو ذات حقيقية وشخص حى ، وهو نارى أيضا ، وله تعريفات كثيرة منها " النار الإلهيه " (أنظر : كلمات هادئه عن الروح القدس . القس ابرام داود سليمان ، ص: ٥)

[٧٦] " كيف تستفيد من القداس الإلهى " ، كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر ، ص : ١٧ .

(القرآن المجيد : مريم {١٩} : ٨٦ - ٩٥)

[وردا : جمع وارد بمعنى يمشى عطشان / إدا : منكرا عظيما / الإنفطار : الإنشقاق / هدا : سقوطا وهدما]

وعلينا أن ننتبه إلى سياق المعنى القائل : [**إن كل من فى السماوات والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا**] ... فالمسيح (الإله فى الصورة البشرية من وجهة نظر العقيدة المسيحية) كان على الأرض ، لذا سيأتى " الله " عبدا ، وحتى إن صعد المسيح الى السماء (الآب) فهو سيأتى " الله " عبدا أيضا . فالله - سبحانه وتعالى - منزه عن التحيز ، أى أن يكون له تحيزا ما فى الأرض ولا فى السماء . وما قصدت بهذا التنبيه إلا لأقطع الطريق على كثيرين من المرضى - كما يصفهم بهذا علماء النفس الأمريكيون - من هواة التفسير المشوه للايات ، والتبرير الفاقد للعقل والمنطق ، وحتى لا تضل به الخاصة قبل العامة [٧٧] .

إن الله يصف نفسه بالأحدية ، وليس له كفؤا ، كما جاء فى " سورة الإخلاص " ، حيث يوحى الله - سبحانه وتعالى - إلى رسوله الكريم للإخبار عنه بقوله تعالى :

[**قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد (٤)**]

(القرآن المجيد : الإخلاص {١١٢} : ١ - ٤)

فالله هو :

[**فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شىء عليم (١٢)**]

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١١ - ١٢)

[فاطر : خالق / يذرؤكم فيه : يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم و يعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام / يبسط : يوسع / يقدر : يقتر]

إنه

[**بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (١١٧)**] .

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١١٧)

---

[٧٧] أنظر الفصل الثالث للتفاصيل ، وأنظر الذيل رقم ١٨٣ من هذا الفصل .

إن على الإنسان أن يعى نفسه ، وأن يتـدارك موقفـه ، ويتنبـه إلـى حقيقـة وجـوده قبـل أن يدركـه الموت ، ويصبح وجها لوجه مع الحقيقة المطلقة ، ليكون هو الخاسر الوحيد فـى هـذا الوجـود . وليست الحقيقة صعبة المنال كما قد يتبادر الى الذهن ، بـل هـى دون الذكـاء الفطـرى للإنسـان ، كما قضى بذلك العدل الإلهى . فالإنسان يختبر فيما يطيق ويقدر ، فهو يختبر فيما هو دون ذكائـه الفطرىّ بكثير . وليس هذا فحسب ، بل قضت الحكمة الإلهية أيضا ، أن يعين الله الإنسـان علـى فهم هذا الواقع ، بإرسال الرسل إليه ، وحتى لا يخطىء الإنسان فى التوجه إلى اللـه ، كمـا جـاء فى قوله تعالى :

[... لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)]
(القران المجيد : النساء {٤} : ١٦٥) .

وكما يقول الله فى محكم التنزيل :

[من إهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنـا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)]
(القران المجيد الإسراء {٦} : ١٠٤)

يا أيها الناس :

[قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)]
(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٤)

٨ ـ " *قضية دينية* " *أم* " *قضية علمية* "

من الأخطـاء البشرية الشائعة والواضحـة معـا ، أنـه عندمـا تذكـر كلمـــة " الديـن " ينصـرف الذهـن الـى كـل مـا هـو " ميتـافيزيقى " أو " فيمـا وراء الطبيعـة " والـذى لا تحكمـة قوانيـن مألوفـة ومحـددة لا يمكـن التثبـت منهـا أو القطـع بصحتهـا . وعلـى هـذا فقـد إقـترنت " **القضيـة الدينية** " بمفهـوم " **القضيـة الغيبيـة** " حيـث يمكـن أن تلعـب الأسـطورة والخرافـة دورا رئيسـيا فـى صياغتهـا ، كمـا يلعـب المـيراث الدينـى الـدور الحاسـم والرئيسـى فـى توجيـه العقـل وإعـادة صياغـة المنطـق الفكـرى نحـو تقبـل مضامينهـا . لـذا كـان علينـا قبـل أن نذهـب الـى مناقشـة وتحليـل تعريـف الديـن أن نتسـاءل :

ما هو الدين ؟ وهل الدين " قضية غيبية " ؟ أم أن الدين " قضية علمية " تخضع لنفس القواعد العامة والقيود الصارمة التى تخضع لها " القضية العلمية " ، وبذلك يسهل إختبارها والقطع بصحتها ؟

ونسوق الإجابة على هذه التساؤلات – فى ايجاز شديد – من واقع الصياغة القرآنية [٧٨] ، عن الفكر الدينى والتى تؤكد هذه الصياغة ، على أن الدين هو " **علم مطلق على نحو كلى وشامل** " . وبادئ ذى بدء نجد قوله تعالى لرسوله الكريم هو كالاتى :

[... ولئن إتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير (١٢٠)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٢٠)

والخطاب هنا موجه الى محمد (ﷺ) ، حيث يقول له الحق تبارك وتعالى : (... **ولئن إتبعت أهواءهم ...**) أى أهواء اليهود والنصارى ، بعد أن تشوهت عقائدهم [٧٩] ، يا محمد (... **بعد الذى جاءك من العلم ...**) ، ولم يقل له المولى ، عز وجل : " **بعد الذى جاءك من الدين** " ، بل قال له (... **بعد الذى جاءك من العلم ...**) وحيا من الله – سبحانه وتعالى – فـ (**مالك من الله من ولى ...**) يحفظك (**ولا نصير**) يمنعك منه .

ثم نجد قوله تعالى – للرسول الكريم – فى موضع اخر :

[... ولئن إتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين (١٤٥)]

(القران المجيد : البقرة (٢) : ١٤٥)

---

[٧٨] كما سبق وأن ذكرنا ، وسنكرر ذلك على مدى الكتاب ، أن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحية** " هى " **مجرد مسلمة أساسية** " أى أن قبولنا لها هو " **قبول معلق** " . بمعنى أن القبول النهائى لها سوف يتوقف على مدى ما تؤدى إليه - هذه المسلمة - من نتائج . فإن صدقت النتائج صدقت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة ، وهذا هو عين ما يحدث فى مجال النظريات الفيزيائية الكبرى ، كما سبق وأن ذكرنا فى المقدمة . وكما سنرى هنا أن هذه المسلمة تقود إلى النتيجة التى تقول بأن " **القضية الدينية** " هى " **قضية علمية** " ، وهو ما يحتمه فكر التكليف أو الإبتلاء الإلهى للإنسان ، والغايات من خلق الإنسان . **فلا يمكن أن يكلف " الله " الإنسان بما لا يستطيع التأكد منه والقطع بصحتة** ، أى القطع بصحة " القضية الدينية " والتثبت منها . فالتكليف بما لا نستطيع التأكد منه والقطع بصحته ، هى حجة يمكن أن نقيمها على الله فى الاخرة ، سبحانه وتعالى عن هذا علوا كبيرا ...

[قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩)] (القران المجيد : الأنعام (٦) : ١٤٩)

[٧٩] أنظر الفصل التالى .

وبهذا نجد أن " **القضية الدينية** " قد أشير إليها في القران المجيد بمفهوم " **القضية العلمية** " وذلك بالمعني العريض للكلمة (كما سنرى حالا) . ولم يقتصر معنى هذا الأمر الإلهى على محمد (ﷺ) ، بل هى قضية عامة قد ساقها الله ــ سبحانه وتعالى ـ لكل الأنبياء والرسل السابقين . فإن ما جاء به الأنبياء السابقين فى الفكر القرانى هو " **علم** " أيضا وإن سمى " **دينا** " . فهذا إبراهيم (عليه السلام) يقول لإبيه :

[يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا (٤٣)]

(القران المجيد : مريم {١٩} : ٤٣)

ولم يقل لأبيه " إنى قد جاءنى من الدين " ، بل قال له (**إنى قد جاءنى من العلم**) .

وينبئنا الحق تبارك وتعالى ، بأن ما اتاه للإنبياء هو علم ، وإن كان أسمه دينا أيضا . فهذا يوسف (عليه السلام) يقول عنه الحق تبارك وتعالى :

[ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين (٢٢)]

(القران المجيد : يوسف {١٢} : ٢٢)

ولوطا (عليه السلام) :

[ولوطا آتيناه حكما وعلما ... (٧٤)]

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ٧٤)

وداود وسليمان (عليهما السلام) :

[ولقد ءاتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (١٥)]

(القران المجيد : النمل {٢٧} : ١٥)

وموسى (عليه السلام) :

[ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين (١٤)]

(القران المجيد : القصص {٢٨} : ١٤)

وهكذا يتوالى " العلم " على الأنبياء والرسل ... وإن سمى " **دينا** " أيضا . وهكذا نرى أن الدين علما وليس " **قضية غيبية** " كما هو شائع فى الفكر البشرى . فالذى

أنزل على محمد هو " علم " ، والذى أنزل على الأنبياء هو " علم " أيضا ، لأن الله واحد ولا متغير ، وإن سمى ذلك دينا أيضا .

ولكن ما هى طبيعة هذا العلم ؟ وهل هو علم محدود أم علم كلى ؟ وللإجابه على هذه التساؤلات نعود للقران المجيد ليخبرنا أن المتكلم فى الدين هو " الله " بكمالاته المطلقه . لذا فإن علمه هو علم مطلق ، أو بمعنى آخر هو علم ذى طبيعة شمولية وكلية لا عهد للإنسان بها . ولننظر الى قوله تعالى لتنبيه البشرية الى هذا المعنى ، وتنبيه من يتشدقون بالعلم :

[إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما (٩٨)]

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ٩٨)

وإلى قوله تعالى :

[... وأن الله قد أحاط بكل شىء علما (١٢)]

(القرآن المجيد : الطلاق {٦٥} : ١٢)

وهذه الإحاطة المطلقة لعلم ما نعلم ، كما تشمل أيضا المعنى المطلق لعلم مالم نعلم . كما يتضح هذا المعنى فى قوله تعالى :

[هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهاده (٢٢)]

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ١٢)

أى علم ما نعلم وعلم مالا نعلم . ذلك هو الله المتحدث فى الدين .... قد أحاط بكل شىء علما ... ووسع كل شىء علما . إذن فالعلم هنا هو علم كلى وشمولى يتناسب مع جلال التعريف بالله ـ سبحانه وتعالى ـ خالق كل شىء . بل ويصل العلم الإلهى إلى أغوار النفس البشرية ، كما جاء فى قوله تعالى :

[إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور (٧٨)]

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٣٨)

وفى قوله تعالى :

[ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦)]

(القرآن المجيد : ق {٥٠} : ١٦)

والوريد هنا يحمل معنى الشرايين والأورده القلبية للإنسان ، فأى قرب بعد هذا ... !! ولا يستطيع البشر الإحاطه بهذا العلم الإلهى إلا بما يشاء به الله وبما يسمح ، كما جاء فى قوله تعالى :

[... ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ... (٢٥٥)]
(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

ثم نأتى إلى السؤال التالى : وما هى طبيعة الكتاب المنزل (أى القران) من الله — سبحانه وتعالى — على محمد (ﷺ) ؟ فيقول الله — سبحانه وتعالى — عن هذا الكتاب :

[ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢)]
(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٥٢)

أى إنه كتاب علم أيضا ، فصلت اياته — أى بينت آياته وتطبيقاتها الكونية — بعلم إلهى . ولكن ما هى طبيعة صياغة هذا الكتاب ؟ فنجد الله — سبحانه وتعالى — قد عرف هذه الصياغة على النحو التالى :

[آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١)]
(القران المجيد : هود {١١} : ١)

وكلمتى " .. أحكمت آياته .. " تعنى أن الصياغة الكلامية لهذا الكتاب لكل أية من آياته (أو بمعنى آخر لكل جملة من جمله) تحوى أقل عدد ممكن من الكلمات ، والتى تعطى — فى نفس الوقت — أكبر طيف ممكن (إن لم يكن طيفا لانهائيا) من المعانى الصحيحة ، والتى تصلح لوصف كل ما هو متعلق بالكليات والجزئيات العلمية والفيزيائية فى كل زمان وفى كل مكان ؛ مهما كانت طبيعة التقدم العلمى للعصر التى تشرح فيه ، أو تؤل فيه هذه الآيات .

فتفسير القران أو بمعنى أدق **تأويل القرآن** إنما يعكس — فى الواقع — الخلفية العلمية الخاصة بالفرد المتكلم بتفسيره أو تأويله ، كما يعكس أيضا الخلفية العلمية للعصر الذى يتم فيه هذا التفسير أو هذا التأويل — وسنأتى الى بيان ذلك فى تفصيلات كثيرة فيما بعد — وهذا ما يعرف باسم " **البرهان الحركى أو البرهان المتحرك** " أو " **البرهان**

الديناميكى : " The Dynamic proof " لما يجىء به القران المجيد من براهين تنتهى عند ثقافة العصر . وسوف تتضح تلك المعانى عند المقارنة بين البراهين العقلية التى جاء بها الإنسان بفكر أعلامه للبرهان على وجود الله ، ونفس هذه البراهين عندما يجىء بها القران المجيد أو كما تأتى بها الصياغة الإلهية المباشرة فى القران المجيد .

والان ... إذا ما إستثنينا إيمان العوام والبسطاء فلنا أن نتساءل أولا ونقول : هل يمكن الحكم العلمى والقطع النهائى بأن الكتاب الذى نزله الله على محمد (ﷺ) ـ من خلال الوحى ـ هو كتاب حقيقى ، وليس كتابا وضعيا (أى بمعنى إنه كتاب من وضع محمد ـ ﷺ ـ نفسه وليس موحى به من الله) ؟

والإجابه على هذا السؤال هو بالإيجاب .... نعم يمكن الحكم على هذا الكتاب وتحديد ماهيته بدقة متناهية ، فالقضية ـ إذن ـ ليست " قضية غيبية " لا يمكن القطع بصحتها ، ولكنها " قضية علمية " من السهل الحكم عليها ، كما يمكن القطع بصحتها .

والسؤال التالى لذلك هو : ولكن من هو الشخص الذى يستطيع أداء مثل هذا الحكم القاطع ؟ ويجيب الله على هذا السؤال بقوله تعالى :

[ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد (٦)]

(القران المجيد : سبأ {٣٤} : ٦)

فى منتهى الوضوح والصراحة (... **ويرى الذين أوتوا العلم** ...) . فهكذا تحدد هذه الاية الشرط الواجب توافره فيمن يستطيع الحكم على طبيعة ونوعية هذا الكتاب المنزل من الله . وهذا الشرط هو أن من يستطيع الحكم على هذا الكتاب يجب أن يكون من الذين (... **أوتوا العلم** ...) ، أى أن يكون من العلماء .

إذن " فالقضية علمية " ، بمعنى أن الدين علم والكتاب المنزل من الله ، سبحانه وتعالى ، هو " كتاب علم " أيضا ، وبالتالى فإن الحكم فى تلك القضايا يجب أن يكون للعلماء أيضا. ويذلك لا يستطيع الحكم فيها جاهل . فأين هم العلماء أصحاب الحكم والفكر من الجهله أدعياء العلم ....!!
ثم تلى النتيجة الطبيعية لمعرفة أن هذا الكتاب منزل من عند الله ، سبحانه وتعالى ، هو التصديق به والإيمان به ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين ءامنوا الى صراط مستقيم (٥٤)]

(القران المجيد : الحج {٢٢} : ٥٤)

[فتخبت له قلوبهم : أى تخضع قلوبهم للقرآن وتذعن بالتصديق به]

حيث تبين هذه الاية الكريمة ؛ أن الإمتداد الطبيعى للمعرفة بأن هذا الكتاب منزل من عند الله هو الإيمان به (... **فتخبت له قلوبهم** ...) أى تخضع له قلوبهم وتذعن بالتصديق به (أى بالقران) . وتصل ذروة الأيمان والمعرفة العلمية بالإنسان الى الخشوع والبكاء عند سماع ايات القران ، كما فى قوله تعالى :

[وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (١٠٥) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٦) قل ءامنوا أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا (١٠٧) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٠٥ – ١٠٩)

[على مكث : على مهل وتؤده ليفهموه]

وبديهى لا يمكن أن يقول بمثل هذا القول إلا " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ لسبب بسيط جدا ، هو أن هذه الآيات تحوى قضايا إختبارية مباشرة ، أى قضايا تخضع للملاحظة والتحقيق . وهذا عين ما يحدث فعلا لكثيرين من العلماء ، والعامة والخاصة . فـ " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق الذى ركب الطبيعة الفطرية لدى الإنسان ، وهو الذى ركب " رد الفعل التلقائى "[٨٠] ، فى الجانب النفسى للإنسان عند سماع النص القرانى وإدراك معانيه ، وهو الذى وضع كل هذه المعانى الكلية الواردة بالنصوص ، والتى سوف تؤدى الى تلقائية سجود الإنسان ، وبكائه عند إدراكه لهذه المعانى ، وإدراكه لمدى ضعفه ، وقلة حيلته وهوانه ، وهوان عقله وحدوده المتناهية أمام قدرة تتجلى عن ذاتها فى الكمال والإستعلاء والإحاطة العلمية اللامتناهية .

---

[٨٠] البكاء عند قراءة القرآن أو سماعه وإدراك معانيه ليست ظاهرة فريدة أو ظاهرة خاصة لا نجدها إلا عند المؤمنين أو أهل العلم فقط من المسلمين ، بل هى ظاهرة عامة جدا ومنتشرة حتى بين العوام والبسطاء ، وربما لا تخلو صلاة ـ جماعية ـ من دموع أو بكاء وذلك عندما يمتزج إدراك المعانى بادراك الحضرة الإلهية (أى الإحساس الصادق بوجود الله ، سبحانه وتعالى) .

وهكذا لقد نزل الدين بالمفهوم العلمي وبالمعنى العريض للكلمة ، ومن ثم " فالقضية الدينية " هى " قضية علمية " و " القضية العلمية " هى " قضية دينية " لا فرق بينهما . فالعلم دين والدين علم ، والمتكلم فيهما هو " الله " :

[... خالق كل شيء وهو الواحد القهار (١٦)]

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

وكما سبق ذكره فإن الله قد **(.. وسع كل شئ علما ..)** ، وإن الله قد **(.. أحاط بكل شئ علما ..)** ، لذا لزم أن يكون العلم الموحى به من الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو علم كلى ومحيط . والكتاب (أى القرآن) الموحى به الى الرسول (محمد ؛ ﷺ) هو كتاب علم كذلك قد **(.. أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)** ، والحكم والقطع بصحة هذا الكتاب منوط بعلم الفرد ، فإن كان الفرد من العلماء سهل عليه معرفة وإدراك صحة هذا الكتاب . أما إن كان الفرد ممن لا يملكون من العلم نصيبا صعب عليه إدراك ذلك ، ولا يحسب من العلماء .

ونلخص ما سبق فى الآتى :

- أن الدين علم .
- والمتكلم فى الدين هو " الله " ـ بكمالاته المطلقة ـ والذى أحاط بكل شىء علما :
- والكتاب الموحى به من الله هو " كتاب علم " أيضا ، قد أحكمت صياغته .
- ومن يستطيع إستيعاب ذلك والحكم على صحة الكتاب والدين هم العلماء .

فأين هى الأمور الغيبية إذن ...؟؟!! وأين هم العلماء ...؟؟!! وأين هم العامة والبسطاء ..!!؟؟

[... ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (٣١)]

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٣١)

وأرجو أن يتنبه الإنسان لمعنى قوله تعالى **(.. أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)** . ولقد سبق وأن تعرضنا من خلال الصفحات السابقه إلى بعض من التفسيرات العلمية الكلية والشمولية لبعض آيات القرآن المجيد . وفى كتابات أخرى قد تم التعرض إلى الإنسان وفيزيائه وكونه وما إنتهى إليه من علم محدود ، بالمقارنة إلى النموذج القرآنى

للكـون والأكـوان الموازيـة ، كمـا تـم التعـرض إلـى فضـل العلـم والعلمـاء فـى الديانـة الإسـلامية [81] .

ونختـم هـذا الإيجـاز الشـديد بالقـانون الريـاضى المثير فـى قولـه تعـالى :

[... نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم (٧٦)]

(القران المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

وفى قولـه تعـالى :

[... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (٨٥)]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٥)

فالايـة الأولـى تعنـى بـالضرورة لانهائيـة عـدد مفـردات العلـم ، كمـا تعنـى بـاضطراد التقـدم العلمـى للإنسـان ، أى أن العلـم فـى تقدم بصفـة مستمرة ولـن يقـف هـذا التقـدم مـع الأيـام ، وبديهـى إن هـذا واقـع ملمـوس . بينمـا الايـة الثانيـة تعنـى بمحدوديـة العلـم ، أو بمعنـى أدق بمحدوديـة علـم الإنسـان علـى الرغـم مـن التقـدم اللانهـائى المطـرد للعلـم . وهـذا المعنـى لا يدركـة إلا العلمـاء . وكـل ريـاضى أو فيزيـائى يعمـل فـى الظواهـر التقاربيـة Asymptotic phenomena [82] ، يعلـم أن لانهائيـة القيـم لا تعنـى بـالضرورة أن تكـون القيمـة الأخيرة (أو القيمـة النهائيـة) هـى قيمـة لانهائيـة هـى الإخـرى ، بـل يمكـن أن تكـون قيمـة محـدودة .

وبالتـالى فـإن العلم الممنوح للإنسـان هـو علـم قليل علـى المسـتوى العلـم المحلـى ، بمفهـوم الوجـود المـادى فـى كوننـا هذا ، وليـس بالمقارنـة بمسـتوى العلـم الإلهـى . والعلـم المحلـى ليس هـو العلـم الإلهـى علـى الرغـم مـن لانهائيـة كـل منهمـا . فمـن الأمـور المعتـادة فـى حسـاب اللانهائيـات (فـى مـادة الرياضـة) ألا تتسـاوى قيـم اللانهائيـات ، حتـى وإن كـانت القيـم لانهائيـة . فيمكـن أن نجـد قيمـة لانهائيـة قد تكـون صفـرا إذا مـا قورنـت بقيمـة لانهائيـة أخـرى .

ولهـذا كـان قولـه تعـالى ، لمحمـد (ﷺ) عندمـا سـأل عـن الـروح :

---

[81] " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[82] نجد كثير من هذه الظواهر فى التحليلات العرضية أو المؤقته : The Transient Analyses ، فى نظرية الدوائر الكهربية .

[ويسئلونك عن الـروح قـل الـروح مـن أمـر ربـى ومـا أوتيتـم مـن العلـم إلا قليـلا (٨٥)] [83]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٥)

وأرجـو أن يتنبـه الإنسـان الـى معنـى قولـه تعـالى (**... ومـا أوتيتـم ...**) ليـدرك الإنسـان أن المصـدر الحقيقـى لعلمـه هـو " اللـه " ، فليس للإنسـان علـم ذاتـى يكـون هـو مصـدرة (حتـى وإن إلتبس عليـه الأمـر) . فاللـه هـو الـذى :

[... علم آدم الأسماء كلها ..(٣١)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣١)

و " ادم " هنـا ، فـى هـذه الايـة الكريمـة يشـير إلـى البشـرية جمعـاء ، وفـى صياغـة أخـرى نجد قولـه تعـالى :

[خلق الإنسان (٣) علمه البيان (٤)]

(القرآن المجيد : الرحمن {٥٥} : ٣ - ٤)

وليس فـى الأمـر تكـرارا لـذات المعنـى ؛ فالايـة الأولـى (**... علـم آدم الأسـماء كلهـا ..**) تعنـى الحشـد (Aggregates) أى حشـد المعـانى ، بينمـا الايـة الثانيـة تعنـى المنطـق (the Logic) أى المنطـق العلمـى ، أو بيـان العلاقـة بيـن الأسـماء ، أى العلاقـة بيـن مفـردات الحشـد .

وحتـى الملائكـة [84] :

[قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣٢)

فـلا علـم لهـم إلا مـا علمهـم اللـه ، أو أعلمهـم بـه اللـه . ولنسـترجع معـا الايـات الخمـس الأولـى ، أى أول مـا نـزل بـه الوحـى الإلهـى علـى محمـد (ﷺ) وهـى :

---

[83] تـأويل كلمـة " **الـروح** " هنـا ينطبق علـى أى حـال ؛ سـواء قصـد بهـا " الـروح " التـى يحيـا بهـا جسـد الإنسـان أو قصـد بهـا " جبريل " عليـه السـلام رسـول الوحـى .

[84] هذه العوالـم الغيبيـة سـيأتى الكـلام عنهـا عنـد عـرض النمـوذج القرآنـى للأكـوان الموازيـة ، أنظـر " **الديـن والعلـم ... وقصـور الفكـر البشـرى** " لنفس مؤلـف هـذا الكتـاب .

[إقرأ بإسم ربك الذى خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) إقرأ وربك الأكرم (٣) الذى علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)]

(القرآن المجيد : العلق {٩٦} : ١ – ٥)

ونذكر بعضا من حجم المعرفه العلمية الواردة بهذه الايات المحكمة وهى :

- أمر إلهى مطلق للإنسان بالقراءة ، فالقراءة قد جعلها الله مصدر العلم .
- قانون إلهى محيط يفيد بأن العملية التعليمية لا تتم إلا باستخدام القلم . فمن منا يستطيع حتى حل أبسط المعادلات الرياضية بدون إستخدام القلم ، أو أن يقوم بالتعلم بدون إستخدام القلم . فالقلم هو الذاكرة الإنسانية وحضارة الإنسان .
- أن الله قد خلق الإنسان من " علق " . ونجد هذه الكلمة " كاسم " و " كفعل " تلعب الدور الأساسى فى عملية حمل المرأة ، وعملية التكون الجنينى للطفل داخل رحمها .

فعلق تعنى الحيوانات المنوية للرجل فهى كالعلق أى الدود الرفيع (وهذه حقيقة علمية) . وعندما يتشبث الحيوان المنوى ببويضة الأنثى فقد "علق" بها (وهذه حقيقة علمية ثانية) . وعندما تتشبث بويضة الأنثى الملقحة بجدار رحم المرأة فقد " علقت " به (وهذه حقيقة علمية ثالثة) . وعندما تبدأ البويضة الملقحة فى الإنقسام تأخذ شكل قطعة الدم الغليظ أو الدم الجامد وهذه " علقه " أيضا (وهذه حقيقة علمية رابعة) . وهكذا ... فالقرآن المجيد يستخدم الكلمات الجامعة ، التى تنطبق على الجزئيات والكليات معا ، وهذا هو الفارق بين الفكر البشرى المحدود ، والفكر الإلهى اللامحدود . وسنعود إلى إستكمال مراحل تطور الجنين داخل رحم المرأة ـ كما ورد ذكره فى القران المجيد ـ فى كتابات أخرى إن شاء الله .

لقد إستغلق فهم هذا التفسير على المفسرين حتى عهد قريب ، واليوم وفى ضوء إكتشافات علم الأجنة الحديث إستقر فهم كلمة (العلق) فهما علميا صحيحا ، فكان هذا أحد الأدلة على صدق الوحى [٨٥] .

وهذا هو مفهوم " البرهان المتحرك " أو البرهان الديناميكى (**The dynamic proof**) الذى يأتى به القرآن المجيد . فمفهوم النص القرآنى يتحرك مع الخلفية العلمية للعصر الذى يتم فيه التفسير . أو بمعنى اخر ؛ فإن تفسير النص القرانى يعكس كلا من ثقافة

---

[٨٥] مازلت أكرر ؛ بأنه ينبغى أن نذكر بأن المسلمة الأساسية التى تم إفتراضها وهى أن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " ، هى مسلمة مرجأ الحكم عليها ، حتى يتضح صحة ما تؤدى إليه من نتائج . فإن صحت النتائج صحة المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . وليس فى هذا أى تجاوز علمى كما سبق وأن أشرنا فى مقدمة الكتاب . وكما نرى فإننا بصدد إحدى النتائج الصحيحة الآن .

الشخص القائم بالتفسير كما يعكس أيضا الخلفية العلمية لثقافة عصر الشخص القائم بالتفسير .

فالتفسيرات القديمة لكلمة " علق " لم تكن يتجاوز معناها " جمع علقة وهى القطعه اليسيرة من الدم الغليظ [86] " ، ومع التقدم العلمى وفى ضوء إكتشافات علم الأجنة الحديث إستقر فهم (العلق) فهما علميا صحيحا على النحو الوارد ذكره سابقا ، فكان هذا أحد الأدلة على صدق الوحى الذى نزل على محمد (ﷺ) من أربعة عشرة قرنا من الزمان .

كما يلقى هذا التفسير السابق أيضا الضوء على معنى الاية الكريمة :

[آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيمٍ خبير (١)]
(القران المجيد : هود {١١} : ١)

فكما سبق أن ذكرنا ؛ إن كلمتى (... **أحكمت آياته** ...) تعنى أن الصياغة الكلامية لكل أية من آيات القرآن المجيد ، أو بمعنى اخر أن كل جملة من جمله ، تحوى أقل عدد ممكن من الكلمات ، التى تعطى أكبر طيف ممكن — إن لم يكن لانهائى — من المعانى الصحيحة ، والتى تصلح لوصف كل ما هو متعلق بالكليات والجزئيات العلمية والفيزيائية فى كل زمان ومكان ؛ مهما كانت طبيعة التقدم العلمى للعصر التى تشرح أو تؤل فيه هذه الآيات . كما يلقى التفسير السابق الضوء على قوله تعالى عن القران

[إن هو إلا ذكر للعالمين (٨٧) ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨)]
(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٨٧ – ٨٨)

أى أن إدراك معانى القرآن المجيد ، لن يأتى إلا مع تقدم الحضارة البشرية ... كما فى قوله تعالى : (**ولتعلمن نبأه بعد حين**) .

إن الله هو خالق الإنسان ؛ وهو الذى ركب فيه العقل أو بلغة الحاسب الآلى (الكمبيوتر) هو الذى ركب فيه " اللوح الأم : The mother Board " أو " الدوائر الجامدة : The Hardware " ، وهو الذى ركب فيه الإدراك والقدرة على تناول

---

[86] أنظر تفسير الجلالين (كتب هذا التفسير فى سنة ٨٠٧ هجرية أى حوالى سنة ١٣٩٠ ميلادية)

الموضوعات والظواهر المختلفه وتحليلها ، أو بلغة الحاسب الالى (الكمبيوتر) هو الذى ركب فيه كذلك " الدوائر اللينة The software " ، التى تؤدى مثل هذا العمل . وعلى الرغم من قصور هذه التشبيهات والفوارق الغير متناهية بين الواقع الإنسانى والحاسب الالى (أى الكمبيوتر) ، إلا أنها تفى بالغرض لبيان وجود الخالق المتعالى على الإنسان . وننهى هذه العجالة بقوله تعالى :

[يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذى خلقك فسواك فعدلك (٧) فى أى صورة ما شاء ركبك (٨)] .

(القرآن المجيد : الإنفطار {٨٢} : ٦ – ٨)

[ما غرك بربك الكريم : ما الذى خدعك وصرفك عن ربك الكريم خالقك]

هكذا – بالقطع – (**فى أى صورة ما شاء ركبك**) ، فالله هو الذى خلق الإنسان ، وفى الصورة التى شاءها هو ، فأين الإنسان من هذا .

وسنعود الى معنى هذه الاية الكريمة – فى فصول لاحقة – لبيان المعنى العريض الذى جاءت به – مع أيات أخرى – عن تطور الإنسان كماضى وحاضر ومستقبل ومصير ، ليخر سجدا وبكيا حتى ليتلاشى أمام هذا المحيط اللانهائى من المعرفة لهذا المعنى (معنى التطور) ، والتى لم يدرك منه الإنسان إلا الجزئية الضئيلة التى جاء بها : **داروين** [٨٧] لتصبح هذه الجزئية شاهد صدق على ضالة الإنسان وقصور فكره حتى عن إدراك واقع يحياه . ولا نملك إلا قوله تعالى لمحمد (ﷺ) ليبلغ الناس بقوله :

[قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)]

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٤)

[٨٧] أنظر الملحق الثالث من هذا الكتاب ، لمزيد من التفاصيل .

٩ ـ الدين : " قضية غيبية " أم " قضية يقينية [٨٨] "

لابد للإنسان من أن يقف موقف صدق مع نفسه ، فحسم القضية الدينية من ناحية "صوابها " أو " خطأها " ، أو من ناحية " وجودها " أو " عدم وجودها " ؛ هى فى الواقع " قضية وجود الإنسان نفسه ومصيرة هو " . وربما كان من المهم تتبع الأخطاء البشرية التى أدت الى تردى الإنسان فى هذا الخضم الهائل من الوثنيات الفكرية والتخبط فى الرأى تجاه الدين ، والذى أدى إلى التعارضات الفكرية الواضحة بين الناس ، بين منكر للدين وبين معترف به ؛ وبين معرض عن الدين وبين مقبلا عليه ؛ بين كافر بالدين وبين مؤمنا به . لذا لزم الأمر أن نلقى الضوء على أهم الأخطاء البشرية والتى أدت الى هذا الوضع الشاذ تجاه الدين .

وربما كان أهم هذه الأخطاء الشائعة هو عدم إدراك أن " القضية الدينية " ليست " قضية غيبية " ، كما يتصور الغالبية العظمى ، بل هى " قضية يقينية " بالمعنى العريض للكلمة وبالمفهوم العام " للقضية العلمية التى لا يشوبها أدنى شك " أو " القضية الفيزيائية المؤكدة ". وبديهى يكون الإعتراض الأول على هذا الفكر هو القول بأنه : كيف تكون " القضية الدينية " " قضية يقينية " وليست " قضية غيبية " ونحن لا نرى الله جهرة ؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، دعنا نتأمل قوله تعالى :

[هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور (٢١٠)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢١٠)

والاية الكريمة تشير هنا ضمنيا ــ ولكن بدلالة واضحة المعالم وعميقة ـ إلى قضية وجود الإنسان ومصيره وكذا الغاية من خلقه . ولكن قبل بيان ذلك دعنا نوضح ما نعنيه بالمثال التالى :

هب أن هناك مجموعة من الطلبة قد قيدوا أسماءهم فى فصل دراسى ما ، وذلك لدراسة مادة ما (لا يهم أدبية أو علمية) . وإنتظم الطلبة فى الدراسة ، حيث أتموا دراستهم لها . وبديهى كلنا يعلم أنه لتقييم أداء الطلبة وإستيعابهم لهذه المادة ، فإنه يلزم عقد إمتحان عقب الإنتهاء من

---

[٨٨] " **اليقيين " هو العلم الذى لاشك معه** . فيجب العلم بأن أى نظرية فيزيائية هى دوما نظرية مؤقته ، فهى ـــ فى الواقع ـ فرضية لا يمكن إثباتها . وبصرف النظر عن عدد المرات التى تنطبق فيها نتائج الإختبارات على نظرية معينة ، فلا يمكن الجزم بأن النتيجة فى الإختبار المقبل لن تتعارض معها . وفى كل مرة تنطبق فيها النتائج على التوقعات ، تكتسب النظرية الفيزيائية حياة جديدة وتتوطد ثقتنا فيها . ولكن إذا حدث أن تناقضت مشاهدة جديدة مع النظرية ، يصبح علينا أن نتخلى عنها أو أن نقوم بتعديلها . **وبناءا على هذا فإن تناهى الصدق العلمى ، أى تناهى " القضية العلمية " هو " القضية اليقينية " أو هو " اليقين "** . أنظر كذلك ص : ٢ ؛ ص : ٤١٣ ، من هذا الكتاب .

هذه الدراسة . حيث يتم إعلان النتيجة بعد ذلك لبيان الناجح بتفوق والناجح العادى والراسب ، ويتم ذلك عادة بإعلان درجات الطلبة المختلفة .

ثم هب إنه أثناء تأدية الطلبه للإمتحان النهائى لهذه المادة ، قد جاء أستاذ المادة وقام بتعليق الإجابات النموذجية لهذا الإمتحان داخل الفصل ..!! فماذا سيكون رد فعل الطلبة ؟ بديهى لقد فقد الفصل الدراسى معناة ..!! وبديهى سيكون التساؤل ... ولماذا عقد الإمتحان إذن ؟ ... ولماذا عقد الفصل الدراسى من أساسه ؟ ... وبديهى لن يكون هناك معنى لإعلان النتيجة ...!! فقد تساوى فى ذلك من إستوعب المادة وفهمها مع من لم يستوعب المادة ومن لم يفهمها ...!! كما تساوى فى هذا من عانى الليالى فى التحصيل مع من لم يلتفت إلى المادة وأنفق وقته فى اللهو . ثم قل ما شئت عن هذا الأستاذ وسلوكه الشاذ ، فمثل هذا السلوك غير مألوف وغير متبع فى مثل هذه الحالات أو الحالات المشابهه .

وهكذا الحياة ... إنها فصل دراسى واحد ... قد قيد الإنسان نفسة فيها ، فى " مادة واحدة " داخل هذا الفصل . " مادة واحدة " فقط وقد قبل الإنسان التكليف بها بإختيارة ، حيث يخبرنا الحق تبارك وتعالى بهذا فى محكم تنزيله بقوله :

[إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢)]

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٧٢) [٨٩]

لقد **عرض الله** ـ سبحانه وتعالى ـ التكليف بالإختيار فى الفعل على (... **السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها** ...) ، فرفضوا ـ جميعا ـ هذا الإختيار وأدركوا أنهم دون هذه المسئولية ، لهذا (... **أشفقن منها**) . ولكن الإنسان قد قبل هذا **العرض** ، أى قبل حمل هذه الأمانة أو المسئولية بإختياره (... **وحملها الإنسان** ...) ، ولكنه لم يعطها العناية الكافية ، رغم قبوله لها ، لهذا فـ (... **إنه كان ظلوما جهولا**) .

وهكذا يسجل الإنسان نفسه فى هذه المادة ، والتى تعنى حرية الإختيار فى الفعل ، وحرية الإهتداء إلى الله ومعرفة كمالاته الإلهية ، ومعرفة فعله الإلهى الكلى بما فى ذلك خلق الإنسان نفسه . وهى مادة دون مستوى ذكائه الفطرى بكثير ، وهو الذكاء الذى أودعه الله ، وركبه فيه .

---

[٨٩] ستعود بالتفصيل لمعنى هذه الآية الكريمة فى كتابات تالية إن شاء الله .

والآن ، وبعد هذا الإيضاح ، دعنا نراجع معنى الآية الكريمة الأولى : [**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور (٢١٠)**]

فماذا ينتظر الناس بعد قبولهم لهذا التكليف :

(... أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ...)

فى ماذا إذن يختبر الناس ، إذا ما جاء لهم الله جهرة ؟ إن معنى ذلك أن يفقد الوجود غايته ... وتنتهى القصه ...!!!

(... وقضى الأمر ...)

ولكن ما قدرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ هكذا ...

(... وإلى الله ترجع الأمور)

فهذه هى دلالة الآية الكريمة ، ولا مبالغة فى الدلالة ، ولا مبالغة فى الشرح ؛ ولهذا قد عرف (بتشديد الراء) الله قرآنه المجيد بأنه :

[... كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١)]

(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

ويكفى أن يعى الإنسان الترتيب الإلهى المحكم لكلمتى (... **حكيم خبير**) فى الآية المذكورة ، ليدرك أن للوجود غاية ، الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو مصدرها . ولم يقل القرآن المجيد بـ " **خبير حكيم** " . لأن المعنى الأول (حكيم خبير) يعنى وحدانية المصدر والتفرد ، بينما قد يعنى المعنى الثانى (أى خبير حكيم) الشرك أو شائبة الشرك فى طياته ، لأنها قد تعنى أن ـ الله ـ خبير بما يفعله اخرون غيره أو مثله .

إن الإيمان المبنى على العقل هو أحد غايات الوجود ، وأحد الغايات من خلق الإنسان ، ولهذا كان الإيمان المبنى على رؤية منتهى المعجزات (وهى الخرق لقوانين الطبيعة) هو إيمان مرفوض لأنه إيمان أقرب إلى القهر منه إلى العقل ، وبهذا لا تتحقق الغاية من خلق العقل البشرى على هذا المستوى ، ولهذا نجد قوله تعالى فى موضع آخر :

[هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون (١٥٨)]

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٥٨)

وبهذه الآية ، يفيدنا المولى عز وجل بأنه لا قيمة لإيمان بعد رؤية المعجزات المتناهية الدامغة ، أى منتهى المعجزات ، لاحظ هنا تعدد وتتالى ظهور هذه الآيات فى قوله تعالى (**... يوم يأتى بعض آيات ...**) . فالغايات من الخلق تقضى بالإيمان المبنى على العقل ، وليس الإيمان المبنى على المشاهده المباشرة ، حيث لا قهرية فى الإيمان .

ويتضح هذا جيدا عندما دعى السيد المسيح (عيسى ابن مريم) ـ عليه السلام ـ من الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليه هو وحوارييه مائدة من السماء ، لتكون لهم عيدا وتكون لهم آية دالة على وجوده ، سبحانه وتعالى وهو الظاهر فوق كل ظهور ... كما جاء فى قوله تعالى :

[إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وءاخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤)]

(القران المجيد : المائدة {٥} : ١١٢ - ١١٤)

فيستجيب الله ـ سبحانه وتعالى ـ لدعاء عيسى ـ عليه السلام ـ ولكنها إستجابة مشروطة ، بأن من لا يؤمن به بعد هذه المشاهدة المباشرة للمعجزة (أو الآية) فإنه سوف يعذبه ـ أى سوف يعذبه الله ـ عذابا لم يعذبه لأحد من العالمين (أى من كل العوالم) ، كما جاء فى قوله تعالى ، إستكمالا لسياق الآيات السابقة :

[قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥)]

(القران المجيد : المائدة {٥} : ١١٥)

فالكفر بعد مشاهدة المعجزات هو أشد أنواع الكفر إيغالا فى الضلالة ، ولهذا يستوجب العقاب المشدد .

وليست الرغبة فى رؤية الله جهرة ، هى رغبة غريبه على الإنسان وفكره . بل هى رغبة عامة ومتأصلة لديه ، فحتى الأنبياء كانت لديهم مثل هذه الرغبة . وقد سأل موسى (عليه السلام) الله أن ينظر إليه ، ولكنه لم يدرك تبعات هذه الرغبة حتى أفاق منها ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين (١٤٣)]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٤٣)

[تجلى : ظهر / دكا : جعله مستويا بالأرض / صعقا : مغشيا عليه]

وهكذا نرى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يتجل لموسى ، بل تجلى فقط للجبل فجعله دكا ، وخر موسى صعقا ، فهذا هو الإنسان ومنتهى قدراته الفيزيائية التى قد خلقه الله عليها ، وهذه هى محدوديتة المتناهية . كما وإن كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ مع البشرية محكوم بقوله تعالى :

[وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم (٥١)]

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٥١)

وحكم الرسل فى طلب رؤية الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو حكم الإنسان العادى ، فقد سأل بنوا إسرائيل موسى (عليه السلام) أيضا نفس هذا السؤال ، كما يبين لنا الله هذا فى محكم تنزيله ، بقوله تعالى :

[وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٥٦)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٥٥ – ٥٦)

وهكذا فإن الايات الكريمة السابقة تفيد بأن التركيب المادى ـ أو الفيزيانى ـ للإنسان لا يتحمل الرؤية المباشرة لله ، سبحانه وتعالى . فالإنسان قد تصعقه ظاهره جوية محدودة القدرة يمكن قياسها وتوصيفها بدقه كافية ؛ فكيف له برؤية الله جهرة ...!!! خالق هذا الوجود المطلق ، وليس الصاعقة فحسب ...!!! ولا يعنينا الان التفاصيل الفيزيائية حول هذا المعنى ؛ ولكن كل ما يعنينا الآن هو الجانب الفكرى من قضية رؤية الله .

وهكذا فالإنسان على مستوى " تركيبه المادى الحالى " لا يمكن أن يرى الله ، كما وإنه على مستوى " الغاية من خلقه " لا ينبغى له أن يرى الله .

ثم نعود مرة أخرى ونتساءل ... طالما أن الحكمة الإلهية قد قضت بعدم إمكانية رؤية الله مباشرة ، فهل معنى ذلك أن تصبح " القضية الدينية " " قضية غيبية " ؟

فى الواقع ؛ لا ... فالتثبت من " وجود الله " له عدد لانهائى من البراهين الدقيقة والطرق الدالة عليه ، ومن هذه البراهين " الفطرة " . فكما سبق وأن بينا ، أن " برهان الفطرة " هو برهان يصل فيه حجم الإدراك والوعى " بوجود الله " إلى درجة ترقى الى مرتبة الحواس المباشرة أو اليقين الكامل . ومع ذلك إذا ما إستثنينا " الفطرة " ، فيمكن إدراك " وجود الله " عن طريق " فعله الكلى " والذى يشمل خلق الوجود على نحو شامل ، بما فى ذلك الإنسان ذاته . وسوف نعرض الى أهم هذه البراهين - بالصياغه الإنسانية والصياغة الألهية - فى الصفحات المقبلة ، ولكن لا بد لنا من إلقاء بعض الضوء على قصور حواس الإنسان، ونتائج كفاحه للتغلب على هذا القصور (Shortcomings) .

بديهى كلنا يعلم أننا لا نرى الجسيمات الأولية للمادة مثل الإلكترون والبروتون والبوزيترون ... الى آخره ، وذلك لقصور حواسنا عن الإدراك المباشر لهذه الجسيمات ، وعلى الرغم من عدم رؤيتنا لهذه الجسيمات ، فنحن لا نتشكك إطلاقا فى وجودها ، بل ونحكم بوجودها بشكل مطلق ، وذلك لسبب بسيط جدا وهو أننا نشاهد آثار حركتها معمليا على بخار الماء أو بخار الكحول الإثيلى داخل " غرفة ولسن السحابية Wilson Cloud Chamber " ، أو اثار حركتها على الهيدروجين السائل داخل " غرفة الفقاعة : Bubble Chamber " . هذا إلى جانب إننا ندرك وجود بعض من هذه الجسيمات الأولية ، مثل الألكترون ، فى التطبيقات العملية المختلفة مثل الراديو والتلفزيون والرادار ... وخلافة .

ومما تقدم نجد ، أن الحكم بوجود شىء ما لكى يصل الى درجة اليقين ، إما أن يأتى بالإدراك المباشر للحواس لهذا الشىء ، أو أن يأتى بالإدراك الغير مباشر لأثر وجود هذا الشىء على موجودات أخرى . ويتم ذلك عادة برصد هذه الموجودات قبل وبعد وجود هذا الشىء ، ورؤية أثر وجود هذا الشىء على هذه الموجودات . فإن ترك هذا الشىء أثرا على هذه الموجودات حكمنا بوجوده ، وإن لم يترك أثرا - على هذه الموجودات - حكمنا بعدم وجوده .
وهذا هو عين ما يحدث عند قيامنا بالتأكد من وجود الإلكترون ، فإننا نقوم برصد بخار الماء أو بخار الكحول الإثيلى فى داخل غرفة ولسن السحابية قبل مرور الإلكترون فى هذا البخار. وعندما

يمر الإلكترون فى هذا البخار ، فإنه يترك أثرا من البخار المتكثف الذى يسهل رصده وتصويره ، وبالتالى يمكن التحقق من وجود الإلكترون . **وهذا هو غاية علم الإنسان للتحقق من وجود شىء ما** . وقياسا على ذلك ، فإذا ما أردنا عمل " **تجربة معملية للبرهنة على وجود الله** " فإنه يلزم علينا إجراء تجربتين على حالة ما [90] :

أحدهما أو التجربة الأولى : يتم إجراؤها فى حالة وجود الإله .

أما التجربة الثانية : فيتم إجراؤها فى حالة عدم وجود الإله .

وبمقارنة نتائج التجربتين ، يمكن لنا معرفة أثر " وجود الإله " من عدمه على هذه الحالة . وبديهى يمكن الحكم على " وجود الإله " إذا ما أختلفت نتائج التجربتين ، كما يمكن الحكم على " عدم وجود الإله " إذا ما إتفقت نتائج التجربتين .

والان ؛ إذا ما أخذنا بمبدأ " وجود الإله " فى كل مكان فلن يتاح لنا إجراء التجربة الثانية ؛ وهى الحالة التى لا يتواجد فيها الإله . وإذا أخذنا بفرضية أنه " لا يوجد إله " فلن يمكن إجراء التجربة الأولى ، وهى الحالة التى يتواجد فيها الإله . وبالتالى نخلص الى أنه لا يمكن إجراء التجربتين معا " حالة وجود الإله " و " حالة عدم وجود الإله " ، وننتهى من هذا الى أنه لا يمكن إجراء تجربة معملية ما للتحقق من " وجود الإله " أو التحقق من " عدم وجوده " . ففى الواقع ؛ إن الإنسان والوجود مستغرقان فى هذا الوجود الدائم لله ـ سبحانه وتعالى ـ وبالتالى فإن البرهان المقارن السابق ذكره ، يفقد معناه فى هذه الحالة . فماذا بقى للإنسان ـ إذن ـ لإدراك أن القضية الدينية هى " **قضية يقينية** " ، وليست " **قضية غيبية** " ، شأنها فى ذلك شأن أى قضية علمية أخرى .

فى الواقع ، لقد بقى للإنسان الكثير ، فقد بقى له الدين نفسه ، ولكن الدين هنا ليس بالمفهوم "**القضية الغيبية** " ، ولكن الدين هنا بمفهوم " **القضية العلمية** " . **فإذا ما قلنا إن الدين مصدره الإله ، فإننا نكون قد فرضنا هنا الحجة على الدين نفسه ، ليس بقيام الدين بالبرهنة على صحته فحسب ، بل بقيامه أيضا بالبرهنة على أن هذا الوجود قائم بالفعل على أساس الوجود الدائم لله .**

كما يجب أن يعطى الدين البرهان اللازم والكافى للإنسان ، لكى يصل به الى درجة اليقين الكامل الذى يدركه الإنسان من واقع القضايا العلمية ، أو من واقع الإدراك الحسى المباشر .

---

[90] أى حالة يتم إختيارها هنا تفى بالغرض المطلوب ، فيمكن مثلا أن نتخيل أن التجربة هى عملية تحضير ثانى أكسيد الكربون ، أو أى عملية طبيعية أخرى كإحتراق مادة عضوية ، أو نمو نبات ما أو حيوان ما أو حتى إنسان ؛ أو أى شىء آخر من هذا القبيل .

إن التجربه البشرية الفاشلة مع الأديان الوثنية عموما ، ومع الديانة المسيحية تخصيصا ، جعلت من هذا الإنسان يعتقد فى أن [91] :

" الدين ــ كما جاء فى الفلسفة المادية ــ باعثه الجهل ، ومادته العماية عن حقائق الكون ، وأن الأديان القائمة الآن ، هى حوادث تاريخية إستلزمتها أدوار خاصة من مراحل تطور الفكر البشرى ، وإنها آخذه الآن فى الإنحلال مع التقدم العلمى المعاصر ولن تكون للدين قائمة بعد ذلك " .

وسوف نرى إن هذا الإعتقاد فى الدين ، لهو خير شاهد أو دليل صدق على قصور الفكر البشرى عن إدراك المعنى الحقيقى للدين بدون المعاونة الإلهية المباشرة للإنسان على فهمه ..

*فعلى الإنسان أن يدرك أن " **الله هو مصدر الدين** " ، وليس العكس أى أن " الدين مصدر **الإله** " ، فكبرى مصائب البشرية هو الإعتقاد فى أن " **الدين مصدر الإله** " ، لأن هذا الإعتقاد يقود مباشرة إلى قيام كل دين بتشكيل أو توصيف أو تعريف الهه بنفسه . أما إذا قلنا بأن " **الله هو مصدر الدين** " ، وأن الله واحد ولا متغير ، لذا لزم أن يكون الدين هو الآخر واحد ولا متغير .*

وأرجو ألا يلتبس هذا الفكر على القارىء ، وليس فى هذا الأمر فلسفة أو خلافه ، فنحن معتادون أن نرى الله فى الدين ، ولكن هذا لا ينفى أن يكون الله هو مصدر الدين . وهذا التحديد هام جدا فى تعريف الدين . **ففى الواقع ـ كما سنرى ـ أن " الله " يقوم بتقديم (أو بتعريف) نفسه للبشرية من خلال الدين** . وطالما أن الله هو مصدر الدين ، لذا لزم على الإنسان أن يعى :

" أن الله ـ خالق الوجود المدرك والغير مدرك ـ هو مصدر الدين ، وباعثه فى ذلك هو تعريف الإنسان بخالقة ، وبفعله (الإلهى) الكلى ، ومادة الدين هى العلم . ومن بعض مفردات هذا العلم ، الكون وفيزياؤه ، والإنسان وغاياته ، ووجوده ومصيره ، ولا غموض ولا لبس " .

وربما كان هذا المعنى هو جوهر البراهين المستخدمة فى " القرآن المجيد " فى الدلالة أو البرهنة على "وجود الله " . فطالما أن المتحدث فى الدين هو " الله " الخالق ، ذو الكمالات المطلقة ،

[91] أنظر الفصل الرابع للتفاصيل ، فقرة ٣ ، ٤ .

والعليم بكل العلم المطلق ، لذا ينبغى أن يكون الدين هو مصدر للمعرفة البشرية ، ماضيها وحاضرها ، ووجودها ومصيرها ، وتكون القضايا الجزئية للدين هى المعرفة الكلية للقوانين الحاكمة للإنسان وللكون وللفيزياء .

كما يمكن أن يقوم الدين بتوسيع دائرة معارف الإنسان لإدراكات تخرج كثيرا عن نطاقات الفطرة ، والإدراك المباشر والغير مباشر للإنسان . وربما تدخل المعرفة بهذا المعنى فى النطاق الغيبى أو " **المعرفة الغيبية** " ، ولكن جذور هذا الغيب تمتد الى العالم الفيزيانى المحيط بنا ، والذى يسهل التثبت منه بطرق مختلفة ، وبالتالى فإن الغيب فى الدين هو الإمتداد الطبيعى لوجود فيزيانى فعلى لواقع مشهود يمثل دليل صدق على هذا الغيب . كما يمكن أن توجد الومضات أو الإلهامات الإلهية ، التى يمكن أن تتجاوز وترقى بالإنسان - كثيرا - من فكر البراهين الوضعية أو الإستدلالات المنطقية لصحة الدين الى منطقة الرؤية المباشرة " لله " - سبحانه وتعالى - ولرؤية الوجود الكلى ، وهذه الرؤية الوجدانية قد تصل بالمرء فى معناها وفى مغزاها الى الإدراك اليقينى الكامل كما تجيء به الحواس المباشرة .

ونحن لم نتجاوز المنطق أو الفكر العلمى بمثل هذه الصياغة . فالتاريخ العلمى يبين لنا أن القضايا والنظريات العلمية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تعتمد إعتمادا مباشرا على فرضيات أساسية تم إدراكها بالملاحظة المباشرة والإعتماد فيها على الحواس ، بينما أخذت هذه القضايا العلمية منذ بداية هذا القرن [٩٢] (القرن العشرين) طابع العموميات ، وأصبحت - هذه القضايا - تعتمد بدرجة كبيرة على أساسيات وفروض حدسية قاربت أن تدخل فى حيز الغيبيات . كما وإن النظريات العلمية الكبيرة السابقة أصبحت تأخذ طريقها الان فى تواضع شديد لتكون حالات خاصة من نظريات أعم وأكثر شمولية . وهناك أيمان الان يكاد يكون مشترك بين جميع علماء الفيزياء ، بأننا نتجه بخطا واضحة نحو نظرية شمولية واحدة كافية لتفسير جميع الظواهر أو الحقائق الكونية [٩٣] .

وعموما فإننا كلما إتجهنا إلى النظريات الأعم والأكثر شمولا ، كلما زاد إعتمادنا بدرجة كبيرة على فرضيات أو مسلمات أكثر غيبا من المسلمات والفرضيات التى تبنى عليها النظريات الأكثر

---

[٩٢] بالتحديد بعد سنة ١٩٠٥ ، وسنأتى الى تفصيل ذلك فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٩٣] تعرف هذه النظرية بأسم " **نظرية الخيوط أو الأوتار المتناهية : The Super String Theory** " ، وهى نظرية مقترحة ولم يتم القطع بصحتها بعد . وتقول هذه النظرية بأن الإنفجار الأعظم للكون قد بدأ نتيجة (شرخ) أو إنشطار هائل لكون - غير مستقر - ذى عشرة أبعاد إنقسم على أثره إلى كونين مختلفين : أحدهما كون متمدد ذى أربعة الأبعاد (وهو كوننا هذا) ، واخر متقلص ذى ستة أبعاد . وسنأتى الى تفصيل الكون والأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة فى الفكر القرانى فى المرجع السابق .

بساطة . بل وأصبحت النظريات الشمولية تأخذ طابعا غيبيا بدرجة كبيرة [٩٤] ، وأصبح لزاما على الإنسان توسيع دائرة فكره ومداركه لإستيعاب مثل هذه الفرضيات والنتائج الجديدة .

ونذكر هنا على سبيل المثال ، إن أحد نتائج حلول معادلات الجاذبية العامة ، قد ألقت الضوء على إحتمال وجود أكوان أخرى ذات طبيعة زمنية مخالفة لكوننا هذا . فقد أعطت أحد هذه الحلول ؛ نموذجا لكون الزمن فيه لا يمتد الى مالانهاية (مثل كوننا هذا) ، بل أن زمن هذا الكون له قيمة محددة ودورى ، وهو ما يعنى أن أحداث هذا الكون تتكرر تماما ـ كما هى بالضبط ـ كلما إنتهت الفترة الزمنية المحددة لعمر هذا الكون الدورى ، ويشبه هذا المثل الأحداث التى تجرى على شريط فيلم سينمائى (أو شريط فيديو) حيث يعاد عرضها كلما إنتهت ، وهكذا بصفة دورية .

وتاريخيا نجد أن مثل هذا النوع من الأكوان قد جاء ذكرة فى مرائى الرسول (ﷺ) ، فى رحلة الإسراء والمعراج ، وذلك عندما عرج به إلى السماوات أو الأكوان الموازية [٩٥] . وبهذا نجد أن غيبيات قضية دينية يمكن أن يشير إليها أحد حلول المعادلات الرياضية / الفيزيانية ، والتى نتجت من قضايا كونية يمكن إدراكها بطريقة مباشرة ، ألا وهى معادلات الجاذبية العامة .

والمقدمات (أو الفروض) والنتائج فى القضايا الرياضية هى عمليات قابلة للعكس ، بمعنى إننا نستطيع مثلا أن نبدأ بالكون ذى الزمن الدورى المحدود كفرضية أولى ــ وهى فرضية غيبية ــ لننتهى من هذه الفرضية الغيبية إلى معادلات الجاذبية العامة كنتائج ، وهى واقع يمكن الحكم أو القطع بصحته فى تطبيقات أخرى . وبهذا المعنى فإن الغيب والواقع يمكن أن يتبادلا المواقع فى القضايا " الرياضية / الفيزيانية " أو " الفيزيانية / الرياضية " .

ولابد لنا أن نعترف أن الخبرات العادية المكتسبة من الحواس المباشرة لم تعد الان كافية لصياغة القوانين الفيزيانية ، ووصف الظواهر الكونية المختلفة ، بل وأصبح لزاما علينا البحث عن الأفكار الغيبية الأكثر شمولية والتى يمكن أن تؤخذ كمسلمات أو فروض إبتدائية نستطيع أن نبنى عليها الصرح العلمى الموحد والمناسب لوصف الظواهر الكونية كما وكيفا .

---

[٩٤] وما أفلام الخيال العلمى إلا بعض نتائج هذه النظريات العلمية .
[٩٥] الأكوان الموازية فى الفكر القرآنى ؛ هو فكر أعم وأشمل بكثير من فكر الأكوان الموازية التى جاءت بها ميكانيكا الكم والنظرية النسبية وفلسفتها ، وسنأتى إلى هذه المعانى بالتفصيل فى المرجع السابق .

إن العلـم الحديـث ، أو بمعنـى أدق العلـم المعـاصر ، أوشـك الآن أن تمتـد جـذوره ، كمـا إمتدت نتائجـه ، الـى الحـيز الغيبـى ، وأصبـح إدراكنـا ينحصـر فقـط فـى منطقـة متوسـطة منـه . كما أصبحت الاراء الغيبيـة تلعب دورا هامـا ليس فـى صياغـة العلـم الحديـث فحسـب ، بـل فـى صياغـة الوجـود أيضـا . وتـأكيدا لهـذا المعنـى نجـد أن :

- الحقيقـة الأولـى فـى ميكانيكـا الكـم تقـول بأنـه :

" **لا توجد حقيقة بالمعنى العميق للكلمة** . " Quantum Reality #1 : There is no deep reality .

- كما تقول الحقيقة الكمية الرابعة بأن :

" **الحقيقة تتكون من عدد متزايد باطراد من الأكوان الموازية** " .

Quantum Reality # 4 : Reality consists of a steadily increasing number of parallel universes.

- وتقول الحقيقة الكمية الخامسة بأن :

" **العالم يخضع لنوع من التفسير المنطقى مغاير للتفسير البشرى له** "

Quantum Reality # 5 : The world obeys a non-human kind of reasoning .

وعلى الرغم من غيبيات هذه الفرضيات ، إلا إننا نستعمل لفظ " **حقائق** " للدلالة عليهـا . وهـذا هو معنى الغيب فى " القضية العلمية " .

وبهذا المعنى فإننا نتكلم عن القضايا الغيبية فى الدين . فمثل هذه القضايا فى جوهرها هى قضايـا علمية بالدرجة الأولى ، وقد سبق أن بينا أن الدين علم بالمعنى العريض للكلمة . والمتحـدث فـى الدين هو الله بكل الكمالات المطلقة ، وهو العليم بكـل العلـم المطلـق ، فهـو خـالق هـذا العلـم . فالمنطق هو منطق إلهى حتى وإن قال به إنسان ، والفكر هو فكر إلهى حتى وإن جاء علـى فكـر بشر فى صورة فيزياء أو علم وضعى . فالله هو المصدر الحقيقى لكل المعارف البشرية ، كمـا سنرى فيما بعد . ولهذا يقول الله ـ عز وجل ـ فـى محكـم تنزيلـه عـن كلماتـه لمحمـد (ﷺ) ليبلغها عنه إلى البشرية :

[قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولـو جئنـا بمثلـه مددا (١٠٩) قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقـاء ربـه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١١٠)]

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٩ – ١١٠)

وكلمات الله هى الحق المطلق . ويحسم الفكر الإلهى القول بأن " القضية الدينية " هى ـ فى الواقع ـ " قضية يقينية " ، وليست " قضية غيبية " ، بقوله تعالى :

[سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد (٥٣)]

(القرآن المجيد : فصلت {٤٠} : ٥٣)

و" **الآفاق** " فى الآية الكريمة السابقة تشير إلى المتناهى العلمى ، والمتناهى الزمانى ، والمتناهى المكانى (أو الزمكانى) . و" **الحق** " فى الاية الكريمة يشير ـ فى أحد معانيه ـ إلى القرآن المجيد ، وفى معانى أخرى يشير إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه . وكما نرى من الاية الكريمة السابقة أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقدم الملاحظه والتحقيق فى قوله تعالى : (**سنريهم آياتنا فى الآفاق ...**) على الإيمان : (**... حتى يتبين لهم أنه الحق ...**) ، الذى يمكن أن يأتى كنتيجة طبيعية تالية لهما ، أى للملاحظة والتحقيق .

كما تنفى الاية الكريمة السابقة بشكل قاطع " **غيبية القضية الدينية** " ، ولكن إدراك هذه الحقيقة منوط بالتقدم العلمى والفكرى للإنسان . فعند وصول الإنسان الى قدر كاف من النضوج الفكرى والمعرفة العلمية ، فسيدرك أن الدين حق ، أو بمعنى آخر فسيدرك أن " القضية الدينية " هى " قضية يقينية " وليست " قضية غيبية " . فالحائل الوحيد ـ حاليا ـ دون إدراك الإنسان أن " القضية الدينية " هى " قضية يقينية " هو جهل الإنسان ـ نفسه ـ ليس إلا . وبهذا المعنى نرى أن الغيب القرآنى ، هو غيب قابل للتحرك أو بمعنى أخر هو غيب قابل للإنكماش مع التقدم الحضارى للإنسان .

وليعد القارىء قراءة هذه الآية الكريمة السابقة مرة أخرى ليستيقن من هذا المعنى . وليعلم الإنسان أن جهله ـ فى الواقع ـ هو الحائل الحقيقى بينه وبين إدراكه لهذه الحقيقة البسيطة ، وهو أن " الدين قضية يقينية ومدركة " وليست " قضية غيبية " معلقة .

وبديهى يبقى لدينا السؤال الأخير هنا وهو ... هل يجب علينا الإنتظار أجيالا وأجيالا ، حتى يصل الإنسان إلى أوج حضارته ، وحتى يعلم أن " الله حق " ، وأن " القران حق " ، وحتى ندرك هذا العلم القاطع بأنفسنا ... ؟؟!!

والإجابه على هذا السؤال : هو بديهى بالنفى ، فليس علينا الإنتظار كل هذه الأجيال ، لندرك هذه المعرفة القاطعة ... فقد ندركها الآن إذا ما أحسنا التوجه إلى الله ، وأخلصنا النية فى هذا . وهنا

ما يقوله لنا المولى - عز وجل - في قانونه الإلهي المحيط ، بأن التوجه الصحيح إليه يصل بالمرء مباشرة إلى درجة اليقين الكامل ، كما جاء في قوله تعالى :

[واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)]

(القرآن المجيد : الحجر {١٥} : ٩٩)

و **اليقين** : هو العلم القاطع الذى لا يأتى معه أى شك [٩٦] . ونلاحظ هنا ، بأن الفكر البشرى دائما يقول بالعكس ، أى إنه يقول بعكس هذا المعنى . فدائما ما يطلب الإنسان اليقين الكامل قبل بدء الإيمان بالله ، وبدون - حتى - محاولة إستخدام عقله . وهو بهذا الفكر مثله فى هذا مثل ذلك الطالب الذى يشترط إعطاءه الشهادة العلمية أولا ، قبل أن يبدأ فى الدراسة وتحصيل العلم الذى يؤهله إلى هذه الشهادة .

وبهذا نخلص إلى أن العبادة - بعد إحسان التوجه إلى الله - هى الطريق الحق إلى المعرفة الإلهية ، وهى المعرفة التى يترقى بها الإنسان قربا إلى الله سبحانه وتعالى ، حتى يصل الإدراك

---

[٩٦] لابد وأن أشير هنا ، إلى أنه يوجد إجماع لدى المفسرين ، على أن كلمة " **يقين** " هنا تعنى " الموت " ، حيث يقولون بأن الخطاب فى هذه الاية الكريمة موجه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ولكن يجب أن يفهم أن الخطاب موجه للبشرية جمعاء ، وليس للرسول فقط . فكلمة " يقين " ورد ذكرها فى القران المجيد سبع مرات ، ولم تأت ولا مرة بمعنى الموت ، إنما وردت بمعنى العلم المطلق الذى لا شك معه ، وقد يحدث هذا العلم فى الحياة الدنيا ، كما جاء فى قوله تعالى فى " سورة النمل " :

[... أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنباء يقين (٢٢)] (النمل {٢٧} : ٢٢)

وكما يمكن أن يحدث هذا العلم المطلق والذى لاشك معه مع الناس فى الآخرة ، كما جاء فى قوله تعالى فى " سورة المدثر " :

[وكنا نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى أتانا اليقين (٤٧)] (المدثر {٧٤} : ٤٦ - ٤٧)

فكلمة يقين هنا تعنى ؛ حتى آتانا هذا العلم المطلق بوجود يوم الدين وذلك إما عند الموت ، أو عقب الموت أو فيما بعد الموت ، أى فيما نحن فيه الآن . فالموت ليس باليقين ، ولكن اليقين يأتى بالموت .

كما يمكن أن يجىء هذا اليقين ، أو العلم المطلق والذى لاشك معه ، بما يجزم به الله - سبحانه وتعالى - من حق فى وعده للمكذبين بهذا القرآن ، والضالين فى هذه الحياة الدنيا ؛ كما فى قوله تعالى :

[وأما إن كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من حميم (٩٣) وتصلية جحيم (٩٤) إن هذا لهو حق اليقين (٩٦) فسبح باسم ربك العظيم] (الواقعة {٥٦} : ٩٢ - ٩٦)

فأى موت هنا فى كلمة يقين . وفى قوله تعالى عن القرآن المجيد :

[وإنه لحسرة على على الكافرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسبح باسم ربك العظيم (٥٢)]
(الحاقه {٦٩} : ٥٠ - ٥٢)

وهكذا ففى جميع هذه المعانى نرى أن كلمة " يقين " تعنى العلم المطلق الذى لا شك معه ، وليس معناها الموت .

النهائى ـ للإنسان ـ لهذا الوجود الإلهى إلى درجة اليقين القاطع الذى تأتى به الحواس المباشرة . كما أرجو ألا ينصرف الذهن هنا إلى أن العبادة فى المنهاج الإسلامى تقتصر على أداء الصلاة . فالصلاة هى إحدى صور العبادة ـ فقط ـ وليست كل العبادة ، لقول الرسول الكريم (ﷺ) :

(تفكر ساعة خير من عبادة خمسين عاما) [٩٧]

وهنا يبين الحديث أن آلية آداء شعائر الصلاة بدون إمعان الفكر ، أو غير مصحوبه بالفكر الكافى ، لا تسرع بالمرء كثيرا نحو اليقين . فالفكر أساسى ولازم نحو تحقيق اليقين الكامل لإدراك وجود الله ، سبحانه وتعالى .

١٠ ـ كلمة حول الأدلة العقلانية للبرهنة على " وجود الله "

كما سبق وقد أشرنا إلى أنه من البديهى أننا لا نتوقع أن نجد تجربة معملية للبرهنة على " وجود الله " ، وذلك لسبب بسيط جدا ، وهو إننا إذا أردنا أن نعرف هل هناك " إله " أم " لا " معمليا ، فإنه يلزم علينا إجراء تجربتين على حالة ما [٩٨] ، حيث :

تجرى التجربة الأولى : " حال تواجد الإله "
وتجرى التجربة الثانية : " حال عدم تواجد الإله "

وبمقارنة نتانج التجربتين ، يمكن لنا معرفة " تأثير وجود الإله " على التجربتين والفرق بينهما . وبديهى أنه يمكن الحكم بـ " وجود الإله " إذا ما تباينت أو إختلفت نتائج التجربتين . كما يمكن الحكم على " عدم وجود الإله " إذا ما إتفقت نتائج التجربتين .

والآن إذا ما أخذنا بمبدأ أن " الله موجود " فى كل الوجود ، فلن يتاح لنا إجراء التجربة الثانية ، وهى الحالة التى لا يتواجد فيها الإله . أما إذا أخذنا بفرضية " عدم وجود الإله " فلن نتمكن من إجراء التجربة الأولى ، وهى الحالة التى يتواجد فيها الإله . وبالتالى نخلص إلى أنه لا يمكن إجراء التجربتين معا ؛ " حال وجود الإله " و " حال عدم وجود الإله " . وننتهى من هذا إلى أنه

---

[٩٧] " العقيدة " ؛ إصدار الأزهر الشريف . ص : ٤٠ .

[٩٨] كما سبق وأن ذكرنا ، أن أى حالة يتم إختيارها هنا تفى بالغرض المطلوب ، فيمكن مثلا أن نتخيل أن التجربة هى عملية تحضير ثانى أكسيد الكربون ، أو أى عملية طبيعية أخرى كإحتراق مادة عضوية ، أو نمو نبات ما أو حيوان ما أو حتى ملاحظة نمو إنسان ؛ أو أى شىء آخر من هذا القبيل .

لا يمكن إجراء تجربة معملية مـا للتحقق مـن " وجـود الإلـه " مـن عدمـه . وبذلـك لـم يعد لدينـا للبرهنة على " وجود الله " إلا " البراهين العقلية " ، التى تعتمـد علـى ملاحظـة الوجـود بتبايناتـه المختلفة ، **وإعتبار هذا الوجود نتيجة حتمية لفعل إلهـى محيط** ، ولهـذا يجـب أخـذه (أخـذ هـذا الوجود) كدليل على " وجود الله " .

وربما قصدت أن أعرض هذا الموضـوع على هذا النحو السابق ، لأستفز القارىء لأن يقول : إن مثل هذا البرهان العقلانى الذى تقول به ، أصبح الآن " **برهانا قهريا** " ، فـإن الإلـه يرغمنـا الآن على قبول الوجود كنتيجة حتمية لـ " وجوده هو " ، شئنا هذا أم أبينا . وبذلك لم يترك لنا " اللـه " فرصـة الخيار ، أو لم يترك لنا براهين أخرى بديلة للدلالة على وجوده مستقله عن هذا الوجـود . وبذلك ينتقل الفكر البرهانى فى الديـن إلـى " فكـر المسـلمات الدينيـة " ، ويصبـح الديـن " مسـلمة كبرى " تقضى بأن يسلم أتباعها بمضامينها ، وربما يفقد الدين - بهذا المفهوم - موضـوعيتـه ، إذا ما بنى على مسلمات فقط تنقصها البراهين اللازمة للدلالة على صحتها .

وبديهى إن ما إنتهينا إليه ليس صحيحا بالمرة ، فعلى الرغم من " قدرة الله " - عز وجـل - علـى جعل الإيمان بوجوده " إيمانا قهريا " وبطريقة مباشرة ، إلا أن الحكمة الإلهية المتعالية قـد قضـت بألا يكون هناك قهرية فى " البراهين الدالة على وجوده " ، وبهـذا يكـون الإيمـان بوجـوده إيمانـا إختياريا .

وفى هذا الشأن ينبه الله - عز وجل - رسـوله الكريـم (ﷺ) ، بأنـه لاداعـى للحـزن علـى عنـاد قومه ، بأن يأتيهم هذا القرآن ولا يؤمنوا به ، لأنه لو شاء لقهر الناس جميعـا علـى الإيمـان بـه . ولكن هذا القهر مناف للعلة الغانيـة مـن وراء الخلـق ، وهـو الإجتهـاد والسـعى الإختيـارى وراء معرفة الله وكمالاته وفعله الإلهى الكلـى ، ومـا وراء ذلـك مـن ثـواب وعقـاب . حيـث نجـد هـذا المفهوم واضحا فى قوله تعالى :

[لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزل عليهم من السـماء آيـة فظلت أعنـاقهم لها خاضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (٥)]

(القرآن المجيد : الشعراء {٢٦} : ٣-٥)

[باخع : قاتل ومهلك نفسك من الغم على قومك / فظلت أعناقهم لها خاضعين : بمعنـى لـن يسـتطيع أحـد أن يلوى عنقه ، أو التحول عن الإيمان بهذه الآية وبوجود الله / محدث : مما يحدثه الله إليك]

وبهذه الاية يقرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه لاقهرية فى البرهان على وجـوده . بـل ويتجـاوز بنـا الله " فكر اللاقهرية فى البرهان " إلى " فكر الظهور المباشر له " فـى كـل شـىء . وبذلـك تنتفـى حتى الحاجة إلى البرهان على وجوده . بل ويصبح الإنسان فى محاولته للبرهان على وجود اللـه ، كمن يحاول أن يبرهن على وجود الماء ، وهو يقـف أمـام البحـر حيـث يـرى المـاء . أو كمـن يحاول البرهنة على وجود الهواء ، والهـواء يحيـط بـه مـن كـل جـانب . ولهـذا يصـف اللـه ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه فى محكم تنزيله بأنه :

[هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (٣)]
(القران المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

وإدراك المعنى الكلى لهذه الاية الكريمة بدرجة كافية من الدقة ليس من السـهوله بمكـان ، إذا مـا علمنا أن " الله " باطن فى كل ظهور . فالدلالات الصوفية العميقة لهذه الاية الكريمة ، فى الجمع بين الباطنية والظهور ، أعمق من أن تحاط ، ويمكن أن يفرد لها كتاب كامل حتى يمكن إستيعاب معناها العريض . ولكن نكتفى هنا بالقول فقط بأن الله قد خلق الإنسان مـزودا بالملكـات الكافيـة لإدراك [99] هذا الظهور ، ومع ذلك فإنه باطن أو غير مدرك لمن لا يستفيد من هذه الملكات .

فـ " العامة " : هم تلك الفئة من الناس التى لا تستفيد من هذه الملكات لإدراك وجود الله من واقع ظهوره ، وبالتالى فهم فـي حاجـة دائمـة إلـى برهـان أو براهيـن للتدليـل علـى وجـود اللـه ، أمـا "الخاصة " أو " أهل الخصوص " أو " العارفين بالله " : فهم تلك الفئة التى تدرك وجود اللـه مـن واقع ظهوره ، وبذلك تنتفى حاجتهم إلى برهان للتدليل على " وجود الله " .

هذا وقد أشرنا ـ من قبل ـ فى البند السابع إلى أن " الوعى الفطرى بوجود الله " ، هـو إحـد هـذه الظهـورات التـى تمثـل الإدراك المباشـر لــ " وجـود اللـه " . ومـا علـى الإنسـان إلا التنبـه فقـط لملاحظة أثر هذا الوجود (أى أثر وجود الله) لديـه . أو التـأثير المباشـر لهـذا الوجـود ، علـى **الجانب المادى والنفسى والوجدانى للإنسان** . هذا وقد سبق أن بينا ، أن هـذا " الوعـى الفطـرى بوجود الله " هو المسئول المسئولية الحقيقية ـ هذا إلى جانب غفلة الإنسـان ـ عـن ظـاهرة تعـدد الأديان . فطالما أن الإنسان لا يدرك فطرية هذا الإنفعال ، فإنه يعتقد خطأ بأن الوثـن المنصـوب أمامه (أى أمام الإنسان) هو مصدر هذا الإنفعال ، وبالتالى فهو الإله ، وبهذا يعبد الوثن وتتعدد الأديان .

[99] الإدراك هنا هو إدراك وجدانى ، وليس إدراك بالحواس المباشـرة . فكمـا سبق وأن بينـا ، ليـس الإنسان بتركيبتـه المادية الخارجية الحالية ، ولا بالعلة الغائية من وجوده يمكن أن يرى الله جهرة .

وكما سنرى ؛ فإن طبيعة البراهين التى يتبعها القران المجيد فى البرهان على " وجود الله " ، لها سمة البراهين العلمية كما تأتى بها النظريات العلمية أو الفيزيائية الكبرى [١٠٠] . فهو يبدأ البرهان بمسلمة ما ، ثم ينتهى منها بنتائج قابلة للملاحظة والتحقيق ، فإن صدقت النتائج صدقت المسلمة ، وصدق وجود الله ، سبحانه وتعالى وهو الظاهر فوق كل ظهور . وهذا هو عين البرهان العلمى فى القضايا الفيزيائية الكبرى ، والتى تستند إلى مسلمات أساسية لا يمكن البرهنة على صحتها ببراهين مباشرة . ومن أوضح الأمثلة على هذا : " النظرية النسبية الخاصة [١٠١] " و " النظرية النسبية العامة [١٠٢] " .

أما إذا إنتقلنا إلى الأدلة العقلانية التى يتبعها الفلاسفة والمفكرون فى البرهنة على " وجود الله " ، **فإننا نجد معظمها إن لم يكن كلها يدور فى فلك فكر واحد أو حول فكرين أساسيين هما :**

الفكر الأول : وهو يقول بأنه " *طالما أن الوجود متغير وغير ثابت* [١٠٣] *، فلا بد له من موجد وهذا الموجد هو الله* " . أما ؛

الفكر الثانى : فهو يتعلق بـ " *الإنسان ووجوده ، وفطريته الأخلاقية والإجتماعية ، وفطرية إدراكه لوجود الله* " . *وقد ناقشنا فطرية وجود الله بتفصيل كاف فى البنود السابقة .*
وتتعدد الزوايا التى يعالج بها المفكرون والفلاسفة هذين الفكرين ، حتى ليخيل إلينا ، ويخيل إليهم أيضا ، بأنهم يأتون ببرهان جديد فى كل مرة يعالج بها أحد هذين الفكرين من أحد زواياه المختلفة . فعلى سبيل المثال ـ كما سنرى حالا ـ يقوم الفلاسفة والمفكرون بتناول جزئية واحدة من هذا الوجود :

كالكون ، والحركة ، والإنسان ، والعالم ، .... إلى اخره

---

[١٠٠] أنظر التفاصيل فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[١٠١] تعتمد " **النظرية النسبية الخاصة** " على مسلمتين أساسيتين ؛ فالمسلمة الأولى تقول : بمبدأ ثبات سرعة الضوء بغض النظر عن سرعة المصدر أو المستقبل لها . أما المسلمة الثانية فتقول : بمبدأ اللاتغيرية فى معادلات الفيزياء العامة ، بالنسبة للأنظمة القصورية . وكلا المسلمتان لاتقوم عليهما برهان مباشر ، ولكن يثبت صحتهما فقط من صحة النتائج المترتبة عليهم (أنظر كذلك مقدمة هذا الكتاب) .

[١٠٢] تعتمد " **النظرية النسبية العامة** " على مسلمة واحدة هى : مبدأ التكافؤ بين الأنظمة القصورية الساكنة والموجودة فى مجال جذبى عام (ذو عجلة محددة) ، وبين الأنظمة الغير قصورية المتحركة فى غير المجال الجذبى العام ، بنفس العجلة بالنسبة إلى النجوم الثابتة .

[١٠٣] أرجو ألا يغيب عن ذهن القارىء " **نظرية الإنفجار الأعظم : The Big Bang Theorem** " ، التى تحدد إيذان بدء خلق كوننا المادى . ومن الطريف أنه على الرغم من عدم معرفة عمر الكون بدقة كافية إلى الأن ، إلا إنه قد أصبح من المقبول حاليا ـ فى الأوساط العلمية ـ القول بأن التمدد الحادث بالكون قد بدأ منذ (١٤ إلى ٢٠) بليون سنة تقريبا . أنظر التفاصيل فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

لينتهوا منها بأن :

للكون موجد ، وللحركة محرك أول ، وللإنسان خالق ، وللعالم صانع ... وهكذا

وفى كل مرة يتناول فيها المفكر أو الفيلسوف ، جزئية من هذا الوجود إلا ويقول ، إنه قد أتى ببرهان جديد مغاير عن البراهين الأخرى ـ لمن سبقوه ـ عن وجود الله . ولكن فى الحقيقة أن كل هذه البراهين تدور فى فلك المضمون الشامل عن الوجود السابق ذكره ؛ وما هذه المفردات إلا جزئيات متباينة من هذا الوجود .

ويجب أن أنوه ـ هنا ـ إلى أنه : على الرغم من بساطة الأفكار الأساسية للبراهين العقلانية أو الفلسفية الدالة على وجود الله ، إلا أن هذه البراهين تتسم بصعوبة التعابير اللغوية المستعملة فى صياغتها ؛ حتى ليصعب على القارىء العادى ، والغير متمرس على مثل هذه القراءات ، تتبع المعنى المراد الوصول إليه . وعموما فإن قراءة هذه البراهين تستلزم درجة من التركيز لا تتوافر ـ عادة ـ لدى القارىء المستلقى على جانبه ، وكذا ألفاظها ليست سهلة التداول ، بل ويصعب فى أحيان كثيرة إعادة صياغتها أو التكلم بها . وعادة ما يفترض كاتب هذا النوع من البراهين وجود حد أدنى لثقافة القارىء ، أو نوعا من النضوج الفكرى حتى يصبح كتابه مقروءا ، أو بمعنى آخر حتى يصبح كتابه مفهوما .

وبديهى لن ألجأ هنا إلى إعادة صياغة هذه البراهين بألفاظها ، ولكن سأكتفى بصياغة أفكارها الأساسية بصورتها الحقيقية البسيطة ، والتعليق عليها بإسلوب مبسط مبتعدا تماما عن التراكيب اللفظية الفلسفية المعقدة والمتبعة فى مثل هذا العمل . وأود أن أشير إلى أن جميع البراهين العقلانية التى تم ذكرها هنا ؛ هى خلاصة الفكر البشرى على مدار تواجده على سطح هذا الكوكب المحدود ، وعلى مدار حضاراته المختلفة . فهذا ما إنتهى إليه الإنسان ، وهذا هو غاية تفكيرة ، وهذا هو منتهى علمة ونضوجه الفكرى ...!!

وللحق لقد وقفت طويلا أمام هذه البراهين العقلانية ، كما جاء بها الإنسان أو قادة الفكر البشرى (كما نجمع على تسميتهم بهذا الإسم أو تسميتهم بالفلاسفة والمفكرين) وعلى ضحالة ما جاء فى هذه البراهين ، إذا ما قورنت بنفس هذه البراهين كما جاء بها القرآن المجيد ، أو كما صيغت بالمنطوق الإلهى . فالفارق بين الصياغتين أضخم من أن يحسب .

فعند تأمل صياغة البرهان العقلانى الذى جاءت به البشرية ، فإننا نجد أنفسنا أمام أشلاء لجثة إنسان لا حركة فيها ولا حياة , بل وقد لا تبدوا إنها جثة لإنسان ، بل هى تبدو مجرد إحتمال عن

بعد لأن تكون هذه الجثة لإنسان . فالفكر - كما جاء - في هذه البراهين محدود للغاية ، ولم يتجاوز الواقع الفعلى لوجود متجمد يحوى معنى واحد هزيل . فالبرهان البشرى هو " **برهان ساكن أو برهان ستاتيكى : Static Proof** " . بمعنى أن بدايته واضحة ونهايته محدودة وتعكس معنى واحدا ثابتا يكسوه الضباب ويكتنفه الغموض ، ولا ندرى من خطوات البرهان إن كانت هذه صياغة برهانية ، أم هى مجرد سرد لواقع مألوف لا يضيف لنا جديدا . وتقرأ الصياغة لهذه للبراهين - البشرية - ثم تعيد قراءتها فلا تحس بإشباع معرفى ما ، فأنت تقف فى مكانك فى هذه البراهين ، لا تتقدم باستخدامها خطوة واحدة عما كنت عليه قبلا ، أو حتى يمكن أن تخرج منها بفكر قد يرضيك وتستطيع معه الإعتماد عليه فى صفة الحسم للنتيجة المستخلصة من الخطوات أو من البرهان نفسه .

وربما كان هذا دائما دأب الإنسان ، ذلك المسكين الذى يستهويه الغموض ، ويستعذب أن تكون الحياة لديه لغزا أبديا لا يستطيع حله ، ويأخذه الكبرياء بالجهل إذا ما عثر على صدفة (a shell) ، ويعتقد أنه بهذا قد أدرك شيئا أو أنه هو الذى أوجد أو صنع هذه الصدفة (The shell).

وعلى الجانب الآخر ، فإننا نجد هذه الصورة جد مختلفة إذا ماتم تناول نفس هذه البراهين فى الفكر القرآنى . ففى الواقع ؛ نجد هذه البراهين القرآنية مفعمة بالحركة ومملوءة بالحيوية ، وتتفطر منها الحياة فى كل خطوة ، فهى " **براهين متحركة أى ديناميكية : Dynamic proofs** " إلى أبعد مدى . بمعنى أن النتيجة المستخلصة منها تتوقف دائما على ثقافة الفرد وحضارة عضره ، وليس هناك حدود نهائية لما تنتهى إليه هذه البراهين من علم . فالفكر الفردى ، ونضوجه ، وثقافته - إلى جانب حضارة العصر - هى الصفات التى تحدد الحدود النهائية للعلم أو النتيجة المستخلصة من هذه البراهين . وقلما يحيط الفرد - كما سنرى - بإدراك نهائى للمعلومات أو العلم الوارد بالبراهين القرآنية .

وعادة ما يبدأ القرآن المجيد البراهين القرآنية بمنطقة الوجود الفعلى للإنسان أو الكون المادى الذى نحيا فيه ، ثم يتدرج بعد ذلك فى الدخول إلى الإمتداد الطبيعى لهذا الوجود (أى إلى منطقة الغيب) مارا بالمنطقة المتوسطة بين الوجود والغيب ، ***وهى منطقة غروب الوجود*** *، أو "* ***منطقة الشفق الوجودى : The twilight zone*** *" ، ثم ينتهى بعد ذلك إلى المنطقة الغيبية ، وكل هذا بمنطق متصل ، يكاد يصل فيه الإدراك الحقيقى بالمعنى المراد إلى درجة اليقين الكامل أو الإدراك الذى تأتى به الحواس مباشرة .*

وللحق كدت أتوقف مرارا عن الكتابة عن هذه البراهين القرانية - هذا إن لم أكن قد توقفت فعلا عدة مرات - وذلك لضحالة ما كتبت بالمقارنة إلى ضخامة ما أدركت ، من معانى واردة بهذه البراهين ، ولم أستطع التعبير عنها ، وذلك حتى لا أكون قد أسأت أو أخللت بالمعنى العام لهذه البراهين ، وخصوصا عندما يفرض على الكاتب الإيجاز الشديد فى العرض قصدا فى المساحة ووقت القارىء .

وعموما قد آثرت الإستمرار فى الكتابة عن هذه البراهين على الرغم من هذا . لذا لزم ضرورة التنويه هنا ؛ بأن البرهان القرانى عادة ما يعالج الموضوع من كل زواياه فى عدة ايات متفرقة ومنثورة فى عدة سور (أو فصول Chapters) من سور القرآن المجيد ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٦)]

(القرآن المجيد : الإسراء { ١٧} : ١٠٦)

[فرقناه : نزلناه مفرقا (زمانا ومكانا) / على مكث : على مهل وتؤده / ونزلناه تنزيلا : أى نزل شيئا فشيئا على حسب المصالح والمواقف]

ولما كان جمع كل هذه الايات يعنى الإطالة فى صيغة البرهان ، لذا فقد تم الإكتفاء بأقل عدد ممكن من الآيات التى تخدم الخطوط العريضة فقط للبرهان . وليس معنى هذا أن هناك تكرارا ما فى البرهان القرانى ، ولكن معناه - فقط - أن ما جاء فى القران المجيد هو تناول الموضوع من كافة جوانبه ، وإكتفينا هنا بعدة جوانب فقط للبيان . لذلك فإن ما كتب هنا عن البراهين القرانية ، المناظرة للبراهين الإنسانية ، هى أقل القليل عما ورد ذكره فى القرآن المجيد عن هذه البراهين . وبالتالى فإن كان هناك تقصير ما فى عرض هذه البراهين ، فهى مسئوليتى وحدى ، ولا يعنى هذا وجود أى قصور فى البرهان القرانى نفسه . ولكن هو تقصير ذاتى فى عدم الأخذ بكل ما جاء فى القران المجيد حول هذه البراهين ، وذلك توخيا للإيجاز الشديد .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر يجب أن أشير هنا إلى أن الطيف العريض للمعانى القرانية فى كل جزئية من البرهان الواحد أوسع من أن يحاط أو أن يدرك ، لذا لزم الإشارة فقط إلى بعض هذه المعانى فى إقتضاب شديد . كما يتم أحيانا إرجاء المناقشة الموسعة لبعض هذه الموضوعات - *كما هو الحال فى موضوع السماوات* - إلى كتابات لاحقة ، حيث ستأتى فيما بعد فى سياق تعريف الإنسان والعلم الفيزيانى ؛ *وما يمكن أن يضيفة الدين إلى العلم ، وليس العكس فإن العلم لا يضيف شيئا إلى الدين ولكن الدين هو الذى يضيف كل شىء للعلم ، وليس هذا فقط ، بل*

ويسبغ المعنى العام على هذا الوجود الإنسـانى أيضـا . فينبغـى للإنسان أن يتنبـه ، وأن يعـى أن الدين هو العلم الكلى أو العلم الإلهى ، وما العلوم الإنسانية والعلوم الفيزيائية إلا جزئية متواضعة ولا تكاد تبين أو ترى ، من هذا العلم الإلهى الكلى والشامل .

وعموما فإننا لن نتعرض هنا في هذا الكتاب إلى جميع البراهين العقلانية ، التى خلفتها الحضـارة الإنسانية للتدليل على وجود الله ، بل سنكتفى بأهمها ، والتى تعتبر البراهين الحاكمة أو الأساسية ، والتى يمكن القول - وبدون أدنى تجاوزات - أن البراهين الأخرى التى قد تركت يمكن أن تندرج بصورة ما أو بأخرى تحت واحد من هذه البراهين الأساسية التى سوف يتم مناقشتها هنا . **وبديهى يكون من المتوقع من الديانة الصحيحة أن تحوى هذه البراهين الأساسية ، كمـا تحـوى أيضا الوجود الكلى للإنسان ؛ أى التركيب المادى ، والتركيب النفسى ، والتركيب الروحى لـه .** هذا إلى جانب تحديد مكان الإنسان فى داخل الإطار العام للمخلوقات على نحو مطلق . أو بمعنى اخر يجب أن تحوى الديانة الصحيحة الخريطة العامة للوجود على نحو مطلق ، مع تحديد مكـان وجود الإنسان وهويتة من هذا الوجود الكلى ، أى موقعه العام على هذه الخريطة الكلية .

كما ينبغى أن تحوى الديانة الحقة أيضا الغايات الكلية من الخلـق ، فالإنسـان غـير مؤهـل فطريـا بمعرفة المقاصد الإلهية الكلية لهذه الغايات ، مالم يتم إخباره بها بشكل مباشر بمعرفة الله ، عـز وجل . كما يجب أن تحدد الديانة الصحيحة طريق الخلاص الإنسانى ، وفيما هو مختبر فيه — إن كان هناك غاية من هذا الوجود - حتى يضمن النجاة والحصول على السعادة الأبدية المرجوة .

وكذلك يجب أن يحوى الدين الصحيح دليل صدقه ، أو بمعنـى آخر البينـات الدالـة على صحتـه وصدقة ، شأنه فى هذا شأن أى نظرية علمية أو فيزيائية عامة . كما ينبغى ألا تتناقض - فى أى لحظة أو فى أى موقع أو فى أى مكان - مضامين الدين ذاتيا ، وإلا قضى الدين على نفسـه بنفسه . بل يجب أن تتوافق وتتناغم هذه المضامين مع بعضها البعض ولا تتنـاقض تحت أى ظروف أو تحت أى دعوى أو تبرير ما .

فيجب العلم بأن افة أى نظرية فيزيائية ، هو : (التناقض الذاتى : The self inconsistency) . فالتناقض الذاتى يفقد أى نظرية علمية منطقيتهـا ، وهـو السيف الـذى يحطـم أى نظريـة فيزيائيـة مهما كانت دقة وصدق النتائج الجزئية أو الفرعية التى تـؤدى إليهـا هـذه النظريـة . فنحـن نحكـم على أى نظرية فيزيائية بالفناء إذا ما تناقضت مضامينها الداخلية مع بعضها البعض .

إن على الإنسان أن يتنبه إلى أن الديانة الصحيحة ، هى التى تجعل من الإنسان ، ووجوده ، وكونياته ، وفيزياؤه ... وخلقه وغاياته ... جزئية صغيرة فى داخلها ، فى إطار متعالى للفعل الإلهى الكلى ... للخالق المطلق ... أى " لله " .

١١ ـ الأدلة العقلانية للبرهنة على " وجود الله "

فى هذا البند سوف يتم عرض أهم البراهين العقلانية ، التى قالت بها الحضارة الإنسانية للتدليل على وجود الله . وفى الواقع ؛ تعتبر هذه البراهين هى البراهين الحاكمة أو البراهين الأساسية التى جاء بها قادة الفكر البشرى ، أو غاية ما جاء به الفكر البشرى ، والتى يمكن القول ـ وبدون أى تجاوزات ـ أن ما ترك من براهين أخرى ، يمكن أن تندرج بصورة ما أو بأخرى تحت واحد من هذه البراهين الأساسية التى سوف يتم مناقشتها فى هذا البند .

كما سيتم ـ فى هذا البند أيضا ـ مناقشة البراهين القرآنية المناظرة للبراهين الإنسانية التى سوف نناقشها هنا . وسوف يرى القارىء بدون أى عناء يذكر أن ما جاء به الفكر الإنسانى على مر حضاراته المختلفة ، يتضاءل تواضعا وهوانا إذا ما قورن بنفس هذه البراهين كما جاء بها الفكر الإلهى فى القران المجيد . فالفكر الإلهى يتميز بالإحاطة المدركة والغير مدركة ، أى يشمل كل من جانبى الغيب والشهادة (أى العالم الغيبى والعالم المرنى أو المشهود) ، حيث يمثل الغيب الإمتداد الطبيعى والمنطقى لعالم الشهادة ، بل والأكثر من هذا أن الغيب يمكن فى أكثر الحالات إستنتاجه من عالم الشهادة مباشرة ، وهو العالم الخاضع للمشاهده المباشرة والتحقيق . وبذلك يتأكد صدقة ـ أى صدق الجانب الغيبى ـ بدون الإعتماد على مسلمات دينية خاصة قد تقضى على صفاء الرؤية المباشرة للإنسان .

وفى هذا البند سوف نتناول بالمناقشة ثلاثة عشر حجة أو برهانا للتدليل على " وجود الله " ، سبحانه وتعالى عما نحيط أو نعلم . وتناقش الست حجج أو البراهين الأولى منها مشكلة " **الوجود المتغير** " وما يتبع ذلك من " **موجد لهذا الوجود** " . وسيتم التعليق على هذه الحجج أو البراهين السته جميعها **بآية واحدة فقط من آيات القرآن المجيد** ، لا تشمل المعنى العام لهذه الحجج ـ السته ـ المذكورة فحسب ، بل تشمل أيضا **التنبأ** بما سوف يؤول عليه الكون فى نهاية عمرة ، وهو مالم يستطيع العلم المعاصر تحديدة حتى الآن . وربما كان القصد من هذا هو توجيه نظر علماء الفيزياء نحو مفهوم محدد لمحاولة إثباته ؛ تصديقا لقوله تعالى :

[سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنــه علـى كـل شىء شهيد (٥٣)]

(القران المجيد : فصلت {٤٠} : ٥٣)

وهذا الإقتضاب الشديد فى العرض الذى أقدمه سببه هو أننـى سـوف أعـود مـرة أخـرى لمناقشـة الفيزياء الكلاسيكية والفيزياء المعاصرة بشىء من التفصيل من خلال الفكر القرانى ، فى الكتابات التالية بإذن الله . لذا فقد أرجئ الموضوع برمته إلى هذه الكتابات ، وإكتفيت هنـا فقـط بالإشـارة باية واحدة لما فيها مـن الإحاطـة مـا يكفـى . أمـا الحجـج السـبعة الباقيـة ، فهـى تنـاقش الفطـرة البشرية لدى الإنسان وما تجىء به من قوانين . وسيتم مناقشتها هنا بشىء من التفصيل من خـلال الفكر القرآنى .

١١ . ١ ـ *برهان العلة الأولى* [١٠٤] .

ويسمى هذا البرهان أيضا بإسم " العلة الفاعلة " ، أو " حجة العلية والعلة الأولى " ، وهذه الحجـة تشبه إلى حد بعيد جدا الحجة التالية لها ، ولكن بصياغة مختلفة . ويقول هذا البرهان على وجـود الله :

بأننا نجد فى عالم المحسوسات عللا فاعلة متسلسلة (بمعنى أمور مترتبه على بعضها البعض) ، ولا نجد ما هو عله لذاته (أى ما هو مترتب على أمر نفسه) . ومن المستحيل صعودا إلى غـير نهاية فى سلسلة من العلل الفاعلة . لذا لزم الإقرار بوجود علـة أولـى (أى السبب المسبب لكـل هذه الأسباب) ، وهى التى يسميها الناس جميعا بإسم " الله " .

وهذا هو جوهر هذه الحجة ، أو هذا البرهان . ولشرح هذا المعنى سنعرض أولا للحجة التالية ، وهى قريبة من هذا المعنى إلى حد بعيد .

١١ . ٢ ـ *دليل (أو برهان) أن العالم حادث ولابد له من محدث .*

وملخص هذا الدليل أو البرهان أن العالم بكل كائناته ، وأجسـامه ، ومـا يشـتمل عليـه مـن أنـواع الحيوان والنبات والجماد ، وجميع الأفعال والأقوال والإعتقـادات كلهـا مخلوقـة عـن كـائن أول .

---

[١٠٤] العلة (فى الفلسفة) : هو أمر أول يترتب عليه أمر ثانى ، والأمر الثانى معلول له ، أى معلول للأمر الأول .

فهى حادثة بعد أن لم تكن شيئا ولا عينا ولا ذاتا . والدليل على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات ، وتخرج من حال إلى حال .

ونحن نعرف من ظاهر الأمور أن كل حادث يوجد سبب لحدوثة . فالفعل يتعلق بفاعل ، فالكتابة تتعلق بكاتب ، والصناعة تتعلق بصانع ، .... وهكذا . ولم يحدث أن كانت هناك كتابة بغير كاتب ، ولا صناعة بغير صانع . وبما أن العالم محدث فيلزم أن يكون من فعل الصانع الذى أحدثه . وليس من صانع لهذا العالم إلا " الله " .

أما السؤال الذى يقول ... ومن خلق الله ؟ ...!! فهو سؤال غير صحيح ، لأنه لا يصح وصف " الله " بأنه " خالق " مرة ، وبأنه " مخلوق " مرة أخرى ، لأن فى هذا تناقض . فالمخلوق يستلزم الخالق لحدوثة ، بينما الخالق لا يستلزم خالقا اخر وإلا أصبح مخلوقا هو الاخر (وفى هذا تناقض فى التعريف) . فـ " الخالق " هو المحدث للوجود ، وهو لا يستلزم المحدث له ، وإلا تعددت المحدثات وبغير نهاية .

ويقول برتراند رسل [١٠٥] فى سيرته الذاتية [١٠٦] :

" لقد ظللت على إعتقادى فى وجود الله حتى أتممت عامى الثامن عشر ، وعندئذ قرأت فى الترجمة الذاتية التى كتبها " مل [١٠٧] " عن حياته ، هذه العبارة : " لقد علمنى أبى أن سؤالى : من خلقنى ؟ " ليس بذى جواب ، لأنه يثير على الفور سؤالا أخر هو ... ومن خلق الله ..؟؟!! وفى اللحظة التى قرأت فيها تلك العبارة إستقر منى الرأى على أن " برهان العله الأولى " على وجود الله هو برهان باطل " .

فكما نرى أن برتراند رسل قد إختلط عليه أمر الخالق والمخلوق ، حيث مزج بين التعريفين . فقد إعتبر أن " الله " خالقا مرة ثم إعتبره مخلوقا مرة أخرى ، وذلك نظرا لحداثة سنه فى ذلك الوقت ، فقد كان سنه لا يتعدى الثامنة عشر من عمره ، كما ورد فى سيرته الذاتية .

وربما يوجد من يحتج على هذا ، لأن رسل كان يحتفظ بنفس هذا الفكر أثناء كتابته لمذكراته ، أى بعد وصوله إلى قمة نضجه الفكرى . ولكن لابد لنا من الأخذ فى الإعتبار ظروف البيئة المحيطة به ، والتى كانت ترفض الديانة المسيحية ، وهى التى يعتبرها برتراند رسل - فى نفس

---

[١٠٥] برتراند راسل Bertrand Russelle (Lord) (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، رياضى وفيلسوف إنجليزى ، من اثاره " تحليل المادة : The Analysis of Matter " . وهو من معتنقى مذهب اللاأدرية (Agnosticism) .

[١٠٦] " برتراند راسل " د. زكى نجيب محمود ، دار المعارف ؛ ص ١٢ - ١٨ .

[١٠٧] جون ستيوارت مل : Jhon Stewart Mill (١٨٠٦ - ١٨٧٣) ، عالم إقتصاد إنجليزى ، نادى بالحرية الفردية ودعا إلى الأخذ بمذهب المنفعة .

الوقت ـ غاية الفكر الدينى ، بمعنى إنها الديانة الوحيدة الصحيحة المتاحة لديه ، لذا فإن خبرته قد إستمرت معه بنحو أو باخر على أن تكون مزيجا بين جهل محلى بالديانات من جانب ، وديانة وثنية ـ من جانب اخر ـ يجب رفضها ، ولهذا لم يفهم معنى " الخالق " المطلق الذى ليس بعده خالق آخر . ويتأكد هذا المعنى ، الذى قلنا به ، مما كتبه أستكمالا لسيرته الذاتية ، حيث يقول حول نشأته :

" ولما بلغ والدى الحادية والعشرين من عمره ، أحس فى نفسه كفرا بالمسيحية ، وأبى (أى رفض) أن يذهب إلى الكنيسة فى أيام أعياد الميلاد . وقد جعل من نفسه تلميذا لـ "جون ستيوارت مل " الذى علمت منذ أعوام قليلة إنه كان أبا لى فى العماد " .

وأراد أبى أن أنشأ فى الفكر حرا من القيود ، وكذلك أراد لأخى ، فأقام علينا وصيين عرفا بحرية الفكر ، ولكن جدى وجدتى معا سعيا لدى المحكمة المختصة أن تغض نظرها عن وصية أبى ، فكان نصيبى أن أنشأ على العقيدة المسيحية . وإنتقلت إلى منزل جدتى ، وكان ذلك فى عام ١٨٧٦ .

ويستطرد رسل فيقول ؛ كانت جدتى متزمته العقيدة ـ أى متزمته للعقيدة المسيحية ـ صارمة الأخلاق ، تزدرى الترف ولا تأبه لطعام ، تمقت الخمر وتعد التدخين خطيئة ، إلا أنها تحولت فى السبعين من عمرها إلى عقيدة " **الموحدين** " (**أى الذين ينكرون ربوبية المسيح**) ، أى إنها كفرت هى الأخرى بالعقيدة المسيحية . ثم يضيف رسل قائلا ؛ ولما بلغت الثانية عشر ، أهدت إلى جدتى إنجيلا (ما زلت محتفظا به إلى اليوم) ، وقد كتبت على الورقة التالية لغلافه بعض ما أحبت من ايات ، ومنها :

" ***لا يجوز أن تتبع أكثر الناس فى فعل الشر*** " ومنها " ***كن قويا شجاعا فاضلا ، لا تخف ولا يأخذنك اليأس ، فربك المولى فى رعايتك أينما ذهبت*** "

فكان لهاتين الايتين أثر عميق فى حياتى ، ولا أحسب ذلك الأثر قد أصابه الوهن حتى بعد أن أمسكت عن الإعتقاد فى الله " .

وهكذا رفض رسل " وجود الإله " من الناحية الشكلية فقط ، ولكنه فى نفس الوقت لم يستطع التخلص من فطرية وجود الله فى نفسه ، ولهذا ظل يعتقد فى : " ***... ربك المولى فى رعايتك أينما ذهبت*** " . وهذا هو الوعى الفطرى لدى الإنسان فى إدراك وجود الله . فهذه الفطرة ـ وليست لها عضو خاص فى الجسم ـ هى التى يستطيع بها الإنسان إدراك وجود الله ، وبدون عناء .

وكان التوقع أن يتنبه **برتراند رسل** إلى إدراك وجود مثل هذه الفطرة فى نفسه ، بل ويعتبرها - أى يعتبر هذه الفطرة - دليلا كافيا على وجود الله ، ولكنه لم يتنبه . وربما تنبه إلى هذا ، ولكنه رفض " وجود الإله " من حيث المبدأ ، لأن البدائل سوف تفرض عليه قبول صفات وثنية عن الإله ، نابعة من الفكر المسيحى ، وهو الدين الوحيد المتاح لديه والتى تعتقد بينته فى عدم وجود غيره صحيحا .

إن الخطأ الشائع فى الفكر البشرى - والذى يجب التنبه إليه جيدا - هو الإعتقاد بأن الله نابع من الفكر الدينى ، بينما الحقيقة التى يجب أن يعيها الإنسان ، هو أن الديانة نابعه من الله ، كما وإنه ليس ثمة - وجود - علاقة بين إدراك وجود الله وبين المضامين الواردة بالديانة ذاتها . فإدراك وجود الله ، هى علاقة مباشرة بين الإنسان والله ، كما سبق وأن بينا ؛

فـ " *الإنسان ليس فى حاجه إلى الدين لإدراك وجود الله* "

وغالبا ما تخطىء الأديان الوضعية فى تحديد ماهية الله ، وطبيعة كمالاته الإلهية . كما يمكن ألا تقول هذه الاديان كلمة واحدة عن الإله . ولهذا أصبح صياغة التعريف الصحيح للدين أمر ضرورى وحتمى ، حتى يستطيع الإنسان أن يصحح موقفه منه .

وربما كان هذا شأن اللاأدريين ، فهم - جميعا - يدركون فطرية الله التلقائية فى أنفسهم ، ومع ذلك لا يستطيعون التوجه الصحيح إليه من خلال ديانة حقة تمنعهم من السقوط أو التردى فى مستنقع الوثنيات . وربما كان اللاأدريون أقرب ما يمكن إلى فكر " بوذا " نفسه (مؤسس الديانة البوذية) ، وليس إلى فكر الديانة البوذية نفسها بعد أن أله الأتباع بوذا فيما بعد . فقد كان بوذا يدرك وجود الله بالفطرة هو الاخر ، ولكنه لم يكن يدرك ماهيته ، وبذلك لم يستطع الكلام عنه ، وطلب من الأتباع الإهتمام بما للإنسان ، وترك التفكير فى الله ، حيث لا سبيل إلى الوصول إليه ، كما سبق ذكره فى " بند ٧ " السابق .

وننتقل الآن إلى إستكمال سرد باقى الأدلة والبراهين الدالة على " وجود الله " ، وهى كما سبق أن ذكرنا لم تخرج عن المنطوق العام الذى يقول بأن *" طالما أن الوجود متغير وغير ثابت ، فلابد له من موجد ، وهذا الموجد هو الله "* . وسنكتفى بالتعليق على بعض هذه الأدلة نظرا لصراحة ووضوح العناوين الدالة عليها بدرجة لا تحتاج إلى شرح اخر .

١١ . ٣ ـ *حجة أو دليل أن للعالم أول .*

١١ . ٤ ـ حجة أو دليل أن للعالم صانع .

١١ . ٥ ـ دليل أن الإنسان أكبر حجة على وجود الله .

وجميع هذه الأدلة الخمسة السابقة لم تخرج عن وصف بعض مفردات الوجود ، بصياغات مختلفة .

١١ . ٦ ـ حجة أو دليل الحركة والمحرك الأول .

وفى هذا الدليل أو الحجة يقول الإنسان ، يتبين لنا مما نشاهده بالتجربه فى مجال الفيزياء العامة ، أن كل متحرك له محركه إلى أن نصل بالضرورة إلى محرك أول لا يحركه محرك اخر ، وهذا المحرك الأول هو " الله " .

وقد يحتج على هذا بعض الفيزيائيين ، حيث يقولون بأن " قانون نيوتن الأول " يسوى بين الحركة المنتظمة فى خط مستقيم وبين السكون . وليس هذا فحسب ، بل يذهبون إلى أبعد من هذا ويقولون ليس هناك خطوط مستقيمة فى الفضاء ذو الأربعة أبعاد ، والذى يمثل متصل الفضاء والزمن معا . وفى هذه الحالة فإن القانون السائد هو " **مبدأ أقل فعل : Principle of Least Action** " . وبموجب هذا المبدأ فإن الجسم لا يتحرك فى الفراغ على خط مستقيم ، بل يتحرك على خطوط منحنية تعرف بإسم " **الخطوط الجيوديسية Geodesic lines** [١٠٨] " ، والرد على ذلك ببساطة شديدة ، هو أن حركة الكواكب أو النجوم المزدوجة أو المجرات (فى تمدد الكون) حتى وإن إنتهت إلى هذه الخطوط الجيوديسية ، فلابد وأنها قد بدأت حركتها تحت تأثير قوة محركة أولى هى التى سببت لها هذه الحركة . وما " **نظرية الإنفجار الأعظم The Big Bang Theory** " ، والتى تلقى الان قبولا فى الأوساط العلمية حول نشأة الكون ، إلا خير دليل على هذا المحدث لهذه الحركة أى وجود المحرك الأول ، الذى سبب هذا الإنفجار الأعظم .

وقبل أن نتعرض هنا إلى الفكر القرانى المناظر للبراهين السابقة ، لابد لنا وأن نعرض باختصار شديد لنشأة الكون من خلال الفكر المعاصر .

[١٠٨] الخط الجيوديسى **Geodesic line** : هو أقصر خط (أو منحنى) يصل بين نقطتين على سطح منحنى أو فى فراغ منحنى رباعى أو متعدد الأبعاد .

فنقول لقد أصبح من المقبول علميـا الان أن الكـون قـد نشـأ مـن إنفجـار نقطـة شـاذة (Singular point) [١٠٩] ، وهى نقطة يستحيل تخيلها أو التكهـن بطبيعتهـا . ولكـن يتفـق العلمـاء علـى أنهـا نقطة لانهائية فى الصغر ، أى لا حجم لها على الإطلاق ، وبالتـالى فـإن إنحنائهـا يكـون لانهائيـا (وهذا يعنى رياضيا أن نصف قطرها صفر) ، ودرجة حرارتها لانهائية ، كما وإنها تحوى مـادة كثافتها لانهائية أيضا . وتحتوى هذه النقطة الشاذة علـى كـل شـىء فـى هـذا الكـون ... المـادة ، الطاقة ، وحتى الفضاء والزمن ...!!!

ولا يعرف العلماء من الذى سبب إنفجار هذه النقطة الشـاذة ، فـى صـورة هـذا الإنفجـار الأعظـم (The Big Bang) منذ حوالى (١٤ إلى ٢٠) بليون سنة مضت (البليـون هـو ألـف مليـون ، أى واحد وأمامه تسعة أصفار) . كما لا يعرف العلمـاء مـا إذا كـان يوجـد " شـىء مـا " قبـل حـدوث هـذا الإنفجـار أم لا ، أو حتـى هـل يوجـد معنـى لكلمـة " **قبـل** " ، قبـل أن يحـدث هـذا الإنفجار الأعظم أم لا . ويقف خلف نظرية الإنفجار الأعظم مشاهدات وقياسـات كونيـة أساسـية هى :

- **أولا : تمدد الكون** : فقد إكتشف الفلكى الأمريكى إدوين هوبل Edwin Hubble ، فـى سـنة ١٩٢٤ أن الكون اخذ فى التمدد ، وكان ذلك عندما لاحظ هوبل أنه يوجد إزاحة فى خطـوط طيف المجرات فى إتجاه اللـون الأحمـر ، وهـذا يعنـى بإسـتخدام ظـاهرة دوبلـر (Doppler Effect) أن هذه المجرات تتحرك متباعدة عنا وعن بعضهـا البعـض . تمامـا كمـا تتطـاير الشظايا متباعدة عن بعضها البعض من القنبلة بعد لحظة إنفجارها .

- **ثانيا** : درجة حرارة الفضاء الخارجى ؛ وجد أنه يساوى ثلاث درجات كالفنيـة (أى -٢٧٠ درجة منوية) وليس صفرا مطلقا (أى -٢٧٣ درجـة منويـة) ، وهـو مـا يعـرف بإسـم : " **الخلفية الكونية للموجات المتناهية : Cosmic microwave background** " . وقـد سبق حساب هذه الدرجة من قبل - بطريقة نظرية بحتـه - لمـا سـوف تـؤول إليـه درجـة حـرارة الكون منذ بدء الإنفجار الأعظم وحتى الان ؛ أى بعد حوالى (١٥) بليون سـنة تقريبـا مـن بدء التمدد والإنتشار فى الفضاء المطلق . وقد تم إكتشاف هذه الدرجة - **مصادفة** - فى سـنة ١٩٦٤ ، كل من د. روبرت ولسن (Robert W. Wilson) ، وأرنو بنزياس (Arno A .

---

[١٠٩] وتعريف **النقطة الشاذة** - على أساس النموذج القياسى لميكانيكا الكم - هـى النقطـة التـى تحـوى مـادة ذات كثافـة لانهائية ، وإنحنائها لانهائى (أى نصف قطرها صفر) ، ودرجة حرارتها لانهائية :

According to the standard model , at the time zero (by definition) the universe had an infinite matter density , infinite curvature and infinite temperature . A state known as **Singularity** .

لمزيد من التفاصيل أنظر : [" **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب] .

Penzias) ، من معامل تليفونات بل (فى أثناء بحثهم عن أسباب التشويش الذى يحدث عند إجراء الإتصالات مع الأقمار الصناعية) وقد منحا ـ عن هذا الإكتشاف ـ جائزة نوبل فى الفيزياء فى سنة ١٩٧٨ .

وننوه هنا بأنه لا توجد نظرية علمية كاملة على نحو مطلق ، ففى كل نظرية علمية توجد مساحة ، وإن كانت صغيرة ، للشك . وبديهى أن نظرية الإنفجار الأعظم ليست مستثناه من هذا الفكر العام . لذا فإن هذه النظرية قد واجهتها أربع مشاكل رئيسية ، حل بعضها وما زال البعض الأخر قائم بلا حل ، وهذه المشاكل الأربعة هى :

١ ـ المشكلة الأولى : هى ندرة وجود " **المادة المضادة : Anti-Matter** " فى الكون [١١٠] ، ونعنى بهذا أن جميع القياسات المتاحة قد دلت على أن كمية المادة المضادة ، أقل بكثير من كمية المادة العادية أى المادة المألوفة لدينا .

٢ ـ المشكلة الثانية : هى كيفية حدوث أو تكون المجرات .

٣ ـ المشكلة الثالثة : وتسمى مشكلة الأفق ، وهى تعنى تساوى خواص الفضاء على الرغم من وجود مركز لإنفجار الكون .

٤ ـ المشكلة الرابعة : هى مشكلة تسطيح الكون .

وقد تم حل الثلاث مشاكل الأولى على وجه تقريبى بإستخدام ميكانيكا الكم ، وسنعود إلى هذه الحلول بالتفصيل فى الكتاب التالى إن شاء الله . أما المشكلة الرابعة ؛ وهى مشكلة تسطيح الكون ، فهى تعنى أنه يوجد ثلاث إحتمالات لمصير الكون الحالى :

وأول هذه الإحتمالات : هو أن يظل الكون يتمدد إلى الأبد على النحو الذى نراه عليه الان ، ويعرف الكون فى هذه الحالة بأنه : " **كون مفتوح : Open Universe** " . وبديهى سوف تبرد النجوم والمجرات ثم ينتهى الكون إلى **الموت الحرارى** فى فضاء مطلق لانهائى .

وثانى هذه الإحتمالات : هو أن يبطئ هذا التمدد إلى أن يتوقف عند حجم ما ، ويسمى الكون فى هذه الحالة بأنه : " **كون مسطح : Flat Universe** " . وبديهى سوف تبرد النجوم فى هذه

---

[١١٠] **المادة المضادة** : هى المادة التى إذا تقابلت مع المادة العادية فإنهما يحدثان فناء كاملا لبعضهما البعض ويتحرر من جراء ذلك كمية هائلة من الطاقة . وتتكون المادة المضادة من برتونات ذات شحنات سالبة (بدلا من الشحنات الموجبة فى المادة العادية) ، وتدور حولها إلكترونات موجبة الشحنة تعرف بإسم " البوزيترونات " (وذلك بدلا من الإلكترونات السالبة فى المادة العادية) . كما تحوى النواة أيضا النيوترون المضاد ، أى النيوترون المضاد للنيوترون الموجود فى المادة العادية ؛ حيث وجد لكل جسيم أولى جسيم مضاد له . ولمزيد من التفاصيل العلمية أنظر المرجع السابق .

الحالة أيضا ثم ينتهى الكون **بالموت الحرارى** ـ كما فى الحالة السابقة ـ فى هـذا الفضـاء المطلـق اللانهائى .

أما الإحتمال الثالث : فهو أن يبطىء الكون تمدده بفعل الجاذبية العامة إلى أن يتوقـف عند حجـم ما ، ثم يعود مرة أخرى إلى التقلص والإنكماش ، إلى أن ينتهى أمـرة إلـى النقطـة الشـاذة مـرة أخرى ، وهو ما يعرف بإسم " **الإنسحاق الأعظم : The Big Crunch** " . ويسـمى الكـون فـى هذه الحالة بأنه : " **كـون مغلـق : Closed Universe** " . وقـد تنفجـر النقطـة الشـاذة النهائيـة ، لإعادة الدورة مرة أخرى أو قد لا تنفجر ، فهذه أمور لا يمكـن التكهـن بهـا نظريـا ، علـى الأقـل الآن .

والإحتمالان الأول والثالث السابقان يشبهان إلى حد كبير ؛ بالذى يلقى بكرة إلى أعلى ، فإن كانت سرعتها كبيرة بدرجة كافية فإنها سوف تترك الأرض وتسبح فى الفضاء الخارجى بلا عودة . أما إن كانت سرعتها بطيئة فإنها سوف تتوقف عند إرتفاع معين ، ثم سوف تعود للرجوع مرة أخرى إلى الأرض . وفى الواقع ؛ إن حدوث واحد من الإحتمـالات السـابقة ، مرتبـط إرتباطـا مباشـرا بكمية المادة الموجودة فى الكون . فإذا كان بـالكون كميـة كافيـة مـن المـادة ، فـإن الكـون سـوف ينتهى إلى الإحتمال الثالث .

وعموما ، فإن حل هذه المشكلة مرتبط بالقياسـات والأرصـاد الفلكيـة التـى يمكـن عملهـا لحسـاب متوسط كثافة المادة الموجودة فى الفضاء الكونى بدقة كافية . وكـان يمكـن إجـراء هـذا العمـل ـ على مافيه من صعوبة بالغة ـ إذا ما كانت كل المادة الموجودة بالكون هى مادة مرئية علـى نحـو النجوم والمجرات التى يمكن رصدها . ولكن ـ فى الواقـع ـ يوجـد هنـاك نسـبة كبيـرة ولا يستهان بها من " **المادة المظلمة : Dark Matter** " [١١١]، والتى لا يمكن رصدها بالمناظير الفلكية بشكل مباشر ، ولكن يمكن إدراك وجودها من تأثيراتها المختلفة ، ومنها التأثيرات الجذبيـة

---

[١١١] يوجد قدر هائل من المادة الغير المرئية فى الكون تندرج تحت إسم **المادة المظلمة** ، مـن هـذه المـادة ؛ الثقـوب السوداء ، والنيوترينوات (جمع نيوترينو : Neutrino ، وليس نيوترون) ، وكذا جميـع صـور الطاقـة (لاحـظ أن : الكتلة = الطاقة ÷ مربع سرعة الضوء) الموجودة بالكون مثـل موجـات الجاذبيـة والموجـات الكهرومغناطيسـة بجميـع ترددأتها . وهناك دلائل تشير إلى أن عدد الثقوب السوداء فى مجرتنا (الطريق اللبنى) أكبر من عدد النجـوم المرئيـة فيها (والذى يبلغ عدده حوالى مئة ألف مليون نجم تقريبا) . والدليل على ذلك أن الجاذبية الخارجية لمثل هذا العـدد الكبير من الثقوب السوداء ، قد يفسر لنا لماذا تدور مجرتنا بالمعدل الذى تدور به الآن ، حيث أن كتلة النجوم المرئيـة لا تكفى لإحداث هذا الدوران بمثل هذا المعدل . كما يوجد دلائل على وجود ثقب أسود فى مركز مجرتنا كتلتـه تعـادل مئة ألف مرة كتلة الشمس ، ويعتقد أيضا فى وجود ثقوبا سوداء ذات كتل كبيرة جدا تبلغ حوالى مئة مليـون مـرة كتلـة الشمس فى مراكز الكوازارات (جمـع كـوازار: Quasar) ، وهـى الأجسـام شبه السماوية والموجـودة فـى أعمـاق الفضاء السحيق لهذا الكون . لمزيد من التفاصيل العلمية أنظر : " **الدين والعلم ... وقصـور الفكـر البشـرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

على المادة النجمية التى يمكن رصدها بشكل مباشر . ولم يصل العلماء حتى الآن ، إلى نتيجة قاطعة حول هذه القياسات لتقدير متوسط كثافة المادة الموجودة بالكون .
وجملة القول أن جميع الحسابات ، والقياسات والأرصاد التى تمت ـ حتى الآن ـ قد بينت أن كتلة الكون تقع مابين واحد من مائه (١٠و٠) ، وعشر (١٠) مرات الكتله الحرجة ، وهى أقل كتلة لازمه لجعل هذا الكون يتوقف عن التمدد . وبالتالى لا يعرف العلماء ، على وجه التحديد ما إذا كان الكون " مفتوحا " أو " مسطحا " أو " مغلقا " (أى سوف يعود مرة أخرى لحالة التقلص ، ثم ينغلق على نفسه حتى يصل إلى النقطة الشاذة فى النهاية) على النحو السابق ذكره .
والان ، وبعد هذه المقدمة عن مشكلة تسطيح الكون ، يمكننا أن نتناول وجهة نظر الفكر القرآنى لهذه البراهين الستة السابقة ، فى آية واحدة فقط . والآية لا تقول بخلق هذا الوجود الكونى فحسب ، بل تعطينا ما سيؤول إليه الكون من تسطيح ، وهى المشكلة التى لم يستطع الإنسان الفصل فيها حتى الآن على الرغم من التقدم العلمى الهائل الذى نعاصره .

ويقرر القران المجيد بأن الكون المخلوق هو " **كون مغلق** " ، بمعنى أن التمدد الكونى الذى نراه الان سوف يتوقف فى يوم ما ، ثم يعود الكون للإنكماش مرة أخرى ، وينغلق على نفسة ، كما جاء فى قوله تعالى فى قرآنه المجيد :

[يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين (١٠٤)]

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٤)

[طوى (الشىء) : ضم بعضه على بعض ، وطوى بمعنى ضمر وتقلص وإنكمش / والسماء [١١٢] : معناها الكون المادى الذى نحيا فيه]

وهذه الآية صريحة الدلالة حول معنى هذا الكون المغلق . والتشبيه الوارد فى هذه الاية الكريمة له دلالة كونية فى غاية من العمق . فهو يرد التفاصيل ، أو التنوع الهائل وغير المتناهى فى الخلق ، إلى الجسيمات الأولية الأساسية التى يتكون منها هذه التفاصيل . تماما كما يضم فهرس المكتبه العامة عناوين الكتب التى تحتوى على التفاصيل المتنوعه لهذه العناوين .
وقد ينتاب الفزع بعض علماء تفسير القرآن لهذه المجازفة العلمية ، إذ ماذا يمكن أن يطرح الموقف إذا ما ثبت بعكس هذه النبوءة العلمية . ولى أن أدافع عن هذا التفسير بالحجج الخمس التالية :

---

[١١٢] سنعود إلى معنى السماوات ، فى النموذج القرآنى للكون ـ أى كوننا هذا ـ والأكوان الموازية له فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

أولا : كما سبق وأن بينا ، أن العلم هو أحد المضامين الجزئية من القضية الدينية القابلة للملاحظة والتحقيق . لذا فالعلم من وجهة نظر الفكر الإلهى أو الفكر القرانى ، هو تجربة معملية يجريها الإنسان للتثبت من صحة وصدق القضية الدينية .

ثانيا : لقد إعتاد علماء التفسير ألا يزجوا بالمعانى القرانية فى القضايا العلمية ، إلا بعد التثبت من الظاهرة الدالة على المعنى القرانى ، وعند ذلك يقبلوا بالفكر القائل بهذا التفسير . وبهذا المفهوم نجد علماء التفسير قد فوتوا الكثير على البشرية حتى الان . لأن عليهم أن يقوموا بالإنتظار الطويل حتى يتم التقدم العلمى ، ثم يشيروا - بعد ذلك - إلى وجود هذا التقدم العلمى فى القران المجيد . وبهذا يسبغوا الدور السلبى على القران ، فى مجال تقدم العلوم بصفة عامة . وأنا أعتقد أن هذه خسارة كبيرة قد فقدتها البشرية نفسها من جانب ، كما وإن هذا المفهوم يتناقض مع الفكر الإلهى المحيط الوارد بالقران المجيد من جانب اخر .

فالقران يموج بالنبوءات العلمية شديدة الوضوح ، ومع ذلك فقد تردد المفسرون السابقون فى الخوض فى تأويل مثل هذه النبوءات مما أساء إلى القران المجيد نفسه ، وأضاع كثير من المجهود على البشرية نفسها كذلك ، ومن أهمها إقامة الدليل والحجة الدامغة على صحة القران المجيد ، وبالتالى إقامة الدليل على صحة القضية الدينية .

ولم تخطىء أى نبوءة علمية للقران المجيد من قبل ، حتى تخطىء من بعد . وسنأتى إلى شرح هذا المعنى فى الكتاب التالى إن شاء الله . ولكن سنعرض هنا لمثال واحد فقط لأحد القضايا العلمية الهامة ، وهى قضية تاريخ حياة الأرض . فقد قام القران المجيد - منذ خمسة عشر قرنا - بتأريخ لحياة الأرض فى عشرة كلمات فقط على النحو التالى ، كما جاء فى قوله تعالى :

[والأرض بعد ذلك دحاها (٣٠) أخرج منها ماءها ومرعاها (٣١) والجبال أرساها (٣٢)]
(القران المجيد : النازعات {٧٩} : ٣٠ - ٣٢)

[الأدحوة : موضع بيض النعامة وتفريخة ، والدحية : هى بيضة النعام ، كما يقال أيضا (دحا) الشىء أى بسطه ، فكلمة (دحاها) تعنى البسط والتكوير معا]

وهنا نجد أن القرآن المجيد قد قال بمراحل تكون الأرض التى تتلخص فى الاتى : التكوين البيضاوى لها ، ثم ظهور الماء على سطحها ، ثم تكون المملكة النباتية وهى المملكة اللازمة لظهور المملكة الحيوانية ، ثم أخيرا قال بعملية تكون سلسلة الجبال والتى مازالت خاضعة للتغييرات التكوينية كناتج طبيعى للزلازل والبراكين والتى تحدث حتى الان . وتفيد جملة (**والجبال أرساها**) ، إلى معنى سيولة باطن الأرض ،

فالرسو كلمة تستخدم للسفن ، أى الطفو فوق سطح مانع . وبهذا المعنى ترسو الجبال على سطح مانع من جانب ، وتكون أيضا قابلة أيضا للتحرك أو حتى الإختفاء (الغرق) من جانب اخر . وهذا ما يحدث على وجه التخصيص فى ظواهر الزلازل والبراكين ، وما يتبعها من تكون جبال جديدة أو إختفائها .

والقارىء لتاريخ حياة الأرض ، يجد أن بعد ما تكورت الأرض وأخذت شكلها البيضاوى [١١٣] وبردت قليلا ، أصبح يلفها الماء فى صورة سحب من الماء تغلف الكرة الأرضية بالكامل . وبعد أن بردت أكثر ، تكاثفت هذه السحب ونزل الماء إلى سطح الأرض . ثم بعد ذلك ظهرت المملكة النباتية على الأرض ، وهى المملكة اللازمة لظهور المملكة الحيوانية التى سوف تحيا عليها . أما عملية تكون الجبال فهى اخر ما ظهر على سطح الأرض ، ومازالت مستمرة الجبال فى التكون إلى الان ، طالما أن باطن الأرض ملتهب وقابل للبرودة وبالتالى للإنكماش ، وما ينتج عن هذه الإستمرارية من زلازل وبراكين .

والان ؛ فماذا لو إجتهد المفسرون الأوائل ، وقالوا بهذا العلم من خمسة عشر قرنا أو حتى عشرة قرون من قبل ، أليس كان فى هذا إدخار للجهد البشرى ، ومعاناة البشرية فى إثبات ذلك على مر القرون السابقة .

ثالثا : بديهى طالما أن القرآن المجيد قد أخبر عن الشكل النهائى للكون ، فلابد له وأن يخبر أيضا عن بدايته . أى يخبر عن طبيعة خلق الكون وتمدده (بمعنى الإخبار عن تمدد الكون) ، وهذا هو الحادث فعلا ، كما جاء فى قوله تعالى :

[**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧)**] (القران المجيد : الذاريات {٥١} : ٤٧)

[والسماء : معناها ـ هنا ـ الكون المادى بكامله كما سبق ذكره / بأيد : بقوة وشدة / موسعون : أى أن سعة الكون أخذة فى الإزدياد ، فعندما يقال إزداد الإناء سعة ، فمعناها إزداد حجم الإناء]

فالاية شديدة الوضوح والدلالة على خلق الكون وإزدياد حجمه ، أى تمدده ، فقوله تعالى (... **وإنا لموسعون**) تعنى الإستمرارية فى إزدياد سعة الكون أى إزدياد حجمه ، أى أن الكون يتمدد على نحو مستمر ، ولكن الإستمرار موقوت بزمن محدود .

---

[١١٣] نصف قطر الأرض الإستوائى (Equatorial Radius) هو ٦٣٧٨ كيلومتر ؛ بينما نصف القطر القطبى (Polar Radius) هو ٦٣٥٧ كيلومتر ؛ أى أن الفرق بين نصفى القطر هو ٢١ كيلومتر .

رابعا : أن البرهان العلمى على صحة القرآن المجيد سيأتى من أعماق الكون ، كما يقـرر بهـذا ، المولى عز وجل فى قوله تعالى :

[سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنـه على كـل شىء شهيد (٥٣)] .

(القرآن المجيد : فصلت {٤٠} : ٥٣)

والآفاق هى المتناهى الكونى ، أو المتناهى الزمانى والمكانى (لاحظ عند رصـد أحد النجـوم أو المجرات فإننا نعود بالزمن إلى الوراء أيضا ، أى إننا نرصد المكان والزمان معا) . وربما تكون " **المادة المظلمة : The dark matter** " هى أحد هـذا التنـاهى الكونـى . إذ أن إكتشـاف كمية هذه المادة بدقة كافية فى الكون ، هى التى سوف تحدد ما سوف يؤول إليـه الشـكل النهـائى للكون ، أى **هو كون مفتوح** ، **أو كون مسطح** ، **أو كون مغلق** ، كمـا سبق شـرح ذلـك (أنظـر تذييل رقم ١٠٨ السابق) .

خامسا : أن مـن حـق ذوى العلـم الإجتهـاد فـى التـأويل (أى جـوازا الإجتهـادّ فـى التفسـير) ، إستجابة لقوله تعالى :

[... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون ءامنا به كل من عند ربنا وما يذكـر إلا أولوا الألباب (٧)]

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٧)

[الراسخون فى العلم : هم العلماء الذين أتقنوا علمهم وحفظوه حفظا لا يداخلهم فيه شك / كل من عند ربنا : أى الآيات القرآنية على وجه مطلق ، المحكم منها والمتشابه هى من عند اللـه عـز وجـل / أولـوا الألباب : أى ذوو العقول والفكر / وهناك إختلاف على الوقفات فى قراءة هذه الآيـة الكريمـة . فبعض العلماء يقولون بأن الوقفة تجب بعد "... **إلا الله** " ، وهو مـا يعنـى أن " **اللـه** " فقـط هـو الـذى يعلـم تـأويل القرآن المجيد . بينما يرى البعض الآخر بأن الوقفه واجبة بعد " ... **الله والراسخون فى العلم** " ، وهـو مـا يعنى بأن " **الله والراسخون فى العلم** " يعلمون هذا التأويل . وعموما كلا الرأيين صحيحا ، إذا ما علمنـا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم تأويل القرآن على نحو مطلق ، بينما الراسخون فى العلم يعلمون هذا التأويل على نحو نسبى ومحدود . كما وإن كلا الرأيين لا يعفى العلماء من الإجتهاد فى تأويل القرآن كضـرورة مسبقه لفهم المعنى العام له]

وعلى هذا ؛ فإن إجتهد العالم وأصاب فله أجران ، هما أجر الإجتهاد وأجر الإصابة . وإن إجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، هو أجر الإجتهاد ، كما قال بهذا رسول الله (ﷺ) [114] .

١١ . ٧ ـ البرهان الأخلاقي .

بديهي أن القول بأن " **الأخلاق تخضع لمعايير المنفعه الفردية** " هو قول باطل تماما ، فإننا نستطيع أن نتصور مواقف كثيرة يكون فيها : **الظلم والكذب هي المعايير النفعية للأفراد** . وأمثلة هذا كثيرة ؛ منها على سبيل المثال ، الأنظمة الدكتاتورية المبنية على حكم الفرد ، والسلوك الإجرامي للأفراد ، ففي عالم الجريمة نجد أن القانون النفعي السائد هو " اللاأخلاق أو عدم الأخلاق هي التي تحكم المعايير النفعية لهذه الفئة " .

فطبقا لأحد تقارير [115] بوليس شيكاغو (بالولايات المتحدة الأمريكية) ، أن أكثر من ٩٠ ٪ من جرائم السطو لم يتم التوصل إلى مرتكبيها ، ويقول علماء الجريمة ، إن المجرمين الأمريكيين ينتهبون ملايين الدولارات ويتمتعون بغنائمهم عادة بلا وازع من ضمير . ويضيفوا إلى أن الجريمة تكون مربحة على الأخص بالنسبة لأولئك الذين يشرفون على تنظيمها ، ولا يقومون بارتكابها بأنفسهم مثل عصابات المافيا ، وغيرها من العصابات الإجرامية . وقد أكد أحد علماء الجريمة الأمريكيين بأنه ، كلما زاد الربح من وراء جريمة قتل ما ، كلما قلت الفرصة للقبض على المجرم ومعاقبته . فالجريمة إذن ، أصبحت علما ودراسة ، وتخضع لمقاييس السوق التجاري .

وإذا إتجهنا إلى القول بأن " **الأخلاق تتفق مع المصلحة المشتركة للمجتمع** " ، نجد أن هذا القول هو قول باطل كذلك ، لأنه قد تتفق المصالح المشتركة على إبادة جنس ما . والأمثلة الدالة على هذا كثيرة ، فعلى سبيل المثال ؛ نجد أن الأسبان قد قاموا بإبادة الهنود الحمر في المكسيك ، كما نجد أن المستوطنين البيض قد قاموا بإبادة منظمة لسكان أمريكا الشمالية من الهنود أيضا . فبديهي إن مثل هذا السلوك لا يتفق والأخلاق على نحو أو آخر .

---

[114] عن عمرو بن العاص ، عن أبي هريره ، عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

[إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد]
تخريج السيوطي (رقم ٤٩٤) .

[115] " **الإسلام بين الشرق والغرب** " على عزت بيوجوفيتش ، الناشر مؤسسة بافاريا ، صفحة ٢٠٢ .

فبديهى أن المصلحة المشتركة لتلك المجتمعات من الأسبان ، والمستوطنين البيض لأمريكا الشمالية ، **كانت تتسم بالوحشية واللاأخلاقيات اللامتناهية معا** . فقد إغتصبوا الأرض ، ولم يكتفوا بهذا ، بل أبادوا أهلها أيضا . وقل ما شئت في هذا المضمار عن الحروب العدوانية ، وإستعمار الدول الضعيفة ، وإضطهاد الأقليات .... وخلافه .

وبهذا ننتهى إلى أن " **الأخلاق** " لا يمكن أن تنسب إلى " **المنفعة الشخصية** " ، ولا إلى " **السلوك الإجتماعى للأفراد** " ، فكلاهما قد يفقدا الغاية أو الهدف عندما لا تتفق الأخلاق مع أهواء أو رغبات الأفراد فى تحقيق منفعة ما . وعلى ذلك فينبغى أن تنسب الأخلاق إلى وجود مطلق متعال ، ومتعلق بالتركيب الفطرى للإنسان ، وأن " الخالق " ــ سبحانه وتعالى ــ هو الذى قام بتركيب هذا الجانب الأخلاقى فى الإنسان .

وعلى الرغم من وضوح هذا الفكر ، كما إنه لا يحتاج إلى فلسفة خاصة أو خلافه ، إلا إننا نجد أن الفيلسوف الألمانى كانط [١١٦] ؛ كان يعتبر أن " **البرهان الأخلاقى** " هو أكبر حجة على إثبات الألوهية . حيث إنتهى " كانط " فى أعوامه الأخيرة إلى أن :

" **مفهوم " الله " لا ينتمى أصلا إلى الفيزياء أو إلى العقل النظرى ، بل إلى الأخلاق** [١١٧] "

وذلك بدعوى أن الإستقراء أو الخبرة اليومية تبين لنا أن الأخلاق موجودة عند كل الناس ، وإننا نفضل أخلاقيا أن نفعل ما قد لا تكون فيه مصلحة لنا ، أو ما قد يتعارض مع مصالحنا ، وكأن هناك قوة تأمرنا بما ينبغى أن نفعله أخلاقيا . فنفعل هذا ونترك هذا ، وإن كان فيه ضرر مادى ما علينا ، أو ليس فيه مصلحة مباشرة لنا . وإنما تربط ــ هذا الأمر ــ الإرادة فينا بالقانون الأخلاقى الكلى ، بحيث إذا فعلنا ، فإن فعلنا على المستوى الأخلاقى ينبغى أن يتوجه لمصلحة المجتمع ، والأفضل من ذلك أن يكون لمصلحة الإنسانية كلها . فالقانون الأخلاقى هو قانون صالح لكل الناس ، وليس لفئة بعينها دون غيرها ، وبالتالى لا يمكن أن تكون الأخلاق مصدرها الواقع ، فالواقع سئ ومضطرب ، ومتغير ونسبى وموجه ؛ بينما الأخلاق ثابتة وموحدة ومطلقة ؛ وهذا يؤكد أن وجودها فى العقل الإنسانى هو " وجود قبلى " ، أو بمعنى اخر هو " وجود فطرى (By Default) " .

---

[١١٦] عمانويل كانط : Immanuel Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤) فيلسوف ألمانى ، يعتبر أحد عظماء الفلاسفة فى جميع العصور .

[١١٧] " الله ــ فى الفلسفة الحديثة " ، جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل . مكتبة غريب . ص : ٢٧٦ .

وهذا هو ملخص البرهان الأخلاقى كما جاء به **عمانويل كـانط** ، أحد أعظم الفلاسفة فى جميع العصور ، أو غاية الفكر البشرى ، وهو كما نرى لم يتعد الرؤية المحلية لواقع موجـود فعلا ... فهو يبرهن على وجود الله من واقع وجود هذا القانون فحسب ...

[ذلك مبلغهم من العلم ... (٣٠)]

(القرآن المجيد : النجم {٥٣} : ٣٠)

ولنا هنا الحق - الان - فى أن نضيف هذا التساؤل .... ولماذا ركب هذا القانون الأخلاقى فى الإنسان ؟ والإجابه على هذا السؤال .... هو بديهى لكي نلتزم به . وإذا لم نلتزم به ؟ بديهى سوف نحاسب علي ذلك ، وإلا إنتفت الحكمة من وجود هذه الفطرة الأخلاقية فى الإنسان ، وإن الأخذ به يعنى الإثابة ، وتركه - بالمقابلة - يعنى العقاب .

وهذا المفهوم يؤدى بنا إلى التسليم بخلود النفس ، بمعنى أن يكون هناك عالم اخر يتم فيه حساب المرء على مدى إلتزامه بقانون الأخلاق الفطرى لديه أو تركه لـه . وما من سبيل لإفتراض الثواب والعقاب دون إفتراض " وجود الله " كذلك .

فإذا ما إنتقلنا إلى مثل هذا البرهان فى القران المجيد ، فإننا نجد أن المعنى القاصر الذى قال به كانط ، قد تم تعميمه فى القرآن المجيد بمعنى عريض للغاية . فليس هناك معنى لإدراك الفضيلة مالم يوجد الجانب المضاد لها وهى الرذيلة . فالإنسان يحمل بين طياته كلا من جانبى الخير والشر معا ، فكلا الجانبين قد ركبهما اللـه فى الإنسان . فكلا الخير والشر فطرة فى النفس البشرية . ثم منح الله الإنسان العقل وأودع فيه التمييز بينهما ، ثم ترك له (أى للإنسان) حرية الإختيار فيما يفعل فى هذه الحياة . وهذه المعانى كلها تتجلى فى قوله تعالى فى محكم تنزيله :

[ونفس وما سوّاها (٧) فألهمها فجورها وتقواها (٨) قد أفلح من زكاها (٩) وقد خاب من دساها (١٠)]

(القرآن المجيد : الشمس {٩١} : ٧ - ١٠)

[سواها : أنشأها / فجورها : عمل الشر / والتقوى : تعنى إتباع المنهاج الإلهى / زكاها : طهرها أى طهر نفسه / خاب : خسر / دساها : أخفى فضائلها]

وتشير هذه الايات بوضوح إلى فطرية المعرفة ، والواردة هنا بالإلهام الإلهى ، فى النفس البشرية لإدراك طريق الشر وطريق الخير ، حيث تمثل التقوى غاية المثاليات الإنسانية . كما نرى بوضوح أن معيار مكسب الفرد - لخلاصه - هو تطهير النفس من الشر ، فالتزكية هنا

معناها التطهير ، وإن خسران الفرد - لخلاصة - هو الأخذ بالمعصية وعمل الشر ، وخاب بمعنى خسر .

*وتقديم **الفجور على التقوى** فى الآية الكريمة ، تعنى تغليب فعل الشر فى النفس البشرية على فعل الخير . **فالشر جزء من النفس البشرية** ، **تماما مثل الخير جزء منها أيضا** ، وكلاهما من تركيب الله سبحانه وتعالى فى الإنسان لحكمة الإختبار والإبتلاء . كما وإن الإنسان مفطور بطبعه نحو الميل إلى عمل الشر بدرجة أكبر من الميل إلى عمل الخير (نتيجة لهذا التقديم فى النص) ، وإن كان يعى - الإنسان - تماما الفرق بينهما ولكنه حر فيما يأتى به من أفعال .*

فالآية الكريمة تنبه الإنسان إلى أنه قد تم تزويده بالملكات الكافية لإدراك الجانب الأخلاقى ، وإدراك الجانب اللاأخلاقى ، فكلا الجانبين موجود لديه . ولكن الأخذ بالأخلاق ليس بالأمر الهين أو اليسير على الإنسان ، بل إنه - فى الواقع - يمثل الأمر الأصعب منالا له .

ومن هنا يتم إثابة الإنسان عند قدرته على تغليب جانب الخير المتأخر لديه (وهو الجانب المتأخر فى الصياغة فى القرآنية) على جانب الشر المتقدم لديه أى فى نفسه (وهو الجانب المتقدم فى الصياغة القرآنية) . فكلا من جانبى الشر والخير هى جوانب فطرية فى النفس البشرية كما تقررها الايات الكريمة .

وبهذا المعنى يكون المولى - عز وجل - قد قام بإحاطة الإنسان علما ، بما تحويه نفسه من شر وخير ، وما يتبع ذلك من بذل جهد خاص منه ، حتى يمكن تغليب جانب الخير لديه على جانب الشر لديه أيضا ، وحتى يتم له عبور هذه الحياة - الدنيا - بسلام . والموقف هنا يشبه إلى درجة كبيرة الأستاذ الذى ينبه على طلبته ، بأنه سوف يرفع من مستوى أسئلة الأمتحان النهائى ، حتى يضمن حسن أداء الطلبة فى التحصيل أثناء العام الدراسى .

ويتأكد هذا المعنى أيضا فى سورة يوسف (عليه السلام) ، حين تقول إمرأة العزيز [١١٨] ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم (٥٣)]
(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٥٣)

ويتأكد هنا المعنى العام بأن النفس البشرية تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين عمل السوء والشر . ويرى بعض المفسرين أن الذى قال بهذا ، أى قال ... **(وما أبرىء نفسى إن النفس**

[١١٨] العزيز هو رئيس الشرطة فى مصر فى أيام يوسف - عليه السلام - وكان إسمه " فوطيفار " .

لأمارة بالسوء...) هو يوسف ـ عليه السلام ـ نفسه وليس إمرأة العزيز . وهذا جائز أيضا ، لأن ترك الضمير أو عدم تحديده في الصياغة الإلهية ، إنما يعنى " **عمومية القضية** " ، وليس للتخصيص فيها مكان ، فهذه المقولة يمكن أن تنطبق على يوسف (عليه السلام) ، كما يمكن أن تنطبق على إمرأة العزيز ، فنحن ـ فى الواقع ـ بصدد قانون فطرى ينطبق على الإنسان على وجه عام ليس فيه خصوصية ما ، بغض النظر عن ماهية مفردات تطبيقه . ولهذا ترك القرآن المجيد تحديد الضمير فيه ، ليعنى أن كلا التفسيرين جائز ، وهذه هى الإحاطة فى العلم الإلهى الكلى .

وليس من اليسير ـ الآن ـ تناول النصف الثانى من الآية الكريمة (**... إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم)** ، وهى تعنى إلا النفس التى حفظها الله من السوء وصرفها عن الشر ، فمثل هذا الإستثناء قد يوقع العامة فى الفكر القائل بالتصيير ، بمعنى أن " **الإنسان مصيرا وليس مخيرا** " ، وهذا ما سوف نتناوله بالشرح فيما بعد [١١٩] .

كما يجب التنويه هنا كذلك ، إلى إننا لم نتوقف عند معنى " **النفس** " المستخدمة فى سياق الايات الكريمة ، فمعناها أعمق من أن نتناوله على نحو عابر ، ولذلك سوف نعود إلى معناها بالتفصيل فى كتابات أخرى . ولكن نكتفى هنا بأن نقول :

بأن النفس هى مناط التكليف فى الإنسان ، فهى شخصية الإنسان وخواصه ، أما الروح فهى أبدية الإنسان ووجوده .

أما الشكل المادى الذى نحن عليه الآن ، فما هو إلا ـ مجرد ـ الإرتباط الظاهرى للنفس والروح ، بهذا الكون المادى الذى نحيا فيه . فالعلاقه بينهما ، أى بين (النفس والروح) وبين الجسد المادى ، لا تمثل أكثر من العلاقه القائمة بين الساكن والبيت [١٢٠] ، أو بين السائق والعربة . ونكتفى هنا بأن نقول بأن النفس فى السياق القرآنى السابق تشير إلى الإنسان الحقيقى أو الدائم ، من وجهة نظر الجانب المكلف فيه .

وننتهى من هذا بأن على الإنسان أن يجاهد نفسه ، بمعنى أن يعمل على أن ينتصر فيها جانب الخير ، وهو الجانب المتأخر لديها ، على جانب الشر ، وهو الجانب المتقدم لديها . أو كحد أدنى يجب أن يغلب الإنسان ـ ولو قليلا ـ جانب الخير فيه على جانب الشر فيه ... وهذا هو جانب من

---

١١٩ أنظر : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .
١٢٠ أنظر تذييل ٤٥ رقم ، ص : ٧٦ من نفس الفصل .

معنى كلمة " **الجهاد** " [١٢١] فى الفكر الإسلامى ، وليس معناها " الحرب المقدسة " كما يروج لها الفكر الغربى القاصر ...!!!

[... ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢٨١)]
(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٨١)

وهذه هى النتيجة النهائية لعمل الإنسان .... ويأخذ الإنسان الندم على عمل السوء ...

[يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد (٣٠)]
(القران المجيد : ال عمران {٣} : ٣٠)

فأين عمانويل كانط ، بالفكر الهزيل الذى اتى به ، من هذا الفكر الإلهى المحيط هنا ...!! سبحان الله العلى العظيم ...!! ويالقصور الفكر البشرى ...!! ويالضعف إدراك الإنسان ...!!

أما إنتقلنا إلى الفكر الأخلاقى فى القران المجيد ، فسوف نجد أنه يموج بمكارم الأخلاق ، فلا يوجد موضع ، إلا وحث الإنسان على الأخذ بمكارم الأخلاق . والحديث عن الأخلاق ، فى القران المجيد ، يتشعب كثيرا ، حتى يمكن أن نخرج معه عن الهدف المقصود من هذا البرهان ، لذا نكتفى بقول رسول الله (ﷺ) بوصف بعثته بقوله :

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

وهو ما يعنى أن بعثة رسول الله (ﷺ) إلى البشرية ، إنما لإتمام مكارم الأخلاق ، ومن ضمنها تنزيه الله ـ سبحانه وتعالى ـ والإتجاه إليه بالعبادة وحده دون سواه . وسنعود إلى بعض من الفكر الأخلاقى فى الفصل الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله .

ونلخص ما سبق بأن نقول ؛ أن غاية فكر الإنسان عن " **قانون الأخلاق** " ، المركب فطريا فى الإنسان ، يدل على وجود الله فحسب . بينما القرآن المجيد ، أو الفكر الإلهى ، يعامل كلا من مشكلة الشر والخير (أى الجانب اللاأخلاقى ، والجانب الأخلاقى) بفكر متساو . فكلاهما برهان على وجود الله . فالله هو الذى ركبهما فى الإنسان ، وكلاهما جزء مكمل من حكمة كلية متعالية من خلق الإنسان ، وكلاهما مرتبط بحرية الإنسان فى الإختيار ، وكلاهما يحددان الغاية والحكمة

---

[١٢١] أنظر كذلك معنى الجهاد كما تجىء به الديانة اليهودية والمسيحية فى الفصل التالى (بند ٤. ١. ٥.) .

من خلق الموت والحياة للإنسان فقط ، وهذه الغاية هى الإختبار ـ أو الإبتلاء ـ فى حسن الأعمال وصدق النوايا فقط ، وهى جزئية فقط من كل ، كما جاء فى قوله تعالى :

[الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (٢)]
(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

ومفهوم الموت والحياة ، فى هذه الآية الكريمة ، هو فترة تواجد الإنسان المحدودة على سطح هذا الكوكب المحدود (الأرض) ، وهذا التواجد على سطح الأرض ليس هو الهدف الأساسى من خلق الإنسان كما قد يتبادر إلى الذهن ، بل هو إحدى الغايات المخلوقه للإنسان ، وليس كلها ، كما سنأتى إلى تفصيل ذلك فيما بعد (أنظر بند ١١. ١٣) .

١١. ٨ ـ *البرهان الغائى*

لا يقصد بالبرهان الغائى هنا ؛ هو مناقشة العلة الغائية من الوجود أو مناقشة العلة الغائية من الخلق ، (بمعنى لماذا خلق الله الإنسان ؟ ... ولماذا خلق الله الكون أو الوجود على نحو مطلق ؟) ، فمثل هذه الغايات هى غايات إلهية متعالية ، لا يستطيع الإنسان التكهن بها أو إدراك القصد الإلهى منها من بعيد أو من قريب مالم يلهم أو يحاط بها ؛ إما فطريا (بمعنى أن يتم تركيبها فى النفس البشرية ـ بمعرفة الله ـ أثناء عملية التكون الجنينى للإنسان مثلها فى ذلك مثل الغرائز والحواس المختلفة ، ومثل فطرية الإحساس بوجود الله) ، وهذا لم يحدث ؛ أو بالإخبار المباشر عنها ، أى عن هذه الغايات ، ويتم ذلك بمعرفة الله أيضا ـ سبحانه وتعالى ـ وذلك بوحيه للأنبياء والرسل ، حيث يقومون بالتبليغ بدورهم عنه ، وهذا هو الحادث فعلا ، وسوف يتم مناقشة ذلك فيما بعد .

ولكن ما نعنيه بالبرهان الغائى ـ هنا ـ فله مفهوم محدد جدا وقاصر جدا ، وهذا المفهوم مبنى على ما إستطاع الإنسان ملاحظته وإدراكه من أن المفردات ، والمفردات الفرعية للوجود ، والخلق لها دور محدد ، ومرسوم بدقة وعناية فائقة ، من حيث أنها تحقق غاية معينه ، وقصدا من خلقها .

وهذا البرهان ـ أى البرهان الغائى ـ هو برهان مماثل لبرهان عصر التنوير (فى القرن الثامن عشر) على مذهب الألوهية ، وهو الوصول إلى " الله " بطريقة إستقرائية ، على أساس التصميم

(**The Design**) الماثل فى الطبيعة [122] . حيث يمكن القول بأن هذا التصميم ، لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان هناك " **علة عاقله** " ، تتولى تحديد الأدوار والغايات لكل من المفردات والمفردات الفرعية لهذا الوجود . **لأن المادة الصماء أعجز من أن تحدد لنفسها أى دور ، أو يمكن أن تدبر أمر نفسها بنفسها . وهذه " العلة العاقلة " هى " الله " ، سبحانه وتعالى .**

فعلى سبيل المثال فإننا نجد لكل عضو ، وكل خلية فى الكائن الحى ، دور محدد ، يقصد به غاية معينه ، وهدف محدد . فالعين للابصار ، والأذن للسمع ، والخلايا العصبية للحس .... وهكذا . فهذا الجمع والتكامل الوظيفى ... وهذا التحديد لا يمكن أن تقوم به المادة الصماء بنفسها . فلابد من " وجود الله " لتحديد هذه الوظائف والغايات لهذه المفردات والمفردات الفرعية .

****

ولمزيد من إلقاء الضوء على هذا البرهان ؛ فإننا نجد أن الجسم البشرى عبارة عن مفردات غير متجانسه من الناحية التشريحية ، ولكنه متكامل ومتجانس من الناحية الفسيولوجية (علم وظائف الأعضاء) . وهو يؤدى أعمالا بسيطة فى المفردات الفرعية الصغرى كالخلية والأعضاء البسيطة ، ولكن يظهر لنا تركيب بالغ التعقيد فى إجماليه . فعلى سبيل المثال الكليتين وهما عضوان متماثلان من وجهة النظر الفسيولوجية ، ولهما نفس الوظائف . لكن إذا ما أزيلت إحداهما من الجسم ، فإن حجم الأخرى يزداد فى التو ليعوض الناتج الوظيفى من إستئصال الأخرى ... فهذه بعض الغايات للمحافظة على حياة الكائن الحى ، وبدرجة مسموح بها .
وأعضاء الجسم ، كالمعدة والكبد والقلب والرئتين ... إلى آخره ، لا سيطرة لإرادتنا عليها . فنحن لا نستطيع التحكم فى نظام نبضنا ، ولا تقلصات أمعائنا ، ولا فى أقطار شراييننا [123] ، ولا فى درجات نمونا ... إلى آخرة ، فكل هذه الأعضاء تعمل فى إنسجام تام لغاية محددة هى الحفاظ على وجود الكائن الحى ، لتحقيق هدف مقصود من وجوده . والقول بأن الجهاز العصبى اللاإرادى [124] هو الذى يقوم بالتحكم والسيطرة على هذه الأعضاء ؛ كالغدد والأوعية الدموية والأمعاء وبقية الأحشاء ، لا يعنى أن هذا الجهاز قد خلق هذه الأعضاء ، ولكنه نفسه قد خلق للإشراف على وظائف هذه الأعضاء ليس إلا ، فهو يعمل هو الأخر فى إطار غاية محددة . .

بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ... فقد دلت الأبحاث التى أجريت أخيرا ، وأستخدمت فيها العناصر المشعة ، على أن تجديد خلايا الجسم البشرى تتم بسرعة لم تكن تخطر على البال [125] . فالكبد مثلا ، يتم تجديده أو تبدله فى مدة لا تزيد كثيرا عن الشهر ، أما الجلد والعظام فيتم تجديدهما أو تبدلهما بعد حوالى سنة . وعلى هذا يمكن القول بأن جسم الإنسان ، بما فيه من أنسجة وغدد وعظام ... تتغير كل خلية فيه من سنة

---

[122] " **الله فى الفلسفة الحديثة** " جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل . صفحة ٤٧٧ وما بعدها .

[123] يبلغ طول الأوعية الدموية داخل جسم الإنسان البالغ أكثر من (٩٦ ألف كيلومتر أو ٦٠ ألف ميل) ، أى حوالى (٢,٤) طول محيط الكرة الأرضية ...!!! (عن : Body works , v. 3, 1993) .

[124] يتكون الجهاز العصبى اللاإرادى من مجموعتين هما ؛ **المجموع العصبى السمبتاوى** (Sympathetic nervous system) ، **والمجموع العصبى الباراسمبتاوى** (Parasympathetic nervous system) ، وعمل كل منهما مضاد لعمل الآخر ، ولكنهما يعملان فى توازن وتجانس لتنظيم حركة أعضاء الجسم الداخلية .

[125] لا يعتمد هذا البرهان على مدى دقة هذه الأرقام ، وخصوصا إذا كان العلم لم يبته بعد إلى قيم قطعية لهذه الأرقام . ولكن البرهان يعتمد فقط على وجود التغيير من حيث المبدأ ، وهذا هو الحادث فعلا .

إلى أخرى.... أى أن جسم الإنسان الذى نراه الآن ليس جسمه الوحيد ، وإنما هو نسخه من أجسام متعددة تعاقبت عليه على مر السنين . أى أن أجسامنا تبعث مرارا ولكننا لا نشعر بهذا البعث .

ومن الغريب أن يتبدل الجسم ويتغير ، بينما كيانه الداخلى من أثبت الأشياء تركيبا . ويحرس هذا الثبوت أعضاء وغدد خلقت لهذه الغايات . فنسبة الماء فى جسم الإنسان ، وفى الخلية ثابته . ونسبة الحموضة فى أجسامنا ثابته ، ونسبة الملح ثابتة ، ونسبة السكر ثابتـه .... نـاهيك عن النسب الضئيلة للغاية لهرمونات الغدد الصماء [١٢٦] .... إلى آخره .
إن أى تغير فى هذه النسب ، يؤدى إلى هلاك الإنسان الحتمى ، فمثلا إذا نقصت نسبة الزلال فى الدم بسبب مرض ما ، فإن الجسم يتورم ورما شديدا ..... ولو نقصت نسبة السكر فى الدم لفقد الإنسان وعيه ، ولو زاد هذا النقص لفقد الإنسان حياته ..... وملح الطعام إذا نقصت نسبته لأنتابنا الإعياء والضعف ، وتهدد حياتنا الأخطار ..... وقل ما شئت عن جهاز المناعة [١٢٧] فى الجسم ، والإعجاز الذى يقوم به لحماية الجسم من أخطار الجراثيم والفيروسات ..... وهكذا .
والغريب كذلك أن الأبحاث الحديثة قد دلت ، على أن عين الإنسان تدرك الألوان المختلفة ، نتيجة قيام العقل البشرى بإجراء عمليات رياضية مثيرة وتلقائية فى غاية من التعقيد لتنتهى إلى معرفة اللون ، تماما مثل قيام الحاسب الآلى بحل مجموعـة من المعادلات التفاضلية عدديا للحصول على الإجابات النهائية لقضية علمية ما ...!!!

فهذا هو جسم الإنسان ... إنه غايات محددة لأعضائه .... ومفرداته .... للحفاظ على كيانه وحياته .... لهدف معين ... ولأجل محدود ...

[وفى الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفى أنفسكم أفلا تبصرون (٢١)]

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٢٠ -٢١)

****

فإذا ما إنتقلنا إلى الكون ... فإن العلم المعاصر يكشف لنا مدى الدقة البالغة ، لقوانين الجاذبية العامة (وإن كان المجال الجذبى العام ما زال يمثل أحد الألغاز الكونية والذى لم يحل طلاسمه حتى الآن) . والجاذبية العامة هى التى يتحدد على أساسها دوران الأرض حول الشمس ، وتتابع الفصول الأربعة ، وتحديد سمك الغلاف الجوى ، وتحديد سرعة هروب الغازات منه ... حيث يتأكد الإنسان من أنه لولا هذه الدقة المتناهية ، لهذه القوانين السرمدية الفائقة ، لأصبح هلاك الإنسان مؤكدا وحتميا ...!!!

---

[١٢٦] على سبيل المثال فإن " الغدة النخامية " ، وهى توجد فى قاعدة المخ وحجمها فى حجم البندقة ، حين تنشط تحول المرء إلى عملاق يتجاوز طوله المترين ، أما إذا خملت فإن نمو المرء يقف عند المتر ، كما تنظم هذه الغدة النشاط الجنسى ، وتؤثر على نمو الذكاء وقوة البصر ، وتحفظ التوازن بين السوائل فى الجسم . وتصنع هذه الغدة ثلاثة عشر هرمونا تؤثر على أكثر الغدد الأخرى ، وبالتالى كل أعضاء الجسم . ويعتقد أن المخ يسيطر على هذه الغدة ، وعن طريقها يشرف على الجهاز الكيماوى للجسم ، كما يشرف المخ على الجسم كله بالجهاز العصبى .

[١٢٧] على سبيل المثال ؛ نجد أن الجزىء الواحد من جسيمات المادة المضادة يحتوى على (١٣٢٠) نوع من الأحماض الأمينية . فهل كل هذه الأحماض – فى الجزىء الواحد – تركيبات عشوائية ..؟؟!! وتقوم بها المادة الصماء ... سبحان الله ...!!

وكذلك نجد قوانين الكهرومغناطيسية ، وميكانيكا الكم ، والنسبية .... جميعها تبين لنا الدقة البالغة التى تعمل بمقتضاها الذرات والجزيئات والمركبات وكذا الكون . وتبين لنا أيضا هذه القوانين أن أى تغير فى القوانين التى يعمل عليها الكون ، يكون معناه فناء الإنسان والحيوان والنبات .... وهكذا .

فمن الذى حدد للجسيمات الأولية وللذرات قوانينها (قوانين ميكانيكا الكم) ... ؟؟
ومن الذى حدد للموجات الكهرومغناطيسية قوانينها (قوانين الميكانيكا الموجية) ... ؟؟
ومن الذى حدد للكونيات قوانينها (قوانين النسبية العامة والكونيات) .... ؟؟
ومن الذى حدد قوانين الكيمياء الحيوية ... وغيرها ... ؟؟
ومن الذى قرر أن تكون القوانين على هذا النحو اللازم لإستمرار الحياة ... ؟؟
وليس هذا فحسب ، بل أيضا ... من الذى وضع الفضول ، وحب الإستطلاع ، والعقل ، والتعقل (أى المنطق) فى ذلك الإنسان لسبر غور هذا الكون فى محاولة منه لكشف أسراره وحل ألغازه ، ومنها الإنسان نفسه ...؟؟ ثم ما الغاية من معرفة هذه الأسرار ... مالم تكن - الفطرة لدينا - تدرك بأنها تقود مباشرة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ...!!!

فكما نرى أن القوانين التى عرفها الإنسان ، هى قوانين بالغة الدقة ، ومحدد لها غايات معلومة ، وهى لازمة لإستمرار بقاء الكون ، وكذا إستمرار التنوع الهائل للحياة على النحو الذى نراها به .

ونستطيع القول ، بأنه يمكن أن يندرج تحت هذا البرهان الغانى ، علم الإنسان كله ، وحضاراته القديم منها والحديثة فى كل قطاعات العلم والمعرفة من طب ، وفيزياء ، وكيمياء ، وفلك ، وعلم الأحياء ... إلى آخره . ويجمل الله - عز وجل - كل ما يندرج تحت هذا البرهان الغانى فى قانونين أساسيين ؛

" هما قانونى : الدقه والتسخير "

يصيغهما - الله - فى إيجاز شديد فى محكم تنزيله فى القرآن المجيد ، كالنحو التالى ؛ فالقانون الأول ، كما يجىء فى قوله تعالى :

[إنا كل شىء خلقناه بقدر (٤٩)]

(القرآن المجيد : القمر {٥٤} : ٤٩)

فالله - سبحانه وتعالى - يخبرنا بأن كل شىء ، قد خلقه بدقة بالغة ومتناهية (... **بقدر**) . وكلمة " **قدر** " ؛ هى كلمة لا تسمح بوجود أى سماحية (**Any Tolerance**) ، فهى تعنى التحديد

المطلق ، أى بـ " الضبط Exactly " . فوجود أى سماحية قد تعنى فناء الوجود ، ولهذا يخبرنا المولى عز وجل ، بعدم وجود هذه السماحية . وهناك آية أخرى ، تطلب من الإنسان التحقق والتأكد من ذلك ، أى إنها آية تعنى بالتطبيق العملى لهذا القانون ، كما جاء قوله تعالى ، فى سورة الملك :

[... ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير (٤)]

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٣ - ٤)

[تفاوت : عدم تناسب / فطور : تصدع / ينقلب : يرجع / خاسئا : ذليلا لعدم إدراك أى خلل / حسير : منقطع عن رؤية الخلل]

فالآية الكريمة ، تحث الإنسان على تكرار المحاولة ، لرؤية هذه الدقة الإلهية فى خلقه . فهى تطلب من الإنسان تكرار المحاولة ثلاث مرات ، لاحظ أن المحاولة الثالثة ترجح أحدى المحاولتين أو النتيجتين ، إذا ما حدث توازن فى المحاولتين الأولى والثانية ، ولكن مع هذا يقرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن الثلاث محاولات سوف تكون إيجابية وفى إتجاه تحقيق الدقة الإلهية فى الخلق . كما يلزم التنويه هنا إلى أن :

" مبدأ عدم التحديد أو مبدأ الشك The Uncertainity Principle "

الذى جاء به هيزنبرج فى ميكانيكا الكم ، إنما يعكس ـ فى الواقع ـ الضعف البشرى فى عدم القدرة على تحديد وقياس بعض الكميات أو المقادير الفيزيائية بدقة كافية ، ولا يعنى هذا أن هذه الكميات أو المقادير غير دقيقة فى حد ذاتها . فالقضية هنا هى قضية عجز بشرى ، وأجهزه لا يمكن أن يقوم الإنسان بتصنيعها بدقة كافية ، وبما هو متاح من الطيف الفيزيائى والمسموح له بالتحرك فيه .

أما القانون الثانى (أى قانون التسخير) الذى يقول به المولى ـ عز وجل ـ فهو يعنى بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق هذه الفيزياء فى صورة يستطيع معها الإنسان أن يستفيد منها ، وأن الله هو الذى سخرها له . كما فى قوله تعالى :

[وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣)]

(القرآن المجيد : الجاثية {٤٥} : ١٣)

والتسخير هو التكليف والقهر على مالا يريد المرء ، وكذلك التكليف بالعمل بلا مقابل . وليس من السهل إستيعاب الجمع بين المعنيين ، خصوصا إذا ما قصد بهذا قانون طبيعى لا نعرف له إرادة ما . ولهذا نجد المولى - عز وجل - يشير إلى أن إدراك تلك المعانى لا يتأتى إلا لمن له القدرة على التفكير .... (... **إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) .

إن إدراك هذه المعانى المتعالية ، هى إدراكات للخاصة ، تماما مثل إدراك " ظهور الله " ، حيث تستلزم رحلة علم ، لا يقوى عليها الكثيرون ، تماما كإستكمال الدراسات العليا للحصول على الدرجات العلمية العليا . وكلمة " منه " ، فى الصياغة القرانية (... **جميعا منه** ..) ، تعنى التفضل من الله - سبحانه وتعالى - على الإنسان ، ورحمة به . فهى " منه " (بكسر الميم) من الله ... سبحانه وتعالى على الإنسان ... فهل أدرك الإنسان هذا ؟؟ . فقد كان يمكن أن تجىء الفيزياء فى صورة لا نستطيع معها ، الإستفادة منها أو السيطرة عليها ... أو حتى الإقتراب منها - كالصواعق مثلا - ... ولكنها هى رحمة الله بالإنسان . وتسخير الفيزياء أو الطبيعية للإنسان ، قد ورد ذكره فى القران ستة عشر مرة . منها قوله تعالى :

[... وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) وءاتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (٣٤)]

(ابراهيم {١٤} : ٣٢ - ٣٤)

[دائبين : مثنى دائب ، ودائب تعنى الجد والإجتهاد والإستمرار فى العمل]

ونلاحظ أن (**تسخير الليل والنهار**) ليس نتيجة (**تسخير الشمس**) ، وإلا كان هناك تكرار فى الآية الكريمة . فـ (**تسخير الشمس**) تعنى إمدادنا بالجاذبية العامة والطاقه بجميع صورها من ضوء وحرارة وإشعاع ... وخلافه . بينما (**تسخير الليل والنهار**) ، فأمره مرتبط بدوران الأرض حول محورها ، وبذلك لا يكون هناك تكرار فى الإية الكريمة . وهذا هو الإنسان الظالم لنفسه الكافر بنعم الله ، الذى لا يستطيع أن يحصيها إن أراد أن يفعل ، وهذا يعكس العجز والجهل البشرى معا ....

ثم تبقى كلمة أخيرة وهى ؛ ليس معنى إدراكنا لقانون فيزيائى ما ، أو إكتشافنا له وفهمه ، ثم إستخدامنا له فى التطبيقات المختلفة لصالح الإنسان ، ليس معنى هذا ؛ هو أننا نكون قد نفينا تلقائيا وجود الخالق لهذا القانون . فمن غير المقبول منطقيا أو عقليا أن نقول :

" أن المعرفة بالقانون الطبيعى تنفى تلقائيا وجود الخالق لهذا القانون "

لقد دأب الإنسان ، أو الغالبية العظمى من مدعى العلم ـ بكل أسف ـ على الإعتقاد فى هذا الفكر وإعتباره قانونا مطلقا . بينما الصياغة الحقيقية لهذا القانون يجب أن تكون على عكس النحو السابق تماما ، إذ يجب أن تكون :

" أن المعرفة بالقانون الطبيعي تؤكد على وجود الخالق لهذا القانون "

وليس العكس .

١١ . ٩ ـ الجدل النازل والجدل الصاعد

يقصد بـ " **الجدل النازل** " هو التحرك بالبرهان نزولا من " المستوى الإلهى " أو من " مستوى الخالق " إلى " مستوى المخلوق " . وبالمقابلة يكون " **الجدل الصاعد** " هو التحرك بالبرهان صعودا من " مستوى المخلوق " إلى " مستوى الخالق " .

ويقوم برهان " **الجدل النازل** " على التسليم بثلاث بديهيات أساسية ، ثم تطبيق هذه البديهيات على مسألة " الوجود الإلهى " فنجد أنها تؤيد هذا الوجود . والبديهيات الثلاث الأساسية هى :

البديهية الأولى هى : بطلان الترجيح

ومعنى الترجيح هو تغليب فكر معين بلا سبب معقول ، أو بلا مبرر . وهذه البديهية تقودنا مباشرة إلى الإنتهاء بأن الصدفة وحدها غير كافية لخلق هذا الكون بقوانينه الفيزيائية المختلفة ، ومفرداته اللانهائية من إنسان وحيوان ونبات وجماد .... وأطياف مرئية وغير مرئية . أو بمعنى اخر أن هذه البديهية تبطل القول بأن " الصدفة " هى " الخالق " .

البديهية الثانية هى : بطلان الدور

ومعنى ذلك أن الشيء ليس له " **دور** " فى إيجاد نفسه بنفسه ، وإلا أصبح الشيء علة ذاته ، وهذا محال . إذ كيف يكون الشيء ما يزال فى العدم ، ولم يوجد بعد ، ومع ذلك يستطيع أن يوجد نفسه . وننتهى من هذه البديهية ، بأن لابد من موجد أو خالق للشيء مستقل عن الشيء ذاته .

والبديهية الثالثة هى : بطلان التسلسل

وننتهى من هذه البديهية ، بأن الخالق قد خلق الخلق . أما القول بـ " من خلق الخالق ؟ " فإنه سوف يخلق تسلسلا لانهائيا بتكرار هذه المقولة . لذا لزم أن نبطل هذا التسلسل ، ونتوقف عند خالق نهائى هو " الله " .

وعلى ذلك فتطبيق " **فكر الجدل النازل** " يقود حتما إلى " **وجود الخالق** " . وبرهان " الجدل النازل " فى القرآن المجيد ، أعم من أن يحاط ، وربما يتطلب كتابا كاملا لبيانه . ولكن نكتفى هنا بالصياغة المحكمة فى قوله تعالى :

[أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون (٣٥)]
(القران المجيد : الطور {٥٢} : ٣٥)

وبهذا التساؤل ، ينفى الله - سبحانه وتعالى - أن يتم الخلق بغير شىء ، كما ينفى أن يكون الإنسان هو الخالق لنفسه . ونلاحظ هنا أن " الله " - سبحانه وتعالى - لم يقل (**أم خلقوا من غير خالق**) بدلا من (**أم خلقوا من غير شىء** ...) ، ليبين لنا ، أن قضية الخلق حتى وإن إعتمدت على الصدفة وحدها - كما يقولون - فهى يجب أن تعتمد على " **شىء ما** " ؛ مثل وجود " **الجسيمات الأولية : The Elementary Particles** " . وكذا وجود القوانين الفيزيائية الحاكمة للتفاعلات النووية لتكوين الذرات ، ووجود القوانين الحاكمة للتفاعلات الكيماوية لتكوين المركبات ، ووجود البيئات المناسبة لهذا ، ووجود قوانين الوراثة .... إلى اخره من قوانين لا حصر لها .... هذا بالإضافة إلى قوانين الإحتمالات نفسها [١٢٨] ، فهذا كله يستلزم من يخلق هذه الجسيمات الأولية ، وهذه القوانين الحاكمة ، ومن يخلق البيئات المناسبة التى تسبب هذا التراكب البالغ التعقيد ... وحتى إن إنتهى هذا التركيب إلى الصورة المسماه بالجسد المادى للإنسان ، فأين الوعى ، وأين النفس ، وأين الروح ... وكلها تمثل المكونات الأساسية لإستكمال ما يسمى بالإنسان .

وعلى ذلك ، فحتى القول بالصدفة يستلزم الإعتماد على " شىء ما " و " قوانين ما " و " ظروف ما " .... إلى اخره ... وكل هذا يستلزم وجود الخالق . لذا نرى أنه فى جميع الأحوال سواء قلنا بالصدفة أم بغيرها فـ " **وجود الخالق** " أمر حتمى ومقطوع به ، لإعتماد الخلق على " شىء ما " ، وليس على الإنسان ، الذى لم يخلق نفسه من العدم .

وهناك مثال طريف يرويه عالم الفيزياء المشهور فيرنر هيزنبرج [١٢٩] حول هذا المعنى فيقول :

---

[١٢٨] توجد عشرات الكتب فى المكتبة الرياضية تحمل إسم " **نظرية الإحتمالات** " ، فهذا علم مستقل بذاته .
[١٢٩] " **الجزء والكل - محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية** " تأليف فيرنر هيزنبرج . ترجمة محمد أسعد عبد الرؤف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ١٤٢ . ومؤلف الكتاب ، هو فيرنر هيزنرج (١٩٠١ - ١٩٧٦) ، الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٣٢ ، عن أعماله فى ميكانيكا الكم ، وإكتشافة لـ " مبدأ الشك أو مبدأ اللاتحديدية : The Uncertainity Principle " . وهو مؤسس أيضا لمعهد ماكس بلانك للفيزياء بجوتنجين ، بألمانيا .

" كان عالم الرياضيات فون نيومان [130] ، يتحاور مع أحد البيولوجيين المقتنعين بمبدأ الداروينية (أى بمفهوم التطور بدون الحاجه إلى إله) ، بينما كان فون نيومان متشككا فيه . وفى إحدى اللحظات قاد الرياضى البيولوجي إلى نافذة حجرته قائلا : هل ترى هذا البيت الجميل فوق التل ؟ لقد وجد هناك بمحض الصدفة . فعلى مر ملايين السنين تكون التل خلال عمليات جيولوجية مختلفة ، ثم نمت الأشجار هناك ثم تعفنت وتحللت ثم نمت مرة أخرى ، ثم بعد ذلك غطت الرياح قمة التل بالرمل ، ثم أتت الأحجار فوق التل ، ربما خلال عملية بركانية . ومن خلال الصدفة إنتظمت الأحجار فوق بعضها لتكون المنزل . وبالطبع لقد تكونت على مر تاريخ الأرض وخلال كل العمليات المبنية على الصدفة ، والغير منتظمة غالبا أشياء أخرى . ولكن فى إحدى المرات بعد وقت طويل ، وجد هذا البيت الريفى . ثم إنتقل إليه أناس ، وهم يعيشون فيه الآن . وبديهى لم يكن البيولوجى - بالطبع - سعيدا بهذا الجدل " .

والسبب فى أن الإنسان يستطيع قبول مبدأ الصدفة فى بناء وخلق الإنسان ، بينما لا يستطيع أن يقبل مبدأ الصدفة فى بناء مبنى متكامل مثل عمارة " الإمباير ستات بالولايات المتحدة المريكية " مثلا ، هو فى الواقع ، مرجعة إلى الألفة فى تكرار رؤية مولد الإنسان . مع ملاحظة أن مجموعة قوانين الإحتمالات التى يخضع لها بناء مبنى متكامل مثل عمارة " الإمباير ستات ، بمصاعدها وأثاثها ، أقل بقدر لانهانى من مجموعة قوانين الإحتمالات التى يخضع لها بناء جسم الإنسان ، بأجهزته المختلفة المذهله ، وعملها المذهل كذلك ، مثل الجهاز الدورى والجهاز الهضمي والجهاز العصبى والجهاز المناعى ... وملحقاتها ووظائفها الغير محدودة . أضف إلى هذا أن " **الوعى الإنسانى أو الإدراك** " نفسه ، لا يمكن التعبير عنه فى شكل أو قالب رياضى ما ، بأى صورة من الصور ، حتى وإن إستطعنا التعبير عن بعض العمليات البيولوجية بإسلوب رياضى ما .

ثم ننتقل - الآن - إلى برهان " **الجدل الصاعد** " فكما سبق وأن بينا ، هو التحرك بالبرهان فى إتجاه عكسى للجدل النازل ، أى التحرك صعودا من " **مستوى المخلوق** " إلى " **مستوى الخالق** " . وبذلك علينا أن نبدأ بمن أخبر عن الله ، وهم الأنبياء والرسل . وننظر فى أمرهم ، وسيرتهم ، وما تواتر عنهم ، ومضمون دعواتهم ، وهل دعوا إلى الله أم دعوا إلى أنفسهم . وفى هذا الشأن نجد أن " الله " - سبحانه وتعالى - يخبرنا ، بأن الأنبياء هم إصطفاء إلهى لبشر ليخبروا عنه ، ولا يسألوا الناس أجرا ، إن أجرهم إلا على الله . ويتكرر تنبيه المولى - عز وجل - للناس لهذا المعنى فى تسع مواقع فى القران المجيد على النحو التالى :

---

[130] عالم رياضيات مجرى (١٩٠٢ - ١٩٥٧) .

فبدءا بنوح عليه السلام ، نجد الحق - تبارك وتعالى - يقول له قل لقومك :

[فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين (٧٢)]

(القران المجيد : يونس {١٠} : ٧٢)

والأجرهنا له معنى عام ، فقد يكون ماديا أو معنويا . فقد يكون جاها ، أو مالا أو تحقيقا لذات ، أو تحقيقا لملك ... أو أى شىء اخر . لذا نجد نوح عليه السلام يقول لقومه ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ... (٢٩)]

(القران المجيد : هود {١١} : ٢٩)

وهود - عليه السلام - يقول لقومه :

[... يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون (٥١)]

(القران المجيد : هود {١١} : ٥٠ – ٥١)

ويتوالى قول الإنبياء ، فهذا قول شعيب (عليه السلام) :

[وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين (١٨٠)]

(القران المجيد : الشعراء {٢٦} : ١٨٠)

وينتهى ترديد " الأجر " على لسان الأنبياء فى القران المجيد ، بأنه على الله ، حتى يأتى فى اخر موقع له (أى فى اخر موقع لكلمة " أجر ") فى القرآن المجيد ، لمحمد (ﷺ) – اخر الرسالات - على النحو التالى ، كما فى قوله تعالى :

[قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد (٤٦) قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد (٤٧)]

(القران المجيد : سبأ {٣٤} : ٤٦ – ٤٧)

وفى هاتين الايتين الكريمتين يعرض " الله " لبرهان " **قضية الجدل الصاعد** " ، أربع قضايا أساسية هى كالنحو التالى :

القضية الأولى : هى أن يعى الإنسان أن الهدف الأساسى من الدين هو معرفة الله حق المعرفة ، فهذا هو غاية الوجود ، كما سنرى . وعلى هذا يجب االتحرر من العصبيات والوثنيات والجاهليات الموروثة ، كما جاء فى سياق الاية الكريمة : " ... **أن تقوموا لله** ... " فعلى الإنسان عند مناقشة القضية الدينية ، يجب أن يضع نصب عينيه الغاية النهائية لمطلبه ، ألا وهى معرفة ... " الله " ... و" الله " فقط ... ولا يجب أن ينقاد الإنسان وراء أى كسب مادى زائل ، أو التعصب لفكر وثنى ما ... أيا كان نوعه .

القضية الثانية : منطقية الدعوى ، وطرحها للحوار والنقاش الفكرى للفرد والجماعة على حد سواء ، كما جاء فى الاية الكريمة : " ... **أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا** ... " ، بهذا الوضوح ".. **ثم تتفكروا** .. " ، أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حدد أول أساسيات الدين ألا وهو " **الفكر** " . فالفكر أساسى هنا ومطلوب بذروته . فقضية الدين هى ـ فى الواقع ـ تمثل قضية وجود الإنسان ومصيره ، والغاية من خلقه . فهى القضية الأولى فى حياة الإنسان ووجوده ، والخاسر الوحيد ، إذا لم يحسن الحكم فيها ، هو الإنسان ذاته . لذا لزم التفكر فيها عن كثب وروية متناهية ، وليس الإعراض عنها بجهل وترفع وبدون ترو .

القضية الثالثة : سيرة الرسول ، وسلوكه قبل الدعوة ، كما وردت فى قوله تعالى : (... **ما بصاحبكم من جنة** ...) . فبديهى أن يعرض الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى الجانب النفسى للرسول (ﷺ) ، حيث ينفى عنه الجنون . إذ أن الذى يأتى مثل هذا الأمر ، وهو لم يكلف من الله ـ عز وجل ـ بأدائه ، لا بد وأن يكون مصابا بنوع من الجنون ... كجنون العظمة ، أو جنون الإستحواذ ، أو جنون السيطرة ، أو جنون التملك ، أو جنون الإستعلاء ... إلى اخره من كل أنواع الجنون ، والتى لا يمكن أن يصاب بها المرء دون أن ينعكس اثارها عليه ، وعلى سيرته الخاصة قبل الدعوة , وسلوكه فى وسط عشيرته على مدى حياته .

أما القضية الرابعة : فهى الأجر ؛ **فحقيقة الأمر هنا** ؛ أن أجر " إعتناق الديانة الحقة " هو للفرد ذاته ، وليس لأحد سواه ، كما جاء فى سياق الاية الكريمة ، فى قوله تعالى : (**قل ما سألتكم من أجر فهو لكم** ...) . فهل وعى الإنسان (.. **ما سألتكم من أجر فهو لكم** ...) ، فأجر النبى لن يصيب منه الفرد شيئا . فالمنفعة الحقيقية هى للفرد ذاته ، والأجر هو للفرد المهتدى أولا واخرا . أما أجر النبى فهو على الله : (... **إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء**

شهيد) . ولا أدرى ... إن وعى الإنسان معنى (**وهو** (أى الله) **على كل شىء شهيد**) ؟ أم لا ...!!؟؟

تلك هى القضايا الأربعة الرئيسية المطلوب تناولها ، عند تناول برهان " **الجدل الصاعد** " ، وهذا هو ترتيب تناولها . وهى تمثل الإحاطة الإلهية فى الفكر القرانى ، والتى لم يتطاول إليها أصحاب برهان " الجدل الصاعد " من فلاسفة وعلماء الغرب . وهذه هى طبيعة البراهين القرانية .

فالقارىء لبرهان " **الجدل الصاعد** " فى الفكر الغربى ، يجد أن القائلين بهذا الفكر لم يتجاوزوا فكر " سيرة الرسول " ، أى القضية الثالثة فقط . فبديهى لا يحوى لديهم هذا البرهان أى مناقشة لموضوعية القضايا الأخرى لمنطقية الدعوى والدين . فالدين لديهم ملىء بالوثنيات والخرافات ، لهذا إقتصر الأمر على مناقشة " سيرة الرسول " فقط ... (وليتها صدقت ، فالرسل لديهم تتصف بصفات متردية ، كما سنرى فى الباب التالى) . ثم يأتى بعد ذلك ـ من وجهة نظر الغرب ـ التسليم بما يجيء به الرسول من دين ، أيا كان ، ومهما يحوى من وثنيات . وهذا من الأخطاء البشرية الفادحة ، والتى يعانى منها الإنسان إلى الان .

والمطلع على سيرة محمد (ﷺ) ، يجد أن الدعوة ــ للدين الجديد ـ ظلت سرية لمدة ثلاث سنوات ، بعد نزول الوحى عليه . ثم أمره الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجهر بها ، كما جاء فى قوله تعالى :

[فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤)]

(القرآن المجيد : الحجر {١٥} : ٩٤)

[فاصدع : امض وافرق / بما تؤمر : بالقرآن]

ثم تبع ذلك ، قوله تعالى :

[وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون (٢١٦) وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧)]

(القرآن المجيد : الشعراء {٢٦} : ٢١٤ – ٢١٧)

وبهذا الأمر الإلهى ، إنتقل الرسول (ﷺ) من سرية الدعوة ، إلى الجهر بها ، بدءا بدعوة عشيرته الأقربين ، وهم أهل مكه . فصعد الصفا [١٣١] يوما :

---

[١٣١] جبل منخفض بمكة .

ونادى : يا معشر قريش ...!

قالت قريش محمد على الصفا يهتف ؛ وأقبلوا عليه يسألونه ... ماله ؟

فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقون ؟

قالوا : نعم ! أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط .

قال : **فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد** [١٣٢] ...!!!

يا بنى عبد المطلب ، يا بنى زهرة ، يا بنى تيم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد [١٣٣] . إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، **وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله .**

هكذا كانت سيرته بين عشيرته الأقربين . لقد كان يلقب بـ " **الصادق الأمين** " قبل بعثته عليه السلام . وقد قالوها له بعد بعثته : " ... **ما جربنا عليك كذبا قط** ... " . وبديهى كان حريا بهم أن يصدقوه ، وأن يستجيبوا لدعوته ، لعلمهم أنه لا يكذب ، وإنه الصادق الأمين لديهم على مدى حياته السابقة ، فلماذا يكذب الآن ... ؟؟!! ولكنهم لم يفعلوا ...!!!

وهنا ينهض عمه " أبو لهب " ، إستكمالا لهذه اللقطة ، وكان رجلا سريع الغضب ويصيح فيه ... " **تبا لك سائر هذا اليوم ...!!! ألهذا جمعتنا ...!!!** " ثم إنصرفوا عنه .

وهذا هو دأب الإنسان وسلوكه تجاه الفكر الجديد . فهو عادة ما يرفضه بدون ترو أو دراسة متأنية ، وما يمكن أن يأتى به هذا الفكر . ولنتأمل فى قول الرسول عليه السلام : [**إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا ، إلا أن تقولوا ... لا إله إلا الله**] . إذن فالأمر كله لله ، وليس للرسول من الأمر شئ ، وفى هذا الشأن يقول الله للرسول (ﷺ) فى القرآن المجيد :

[**ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)**]
(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٢٨)

بهذا الوضوح والقطع ... " **ليس لك من الأمر شئ ...** " ، فليس للرسول التصرف فى أمر من أمور العباد، بل الأمر كله لله . فإما يتوب عليهم بالإيمان ، أو يعذبهم لأنهم ظالمون . فالرسالة

---

[١٣٢] المعنى هنا يشير إلى أنه سوف يحيط بهم عذاب شديد نتيجة لعبادتهم للأصنام . أنظر " الرسول (ﷺ) لمحات من حياته ... ونفحات من هديه " ؛ دكتور . عبدالحليم محمود ؛ ص : ٨٩ وما بعدها .

[١٣٣] هى أسماء القبائل ، التى كانت تسكن مكه فى ذلك الوقت ، ظل يرددها النبى (صلى الله عليه وسلم) بالإسم .

ليست ملك الرسول ، بل هى ملك لله وحده ، فهو صاحب الأمر كله ، حيث يقول الله لرسوله الكريم :

[... **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٤٠)**] (القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ٤٠)
[... **فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٣٥)**] (القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٣٥)

هكذا يتكرر القول ، فى القرآن المجيد ، بأن مسئولية الرسل هى البلاغ فقط ، والحساب هو لله وحده . وترد كلمة " **بلاغ** " فى القرآن المجيد بهذا المعنى فى ثلاثة عشر موضعا ، إلا فى موضع واحد فتشير هذه الكلمة إلى القران المجيد نفسه ، على إنه " **بلاغ** " للناس . كما جاء فى قوله تعالى :

[**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب (٥٢)**]
(القران المجيد : إبراهيم {١٤} : ٥٢)

وليتنبه إلى ذلك ـ أى يبتعد عما فيه هلاكهم ـ أولوا الألباب ، أى ذوو العقول والفكر السوى .

١١ . ١٠ ـ *البرهان الإجتماعى*

يقول هذا البرهان بأن الإنسان إجتماعى بطبعه أو بالفطرة . ولهذا يقول علماء النفس والإجتماع أن " **الأنا الجمعى** " أو " **الضمير الإجتماعى** " هو فطرة فى تركيب الإنسان ، وهو جزء من جهاز الإدراك مثل السمع والبصر ، وإن كان " **الأنا الجمعى** " ليس له عضو خاص فى جسم الإنسان . فالإنسان موجود تاريخيا ، وتاريخ تطور المجتمعات هو نفسه تاريخ تطور فكرة الله . بل ولم يكن تقدم الإنسان إجتماعيا ، إلا لأنه كان دائما يؤمن بالله . والحق ؛ أن الإعتقاد فى وجود الله ، وفى البعث والحساب ، كان وازعا قويا يمنع العدوان (فى أحيان كثيرة) ، ويقوى إحساس الإنسان بالأمن والحق ، وبالخير والجمال .
وينتهى علماء الإجتماع من هذا ، إلى أن " الأنا الجمعى " أو " الضمير الإجتماعى " لابد وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد قام بتركيبه فى النفس البشرية لحكمة متعالية ، وكضرورة حتمية لقيام المجتمعات الإنسانية كما نراها على مر العصور والحضارات .

وهذا البرهان من وجهة نظر القرآن المجيد ، يأتى فيما يقرره الله ــ سبحانه وتعالى ــ من أن الضمير الإجتماعى ، هو جزء من الفطرة البشرية التى ركبها الله فى النفس البشرية ، كما جاء فى قوله تعالى :

[يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)]

(القران المجيد : الحجرات {٤٩} : ١٣)

فقوله تعالى " ... **وجعلناكم شعوبا وقبائل** ... " تعنى " **الفطرة الإجتماعية** " لدى الإنسان ، فقد جعلنا الله هكذا ، شعوبا وقبائل ، ولا حيلة للإنسان فى هذا ، طالما أن الله قد ركبنا على هذا النحو أو الشكل . والآية الكريمة تجمع بين " الأنا الجمعى " أو " الفطرة الإجتماعية " وفطرة " القانون الأخلاقى " معا . فـ" الفطرة الإجتماعية " يشار إليها بالنص (.. **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ..) ، وكلمة (... **لتعارفوا** ...) تعنى بأن العلاقة السائدة بين الشعوب والقبائل تبنى على أساس " **المعرفة** " ، وبالتالى فهى تشير إلى المجتمع الإنسانى ككلٍ يقوم على تبادل المعرفة أو المعارف ... فلا عنصرية ... ولا تعصب ... ولا إستئثار ... وخصوصا إذا ما تنبهنا إلى بداية الآية الكريمة ، فى قوله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... " ، فهى تعنى السواسية فى الخلق . أو كما جاء فى قول الرسول الكريم :

" كلكم لآدم وآدم من تراب "

وفطرية " **القانون الأخلاقى** " ، يشار إليه ضمنيا بالنص (... **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ..) . حيث تجعل هذه الاية الكريمة التنافس بين أفراد المجتمع الواحد ، والمجتمع الإنسانى ، تقوم على أساس " **التقوى** " أو الإخذ بمكارم الإخلاق . حيث أن " التقوى " فى الفكر الإسلامى هى " **غاية الكمال الأخلاقى والعمل الصالح** " ، ولها تعاريف كثيرة منها ؛ الخوف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، والعمل بتشريعه (ويشمل كل ما هو أخلاقى ونافع للمجتمع الإنسانى بالمعنى العريض لمفهوم العلم الشامل) ، وإعداد النفس ليوم الموت والحساب عند البعث [١٣٤] .

وعندما يتكلم القران المجيد عن حضارات الشعوب أو الأمم ، فإنه يتكلم عنها بمنطق قريب الشبه إلى منطق سلوك الأفراد . فكما يوجد الفرد الصالح توجد الأمة الصالحة ، وكما يوجد الفرد الفاسد توجد الأمة الفاسدة ، كما فى قوله تعالى عن الفرد :

---

[١٣٤] قال بهذا على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) : " التقوى هى : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والإستعداد ليوم الرحيل " .

[أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (١٤)]
(القران المجيد : محمد {٤٧} : ١٤)

[والتزيين : هو أن يرى المرء أن ما يفعله هو من قمم كمال الأعمال ، وهو لا يدرى أن ما يفعله قد يكون من الأعمال السيئة . وعادة ما يحدث هذا بإتباع هوى النفس ، وعند تغييب العقل]

وعند الكلام عن الأمم ، نجد قوله تعالى :

[... كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)]
(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٨)

وكذلك الدورات الحضارية للأمم ، يشير إليها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى محكم تنزيله بقوله تعالى :

[ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٣٤)]
(القران المجيد : الأعراف {٧}. : ٣٤)

فهذه الآية الكريمة تشير إلى نهاية الأمم ، وإلى العمر المحدد لها [١٣٥]، وبالتالى إلى نموها مرة أخرى فى صورة ما ثانية . تماما كنهاية الأفراد بالموت ، ليولد من بعدهم أفراد اخرون فى صور مغايرة . فالدقائق تعلن عن موت بشر ، وميلاد جديد لبشر اخر ... وهكذا .
وعلى ذلك فإن " البرهان الإجتماعى " كما جاء به علماء الغرب هو برهان قاصر للغاية ، حيث لم يتعد الفكر عن إدراك الفعل الإلهى فى تركيب الفطرة الإجتماعية لدى الإنسان . وبذلك إقتصر شرحهم على الفطرة الإجتماعية لدى الفرد .

بينما الفكر القرانى يقرر بأن " الفطرة الإجتماعية " لدى الفرد ، هى جزئية فقط من كل ، ضرورى لقيام المجتمع الإنسانى ، فإلى جانب هذه الفطرة ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل الاتى :

- الفطرة الأخلاقية ضرورة أساسية ومكملة لتكوين المجتمعات الإنسانية .

[١٣٥] من الأمثلة المعاصرة ، إنهيار الإتحاد السوفيتى السابق ، وإنتهاء الحكم والفكر الشيوعى لهذا الإتحاد .

- أشار الله ـ سبحانه وتعالى ـ وذلك فى إطار الإبتلاء أو الإختبار الإنسانى ، إلى أنه ينبغى على الأفراد أن يكون التنافس بينهم على أساس " التقوى " ، ومنها مكارم الأخلاق والعمل الصالح (وقمة شعب العمل الصالح هو العبادة والعمل العلمى) .
- أن ما ينطبق على الأفراد ينطبق كذلك على المجتمعات الإنسانية .
- إن العلاقات بين المجتمعات الإنسانية أو الشعوب المختلفة تقوم على أساس تبادل المعارف والثقافات المختلفة (وهذا هو الحادث فعلا) . كما وأن التنافس بين الشعوب يجب أن يكون فى إطار مكارم الأخلاق (والحرية هنا متروكة للإنسان) .
- كما يقرر الله ـ سبحانه وتعالى – أن تكون للأمم أعمار محددة ، شأنها فى ذلك شأن الأفراد .
- كما ينبهنا الله فى محكم تنزيله ، إلى وجود مجتمعات كاملة فاسدة ، كما يمكن أن تكون هناك المجتمعات الصالحة ، شأنها فى ذلك شأن الأفراد تماما أيضا .

وللحق أن طيف المعرفة الخاص بالنصوص القرآنية (المحكمة الصياغة) أوسع من أن تحاط بالفكر البشرى ، وعادة لا نرى منها إلا المألوف من الأفكار ، إلا من فتح الله عليه ، برؤية ما من المعارف الجديدة ، والتى يمكن أن تضيف الكثير إلى التراث البشرى .

١١ . ١١ ـ برهان " المثل الأعلى " أو " الإستعلاء الإلهى "

ويسمى هذا البرهان أيضا بـ " **البرهان الوجودى** " أو " **الإنطولوجى Ontology** " . وينسب هذا البرهان فى صورته الأولى إلى القديس انسلم فى القرن الحادى عشر ، وزاد عليه اللاحقون ، ونقحوا فيه وأخصهم ديكارت حتى كاد أن ينسب إليه وحده . وقد تناول هذا البرهان أيضا كل من بونافنتورا ، ولايبنتز ، وهيجل ، وتوما الإكوينى .

"ومضمون هذا البرهان أن العقل البشرى كلما تصور شيئا عظيما فإنه يذهب إلى ما هو أعظم منه ، وهكذا إلى نهاية النهايات ، وينتهى من هذا إلى " موجود " هو " الكمال الأسمى " الذى لا بعده كمال ، ولا يمكن أن يكون به نقص " .

ويقول **ديكارت** : " إذا ما تمعنت فى فكرتى عن " الله " فإنى أجده جوهرا لا متناهيا أزليا ، يتنزه عن التغير ، ويقوم بذاته ، ويحيط بكل شىء ، ويقدر على كل شىء ، خلقنى وجميع الأشياء الموجودة ، وتجعلنى هذه الصفات التى له ، أمعن النظر فيها فيقل ميلى إلى الإعتقاد بأن هذه

الفكرة عن " الله " هى فكرتى ، وأنا مصدرها . فلا بد إذن أن الله قد أودعها فى نفسى ، وإذن فإن " الله موجود " .

ويستطرد **ديكارت** فيقول : " إننى أرى بجلاء أن فكرة اللامتناهى سابقة لدى على فكرة المتناهى ، أى أن إدراك " الله " سابق على إدراك النفس ، وكيف لى أن أعرف إننى لست كاملا تمام الكمال إذا لم يكن لدى فكرة عن وجود أكمل من وجودى ، أعرف بالقياس إليه ما فى طبيعتى من عيوب ونقص [١٣٦] " .

ولم يحدد هذا البرهان ، كما جاء به فلاسفة الغرب ، أى صفات للكمال الإلهى ، ولكنهم قالوا بالإستعلاء والكمال الإلهى على نحو عام أو مطلق . وإن كان بعضهم قد جاء ببعض الصفات ، مثل القادر والخالق والصمد والمحيط ، والتى ورد ذكرها فى القران المجيد .

وبديهى إن برهانا بهذا الشكل هو - فى الواقع - برهان قاصر لعدم تحديد ماهية الكمالات الإلهية ، والتى يجب أن يتصف بها الإله فقط ، ولا ينبغى أن يتصف بصفات أخرى سواها . وبديهى أيضا ، أن تحديد الصفات الإلهية ، ليس فى متناول الإنسان مالم نزود فطريا بمعرفتها . فالإنسان غير مؤهل فطريا لمعرفة هذه الكمالات ، كما لا يمكن الوصول إلى معرفتها من خلال التجارب الشخصية . لذا لزم أن يخبرنا الله - سبحانه وتعالى - بصفاته هذه ، بطريقة مباشرة من خلال وحيه لأنبيائه ورسله .

وهذا البرهان من منظور الفكر القرانى - كالعادة — يصل إلى درجة الكمال الفكرى المطلق . حيث يحدد أو يعرف الله - سبحانه وتعالى - ذاته ، بتعريف أو تحديد صفاته وكمالاته الإلهية بدقة ، ويطلق عليها " **الأسماء الحسنى** " ، كما ورد فى قوله تعالى :

[ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠)]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٨٠)

[والإلحاد فى كلام العرب معناه العدول عن القصد ، ثم يستعمل فى كل معوج غير مستقيم]

---

[١٣٦] قارن بين هذا الفكر ، وبين ما جاءت به اليهودية والمسيحية - فى الفصل التالى - من فكر متردى عن " الإله " .

ويقول " الله " فى محكم تنزيله أن أى إسم من هذه " الأسماء الحسنى " أو " الكمالات الإلهية " ، هى تشير إليه فلا فرق بينها . فهو واحد لاشريك له ، وإنما هى أسماؤه الحسنى أو كمالاته الإلهية ، كما فى قوله تعالى :

[قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (١١٠)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١١٠)

وقد نزلت هذه الآية ، لما سمع المشركون النبى (ﷺ) ، يدعو تارة بـ " الله " وتارة أخرى بـ " الرحمن " ، فظنوا أنه يدعوا بإلهين ، فنزلت هذه الآية تنبيها للإنسان إلى أن هذه كلها أسماء وصفات أو كمالات إلهية تشير جميعها إلى ذات واحدة . وقد روى عن النبى (ﷺ) ، أنه قال :

(إن لله تسعة وتسعين إسما كلهن فى القرآن من أحصاها فقد دخل الجنة [١٣٧])

وأكبر حشد متتال لهذه الأسماء ، هو ما ورد ذكره فى آخر سورة الحشر ، فى قوله تعالى :

[هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤)]

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ - ٢٤)

أما عن تسلسل الصفات . إلى نهاية النهايات ، فنجد هذا فى قوله تعالى عن الموقف العلمى للإنسان :

[... نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم (٧٦)]

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

فإذا ما تصور الإنسان أن هناك فردا ما " ... ذى علم .." ، فهو يمكن أن يتصور أيضا من هو يفوقه علما أو " عليما " آخر . والعليم هو الآخر " ذو علم " ، إذن فهناك " عليما " آخر يفوقه

---

[١٣٧] أنظر الملحق الأول ؛ عن الكمالات الإلهية أو الأسماء الحسنى . وسوف يلاحظ القارىء أن جميعها معرفة بـ " الـ " ، لتعنى المعنى المطلق للصفة أو الإسم ، كما تعنى الأحدية والتفرد للمتصف بها .

علما ، وهكذا وبغير نهاية . إلى أن نصل إلى نهاية النهايات وهو " **العليم** " المطلق الذى ليس فوقه عليم آخر ، وهذا " **العليم** " المطلق هو " الله " ، سبحانه وتعالى . **وبهذا الفكر تعرف الكمالات الإلهية بـ " الـ " لتعنى التفرد والإطلاق فى صفة الكمال** ، مثل :

الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، .... [١٣٨]

وننهى برهان " المثل الأعلى " أو " الإستعلاء الإلهى " ، بأن الإحاطة الإلهية لهذا البرهان ، قد حسمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى ايتين فقط ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وله من فى السماوات والأرض كل له قانتون (٢٦) وهو الذى يبدىء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٧)]
(القرآن المجيد : الروم {٣٠} :٢٦ - ٢٧)

[قانتون : مطيعون]

فكما نرى ، إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ له كل ما فى السماوات والأرض خلقا وملكا وخضوعا وإنقيادا ، وله " **المثل الأعلى** " فى الصفات والقدرة الكاملة والحكمة التامة فى السماوات والأرض . وهو الذى يبدئ الخلق ثم يعيده بعد الموت ، وينبهنا بالقياس البشرى المعلوم ، وتقريبا إلى الذهن القاصر ، بأن إعادة الشىء أسهل من إبتدائه بلا مثلية .

وهذا هو الفكر الإلهى المحيط ... تحديد مطلق وتعريف محدد لصفات إلهية واضحة ... لم يستطع الإنسان التطاول حتى لمعرفة بعضها ، إلا فى أضيق الحدود ، وفى إطار الفطرة الممنوحة للإنسان أيضا ، ثم غاية إلهية متعالية لخلق الإنسان وإعادته ... فهل وعى الإنسان ذلك ...؟!

١١ . ١٢ ـ الله موجود إذن فأنا موجود

ويستدل من هذا البرهان على وجود الإنسان كنتيجة طبيعية لوجود الله ، بمعنى لولا وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما وجد الإنسان . وبديهى إن هذه الصياغة تختلف عن القول بعكسها ، أى " أنا

[١٣٨] أنظر الملحق السابق .

موجود فالله موجود " ، حيث يؤدى هذا المعنى الأخير إلى شبهة أن الإنسان هو الصانع لوجود الله .

وينسب هذا البرهان إلى ديكارت (ويعرف أيضا ببرهان الكوجيتو [١٣٩]) ، وينتهى هذا البرهان بالقول بأنه يوجد " قوة حافظة " تحفظ على الإنسان وجوده . ولولا هذه القوة ما بقى الإنسان فى الوجود ، وهذه " **القوة الحافظه** " هى " **الله** " . ويذكر هذا البرهان فى القرآن المجيد على نحو مباشر ومطلق . فـ " الله " هو " القوة الحافظه " ليس للإنسان فحسب ، بل للوجود بأسره ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

[إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا (٤١)]

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٤١)

[ولئن : لام القسم ، والمعنى " ولئن زالتا إن أمسكهما " أى إن زالتا ما أمسكهما من أحد من بعده]

وبهذا تقرر الآية الكريمة ، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده هو خالق السماوات والأرض ، وهو الذى يحفظهما بقدرته من الزوال . ولئن قدر لهما الزوال ، ما إستطاع أحد أن يحفظهما من بعده ، إنه كان حليما على جهل الإنسان وغرورة ، لا يعجل بعقوبته للمخالفين والعاصين له ، غفور لذنوب التائبين والراجعين إليه . والفكر القرانى فى هذا البرهان ، يشمل السماوات والأرض ، أى كل ما فى الوجود المدرك والغير مدرك .

١١ . ١٣ ـ الإعتراض على وجود الله بوجود النقص والشر فى الكون

يقول المعترضون على وجود الله ؛ أنه من الثابت منطقيا أن الله غير موجود ؛

" لأنه إذا كان أحد الضدين لامتناهيا قضى على ضده تماما "

ولقد قيل أن الله هو الخير والكمال اللامتناهيان ، فلو كان هذا صحيح ، لقضى الله على الشر والنقص الموجودان فى العالم ولما كان ثمة شر ونقص فى العالم ، إلا أن الشر والنقص مازالا موجودين فى العالم .... إذن فالله غير موجود . وهذا القول يمثل ـ فى الحقيقة ـ أحد القياسات الخاطئة للإنسان ، أو للقائلين بمثل هذا الفكر . لأن ليس هناك ثمة علاقة بين وجود خير وكمال

[١٣٩] أنظر الفصل الرابع لمزيد من التفاصيل .

لامتناهيين ، وبين وجود نقص أو شر متناهيين في هذا الكون . ففي الواقع ؛ إن مثل هذا التشبيه يخرج بالقائل به إلى عدم فهم الحد الأدنى من الفكر الكيميائي أو الفكر الحسابي على النحو المذكور بعد ، هذا إلى جانب عدم إدراك مشكلة " الشر والخير " لدى الإنسان .

فمن جانب القياس الكيميائي ؛ نجد أن الخطأ في فهم هذه القضية جاء نتيجة **المزج** بين الكمال والخير - من جانب - وبين النقص والشر - من جانب اخر — على غرار **المزج** بين المواد أو المحاليل المختلفة مع بعضها البعض . فبديهي إذا كان السكر هو المادة السائدة في أحد المحاليل المائية ، فسوف يختفي **طعم** الملح (مثلا) من المحلول إذا كانت كميته قليلة بدرجة كافية . ولكن القضية هنا ليست " **قضية مذاق** " . فبديهي المادة السائدة في المحلول لا تنفي وجود المواد الأخرى في نفس المحلول ، تماما كما وإن وجود الكمال اللامتناهي لله — سبحانه وتعالى — لا ينفي وجود النقص المتناهي بسبب فعل الإنسان ، وخصوصا إذا ما قدر الله - سبحانه وتعالى — أن يكون الشر والخير في حيز الإختيار الإنساني ليختبر الإنسان فيما اتاه وفيما يفعله .

أما من جانب القياس الحسابي (وليس الرياضي) ؛ فإن مثل هذا التشبيه يخرج بالقائلين به إلى عدم فهم الحد الأدنى من الفكر الحسابي [١٤٠] كما ذكر ذلك في التذييل ، هذا إلى جانب عدم إدركهم لمعنى " مشكلة الشر والخير " في حكمة خلق الإنسان .

ففي الواقع ؛ إن " **مشكلة الشر والخير** " التي يحتج بها الملاحدة على " عدم وجود الله " ، تمثل دليل صدق أو حجة على " وجود الله " وليست دليلا على نفيه [١٤١] . فالله - سبحانه وتعالى - هو الذي ركب فينا كل من جانبي الشر والخير ، **وربطهما بالعلة الغائية من خلق الموت والحياة**

---

[١٤٠] يمثل هذا المنطوق أحد القياسات الخاطئة للإنسان . فكلنا يعلم من علم حساب اللانهايات أن إضافة أي عدد معلوم إلى كمية لانهائية في الكبر ، فإن الناتج يكون لانهائي في الكبر أيضا ، والصياغة الحسابية لهذا المنطوق هي كالنحو التالي :

(مالانهاية) + (عدد معلوم) = (مالانهاية)

وليس معنى أن يكون الطرف الأيسر (مالانهاية) ؛ هو أن يكون (العدد المعلوم) في الطرف الأيمن صفرا ، فلا يوجد أي علاقة بين قيمة العدد المعلوم والـ " مالانهاية " في الطرف الأيمن ، فكلاهما أعداد مستقلة عن بعضهما البعض . كما يجب أن يفهم أن قيمة العدد المعلوم لن تغير من كبر قيمة الـ " مالانهاية " في الطرف الأيسر ، وبهذا القياس يمكن أن نقول :

(مالانهاية من الخير والكمال) + (نقص وشر الإنسان المحدود) = (مالانهاية من الخير والكمال)

أي أن هذا يعني ، أن وجود أي شر إلى جانب الكمال الإلهي ، لا ينفي وجود الكمال الإلهي المسبوغ على الكون كله . والقضية هنا ليست فيها فلسفات . فمحدودية الإنسان في شكل وجوده المحدود على سطح هذا الكوكب الغير مرئي بالنسبة للمجرة ، والمجرة الغير مرئية بالنسبة للكون ، تجعله وبكل ما يأتي به محدودا . ولمزيد من التفاصيل العلمية أنظر تذييل رقم (٨٣) ؛ بند (٤. ١. ٥.) من الفصل التالي ؛ ص : ٣٢٣ .

[١٤١] يعتبر هذا الجزء إمتداد لمشكلة الأخلاق التي سبق وأن تناولناها في بند (١١. ٧) ، ويمكن إعادة قراءة هذا البند السابق حتى يتحقق الإتصال في المعنى الكلي .

(ويقصد بالحياة هنا ، الحياة الأرضية فقط) كما سبق ذكره ، وليست العلة الغائية من خلق الإنسان . فخلق الإنسان له غاية أعم من الغاية القريبة من خلق الموت والحياة . كما ربط الله ـ سبحانه وتعالى ـ الموت والحياة بعمل الإنسان ومدى قدرته على تغليب جانب الخير المتأخر لديه على جانب الشر المتقدم لديه ، على النحو السابق ذكره فى البرهان الأخلاقى (بند ١١. ٧.) . فالحقيقة أن الشر مصدره الفعل الإختيارى للإنسان ، وليس مصدره الإله أو قهرية الإله للإنسان ، ولهذا شرع الله العقاب للإنسان ، كما جاء فى قوله تعالى :

[**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون (١٧٩)**]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٧٩)

[أولى الألباب : ذوى العقول]

ونرى المولى عز وجل يقول (**ولكم فى القصاص حياة ...**) ، ولم يقل بالعكس ، أى " **ولكم فى الحياة قصاص ...** " ، فالمعنى الثانى قد يؤخذ بالقصاص أو لا يؤخذ به ، أما المعنى الأول فهو يمثل **حتمية الأخذ بالقصاص كضرورة لإستمرار الحياة** . وهذا ما نراه فى كل المجتمعات فى شكل " **قانون العقوبات** " فى كل دولة .

ونركز على القول ، بأن الشر مصدره الإنسان وليس الإله ؛ فعندما يقوم إنسان بتعذيب إنسان اخر أو قتله ، تحت أى مسمى قانونى أو مبرر وضعى أو شعار سياسى ، فقد أتى الشر بكامل حريته وإختيارة ، ولا دخل للإله فى قهره على ذلك ، فهو يملك التوقف عن التعذيب أو القتل إن أراد ، وبالتالى فمسئولية الشر تقع كاملة على عاتق الإنسان وحده ، وهو يحمل مسئولية هذا الشر كاملة يوم الحساب . كما جاء فى قوله تعالى :

[**وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما (١١١)**]

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ١١١)

[عنت الوجوه : قيل سجدت ، وقيل إستأسرت واستسلمت ، لأن أصل " العنو " هو الذل]

****

وبهذه البراهين الثلاثة عشر نكون قد إنتهينا من سرد ـ كل ـ ما يملك الإنسان من براهين للتدليل على وجود الله ، سبحانه وتعالى ، وهو الظاهر فوق كل ظهور . وكما رأينا إن البرهان البشرى هو برهان ساكن ، ويكاد يكون جثة بلا روح إذا ما قورن بما جاء به القرآن المجيد من براهين مناظرة . ولا يسعنى إلا لفت نظر المفكرين إلى قوله تعالى :

[.... قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٧} : ١٤٨ – ١٤٩)

[تخرصون : تكذبون]

أوعى الإنسان قوله تعالى (**... فلله الحجة البالغة ...**) .

١٢ ـ " *ظاهرة التبرير* " أو " *التداخل والتضحية بالعقل* "

وجها لوجه ، لقد برهن الإنسان بما لا يدع مجالا لأى شك أن " الله موجود " . وقد أدرك الإنسان كذلك من خلال الوعى الفطرى لديه بأن " الله موجود " . كما أدرك الإنسان كذلك بالفطرة وبالعقل الصفات الإلهية ، أو ما ينبغى أن يكون عليه الإله من المثل الأعلى والإستعلاء والكمال الإلهى .

ثم ذهب الإنسان يبحث عن الإله ... فوجده لديه فى الدين . ففى الدين يذكر الإله ، وفى الدين يعرف الإله ، وفى الدين يعبد الإله ، فإعتقد الإنسان ـ خطأ ـ أن الدين مصدر الإله . ولكن من هو الإله فى الدين ... ؟!! لقد وجد الإنسان الإله فى الدين فى وضع مترد[١٤٢] ، لقد وجده إلها مسكينا إجتمعت فيه كل النقائص البشرية ، لتهوى به من عليائه إلى الحضيض الفكرى المقزز ....!!! فقد وجده الإنسان :

- إله يتصارع مع مخلوقاته (الإنسان) وتتغلب عليه .
- إله نسى وأحمق تتعالى مخلوقاته (الإنسان) حكمة وذكاء عليه .
- إله ذى صفات خارجية قريبة الشبه من صفات الحيوانات الأسطورية .
- إله لم ترق أحاسيسه بعد ، ولا يعى شيئا عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه [١٤٣] (مخلوقه) ، لذا فقد إستقر منه الرأى أن يخوض التجربه البشرية حتى يستطيع أن يفهم إنسانه .

---

[١٤٢] لم أهتم ـ هنا ـ إلا بما جاءت به الديانتين اليهودية والمسيحية من أوصاف عن الإله . فالأوصاف المذكورة هنا ـ كما سنرى حالا ـ هى ما تقول به هاتين الديانتين ...!!! أنظر كذلك الفصل الثالث للتفاصيل .

[١٤٣] ويذكر (الأسقف) إستانلى شوبيرج (Pastor Stanley Shoberg) رئيس كنيسة السويد ، مثالا لبيان هذا المعنى فيقول :
" وعندما فكر الله فى الناس اللاجئين (الفلسطينيين مثلا) دون منازل ، دون مأوى يقاسون الحر والبرد ، قرر الله أن يتفهم الإنسانية تفهما كاملا (God decided to understand humanity fully) . وبناء على ذلك قرر الله من خلال محبته أن ينزل عن مستواه إلى مستوانا من خلال السحب العميقة من أجل الفهم ...!!! " (أى من أجل أن يفهم الله إنسانه) .

- إله أساء التقدير وأخطأ ، فسلبه الشيطان سلطاته .
- إله قام الشيطان (أحد مخلوقاته) بمحاولات لإغوانه ، وطلب منـه أن يسجد لـه فيرفض ، فيتربص به الشيطان حتى الآن .
- إله قام بغش وخداع الشيطان فى محاوله يائسه منه لإستعادة سلطته التى سلبها منه الشيطان.
- إله عذبه إنسانه ، وأذاقه كل صنوف الذل والهوان .
- إله ، حسم أمره إنسانه وقام بقتله .
- وأخيرا ـ وليس اخرا ـ إله إستقر منه الرأى على أن تكون صورته النهائية هى " خروف قائم كأنه مذبوح لـه سبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله المرسله إلى كل الأرض [١٤٤] " . وليقف ذلك الإنسان أمام هذا الخروف (إلهه) ، ليصرخ بصوت عظيم قائلا " .. **الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف** [١٤٥] " . ولن يجوع الإنسان بعد ذلك ولن يعطش ..." **لأن الخروف الذى فى وسط العرش سوف يرعاهم ..** [١٤٦] " . وليتبع الإنسان الخروف حيثما ذهب [١٤٧] ... !!!

فهذا هو الإله كما وجده الإنسان لديه فى الدين ، وهذا هو منتهى حال الإنسان وخلاصه ...!!! وليشقى الإنسان بالاهه هذا ...!!! **وليهوى إنسان نهاية القرن العشرين إلى الحضيض الفكرى** ... ولتتهاوى القيم ، وتنهار المثل ، والمثل الأعلى ، من حوله ... !!! وليقف الإنسان ـ ذلك المسكين الحائر العاجز ـ حائرا بين ما يدرك فطريا وعقليا عن الله وصفاته وكمالاته من المثل العليا والإستعلاء والكمال الإلهى ؛ وبين ما جاء به الدين من وثنيات وصور قاصرة ومشوهه عن إله مسكين ... متخلف ... تعبث به خلائقه ، وإتصف بكل هذه الصفات والنقائص البشرية المتردية ...!!!

•

[سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣) تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)]
(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٤٣ - ٤٤)

أنظر " **مناظرتان فى استوكهولم بين أحمد ديدات واستانلى شوبيرج** " الناشر : دار الفضيلة ، ترجمة على الجوهرى ، ص ١٢٢) . أنظر كذلك الفصل التالى لمزيد من التفاصيل عن الفكر الإلهى . وهكذا نرى أن " الله " ـ من وجهة نظر العقيدة المسيحية ـ لا يفهم إنسانه ، لذا كان لزاما عليه أن ينزل إلى الأرض ليعيش التجربة البشرية حتى يعى ويدرك أحاسيس ومشاعر الإنسان الذى خلقه ...!!!

[١٤٤] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الإصحاح الخامس : ٦) ـ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
[١٤٥] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٠) ـ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
[١٤٦] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٧) ـ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
[١٤٧] **[هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار . هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب ...]**
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {١٤} : ١٤)

حليما على ذلك الإنسان الأحمق الجهول لحقيقة وجوده ، ووجود الله ، غفورا لذلك الإنسان إذا ما أدرك تطاولة على الله بالقول ، وتاب إليه وأناب قبل أن يدركه الموت ليقف أمام الحقيقة المطلقة وجها لوجه ...!!!

ويقف الإنسان - إزاء هذه الصورة المتردية للإله - في مفترق الطرق ، فأين يذهب ..؟؟!! ، وماذا يفعل ؟!! وبدون وعى منه يتجه إلى واحد من الإتجاهات أو الخيارات الأربعة التالية :

الإتجاه الأول أو الخيار الأول : هو أن يرفض الإنسان الدين والإله معا ، لأن ما جاء به الدين من وثنيات فكرية عن الله لا تتفق والحد الأدنى مع المنطق البشرى من جانب ، وما تمليه الفطرة السوية على الإنسان من جانب اخر . فلا يعقل أن يكون الإله على هذا النحو المتردى وهو الخالق لكل هذا الكمال المطلق . وبذلك يعتقد الإنسان أنه أمام أكذوبه كبرى تسمى الدين ، وبذلك يفقد الإنسان إنتماءه للدين .

الإتجاه الثانى أو الخيار الثانى : أن يحتفظ الإنسان بالإله وبفكرته عن كمالاته وإستعلائه الإلهى ، ويرفض الدين (فقط) وما جاء به من وثنيات وتطاول على الله . ويظل الإنسان على إعتقاده بأن الله موجود ، وأن الأديان كاذبة .

وكما سبق وأن بينا ، إن هذين الإتجاهين هما السبب الرئيسى فى نشوء كل المذاهب الفكرية والفلسفات الإنسانية القاصرة التى نراها حولنا الآن ، والتى أصبحت للإنسان تدينا بديلا (لدين وضعى) بدون أن يعى أو أن يتتبه لهذا الإنسان . فقد أدرك الإنسان بعقله وقياسه وفطرته ، فداحة ما جاءت به الديانتان اليهودية والمسيحية - بشكلهما الراهن ـــ عن الإله والإنسان ، فكان لابد أن يرفضهما ، ولكنه فى نفس الوقت يدرك وجود الله وكمالاته ، كما يدرك إنه لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين . فهو فى حاجة دائمة لهما . فالإنسان لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين فى جميع مراحل ولحظات حياته . فماذا يفعل إذن ؟!! فليصنع الإنسان لنفسه دينا وضعيا ، أو بمعنى أدق ، فليصنع الإنسان لنفسه مذهبا فكريا يعتنقه ويتدين به ، وليقذف بالديانتين اليهودية والمسيحية إلى مكان سحيق ... !!! ولتنسحب التجربه الدينية المريرة لدى الإنسان - بدون ترو - على كل الأديان حتى وإن كان بينها الدين الصحيح . وهكذا لم يصب الإنسان فى حكمه ...!!!

الإتجاه الثالث أو الخيار الثالث : وفى هذا الخيار لم يستسلم الإنسان لليأس ، بل ترهفت حواسه ، وفتح ذهنه وفتح عقله ، وأخذ يجد فى البحث عن الله ، والدين الصحيح فى مكان آخر ، فلا يمكن أن يخلق الله الإنسان هكذا ويتركه سدى بغير هدف أو معنى ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

[أيحسب الإنسان أن يترك سدى (٣٦) ألم يك نطفة من منى يمنى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣٨) فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (٣٩) أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى (٤٠)]

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ٣٦ - ٤٠)

فإن أصاب الإنسان أو صادف الدين الصحيح ، فقد سكنت نفسه وهدأت جوارحه وإطمأن إلى حاله ورضى به ، **وإن لم يصب فحسبه البحث ، ووقع وزره علينا ، فنحن لا نستطيع فكاكا من قوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام :**

[قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨)]

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ١٠٨)

ولا أدرى متى يتنبه الإنسان لمعنى (.. **أدعو إلى الله على بصيرة ..**) ، والبصيرة ؛ هى الدعوة بالمنطق ، وهى الدعوة بالعقل ، وهى الدعوة بالبرهان القاطع والحجة الواضحة ، وقل ما شئت كذلك عن المنطق العلمى وعن العلم ذاته فى هذه الدعوة ... فحدث بلا قيود ، وحدث بلا حرج .... فإن قمنا نحن بالتبليغ بالدين الحق .... تحقق قوله تغالى فينا :

[وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ... (١٤٣)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٤٣)

وأصبحنا شهداء على الناس ... ويكون الرسول علينا شهيدا ...

ولهذا لزم أن نكرر على أن " القضية الدينية " ليست " قضية تبشيرية " ، كما قد يظن البعض من محدودى الفكر ، ولكنها قضية وجود الإنسان ومصيره هو . كما وإنها ليست " قضية صراع بين أيديولوجيات مختلفة " . فالإنسان هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى " للقضية الدينية " ، كما وإنها ليست " قضية كسب أتباع " ، فالإنسان هو الرابح الوحيد لنفسه ... إذا ما أحسن التوجه إلى الله ...

[قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد (٤٧)]

(القرآن المجيد : سبأ {٣٤} : ٤٧)

فأجره لكم ...!!! فأجره لكم ...!!! فأجره لكم ...!!!

الإتجاه الرابع أو الخيار الرابع : وفيه نجد أن :

" فكر القضية الإلهية قد تداخل مع فكرالقضية الدينية [148] "

لدى الإنسان (أو لدى هذه الفئة التي تعتقده) **وإمتزجا معا** حتى أصبح فكر القضيتين يمثلان معا فكر " **الدين والتدين** " . كما خيل إلى أفراد هذه الفئة ـ الرابعة ـ " **خطأ** " بأن الفصل بين الفكرين مستحيل . وبهذا المزج يكون رفض الدين معناه التضحية بـ " الله " لديهم والإنفصال عنه ...!! ويكون معنى هذا الإلحاد ... والتنكر لوجود الله ...!!! ولكن كيف تضحى هذه الفئة بالله وهي تدرك وجوده ؟ إنها لا تستطيع أن تفعل ذلك . وبالتالى فعليها إذن أن تقبل بـ " الدين والتدين " وبما يجيء به الدين من أفكار مهما كانت وثنيتها عن الإله وعن صفاته وعن كمالاته المطلقة ...!!! وبالتالى تكون هذه الفئة الرابعة ؛ هي الفئة التي لم تستطع التضحية بالإله مهما كان الثمن ...!!! حتى وإن كان هذا الثمن هو التضحية بعقلها كاملا فى هذا الإتجاه ...!!!

" وأرجو أن يعى الإنسان أن قبول بعض الفئات الإنسانية للأفكار الوثنية عن الله ، لهو خير شاهد وخير دليل ، على فطرية وجود الله فى النفس البشرية ومدى قوة هذه الفطرة . فمن السهل على الإنسان ـ بوجود هذه الفطرة ـ أن يقوم بالتضحية بمنطقه العقلى وعقلانيته ، عن أن يقوم بالتضحية بالله وبفكرته عن وجوده " .

ولكن كيف يوفق الإنسان **بين** فطرة نقية تتمثل فى إدراك إله خالق متعال ، تسطع مخلوقاته وكونه بالحكمة البالغة الداله عليه ، كما يتلألأ الوجود بكمالاته الإلهية المطلقة ، **وبين** إله مترد يتصف بكل هذه الصفات المتدنية التى تجيء بها الأديان الأسطورية ... ؟؟!!! كيف يتثنى للإنسان ذلك الكائن العاقل المتعقل أن يقبل بكل هذا ..!!؟؟

فى الحقيقة ؛ أن الإنسان مؤهل لأن يحتفظ بالمتناقضات الصارخه فى نفسه ، كما أن لديه القدرة على التعايش مع هذه المتناقضات بصورة مستأنسه وبشكل يدعو للدهشة . وربما كان هذا بسبب ما يملكة من ملكة تعرف باسم " **ظاهرة التبرير [149] أو التزييف العقلى** " كما يسميه علماء النفس . ففى هذا الصدد يقول اريك فروم (واحد من أبرز علماء النفس الأمريكيين) :

---

[148] كما سبق وأن أشرنا من قبل ؛ إلى أن " **قضية الألوهية** " تعنى بالبرهنة على وجود الله ، بينما تعنى " **القضية الدينية** " بالبرهنة على صحة الدين وما يجيء به من مضامين وقضايا مختلفة . وكلا القضيتن مستقلتان أحدهما عن الأخرى ، ولكل منهما البراهين الخاصة بها ؛ كما لا يمكن المزج بينهما إلا تحت شروط خاصه جدا .
[149] أنظر الى بعض التبريرات الصارخة فى الفصل الثالث .

لقد برهن " التحليل النفسي " [١٥٠] **على الطبيعة المبهمة لعملياتنا الفكرية** ، حيث نرى أن " **قوة التبرير** " أو هذا " **التزييف العقلي** " هي إحدى الظواهر الإنسانية المحيرة أشد الحيرة . ولو لم نكن معتادين عليه هذا الإعتياد (لأن عالم النفس هذا مسيحى) لبدا لنا أن مجهود الإنسان في التبرير مماثلا لمذهب شخص مصاب " **بجنون الإضطهاد Paranoia** " [١٥١] . فالشخص المصاب بهذا الجنون يمكن أن يكون في غاية من الذكاء ، ومن الممكن أن يستخدم عقله إستخداما ممتازا في جميع مجالات الحياة ، اللهم إلا في هذا الجزء الذى يتعلق بجنون الإضطهاد . فالشخص الذى يقوم بالتبرير يفعل هذا تماما ... فالحجج المستخدمة للدفاع عن أعمال محاكم التفتيش وتفسيرها ، أو الحجج المستخدمة في تفسير التحيزات العنصرية أو الجنسية الصارخة ، مثل هذه الحجج أمثلة واضحة على هذه المقدرة نفسها في التبرير .

فعندما نتحدث إلى شخص ذكي من المؤمنين بالمسيحية ، نجده يظهر مقدرة عظيمة في كثير من مجالات الفكر ، ولكن ما أن نناقش معه المسيحية نجده يواجهنا ـ فجأه ـ بمذهب فكرى مغلق ، وظيفته الوحيدة هو إثبات أن ولاءه للمسيحية متفق مع العقل ولا يتناقض معه . ولهذا سوف ينكر بعض الوقائع الواضحة ، وسوف يشوه بعضها الآخر . أو تراه حين يوافق على بعض الوقائع والأقوال ، فإنه يشرح موقفه بأنه موقف منطقى ومتسق [١٥٢].

ويضيف علماء التحليل النفسي [١٥٣] أن الدرجة التي يبلغها الإنسان في إستخدام تفكيره لتبرير **العواطف اللامعقولة** وأفعال طائفته ، تبين عظم المسافة التي ما زال على الإنسان أن يقطعها لكي يصبح إنسانا حكيما ومتعقلا . ولكن ينبغي علينا أن نتجاوز عن مثل هذا الوعي ، ونحاول فهم أسباب هذه الظاهرة وإلا وقعنا في خطأ الإعتقاد بأن إستعداد الإنسان للتبرير جزء من "الطبيعة الإنسانية " (أي الفطرة) حيث لا سبيل الى تغييره .

ولتفسير هذه الظاهرة " **ظاهرة التبرير** " يقول علم النفس ، إن الإنسان في أصلة حيوان يحيا في قطيع ، وتتحدد أفعاله بدافع غريزى لإتباع الزعيم ، وبأن تكون له صلة وثيقة بالحيوانات الأخرى من حوله . وبقدر ما نكون قطيعا بقدر ما نكون في أمان ، ولا يهدد وجودنا خطر أعظم من فقدان هذه الصلة بالقطيع ونصبح معزولين . والصواب والخطأ والحق والباطل أمور

---

[١٥٠] " الدين والتحليل النفسي " آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٤ .
[١٥١] تطلق كلمة بارانويا **Paranoia** على المرض النفسي " **جنون الضطهاد** " أو " **جنون العظمة** " وهو إضطراب عقلي مزمن يتميز الفرد المصاب به بأن لديه إحساس زائف بأنه مضطهد أو بأنه إنسان عظيم ، وهو يدافع دائما عن نفسه بمنطق يملؤه كثير من الحزن نتيجة شعور الآخرين تجاهه .
[١٥٢] في الحقيقة ؛ لم يدرك علماء النفس هنا ، بأن الإنسان يدافع عن (فطرية) وجود " الله " في نفسه . وهذا الإتجاه النفسي القوى يجعل من السهل على المرء بأن يضحى بمنطقه العقلي ، عن أن يضحى بوجود الله في نفسه .
[١٥٣] " الدين والتحليل النفسي " آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٥ .

يحددها القطيع . ولكننا لسنا قطيعا فحسب ، بل نحن إنسانيون أيضا ، نملك الوعى بأنفسنا ، ونملك العقل الذى هو بطبيعته ذات مستقل عن القطيع . والصدع الحادث بين طبيعتنا القطيعية وطبيعتنا الإنسانية هو أساس نوعين من التوجيه ؛ توجيه بواسطة قربنا من القطيع ، وتوجيه بواسطة العقل .

والتبرير هو المصالحة بين طبيعتنا القطيعية وقدرتنا البشرية على التفكير ، وهذا ما يحدونا إلى أن نضفى طابعا من المعقولية على قراراتنا اللامعقولة . ولكن من حيث إنتمائنا الى القطيع ، فإن العقل ليس مرشدنا الحقيقى ، إنما يقودنا مبدأ مختلف تمام الإختلاف هو ولاؤنا للقطيع .

وعلماء الاجتماع يقتربون جدا من هذا المعنى ، حيث يقومون بتسمية " ***ظاهرة التبرير*** *" هذه باسم "* ***ظاهرة التكيف الإجتماعى*** *" والتى تأخذ طابع مجاراة الأخرين . ويعتبرون أن الدافع وراء هذه الظاهرة (أى ظاهرة التكيف الإجتماعى) ، هو أن الإنسان يرغب فى أن يفعل ما يتوقع منه الأخرون أن يفعله ، وبذلك يفقد الإنسان شخصيته ، ويصبح أسيرا لوعيه الإجتماعى بشكل مطلق ، وبالتالى يصبح "* ***إنسانا بلا شخصية*** *" كما يسميه بذلك جورج سيميل .*

وازدواجية الفكر القائمة بين العقل وبين الذهن الذى يهدف إلى التبرير ، هى الثنائية الأساسية فى الإنسان ، والتى تمثل تعايش القيد والحرية معا . وتفتح العقل وظهوره الكامل يعتمد على بلوغ الحرية الكاملة والإستقلال . وحتى يصل الإنسان إلى هذه المرحلة ، فهو يميل إلى قبول الحقيقة التى تقررها الغالبية العظمى من الجماعة ، وما تصدره من أحكام تحدد حاجته إلى الإتصال بالقطيع ، وخوفه من الإنعزال عنه . **وقليل من الأفراد هم الذين يستطيعون أن يقولوا الحق على ما فيه من خطر فقدان الصلة بالقطيع . وهؤلاء هم الأبطال الحقيقيون للجنس البشرى ، ولولاهم لكنا الآن ما زلنا نعيش فى الكهوف .**

أما بالنسبة للغالبية العظمى من الناس الذين ليسوا أبطالا ، فإن نمو العقل عندهم يعتمد على ظهور نظام إجتماعى يحترم فيه كل فرد إحتراما تاما ، ولا يكون السعى فيه للبحث عن الحقيقة معناه عزل الإنسان عن إخوانه ، بل يجعله يشعر بأنه شىء واحد وإياهم .

ويبدو أن الإنسان لن يبلغ هذه القدرة التامة على الموضوعية والتعقل ، إلا إذا قام مجتمع للإنسان يعلو على الإنقسامات الجزئية للجنس البشرى ، حيث يكون الولاء للوجود البشرى ومثله العليا .

وننتهى الآن من أقوال علماء النفس . ولكن لابد وأن نشير هنا إلى أن التفسير السابق ـ لعلماء النفس ـ قد أهمل فطرية وجود الله داخل النفس البشرية ، ولهذا لم يشيروا إلى هذه الفطرة من قريب أو بعيد . ولهذا قالوا :

أن " التحليل النفسى " قد برهن على الطبيعة المبهمة لعملياتنا الفكرية .

*حيث يرى علماء النفس أن " **قوة التبرير** " أو هذا " **التزييف العقلى** " هى إحدى الظواهر الإنسانية المحيرة أشد الحيرة . والواقع ، أنه لا يوجد إبهام ولا حيرة إذا ما تنبهنا إلى أن "فطرية وجود الله داخل النفس البشرية " ، هى فطرة قوية وواضحة على نحو عام . وبناءا على هذه الفطرة تصبح " عمليات التبرير الدينى " تمثل ـ فى الواقع ـ عملية دفاع الإنسان عن وجود الله فى داخل النفس البشرية ، وإدراكها بوجوده ليس إلا . وبهذا ينتفى الإبهام ، وتنتفى الحيرة التى تصيب علماء النفس .*

ولنا الآن وقفة للتأمل والتساؤل معا ... فإذا قلنا حسنا ..!! لقد أجاد علماء النفس فى وصف أو معرفة الدوافع الحقيقية وراء تبرير الأفراد لقبولهم لمثل هذه العقائد الوثنية ... لأن الأفراد كقطيع من الحيوانات ... يغلب عليهم طابع الإنتماء إلى القطيع على طابع الإنتماء إلى الله بدون وعى . أو كما يقول علماء الإجتماع بأن الإنسان أسير لوعيه الإجتماعى بشكل مطلق ، وبالتالى فهو يفعل ما يتوقعه منه الأخرون أن يفعله بغض النظر عن موضوعية ومنطقية هذا الفعل .

فإذا قلنا الان لا بأس ، فقد علمنا الان سبب تبرير الإنسان وقبوله بالوثنيات الفكرية عن الإله ... فماذا عن الموقف الإلهى نفسه ؟ ... فماذا عن الله الخالق (صاحب القرار) ... !؟ أيكفى أن يكون هذا " التبرير " عذرا مقبولا لدى الله ، لقبول المرء المنكر له ، أو لقبول المرء الذى يشرك معه ، أى يشرك مع " الله " إلها اخر ، ليتساوى فى ذلك مع فرد اخر قد عرف الله حق المعرفة ..!!؟؟ هل يعطى " التبرير " ، الإنسان الكافر أو الملحد أو الإنسان المشرك ، الحق الكافى لأن يأتى يوم القيامه ليتساوى مع آخر مؤمن بالله وعارف له ؟ بديهى ... لا ، كما نرى ذلك فى قوله تعالى :

[... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب (٩)]
(القران المجيد : الزمر {٣٩} : ٩)

[وأولوا الألباب هم ذوو العقول والفكر ...]

وفى قوله تعالى :

[... قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون (٥٠)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٥٠)

وحتى لا يداخل الإنسان أى شك فى عدم الإستواء بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وكذا لا يستوى الأعمى والبصير ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجمل هذا القول فى الايات التالية :

[وما يستوى الأعمى والبصير (١٩) ولا الظلمات ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا الحرور (٢١) وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور (٢٢)]

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ١٩ – ٢٢)

وهكذا تحسم القضية فى عدم التساوى ، ونرى فى الآيات الكريمة أن الفكر الإلهى المحيط هنا لا ينبهنا إلى عدم إستواء الأضداد فحسب ، بل ينبهنا كذلك الى عدم إستواء أفراد الضد الواحد . ففى قوله تعالى : (.. **وما يستوى الأحياء ولا الأموات** ..) تعنى أن الأحياء لا يستوون ، وكذلك الأموات لا يستوون ، كما وإن الأحياء والأموات لا يستوون . فالفكر الإلهى المحيط فى هذه الايات يشمل المعانى الكلية فى عدم إستواء أفراد المستوى الواحد ، كما يشمل عدم إستواء أفراد المستويات المختلفة أو الأضداد .

كما وإنه ليس هناك قدرية فى قوله تعالى : (.. **إن الله يسمع من يشاء** ..) ، بل هى المسئولية الفردية والحرية الشخصية فى السماع من عدمه . **فالمشيئه هنا متبادلة** ، بمعنى هى مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما وإنها مشيئة الفرد نفسه وحريته فى الإستماع . وسنكتفى هنا بهذا التنويه ، حيث أن القدرية (أى القضاء والقدر) سوف نتناولها بالتفصيل فى كتابات أخرى إن شاء الله .

إن الفرد المنكر لله ، والرافض لإعتناق الديانة الصحيحة لإنتمانه للقطيع ـ كما يقول بذلك علماء النفس ـ ثم يلجأ للتبرير للتعايش مع الوثنيات الفكرية التى يجىء بها الدين مثله كمثل التلميذ الفاشل ـ فى سنة دراسية ما ـ فبدلا من أن يعمل فكرة ويبذل قصارى جهده فى دراسة وتحصيل المواد المقررة ، نراه يضيع وقته فى البحث عن المبررات أو الأعذار الكافية ، التى سوف يقول بها عندما يرسب فى الإمتحان . ولنا أن نذهب إلى أبعد من هذا ، ونسمع إلى من يقول : ربما كانت هذه الأعذار حقيقية وراء عدم إستذكار التلميذ لدروسه . فربما كان من أسرة غير مستقرة أو ربما كان من أسرة فقيرة ، أو ربما فقد أحد والديه أو كلاهما فى حادث أليم جعله لا يستطيع

مواصلة دروسه !!!.... وقل ما شئت من الأعذار المقبوله ، وسنقول له ... حسنا قل ما شئت من الأسباب الحقيقية ...!! فهل ـ نحن بنى البشر ـ نأخذ بهذه الأسباب أو الأعذار ـ حقيقية كانت أو مزيفة ـ عند الإمتحان ...!!!

بديهى إننا ـ نحن البشر ـ لا نقبل بهذه الأعذار عند الإمتحان ، لسبب بسيط جدا ، وهو إننا لا يمكن أن نعطى إجازة (أى شهادة) فى الطب مثلا لطالب لا يعلم من أمور الطب شيئا ، أو لم يحقق المعرفة الكافية لعلوم الطب ، تحت دعوى أن ظروفه الشخصية كانت عصيبة للغاية لم يستطع معها أن يذاكر أو أن يحصل مادة الطب . إذ كيف أعطيه إجازة لممارسة المهنة ، وهو الذى سوف يكون مسئولا عن علاج أرواح بشرية وهو لا يجيد المادة ...!! ألا يمكن أن يؤدى هذا إلى إزهاق أرواح آخرين ...!! ثم كيف نعطى إجازة فى الهندسه لطالب لا يعرف من العلوم الهندسية شيئا ؟ ثم يقوم هذا الطالب بتصميم عمارة سكنية ضخمة لا تلبث أن تنهار وتدفن سكانها تحت أنقاضها .

وحتى إذا قبلنا نحن بهذا المبدأ ، فهل القوانين الفيزيائية الحاكمة لنا ولهذا الوجود تقبل بهذه الأعذار ... بديهى لا ... فالخطأ فى تشخيص المرض سوف يودى بحياة المريض ، كما وإن الخطأ فى تصميم المبنى سوف يؤدى إلى إنهياره ، ودفن سكانه تحت أنقاضه ...

فالقوانين الفيزيائية هى سنن سرمدية لن تجد لها تبديلا أو تجد لها تحويلا بدافع الشفقه على جاهل أو بدافع الرحمة بغافل ...!!!

وهكذا الخلاص الإنسانى ، ودخول الجنة يستلزم حد أدنى من الإيمان المبنى على العقل ، وإلا لما تم تركيب العقل ـ بهذا النحو ـ فى الإنسان ، إنها نفس القوانين السرمدية ، التى لا تتبدل ولا تتحول بدافع الشفقة على جاهل أو على غافل لا يستفيد من عقله ، ولهذا نجد قوله تعالى :

[... فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا (٤٣)]

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٤٣)

والسنة هى القانون السرمدى ، أى لا إستثناءات . وينبهنا الله ـ عز وجل ـ إلى أن مثل هذه الأعذار لن تقبل من الفرد يوم القيامة ، ولننظر الى الفكر الفطرى ، والمنطق الفكرى المتعالى فى قوله تعالى :

[وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤)]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

أى فلا أعذار ... (أنظر بند ٥ السابق لمزيد من شرح هذه الايات الكريمة) . ثم نأتى إلى أئمة الديانات الوثنية ، فهم لن يحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة فحسب ، بل سوف يحملون أوزار من أضلوهم واتبعوهم أيضا ؛

[ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون (٢٥)]

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٢٥)

[ألا ساء ما يزرون : ألا ساء الإثم الذى يتحملون]

ولننظر إلى الإحاطة الإلهية فى التعبير عند إستخدام كلمة (.. **ومن** ..) فى السياق القرانى (.. **ومن أوزار الذين يضلونهم** ..) ، لتعنى أن أئمة الدين ـ الوثنى ـ مسؤلون فقط عن وزر الإضلال (أى وزر إضلال الأتباع) وما يتبعها ، أما الأوزار العادية الخاصة بكل تابع فهى تقع على كاهله الشخصى هو ، وليس على كاهل الأئمة .
وقوله تعالى (.. **يضلونهم بغير علم** ..) يعنى أن جهل الأئمة أو حسن نواياهم ، لن يعفيهم من المسئولية ، وغير كاف لهم فى العفو عنهم أو إفلاتهم من العقاب .

وهكذا نؤكد للإنسان ؛ أنه ينبغى أن يدرك أنه أمام قوانين سرمدية لا تتبدل ولا تتحول بدافع الشفقة على جاهل أو الرحمة بغافل . وهكذا الخلاص الإنسانى ، ودخول الجنة يستلزم حدا أدنى من الإيمان المبنى على العقل ، وإلا لما ركب العقل ـ على هذا النحو ـ فى الإنسان .

إن " القضية الدينية " هى " قضية علمية " ، لذا لا ينبغى التعرض لها بجهل ، بل يجب التعرض لها بعلم كاف أو أن تترك لمن يستطيع أن يبين للناس ... على أسس حقيقية ... لا على خيال أو وهم أو فكر أسطورى ...!! وقد لعب أئمة الديانات الوثنية دورا أساسيا فى إضلال الأتباع أو الشعب ، فماذا يكون حسابهم ، إنهم فى النار ، ولن يعفىء هذا ـ أى دخول الائمة النار ـ الأتباع

أو الشعب من العقاب ... فهم فى النار أيضا ، وسوف يتبرأ كل منهما من الاخر يوم القيامة ، كما جاء فى قوله تعالى :

[... ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ – ١٦٧)

[وتقطعت بهم الأسباب : أى لن يقبل منهم أى أعذار أو أى تبرير لأسباب ضلالهم ، كما يمكن أن تستوعب كلمة " الأسباب " أيضا معنى الوصل الذى كان بينهم فى الدنيا من المودة ، أو الصلة فى الأرحام / حسرات : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

أهناك منطق فكرى وإحاطة علمية أبعد من هذا ... !!! إنها جزئية فقط من الدين . ومازلت أكرر ، إننا لسنا بصدد " **قضية تبشيرية بدين ما** " ، بقدر ما نحن بصدد " **قضية خلاص الإنسان نفسه** " ، ونجاته إذا ما حقق الغايات من خلقه .... فهل وعى الإنسان هذا ... وأدرك ذلك ..!!

١٣ ـ الدين والقصور الحالى فى تعريفه

عند تصفح كتب الديانات المختلفة ، وكتب علم الإجتماع ، فإننا لا نجد تعريفا محددا للدين . بل نجد تعاريف كثيرة مختلفة ومتباينة بدرجة تدعو للدهشة ، فنجد كل هذه التعاريف تعكس خبرات إجتماعية أو دينية خاصة للقائلين بها ، أو ربما تمثل تجارب ذاتية للكاتب أو الفيلسوف الذى يتناول القضية الدينية أو القضية الإجتماعية بالتحليل . كما يعكس البعض منها فكرا خاصا نابعا من تجربة صوفية يغذيها إلهام دينى خاص يحس به أو يدركه الفرد القائل به فقط [١٥٤] . كما نجد كذلك بعض هذه التعاريف لم يتجاوز الوصف الظاهرى لواقع الجماعة الدينية الموجودة فعلا ، وبهذا لا يتعدى التعريف ظاهر الفعل ، إلى الدوافع الحقيقية وراء هذا الفكر الدينى ، والإعتقاد فيه .

[١٥٤] التجارب الصوفية عموما هى خبرات ذاتية وخاصة ، لا يستطيع إدراك معانيها أو معانى كلماتها ـ بالمفهوم العريض لها ـ إلا صاحب التجربة أو من سلك طريقا مشابها لها . والطرق الصوفية لا تستلزم قدرات أو مواهب خاصة للفرد الذى يريد أن يسلك هذه السبل ، فكل المطلوب هو صحة النية والمثابرة فى السير إلى الطريق .

وعموما فإننا نجد جميع هذه التعاريف المتاحة للدين قاصرة عن إعطاء المعنى الحقيقى لـه ، كما نجد أن جميعها تشترك فى سمة أساسية واحدة هى :

" إضفاء الدور السلبى على " الإله " فى جميع هذه الصياغات "

بمعنى إننا نجد أن جميع هذه التعاريف تعنى فقط " **بما يعنيه الإنسان بالدين** " ، ولا تعنى " **بما يعنيه الله بالدين** " . كما تخلو جميع هذه التعاريف من أى قيود ملزمة ، أو أى قيود يجب توافرها فى النظام الفكرى ليكون دينا . ومن ثم ؛ إذا ما أضيف إلى هذه التعاريف القاصرة فطرية وجود الله فى النفس البشرية ـ كما سبق وأن بينا فى بند رقم ٧ السابق — فإنها تقود مباشرة إلى ظاهرة تعدد الأديان التى نراها عليه الآن .

فأنعدام الشروط الواجب توافرها فى الدين ، والإكتفاء بتعريف قاصر للدين ، تجيز أى " **نظام فكرى** " ـ مهما كانت المضامين الخاصة به — على أن يكون " **دين** " ، طالما أن هذا النظام يحوى " **المعبود** " أو " **الإله الخاص به** " ، كما يحوى قليلا من قوانين الأخلاق العامة ، حتى وإن كان ـ هذا النظام ـ مستغرقا فى كم هائل من الوثنيات الفكرية .

والنتيجة الطبيعية لهذا الفكر تنبع مباشرة من إعتيادنا الحديث عن " **أديان العالم** " أو حتى " **أديان العالم الكبرى** " ، حيث تجيز ـ بهذا الإعتياد — هذه النظم الفكرية كلها على أنها أديان [١٥٥] ، طالما أن كلا منها يحقق الشروط الفضفاضة والمفاهيم العامة جدا لهذه التعاريف القاصرة للدين . متناسين فى ذلك الإعتبارين الأساسين التاليين :

- ***إذا ما قلنا بإله واحد ، فبديهى لن يوجد إلا دين واحد ينبع من هذا الإله .***
- **وطالما الأمر كذلك ، لذا يجب أن يؤخذ فى الإعتبار المنظور الإلهى للدين .**

فبديهى أن الدين هو قضية مشتركة أحد طرفيها هو " **الله** " والطرف الآخر هو " **الإنسان** " . لذا فمن المتوقع أن يكون هناك منظور إلهى للدين ، إلى جانب المنظور الإنسانى له . بل أن المنظور الإلهى للدين هو المنظور الأهم ، حيث يقف الإنسان منه موقف المتلقى من الله —

---

[١٥٥] كلمة " **دين** " بالمعنى اللغوى الشامل ؛ يشمل الدين الصحيح وغير الصحيح ، وقد جاء هذا المعنى فى القرآن المجيد فى آيات كثيرة منها :

[أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ... (٢١)] (القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٢١)

وكقوله تعالى :

[لكم دينكم ولى دين (٦)] (القرآن المجيد : الكافرون {١٠٩} : ٦)

كما يسمح الإسلام بوصف أصحاب هذه الديانات المخالفة بأنهم أهل كتاب ، أى عندهم كتاب فحسب ولا يعنى هذا صدقه ، ولهذا لا يسمح بوصف أديانهم بأنها سماوية ؛ وذلك كما سنرى فى الفصل التالى .

سبحانه وتعالى - أو موقف المتطلع إلى الفكر الإلهى فى هذا الصدد . بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ، ونقول إذا ما عنى الدين بالإجابة على الأسئلة :

- **لماذا الدين ؟**
- **وماذا يريد الله ــ من الإنسان ــ بالدين ؟**

فإن الإنسان سوف يفقد دوره تماما فى تعريف الدين ، ويصبح التعريف كله منوط بالفكر الإلهى فى هذا الصدد . فالإنسان غير مؤهل فطريا (**By Default**) ، كما إنه غير مؤهل عقليا كذلك ، للتنبؤ بالمقاصد الإلهية فى هذا الإتجاه . كما وأن دوره محدد للغاية فى هذا الشأن ، كما سبق أن بينا فى بندى ٥ ، ٦ السابقين . لذا لزم أن يكون لنا هنا وقفة صدق مع أنفسنا ، لتتبع معنى الدين كما يفهمه الإنسان - إنسان نهاية القرن العشرين - وهل أصاب الإنسان فى فهمه للدين ، أم أن فهمه للدين مازال خطأ .

والآن ، فإن ما يعنينا فى هذه الفقرة ، فهو عرض أشهر التعاريف المتاحة للدين ، ومناقشة قصورها والنتائج المترتبه عليها . وليس فى هذا الأمر أى فلسفة كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، بل أن الأمر أخطر من أن يحسب . ففى الحقيقة ؛ أن الوضع المتردى للإنسان الان تجاه الدين ، من إعتناقه لوثنيات فكرية من جانب أو رفضه للدين من جانب آخر ، إنما مرده إلى النتائج المترتبة على الصياغة الخاطئة لتعريف الدين .
ونؤكد القول بأن حاضر الإنسان ومصيره يكونان معلقان بمدى فهم الإنسان السليم لمعنى (أو تعريف) الدين الصحيح ، وكذا فهم دور الدين فى هذه الحياة ، وكذا القصد الإلهى منه . فالإنسان لم يخلق بغير هدف أو معنى فى هذا الوجود ، كما سبق وأن رأينا فى قوله تعالى :

[أيحسب الإنسان أن يترك سدى (٣٦) ألم يك نطفة من منى يمنى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣٨) فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (٣٩) أليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى (٤٠)]

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ٣٦ – ٤٠)

إذن فالإنسان لم يخلق سدى [١٥٦] ، أى بغير هدف أو معنى ، هذا من جانب . ومن الجانب أخر نجد قوله تعالى :

[١٥٦] لن نتعرض هنا لما ورد ذكره من معان علمية فى هذه الآيات الكريمة ، ولكن نكتفى هنا بالإشارة إلى ضمير الغائب فى كلمة " منه " فى الآية الكريمة " **فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى** " ، لنرى أن " منى الرجل " أساسا ، هو الذى يحدد نوع الجنين من ذكر أو أنثى . وهى حقيقة علمية لم تكتشف إلا حديثا جدا ، وقد أشار إليها القرآن

[وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)]

(الأنبياء {٢١} : ١٦ – ١٨)

[يدمغه : يهلكه / زاهق : مضمحل / مما تصفون : مما تصفون به الله]

يؤكد على أن قضية الخلق بصفة عامه ، ومنها قضية خلق الإنسان بوجه خاص ، يجب أن يفهم أن لها حكمة إلهية متعالية ، وغايات محدده . فهي ليست لهوا أو عبثا إلهيا ، فإن مثل هذا التجاوز الفكرى الخاطئ مرفوض تماما ، لأن هذا الفكر يتناقض تماما وفكر الكمالات الإلهية الواقعة . لذا لزم التنويه بالوعيد فى الاية الكريمة السابقة (**.. ولكم الويل مما تصفون**) ، يا من تتقولون بهذا ، وتصفونْ به الله من تجاوزات فى الفكر ، وبمعانى لا تليق بهذه الذات .

والان إذا ما ذهبنا إلى تعاريف الدين المختلفة عند الغرب ، فإننا نجد أن موسوعة أديان العالم [١٥٧] تتبنى تعريف الدين كما جاء به قاموس أكسفورد ، حيث يعرف الدين على أنه :
" ***التسليم أو الإعتراف بوجود قدرة متحكمة فوق بشرية ، وخصوصا الإله ذو الطبيعة الواعية ، وهذه القدرة تدعى الحق فى إطاعتها*** [١٥٨] "

فكما نرى ، فأن هذا التعريف لا يفيد من قريب أو بعيد فى تحديد طبيعة تلك القدرة الفوق بشرية وماهيتها ، ولم يقل لنا التعريف ، هل هذه القدرة هى التى خلقت الإنسان ، أم أن الإنسان مخلوق بغيرها . وهل هذه القدرة خالقة ـ بوجه عام ـ أم هى قدرة مخلوقة بدورها . كما لم يقل التعريف بوجود أى كمالات لهذه القدرة ، أم إنها قدرة خالية من الكمالات . وطاعة هذه القدرة ـ كما يبدو من التعريف ـ هى طاعة إختيارية ، وليست ملزمة للإنسان . كما لم يقل لنا التعريف على ماذا نطيع هذه القدرة .

المجيد بحرف واحد هو الـ " الهاء " فى كلمة " منه " ، وهذه هى النصوص الإلهية ، وهذا هو الإحكام الإلهى فى السرد . وسنأتى إلى مزيد من التفاصيل العلمية فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

١٥٧
" World Religions, From Ancient History to Present ", Geoffrey Parrinder, New York : pp. 9 .

١٥٨ صياغة هذا التعريف عن الدين باللغة الإنجليزية هو كالنحو التالى :
" The recognition of superhuman controlling power , and especially of a personal God , entitled to obedience " .

وتعريف الدين على هذا النحو يعطى الشرعية الكاملة لكل الأديان بالتواجد على المسرح الإنسانى ، أو الساحة البشرية بدون إستثناء ، لأن جميع الأديان تحقق مضمون هذا التعريف . ففى داخل كل دين يقول الأتباع بوجود مثل هذه القدرة المهيمنة ، وبهذا تصبح كل الأديان صحيحة من وجهة نظر هذا التعريف ؛ ولتبق مشكلة تعدد الأديان ـ القضية الأزلية ـ قائمة كما هى الان .

أما إذا إنتقلنا إلى التعريف الأمريكى للدين كما جاء فى " قاموس الميراث الأمريكى : The American Heritage Dictionary " ، فإننا نجده يقول بأن **الدين** هو :

" الإيمان فى والشعور بالورع تجاه قدرة فوق الطبيعة ، يعترف بها بأنها القدرة الخالقة والمتحكمة فى هذا الكون [١٥٩] "

وربما كان هذا التعريف أكثر تخصيصا من سابقه ، إذ ربط الدين بالإيمان بخالق ، وإن هذا الخالق هو المتحكم فى الكون . وعلى الرغم من هذا التحديد فى المعنى ، إلا إنه لم يختلف كثيرا عن سابقه . فهو لم يحدد لنا ماهية هذا الخالق وطبيعته . كما وإنه لا يضيف جديدا للفكر البشرى تجاه الدين . فالقول بوجود الإله الخالق ، وإن هذا الإله الخالق هو المهيمن على هذا الكون ؛ هو قول موجود فى كل الأديان ، والأتباع (أو الشعب) فى كل الأديان يؤمنون بهذا .

بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ونقول أن العرب قبل نزول الإسلام ، كانوا قوم شرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يعتقدون بأن الله هو الخالق لهم ولهذا الكون ، لقوله تعالى :

[ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون (٦١)]

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٦١)

[فأنى يؤفكون : تعنى كيف إذن يصرفون عن توحيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ مع إقرارهم بهذا كله]

ولكن الأصنام هى التى كانت تعبد وليس الله ، فقد كانوا يعتبرونها الوسيلة التى تقربهم إلى الله زلفى (أى قربا) ، وترفع درجتهم ومنزلتهم عنده ، لقوله تعالى :

---

[١٥٩] وصياغة هذا التعريف باللغة الإنجليزيه هو كالآتى :
" Belief in and reverence for a supernatural power recognized as the creator and governor of the universe . "

[... والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ... (٣)]
(القرآن المجيد : الزمر {٣٩} : ٣)

وعلى هذا فإن التعريف الأمريكى لا يحدد لنا ديانة ما ، بل حتى لا يستطيع أن يستثنى الفئات المشركه ، وعبدة الأصنام من الإنضمام تحت لواء الدين بهذا المفهوم . ولتتساوى إذن الأديان أمام هذا التعريف ، ولتبق مشكلة التعدد (تعدد الأديان) قائمة بلا حل ... !!!

وإذا كانت هذه هى التعاريف القياسية والمعتمدة لدى أهل الغرب ، فما هى تعاريف الدين لدى العلماء والفلاسفة . يقول عالم الإجتماع " **أميل دوركايم** " [١٦٠] فى تعريفة بأن :

" الدين هو مجموعة متساندة من الإعتقادات والأعمال المتعلقه بالأشياء المقدسة ؛ إعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية واحدة تسمى الملة "

وهو تعريف مشابه إلى حد كبير ، ما جاء به قاموس وبستر الموسوعى [١٦١] . فكما نرى ، أن أميل دوركايم ، قد حذف من هذا التعريف فكرة الله تماما ، أو فكرة الخالق من مفهوم الدين ، حيث لم يقل لنا بتعريف ماهية وطبيعة الأشياء المقدسة . وبهذا لا تتساوى الأديان فقط أمام هذا التعريف ، بل يضم هذا التعريف أيضا المذاهب الفكرية الأخرى ، من إلحاد وعلمانية ومادية ... وما إلى ذلك من المذاهب المختلفة ، طالما أن المذهب الفكرى يحوى إعتقاد ما لمجموعة من الأفراد التابعين له ، وطالما أنه يمكن إسناد القدسية - بالتعريف - لهذا الإعتقاد . وهذا التعريف يلتقى فى مفهومه أيضا مع ما قال به "**سالمون ريناك** " ، فالدين عنده :

" هو مجموعة من التورعات التى تقف أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا "

فهذا التعريف لم يكتف بحذف فكرة الإله أو الخالق من الدين ، بل ويجعل من الدين قيودا مفروضة على الإنسان ، مما يوحى بضرورة التخلص منه . ولا ندرى - من وجهة نظر ريناك -

---

[١٦٠] **أميل دوركايم** : **Emile Durcheim** (١٨٥٨ - ١٩١٧) فيلسوف فرنسى (يهودى الديانة) . أحد مؤسسى علم الإجتماع الحديث .

[١٦١] " ***قاموس وبستر الموسوعى المطول*** : ***"Webester's Encyclopeidc Unabridged Dictionary*** ، ويأتى أحد هذه التعاريف فيه كالنحو التالى :

" هى مجموعة من الإعتقادات الأساسية والممارسات ، التى يتفق عليها بصفة عامة عدد من الأفراد أو الطوائف ، مثل الديانة المسيحية :

A specific fundamental set of beliefs and practices generally agreed upon by a number of persons or sects : ***the Christian religion*** . "

من الذى فرض هذه القيود . هل الإنسان نفسه ، أم أن قوى أخرى علوية هى التى فرضت عليه مثل هذه القيود .

وعموما فإن تعريف الدين لدى كل من أميل دوركايم ، وسالمون ريناك يجعل من كل المذاهب الفكرية الأخرى أديانا . وهما بهذا يؤكدان ـ بدون قصد ـ عدم مقدرة الإنسان الإنفصال عن الدين والتدين . فإن لم يجد الإنسان بغيته المنشودة فى دين يرضى ذكاؤه وفطرته ، فعليه أن يذهب للبحث عن الدين والتدين فى مذهب فكرى قاصر لعله يملأ الفراغ النفسى الذى يتركه الدين والحاجة للتدين فى النفس الإنسانية .

فإذا إنتقلنا إلى الفيلسوف الألمانى " **كانط** [١٦٢] " فى كتابه " الدين فى حدود العقل " نجد أن تعريف الدين لديه يقول بأن :

" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية "

ولم يحدد لنا " كانط " ماهية الأوامر الإلهية . فإن أحسنا الظن ، فربما يقصد الجانب الأخلاقى فى الدين ، أو الضمير الفطرى الأخلاقى فى الإنسان . وفى هذا التعريف لا نجد كلمة واحدة قيلت عن الإله ، سواء تعدد أو تنزه أو توحد . وهو بهذا التعريف لم يضف جديدا إلى تعريف الدين والتدين ، ولم يمنع وثنيات أخرى من أن تنضم إلى الدين . فنحن نعلم أن جميع الأديان وثنية كانت أو وضعية ، لابد وأن تشغل الأخلاق حيزا فيها أو جانبا منها .

ويقول " ماكس ميللر " فى تعريفه للدين أن :

" الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائى ، هو حب الله "

كما يقول بمعنى مشابه لهذا " روبرت سبنسر " ، فيعرف الدين بأنه :

" الإيمان بقوة لايمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية "

وربما نلمس فى هذين التعريفين مسا خفيفا للإدراك الفطرى لدى الإنسان عن " وجود الله " . ولكن هذه الأقوال ليست تعريفا للدين بقدر ما هى إنفعال ذاتى "بالحضرة الإلهية " ، أو بمعنى

---

[١٦٢] عمانويل كانط **Immanuel Kant** (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : فيلسوف ألمانى . يعتبر أحد أعاظم الفلاسفة فى جميع العصور .

اخر الإحساس الفطرى بوجود الله فى النفس البشرية . فإذا ما قبلنا بهذه التعريفات للدين ، فإننا نستطيع أن نقول بأنها تعريفات غامضة تفرض على معتنقيها أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ، ولا تتصوره أذهانهم ، وهما بهذا ينفصلان بالعقيدة عن العقل .

وربما كانت هذه أشهر التعاريف المتاحة للدين لدى الحضارة البشرية . والان إذا ما إستثنينا تعريف كل من أميل دوركايم ، وسالمون ريناك للدين ؛ وهما التعريفان الذان يسويان بين الأديان والمذاهب الفكرية المختلفة ؛ فإننا نجد من منظور التعاريف المتاحة ، أن كل دين يحوى " إلهه " أو القوة العليا المهيمنة الجديرة بالعبادة والطاعة . وبالتالى فإن الجماعة ليست مضطرة لمغادرة هذا الفكر للبحث عن الإله فى ديانة أخرى لعبادته . فإذا ما أضفنا إلى ذلك قبول الجماعة لمبدأ الميثولوجى (**Mythology**) ، أى إسطورية الدين أو إسطورية الدين والإله معا ، فإن " القضية الدينية " تصبح " قضية غيبية " تحكمها قوانين ميتافيزيقية (**Metaphysics**) لا تمت للواقع الفيزيانى بصلة . وبذلك يصبح الدين من هذا المنظور " **بناء أسطوريا** " متكاملا ، يرضى العامة أو الغالبية البسيطة ، حتى وإن ترك باب الشك والرفض مفتوحا على مصراعيه لدى القلة المفكرة .

ومن جانب آخر ؛ يصبح الإنتقال من ديانة إلى ديانة أخرى – من الناحية الفكرية – موضوعا غير ذى قيمة ، فالفكر الأسطورى (أو الميثولوجى) هو الفكر السائد فى كل الأديان . حتى وإن وجد بعض الخلافات فى بعض المضامين الدينية ، فإنها غالبا ما تكون غير ذى قيمة أو بال أو ما إلى ذلك . ونصبح - الان - كمن **يقايض فكرا أسطوريا بفكر أسطورى آخر** ، ويصبح الموضوع برمته - إذن - غير موضوعى . ومن ثم يصبح الإنتقال من ديانة إلى ديانة أخرى - من الناحية الإجتماعية - مغامرة بلا عائد . وتصبح القدرية هنا ملزمة لفكر الفرد ، ويصبح من الأمان عدم مغادرة الفرد لفكر الجماعة - على الأقل - لتجنب المشاكل الإجتماعية الناجمة عن هذا ، ونبذ المجتمع له .

ولا غرو (ولا عجب) بعد ذلك أن تصبح الأديان - بهذه التعريفات القاصرة - كالجزر المستقلة فى محيط لانهائى ، لا يمكن الربط بينها ، حيث يحوى كل منها على الإله المعبود وبعض من مكارم الأخلاق فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية ، وبذلك يصبح الفرد أسيرا لوجوده فى الديانة (أيا كانت) ، حيث يفقد التوجه الصحيح الى " الله " والذى يعتبر (هذا التوجه) – كما سنرى - العلة الغائية من خلق ووجود الإنسان وأساس خلاصة ومصيره .
وليس هذا كل عيوب التعريف القاصر للدين ، بل هناك سمة أخرى لا تقل خطورة عما سبق ذكره ، وهى إيجاز (أى جواز تمرير) الأديان الخاطئة . فالتعريف القاصر للدين لا يجعل من

العسير فقط بل ومن المستحيل أيضا وضع الشروط والمقاييس (**The measures**) اللازمة لتحديد هوية الديانة الحقة من بين الأديان الباطلة .
وعدم وجود مثل هذا المقياس يجعل الحكم على الأديان عشوانيا وشموليا ، حيث تصبح المقارنة بينها دربا من المستحيلات ، طالما لا يوجد المعيار المطلق او المعيار الصحيح لإدراك الحقيقة فيما بينها . وبهذا يتساوى الخطأ بالصواب ، وتضيع الحقيقة برمتها أو كلية من بين يدى الإنسان ، ليقف الإنسان عاريا تماما ... ووحيدا تماما ... لا يغلفه إلا العجز فى هذا الوجود . **ويحكم مصيره الصدفة البحتة وحدها فى تواجده داخل الديانة الصحيحة منذ ميلاده .**

وكما سنرى إننا كلنا نشارك فى هذه المسئولية ، فالأخوة الإنسانية تحتم علينا ، كما يحتم علينا ذلك أيضا " الله " ، فى أن نتساند ـ كما تساندنا فى مجال العلم والتكنولوجيا ـ لإدراك الحقيقة الكلية .... وعلى الرغم من البساطة الشديدة لإدراك هذه الحقيقة ، إلا إنها بعيدة المنال لعدم إدراك الإنسان للمعنى الحقيقى أو المفهوم الصحيح للدين ، وبالتالى خطوه فى صياغة التعريف الخاص به .

وعلى الإنسان أن يتنبه ـ وسوف أكرر ذلك مرارا على مدار الكتاب ـ أن القضية التى أعرضها فى هذا الكتاب ليست " **قضية تبشيرية** " ، كما قد يظن البعض ، أو يتراءى للبعض الاخر ، ولكنها قضية جوهرية تتعلق بوجود الإنسان ذاته ومصيره هو .... فالإنسان (مستقلا) هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود ... مالم يدرك هذه الحقيقة ... فالإنسان مغادر لهذه الحياة ... مغادر لهذه الحياة ... طال عمره أو قصر ... وسيواجه بالحقيقة المطلقة ... وسيفاجأ بأنه لم يمت ... **ولكنه إنتقل فقط من الفصل الأول من السيناريو الإلهى إلى الفصل الثانى من نفس السيناريو** ... ليحاسب على ما فعل بعقله الذى أودعه " **الله** " فيه . فالإنسان يتم إختباره فى هذه الحياة فى قضية دون مستوى ذكائه الفطرى (**The default Intelligence**) بكثير ، الذكاء الذى ركبه الله فيه لحكمة التعرف عليه (أى التعرف على الله خالقه) ، وكان عليه أن يجتاز هذا الإختبار بنجاح ... فهل نجح الإنسان فى هذا الإختبار ... ؟؟!!

ولينصت الإنسان ، إلى صوت العقل والمنطق الفكرى المتعال ، بلا غيبيات ، إلى قوله تعالى :

[وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (١٧٠) ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون (١٧١)]

(البقرة {٢} : ١٧٠ - ١٧١)

[ألفينا : وجدنا]

وفى إيجاز شديد نقول ... بديهى إن المنطق الفكرى فى هذه الآيات الكريمة فى متناول الجميع . فالقرآن المجيد يقول ... لأصحاب الديانات الوثنية ... للكفرة ... للملاحدة ... لأصحاب المذاهب الوضعية .. (.. **اتبعوا ما أنزل الله ..**) ، فيقولوا : (.. **بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا ..**) أى نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . فما الموقف إذن لو (.. **كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ..**) ، أيكون هذا منطقيا ؟ ... أو هل هذا هو العقل ؟ ... بل هل هذا هو الإنسان ؟ أنتبع الاباء حتى لو كانوا قد فقدوا عقولهم أو كانو ضالين ...!! أنتبعهم على الرغم من هذا ...!! فليتبعهم الإنسان إذن ، وليجنى على نفسه ، وعليه أن يدفع الثمن ... ثمن هذا الضلال ...!!!

ويضيف القرآن المجيد أيضا وبطريقة ضمنية ، فى الآيات السابقة ، أن التبرير لأى كفر (مثل برهان الملحد أو الشيوعى أو العلمانى أو الوجودى على عدم وجود الله ، أو قبول أصحاب الديانات الوثنية لدياناتهم) كمن يتكلم بما لايسمع ، لأنه لو عقل ما كان ليقول به ....

وإستخدام المولى عز وجل لكلمة (.. **ينعق ..**) ـ فى الآيات السابقة ـ لها دلالة أعمق من تحاط ، فـ " **النعيق** " هو " **صوت البوم** " ، والبوم لا تجده إلا فى الخرائب . وهكذا يصبح صوت الإنسان القائل بالبراهين الدالة على عدم وجود الله أو القائل بتبرير الديانة الوثنية ، هو شاهد صدق على أن عقله وفكره ونفسه قد خربوا جميعا ...!!! ليصبح الإنسان من الخرائب . وهكذا قد خرب الإنسان ـ بهذا ـ نفسه بنفسه ...!!! وأنظر إلى الترتيب المحكم فى الآية الكريمة (... **صم بكم عمى فهم لا يعقلون**) ؛ فالبكم نتيجة طبيعية للصمم ، وتقديم الصمم على العمى له دلالة عميقة . فالأصم يفقد الكثير الذى لا يفقده الأعمى ...

هذا ـ فى عجالة مختصرة إختصارا شديدا ـ بعض من الفكر الإلهى المحيط ، فى آيتين فقط ... من آيات القرآن المجيد . فأى تطاول بعد هذا ... من إنسان بلغ منه الضعف مداه ... وكساه العجز من كل إتجاه ... ومع ذلك فهو يعرض عن رحمة الله التى يهديها إليه ... كما جاء فى قوله تعالى :

[يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨)]

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ٢٨)

ولا نملك إلا التذكير بقوله تعالى للإنسان :

[ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فبأى حديث بعده يؤمنون (٥٠)]

(القرآن المجيد : المرسلات {٧٧} : ٥٠)

لعلنا نجد من يتذكر أو يخشى .

١٤ ـ قانون الخلاص الفطرى

فى الواقع ؛ تأتى كلمة خلاص (salvation) - فى الفكر الغربى - بمعنى تحرير النفس البشرية وتخليصها من الخطيئة . كما تأتى هذه الكلمة أيضا بمعنى النجاة . ويعتقد الإنسان فى أن النتيجة الطبيعية للنجاة أو لهذا الخلاص هو السعادة المأمولة للإنسان فى حياة تدوم إلى الأبد . ويختلف مفهوم الخلاص للإنسان إختلافا جذريا من ديانة إلى أخرى .

ففى الديانة البوذية ؛ نجد أن الخلاص ؛ يتمثل فى التخلص من تكرار مولد الإنسان على هذه الأرض ، والوصول إلى حالة من السكون - أشبه ما يكون بالعدم - وتسمى هذه الحالة : بحالة " **النرفانا** " . فالبوذية تؤمن بتناسخ الأرواح ، أى تكرار المولد فى حيوات متكررة . وتعتقد البوذية أن أداء الإنسان يترقى فى الحيوات المتكرره . وعندما ينجح الإنسان فى القضاء على الأنانية ، والتحرر من الهوى وسلطان النفس ؛ ويفقد رغباته فى كل شىء ، **حتى يكون أقرب ما يمكن إلى الجماد منه إلى الحيوان** [١٦٣] ، هنا فقط يتوقف تكرار مولده ، حيث لا يكون هناك داع لهذا التكرار بعد أن أصبح - الإنسان - على هذا الوضع الجمادى ، ويكون له الحق الآن فى السكون الأبدى ، الذى ينتهى به إلى حالة من العدم أو الفناء التام .

---

[١٦٣] لكى نعطى فكرة عن متى يتوقف تكرار المولد فى الديانة البوذية ، نورد هنا بعض مقتطفات من الأدب الهندى التى تبين هذا الفكر :

" عاشت باسودهرا - زوجة غوتاما بوذا مؤسس الديانة البوذية — فى كوخ على مدخل مدينة (راج غاها) ، .. ، وكان إبنها الوحيد "راهولا " يكلمها مرة واحدة فى السنة ، أما السيد المبارك (يعنى بوذا) فكانت لا تراه . وعندما توجه السيد إلى التل ليحرك عجلة الإرشاد أمام الجمع ، بالقرب من الكوخ ، وليس معه إلا " أنندا " إبن عمه ومريده الأول ، فقال له السيد : يا " أنندا " ، لقد حانت ساعة " باسودهرا " - أى إقتربت لحظة موتها - " . وهنا إنتهز " أنندا " الفرصة ، وأجابه وهو يرتعد : ألا يرى السيد أن يتكلم معها ؟
فأبدى السيد موافقته دون أن يفوه بكلمة .
وفى الكوخ وجدا عجوزا شمطاء حليقة الرأس ذابله ، عيناها كالسراج الذى نضب زيته ، خائرة القوى ، ترتعد ، وهتفت لزوجها قائلة : قد أطاعت الأمة سيدها ، ودخلت النظام منذ أن أذن لها ، والحمل ثقيل الذى حملته أضعه الآن على الأرض ، إنه لم يبق فى نفسى بذر للحياة . وسقطت فاقدة النطق .
قال " أنندا " : إنها وصفت حملها بأنه ثقيل ، هل كان لها أن تتكلم بمثل هذا إن كانت تريد النجاة ؟
وأجابه " كانا " أحد المريدين : إنها ماتت حيث تولد من جديد .
واستأنف بوذا سيرة ومعه تلاميذه ومريدوه . "
[عن " أديان الهند الكبرى / الهندوسية - الجينية - البوذية " الدكتور أحمد شلبى - ص ١٥٠ وما بعدها ، وهى مأخوذة عن ثقافة الهند (مارس ١٩٥٠) ص ١٢٤ وما بعدها] .

وهكذا نرى أنه ما كان ينبغى لـ " باسودهرا زوجة بوذا " أن توصف حملها أى حياتها بالثقل ، على الرغم من التقشف البالغ والقسوة الشديدة التى كانت عليها ، وبالتالى لم تستحق الخلاص وبالتالى لم تستحق النجاة ، هذه هى البوذية والخلاص فى البوذية ، فهو سلوك أو طريق غير معرف ، لرؤية تكاد تكون معدومة عن وجود فى الدرك الأسفل ، ومصير جمادى . ثم تكرر حياتها وهى لا تدرى عن هذا شيئا ؟ حتى تستطيع تصحيح ما فات ...!!!

وفى الواقع ؛ يمثل هذا الإعتقاد حالة من نضوب الفكر والقدرة الإلهية . فكما يبدو من هذا الفكر ، إن الإله ليس لديه إلا الأرض ، والحياة المألوفة عليها بصورها المختلفة ـ فكما يبدو إن هذا كل ما يملكه الإله ـ حيث يقوم الإله بعقاب الإنسان وإثابته بتكرار ما يعرفه ، ثم ينتهى ـ الإله ـ بالإنسان إلى لا شيء أو إلى حالة من الفناء أو العدم . وليت الإله يعيد مولد الإنسان بذاكرة [١٦٤] عن الحيوات السابقة حتى يستطيع الإستفادة من خبراته السابقة ويتجنب الوقوع فى أخطائه مرة أخرى ، ولكن هذا لا يحدث ، وبالتالى تتكرر الحيوات وليس بينها أى إتصال ويبقى الإنسان فى دوراته هذه بدون أن يدرى ماذا يفعل به . وهكذا بإختصار شديد يقول الفكر البوذى بأن الله قد خلق الإنسان ، لكى يجعله يعيش فى سلسله من العذاب المتواصل ، ثم يفنيه بعد هذا .

أما الخلاص فى الفكر المسيحى ، **فإنه يأتى بمعنيين** : أما المعنى الأول : ويأتى فى العلم المسيحى (**Christian Science**) [١٦٥] على أنه :

" إدراك وإظهار أن الحياة والحق والحب هى قدرات أو هى قوى عليا مهيمنة ، تحمل معها التدمير لأوهام الخطيئة ، والمرض ، والموت " [١٦٦]

وهو تعريف لا يحوى إضافة فكرية ما ...!!! فماذا بعد أن يدرك الإنسان " **أن الحياة والحق والحب أقوى من الخطيئة والمرض والموت** " ، فهل سيكون سعيدا ، أم ستقوده هذه المعانى إلى السعادة الأبدية والخلود المنشود ؟ وهل إدراك أن الحياة والحق والحب هى قدرات عليا ، سوف يجعلنا نتخلص من الموت ...؟! أى لن يموت الإنسان ؟ أم أن المقصود بالحياة ـ فى هذا التعريف ـ هى حياة ما بعد الموت ؟ وعموما فإنه تعريف قاصر ، كما لا يؤدى إلى معنى مباشر .

---

[١٦٤] القول بوجود بعض أفراد ـ تعد على الأصابع على مستوى الوجود البشرى ـ تدعى بأنها قد عاشت فى مكان ما سابقا ، وتستطيع توصيف هذا المكان بدرجة معقوله من الدقة ، يفسر أو يندرج تحت فكر " هيمنة الروح السابقة على هذا الفرد وهى مصدر معلوماته " . والأمثلة الدالة على هذا موجودة فعلا ، منها على سبيل المثال : " الشاب ماثيو مانج : Matthew Manning " ذو الملكات غير المألوفة ، والتى يستطيع **مشاهير الرسامين السابقين** ، إستخدام يديه وحتى رجليه ، لرسم بعض لوحاتهم (وقد عرض هذا فى التلفاز وهو يقوم بالرسم برجليه فى أثناء هذه الهيمنة) . وهناك مثال اخر ؛ هى السيدة قرينة الدكتور سعد سلامة ، والتى أملى عليها أمير الشعراء " **أحمد شوقى** " ديوان كامل له من العالم الاخر ، تناول فيها أحداثا كثيرة تمت بعد وفاته ، كما أملى عليها أيضا الشاعر **حفنى ناصف** بعض قصائده من العالم الآخر، ولم تدعى هذه السيدة فى الحالتين بأنها أحمد شوقى أو حفنى ناصف ، ولكنها تقول بأنها تتمع بموهبة " الجلاء السمعى : Clairaudience " ليس إلا ، وهى تستطيع بهذه الموهبة سماع كل من الشاعرين أحمد شوقى ، وحفنى ناصف من العالم الآخر . (أنظر كتب الدكتور رءوف عبيد عن الروح ؛ بقائمة المراجع الرئيسية) .

[١٦٥] قاموس الميراث الأمريكى : The American Heritage Dictionary

[١٦٦] الخلاص فى العلم المسيحى (Christian Science) يأتى معناة بالإنجليزية (أنظر المرجع السابق) كالتالى :
"The realization and demonstration of Life. Truth, and Love as supreme overall. carrying with it the destruction of the illusions of sin, sickness. and death . "

والمعنى الثانى للخلاص : يأتى فى فكر العقيدة المسيحية (Theology) [١٦٧] ، على إنه :

" ***تحرير الإنسان أو روحه من هيمنة الخطيئة وذلك بالفداء*** " [١٦٨]

وسوف نأتى إلى شرح هذا المعنى بالتفصيل فى الباب التالى ، ولكن سنكتفى بأن نشير هنا إلى أن :

" ***تحرير الإنسان*** " تعنى تخليص الإنسان من بين براثن الشيطان . فالشيطان ، بموجب خطيئة ادم ـ أصبح يملك إماتة الإنسان ، حيث وقف الإله أمام الشيطان عاجزا لا يستطيع أن يسترد الإنسان أو أن يخلصه من بين براثنه . والمانع من هذا ـ كما يقول به أهل العقيدة ـ أن عدل الإله يمنع تخليص الإنسان بشكل مباشر ، ولكن يمكن للإله تخليص الإنسان بشكل غير مباشر ، أنظر ظاهرة التبرير ـ بند ١٢ . وكما سنرى حالا ـ فى الفصل التالى ـ فإن سلطة الموت كانت لدى الإله أولا ، قبل أن يخطىء ادم . فلما أخطأ ادم فقد الإله هذه السلطة ، حيث إنتقلت هذه السلطة ـ تلقائيا ـ من بين يدى الإله الى يدى الشيطان ، وهكذا أصبح الإله بلا سلطة لإحياء الإنسان .

أما " فكرة الفداء " ـ فى التعريف السابق ـ فهى تمثل " العملية " التى قام بها الإله لإسترجاع سلطته التى سلبها منه الشيطان . وهذه العملية قد شابها ـ كما سنرى ـ كثير من الغش والخداع من جانب الإله . ولا ندرى ـ على وجه الدقة ـ هل كان القصد الإلهى من وراء ـ عملية ـ الفداء هذه ... هو إسترجاع سلطته المسلوبة ، وذلك لإنقاذ كبريائه ، وكرامتة من بين براثن الشيطان ، بعد أن قام الشيطان بسلبه هذه السلطة الأساسية على الإنسان . أم كان القصد الإلهى من قيامة بعملية الفداء هذه هو حبه للإنسان ... وللإنسان فقط ...!!! حيث لم يكن ليهتم كثيرا فى أن يبقى إلها بلا سلطة ، لولا حبه للإنسان هو الذى دفعه لإسترجاع هذه السلطة (أى سلطة الموت المسلوبه منه) ، وذلك حتى يتمكن من إحياء الإنسان .

وعموما فإن أهل العقيدة يقولون بالأخيرة ، أى أن " الفداء " هى العملية التى بذلها الإله ـ خصيصا ـ من أجل الإنسان ومن أجل حبه له ، إذ لا يهم كثيرا كبرياء الإله الان وكرامته ، حيث قد أراق ماءهما الإنسان ـ فعلا ـ على مذبح الحب الإلهى .

---

[١٦٧] قاموس الميرات الأمريكى : The American Heritage Dictionary

[١٦٨] الخلاص فى فكر العقيدة المسيحية (Theology) يأتى معناة بالإنجليزية (أنظر المرجع السابق) كالتالى :
" The deliverence of man or his soul from the power or penalty of sin ; redemption "

والآن ؛ وبعد الإعتقاد فى هذا الخلاص ، ماذا أعد الإله بعد ذلك للإنسان ؟ وهو الذى ضحى بالكثير من أجله (من أجل حبه للإنسان) ...!!! لاشيء يذكر ... فلم يعد الإله للإنسان شيئا ... غير مصير مترد وفى غاية فى الإبهام ...!!! هذا إن وجد ...!!! ولكن كيف هذا ؟ إسمع ... فقد جاء الإله [١٦٩] فى الآخرة على إنه :

" خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله المرسله الى كل الأرض [١٧٠] " ...!!!

وجاء الخلاص (فى الآخرة) ؛ على أن يقف الأنسان أمام الخروف (إلهه) ، ليصرخ بصوت عظيم قائلا :

[... الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف [١٧١]]

ولن يجوع الإنسان بعد ذلك ولن يعطش ...!!! لماذا ..؟؟!!

[لأن الخروف الذى فى وسط العرش سوف يرعاهم (أى يرعى الأبرار من بنى البشر) [١٧٢]] .

وليتبع الإنسان الخروف حيثما ذهب [١٧٣] ..!!! فهذا هو الخلاص ...!!! ولا ندرى ... هل يملك الإنسان علما آخر غير هذا التردى ....!!! لنكرر - على مسمع الإنسان - قوله تعالى فى القران المجيد :

[... هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨)]
(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨)

[تخرصون : تكذبون فيه]

وعلى الرغم من هذه الصور الوثنية الهزيلة والقاصرة لإعطاء معنى معقولا عن " الخلاص الإنسانى " الذى تقدمه هذه الأديان للإنسان ، إلا إننا نجد أن التمسك به (أى التمسك بفكر الخلاص هذا) كمنهاج من أوضح ما يمكن لدى الإنسان ، حيث يمثل هذا المنهاج جزءا لا يتجزأ

---

١٦٩ لا يمكن الزج بلفظ الجلاله " الله " فى هذه الوثنيات ، كما سبق وأن نوهنا .
١٧٠ (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح الخامس : ٦) - أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
١٧١ (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٠) . كما يجب ملاحظة أن الإنسان بطلب فى صراخه هذا " الخلاص " للإله . فكما سنرى - فى الفصل التالى - أن الإله هو الأخر محتاج للخلاص ، وليس الإنسان فقط . ولا أملك غير أن نقول ... " دعنا نمرح ... فنحن بلهاء ... فالدين هكذا ...!!! "
١٧٢ (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٧)
١٧٣ **[هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار . هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب ...]**
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح الرابع عشر : ١٤)

من الفطرة البشرية ، التي يرجو معها الإنسان الأمل المنشود والسعادة المرجوة في الدار الآخرة .

ولهذا نجد أن هناك إجماعا ـ فطريا ـ لدى أهل الديانات المختلفة جميعا ، مهما كانت طبيعة الدين ومهما كانت مضامينه ، على أن معيار خلاص الإنسان للحصول على السعادة الأبدية في الحياة الأخرى ، أي الحياة بعد الموت ، هو دينه . فإن صح دينه فإن خلاصه حتمي ، وإن فسد دينه فإن هلاكه حتمي . وهذا الإجماع الفطري لدى البشرية لهذا الفكر ـ بغض النظر عن الديانة وصحتها ـ تجعلنا نقبل بهذا الفكر بمُثابة قانون عام [١٧٤] ، يمكن صياغته على النحو التالي :

" إن معيار خلاص أو نجاة الفرد هو الإعتقاد في الدين الصحيح "

فإذا كان هذا هو القانون الساري فعلا ، أليس حري بالإنسان أن يتنبه إلى ضرورة تواجده داخل الديانة الصحيحة ، حتى يضمن " خلاصة " وسعادته في حياته المتوقعه فيما بعد . كما يجب ألا يكتفي الإنسان أو أن تكتفي كل فئة في الإعتقاد الجزافي في صحة ما تؤمن به من ديانة ، وفساد الديانات الأخرى ، بدون تـرو أو إدراك أو دراسة كافية ، حتى تضمن صحة ما تعتقد فيه . وربما هذا يتطلب بشكل حاسم ضرورة فهم الدين وغاياته من خلق الإنسان ووجوده ، وبالتالي تعريفه التعريف الدقيق الذي يضمن عدم إنحراف الإنسان عن غايات خلقه ووجوده ومصيره . وهذا ما سنقوم به في البند التالي .

ومن جانب آخر ، إذا كان هذا القانون صحيحا ـ وهذا هو الواقع فعلا ـ فهل من العدل الإلهي أن يتساوى ظهور الإله في الديانات المختلفة بالنسبة لمعتنقيها ، مهما بعد ذلك عن المنطق . أو بمعنى آخر هل من العدل الإلهي أن يظهر الإله تارة متجسدا على الأرض في شخص السيد المسيح في الديانة المسيحية ، وتارة أخرى حالا (أي حلوله) في شخص جوتاما بوذا (مؤسس الديانة البوذية) كما في الديانة البوذية ، وتارة ثالثة في صورة وثن أو ظاهرة جوية (كالنار في المجوسية) أو خلافة كما في بعض الأديان الوثنية الأخرى ... ثم نفاجأ في الأخرة بأن الإله له ظهور مفضل في أحد هذه الأديان ، وبذلك يخلص من كان فيها مصادفة ، ويهلك من كان خارجها مصادفة ...!!! فهل هذا عدلا إلهيا ...!!!

---

[١٧٤] يجب أن يفهم من هذا القانون والقوانين المشابهة له أو المماثلة ، أنها ذات طابع إحصائي ، أي بمعنى أنها قوانين إحصائية . وهذه القوانين صحيحة طالما أن الغالبية العظمى من أفراد الديانات المختلفة تؤمن بهذا . ولا يضعف القانون بأي شكل من الأشكال أن يكون هناك أفراد قليلة لا تؤمن به ، فالتوزيع الإحصائي العادي : The Statistical Normal Distribution " يسمح بمثل هذه التجاوزات .

بديهى إن هذا ليس عدلا إلهيا ، ولكن هو جهل الإنسان وغروره ، وعدم إدراكه للمعنى الحقيقى للدين والهدف من ورائه هو الذى يقودة إلى مثل هذا الخلط . ففى الحقيقه إن الإنسان ـ نفسه ـ هو الصانع لهذا الظهور الإلهى فى الأديان . فحاشا لله أن يكون له مثل هذا التحيز أو هذا الحلول ، ولكننا نقول بهذه الفرضية لتجسيد القضية أمام أهل الديانات المختلفة ، وللإلقاء الضوء على ما تردى إليه الإنسان من معان منحرفة عن الدين .

وتبقى كلمة مختصره عن " الخلاص الإسلامى " ، وإن كنا سنتكلم عنه بالتفصيل فى كتابات أخرى ـ إن شاء الله ـ لما له من أهمية خاصة بالنسبة للفكر البشرى . حيث نقول هنا بإختصار شديد أن : " **الخلاص** " فى الفكر الإسلامى ، كما سبق وأن ذكرنا ، هو فكر فيزيانى متعال وغير متطاول ، أو هو تقدم علمى لامتناه ، لا يمكن شرح معناة أو حتى الإقتراب منه إلا من خلال فكر فيزيانى متقدم جدا يمثل التداخل بين التكنولوجيا المستقبلية ـ وليست الحديثة أو المعاصرة ـ وبين العقل البشرى فى قمة عطاؤه ، مع تحقيق غايات كلية من الخلق . ولم يستطع الإنسان أن يقترب من هذا الفكر ، إلا جزنيا فقط وحديثا جدا وبعد نضوجه الفكرى بدرجة واضحة . كما لم يمس الإنسان معنى الخلاص إلا مسا خفيفا وعن بعد ، وذلك من خلال الفيزياء المعاصرة وتنبؤاتها الخيالية والغير محتمل تحقيقها . وأصبح هذا المعنى ، الذى إنتهى إليه الإنسان ، مرادفا لقصص الخيال العلمى اللامتناهى ، أى المستحيل تحقيقة ... كالسفر خلال الزمن وخلافه .

والإنسان فى هذا الفكر (أى فى فكر الخلاص الإسلامى) يمثل تناهى الإيجابيات والإستغراق الكامل للوجود الإنسانى الممتد والمستقل عن الزمن ، والمتوقع فيما بعد ، مع تحقيق غايات كلية ومتسامية عن الخلق .

ولا يقتصر " الخلاص الإسلامى " على مجرد تحقيق لبعض المتع الحسية ، التى يمكن أن يستمتع بها الإنسان من خلال رغبات حسية جامحة يطلب تحقيقها ؛ وإلا كان " الخلاص " بهذا المعنى قد فقد الكثير من معناه . ويصبح الإنسان ـ من وجهة النظر القاصرة هذه ـ بمثابة الشخص الذى عثر على " **مصباح علاء الدين السحرى** " ، حيث يطلب من : " **جنى المصباح : The genie (Jinni) of the lamp** " تحقيق نزوات خاصة له بصورة أو بأخرى . وبهذا المفهوم لا يفقد الخلاص معناه فحسب ـ إذا ما إقتصر على هذا الفكر الحسى البسيط فقط ـ بل يفقد كذلك الوجود غاياته ، وهو مالا يتفق والكمالات الإلهية .

إن إقتصار معنى الخلاص على تحقيق متع حسية فحسب ، يجعل من الإنسان يقف موقف ذلك المتفرج الأبله أو المتفرج العاجز فى هذا الوجود ، والذى لا يدرى من واقعه شيئا . فهو لا

يدرى ماذا يحدث له ، كما لا يدرى كيف يحدث له هذا . كما يفقد الإنسان بهذا المعنى الكثير من إيجابيات وجوده ، ويصبح بهذا (الفكر) ذلك الإنسان السلبى - على إمتداد الحياة المتوقعة له - أو ذلك الإنسان المتلقى بدون وعى أو مشاركة محتملة ، مما يجعل وجوده بلا هدف ، وخلقه بلا غاية ، وهذا يتنافى مع الكمال الإلهى وحكمته اللامتناهية من الخلق . فقضية الوجود ليست لهوا إلهيا ، فتعالى الله عما نصف ونحيط ، بل هى قضية حقة وذات حكمة بالغة .

لذا نكرر قوله تعالى :

[وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لإتخذناة من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)]

(الأنبياء {٢١} : ١٦ - ١٧)

[فيدمغه : يهلكه / زاهق : مضمحل هالك]

ويتأكد هذا المعنى أيضا فى قوله تعالى :

[حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (٣) قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السماوات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين (٤)]

(الأحقاف {٤٦} : ١ - ٤)

[ائتونى بكتاب : أى بكتاب جاء من عند الله / من قبل هذا : أى قبل القرآن / أو أثارة من علم : أو بقية من علم يوصل إلى صحة ما تقولون به]

فهذا هو الفكر الإلهى عن الخلق ، ونؤجل الغايات إلى حديث مفصل تالى .

وعموما فإنه يمكن تلخيص " الخلاص الإسلامى " بأنه هدف متسام ، يجمع ما بين سلبيات الإنسان وإيجابياته ، تحكمة قوانين سرمدية أخرى مغايرة لما نألفة الآن ، كما يمزج - الخلاص - ما بين الرحمة الإلهية بالإنسان ، وبين علة غائية متعالية وممتدة ، لتحقيق الهدف والحكمة البالغة من خلق الإنسان وخلق الأكوان المتراكبة على النحو الذى أرادها الله بها .

ولإضفاء معنى الإيجابية على الوجود الإنسانى يقول الله - سبحانه وتعالى - فى محكم تنزيله :

[قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩)]

(المائدة {٥} : ١١٩)

(... **لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا** ...) ، وليس هذا فحسب ، بل ، و (... **رضى الله عنهم ورضوا عنه** ...) أى رضى الله عن الإنسان ، كما رضى الإنسان عن الله بخلقه له ، وبعطائه وثوابه له ... فأى رحمة بعد هذا بالإنسان ، وأى تكريم بعد هذا للإنسان ، وأى تفاعل متبادل ـ أبعد من هذا ـ بين الله وإنسانه الذى قد خلقه لغايات محددة ..!!!

ولإلقاء الضوء على معنى شامل لأحد جوانب الخلاص الإنسانى ، والشروط المصاحبة له حتى يستطيع الإنسان التعرف على متى ينال هذا الخلاص ، يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى محكم تنزيله :

[وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (١٣٤) والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين (١٣٦) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١٣٧) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨)]

(آل عمران {٣} : ١٣٣ – ١٣٨)

[قد خلت : قد مضت ـ سنن : طرائق الكفار]

والآيات تحوى معانى كلية ينبغى إدراكها وتحقيقها ، حتى يمكن نيل هذا الخلاص . ولن نتعرض لشرح هذه الآيات بالتفصيل ، وإلا سيطول بنا الحديث ، ولكن سنكتفى بإلقاء الضوء على بعض مقتطفات من المعانى العلمية الكلية الشاملة ، والتى وردت فى هذه الآيات الكريمة ، ومنها :

العلم الفيزيائى :

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض ..)

حيث تتعرض هذه الآية الكريمة لمكان الخلاص وأبعاده . وسوف يتم التعرض لشرح معنى هذه الآية الكريمة ، ومعنى كلمة " **عرض** " ، فى قوله تعالى : (... **وجنة عرضها السماوات**

والأرض ...) فى الكتابات التالية ، بعد شرح معنى الكون والأكوان الموازية أو المتراكبة فى النموذج القرانى للخلق على وجه مطلق [١٧٥] .

وعلم الأخلاق :

(...أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (١٣٤) ...) ، وهو تعريف أساسى للمتقين ، وهم الذين يستحقون الخلاص ، أو النعيم الأبدى ورضوان الله .

وعلم النفس :

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا اله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١٣٥) ...) وهو إستكمال لتعريف المتقين ، بوضع الشروط الأخلاقية المصاحبة ، وهى الشروط الضرورية لتحقيق إطار عام من السلوك الإنسانى المتوازن لتهذيب النفس ، واللازم توافره لتحقيق قوانين محددة ، حتى يمكن نيل السعادة المرجوة ، أو النعيم الأبدى ورضوان الله .

والخلاص أو الجزاء فى كلمات :

(أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين (١٣٦) ...)

وعلوم أخرى : إجتماعية ، وتاريخية ، ودينية ، ودعوة إلى التفكر والحث على البحث العلمى :

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١٣٧) ...)
حيث تحتوى هذه الآية الكريمة على براهين يمكن التحقق من صدقها ، وبالتالى يمكن التحقق من صدق ما سبق ذكرة من بعض بينات قد تكون ميتافيزيائية . وبالتالى يمكن الإنسان التحقق من صدق معنى الجزاء الوارد ذكره فى الأيات السابقة .

ثم غاية ضمنية من الخلق ، ووجود ، ومصير الإنسان :

(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ...)

[١٧٥] أنظر " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

وهو تنبيه وتحذير للإنسان للأخذ بما سبق ، فإن هذا القرآن بيان للناس كلهم ، وهدى من الضلالة ، وموعظة للمتقين منهم ، حتى يمكن للإنسان من نيل الخلاص الذى يرجوه والنعيم الأبدى .

ونعيد تذكير أهل الديانات الوثنية المختلفة ، بقول الله تعالى للرسول (ﷺ) لهم فى محكم تنزيله :

[... قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨)

[تخرصون : تكذبون فيه]

ثم يبقى تعليق أخير على كلمة " **خلاص** " ؛ فإن هذه الكلمة غير مستخدمة ولا واردة فى القرآن المجيد على نحو مطلق ، ولا فى أى موقع من المواقع فى سوره الكريمة ، ولكن نخاطب بها ذلك الإنسان ... بما يعى ... وبما يفهم .....!!!

١٥ ـ تعريف الدين

لابد لنا أن نعترف أن الإنسان غير مؤهل فطريا لمعرفة المقاصد أو الغايات الإلهية من الخلق على وجه عام ، وكذا الحكمة الإلهية من خلق الإنسان على وجه خاص . كما يجب وإن نعترف أن مثل هذا النوع من المعرفة لا يمكن الوصول إليه بأى شكل من الأشكال ، من خلال الخبرات المكتسبة ، أو من خلال أى خبرات عملية يمكن إجراؤها على نحو ما أو أخر . كما لا يمكن الوصول إلى هذه المعرفة من خلال فكر فلسفى أو تأملى خاص . لذا لزم أن يحيطنا الله علما بهذه المقاصد والغايات الإلهية من الخلق وكذا الحكمة من خلق الإنسان ، حتى يمكن إسباغ نوع من المعنى على هذا الوجود بمعناه العريض .

وبديهى إن هذا الإنسان المؤهل عقليا لن يقبل أى تفسيرات جزافية أو خرافية ، يمكن أن يدعى بها أحد على أى نحو ، تحت زعم أن هذه الغايات الإلهية يمكن أن تكون بكاملها غيبيات ، لا يمكن التكهن أو التأكد من صحتها على نحو ما . وبديهى إننا نتحرك فى بحثنا هذا ـ كما سبق وأن بينا على طول هذا الكتاب ـ ويحكمنا قانونين أساسيين هما :

القانون الأول : *يعنى بأن الإنسان لا يستطيع الإنفصال عن الدين والتدين بصوره المختلفة المعلنه منها والمتسترة .*

القانون الثانى : *يعنى بأن الإنسان لا يستطيع الإنفصال عن فكرة وجود الله ، فى جميع مراحل حياته .*

وكما سبق وأن أشرنا من قبل ، أن مثل هذه القوانين هى قوانين ذات طابع إحصائى . والقانون الإحصائى صحيح على نحو مطلق ، طالما أنه ينطبق على الغالبية العظمى من المفردات البشرية ، على مر العصور والحضارات . فليس معنى أن القانون لا يجد صدى أو يجد ضعف ما فى نفوس بعض الأقلية من البشر ، أن يكون معناه خطأ ، بل هو قانون صحيح تماما . فتوزيع الأفراد داخل هذه القوانين (الإحصائية) تخضع إلى ما يسمى بـ " **قانون التوزيع الإحصائى الطبيعى The Statistical Normal Distribution** " ، التى تسمح بتواجد قلة من الصوفية ، كما تسمح بتواجد قلة من الملحدين والمنكرين للألوهية ، ولكن الغالبية العظمى تقع بين تلك القيم المتطرفة . ولهذا يمكن القول بأن القانون الإحصائى يقسم لنا البشرية إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : وعدد أفرادها قليلون ، ويكون إدراك أفراد هذه الفئة لوجود الله ضعيف ، وقد لا تعى هذه الفئة معنى الدين أو التدين ؛ أو قد لا يعنيها هذا على نحو مطلق .

الفئة الثانية : وهى تمثل الفئة المقابلة للفئة الأولى ، وعدد أفرادها قليلون أيضا . ويكون إدراك أفراد هذه الفئة بوجود الله شديد الوضوح ، وقد يصل لديهم التدين أو الميل تجاه الدين إلى درجة شديدة من التطرف .

الفئة الثالثة : وهى تمثل الغالبية العظمى من أفراد البشرية ، ويكون إدراك أفراد هذه الفئة بوجود الله معتدل أو بدرجة معقولة من الإدراك ، كما وإن التدين لديهم يأخذ طابع الإعتدال أيضا .

وهذا هو مفهوم القوانين الإحصائية .

ثم يبقى أن نذكر بأن على الإنسان أن يعى ؛ بأن المتحدث فى الدين هو " الله " ، الخالق ، ذو الكمالات المطلقة ، والعليم بكل العلم المطلق ، وبالتالى لزم أن يكون الدين هو مصدر للمعرفة البشرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وجودها ومصيرها ، الغاية من خلقها ، وتكون قضايا الدين الجزئية هى المعرفة الكلية للقوانين الحاكمة للإنسان وللكون وللفيزياء . كما يمكن أن يقوم الدين بتوسيع دائرة معارف الإنسان لإدراكات تخرج كثيرا عن نطاقات الفطرة ، والإدراك المباشر والغير مباشر للإنسان . وربما تدخل المعرفة بهذا المعنى فى النطاق الغيبى أو " المعرفة الغيبية " ، ولكن جذور هذا الغيب تمتد الى العالم الفيزيانى المحيط بنا ، والذى يسهل التثبت منه

، وبالتالى فإن الغيب فى الدين هو الإمتداد الطبيعى لوجود فيزيانى فعلى لواقع مشهود يمثل دليل صدق على هذا الغيب . كما يمكن أن توجد الومضات أو الإلهامات الإلهية ، التى يمكن أن تتجاوز وترقى بالإنسان من البرهان الوضعى أو الإستدلال المنطقى لصحة الدين الى منطقة الرؤية المباشرة " لله " - سبحانه وتعالى - ولرؤية الوجود الكلى ، وهذه الرؤية الوجدانية قد تصل بالمرء في معناها وفى مغزاها الى الإدراك اليقينى كما تجيء به الحواس المباشرة .

ونحن لم نتجاوز المنطق أو الفكر العلمي بهذه المعانى ، فكما سبق وأن ذكرنا . فالتاريخ العلمى يبين لنا أن القضايا والنظريات العلمية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تعتمد إعتمادا مباشرا على فرضيات أساسية تم إدراكها بالملاحظة المباشرة والإعتماد فيها على الحواس ، بينما أخذت هذه القضايا العلمية منذ بداية هذا القرن [١٧٦] (العشرين) طابع العموميات ، وأصبحت بدرجة كبيرة تعتمد على أساسيات وفروض حدسية قاربت أن تدخل فى حيز الغيبيات . كما وإن النظريات العلمية الكبيرة السابقة أصبحت تأخذ طريقها الآن فى تواضع شديد لتكون حالات خاصة من نظريات أعم وأكثر شمولية . وهناك أيمان الآن يكاد يكون مشتركا بين جميع علماء الفيزياء ، بأننا نتجه بخطا واضحة نحو نظرية شمولية واحدة كافية لتفسير جميع الظواهر أو الحقائق الكونية [١٧٧] .

وعموما فإننا كلما إتجهنا الى النظريات الأعم والأكثر شمولا ، كلما زاد إعتمادنا بدرجة كبيرة على فرضيات أو مسلمات أكثر غيبا من المسلمات والفرضيات التى تبنى عليها النظريات الأكثر بساطة . بل وأصبحت النظريات الشمولية تأخذ طابعا غيبيا بدرجة كبيرة [١٧٨] ، وأصبح لزاما على الإنسان توسيع دائرة فكره ومداركه لإستيعاب مثل هذه الفرضيات والنتائج .

وعلى هذا الأساس السابق يمكن تعريف للدين على النحو التالى بعد :

" إن الله (سبحانه وتعالى) - خالق الوجود المدرك والغير مدرك - هو مصدر الدين . وباعثه فى هذا ، أى باعث الله فى هذا ، هو تعريف الإنسان به (أى بخالقة) ، وبكمالاته الإلهية المطلقة ، وما يتبع ذلك ، وكذا تعريف الإنسان بفعله الإلهى الكلى ، أى بمادة الخلق بما فى ذلك الإنسان نفسه ، وما يتبع ذلك . ومادة الدين هى العلم ، وبعض مفردات هذا العلم ، هو

---

[١٧٦] بالتحديد بعد سنة ١٩٠٥ .

[١٧٧] تعرف هذه النظرية بأسم " TOE " (الترجمة العربية لها هى : الأصل أو البداية) . وهذه النظرية تمثل ما بعد " نظرية الخيوط المتناهية : The Super String Theory " . وسنأتى الى تفصيل ذلك فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[١٧٨] وما أفلام الخيال العلمى إلا بعض نتائج نظريات علمية .

الوجود الكلى على نحو مطلق ، ومنه الكون والفيزياء ، والإنسان وغاياته ووجوده ومصيره ، ولا غموض ولا لبس ، ولا مكان لخرافة فى الدين أو أسطورة "

أو باختصار ؛ فأن الدين

" هو منهاج الخالق الصادر عنه واللازم لتعريف العوالم به (صفات وفعل) ، وتحديد غاياته من خلق الخلق على وجه مطلق ، ومنها الإنسان على وجه التحديد " [١٧٩]

ولا يستلزم هذا التعريف الإيمان المسبق بوجود " **الله** " ، لأن تعريفا بهذا المعنى ، يعنى بأن التعريف بالخالق تقع مسئوليته على الخالق ذاته ولا تقع على عاتق الإنسان . ولابد لنا بأن ننوه هنا ؛ بأن جميع البراهين المستخدمة فى " **القرآن المجيد** " للدلالة أو للبرهنة على "**وجود الله** " ، تدور كلها فى فلك هذا التعريف أو حول هذا المعنى للدين . ولنا أن نقف ـ الآن ـ لنخرج من الحيز الضيق الذى غلفتنا به البشرية أو الفكر البشرى الساذج والمحدود ، والمتمثل فى الفلسفة الوضعية ، وفكر فرويد (النفسى) الطفولى ، وما شابهه من علماء النفس . ولنلق الضوء على بعض من الجانب المعرفى الناتج من هذا التعريف .

أولا : إننا الآن لسنا بصدد ظاهرة جوية نقف أمامها كالطفل العاجز ، أو المتفرج الأبله ، إن أدركنا لها تفسيرا فقد أصبنا الإله فى مقتل ، وإن لم ندرك لها تفسيرا إعترفنا بأننا ذلك الطفل العاجز الذى لا يعى ما يرى ولا يفهم ما يدور حوله . فكلنا يعلم أن الظاهرة ليست إلها ، وكلنا يعلم أن الظاهرة هى مجرد مخلوق هى الأخرى ، شأنها فى ذلك شأننا تماما ، ولكننا ـ مع ذلك ـ نصر على إسباغ المعنى الإلهى عليها ...!! فأى جهل بعد هذا ...!! وأى وثنية مقنعة هذه ...!! **وأى صنم هذا الذى نريد أن نضعه فى المعبد ...!!** وأى تدن فكرى أبعد من هذا ...!!!

ثانيا : إن قيامنا بتعريف الدين على هذا النحو ، يعفى الإنسان تماما من المسئولية الفكرية تجاه تخمين ماهية الدين ... وماهية الله ... وتخمين ماهية الإنسان وهويته فى هذا الوجود ... وماهية وجوده ومصيره ...

فبهذا التعريف نكون قد ألقينا بالمسئولية كاملة على عاتق الفكر الإلهى فى صياغة الدين ونتائجه ، وإعطائنا البراهين الكافية للدلالة على صدقه وصحته . فنحن ـ بنى الإنسان ـ يجب أن نعى جيدا أن " **الله** " **هو الصاحب الفعلى للدين** ، وهو الذى خلق الإنسان ، وأهله عقليا على هذا

---

[١٧٩] يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى حديثه القدسى :
[كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فعرفونى] (**" العقيدة "** ؛ إصدار الأزهر الشريف . ص : ٤٠)

النحو الذى يستطيع معه إدراك صحة الدين ، وصحة وجود الله . ولم يجعل القضية الدينية خارج نطاق إمكانات الإنسان العقلية ، فلو كانت كذلك لأصبحت حجة لدينا نستطيع أن نقيمها على الله ـ سبحانه وتعالى عن هذا علوا كبيرا ـ يوم القيامة ،... فله الحجة البالغة ..

[قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٧} : ١٤٩)

بل يجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ " القضية الدينية " دون ذكاء الإنسان الفطرى بكثير . كما جعل الإنسان هذا العاقل المتعقل مفكرا مدبرا ، حرا فى إختيار أفعاله ، وسوف يحاسبه على هذا .

وبهذا المعنى تصبح " القضية الدينية قضية مطلقة وليست قضية نسبية " . ونود أن نشير هنا إلى أن " إطلاق معنى القضية الدينية " إنما تعنى وحدانية الخالق وتفردة فى الخلق ؛ بينما تعنى " نسبية القضية الدينية " التعدد والشرك ، لأن لكل رؤيته ؛ وبهذا المعنى ـ أى معنى النسبية ـ تخرج القضية الدينية من حيز التكليف الإلهى للإنسان إلى حيز إنعدام الغايات من الخلق . وبهذا تقضى القضية الدينية ـ فى حالة نسبيتها ـ على نفسها بنفسها ، وهو ما يناقض الكمالات الإلهية وفطريتها فى النفس البشرية .

ثالثا : إن على الإنسان أن يعى ، أنه بصدد وجود إلهى فعلى ، وإن هذا الإله هو مصدر الدين ، وأن هذا الإله هو الخالق المطلق ، وهو المحيط بكل شىء علما مطلقا . وبهذا الفكر يصبح الدين قضية فيزيائية متعالية ، تشمل تعريف الإله لذاته ، كما تشمل تعريف الإله لفعله الإلهى الكلى ، ويشمل أحد جوانب هذا الفعل الإلهى ، الصياغة اللازمة والتامة لإحاطتنا بما ندرك (فالمعرفة أصلها الله) وما لا ندرك . وبعض من هذه المعارف هى إحاطة الإنسان علما بالآتى :

- خلق الأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة [١٨٠] ، والفيزياء الخاصة بكل منها ، وكوننا وفيزياؤنا واحدة منها .
- خلق العوالم المختلفة ، أى المخلوقات التى تسكن هذه الأكوان ، وعالمنا واحد منها .
- كيف بدأت هذه الأكوان والعوالم ؟
- كيف تنتهى هذه الأكوان والعوالم ؟

---

[١٨٠] سنأتى إلى شرح هذا الفكر فى النموذج القرآنى **للكون والأكوان الموازية** فى الكتابات القادمة كما سبق وأن ذكرنا .

- من الذى يدبر أمور هذه الأكوان والعوالم ؟
- ما العلة الغائية من وراء هذا الخلق المطلق ، ومنها هذه الأكوان والعوالم ؟
- ما الإنسان ؟ ... وما النفس ؟ ... وما الروح ؟ ... وما الغطاء ؟
- ما العلة الغائية من وجود الإنسان ، وما مصير هذا الإنسان ، وما شكل هذا المصير ؟
- ما التطور ؟ إذ أن الوجود البشرى ـ كما أخبرنا به المولى عز وجل ـ لم يخرج عن طور واحد ، فى وجود متعال مكون من عدة أطوار أساسية ، وكل طور مقسم إلى أطوار ثانوية.

إلى آخرة .... من القضايا الكلية والجوهرية التى يصعب حصرها ، إلا فى إطار ما نستوعب من القران المجيد ، ... فأين هى الظاهرة الجوية إذن ...!!! وأين هو الجانب النفسى ...!!! من هذا الوجود الكلى والشامل ...!!!

إن الظاهرة الجوية ، والجانب النفسى للإنسان ـ الذى قال به فرويد ـ يحتلان جانبا لا يكاد يبين ، من فعل إلهى كلى ومحيط ، مرنى وغير مرء . إن الدين يعنى الإجابة عن كل هذه التساؤلات ، وليست بإجابات ساذجة أو بفكر أسطورى ، ولكن بفكر إلهى محيط ليدرك الإنسان ... أين هو ؟ ... وأين يقف من هذا الوجود ؟ ... وما هو مصيره ؟ ... فجميعها مسئولية إلهية ، يتعهد بها " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ بالإجابة عليها ، لتنتفى أعذار الإنسان بجهله بها ، كما تنتفى أعذار الإنسان بجهله بـ " الله " .

[... أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤)]

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

إن الظاهرة الجوية ، والجانب النفسى للإنسان يحتلان جانبا لا يكاد يبين ، داخل مضامين كلية تتواضع بشدة ، وتذوب ضعفا وهوانا داخل المفهوم العام للقضية الدينية . فأين فرويد ... ؟؟!!! وأين هم أصحاب المذاهب الوضعية ... ؟؟!!! من الدين بهذا المفهوم ..!!

رابعا : إن إكتشافنا لأى قانون فيزيائى لا يعنى أكثر من مجرد المفهوم العادى لهذه الكلمة ، أى " **إكتشاف** " لواقع محدد وموجود فعلا ، بل ومستقل عن وجود الإنسان نفسه ولا علاقة للإنسان به ...!!! ولنا هنا أن ننبه ... هل معنىً أن يعثر إنسان ما ... على عربة ما ... فى الصحراء

، هل يعنى هذا أنه قد نفى ـ تلقائيا ـ أن يكون لهذه العربة صانع ..!!! فأى منطق فكرى هذا ...!! وأى عقل هذا ..!!

خامسا : إن أحد الأسباب الرئيسية والهامة فى تضليل العامة ، تأتى دائما من الصياغة الخاطئة لمفردات العلم عند التعرض لصياغة نتائج بعض القوانين الفيزيائية . ولتوضيح ذلك ، دعنا نعطى أحد الأمثلة الشائعه فى كتب الفيزياء الغربية ـ وهى كثيرة ـ حيث يقول المثال بالاتى :

" لقد نسب فلاسفة القرون الوسطى وجود الأرض إلى عمل " خلقى creative " خاص متعلق بالإله ، وفى القرن التاسع عشر تحققوا من أن وجود النظام الشمسى هو " ناتج طبيعى followed Naturaly " من قانون الجاذبية العام ووجود المجرة ؛ وفى هذا القرن تم إكتشاف أن المجرة " ناتج طبيعى A natural consequence " من " الإنفجار الأعظم The Big Bang "

وعلى هذا القياس يمكننا أن نضيف ؛ بأن التنوع الهائل للمخلوقات الذى نراها عليه الآن ، بما فى ذلك الإنسان نفسه ، هو " ناتج طبيعى من وجود الأرض " وبظروفها المهيأة أو الصالحة لنشأة الحياة عليها ... وهكذا ..!!

فالواقع إن مثل هذه الكتابات الساذجة والخاطئة معا ، هى المسئوله عن تضليل العامة والبسطاء حيث تؤدى بهم إلى إنكار الخالق ، وخصوصا إذا ما إعتقد القارئ إنه يستمع لعالم ما فى مجال التخصص . ففى الواقع ؛ إن إستخدام كلمتى :

ناتج طبيعى : A natural consequence "

تبنى حائلا ضخما يحول بين الإنسان وبين رؤيتة لكم هائل من الحقائق التى لا يمكن حصرها . هكذا ببساطة شديدة *" ناتج طبيعى "* ...!!! إن كلمتى *" ناتج طبيعى "* هما من أشد الكلمات فتكا بفكر الإنسان ... وتضليلا له ، بل وتعكس هاتين الكلمتين جهلا متناهيا للقائل بهما . ففى المثال السابق نجد أن الكاتب :

قد إفترض ـ بدون أن يدرى ـ وجود المادة ، بدون موجد لها ، ووجود قانون الجاذبية العام ، بدون موجد له . وقد إفترض ـ بدون أن يدرى ـ وجود " النقطة الشاذة : The singularity " (أى المادة الأولى اللازمه لبداية للكون) بدون موجد لها . ثم إفترض ـ بدون أن يدرى ـ أن هذه النقطة الشاذة قد إنفجرت ـ بدون بادىء لها ـ مكونه بذلك الإنفجار الأعظم مكونة بذلك الكون بما

فى ذلك الفضاء والزمن . كما إفترض ـ بدون أن يدرى ـ وجود كم هائل ـ لا يمكن حصره ـ من قوانين الفيزياء الكلاسيكية والفيزياء الحديثة بدون موجد لها ؛ نذكر منهما فقط ـ على سبيل المثال ـ قوانين الفيزياء الكمية التى تصف (أو تحكم) التفاعلات النووية فى باطن الشمس وفى قلب المجرات (الثقوب السوداء) ، والتى ما زلنا نجهل الكثير عنها ، وقوانين الكيمياء الفيزيائية ، وقوانين الكيمياء الحيوية [١٨١] ، وقوانين الوراثة ، وقوانين الإحتمالات ، والقوانين الرياضية التى تصف العلاقات بين المجالات العامة داخل نواة الذرة وخارجها ، وقوانين النسبية العامة والخاصة التى تصف تمدد الكون .... وقوانين ميكانيكا الكم ، التى تصف (أو تحكم) تفاعلات القوى النووية داخل نواة الذرة وخارجها ، حتى قوانين المنطق .... من الموجد لكل هذه القوانين .... ومن الموجد للمادة الأولى ... وحتى إن وجدت المادة الأولى وكل هذه القوانين بدون موجد لها ....!!! فمن الذى قرر لها أن تعمل مع بعضها البعض على هذا النحو المتناسق الذى نراه عليها الآن ....!!! فهل معرفتنا لكل هذه القوانين ووجود المادة اللازمة تسمح لنا بأن نصنع إنسانا ...!! سبحان الله ...!!!

فكما جاء فى التعريف السابق للدين ، نجد أن من أحد غايات خلق الإنسان هو التعرف على الله ، وعلى ـ بعض ـ من فعله الإلهى الكلى ؛ ليدرك الإنسان أن :-

- هناك من قرر أن يكون الكون على هذا النحو الذى نراه به الآن .
- وهناك من قرر أن تكون العلاقات الفيزيائية على النحو الذى نراها بها الآن ، أو النحو الذى نكتشفها به ، وخضوعها للمنطق الرياضى المعروف .
- وهناك من قرر أن يسخر لنا الطبيعة بقوانينها لخدمتنا .
- وهناك من قرر بدء الخلق .
- وهناك من قرر وجود المخلوقات فى هذا الكون ، وفى الأكوان الموازية الأخرى لكوننا هذا .
- وهناك من قرر متى ينتهى هذا الكون ، ومتى ينتهى هذا الإنسان من على سطح الأرض .
- وهناك من قرر لنا الموت .... وقرر لنا الحياة ... وقرر لنا البعث
- وهناك من أودع فينا العقل ، والإدراك ، والجانب النفسى الذى قال به فرويد .

---

[١٨١] وكما سنرى فى الكتابات الأخرى ، إن شاء الله ، فإننا لكى نقول بمجرد تكون خلية واحدة أولية بدون حياة وبدون وظائف ـ أى مجرد تجمع لبعض المركبات العضوية فى شكل مصفوفات جزيئية ـ بدون خالق ، فإن هذا يستلزم خرق **" القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية "** ، وهو واحد من أكثر القوانين الفيزيائية صدقا وإستقرارا وتحقيقا . وهذا ما يحتم ضرورة وجود هذا الخالق كضرورة أساسية لمجرد تكوين خلية واحدة بدون حياة أو وظائف ... فما بال الحال بتكون أو خلق خلية حية واحدة ...!!! وما بال الحال بخلق الإنسان ...!!! أنظر **" الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى "** لنفس مؤلف هذا الكتاب .

- وهناك من قرر لنا القانون الأخلاقى الفطرى ... والقانون الإجتماعى الفطرى ... وغيرها .
- وهناك من قرر لنا بالتطور الذى نراه .

إنها أعداد لانهائية من القرارات ، والتى لا يمكن حصرها ، والتى لا يمكن أن تنسب إلا إلى " الله " وحده ـ سبحانه وتعالى ـ عما نحيط أو نعلم . ذلك هو الله ...

[بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (١٠١) ذلكم ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠١ - ١٠٤)

ذلك هو الله :

[إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (٨٣)]

(القرآن المجيد : يس {٣٦} : ٨٢ - ٨٣)

فهل وعى الإنسان جانبا من هذا التعريف ... !!!

١٦ ـ *حلقة لانهائية (An Infinite Loop)*

فى حلقة دراسية عقدت فى مدينة شتوتجارت بألمانيا عام ١٩٨٥ ، عن " **العالم الإسلامى بين المحافظة على التقاليد والتقدم** " [١٨٢] ، أشار عالم اللاهوت [١٨٣] السويسرى الشهير دكتور " هانز كونج Hans Kung " ، الذى يشغل حاليا منصب مدير معهد " الأبحاث المسكونية (العالمية) ، بجامعة توبنجن " بألمانيا ؛ إلى أن الكنيسة قد كفت عن الدفاع عن مبدئها التقليدى الذى إستنته عام ١٤٤٢ ، والقائل بأنه " **ليس ثمة خلاص خارج مملكتها** [١٨٤] " ، وإستخلص من هذا نتيجة

---

[١٨٢] " يوميات ألمانى مسلم " دكتور/ مراد هوفمان " مركز الأهرام للترجمة والنشر " (ص : ٢٢٣ - ٢٢٤)
[١٨٣] (اللاهوت) : يراد به الخالق ، و(علم اللاهوت) : هو علم يبحث فى الخالق وصفاته وعلاقاته بمخلوقاته ، ويقابله علم التوحيد فى الفكر الإسلامى .
[١٨٤] كما رأينا فى البند السابق أن تعريف الخلاص فى الفكر المسيحى مبهم ، ويكاد يكون ليس له معنى . وأنظر كذلك الفصل التالى حول بعض من معانى الخلاص فى الآخرة للفرد المسيحى .

مفادها بطلان مقولة أنه " لا أنبياء خارج الكنيسة " ، وذلك خلافا لما إنتهى إليه مجلس الفاتيكان الثانى من مقررات (١٩٦٢ -١٩٦٥٠) .

وأشار دكتور هانز كونج ، إلى أنه مع الإعتراف الآن ـ الذى جاء متأخرا عن موعده ـ فإن الإسلام هو كعهده دائما طريق حقيقى للخلاص ، فإن الكنيسة لا يمكنها أن تستمر بعد ذلك فى إنكار أن " **محمد** " (ﷺ) يعد نبيا حقيقيا بكل معنى الكلمة [١٨٥] .
ولقد طلب كونج من خصومه الساخطين فى الكنيسة الكاثوليكية ـ بعد أن نشر كتابه الجديد : **المسيحية والأديان العالمية** ـ أن يحاولوا فهم الإسلام ، وأن يؤدوا واجبهم ، ولو مرة واحدة تجاه هذه الديانة العالمية التى طال تجاهلها حتى الان . ويبدو أن بعض القساوسة الكاثوليك قد إستجابوا لهذه الدعوة ، حيث أعتنق الإسلام قسيسان تابعان لأبرشية باريس مؤخرا .

وجملة تقدير الدكتور هانز كونج أن الغربيين لا يعرفون إلا النذر اليسير جدا عن الإسلام [١٨٦] ، اللهم إلا بإستثناء قلة ضئيلة للغاية من المثقفين ، وحتى معظم المستشرقين الغربيين لم يوفقوا فى فهم الإسلام فهما متعمقا .

وتأييدا لفكر وجود خلاص خارج الكنيسة ، فإن المبشر المسيحى الدكتور أنيس شوروش [١٨٧] يقول أن الخبراء اللاهوتيين يطلبون تحقيق ستة شروط قبل قبولهم لأى وحى مفترض بإعتباره وحيا حقيقيا وصادقا وأصيلا ، وهذه الشروط السته هى :

الشرط الأول : يجب أن يفى (الوحى) برغبة الروح البشرية فى الحصول على السعادة الأبدية .
الشرط الثانى : يجب أن يتفق (الوحى) مع الضمير ، وهو القانون الأخلاقى المكتوب فى عقل الإنسان .
الشرط الثالث : يجب أن يكشف (الوحى) عن الصفات الحقيقية لله .
الشرط الرابع : يجب أن يؤكد (الوحى) صلاحية إعتقاد الإنسان بأن الله واحد .
الشرط الخامس : يجب أن يجعل (الوحى) طريق الخلاص واضحا جدا .

---
[١٨٥] بديهى أن " هانز كونج " قد فقد هويته الدينية هنا ، وعليه أن يعلن صراحة ، هل هو مسلم أم هو مسيحى الديانة . لأنه يستحيل الجمع بين الديانة الإسلامية ، والديانة المسيحية بمفهومها الحالى لدى أهلها (أنظر الفصل التالى للتفاصيل) .
[١٨٦] راجع الفصل الأول " الفكر التبشيرى عن قرب " .
[١٨٧] " **أيهما كلام الله ؟؟ القرآن الكريم أم الكتاب المقدس** " المناظرة التى جرت بين الداعية الإسلامى أحمد ديدات والمبشر المسيحى د. أنيس شوروش فى برمنجهام ، (صفحة ٢٧٥ - ٢٧٦) . ترجمة محمد مختار ، المختار الإسلامى للنشر والتوزيع و التصدير .

الشرط السادس : يجب أن يكشف (الوحى) عن الله نفسه وبشخصه فى الكتاب ، من خلال الأنبياء [188] .

وعلى الرغم من أن هذه الشروط تعتبر خطوة لابأس بها نحو تحرير الفكر الكنسى أو المسيحى من قيود " **الفكر الموجه** " ، والمفروض عليها كضرورة لفهم العقيدة على النحو الذى يحدده رجال الدين فيها ، إلا إن هذه الشروط لا تكفى وحدها لضمان ما يجيء به (الوحى) أو الدين من حقائق أو خرافات عن الإله . فالشروط المذكورة لم تضع أى قيود ما على ما يجيء به الوحى من صفات للكمال الإلهى ، أو طبيعة الإله . فقد يجيء الوحى بالأسطورة أو الخرافة عن الصفات الإلهية [189] ، كما قد يجيء بكل ما هو مناقض للفكر البشرى عن الله . ويمكن أن يقبل كل هذا ، طالما أنه لاتوجد أى قيود على الصفات أو الكمالات الإلهية المفترضة .

فعلى سبيل المثال ، نجد أن الشرط الرابع يؤكد على صلاحية إعتقاد الإنسان فى " إله واحد " ، ولكنه ـ مع ذلك ـ لا ينفى تعدد هذا الإله فى أكثر من صورة ، أو حلوله فى أى شكل أو على أى شكل من الأشكال . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الديانة المسيحية تقول " بإله واحد " ، ولكنه مع ذلك متعدد الصور . فهو " **الآب** " فى السماء ، وهو " **الإبن** " فى الأرض ، وهو " **الروح القدس** " أو " **النار الإلهية** " عند الإقتراب من الناس (فالروح القدس " نارى" [190]) . فهذه صور متعدده لفكر " الإله الواحد " ، أو كما يحلو للفكر المسيحى القول هى " وحدانية فى تثليث ، وتثليث فى وحدانية " .

كما وإن القول " بإله واحد " لا ينفى فكرة حلوله فى أحد الأشخاص أو تحيزه فى مكان ما . ففى الديانة البوذية مثلا نجد أن " الإله " قد حل ببساطة شديدة فى " جوتاما بوذا " مؤسس الديانة ، وحتى فى الهندوسية ... فعلى الرغم من الكثرة العددية للآلهة لديها إلا أنها تصب فى النهاية فى فكر " الإله الواحد " أيضا .

لذا فالقول بإله واحد لا يكفى لدرء الفكر الوثنى عن " الله " ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ لذلك يلزم لهذا الشرط قيود مصاحبة للكمالات أو الصفات الإلهية حتى لا يسقط الإنسان

---

[188] هذا الشرط باللغة الإنجليزية ، كما جاء فى الأصل هو كالآتى :

" It must reveal God Himself in book , through prophets , and in Person "

[189] أنظر الفصل التالى لما تجيء به اليهودية والمسيحية من صفات أسطورية وخرافية عن " الإله " ...!!!

[190] " كلمات هادئة عن الروح القدس " القس ابرام داود سليمان ، مكتبة النسر للطباعة . ففى صفحة ٦ ، يقول الكاتب : " فلا ترفض عمل الروح القدس ، لئلا تطفئه برفضك له ، بل بالعكس كن أداة طيعة فى يده مهما كلفك الأمر من تضحية بشهوات أو مسرات " وفى موضع آخر (من نفس الصفحة) يقول الكاتب : " فحينما ينخس الروح قلبك لتقديم توبة واعتراف ، أو لرفع صلاة ، أو لقراءة الإنجيل ، ... فقم حالا واطيع الروح ونفذ ما طلبه منك ، فيفرح بك الروح ، ويشتعل أكثر فأكثر ... " .

فى مستنقع من الوثنيات ، أو فى خضم مـن الوثنيـات عن الصفـات الإلهيـة . وبديهـى أن القيـود المصاحبة لابد من صياغتها من خلال التدخل الإلهى المباشر ، بمعنى لابد وأن يخبرنا الله عنهـا من خلال وحيه لأنبيائه ورسله . فالإنسان لا يستطيع أن يتكهن بها ، أو حتى صياغة بعض مـن هذه الكمالات الإلهية بمعرفته ، فإنه غير مؤهل فطريا (By default) لهذا كما سبق وأن بينـا ، بل يجب أن يتحدث الله عن نفسه مبينا لنا هذه الكمالات . وبديهى يجب أن تصاغ هذه الكمـالات (تحديدا) كشرط أساسى ومستقل ، ولا ينبغى لها أن تدمج أو يحتويها ضمنيا شرط عـام اخـر ، كالشرط الثالث .

والشرط الثالث ، والذى يقول بأن (الوحى) يجب أن يكشف عن الصفـات الحقيقيـة للـه ، هـو فى الواقع ، شرط فضفاض لايكفى لأن يعطى المعنى الحقيقـى للـه . فقد يـأتى هذا الشـرط بـأى صفات وثنية عن الإله .

فمثلا ماذا يحدث لو أن الوحى قد كشف لنا عن أن الإله [١٩١] هو " خروف قائم كأنه مذبوح لـه سبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله المرسله الـى كـل الأرض [١٩٢] " ..!! ***فهل نقبل بهذا الوحى ونعتبر هذا المسخ هو الإله ...!!!*** فمتى يفيق الإنسان من غيبوبته ... ؟؟!!

وكذلك الشرط السادس كان يمكن دمجه فى الشرط الثالث ، ولكنـه مـن الواضـح أنـه شـرط نـاتج مباشرة عن المفهوم الإلهى للفكر المسيحى ، حيث أن " **الإله بشخصه in person** " يعنى ــ فـى الديانة المسيحية ـ السيد المسيح على الأرض .

وعموما فإن الشروط الستة السابقة قاصرة بشكل ملحوظ عن إعطاء أى مقياس صحيـح للوحـى ، وبالتالى أى مقياس صحيح عن الديانة الصحيحة .

وهكذا ؛ فإن الشروط الأول والثانى والرابع تحدد الفطرة البشرية تجاه الديـن ، أى بمعنـى حاجـة الإنسان للتدين ليس إلا . **ومع ذلك فإن الديانتين اليهوديـة والمسـيحية لا تحققـان الشـرط الثـانى بشكل صارخ** (راجع الفصل الثالث : **بند ٦ : ونصوص لكـل الإغـراض** ؛ ص : ٣٨١) . أمـا الشرطين الثالث والسادس فهما يحددان تعريف الإله لنفسه ، ولكنهما لا يضمنان أى كمالات للإله ، أو أى طبيعة قد يكون عليها ذلك الإله ..!!!

كذلك ، لا يضمن الشرط الخامس أى نوع من الخلاص يمكن أن تجىء به الديانة للإنسان . فمثلا ماذا يحدث لو أن الوحى قد كشف لنا أن الخلاص الذى يمكن أن تجىء به الديانة ؛ هـو أن يقـف

[١٩١] لا يمكن الزج بلفظ الجلاله " الله " فى هذه الوثنيات ، كما سبق وأن نوهنا .
[١٩٢] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح الخامس : ٦) ـ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .

الأنسان أمام الخروف*(إلهه) ، ليصرخ بصوت عظيم قائلا : " .. **الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف** [193] " . ولن يجوع الإنسان بعد ذلك ولن يعطش ... " **لأن الخروف الذى فى وسط العرش سوف يرعاهم (أى يرعى الأبرار من بنى البشر)** [194] " . **وليتبع الإنسان الخروف حيثما ذهب** [195] ...!!! *فهل هذا يعد خلاصا ... ؟؟!!!! فمتى يفيق الإنسان من غيبوبته ... ؟؟!!*

وهكذا - تحت غياب المنطق وإتصال المعانى ورؤية النصوص - يمكن أن تفرز الشروط الستة العقيدة المسيحية ، كما يمكن تفرز العقيدة المسيحية الشروط الستة [196] ، وهكذا دواليك وبغير نهاية . وبهذا نكون قد وقعنا فى حلقة لانهائية (An infinite loop) من المدخلات والمخرجات كلاهما واحد وبلا إضافات . وعموما هذا هو دأب الفكر المسيحى ، والمساحة الضيقة التى تتركها الديانة للفكر البشرى للحركة فى حدودها ، فهى تتظاهر بالحرية الفكرية من جانب ، بينما تحكم إغلاق هذا الفكر على مفاهيم بعينها من الجانب الآخر .

وبنفس هذا المفهوم العام ، فإن الشروط الستة يمكن أن يندرج تحتها كل الأديان الأخرى بمفهومها الوثنى الحالى ، وبالتالى تظل قضية تعدد الأديان قائمة كما هى – كما سبق ذكره – طالما أن الدين يحوى الإله ، وبعضا من مكارم الأخلاق ، حتى وإن كان هذا الدين فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية الملحوظة .

ونشير هنا أنه عادة ما نرى إلغاء كامل للإستدلالات المنطقية والعقلانية من أهل الملل المختلفة عند تناولهم بالتحليل لقضاياهم الدينية ، حيث يخرج بذلك الإنسان المؤهل عقليا من حيز المنطق الفكرى الصحيح ، إلى حيز الهبوط العقلى المقزز ، تحت دعوى أن الدين غيبى ويقبل بالتفسيرات الميثولوجية (أى الأسطورية) أو الميتافيزيقية الغير منطقية ، حتى وإن إنعكس ذلك بالتناقض الصارخ مع العالم الفيزيائى المحسوس الذى نحيا فيه .

وننتهى من ذلك بالقول بأنه ، إذا ما أريد وضع الشروط اللازمة أو القيود اللازمة للحكم على صحة " **الوحى** " وبالتالى الحكم على صحة " **الدين** " ، فيجب علينا أولا التحرر من فكر القيود

---

[193] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٠) . كما يجب ملاحظة أن الإنسان يطلب فى صراحه هذا " **الخلاص** " للإله . فكما نرى أن الإله هو الآخر محتاج للخلاص ، وليس الإنسان فقط . ولا أملك غير القول " دعنا نمرح .. فنحن بلهاء .. فالدين هكذا ..!!! " . أنظر الفصل الثالث لمزيد من التفاصيل .

[194] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٧)

[195] " **هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار . هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب ...** "
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح الرابع عشر : ١٤)

[196] هذا إذا ما غضضنا البصر عن الخضم الهائل من الوثنيات الفكرية الموجودة بهذه العقيدة (أنظر الفصل الثالث للتفاصيل) .

المفروضة علينا من الميراث الدينى ، كما يجب علينا توخى الدقة البالغة ، عند صياغة هذه الشروط ، بحيث تكون محكمة بدرجة كافية ، حتى نضمن عدم تسرب الأديان الخاطئة من خلال الثغرات التى يمكن أن توجد فى الصياغات العامة أو الفضفاضة ، وحتى لا تحتل الديانات الخاطئة مكانا صحيحا على المسرح الإنسانى ليضل بها أقوام وأقوام ، ويكون الإنسان هو فى النهاية الضحية الوحيدة لناتج عمله هذا .

وفى بند (١٨) القادم ، سوف نتناول هذه الشروط ، والقيود المفروضة على صحة هذا الوحى السماوى ، بشىء من التفصيل ، ولكن قبل ذلك يجب إلقاء الضوء على معنى ... " الدين مصدر الإله أم الإله مصدر الدين " .

١٧ ـ " الدين مصدر الإله " أم " الإله مصدر الدين " (كلمة حول معنى التعدد والتوحيد) .

كما سبق وأن ذكرنا أن القضية التى تقول بأن : " **الله مصدر الدين** " تعنى وحدانية الدين وثباته على مدار الزمن والحضارات الإنسانية ، طالما أن الله واحد ولامتغير . بينما القضية التى تقول بأن : " **الدين مصدر الإله** " تعنى تعدد الأديان ، لأنها تعنى أنه يمكن أن يقوم كل دين بتعريف إلهه على هواه .

وكما سبق وأن ذكرنا ، وسنكرر ذلك دائما على مدى الكتاب ، أن قبولنا للمسلمة التى تقول بأن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحية** " إنما هو " **قبول معلق** " . **إذ** يتوقف قبولنا النهائى لهذه المسلمة على مدى ما تؤدى إليه ــ هذه المسلمة ــ من نتائج . فإن صدقت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة صدقت المسلمة نفسها ، وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة بطلت المسلمة نفسها . وليس فى هذا أى تجاوز منطقى أو علمى ، بل هو ــ فى الواقع ــ عين ما يحدث فى مجال النظريات الفيزيائية الكبرى ، كما سبق وأن ذكرنا فى المقدمة وعلى طول الكتاب .

وفى هذه الفقرة سوف نعرض لإختبار خاص بهذه المسلمة أشار به " القرآن المجيد " . وهذا الإختبار هو ـ فى الواقع ـ إختبار دينى بحت ، ولم يتعرض إليه أحد من قبل من الفلاسفة أو المفكرين ، وذلك لبيان صحة المسلمة (بتشديد اللام) والتى تقول بأن : " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " . وهذا الإختبار يعتمد أساسا على البديهية التالية :

" إذا كان الله واحدا ولا متغيرا ، فلابد وأن يكون الدين الذى يوحى به ــ الله ــ لأنبيائه ورسله هو الآخر واحدا ولا متغيرا ، وبهذا لا يتوقف ــ الدين ــ على زمان أو مكان النبى أو الرسول "

.

وهذه البديهية تعنى بأن الرسالات السماوية ، أو الوحى الإلهى ، يجب أن يتوقف على المصدر وعلى المصدر فقط (أى الله مصدر الرسالات) ، ولا يتوقف على المستقبل (بكسر الباء) أى الرسول ، أو الزمان أو المكان الذى تجيء فيه هذه الرسالات . فطالما أن المصدر واحد ولا متغير ، فلابد وأن تكون الرسالات هى الأخرى واحدة ولا متغيرة . أو بمعنى آخر فإن الرسالات لا يجب أن تتوقف على المستقبل (أى النبى أو الرسول) ، أو الزمان (أى العصر الذى نزلت فيه الرسالة) ، أو المكان (أى الشعب المرسل إليه هذه الرسالة) . فمن غير المنطقى أو من غير المقبول ـ عقليا ـ أن يكون الله واحدا ولا متغيرا ، ثم يوحى إلى أنبيائه ورسله بديانات مختلفة تتوقف على المستقبل والزمان والمكان ، لأن هذا من شأنه التناقض مع صفات الثبات والوحدانية التى ننسبها " لله " سبحانه وتعالى .

والآن إذا ما تناولنا بالبحث الديانة الإسلامية على ضوء هذه البديهية السابقة ، ووجدناها تقول بأن :

" الدين واحد ولا متغير طالما أن الله واحد ولا متغير "

فإننا بذلك نكون قد أقمنا الدليل على صدق المسلمة التى تقول بأن **" الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة "** فعلا . أما إذا قالت الديانة الإسلامية بغيرهذا المعنى ، أى قالت بتعدد الأديان أو الرسالات وتوقفها على طبيعة الأنبياء والرسل وعلى زمان ومكان الرسالة ، فإنها تعنى بهذا أن الله ليس واحدا وليس متغيرا ، أى أنه متغير وغير ثابت ، وبذلك نكون قد أقمنا الدليل على بطلان المسلمة التى تقول بأن **" الديانة الإسلامية ديانة صحيحة "** . ولنتجه الآن لبيان ومناقشة هذه البديهية .

أولا ؛ وبادىء ذى بدء نجد أن الديانة الإسلامية تقول بأن **" الله هو مصدر الدين "** . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى يشرع الدين للبشر فى كل الرسالات . فموقف محمد (ﷺ) من الدين ، هو نفس موقف الأنبياء والرسل السابقين عليه من الدين . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المصدر فى كل الرسالات ، كما جاء فى قوله تعالى :

[شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه

مريب [١٩٧] (١٤) فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل ءامنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير (١٥) والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (١٦)]

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣ - ١٦)

[يجتبى : يصطفى ويختار لنفسه وولايته من يحب / من ينيب : من أقبل إلى طاعته وراجع التوبه / من بعد ما أستجيب له : من بعد نزول القرآن واستجاب له الناس / حجتهم داحضة : أى براهينهم باطله]

وبذلك تصبح الرسالات جميعها واحدة بغض النظر عن النبى أو الرسول أو الشعب المرسل لهم الرسالة . وليس هذا فحسب بل أن كل أسماء الديانات السابقة على الإسلام هى إسلام أيضا ، كما جاء فى قوله تعالى :

[إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (١٩)]

(القرآن المجيد : ال عمران {٣} : ١٩)

وبذلك تكون أسماء الديانات السماوية المختلفة مثل " الديانة اليهودية " و " الديانة المسيحية " ، إنما هى أسماء وضعية ومن صنع البشر بعد إنحرافها عن الدين الحق ، ولم يوح الله بديانات بهذه الأسماء .

فكما سبق وأن أشرنا أنه من الأمور البديهية ، طالما أن الله واحد ولا متغير ، فلا بد إذن أن يكون الدين هو الآخر واحدا ولا متغيرا . وطالما قد إفترضنا أن الدين الإسلامى هو الدين

---

[١٩٧] على الرغم من أن هذه الفقرة مقصورة فقط على برهان البديهية المذكورة فى أولها ، إلا أنه ينبغى الإشارة هنا إلى **الحقيقة** التى يذكرها القرآن المجيد فى هذه الآية الكريمة وهى : (**... وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب**) ، أى أن أهل العقيدة اليهودية والمسيحية فى شك وريبة من كتابهم المقدس هذا . وليس فى هذا أى إدعاء أو تجاوز فى هذا المعنى فهناك عشرات الكتب والشروح التى تعنى بشرح وإسباغ الشرعية على شخصية عيسى الإلهيه ، وهم **بهذا لا يقدمون سوى دليل الصدق على شكهم فى شخصية عيسى الإلهية هذه ، وبالتالى شكهم فى كتابهم المقدس** . وبديهى سرعان ما يفشل الكتاب فى ـ كتب الشروح هذه ـ بتقديم أى أدلة على شخصية عيسى (عليه السلام) الإلهية . لهذا نجدهم ينتهوا دائما بالقول : " إذا لم تقبل ـ عزيزى القارئ ـ عيسى كإله ، فبالتأكيد هو أكثر من نجار ... More than Carpenter " (والنجاره هى المهنة التى كان يمتهنها عيسى ـ عليه السلام ـ أثناء حياته) . وعموما يستطيع القارىء الذهاب مباشرة إلى الفصل الثالث ليرى بعينى رأسه أو ليرى رؤية عيان ماذا نعنى بهذا ...؟؟!!

الصحيح [198] ، وكان هناك أديان سماوية قد جاءت من قبله ، إذن فلابد وأن تكون هى الأخرى تحمل نفس الإسم أى " الدين الإسلامى " أيضا .

وكلمة " إسلام " **كما تجيء فى الفكر الإسلامى تعنى الإنقياد الكامل وتسليم النفس طوعا لله سبحانه وتعالى ، ليكون للإنسان فضل الطاعة الإختيارية** . لأنه إن لم يسلم طوعا فهو يسلم كرها وإن لم يدرك أو يعى هذا المعنى . وهى معان يحول دون إدراك المرء لها هو جهله فحسب ولا غيبيات فى هذا ، كما جاء فى قوله تعالى :

[أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون (٨٣) قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٤)]
(القران المجيد : ال عمران {٣} : ٨٣ - ٨٤)

[الأسباط : هم أولا يعقوب عليه السلام]

وبذلك تكون " الديانة الإسلامية " هى إسم الدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء والرسل ، وإنتسب إليه كل أتباعهم . وهكذا نقول " الديانة الإسلامية " ، بأن كلمة " الإسلام " تتسع لكل المؤمنين بـ " الله " فى كل زمان ، وفى كل مكان . فـ " الإسلام " ليس مقصورا على المؤمنين برسالة محمد (ﷺ) ، وليس دينا جديدا دعا إليه محمد (ﷺ) ، وإنما هو دين الرسل والأنبياء السابقين والمؤمنين جميعا ، كما تبينه الايات السابقة : وهكذا يصبح " **الله الواحد اللامتغير مصدر الدين الواحد اللامتغير** " وهو " الدين الإسلامى " . وليس هذا فحسب ، بل يتجاوز معنى إسم الدين الواحد إلى إسم أتباع الدين كذلك . بمعنى إذا كان إسم أتباع " الديانة الإسلامية " هم المسلمون ، فلا بد وأن يكون - إذن - إسم أتباع الديانات السابقه للإسلام هم "المسلمون " أيضا . كما يجيء ذلك فى قوله تعالى على النحو التالى :

فنوح (عليه السلام) يقول لقومه :
[فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين (٧٢)]
(القران المجيد : يونس {١٠} : ٧٢)

---

[198] مازلت أكرر أن صحة هذه المسلمة (Postulate) منوط بصحة النتائج المترتبة عليها ، فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . وعلى الرغم من أننا قد تناولنا - فى هذا الكتاب - حتى الآن عددا كبيرا من الحقائق الدالة على صدق **نتائج هذه المسلمة** والتى تقول بأن " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة " ، مما يترتب عليه صدق المسلمة نفسها ، إلا أن المناقشة المستفيضة لهذه المسلمة - ما زالت قائمة - **لأنها تتطلب عرض الخريطة الكاملة لما إنتهى إليه الإنسان من علم ، وما سوف ينتهى إليه الإنسان من علم .**

ويقول رب العزة عن إبراهيم (عليه السلام) :

[ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (٦٧)]
(القرآن المجيد : ال عمران {٣} : ٦٧)

ووصى بها كل من إبراهيم ويعقوب بنيهما من بعدهما ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٣٢) أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله ءابائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣)]
(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٣٢ - ١٣٣)

ويقول يوسف (عليه السلام) :

[رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليى فى الدنيا والأخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين]

(القران المجيد : يوسف {١٢} : ١٠١)

ويقول موسى (عليه السلام) لقومه :

[وقال موسى ياقوم إن كنتم أمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين (٨٤) فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (٨٥)]

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٨٤)

حتى سحرة فرعون أسلموا أيضا ، عندما آمنوا بموسى عليه السلام ، فقال لهم فرعون :

[لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (١٢٤) قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) وما تنقم منا إلا أن ءامنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (١٢٦)]

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٢٤ - ١٢٦)

بل حتى فرعون نفسه ، قبل أن يدركه الغرق ، وفى لحظاته الأخيرة يقول بأنه امن بالإسلام ، دين موسى وقومه ، وإنه من المسلمين . كما جاء فى قوله تعالى :

[وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذى ءامنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين (٩٠)]

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٩٠)

وعيسى [١٩٩] وحواريوه أيضا مسلمون ، كما جاء فى قوله تعالى :

[فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٢)]

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٥٢)

[أحس عيسى منهم الكفر : أى عندما أحس عيسى بكفر بنى إسرائيل له]

وفى موضع اخر ، يقول رب العزة :

[وإذ أوحيت إلى الحواريين أن ءامنوا بى وبرسولى قالوا ءامنا واشهد بأننا مسلمون (١١١)]

(القران المجيد : المائدة {٥} : ١١١)

ومحمد (ﷺ) ـ نفسه ـ كان يعلم أنه لم يأت بالإسلام كدينا جديدا ؛ بل هو دين كل من سبقوه من الرسل ؛ لقوله تعالى له :

[ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٤٣)]

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٤٣)

وهكذا ، يتوالى إسم الأديان السابقة ، بأنها " الإسلام " ، وإسم أتباعها بأنهم " المسلمون "

---

[١٩٩] والمسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) من المنظور الإسلامى هو أحد الرسل ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر كيف يؤفكون (٧٥)] (القرآن المجيد : المائدة {٥} : ٧٥)

و (**قد خلت من قبله الرسل**) : تعنى قد مضت من قبله الرسل ، (**وأمه صديقة**) : والصديق هو تابع النبى ومصدقه . و (**كانا يأكلان الطعام**) : تعنى أنهم كانوا محتاجين إلى الطعام كسائر البشر ، وليس هذا من صفة الخالق . (**أنى يؤفكون**) : بمعنى كيف يضلون عن الهدى . ويعتبر عيسى (عليه السلام) هو أحد أولى العزم من الرسل وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (عليهم جميعا السلام) .

وليسوا باليهود أو النصارى أو المسيحيون ، إلا بانحرافهم عن الديانة الحقة [٢٠٠] . **وهكذا يقوم دليل صدق على إثبات صحة المسلمة " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة "** ، **مستندين فى ذلك على البديهية التى تقول بأن : " طالما أن الله واحد ولا متغير ، فلابد وأن يكون الدين الذى يوحى به ـ الله ـ لأنبيائه ورسله هو الآخر دين واحد ولا متغير "** . وهذا ما يؤكده البرهان القرانى . ونشير هنا ؛ إن هذا مجرد دليل واحد فقط من عدد يصعب حصره من البراهين الدالة على أن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " والتى ورد ذكرها فى القرآن المجيد ولم ندرك منها إلا قليلا مما كتب حتى الآن ...!!!

ويحسم الحق ـ تبارك وتعالى ـ القضية الدينية بقوله تعالى :

[ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين (٨٥)]
(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٨٥)

وليس فى القضية نبرة تعصب ، أو إشارة ما إلى هذا المعنى من قريب أو من بعيد . فمن الأمور البديهية ، إذا كان " الله " قد أوحى لأنبيائه ورسله بالدين الصحيح ، ألا وهو الدين الإسلامى ، ثم ذهب الفرد ليعتنق دينا آخر لم يقل به الله ، فمن الأمور البديهية أنه لن يقبل منه ، ولن يكون له خلاص فى الاخرة ، وبالتالى سوف يكون من الخاسرين .

إن الإنسان هو ذلك المتغير الذى تجرى عليه سنن الكون وقوانينه ، شأنه فى هذا شأن الظواهر الأخرى . وقبول الإنسان للدين الصحيح أو رفضه إنما هو محض إختياره الشخصى ، أو هو

---

[٢٠٠] يأتى ذكر اليهود والنصارى فى القرآن المجيد ـ صراحة ـ على أنهما أتباع ديانات منحرفة وليست صحيحة ، لأنها لو كانت صحيحة لأصبحت إسلاما ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

[وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (٣١)] (القرآن المجيد : التوبة {٩} : ٣٠ ـ ٣١)

[قولهم بأفواههم : أى بدون سند للقضية / **يضاهئون : يشابهون به** (أى أنهم يقولون بنفس ما يقول به الذين كفروا) / قاتلهم الله : لعنهم الله / أنى يؤفكون : كيف يصرفون عن الحق مع قيام الدليل عليه / الأحبار : علماء اليهود / أربابا من دون الله : بمعنى إنقياد الشعب لأئمتهم ، الذين قاموا بتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، وهو مالم يقل به الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم] .
وفى موضع آخر ؛ يصفهم الحق ـ تبارك وتعالى ـ بالكفر مباشرة ، لإعتقادهم الخاطئ ، كما جاء فى قوله تعالى :

[لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ... (٧٣)]

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ٧٢ ـ ٧٣)

حريته الفكرية ومسئوليته الشخصية فى إختيار وجوده من الدين وبالتالى مصيره ، كما جاء فى قوله تعالى :

[لا إكراه فى الدين ... (٢٥٦)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

وفى قوله تعالى :

[وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ... (٢٩)]

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ٢٩ - ٣٠)

وهكذا فحرية العقيدة ، وحرية إعتناق الفرد لأى دين مكفولة له تماما ، ولكن ينبغى أن يعى الإنسان إلى أن هذه الحرية ومسئوليتة فى الإختيار تقع على عاتقه وحده ، ويتأكد هذا المعنى فى قوله تعالى :

[... ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢٨١)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٨١)

[... ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (١٦١)]

(القرآن المجيد : ال عمران {٣} : ١٦١)

وهكذا تبقى الحرية للإنسان فى الإختيار كما سبق وأن ذكرنا ، كما تبقى الرحمة الممتدة من الله للإنسان فى شكل العون الإلهى النازل له من السماء ، كما فى قوله تعالى :

[من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٥)

[والوزر : هو الإثم والذنب]

وهكذا الرحمة الإلهية الممتدة بالبشر والعناية بهم ، تتجلى فى قوله تعالى : **(... وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ...**

[رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)]

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٦٥)

ونكرر ... قوله تعالى :

[والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (١٦)]

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣ - ١٦)

[من بعد ما أستجيب له : من بعد نزول القرآن واستجاب له الناس / حجتهم داحضة : أى براهينهم باطله]

١٨ ـ الحد الأدنى

بديهى بعد العرض السابق للفكر الدينى ، وإعطاء المفهوم الدقيق عن الدين ، يمكن لنا أن نكون ـ بدرجة معقولة من الدقة ـ الحد الأدنى للشروط الواجب توافرها فى الديانة لكى تكون صحيحة ، طالما أن مصدرها هو " الله " الخالق لكل شىء . وبديهى لابد وأن يحوى " الدين الإلهى " أربعة عناصر رئيسية تحدد الهيكل العام للديانة . وهذه العناصر الأربعة هى :

١. المصدر :

فيجب أن يفهم من " الدين الإلهى " أن المصدر هو " الله " ، وأن المتحدث فيه هو " الله " ، وذلك بهدف إستكمال المعرفة الفطرية التى ولد عليها الإنسان . فالله ـ فى الدين ـ يقوم بتقديم نفسه للبشرية ، وهذا التقديم يحوى :

١ . التعريف بالكمالات الإلهية المطلقة .

٢ . كما يحوى ؛ التعريف بالفعل الإلهى الكلى .

وذلك على النحو الذى سبق شرحه فى بند (١٥ ـ تعريف الدين) . فالله هو مصدر الدين

٢. الوحى :

فيجب أن يحوى " الدين الإلهى " فكر الوحى . فتبليغ الله للإنسان ، لا يتم بحضوره شخصيا لبيان ما يريده ، بل يتم هذا من خلال وحيه لرسله الذين يقومون بالتبليغ عنه . وفى هذا يقول الله فى محكم التنزيل :

[إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وءاتينا داود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)]

(القران المجيد : النساء {٤} : ١٦٣ - ١٦٥)

وكما في قوله تعالى :

[وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم (٥٢)]

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٥٢)

فكما سبق الإشارة إلى ذلك (أنظر بند ٩ السابق) ، فالإنسان لا بصورته المادية ، ولا بالعلة الغائية من وجوده ، له الصلاحية لرؤية الله بشكل مباشر . لذا لزم وجود الوحى ، كما يلزم وجود الموحى إليه .

٣. الموحى إليه :

وهو النبى أو الرسول ، كما نجد هذا فى قوله تعالى :

[وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذى له ما فى السماوات والأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)]

(القران المجيد : الشورى {٤٢} : ٥١ - ٥٣)

والقرآن المجيد يعرف أو يحدد النبى أو الرسول بأنه يجب أن يكون من نفس الجنس أو النوع المطلوب تبليغ الرسالة إليه ، كما فى قوله تعالى :

[قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٩٥)]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٩٥)

إذ أن الله لا يرسل الى قوم رسلا إلا من جنسهم ، لتكون القدوة لهم من نفس الجنس ، حيث لا يصلح أن تكون القدوة من جنس آخر . وتصل ذروة المنطق الفكرى ـ عن الرسول ـ فى قوله تعالى :

[ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٩)

وهكذا سوف يرونه رجلا عاديا ـ حتى وإن كان ملكا ـ حتى يتحقق الإتصال بينه وبين القوم ، ولا يكون غرابة ما ... بينه وبينهم [٢٠١] .

٤. الكتاب (الموحى به) :

إذ يجب أن يحوى الدين على الكتاب الخاص به . ويمثل هذا الكتاب المنهاج الإلهى الدائم للإنسان ، لبيان الغايات الإلهية المتعالية من قضايا الوجود بأسرها . لذا نجد قوله تعالى :

[الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا (١)]

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ١)

[عوجا : أى لا تفاوت فيه ولا ميل عن الحق]

ويضيف الله بقوله تعالى :

[إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)]

(القرآن المجيد : الحجر {١٥} : ٩)

فالذكر يعنى القران ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقرر بأنه يتعهد بالحفظ لهذا القرآن المجيد .

والآن ؛ إذا ما قبلنا بالبنود الأربعة الرئيسية السابقه ، فإننا *يمكن تلخيص الحد الأدنى من الشروط الواجب توافرها فى الديانة الإلهية فى البنود التالية :*

(١) طالما أن " الله " هو مصدر الدين ، لذا يجب أن يحوى الدين " فكر الإله الواحد " ، كما يجب ألا يحتوى الدين على أى نوع من أنواع الوثنيات الفكرية أو الخرافات ، كأن يكون الإله

---

٢٠١ يعرف هذا الفكر فى مجال الرياضيات (In Mathematics) بإسم " **المتغير الظاهرى** : **The Dummy Variable** " ، وهو المتغير الذى يمكن أن يغير من شكله الظاهرى فقط على حسب موقعه من المعادلات الرياضية ، بينما يظل معناه ثابت ووظيفته لامتغيره بغض النظر عن هذا الشكل الظاهرى له . وهذا النوع من المنطق الرياضى لم يتم فهم معناه بدقة كافية إلا حديثا جدا ، ومع تطور العلوم الرياضية . ولا يأتى هذا النوع من الفكر ـ الرياضى ـ إلا فى النظريات التعميمية الكبرى ، وفيها يعمم مفهوم المتغيرات لتشمل **أبعاد** غير مقيدة بعدد ما . مثل فكر الأكوان ذات **الأبعاد** غير المحدودة ؛ أو اللانهائية (لاحظ أن كوننا هذا ؛ هو كون ذى **أربعة أبعاد** فقط : ثلاثة منها للفضاء ورابع للزمن) .

متحيزا [202] ، أو متجسدا فى صورة إنسان [203] ، أو حيوان أو ظاهرة كونية أو خلافة . فإن هذا يتناقض مع " القانون الفطرى لدى الإنسان عن الكمال الإلهى " .

(٢) أن تكون " الحكمة الإلهية " الواردة بالدين ، حكمة متعالية على " الحكمة البشرية " . فأمر مرفوض تماما أن تكون " الحكمة الإلهية " **متدنية أو أقل من** " الحكمة البشرية " ، والله هو خالقها (أى خالق الحكمة البشرية) . فمثلا أمر مرفوض تماما أن يحوى الدين على فكر " إله أحمق " أو فكر " إله لا يدرى ماذا يفعل " . كما هو أمر مرفوض تماما أن يحوى الدين على " إله مسخ " أو " إله مشوه " .

(٣) ألا يتناقض " المنهاج الدينى " مع " المنهاج التجريبى " للإنسان وبشكل قاطع .

(٤) ألا يتناقض " المنطق الدينى " والمستخدم فى التدليل على صحة قضاياه ، بأى شكل من الأشكال مع " المنطق الفكرى " للإنسان ، والمستخدم فى شرح القضايا العلمية والفكرية . وبالتالى يجب ألا تتناقض المضامين الدينية مع بعضها البعض ، أو مع نفسها (**not to be self inconsistent**) . فأى نظرية علمية يحكم عليها بالفناء - مهما كانت صحة النتائج الجزئية التى تؤدى إليها - إذا ما كانت المضامين الداخلية لها متناقضة مع بعضها البعض . فما ينطبق على الفكر العلمى بوجه عام ، يجب أن ينطبق على الفكر الدينى أيضا وبشكل أكثر تخصيصا ودقة .

(٥) أن يدرك الإنسان من " الفكر الدينى " غاية إلهية متعالية عن خلقه ، وأن يدرك مراحل تطوره ؛ الماضى والحاضر والمسقبل . وألا يكون هناك تناقضا – مهما صغر – بين " الفكر الإلهى المتعالى " الوارد بالدين ، وبين ما يجىء به الإنسان من علوم وضعية وإكتشافات علمية مهما كانت . كما يجب أن يدرك الإنسان ماهيته من خلال الدين .

(٦) يجب ألا يقع مضامين الفكر الدينى " **كاملة** " فى " **الحيز الغيبى** " ، بحيث لا يمكن القطع بصحتها ، وبالتالى لا يمكن القطع بصحة الديانة كلها . بل يجب أن يحوى " الفكر الدينى " على " مضامين دينية " تقع فى منطقة ظاهرة - من الوجود - بحيث يمكن التثبت منها يقينا ، لتكون - بالإستنباط الرياضى (**Mathematical Induction**) - دليل صدق على صحة المضامين الأخرى الغيبية ، وبالتالى القطع بصحة الديانة كلها .

---

[202] متحيزا فى مكان ما ، تعنى حلول الإله فى مكان محدود أيا كانت صورته ، مثل تمثال أو وثن أو خلافه .

[203] ليس هذا حكما مسبقا على الديانة المسيحية ، ولكن أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .

وهذا هو عين الفكر الفيزيانى الحديث فى النظريات العلمية الكبرى ، مثل " النظرية النسبية The Theory of Relativity : " ، و " **النظرية الكمية : The Quantum Theory** " ، وعن الكون " **نظرية الإنفجار الأعظم : The Big Bang Theory** " ... وهكذا . فجميع هذه النظريات مبنية على مسلمات أساسية لا يقوم عليها البرهان بشكل مباشر ، ولكن النتائج التجريبية الصحيحة التى تم إستنتاجها من واقع هذه المسلمات هى التى أدت إلى التأكد من صحة وصدق هذه المسلمات المفروضة .

(٨) ألا يتناقض الدين مع " **رد الفعل التلقائى** " أو " **رد الفعل الفطرى** " [٢٠٤] لدى الإنسان تجاه القضايا الكلية والأخلاقية والإلهية .

(٩) أن يدرك الإنسان تماما من الدين ، وأعنى بكلمتى " يدرك تماما " أن يتأكد الإنسان يقينا ، وبما لا يدع مجالا لأى شك ، من قصوره الفكرى ومحدوديته أمام " الفكر الإلهى المحيط " والوارد بالدين . أو بمعنى اخر ؛ يجب أن يظهر الدين " **ظاهرة الإحتواء** " ، بمعنى أن " الفكر الإلهى " الوارد بالدين يجب أن يحتوى ويحوى " الفكر البشرى " برمته ، مهما بلغت درجة جموحه أو شروده أو شطحاته فى القضايا العلمية الكلية والكونية .

(١٠) أن يفهم الإنسان تماما " من الدين " وبشكل قاطع ، ما يعنيه الله " بالدين " ، وأن يفهم منه أن العلم البشرى هو " غاية محدودة جزئية " . كما يمكن المزج بينهما أحيانا ، بمعنى أن الدين علم والعلم دين ؛ مع الإحتفاظ بالمفهوم العام بأن " الدين هو العلم الكلى " ، بينما العلم البشرى هو " العلم الجزئى " .

(١١) أن يكون " فكر القضية الدينية " فكر كلى وشمولى ؛ بمعنى أن يشمل " الفكر الدينى " الوجود بأسره ، ليكون الإنسان وعلمه ، وكونياته ، ووجوده ومصيره ، جزئية صغيرة للغاية ، وحالة خاصة من غاية كلية كبرى . فالمتكلم فى الدين هو " الله " بكمالاته الإلهية الكلية والمطلقة [٢٠٥] ، ولذا فمبدأ " المعرفة الشمولية أو الكلية " هو المبدأ الوارد أو المتوقع فى هذا الحديث ، أما مبدأ " المعرفة الجزئية " أو " المعرفة القاصرة " فهو مبدأ مرفوض تماما ، لتناقض ذلك مع المتكلم ، وهو الله بكمالاته اللانهائية .

---

[٢٠٤] أنظر الفصل الثالث ، بند (٣. ٢. ٢.) ؛ ص : ٣٠٠ للتفاصيل .
[٢٠٥] الكمالات الإلهيه ـ كما سبق ذكره ـ هى صفات الله ، أو " أسماؤه الحسنى " (أنظر الملحق الأول) .

(١٢) أن يفهم من " الفكر الإلهى " الوارد بالدين نوعين من القوانين الكلية ، والتى قد سنها اللـه ، سبحانه وتعالى . وهذان النوعان ـ من القوانين ـ هما :

النوع الأول : هى قوانين سرمدية (لامتغيرة) ، لا يسمح فيها بأى فترة سماحية مهما بلغت صغرها (**No tolerance is allowed**) . وهذه القوانين تعرف بقوانين التسخير للظواهر الكونية ، وهى تهدف خدمة الإنسان . إذ أن أى فترة سماحية بالتغيير فى هذه القوانين تعنى القضاء على الوجود المادى للإنسان بأسرة من هذا الكون .

أما النوع الثانى من القوانين : فهى القوانين التى يسمح فيها " اللـه " ـ سبحانه وتعالى ـ بفترة سماحية محدودة (**Definite tolerance is allowed**) تعمل أو تطفو فوق سطح قوانين سرمدية أخرى . وهذه القوانين هى التى يخضع لها الإنسان . وفترة السماحية هذه ؛ هى المساحة المحدودة التى قد قررها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتعمل فيها الإرادة البشرية والإختيار الإنسانى . أما باقى القانون فهو جزء لامتغير مثل القوانين السرمدية السابقة وهو تمثل الفعل الإلهى ، أو الإرادة الإلهية فى الإنسان ، متمثلا ذلك فى القضاء والقدر ، وحياة الإنسان ومماته وبعثه وحسابة ... إلى آخره ، وكذا يشمل هذا الجزء ـ اللامتغير ـ " القوانين الحيوية : **Biological laws** " التى يخضع لها الإنسان ، متمثلا ذلك فى عمليات الهضم ، والدورة الدموية ، والإخراج ، والتكاثر ... إلى أخرة ، فجميعها قوانين تعمل بدون تدخل إرادة الإنسان فيها ، وبدون وعى منه ، ولكنها فى الوقت نفسه تعمل بالمشيئة الإلهية .

(١٣) أن يعطى الدين الفكر الكافى عن " اللـه " وعن صفاته وكمالاته الإلهية ، وعن حكمته المتعالية المتمثلة فى " فعله الإلهى الكلى " لهذا الوجود ، وأى وجود آخر لعوالم أخرى فى كوننا هذا أو فى أى أكوان موازية أخرى [٢٠٦] ، قد تقضى " حكمة اللـه المتعالية " إطلاع الإنسان عليها ، لتوسيع دائرة إدراكاته المحدودة والمستمدة من واقع حواسة المحدودة أيضا . فيجب أن يعى الإنسان أن حواسه محدودة حتى بعد توسيع طيفها (أى بعد توسيع طيف إدراك هذه الحواس) بإستخدام أجهزة الكشف العلمية المختلفة لإدراك الظواهر الغير منظورة كإنتشار الموجات ، وكشف الجسيمات الأولية للمادة ، وسبر أغوار الكون ... وخلافه .

(١٤) أن يفهم من " **الجمل الدينية** " أى الجمل الواردة فى الدين ، أنها " صياغة إلهية مباشرة " ، وبالتالى فيجب أن تكون هذه الجمل بمثابة " القوانين الفيزيائية الكلية " ، التى لا يحدها مكان أو

[٢٠٦] سنأتى إلى تفصيل ذلك فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

زمان العصر . وبالتالى يمكن أن تؤول أو تفسر على ضوء الزمان والمكان الحضارى الذى يحويه الدين ، بدون أى تناقضات مع إدراكات العصر . أو بمعنى آخر أن تفسير " الجمل الدينية" يجب أن تعكس الخلفية العلمية والحضارية لمكان وزمان التفسير (أو التأويل) بدون تناقضات مع العصور المختلفة ، وهذا هو معنى البرهان الحركى (The dynamic proof) للجمل الدينية للنص الإلهى ، فهو برهان متحرك مع ثقافة العصر وحضارته .

كما يجب أن تستدق معانى " الجمل الدينية " ليصبح لكل حرف أداء قاطع الدلالة ، فالمتحدث هنا هو الله بكمالاته الإلهية المطلقة . لذا يجب أن تبين " الجمل الدينية " الاتى بعد :

***أولا :* الإحاطة الكلية للعلم البشرى**

***ثانيا :* الإحكام النهائى فى الصياغة الكلامية (The ultimate compaction of word and letter structure)** ، وهذا يعنى أن عدد الكلمات الواردة " بالجمل الدينية " هى أقل عدد ممكن من الكلمات والأحرف ، التى يمكن أن تعطى أكبر طيف ممكن من المعانى والتأويلات الصحيحة ، والتى تصلح لكل زمان ومكان .

(١٥) بديهى أن صانع المعدة " أو الجهاز " هو الأكثر دراية بمعدته ، وبالتالى فهو خير من يضع " كتاب التشغيل " الخاص بها لضمان حسن أداء وسير المعدة . وكذلك الإنسان (المعدة) عليه أن يدرك من الدين - وبدون قهر — أن الله خالقه (صانع هذه المعدة) أدرى منه بها ، وبالتالى فإن إتباعه للأحكام الإلهية أو التشريع الإلهى (أى لكتاب التشغيل) الوارد بالدين ، هى خير من يضمن له حسن الأداء - فى الحياة - والسعادة المطلقة فى وجوده ومصيره . كما وإن عصيانه لهذا التشريع بالمقابلة (أى سوء تشغيل المعدة) سوف يقوده للشقاء والعذاب فى حياته ومصيره .

(١٦) وكما يوجد " كمال إلهى " يوجد أيضا " كمال إنسانى " بالمفهوم المحدود ، وليس بالمفهوم المطلق والغير مقيد بالنسبة " لله " سبحانه وتعالى . فمثلا إذا قلنا أن " الله قوى " بالمعنى المطلق ، فإن " الإنسان قوى " بالمعنى المحدود والنسبى للكلمة ، ولكن يصح إطلاق نفس الصفة على الإنسان ؛ وهكذا بالنسبة للصفات أو الكمالات الإلهية الأخرى مثل : **الرحيم** ، **الغنى** ، **الملك** ، **المؤمن** ، **المهيمن** ، **العزيز** ، **الجبار** ، ... إلى اخره ... فجميعها صفات يمكن أن يتصف بها الإنسان .

فالحقيقة أن " **الكمال الإنسانى المحدود** " هو إنعكاس جزنى " **للكمال الإلهى المطلق** " على الإنسان . أو بمفهوم آخر هو إنعكاس " اللامحدود " على " المحدود " ، كما تنعكس أشعة الشمس المتفرقه فى كل الإتجاهات على المراه المحدودة الأبعاد فى أحد هذه الإتجاهات .

والأنبياء هم ـ فى الواقع ـ الإختيار الإلهى لصفوة من البشر ليقوموا بتبليغ رسالة الله للبشرية ، ويكونوا النماذج الأولى والقدوة فى تطبيق المنهاج أو الشرع عليهم ، لذا لابد من أن تكون صفات الأنبياء هى الذروة فى " الكمال الإنسانى المحدود " [٢٠٧] ، حيث أنهم سوف يمثلون القدوة البشرية للبشرية ، وذلك بمفهوم أرقى كثيرا من مفهوم أبطال الشعوب .

لذا يجب أن يفهم من " الدين " أن الإختيار الإلهى للأنبياء لا يتم عشوائيا ، بل يتم بحكمة وقصد إلهى متعال لجعل هؤلاء الأنبياء القدوة البشرية فى مكارم الأخلاق والسلوكيات أو الكمال الإنسانى . فأمر مرفوض تماما أن تكون القدوة فى الأمور الدينية ، لأفاق أو خائن أو زان ... أو خلافة ، أو لمن يتصف بكل هذه الصفات معا ، أو بجزء منها أو بصفات مماثلة ، لأن هذا يتناقض مع الضمير الأخلاقى أو الفطرة الإنسانية السليمة من جانب ، والكمال الإنسانى من جانب آخر ، والحكمة الإلهية المتعالية المتمثلة فى هذا الإختيار ، من جانب ثالث .

(١٧) أن ينتهى الإنسان الى الإقتناع النهائى ـ **من خلال الدين** ـ بإدراك المعنى الحقيقى لضعفه المتناهى وعلمه القليل والمحدود ؛ أمام العظمة الإلهية المتعالية والمتجلية فى الدين ، والتسليم النهائى " لله " والسجود " طواعية " (أى بإختياره) لله الخالق رب العالمين .

[ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (١٥)]
(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٥)

وليتضاءل الفكر البشرى أمام الفكر الإلهى المحيط فى هذه الآية الكريمة السابقة ، والتى تنبه إدراكاتنا القاصرة الى أن السجود لله ـ طوعا وكرها ـ لا يشمل الوجود بأسره فحسب ، بل يشمل أيضا الظلال ؛ ظلال كل من فى السماوات [٢٠٨] والأرض .

ونلاحظ أن كلمة غدو ، هى جمع كلمة غداة ، وهو الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس ، وفيه يكون طول الظل فى بداية الشروق لانهائى وفى إتجاه الغرب (ليكن سالب مثلا) . وكلمة آصال

---

[٢٠٧] يرى بعض الروحانيين (أى المشتغلين أو المهتمين بالدراسات الروحية) أن النبوة هى نوع من الوساطة الروحية أسمى بكثير من الوساطة الروحية لدى الوسطاء العاديين . وهذه الوساطة الروحية السامية هى التى تمكن الأنبياء من الإتصال بالعوالم العلوية للملائكة . ويستنتج الروحانيون أن الوحى ما هو إلا الرسائل الروحية التى كان يدلى بها الملاك جبريل (عليه السلام) ، والذى يسمى أحيانا " بالروح القدس " أو " الروح المرشد " لمحمد (عليه الصلاة والسلام) وللأنبياء السابقين . كما يرون ـ الروحانيون ـ أن الموهبة الروحية هى أساس صفات أو عبقريات النبوة ، كإشتهارهم بمكارم الأخلاق ، والحكمة ، وإهتمامهم بسعادة الآخرين ، وإحتمالهم لصنوف الأذى والعذاب ... إلى آخره ، وليس العكس ، أى بمعنى أن العبقريات لا تجعل من الفرد نبيا أو رسولا ولكن الموهبة الروحية له هى التى تجعل منه النبى والرسول ، وما الصفات والعبقريات إلا نتيجة طبيعية لهذه الموهبة الروحية . فالموهبة الروحية لديهم هى جزء من فطرتهم التى جاءوا عليها .

[٢٠٨] سنأتى الى شرح معنى السماوات فى : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

هى جمع كلمة أصيل وهو الوقت حين تصفر الشمس حتى وقت غروبها ، وفيه يكون طول الظل لانهائى وفى إتجاة الشرق (أى فى الإتجاه العكسي أو الإتجاه الموجب طالما إعتبرنا أن الإتجاه السابق سالب) .

وهذه إحاطة رياضية مثيرة (**fantanstic mathematical inclusion**) ، بأن السجود يشمل جميع أنواع الظلال من أكثرها (أو أطولها) طولا فى إتجاه الشرق (**Maximum negative length**) ، الى أشدها (أو أطولها) طولا فى الإتجاه العكسى وقت الغروب (**Maximum positive length**) . ورياضيا هذا يعنى من سالب مالانهاية (**negative infinity**) إلى موجب مالانهاية (**positive infinity**) . ثم ننظر إلى الثلاث كلمات الداله على ذلك الإحكام فى الصياغة ، والإحاطة الإلهية للعلم الكلى الوارد بالنص :

[... **وظلالهم بالغدو والآصال (١٥)**]

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٥)

وإستخدام صيغة الجمع لكلمتى " غداة " و " أصيل " فى قوله تعالى (**وظلالهم بالغدو والآصال**) ، تعنى أن لكل مكان على سطح الأرض له شروقه الخاص به ، كما وإن له غروبه الخاص به أيضا . كما يحمل معنى الجمع أيضا وجود أنظمة كوكبية لها أكثر من شمس ، وهذه أنظمة محتملة أيضا للكواكب التابعة للأنظمة النجمية الثنائية والثلاثية والتى تدور حول مركز جذب مشترك [٢٠٩] . وبالتالى فإن كواكب (أو أراضى) هذه المجاميع النجمية سوف يكون لها أكثر من شمس (فالأنظمة الثنائية سوف يكون لها شمسان ، كما سيكون للأنظمة الثلاثية ثلاث شموس ، وهكذا ...) ، وبالتالى فسيكون لكل كوكب تابع لهذه الأنظمة ، أى لكل أرض منها ، أكثر من شروق وأكثر من غروب . ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يشير أيضا لإحتمالات وجود أنظمة كوكبية فى أكوان موازية لكوننا هذا . وهذا هو سبب إستخدام صيغة الجمع فى قوله تعالى (... **وظلالهم بالغدو والآصال**) . وربما كان هذا ـ البرهان المتحرك ـ للفكر القرانى يجعل الأعتقاد الأكثر إحتمالا هو أن :

" الوجود مركب على الصياغة القرآنية ، وليست الصياغة القرآنية مركبة على الوجود . أو بمعنى آخر أن القرآن يمثل الدستور الإلهى الأول أو الإبتدائى ، الذى بنى على أساسه الوجود الكلى ـ فيما بعد ـ بتفصيلاته المختلفة [٢١٠] "

---

[٢٠٩] فى الواقع ؛ أن نصف أو أكثر من نصف نجوم السماء ، عبارة عن أنظمه نجمية متعددة تدور حول مركز جذب مشترك (The barycenter) ، ومنها الأنظمة النجمية الثنائية (The double or binary star sytems) .

[٢١٠] بديهى لن نتعرض هنا ، لمناقشة " **مشكلة أزلية القرآن أو أنه حادث وغير أزلى** " ، فإن نفى أو إثبات جزئية هذه المشكلة (والتى كانت تعرف بإسم " **فتنة خلق القرآن** ") ، أعتقد أنه لا يفيد كثيرا . وقد سببت هذه المشكلة قديما

فعدد الدلالات التى تؤدى إلى هذا المعنى فى القرآن المجيد ، أكثر من أن تعد أو تحصى ، وقد ذكرنا جانبا منها حتى الان على طول الكتاب . وهذه هى " **الإحاطة الإلهية المتعالية لمعنى النصوص** " وهذا هو " **الإحكام الإلهى النهائى فى صياغة النصوص** " . وهذه هى ديناميكية البرهان القرآنى (**The dynamic proof**) . الذى لا يقف عند حد ثابت أو معرفة محدودة للإنسان ، بل ينتهى دلالة النص القرآنى دائما ، عند نهاية ثقافة الفرد وثقافة العصر ، وليس هذا فحسب ، بل يبقى النص دائما فى حالة تأهب لأى عطاء مستقبلى آخر .

وربما كانت الشروط السابقة (السبعة عشر) ، والتى إستعرضناها آنفا تمثل الحد الأدنى الواجب توافره فى الديانة لكى تكون صحيحة ، أى أن يكون مصدرها الإله وليس البشر .

وبهذه الشروط السابقة نكون قد وضعنا قيودا صارمة ـ إلى حد ما ـ للتحقق من صحة الدين ، وبديهى أن هذا ليس إلزاما يفرضه الإنسان على الخالق ، ولكنه ـ فى الواقع ـ هو إلزام يفرضه الخالق علينا ، حتى نتحقق من صحة الدين ، ويكون التدين بالنسبة لنا محل مساءلة . إن الإنسان ليس له إستقلالية إلا فيما يعى ويفهم ، وقد زودنا الله بالملكات الكافية والمنطق الفكرى اللازم الذى يجعل من " القضية الدينية " والتحقق من صحتها دون مستوى هذه الملكات والمنطق الفكرى لدى الإنسان . وبذلك تصبح المساءلة الدينية لها معناها الحقيقى ، كما تصبح القضية الدينية بهذا المعنى ... " قضية مطلقة " ... تمثل غاية حياة الإنسان ومصيره .

وكما سنرى ـ وكما سبق أن رأينا فيما تعرضنا له من جوانب محدودة ـ فإن جميع الشروط السابقة ، تقف فى تواضع شديد أمام الفكر الإلهى المحيط فى الديانة الإسلامية . وليس هذا فحسب ، بل أن الدين الإسلامى يحتوى أيضا على شروط أخرى أعم وأصعب من أن نحصيها ؛ كقوانين الإيمان ، والعبادات ، والتشريعات ، والمعاملات ، والسياسة ، وحركة الإنسان فى هذه الحياة بوجه خاص وبوجه عام ، كما تصل هذه القوانين إلى منتهى أغوار النفس البشرية . وسوف نمس منها ما نستطيع مسا خفيفا فى مواقع أخرى من هذا الكتاب ، كما فعلنا من قبل .
ولا نملك فى هذا الصدد إلا قوله تعالى عن قرآنه المجيد :

" آلر كتاب أحكمت ءاياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) "

(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

، خلافا بين أهل السنة والمعتزلة . فقد قال أهل السنة بأزلية القرآن ، بينما قالت المعتزلة بأنه مخلوق وغير أزلى . وكان من ناتج هذا الخلاف أن قام الخليفة المأمون ـ الذى إقتنع برأى المعتزلة ـ بإيداع الإمام أحمد بن حنبل ، أحد الأئمة الأربعة ، فى السجن (لمدة أربعة عشر شهرا) ، ثم أفرج عنه بعد ذلك .

وعلى الجانب الآخر ، سنجد أن كل الديانات الموجوده على المسرح الإنسانى لم تخرج عن حيز الفكر الوثنى ، بل حتى لم تتطاول لتحقيق شرط واحد من الشروط السبعة عشر السابق ذكرها . أما لماذا لم يدرك أهل هذه الديانات هذه الحقيقة ، فأنا أعتقد كما يعتقد الدكتور هانز كونج [٢١١] ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ أن الغربيين لا يعرفون إلا النذر اليسير جدا عن الإسلام ، اللهم بإستثناء قلة ضئيلة للغاية من المثقفين ، وحتى معظم المستشرقين الغربيين لم يوفقوا إلى فهم الإسلام فهما معقولا . ومن جانب آخر لا يقل أهمية عما سبق ، **هو أن الإنسان مازال إلى الآن لا يعى معنى الدين .**

أما القول بأن المسيحيين يظلوا على مسيحيتهم حتى بعد إدراك أن الديانة الإسلامية ديانة حقة ، وذلك لأن فكرهم يكون معلق بالنجاة والخلاص ، مستندين فى ذلك الى الخلفية المعروفة والناظرة إلى الخطيئة الأولى لآدم وإلى آلام السيد المسيح . فجملة تقديرى ـ إن صح ما يقولون ـ فإن هذا الرأى خاطىء ؛ لإنه لا يعكس عدم فهم هذه الفئات للديانه الإسلامية فحسب ، بل يعكس أيضا عدم فهم هذه الفئات للديانة المسيحية نفسها أيضا . فالحقيقة التى لا تقبل الجدل أن المسيحية لا تقدم خلاصا ما [٢١٢] ، اللهم إلا الصورة المتردية السابق التعرض لها ، وكما سيتم مناقشتها بالتفصيل فى الباب التالى .

وأخيرا نقول أن من يتكلم العربية ، وأدرك القرآن ، وأعرض عما فيه من إعجاز ، فلا نملك إلا لفت نظرة الى القانون الإلهى المحيط لهذا الإنسان المتكبر ؛ فى قوله تعالى :

[سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يرو سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٤٦)]

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٤٦)

ولن أزيد عن القول ، بأننا لو أردنا فهم الجانب النفسى للإنسان الوارد فى هذه الآية ، فلن تسعفنا كل صفحات هذا الكتاب لشرح هذا المعنى .

وأكرر هنا أن القضية المعروضة فى هذا الكتاب ، ليست قضية تبشيرية كما قد يظن البعض ، فعلى الإنسان أن يعى أن مصيره وخلاصة معلق بمعرفته الحقه لله ـ سبحانه وتعالى ـ **وتوجهه الصحيح إليه** ، وهذا لن يتأتى إلا من خلال الدين الصحيح فقط ، أما الإصرار على الإحتفاظ

---

[٢١١] مدير معهد الأبحاث المسكونية (أى العالمية) بجامعة توبنجن بألمانيا .
[٢١٢] أنظر بند (١٤ . قانون الخلاص الفطرى) ص : ١٩٧ من هذا الفصل .

بالوثنيات ولاء لدين موروث ، أو تحقيقا لمنفعة إجتماعية ، فلن يجنى منها الإنسان إلا الخسارة لوجوده والخسران لمصيره ، لأنه لم يحقق الغايات من خلقه ككائن عاقل متعقل . وفى هذا الشأن يعرض الله - سبحانه وتعالى - الصورة التى سوف يكون عليها ذلك الإنسان الخاسر لنفسه ، لعله يثوب الى رشده ويتدارك نفسه قبل فوات الأوان ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (٢٧) بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون (٢٨)]

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ٢٧ - ٢٨)

وأحد النتائج العرضية والضمنية لهذه الاية الكريمة ، هى أنها تنفى فكرة التناسخ بشكل قطعى ، أى تناسخ الأرواح كما تجيء به ديانات الهند الكبرى . فالآية الكريمة تحوى المعنى العام **بعدم جدوى التناسخ طالما لا يكون مصحوبا بذاكرة ما عن تجربة سابقة** ، أو تجربة مستفادة لتصحيح الموقف فى حياة أخرى ، فهل تنبه الإنسان إلى هذا المعنى فى قوله تعالى : [... **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**] ... أم لا يعى ما يسمع ...!!!

ولننتقل الآن الى " **الكتاب المقدس** " بعهديه القديم والجديد ، لنرى من خلاله النصوص ، والأنبياء والفكر الإلهى ، وماذا يقدم هذا الكتاب للبشرية ، ثم لماذا كانت المذاهب الفكرية (أى الوضعية) هى النتيجة الحتمية لهذا الكتاب ...!!!

الفصل الثالث

التجربة الدينية للبشرية مع الديانتين

اليـهوديـة والمسيـحيـة

(الأنبياء ـ النصوص ـ الفكر الإلهى)

لقد قال لى : إن إلهى حق ...!!!
فقلت له : لعلك تكون صادقا ...
فدعنا نذهب إلى المعبد لنراه معا ...!!!

لقد إنتهينا من الباب السابق ، بأن الدين هو فكر إلهى محض ، يمثل المسئولية الإلهية تجاه الإنسان فيما يريده " الله " ويبغيه منه . كما إنتهينا أيضا إلى أن المتحدث فى الدين هو " الله " ، الخالق ، ذو الكمالات المطلقة ، والعليم بكل العلم المطلق ، وبالتالى لزم أن يكون الدين هو مصدر للمعرفة البشرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وجودها ومصيرها ، وتكون قضايا الدين هى القوانين الكلية لوجود متعال ، بينما يكون الوجود الإنسانى بفيزيانه وكونياته هى القوانين الجزئية لوجود محدود ، من هذا الوجود الكلى والشامل .

كما إنتهينا أيضا إلى أن الدين يجب أن يقوم بإلقاء الضوء على معارف جديدة ، تخرج كثيرا عن نطاق الإدراك المباشر والغير مباشر للإنسان . وربما تدخل المعرفة بهذا المعنى فى النطاق الغيبى أو " المعرفة الغيبية " . ولكن جذور هذه المعرفة الغيبية تمتد إلى المعرفة الفيزيانية للعالم المحيط بنا ، والذى يسهل معه التثبت منها ، وبالتالى التثبت من هذا الغيب . وبهذا يصبح الغيب فى القضية الدينية هو الإمتداد الطبيعى لوجود فيزيانى فعلى لواقع مشهود يمثل دليل الصدق عليه .

كما يلقى الدين الضوء على إمكانية وجود الومضات أو الإلهامات الإلهية للإنسان ، التى يمكن أن تتجاوز وترقى به من البرهان الوضعى أو الإستدلال المنطقى لصحة الدين الى منطقة الرؤية المباشرة ، أو بمعنى أدق ، الرؤية الوجدانية " لله " - سبحانه وتعالى - ولرؤية الوجود الكلى دفعة واحدة ، وبدون أى عناء برهانى . وهذه الروية الوجدانية قد تصل بالمرء فى معناها وفى مغزاها الى الإدراك اليقينى لما تجىء به الحواس المباشرة تماما .

وقد إنتهينا كذلك إلى أن الإنسان غير مؤهل فطريا لمعرفة المقاصد أو الغايات الإلهية من الخلق على وجه عام ، والحكمة الإلهية من خلق الإنسان على وجه خاص . كما يجب وأن نعترف بان مثل هذا النوع من المعرفة لا يمكن الوصول إليه بأى شكل من الأشكال ، من خلال الخبرات المكتسبة ، أو من خلال أى خبرات عملية يمكن إجراؤها على نحو ما أو أخر فى مختبر ما أو معمل . كما لا يمكن الوصول إلى هذه المعرفة من خلال فكر فلسفى أو تأملى خاص . لذلك لزم أن يحيطنا الله علما بهذه المقاصد والغايات الإلهية من الخلق وكذا الحكمة من خلق الانسان على وجه الخصوص ، وذلك من خلال وحيه لفئة خاصة من البشر يصطفيها الله لهذا الغرض ، وهى فئة الأنبياء والرسل .

ومن جانب اخر ؛ فإن الدين يمثل إستكمال تعريف الإنسان بـ " الله " ... وبـ " كمالات الله " ... المطلقة ، وكذا تعريف الإنسان بـ " نفسه " ، وبـ " فعل الله الكلى " بالمفهوم المطلق لهذه المعانى . وجميعها أمور لم يؤهلنا " الله " بمعرفتها بالفطرة (**By Default**) ، (أى بمعنى أن الله لم يتم تركيبها فى النفس البشرية ، أثناء عملية التكون الجنينى للإنسان مثلها فى ذلك مثل الغرائز والحواس المختلفة ، ومثل فطرية إدراك وجود الله) ، لذا لزم قيام الله بإخبار الإنسان عنها ، من خلال هذه الفئة ـ من البشر ـ التى يصطفيها الله خصيصا لهذا الغرض ، وهى فئة الأنبياء والرسل . حيث يقوم " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ بإيحاء ما يريده للبشرية لهذه الفئة ، ثم تقوم هذه الفئة بدورها بالتبليغ عنه بما يريد . وبهذا نخلص إلى أن الأنبياء والرسل هم ضرورة تحتمها الغايات الإلهية من خلق الإنسان .

وبديهى إن هذا الإنسان الذى أهله " الله " بالعقل والتعقل (أى المنطق) ، وبفطرة تضمن التمييز بين ما هو حق وما هو باطل ، لن يقبل أى تفسيرات جزافية أو خرافية ، تحت زعم أن الغايات أو المقاصد الإلهية يمكن أن تكون بكاملها غيبيات ، حيث لا يمكن التأكد منها أو القطع بصحتها على نحو مطلق .

وبديهى أيضا أن فئة الأنبياء والرسل ـ وهم فئة الإصطفاء الإلهى والتى تقوم بالتبليغ عن الله ، سبحانه وتعالى ـ ينبغى أن تمثل القدوة البشرية للبشرية فيما يتم تطبيقة من أوامر ونواهى معينة قد يقضى بها " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان .

وبعد هذا التقديم ؛ ان لنا أن نتناول التجربة الإنسانية عن قرب مع الأديان . وربما كانت أهم تلك التجارب هى التجربة البشرية مع الديانتين : " اليهودية " و " المسيحية " ، لما لهما من أصول سماوية لدى الإنسان . مما يجعل تناول تلك التجربتين أمر حتمى للنظر عن قرب عما خلفه أمر هاتين الديانتين من ناتج ورد فعل سيء على الإنسان ، لا لكون أن هذه الديانات لها صلة بـ " الله " ، ولكن من منظور ما فعله الإنسان بهاتين الديانتين ، والناتج النهائى لما أصبحتا عليه من وضع متردى ، أفرز سلبيات واضحة إنعكس اثارها على الأنسان ، مما جعله يقف موقف المتردد فى قبول الدين الحق على نحو عام ، مهما كانت الحقائق الدالة على صدقة .

وسوف نرى فى هذا الفصل ، أن الإنسان غير معصوم من الخطأ عند إعادة صياغة الفكر الإلهى حتى وإن كانت أصول هذا الدين السماوية موجوده لديه . وربما كان هذا دليلا كافيا للإنسان فى تأكيد عدم صلاحيته لهذه المهمة ، أى عدم صلاحية الإنسان فى إعادة صياغة أى نص إلهى موحى به له . ولهذا نرى " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ فى رسالته الأخيرة للبشرية ، يعفى الإنسان من أى مسئوليات تجاه الحفظ والصياغة لوحية ، كما جاء فى قوله تعالى :

[إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)]

(القران المجيد : الحجر {١٥} : ٩)

والذكر هو القرآن المجيد ... أى لا إجتهادات متروكة للإنسان تجاه النص الإلهى ، ولا أدنى مسئولية قد ألقيت على عاتق الإنسان حتى تجاه حفظه . فقد تكفل " الله " سبحانه وتعالى بهذا وذاك . فلم يترك " الله " ـ عز وجل ـ شيئا من مثل هذه الأمور (أى فى شأن القران المجيد أو دستور العقيدة الإسلامية) للإنسان ... حتى لا يضل الإنسان ولا يضلل .... كما فعل سابقا فى الديانتين اليهودية والمسيحية ، وكما سنرى ذلك حالا . ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وإلى الله ترجع الأمور .

وعلى الرغم من هذا ، فإننا لن نتناول الكتاب المقدس من منطلق أى فكر تحريفى قد حدث فيه ، فمثل هذا التناول قد يخلق جوا من الجدل تضيع معه الرؤية الحقيقية للعقيدة ، بل سوف يتم تناول **الكتاب المقدس** من المنظور القائل بأنه :

وحى مطلق ومعصوم من الخطأ "

كما يقول بهذا أهل العقيدة أنفسهم . بل والأكثر من هذا فسوف أتفق منذ البداية مع فكر الأسقف استانلى شوبرج كبير قساوسة السويد والذى يقول :

بـ " إستحالة تحريف الكتاب المقدس

نظرا لوجود مفتاح (أو كود) جينى (**genetic code**) ـ كما يقول ـ لنصوص الكتاب المقدس ، بمعنى وجود " تركيبة رقمية " تقع خلف كل حرف من حروف التوراة والإنجيل فى أصلهما العبرى واليونانى ، مما يسهل معه إكتشاف أى تحريف حادث فيه [١] .....!!!

فليس الهدف هنا هو دراسة نقدية للعقيدة ، **بل الهدف هو العرض المجرد لهاتين الديانتين** كما صاغهما الإنسان بعد مجهودات مضنية من إعمال الفكر على مدى أكثر من ثلاثة الاف عام [٢] ، وذلك على الرغم من وجود الأصول السماوية لهاتين الديانتين لديه .

وسيرى القارىء بسهولة ويسر ، وبدون أدنى مشقة أو أى مجهود ذهنى أو إعمال لأى فكر ...!! مدى تردى الإنسان فى هذا الكم الهائل من الوثنيات الدينية والخلط الخيالى ، وذلك على الرغم من أن الإنسان كان حريصا ـ بل ومن الغريب أيضا أن الإنسان ما زال حريصا حتى الان ـ من السقوط فى هاوية الوثنيات الفكرية . وسيرى القارىء كذلك أن الناتج الحتمى لهاتين الديانتين ، هى التى جعلت من الإنسان يقف مثل هذا الموقف الشارد عن الدين ، كما وإن هذه النتائج هى التى أدت إلى إنقطاع صلة الإنسان الحقيقية بـ " الله " ...!!! ومن ثم ... ليس ضياعه فى هذا الوجود المادى فحسب ... بل وخسرانه **لمصيره النفسى والروحى** أيضا ....!!!

١ . *الكتاب المقدس فى كلمة موجزة*

كما سنرى فإن الكتاب المقدس
المتداول اليوم فى العالم المسيحى يتكون من **جزئين** أساسيين هما ؛ " **العهد القديم** " و " **العهد الجديد** " . ويمثل " **العهد القديم** " الجزء الأول من الكتاب المقدس ، وهو **يتضمن التوراة** وهو

---

[١] " مناظرتان فى استوكهلم " ، أحمد ديدات و استانلى شوبيرج ، دار الفضيلة ، ترجمة على الجوهرى ؛ ص . ٢٣/٤٤ .

[٢] التاريخ التقريبى لتدوين " التوراة " ، أى أول خمس أسفار من الكتاب المقدس ، هو القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أى منذ حوالى ٣٥٠٠ سنة من هذا التاريخ (أنظر الملحق الثانى من هذا الكتاب) .

الشريعة المكتوبه (تثنية ٣١ : ٩ ، ٢٤) لدى بنى إسرائيل . والعهد القديم هو عقيدة بنى إسرائيل ، أو هو الديانة اليهودية [٣] ، وهو وحى وتنزيل إلهى ، ومنه يستمد اليهود عقيدتهم ونظمهم وأخلاقهم ، ويستندون إليه فى معرفة تاريخهم .

أما " **العهد الجديد** " فهو أسفار خاصة بالشعب المسيحى فقط ، ويمثل الجزءين معا ، أى جزءى الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) " **الديانة المسيحية** " . ولإلقاء الضوء على الكتاب المقدس ، يجب أن نتعرض أولا لمحتويات هذا الكتاب على نحو موجز لنرى ما يحويه ، وكيف تقررت محتوياته وأخذت صيغتها القانونية على مر السنين .

١ . ١ . أولا : العهد القديم [٤] :

" العهد القديم " هو الجزء الأول من الكتاب المقدس ، وقد سمى كذلك نسبة إلى العهد الذى أقامه الله مع بنى إسرائيل وحدهم فى أيام موسى النبى ، كما جاء فى النص :

[وأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال : هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال]

(الكتاب المقدس : سفر الخروج {٢٤} : ٨)

ويتكون " العهد القديم " من **تسعة وثلاثين (٣٩) سفرا (أو كتابا) حسب رأى رجال اللاهوت البروتستانت** ، وجملة إصحاحاته (أى جملة أجزاء هذه الأسفار أو الكتب) هو ٩٢٩ إصحاح .

---

[٣] فى الواقع لا يمثل " العهد القديم " فقط الديانة اليهودية ؛ بل " **العهد القديم** " و " **التلمود** " هما الديانة اليهودية . والتلمود هو الشريعة الشفاهية التى فاه بها موسى إلى الشيوخ السبعين (خروج ٣٤ : ٢٧ - ٣٥) . والتلمود يتكون من " **المشنا** " أى المتن ، و " **الجمارا** " أى الشروحات . و " العهد القديم " و " التلمود " فى العقيدة اليهودية ؛ يقابلهما " **القران الكريم** " و " **السنة أو الأحاديث النبوية الشريفة** " فى الديانة الإسلامية . ويضم التلمود الكامل ٦٣ كتابا فى ٥٢٤ فصلا ، يضاف إليها أربعة كراسات قصيرة ، لم تكن فى التلمود النظامى ، ولكنها جمعت من قبل كتاب ومفسرين متاخرين . ويقول الأب اى . بي . برانايتس ، بأن التلمود كتاب ضخم ذو طبيعة فوضوية .
[" **فضح التلمود - تعاليم الحاخامين السرية** " ؛ الأب آى . بي . برانايتس . إعداد زهدى الفاتح . دار النفائس ؛ بيروت ؛ ص : ٣٥ / ٣٨] .

[٤] تعتبر الترجمة السبعينية (**Septuagint**) هى أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم (أو الجزء الأول من الكتاب المقدس) ، وذلك عن نسختها الأصلية بالعبرية إلى اللغة الإغريقية السائدة فى مدينة الأسكندرية - مصر آنئذ - (وهى اللغة الهيلينية : **Hellenic**) . وقد تمت هذه الترجمة بأمر من الحاكم " بطلميوس فيلادلفوس " عام (٣٨٢ - ٢٨٢ ق . م.) . وسميت الترجمة بـ " السبعينية " لأنه قام بها سبعون أو إثنان وسبعون حبرا يهوديا ، أى بمعدل ستة أحبار من العبرانيين عن كل سبط من أسباط بنى يعقوب الإثنى عشر . فلما ترجموا الكتب نظروا إلى تراجمهم فكانت الترجمة واحدة ليس فيها إختلاف . فجمعت الكتب وختمت بخاتم الحاكم ، ووضعت فى هيكل صنم يقال له " سرابيون **Serapis** : " . أنظر " **محاضرات فى مقارنة الأديان** " إبراهيم خليل أحمد (سابقا : القس إبراهيم خليل فليبس : : راعى الكنيسة الإنجيلية وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط) ، دار المنار ص : ٤٤ - ٤٥ .

ويقسم علماء دائرة المعارف البريطانية ، أسفار العهد القديم إلى ثلاث مجموعات طبقا للتقاليد اليهودية . وهذه الأقسام الثلاثة هى كما يلى :

[١] . التوراة (Torah) أى الشريعة أو القانون وهى أسفار موسى الخمسة ، وتأتى على النحو التالى :

(١) **سفر التكوين** : ويحوى قصة نشوء أو خلق العالم ، ومن جملته الإنسان . كما يحوى هذا السفر قصص الأنبياء من ادم وخروجه من الجنة ، وبداية التاريخ العبرانى منذ عهد إبراهيم إلى إسحق وإشارة إلى يعقوب ويوسف عليهم السلام .

(٢) **سفر الخروج** : ويكمل قص التاريخ من موت يوسف إلى خروج بنى إسرائيل (مع موسى) من مصر ، ونزول الوصايا العشر على موسى وهو على جبل سيناء .

(٣) **سفر اللاويين** : ويحوى النظام التشريعى ، أى تنظيم الحياة الدينية والإجتماعية لبنى إسرائيل . وبه تفصيل عن تقديم الذبائح والمحرقات والقرابين ورسم الكهنة .

(٤) **سفر العدد** : ويحوى رحلة بنى إسرائيل من جبل سيناء إلى تخوم أرض كنعان (أرض الميعاد) ، ولم يدخلوها لجحودهم ، وعوقبوا بالتيه فى الصحراء لمدة أربعين عاما ، ثم ردوا إلى هذه التخوم مرة أخرى فى نهاية السفر . كما يحوى السفر شجرة القبائل الإسرائيلية وأنسابهم .

(٥) **سفر التثنية** : ويحوى كلمات موسى الأخيرة (خطبة الأحداث) ، والتى ألقاها موسى فى سهل مؤاب قبل الدخول إلى أرض كنعان . كما يحوى السفر خبر وفاة موسى ، وخلافة يشوع له فى قيادة بنى إسرائيل ، حيث بدأت حقبة أخرى من تاريخ بنى إسرائيل .

كما يطلق على هذه الأسفار الخمسة إسم البنتاتوك (**Pentateuch**) أيضا .

[٢] . الكتب (Hagiographa) : وهى سبعة عشر سفرا وتنقسم إلى قسمين :

(أ) الأسفار (أو الكتب) التاريخية :

وهى إثنتا عشر سفرا (أو كتابا) هم : يشوع ـ القضاة ـ راعوث ـ صمويل الأول ـ صمويل الثانى ـ الملوك الأول ـ الملوك الثانى ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثانى ـ عزرا ـ نحميا ـ أستير .والاسفار أو الكتب التاريخية ؛ تسجل بعض التقاليد الإسرائيلية والوقائع التاريخية ، وقصة

إنحرافهم إلى الوثنيات المحيطة بهم (لإغاظة الرب) كما جاء فى سفر : (الملوك الثانى ١٧ : ١٦ - ٢٠) [٥] ، (أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٤ - ٢٠) [٦]

(ب) . الأسفار (أو الكتب) الشعرية :

وهى خمسة أسفار (أو كتب) هم : أيوب - المزامير - الأمثال - الجامعة - نشيد الإنشاد .

[٣] . الأنبياء (Prophets) :

وهى سبعة عشر سفرا (كتابا) وتنقسم إلى قسمين :

(أ) **الأنبياء الكبار وهم :** إشعياء - أرمياء - مراثى أرمياء - حزقيال - دانيال .

(ب) **الأنبياء الصغار وهم :** هوشع - يوئيل - عاموس - عوبيديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجى - زكريا - ملاخى .

وهى كتب أنبياء بنى إسرائيل ، وتتضمن بعض الوقائع التاريخية التى تكمل قصة بنى إسرائيل فى أرض الميعاد (كنعان وفلسطين) ، وتأسيس دولتهم التاريخية ونحوها [٧] .

وهذه الأسفار التسعة والثلاثون تشكل ما يسمى بالعهد القديم للأصل العبرانى ، وهى التى إرتضاها جمهور البروتستانت من المسيحيين .

وهناك أسفار أخرى لم تقبلها الكنيسة البروتستانتينية ، وبالتالى لم تقم بضمها إلى الكتاب المقدس وأطلقوا عليها إسم الأبوكريفا (Apocryphal) ، وهى كلمة معناها (الأسفار المخفية أو الغير قانونية) . ويعتبرها البروتستانت أسفارا مدسوسة لا ترقى إلى مستوى الوحى الإلهى . كما يقولون بأنها تضم موضوعات غير ذات أهمية وخرافات لا يقبلونها [٨] . بينما تعتبرها الكنيستان الأرثوذوكسية والكاثوليكية ، أسفارا قانونية ، ويطلقون عليها إسم " **الأسفار القانونية الثانية** " ، أى عكس ما يقول به البروتستانت تماما ، ويقولون بأنها جمعت بعد موت عزرا الكاهن وقد اعترفت بها الكنائس المسيحية التقليدية وبقانونيتها على مر العصور . وتطبع هذه الأسفار كملحق أو ككتاب مستقل عن الكتاب المقدس المتداول فى الأسواق ، وتحمل إسم :

---

[٥] **[(١٦) وتركوا جميع وصايا الرب إلاههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل (١٧) ... وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته ...]**

(الكتاب المقدس : الملوك الثانى {١٧} : ١٦ - ١٧)

[(١٤) حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم ...]

(الكتاب المقدس : أخبار الأيام {٣٦} : ١٤)

[٧] " الغفران بين الإسلام والمسيحية " إبراهيم خليل أحمد (سابقا القس إبراهيم خليل فيلبس : راعى الكنيسة الإنجيلية وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط) . دار المنار . ص ٢٨ .

[٨] " الكتاب المقدس - الأسفار القانونية الثانية " ، مكتبة المحبة ، ص ٥ .

" الكتاب المقدس ـ الأسفار القانونية الثانية [9] "

ويحوى هذا الملحق هذه الأسفار (مضافا إليها الإشارة إلى موقعها من نصوص الكتاب المقدس المتداول) **وهى كالنحو التالى** :

١. سفر طوبيا ، ومكانه بعد سفر نحميا .
٢. سفر يهوديت ، ومكانه بعد سفر طوبيا .
٣. تتمة سفر أستير (وهو يكمل سفر أستير الموجود فى الكتاب المقدس) .
٤. سفر الحكمة لسليمان ، ومكانه بعد نشيد الإنشاد .
٥. سفر يشوع بن سيراخ ، ويقع بعد سفر الحكمة .
٦. سفر نبوة باروخ ، ومكانه بعد سفر مرانى أرميا .
٧. تتمة سفر دانيال (وهو مكمل لسفر دانيال الموجود بالكتاب المقدس) .
٨. سفر المكابيين الأول ، ومكانه بعد سفر ملاخى .
٩. سفر المكابيين الثانى ، ومكانه بعد سفر المكابيين الأول .

ونلاحظ ، أنه يوجد تتمتيْن فى الأسفار السابقة وهما : تتمة سفر أستير وتتمة سفر دانيال ، وبالتالى فهما لا يعاملان كأسفار مستقلة ، بل يضافوا فقط على أسفارهم المناظرة فى الكتاب المقدس . وبهذا تصبح الأسفار القانونية الثانية هى " **سبعة أسفار فقط** " ، فإذا أضفنا هذه الأسفار السبعة إلى الـ (٣٩) سفرا السابقين فيكون المجموع هو (٤٦) سفرا . وبهذا يكون عدد أسفار " العهد القديم " من وجهة نظر الكنائس المسيحية التقليدية (أى الكنيستان الأرثوذوكسية والكاثوليكية) هو (٤٦) سفرا . بينما يكون عدد أسفار " العهد القديم " من وجهة نظر الكنيسة البروتستانتينية هو (٣٩) سفرا فقط .

والتسميات : البروتستانت تعنى المحتجون ، والكاثوليك تعنى حر الفكر ، والأرثوذكس تعنى مستقيم الرأى .

ويبقى أن نشير هنا ؛ إلى أن مؤلف كتاب " إستحالة تحريف الكتاب المقدس [10] " ، يقول بأن " العهد القديم " ذا الستة والأربعين سفرا ، يمثل أيضا " الديانة اليهودية " ، إلا أن عدد أسفار "

[9] " إستحلة تحريف الكتاب المقدس " وهيب عزيز خليل ، مراجعة الإيبوذياكون الدكتور إبراهيم سدراك ، كنيسة الشهيدة دميانة بالهرم ، الطبعة الثانية ، ص ٢٢ .
[10] المرجع السابق ، ص ٢٢ .

العهد القديم " عند اليهود يختلف عنه عند المسيحيين ، وذلك نتيجة إدماج اليهـود لبعض الأسفار مع بعضها البعض ، دون المساس بها أو إحداث أى تغيير أو زيادة أى حرف من الحروف .

فعلى سبيل المثال فإن اليهود يدمجون أسفار الأنبياء الصغار الإثنى عشر مضافا إليه سفر باروخ ، ويعتبرن هذا كله سفرا واحدا فقط ، كما تم عمل بعض الإدماجات المماثلة فى باقى الأسفار الأخرى . ونتيجة لهذا الدمج أصبح أسفار الديانة اليهودية هى واحد وثلاثون (٣١) سفرا فقط بدلا من الـ (٤٦) سفرا الموجودين لدى الكنائس المسيحية التقليدية [١١] ، ولكن المادة الدينية فى كلاهما واحدة .

وبهذا المعنى يكون مؤلف كتاب " إستحالة تحريف الكتاب المقدس ، قد قال بأن أسفار الأبوكريفا (أى الأسفار القانونية الثانية والتى لم تعترف بها طائفة البروتستانت) هى من ضمن أسفار العهد القديم الذى يعترف بها الشعب اليهودى . وهو بهذا يتناقض مع قالت به طائفة البروتستانت فى عدم قبول هذه الأسفار ، إستنادا إلى إعتقاد اليهود بأنها أسفار غير إلهامية (أى غير موحى بها) ، وهذا يعنى أن اليهود لا يضموا هذه الأسفار إلى العهد القديم . وعموما فإن هذا لا يهم بالنسبة لنا ، لأننا لن نعتمد على أى نص من نصوص الأبوكريفا عند الإستشهاد بنصوص الكتاب المقدس .

وجدير بالذكر أن طائفة السامريين من اليهود [١٢] ، لا تسلم من بين جميع أسفار العهد القديم الخفى منها وغير الخفى ، إلا بسبعة أسفار فقط يطلق عليها سبتاتوك (**Septateuch**) ، ولا تعترف بباقى أسفار العهد القديم ، بل وتراه محرفا ، أو موضوعا وغير موحى به . والكتب السبعة التى يعتمدها السامريين هى : **التوراة (خمسة أسفار) ، وسفر يشوع ، وسفر القضاة** . والسفران الأخيران هما من الأسفار التاريخية [١٣] . وكما نرى من هذا ، إن الشعب اليهودى نفسه ، متخبط ومختلف فى تحديد هوية الأسفار المقدسة التى يحويها الكتاب المقدس . وحتى إذا ما سلمنا بأن طائفة السامريين قلة فى الشعب اليهودى ، إلا إن هذا يمثل رأى لطائفة منهم لا تعترف بقدسية أغلب أسفار العهد القديم .

---

[١١] المرجع السابق ، ص ٢٣ .

[١٢] هم العشرة أسباط من بنى إسرائيل (أبناء يعقوب عليه السلام) الذين إنشقوا على رحبعام بن سليمان بن داود وانشئوا مملكة إسرائيل فى الشمال بزعامة يربعام فى الفترة من ٩٧٥ ق.م. إلى ٧٢١ ق. م. (الملوك الأول ، الإصحاح ١٢ : ١٢ – ٣٣) ، حتى أبادهم شلمنأصر ملك آشور . ولم يبق فى اليهودية إلا سبط يهوذا وبعض من بنيامين ، وامتدت مملكة يهوذا من ٩٧٥ ق. م. إلى ٥٨٦ ق. م. ، حتى سباهم نبوخذ نصر إلى بابل ، وأحرق بيت الله ، وخرب أورشليم .

[١٣] " **الفقران بين الإسلام والمسيحية** " إبراهيم خليل أحمد (سابقا القس إبراهيم خليل فيلبس : راعى الكنيسة الإنجيلية وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط) . دار المنار . ص ٢٩ .

١ . ٢. ثانيا : العهد الجديد [14]

كما سبق وأن ذكرنا ، فإن " العهد القديم " يمثل الجزء الأول من العقيدة المسيحية ، لإقرار يسوع المسيح بذلك فى قوله :

[(١٧) لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل]
(الكتاب المقدس : متى { ٥ } : ١٧)

أما الجزء الثانى من العقيدة المسيحية أو " الكتاب المقدس " ، فهى أسفار (أو كتب) خاصة بالشعب المسيحى فقط ، ويطلقون عليها إسم " **العهد الجديد** " . وتأتى هذه التسمية ـ كما يعتقدون ـ فى ذكرى دم يسوع المسفوك على الصليب فداء لخطيئة الإنسان ، كما جاء فى رسالة بولس إلى العبرانيين :

[(١٢) وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبديا ..... (١٥) ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد ...]
(الكتاب المقدس : العبرانيين { ٩ } : ١٢ – ١٥)

ويتكون " العهد الجديد " من سبعة وعشرين سفرا (أو كتابا) أقرها رجال اللاهوت من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها والتى كانت متداوله فى القرن الخامس الميلادى [15] .

وتنقسم أسفار العهد الجديد إلى أربع مجموعات هى :

[١] . البشائر أو الأناجيل الأربعة ، بحسب كتابة :
متى ـ ومرقس ـ ولوقا ـ ويوحنا .

---

[14] تعتبر أقدم نسخة للكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) ، هى التى قام بترجمتها القديس جيروم ، حيث تقول دائرة المعارف البريطانية (جـ ٣ ص ٥٨٢) فى هذا الشأن بأن :
" القديس جيروم قد قام بتكليف من البابا بترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد عن النسخة السبعينية الإغريقية للعهد القديم ، والنسخة الإغريقية للعهد الجديد إلى اللغة اللاتينية عام ٤٠٤ م . وسميت هذه النسخة بـ " الفولجاتا : **Vulgate** " . وكانت الفولجاتا هى النسخة الوحيدة للكتاب المقدس المعروفة والمستعملة فى الكنائس الغربية فى العصور الوسطى . والترجمة التى أقرها ـ فيما بعد ـ مجمع " ترنت : **Trent** " عام ١٥٤٦ م ، كانت مأخوذة عن الفولجاتا ، وهى التى أصبحت " الكتاب المقدس الرسمى : **The Official Bible** " للكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

[15] " محاضرات فى مقارنة الأديان " إبراهيم خليل أحمد (سابقا القس إبراهيم خليل فيلبس : راعى الكنيسة الإنجيلية وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط) . دار المنار . ص ١٢ . (أنظر كذلك التذييل الثامن عشر للتفاصيل) .

[٢] . التاريخ ــ سفر أعمال الرسل (الابركسيس) :

وتنسب إلى لوقا وفقا لإقراره (سفر أعمال الرسل ١ : ١ – ٢)

[٣] . الرسائل المسيحية (٢١ رسالة) وتنقسم إلى نوعين :

(أ) أربعة عشر رسالة منسوبة إلى بولس وهى :

رومية - كورنثوس الأولى - كورنثوس الثانية - غلاطية - أفسس - فيلبى - كولوسى ــ تسالونيكى الأولى - تسالونيكى الثانية - تيموثاوس الأولى - تيموثاوس الثانية - تيطس - فليمون - العبرانيين

والرسالة الرابعة عشر منها وهى " الرسالة إلى العبرانيين " موضع ريبة . وإن بعض اللاهوتيين لا يقرون بصحتها . وقد جاء فى " دائرة المعارف البريطانية " عنها : ومما يشار إليه فى هذا الصدد أن الرسالة إلى العبرانيين لم يقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م .

(ب) الرسائل السبع الباقية ويطلق عليها إسم " الرسائل الجامعة أو الكاثوليكية " وهى :

يعقوب - بطرس الأولى - بطرس الثانية - يوحنا الأولى - يوحنا الثانية - يوحنا الثالثة - يهوذا

[٤] . الإعلان الأخير : وهو " سفر الرؤيا " أو سفر " رؤيا يوحنا اللاهوتى " .

****

١ . ٣. المجامع الكنسية [١٦] وتشكيل فكر العقيدة المسيحية

كما سنرى ، لقد تبلورت العقيدة المسيحية فى شكلها النهائى التى نراها عليه اليوم من خلال إنعقاد عشرات من المجامع الكنسية ، ما بين مجامع مسكونية (أى عامة) ، ومجامع إقليمية أى غير مسكونية . **وقد قامت هذه المجامع بالإقتراع على تحديد أسفار (أو كتب) الكتاب المقدس من بين عشرات الكتب المماثلة [١٧] ، وكذلك الإقتراع على الفكر الدينى نفسه الوارد بالعقيدة ، وبهذا تشكلت العقيدة ، فكرا وكتابا ، بالتصويت وبأخذ الآراء فى هذه المجامع الكنسية .**

---

[١٦] تنقسم المجامع الكنسية إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى : مجامع مكانية ، ومجامع إقليمية ، ومجامع عامة " مسكونية " . والمجامع المكانية يجتمع فيها الأسقف والقسوس والشمامسة فى مركز الإيبارشية لتدبير أمورهم الخاصة . والمجامع الإقليمية تجتمع برئاسة مطران الإقليم (أى أسقف المدينة الأولى فى الإقليم) لبحث أمور خاصة بالإقليم . أما المجامع العامة أو المسكونية فيحضرها أساقفة من جميع أنحاء العالم المسيحى ، شرقا وغربا ، وتبحث أمور العقيدة أساسا .
والكنيسة الرومانية الكاثوليكية تعترف بوجود (٢١) مجمع مسكونى هى – حسب **موسوعة جروليار الإلكترونية** ، لسنة ١٩٩٥ – كالآتى بعد وتواريخ إنعقادها :

١. نيقية الأول (٣٢٥) ٢ . القسطنطينية الأول (٣٨١) ٣ . إفسس (٤٣١) ٤ . خلقدونية (٤٥١)
٥ . القسطنطينية الثانى (٥٥٣) ٦ . القسطنطينية الثالث (٦٨٠ – ٦٨١) ٧ . نيقية الثانى (٧٨٧)
٨ . القسطنطينية الرابع (٨٦٩ – ٨٧٠) ٩ . لاتيران الأول (١١٢٣) ١٠ . لاتيران الثانى (١١٣٩)
١١ . لاتيران الثالث (١١٧٩) ١٢ . لاتيران الرابع (١٢١٥) ١٣ . ليونز الأول (١٢٧٤)
١٤ . ليونز الثانى (١٢٧٤) ١٥ . فيينا (١٣١١ – ١٣١٢) ١٦ . كونستانس (١٤١٤ – ١٤١٨)
١٧ . باسل – فيرارا – فلورنس (١٤٣١ – ١٤٤٥) ١٨ . لاتيران الخامس (١٥١٢ – ١٥١٧)
١٩ . ترنت (١٥٤٥ – ١٥٦٣) ٢٠ . الفاتيكان الأول (١٨٦٩ – ١٨٧٠)
٢١ . الفاتيكان الثانى (١٩٦٢ – ١٩٦٥)

أما باقى الكنائس ـ المتحدة ـ فلا تعترف إلا بالسبع مجامع الكنسية الأولى فقط كمجامع مسكونية ، وتعتبر باقى المجامع إقليمية . وهكذا نرى أن هناك خلاف حول تحديد هوية المجمع بإعتباره " مجمع مسكونى " أو " مجمع إقليمى " ، ولكن هذا لا يعنينا كثيرا ، لأن ما يعنينا هو قرارات المجامع وليس تصنيفها . **كما يوجد مجامع أخرى خاصة بإنتخاب نصوص الكتاب المقدس ، سوف نتعرض لها فى حينها .**

[١٧] كان لدى النصارى فى القرنين الأول والثانى الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل المعتمدة الأربعة السابق ذكرها . ومن الأناجيل الكثيرة ، التى رفضتها الكنيسة ، نذكر أشهرها كما ورد ذكرها بدائرة المعارف الأمريكية (جـ ١٣ ـ ص : ٧٠ – ٧١) :

١. إنجيل توما (وهو يتكلم عن تاريخ مريم وطفولة المسيح) ٢. إنجيل متى (الكذوب) ٣. إنجيل العبريين ٤. إنجيل الناصريين ٥. إنجيل الإثنى عشر ٦. إنجيل الأبيونيين ٧. إنجيل المصريين (وقد عرف بذلك لإنتشاره بينهم ، وقد أشار إليه كليمنت السكندرى ، وأوريجين) ٨. إنجيل بطرس (وقيل أنه كان يستخدم فى العبادة فى الربع الأخير من القرن الثانى الميلادى) ٩. إنجيل باسيليوس (من أصل سكندرى ، تكون فى منتصف القرن الثانى) ١٠. إنجيل ماركيون (نسخة من لوقا صنفها ماركيون) ١١. إنجيل أبللس (تلميذ لماركيون ، وقد فقد النص) ١٢. إنجيل فاسنس (ينسب لطائفة غنوسطينية) ١٣. إنجيل فيليب (محتمل أنه قد تكون فى الربع الأخير من القرن الثانى ، وكانت تستخدمه طائفة غنوسطينية فى مصر) ١٤. إنجيل مانياس ١٥. إنجيل مريم (توجد منه ثلاث قصاصات فقط) ١٦. **إنجيل بارثولماوس (وفيه يسمح المسيح لبرثولماوس أن يرى الشيطان ويسائله ، وقد وجد أن طوله ٦٠٠ ذراع ، وعرضه ٣٠٠ ذراع ، ويحرسه ٦٠٦٤ ملاكا)** ١٧. إنجيل نيقوديموس ١٨. إنجيل غمالائيل ١٩. إنجيل الكمال ٢٠. إنجيل أندراوس ٢١. إنجيل برنابا ٢٢. إنجيل لانكراتين ٢٣. أنجيل تداوس ٢٤. إنجيل الحق

وفى الواقع ؛ عندما نعرض هنا لأعمال هذه المجامع الكنسية وقراراتها ، فإننا نعرضها لا لكونها شكلت فكر العقيدة المسيحية فحسب ، بل الأكثر أهمية من هذا ، هو إلقاء الضوء على المعاناة البشرية ، التى عاناها الإنسان ، نحو إعادة صياغة دين ما ... له أصوله السماوية عنده . ومع ذلك لم ينجح ـ الإنسان ـ فى هذه المهمة فحسب ، بل فشل فشلا ذريعا فيها أيضا . بل وما زال حتى الان ـ كما سنرى حالا ـ يقوم بعمل تعديلات جوهرية فى فكر الكتاب المقدس فى محاولة مستميتة منه لإسباغ نوع من الشرعية الشكلية فقط على العقيدة ، وليس إسباغ نوع من أنواع المنطق الفكرى عليها ..!!!

وجدير بالذكر ؛ إن فشل الإنسان فى مجرد إعادة صياغة فكر دينى ، له أصوله السماوية لديه ، إنما يعكس ـ فى الواقع ـ ضعف قدرة الفكر البشرى عند تناول قضايا كلية لم يؤهله " الله " فطريا للتعامل معها بشكل مباشر .

لقد إنعقد أكثر من عشرين مجمع كنسى حتى منتصف القرن السادس عشر ، ما بين مجامع مسكونية (أى عامة) ومجامع إقليمية ، حضرها الاف المشتركين من أساقفة ، ورجال دين ورجال فكر ، وفلاسفة أيضا ...... للإقتراع على الكتب الموجودة وإنتخاب أسفار (أو كتب) الكتاب المقدس من بينها .

وكما سنرى فإن الإنسان لم ينجح ، بل ولم يفلح فى مجرد إختيار كتب ذات صياغة معقولة خالية من الوثنيات الفكرية ومتسقة مع نفسها ، أى لا تحوى أى تناقضات فكرية فى مضامينها . وذلك على الرغم من أن الإنسان كان يملك بين يديه بقايا الأصول السماوية لهاتين الديانتين (اليهودية والمسيحية) معا ، مما كان يسهل معه الحكم الصحيح على فكر العقيدة على نحو إجمالى ، وحذا إختيار الكتب أو النصوص المناسبة دون التردى فى هذه الوثنيات الفكرية ، كما سنرى .

كما يجدر الإشارة هنا ؛ إلى أن فشل الإنسان فى مجرد إعادة صياغة أو ضبط فكر دينى له أصل سماوى لديه ، بل وفشله أيضا فى منع أو تسرب الفكر الوثنى من بين يديه ، ليذهب ـ هذا الفكر ـ ليقف جنبا إلى جنب مع فكر العقيدة الإلهية ، وليتساوى أيضا مع النصوص السماوية ، يجعل القول بإمكانية إنشاء ديانة متكاملة لا يجد الإنسان لديه منها أى أصل أو جذور سماوية لها ....!! يمثل المستحيل بعينه ، والذى لا يمكن تحقيقه ، أو القول به .

إن المجامع الكنسية هى خير شاهد أو هى شاهد الصدق التاريخى ، على قصور الفكر البشرى تجاه الدين ، وربما كان هذا يحتم على الإله ـ وهو أعلم بهذا منا ـ ألا يترك أمرا من أمور الدين للإنسان حتى لا يضل ولا يضلل ، كما سبق وأن نوهنا ، ولهذا كان قوله تعالى عن القران المجيد :

[إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)]

(القران المجيد : الحجر {١٥} : ٩)

أى لا إجتهادات متروكة للإنسان تجاه النص الإلهى ، كما لا توجد أدنى مسئولية تقع على عاتق الإنسان ، لا فى صياغة النص الإلهى ولا فى حفظه ، فقد تكفل " الله " سبحانه وتعالى بهذا وذاك .

وفيما يلى ؛ سوف نأتى إلى أهم المجامع الكنسية بترتيبها الزمنى ، وأهم قراراتها الأساسية التى لعبت الدور الحاسم فى تشكيل فكر العقيدة المسيحية ؛ كما شكلت شكل الكتاب المقدس وترتيبه كما نراه عليه اليوم . وهذه المجامع الكنسية هى كالنحو التالى بعد .

١. ٣. ١. مجمع نيقية المسكونى الأول عام ٣٢٥ م .

إنعقد هذا المجمع ـ وهو أول المجامع العامة المسكونية ـ فى مدينة نيقية بآسيا الصغرى ، فى شهر مايو سنة ٣٢٥ م ، **بأمر من الإمبراطور " قسطنطين "**[١٨] ، **لحسم هوية المسيح** ، بمعنى هل " المسيح " هو " الله " ، أم مجرد نبى أو رسول من عند الله ، أو مجرد مخلوق شأنه فى ذلك شأن المخلوقات الأخرى . وقد حضر هذا المجمع المسكوني العام (٢٠٤٨) أسقفا . وانقسم المجمع على نفسه إلى معسكرين :

أولاهما : معسكر بزعامة الأسقف " اريوس " ومعه ١٧٣ أسقفا نادوا بأن يسوع (أى عيسى عليه السلام) مخلوق ، وليس هو " الإله " أو " إبن الإله " .

وثانيهما : معسكر بزعامة الشماس " أثناسيوس " ومعه ٣١٨ أسقفا ؛ ونادوا بأن يسوع هو " الإله المتجسد " الذى صار خلاصنا للعالم .

أما باقى الأساقفة فلم يكونوا متفقين على فكر واحد أو نحلة واحدة . ويقول الرواة أن اريوس إجتمع بهذا الباقى من الأساقفة وألقى بدعوته فيهم ، فإنضم إليه أكثر من سبعمائة أسقف . إلا أن الإمبراطور " قسطنطين " كان هو الكاهن الأعظم للإمبراطورية فى ذاك الوقت ، وقد

---

[١٨] عن حقيقة قصة تعميد الإمبراطور قسطنطين (أى قصة دخوله إلى الديانة المسيحية) فهى كالتالى : فقد كان قسطنطين سفاكا للدماء ، جنديا محاربا وغازيا فى المقام الأول . لذلك فقد تم تأجيل تعميده حتى رقد فى فراش الموت ، ولم يعد قادرا على الإيذاء وسفك الدماء . وقام بتعميده أسقف أدريانى مشهور بالخرافات أسمه " يوسيبيوس " ، ومات قسطنطين عام ٣٣٧ فى عيد الفصح .
[عن : " التاريخ الأسود للكنيسة " ؛ القس بيتر دى روزا ، الدار المصرية للنشر والتوزيع . ص: ٤٣]

وجد من دعوة " أثاناسيوس " مواءمة مع عقيدته [١٩] ، فأيده وعضده واعتبر الآخرين هراطقة (بمعنى كفرة) ، وانتهى المجمع إلى قرارات رئيسية منها :

(١) حرمان " آريوس " وأتباعه ونفيه من البلاد .

(٢) يسوع هو " الإله المتجسد " [٢٠] (٣) يسوع هو ابن الله حقيقة [٢١]

(٤) الخطيئة الأصلية [٢٢] (٥) الإيمان فى " الفداء والصليب " [٢٣]

(٦) حبس الكتاب المقدس فلا يمسه شعب الكنيسة (بمعنى أن التعاليم الدينية يتلقاها الشعب من أفواه الكهنة . وليس للشعب الحق فى الإضطلاع على الكتاب المقدس أو دراسته . وظل هذا الأمر قائما حتى النهضة الدينية ، عندما إنعقد مؤتمر " ورمز " بألمانيا لمحاكمة مارتن لوثر ، فى عام ١٥٢١ م حيث تم تحرير الكتاب المقدس) .

---

[١٩] إنتشرت عبادة الإله " ميثراس " بشكل ملحوظ فى الأمبراطورية الرومانية ، فى القرون الأولى للميلاد . ويعتقد الفرس أن " ميثراس " هو " رب الشمس " وأنه " إله النور والحق " ، وأنه البطل المجاهد دائما ضد قوى الشر ، وأنه قاهر جيوش الظلام . وقد نصت العبادة الميثرائية على :

(١) خلود الروح . (٢) القيامة من بين الأموات . (٣) الحساب فى اليوم الأخير .

ولها نظام كهنوتى دقيق يمارس فيه :

(١) التعميد أو الإغتسال .

(٢) والعشاء الربانى :

(٣) وتقديس يوم الأحد ، وجعله لعبادة " ميثراس " الأسبوعية . .

(٤) وتقديس يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام ، لإعتقادهم بقيامة الإله " ميثراس " فيه ، أو ولادته الولادة الثانية ، وعروجه إلى السماء .

[٢٠] [(٥) فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا (٦) الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله (٧) لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس (٨) وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (٩) لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل إسم (١٠) لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (١١) ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب] (الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل فيلبى {٢} : ٥ – ١١)

[٢١] [(٤) ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودة تحت الناموس]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل غلاطية {٤} : ٤)

[٢٢] [(١٢) من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل رومية {٥} : ١٢)

[٢٣] [(٢) لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٢} : ٢)

[(١٤) الذى لنا فيه (أى المسيح) الفداء بدمه غفران الخطايا (١٥) الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل كولوسى {١} : ١٤ – ١٥)

(٧) كما ناقش المجمع قضايا أخرى مثل : تحديد موعد يوم عيد القيامة ، ومشكلة معمودية الهراطقة ، وزواج الكهنة ، كما قرر المجمع أيضا وجوب التسليم بسفر " يهوديت " وهو من الأسفار المشكوك فيها .

وهكذا ؛ تقررت ألوهية المسيح فى هذا المجمع .

وكما نرى من التذييلات السابقة والمناظرة لقرارات هذا المجمع ، نجد أن جميع القرارات قد بنيت على أساس رسائل بولس الرسول فقط إلى أهالى (أو مؤمنى) : فيليبى ، غلاطية ، رومية ، وكورنثوس .

وبذلك فإن هذا الإتجاه الفكرى بألوهية المسيح ، فى العقيدة المسيحية هو من وحى بولس الرسول فقط . ولهذا عادة ما تنسب المسيحية إلى بولس الرسول ، حتى أنها تلقب أحيانا باسم " مسيحية بولس " .

وبمجرد الإعتقاد أو الإيمان بهذا الفكر القائل بـ " ألوهية المسيح " ، قام أئمة الدين - فيما بعد - بمواءمة أو تضبيط فكر العقيدة أو فكر الكتاب المقدس على هذا المعنى . أو بمعنى اخر قاموا بالتوجه بتفسير النصوص بما يتفق ويحقق هذا المعنى .

١ . ٣ . ٢ . مجمع صور عام ٣٣٣ م .

مجمع إقليمى حضره جميع الموحدين بزعامة " اريوس " لمساجلة " اثناسيوس " وأتباعه ، وحاولوا تحطيم رأس " أثناسيوس " إلا أن تدخل الأمبراطور " قسطنطين " واختطافه من بين أيديهم هو الذى أنقذه منهم .

وقد أدى هذا المجمع إلى التنكيل بالموحدين ، ونفى كثيرين منهم إلى خارج البلاد كما قتل آريوس نفسه مع أتباع كثيرين معه [٢٤] **. كما أمر هذا المجمع بحرق كتب آريوس جميعها ، وصار إخفاء أى كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام** [٢٥] **.**

---

٢٤ هناك من يربط هذه الحادثة مع نبوءة المسيح (عليه السلام) ، التى وردت فى إنجيل يوحنا :

[(٢) سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله (٣) وسيفعلون هذا بكم لأنه لم يعرفوا الاب ولا عرفونى .... (٥) وأما الان فأنا ماض إلى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى ... (٧) لكنى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم] (الكتاب المقدس : إنجيل يوحنا {١٦} : ٢ - ٧)

والمسيح بهذه النبوءة يقرر ، أن قتل الموحدين تعنى بأنهم لم يعرفوا الله ، كما لم يعرفوه هو أيضا . وتأتى كلمة "**المعزى** " فى التراجم الإنجليزية بمعنى " **the comforter** " كما فى " الكتاب المقدس ـ نسخة الملك جيمس :

ويقول ابن البطريق : " إن فكرة التوحيد ، وتنزيه الله عن التجسد كانت سائدة فى القسطنطينية وأنطاكية (تركيا) وبابل (العراق) والأسكندرية (مصر والوجه البحرى) وأسيوط (مصر الصعيد الأقصى) .

١. ٣. ٣. مجمع لوديسيا عام ٣٦٤ م .

مجمع مسكونى لإعتماد أسفار الكتاب المقدس . لم يحسم أمر عدد أسفار الكتاب المقدس فى المجامع السابقة ، كما ظلت بعض الأسفار (أى الكتب) مشكوك فى صحتها وغير مسلم بها من علماء اللاهوت الذين حضروا مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، إلى أن إنعقد مجمع لوديسيا عام ٣٦٤ ، حيث أقر هذا المجمع حكم مجمع نيقية ، كما أقر بوجوب التسليم بسبعة أسفار أخرى هى :

(١) سفر أستير (٢) رسالة يعقوب (٣) رسالة بطرس الثانية
(٤) رسالة يوحنا الثانية (٥) رسالة يوحنا الثالثة (٦) رسالة يهوذا
(٧) رسالة بولس إلى العبرانيين

كما قرر المجمع إبقاء سفر رؤيا يوحنا مشكوكا فيه .

١. ٣. ٤. مجمع القسطنطينية المسكونى (الأول) عام ٣٨١ م .

The Holy Bible - King James Version " . أو بمعنى " **the helper** " كما فى " الترجمة العالمية الحديثة للنصوص المقدسة : **New World Translation of the Holy Scripture** " . و يعتقد كثيرين ممن أسلموا بأن هذا الإسم (أى المعزى) يشير إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) رسول الإسلام ، وليس إلى " الروح القدس : **The Holy Ghost** " ، كما يقول بهذا أئمة العقيدة المسيحية .

وأود أن أشير هنا ؛ إلى أن جملة (... **أرسله إليكم**) لا تعنى أكثر من إنه سوف يرسل لهم من يستطيع أن يكون لهم هذا " **المعزى** " ، حيث **هو** لم يستطع أن يكون هذا . ولا يعنى هذا وجود أى سلطة شخصية للمسيح فى إرسال هذا المعزى ، ولكنها سلطة عليا تحدد الأعمال بناءا على قدرات الأنبياء وطبيعة رسالاتهم .

تماما كمندوب الشركة الذى يقول للعملاء : حسنا ...!! ليس هناك ما يمكن أن أؤديه لكم أكثر من هذا ، لأن ما بقى من أعمال هو خارج نطاق إمكانياتى . والأن سأذهب إلى صاحب العمل لأخبره بما تم (... **وأما الان فأنا ماض إلى الذى أرسلنى ...**) وسأرسل إليكم من هو أكثر دراية وخبرة منى ويستطيع أن يكمل هذا العمل لكم . ولا شك أن إرسال المندوب للشخص الأكثر دراية وخبرة منه ليس من سلطة هذا المندوب ، ولكنها سياسة وحكمة صاحب الشركة التى يعمل بها . فالمهندس عادة لا يأتى إلا ليراجع على الأعمال وينهى ما لم يتم منها ، وليس لتأدية الأعمال العادية ؛ التى يقوم بها العمال العاديين . فـ " **الأعمال يجب أن تؤدى بأقل التكاليف** " ، وليس هذا قانون تجارى فحسب ، بل هو **مبدأ فيزيائى عام** وهام جدا أيضا ، ويعرف بإسم : **مبدأ أقل فعل : The Principle of Least Action** . وهو مبدأ يحكم جميع حركات الأجرام السماوية ، وكذا إنتشار الموجات فى الفضاء رباعى الأبعاد .

[٢٥] قصة الحضارة ـ مج ٣ جـ ٣ ـ ص . ٣٩٤ / ٣٩٦ .

حضره ١٥٠ (مائة وخمسون) من الأساقفة ، بدعوة من **الإمبراطور ثيئودسيوس** للنظر فى فكر بعض علماء اللاهوت الذى ظهر عقب مجمع نيقية . وقد أطلقت الكنيسة على هذه " الأفكار" كلمة " بدع " بدلا من كلمة " أفكار" . وكانت أهم هذه البدع هى :

(١) بدعة أبوليناريوس أسقف اللاذقية بالشام ؛ الذى قال بعدم مساواة الأقانيم [٢٦] (أى عدم تساوى صور أو مظاهر أو أدوار أو الشخصيات التى أداها الله) .

(٢) بدعة أوسابيوس ؛ الذى علم بأن الثالوث القدوس أقنوم واحد ظهر فى " العهد القديم " كآب ، وصار (أى تحول إلى) إنسانا فى " العهد الجديد " بصفة إبن . وحل على الرسل فى علية صهيون بصفة الروح القدس .

(٣) بدعة مكدونيوس (أو مقدونيوس) أسقف القسطنطينية .... الذى قال : بأن الروح القدس مخلوق ، وإنه ليس بإله ، وأنه ملك من الملائكة الأطهار المكلف بالوحى .

وقد إجتمع مجمع القسطنطينية المسكونى عام ٣٨١ ؛ لمناقشة هذه البدع ؛ وقد رأس هذا المجمع الأنبا ملاتيوس أسقف كرسى أنطاكية ، وكان من أبرز الحاضرين فيه الأنبا تيموثاوس بابا الأسكندرية ، وقرر الحاضرون :

(١) لعن " مكدونيوس " هو وأشياعة من بعدة من البطاركة الذين يقولون بمقالته ، كما حكم **الأمبراطور ثيئودسيوس على مكدونيوس** بالنفى من البلاد .

(٢) حرمان أوسابيوس ، وأبوليناريوس وقطعهما من شركة الكنيسة والمؤمنين .

(٣) قرر الآباء أن " الروح القدس " هو الأقنوم الثالث من " الثالوث القدوس " وأنه مساو للآب ، وأكملوا قانون إيمان مجمع نيقية ، من عبارة .. **نعم نؤمن بالروح القدس .. حتى نهايته** [٢٧] .

---

[٢٦] يأخذ " الله " فى فكر العقيدة المسيحية ثلاث صور أو ثلاث أشكال ، تتوقف على الدور الذى يؤديه الله ، وهذه الصور أو الأشكال هى :
(١) " الآب " : وهى الصورة التى يكون عليها ـ الله ـ أثناء تواجده فى السماء . (٢) " الإبن " : وهى الصورة التى كان عليها ـ الله ـ عندما تجسد فى صورة بشرية له ـ أى فى صورة المسيح عيسى بن مريم ـ وكان ذلك فى أثناء تواجدة على سطح هذا الكوكب ، كوكب الأرض . (٣) **أما الصورة الثالثة فهى " الروح القدس "** : فهى الله أيضا ، ولكن فى أى صورة أخرى غير التى ذكرت . منها مثلا صورته التى كان عليها وهو فى داخل رحم السيدة العذراء مريم البتول (أم الإله) ، ومنها أيضا " **النار الإلهية** " ، ومنها " روح الله " ... إلى آخره . وسوف نأتى إلى تفاصيل أخرى فى أثناء مناقشة الفكر الإلهى فى هذا الفصل . وتعرف صور " الله " الثلاثة بإسم " **أقانيم** " ومفردها " **أقنوم** " . وكلمة " **أقنوم** " فى اللاتينية تعنى شخصيات الدراما المسرحية أو التمثيلية .

[٢٧] أكمل هذا المجمع صياغة قانون الإيمان المسيحى ، فأصبح على النحو التالى :
" نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، ما يرى وما لا يرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وأيضا يأتى فى جده ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء . **نعم نؤمن بالروح القدس** ، الرب المحى المنبثق من

وبهذا تقرر - فى هذا المجمع - أن " الله " واحد فى ثلاثة أقانيم هى : الاب والإبن والروح القدس ، وأن " الروح القدس " هو " روح الله " ، وأن " روح اللـه " ليس شيئا غير حياته . وبذلك تقررت " **عقيدة التثليث : الآب والإبن والروح القدس - إلـه واحد** [٢٨] " **بشكل قاطع فى هذا المجمع ، وخرجت منه إلى حيز الوجود .**

وقد نادى من قبل " إفلاطون " الفيلسوف الإغريقي بهذا التثليث ، وقال أن المسيطر على العالم ثلاث قوى هى : الكلمة (المكون الأول) ، والعقل ، والروح .

١. ٣. ٥. مجمع روما عام ٣٨٢ م .

مجمع مسكونى لترتيب أسفار الكتاب المقدس . وقد قرر المجمع أن تكون أسفار العهد الجديد بالترتيب التالى :

(أ) الأناجيل الأربعة : متى - مرقس - لوقا - يوحنا .
(ب) رسائل بولس الأربعة عشرة .
(جـ) رؤيا يوحنا .
(د) أعمال الرسل .
(هـ) الرسائل الكاثوليكية أو الجامعة وعددها سبع رسائل (كما سبق ذكره)

١. ٣. ٦. مجمع قرطاج بتونس (Carthage) عام ٣٩٧ م .

مجمع مسكونى لإعتماد أسفار الكتاب المقدس . وكان من جملة الحاضرين اللاهوتى الشهير " إكستاين " ، كما حضره (١٢٦) مائة وستة وعشرون من جهابذة رجال اللاهوت . وقد أقر هذا المجمع قرارات المجامع السابقة بشأن **إعتماد الأسفار المقدسة** والتسليم بقانونيتها وبشأن الأسفار المشكوك فيها وزاد عليها وجوب إعتماد والتسليم بسبعة أسفار أخرى هى :

(١) سفر الحكمة　　(٢) سفر طوبيا　　(٣) سفر باروخ
(٤) سفر الجامعة　　(٤) سفر المكابيين الأول　　(٥) سفر المكابيين الثانى
(٧) سفر رؤيا يوحنا

الاب ، نسجد له ونمجده مع الاب والإبن الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الاتى ، امين ... "

وهذا هو " قانون الإيمان المسيحى " الذى صاغه أحبار الكنيسة ، والذى يحوى غالبية العقائد التى تسير عليها مسيحية اليوم .

٢٨ " God one in nature but consisting in three divine persons " بمعنى أن " اللـه " واحد فى الجوهر ، ولكنه مكون من ثلاثة أشخاص إلهية .

١ . ٣ . ٧. مجمع قرطاج (Carthage) عام ٤١٩ م .

مجمع مسكونى لإعتماد أسفار الكتاب المقدس . ولقد عاد مجمع قرطاج للإنعقاد مرة أخرى عام ٤١٩ برئاسة القديس أوغسطين (St. Augustine) وحضره ٤٤ بطريركا . وقد عد علماء هذا المجمع سفر باروخ جزءا من سفر أرميا ، لأن باروخ كان بمنزلة نائب أرميا وخليفته [٢٩] ، وبذلك فلم يكتبوا إسم سفر باروخ على حدة فى فهرست أسماء الأسفار .

****

وهكذا ؛ بعد إنعقاد هذه المجامع المسكونية (أى العامة) صارت الأسفار المشكوك فيها أسفارا معتمدة بين جمهور المسيحيين مدة ألف ومائتين سنة ، إلى أن ظهرت طائفة البروتستانت فرفضوا أسفار : " باروخ - وطوبيا - ويهوديت - والحكمة - والجامعة - والمكابيين الأول - والمكابيين الثانى " . وقالوا عنها :

(١) إن هذه الأسفار كانت فى الأصل باللغة العبرية والكلدانية . ولا توجد هذه الأصول لفقدانها ، وبقيت ترجماتها .

(٢) إن رجال اللاهوت القدامى لم يسلموا بها . وقد قال القديس جيروم " إنها ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها "

(٣) إن اليهود لم يسلموا بأنها إلهامية .

١ . ٣ . ٨. مجمع إفسس المسكونى عام ٤٣١ م .

وهو ثالث المجامع المسكونية - التى لا خلاف على عموميته - والمعترف به من كنائس العالم شرقا وغربا . وقد إنعقد هذا المجمع فى شهر يونيو سنة ٤٣١ م ، بأمر الأمبراطور ثيودسيوس الصغير وحضره ٢٠٠ (مائتان) من الأساقفة ، لمناقشة :

(١) فكر أو بدعة القس بلاجيوس الذى قال : بأن خطيئة ادم قاصرة عليه دون نسله .

(٢) فكر أو بدعة " نسطور " أسقف القسطنطينية الذى قال : بأن المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين **ولا ينبغى تبعا لذلك تسمية مريم العذراء " والدة الإله " ، بل هى أم الإنسان يسوع .**

---

[٢٩] مستندين فى هذا إلى النص :

[(٤) فدعا أرميا باروخ بن نيريا فكتب باروخ عن فم إرميا كل كلام الرب الذى كلمه به فى درج السفر (٥) وأوصى إرميا باروخ قائلا . أنا محبوس لا أقدر أن أدخل بيت الرب (٦) فادخل أنت واقرأ فى الدرج الذى كتبت عن فمى كل كلام الرب فى اذان الشعب ...]

(الكتاب المقدس : إرميا {٣٦} : ٤ -٥.)

وكانت البدعة الأخيرة هى السبب المباشر فى عقد المؤتمر . وقد إنتشر فكر نسطور (بأن يسوع ذاته بشر خلقه الله خلقا إعجازيا ليكون هو وأمه اية عبر التاريخ) وعرف فيما بعد باسم **(العقيدة النسطورية)** فى القسطنطينية ونصيبين والموصل والفرات والجزيرة (سوريا والعراق) ، فانعقد المجمع وأقر الحاضرون :

أن مريم لم تلد إنسانا عاديا بل إبن الله المتجسد ، لذلك فهى بحق " أم الرب " أو " **أم الله** " [٣٠].
ثم وضع الاباء " قانون الإيمان الكنسى " الذى مطلعه : " **نعظمك يا أم النور الحقيقى** ... " والذى رفعها إلى منزلة الالهة . كما حكم المجمع أيضا بحرمان بلاجيوس وتعاليمه الفاسدة .

١. ٣. ٩. مجمع خلقدونية المسكونى عام ٤٥١ م .

نادى " ديسقورس " أسقف الأسكندرية بأن يسوع ذا طبيعة واحدة ، وهى أنه من جوهر الله [٣١] . فانعقد مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م ودحض دعوة " ديسقورس " وقرر :

أن يسوع ذو طبيعتين : طبيعه إلهية وطبيعة ناسوتية إلتقتا فى شخصه

ولم ترضخ مصر لهذا القرار بل تشبثت وأصرت على الإيمان بدعوة " ديسقورس " ، وكانت النتيجة الحتمية إنشطار الكنيسة على ذاتها وظهور كنيسة الأقباط الأرثوذكس على مبدأ الإيمان بالطبيعة الواحدة .

١. ٣. ١٠. مجمع القسطنطينية المسكونى الثانى عام ٥٥٣ م .

حضره ١٤٠ (مائة وأربعون) من الأساقفة لبحث مسألة تناسخ الأرواح [٣٢] . وقرر المجمع فساد هذه العقيدة وبطلانها . وأكدوا أن القيامة حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والجزاء حق ... كما قرروا حرمان أولئك الذين نادوا بتناسخ الأرواح .

---

[٣٠] " **محاضرات فى التاريخ الكنسى ـ المجامع الكنسية** " ، لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، ص ٤٨ .
والنصارى ينشدون الأناشيد تعظيما لمريم العذراء ، ويتضرعون إليها فى أيام مخصوصة يسمونها " الأيام المريمية " ، ويلقبونها بـ " ملكة السماء ، ووالدة الإله الممتلئة نعمة ، وصاحبة المجد على الأرض وفى السماء " .

[٣١] [**(٣٠) أنا والاب واحد**] (الكتاب المقدس : إنجيل يوحنا {١٠} : ٣٠)
[**(١٥) الذى هو (أى المسيح) صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة**](الكتاب المقدس : كولوسى {١} : ١٥)

[٣٢] [**(٩) وفيما هم (التلاميذ) نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الموت**] (الكتاب المقدس : إنجيل متى {١٦} : ٩)
(أنظر كذلك ملاخى ٤ : ٥، ٦ . ولوقا ١ : ١٧) .

١. ٣. ١١. مجمع القسطنطينية المسكونى الثالث عام (٦٨٠ ـ ٦٨١) م .

نادى الأسقف " **يوحنا مارون** " بسوريا أن يسوع ذا طبيعتين : طبيعة إلهيـة ، وطبيعـة ناسـوتية (أى إنسانية) ، وهو ذو مشيئة إلهية واحدة [٣٣] ، فانعقد المجمع بمدينـة القسـطنطينية عـام ٦٨٠ م وقرر :

(١) أن يسوع ذو طبيعتين : طبيعة إلهية و طبيعة ناسـوتية ؛ وذو مشـيئتين : مشـيئة إلهيـة ، ومشيئة ناسوتية [٣٤] .

(٢) لعن وطرد كل مـن يقـول بالمشـيئة الواحـدة ، كمـا لعـن وحـرم وكفـر مـن يقـول بالطبيعـة الواحدة .

إلا أن السوريين تشبثوا بدعوة " يوحنا مارون " وانشطروا منفصلين عن الكنيسة الأم منشـئين **" كنيسة الموارنة " بالشام على أساس المشيئة الإلهية الواحدة .**

١. ٣. ١٢. مجمع نيقية المسكونى الثانى عام ٧٨٧ م .

فقد جاء فى مجمع غير عام إنعقد بأمر قسطنطين الخـامس عـام ٧٥٤ م ، بتحريـم إتخـاذ الصـور والتماثيل فى العبادة ، كما حرم طلب الشفاعة من مريم العذراء . ولأجل هـذا إنعقـد مجمـع نيقيـة الثانى بأمر الملكة إيرينى عام ٧٨٧ م ، حضـره ٣٧٧ أسـقفا ، **وقـد وافـق عليـه عـدد كبـير مـن الكنائس على قراراته وإعتبروه مسكونى (أى عاما)** ، وإن خالفه بعض الكنـائس الأخـرى فـى الرأى . وأصدر هذا المجمع قرارا بتقديس صور المسيح والقديسين لا بعبادتها . وجـاء فـى هـذا القرار :

" إننا نحكم بأن توضع الصور ليس فى الكنائس والأبنية المقدسة ، والملابس الكهنوتية فقط ، بـل فى البيوت ، وعلى الجدران فى الطرقات ، لأننا إن أطلنـا مشـاهدة ربنـا يسـوع المسـيح ووالدتـه القديسة والرسل ، وسائر القديسين فى صورهم شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهـم ، والتكريـم لهم ، فيجب أن تؤدى التحية والإكرام لهذه الصـور ، لا العبادة التى لا تليق إلا بالطبيعة الإلهية " ***وهنا نلاحظ عملية غسيل المخ (المستترة) ، التى أدى إليها قرار هذا المجمع ، بجعل الشـعب يطيل النظر والتأمل فى صورة إنسان أو تمثال إنسان ، لتأكيد وتعميق الإحساس لـدى الجمـوع بفكرة الإله المتجسد .***

---

٣٣ [(٣٨) لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى] (الكتاب المقدس : إنجيل يوحنا {٦} : ٣٨)

٣٤ [(٣٩) ... ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت] (الكتاب المقدس : إنجيل متى {٢٦} : ٣٨)
[(٤٢) ... ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك] (الكتاب المقدس : إنجيل لوقا {٢٢} : ٤٢)

وفى مقالة لعالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية ، الدكتور وولتر أوسكار لندبرج [٣٥] يقول :

" أن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان **بدلا من الإعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض** . وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على إستخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول . وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى ، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية ... "

ونجد الآن فى الفاتيكان [٣٦] ؛ فى كنيسة " القديس بطرس : Saint Peter`s Basilica (قمة قمم الكنيسة المسيحية والتى يحج إليها الكاثوليك فى ٢٩ يونيو من كل عام) صور المسيح المصلوب فى كل مكان ، وبهو الكنيسة مملوء بتماثيل البابوات فى أوضاع بين الرقود والسجود . فالبابا **بولس الثالث** مثلا محاط فى صورته بالحسناوات ، وبعضهن كن عرايا حتى أمر البابا بيوس الثانى بتغطيتهن عندما إكتشف نيافته أن هذه الموديلات النسائية كانت أختا للبابا بولس الثالث ، وعشيقة للبابا ألكسندر السادس [٣٧] .

أما البابا ألكسندر الثالث ، فمن فرط حبه لإحدى خليلاته - جوليا فارنيزى - فقد أمر برسم صورة للعذراء مريم لها وجه جوليا تخليدا لذكراها (وقد كان لهذا البابا عشيقات كثيرات غير جوليا ، كما كان له عشرة أبناء غير شرعيين [٣٨]) .

---

[٣٥] " **الله يتجلى فى عصر العلم** " ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين . ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، ص : ٥٠ .

[٣٦] **مدينة " الفاتيكان : Vatican** " هى دولة (أو ولاية) مستقلة مساحتها حوالى نصف كيلومتر مربع (٤٤ ، ٠ كم٢ أو ١٧ ، ٠ ميل٢) ، وتقع على الضفة الغربية لنهر التيبر **داخل العاصمة الإيطالية روما** . والمدينة محاطة تقريبا بالأسوار من جميع الجهات ، ويبلغ تعداد سكانها (٧٧٨ نسمة ، سنة ١٩٩١) ، ومعظمهم من المشتغلين بالحكومة المركزية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ويحمل بعضهم جواز سفر دولة الفاتيكان . وللفاتيكان السيادة على بعض الممتلكات خارج أرضها مثل قلعة جاندولفو (Gandolfo Castle) ، والمقر البابوى الصيفى بالقرب من روما ، وكذا (١٣) كنيسة ، هذا عدا بعض المبانى الأخرى فى روما . ومن هذه الممتلكات ، قصر سانت كاليستو ، وكاتيدرائية روما (Rome`s Cathedral ) ، والتى تعرف أيضا بإسم كنيسة القديس لاتيران " The Basilica of Saint John Lateran " . وللفاتيكان صحيفتها الخاصة بها ( L`Osservatore Romana) ، ومحطة سكة حديدية ، كما لها الخدمة البريدية الخاصة بها ، وبوليس وتليفونات . ولها أيضا محطة إذاعة وبنك . (عن : موسوعة جروليار الإلكترونية - لعام ١٩٩٥) .

[٣٧] " **تاريخ الكنيسة الأسود** " ؛ القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، ترجمة آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والتوزيع . ص : ٣١ . (أنظر كذلك بند ٥. ، ص : ٣٤٨ ، لمزيد من التفاصيل) .
[٣٨] المرجع السابق ؛ ص : ٨١ .

ومن ضمن تماثيل هذه الكنيسة ، التمثال البرونزى الشهير للقديس بولس ، الذى يلبسون فى يوم الحج السنوى (يوم ٢٩ يونيو من كل عام ، وهو يوم الإحتفال العظيم بالقديسين بطرس وبولس) ثوبا مذهبا وتاجا مرصعا بالجواهر ، حيث يتجه إليه الحجاج (أى إلى هذا التمثال) لتقبيل قدمه اليمنى المتقدمة قليلا عن اليسرى . ويقول القس اللاهوتى بيتر دى روزا [٣٩] : " أن هذه القدم تلمع عن القدم الأخرى من كثرة المقبلين لها ، وإن هذا يذكرنا بعادة لم تندثر منذ طويل : **وقت أن كان البابا يضع قدمه على حشية حتى يتمكن الناس من تقبيلها** " . فهذه هى الصور والتماثيل الموجودة بقمة قمم الكنائس ....!!! بالفاتيكان والتى يحج إليها الشعب المسيحى الكاثوليكى فى ٢٩ يونيو من كل عام ....!!!

١. ٣. ١٣. مجمع القسطنطينية المسكونى الرابع عام (٨٦٩ - ٨٧٠) م .

نادى الأسقف " فوسيوس " أسقف القسطنطينية بأن الروح القدس منبثق من الاب فقط [٤٠] . فانعقد فى مدينة القسطنطينية فى عام ٨٦٩ م ، مجمع مسكونى (عالمى) لمناقشة هذه المسألة وقرر المجمع :

أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن [٤١] (وليس من الآب فقط)

وقرر المجمع حرمان " فوسيوس " ونفيه من البلاد .

١. ٣. ١٤. مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩ م .

لم تمض عشر سنوات على المجمع الأخير حتى إستعاد الأسقف " فوسيوس " ـ أسقف القسطنطينية ـ مكانته . فانعقد مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩ م ، وأصدر قرارات ببطلان قرارات المجمع السابق المنعقد بالقسطنطينية عام ٨٦٩ م ، وقرر المجمع :

أن الروح القدس منبثق من الآب فقط .

وقد نتج عن هذين المجمعين إنقسام الكنيسة إلى :

---

٣٩ المرجع السابق ؛ ص : ٢٢ .

٤٠ **[(١٢) لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه]**
(الكتاب المقدس : إنجيل لوقا {١٢} : ١٢)

٤١ مستندين فى هذا إلى قول السيد المسيح :
[(٢٢) ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس (٢٣) من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت] (الكتاب المقدس : إنجيل يوحنا {٢٠} : ٢٢ - ٢٣)

- **كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الأرثوذكسية أو الشرقية** [٤٢] ، (وهى الكنيسة التى تؤمن بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط)
- **كنيسة الروم الكاثوليك أو الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية . وهى تسمى أيضا بالكنيسة البطرسية الرسولية ، حيث يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول** [٤٣] . (وهى الكنيسة التى تؤمن بأن الروح القدس منبثق من الاب والإبن معا) .

١. ٣. ١٥. مجامع إقليمية خاصة بالكنيسة الغربية [٤٤] .

مجمع روما (لاتيران [٤٥]) الأول عام ١١٢٣ م : قرر أن يكون تعيين الأساقفة من عمل البابا وحده ، وليس من شأن الحكام .

مجمع روما (لاتيران) الثانى عام ١١٣٩ م : حضره (١٠٠٠) من الأساقفة ، وفيه حاولوا إزالة الفرقة بين الكنيسة الشرقية ، والكنيسة الغربية ، ولكن لم يفلح المشتركون فى هذا المؤتمر فى إزالة هذه الفرقة .

مجمع روما (لاتيران) الثالث عام ١١٧٩ م : تم وضع فيه نظامَ التأديب الكنسى ، كما تقرر فيه إنتخاب البابا بثلثى عدد الكرادلة .

---

[٤٢] وغالبية اتباع هذه الكنيسة يقعوا فى الشرق الأوسط وأوربا الشرقية .

[٤٣] فى عام ٣٠٠ م . كتب يوسيبيوس الذى يعد شيخ مؤرخى الكنيسة : " إن بطرس حمل لواء الدعوة إلى اليهود فى الهلال الخصيب ، وعندما وصل إلى روما تم صلبه " . واليوم يعتقد المؤرخون أن بطرس عاش فى روما ثلاث أو أربع سنوات على الأكثر ، ولا يوجد أى دليل على ترأسه للكنيسة هناك ، فمسألة رئاسته للكنيسة لا يمكن أن تحدث بين يوم وليلة . يضاف إلى ذلك أن الفهارس الأولى للأساقفة الرومان لم يظهر فيها إسم بطرس أبدا ، على الرغم من أن الترتيب الزمنى لهذه الفهارس يضم الأسماء حتى الأسقف الثانى عشر يليوثيريوس . وحسب تأريخ الدستور الكنسى لعام ٢٧٠ ، فإن لينوس (٦٧ – ٧٦ ؟) هو أول أسقف لروما ثم كليمنس (٨٨ ـ ٩٧ ؟) . [عن : **" التاريخ الأسود للكنيسة "** ، للقس اللاهوتى دى روزا ، (الترجمة عن الألمانية) أسر حطيبة . الدار المصرية للنشر والتوزيع . ص : ٢٣/٢٤] .

أما ترتيب البابوات الأول كما يأتى فى موسوعة جروليار الإلكترونية ـ لعام ١٩٩٥ ، فهو على النحو التالى : بطرس (٦٤ أو ٦٧) – ولينوس (٦٧ ؟ ـ ٧٦ ؟) ـ وأناكليتوس (٧٦ ؟ ـ ٨٨ ؟) – وكليمنت الأول (٨٨ ؟ – ٩٧ ؟) ـ ... وهكذا حتى البابا (الثالث عشر) إليوتيرس (١٧٥ ؟ – ١٨٩ ؟) . وكما نرى فإن جميعها معلومات غير مؤكدة ، وذلك لإستخدام الموسوعة لكلمة " أو " أو إستخدام علامات الإستفهام للتواريخ المذكورة .

[٤٤] راجع تذييل رقم (١٦ ـ ص : ٢٥٠) من هذا الباب ، للرؤية الجامعة لهذه المجامع ومسكونيتها .

[٤٥] لاتيران هى كاتدرائية روما ، وتذكر هذه المجامع فى الموسوعات الغربية بإسم لاتيران ، وليس بإسم روما . ولكن العادة جرت فى المراجع العربية بالإشارة إلى هذه المجمامع بإسم مجامع روما .

مجمع روما (لاتيران) الرابع عام ١٢١٥ م : قرر أن يكون للكنيسة البابوية حق غفران الذنوب ، وتمنحه لمن يشاء ، وهكذا ظهرت " **صكوك الغفران** [٤٦] " إلى حيز الوجود .

وقد علق سيمون فيتش عام ١٥٩٢ على صكوك الغفران هذه قائلا [٤٧] : " إذا كان البابا يستطيع الغفران للميت بثمن ، فهو يستطيع أيضا تقديم هذه الخدمة مجانا ، وإن كان يستطيع المغفرة لشخص واحد فهو يستطيع أن يفعل ذلك للكل . وبذلك فهو يتحكم فى جهنم ونارها (وهذا كفر) . وإن ترك ـ البابا ـ لكل تلك النفوس تتعذب حتى يتم دفع المقابل لها ، فهو بحق غير رحيم بالمرة ، ولا يستحق أن يكون خليفة ليسوع المسيح " .

١ . ٣ . ١٦ . مجمع ورمز بألمانيا عام ١٥٢١ م .

ظهر " مارتن لوثر " فى ألمانيا ، وتبرأ من الكاثوليكية فى إحتجاج علنى فى وثيقة تضمنت (٩٩) تسع وتسعون بندا ، حيث قام بتعليقها على جدران كنيسة ويتمبرج الألمانية عام ١٥١٧ م محتجا على البدع المتفشية فى الكنيسة الكاثوليكية فى ذلك الوقت ، نذكر من هذه الوثيقة على سبيل المثال لا الحصر :

(١) رفض العصمة البابوية .

(٢) رفض صكوك الغفران

(٣) رفض الرهبانية مبرهنا الفساد الذى استشرى بين أديرة الرهبان والراهبات .

(٤) تحرير الكتاب المقدس من الحبس منذ عام ٣٢٥ م ، وتداولة بين أيدى شعب الكنيسة ليستنبطوا منه عقائدهم ، ومن ثم تفرعت المعتقدات إلى مذاهب شتى .

---

[٤٦] فيما يلى نص لصك الغفران :
" ربنا يسوع يرحمك يا ... (يكتب اسم الذى سيغفر له) ... ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية ، **وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى** أحلك من جميع القصاصات والأحكام ، والطائلات الكنسية التى التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى إرتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كان لك عند معموديتك ، حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح . وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الآب والإبن وروح القدس " . عن " **مقارنة الأديان (٢) المسيحية** " ، د. أحمد شلبى ، مكتبة النهضة ؛ ص : ٢١٤ .

[٤٧] " التاريخ الأسود للكنيسة " ؛ القس دى روزا ، الترجمة عن الألمانية : آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والتوزيع . ص : ٨٠ .

فانعقد مجمع الأساقفة فى مدينة ورمز بألمانيا عام ١٥٢١ ، وقرر حرمان " مارتن لوثر " وأتباعة ، وحرق كتبه **وحرقه هو ذاته** . ولكن شباب ألمانيا إستطاعوا أن يخطفوه ، وانشقوا على الكنيسة الكاثوليكية ، **منشئين الكنيسة المحتجة أو " الكنيسة البروتستانتينية "** .

١. ٣. ١٧. مجمع ترنت عام (١٥٤٦ ـ ١٥٦٣) م .

مجمع مسكونى لترتيب أسفار الكتاب المقدس . قرر مجمع ترنت المنعقد عام ١٥٤٦ م (ولمدة ثمانية عشر سنة متصلة) أن يكون ترتيب أسفار العهد الجديد المعتمدة على النحو التالى :

(أ) الأناجيل الأربعة : متى ـ مرقس ـ لوقا ـ يوحنا .

(ب) أعمال الرسل .

(جـ) رسائل بولس الأربعة عشرة .

(د) الرسائل الكاثوليكية السبعة .

(هـ) سفر الرؤيا ليوحنا .

****

ومنذ هذا التاريخ وإلى الآن ، ما زالت المجامع المسكونية وغير المسكونية (أى الإقليمية) تجتمع وتنفض ، ولم تصل بعد إلى الصياغة النهائية حول نصوص الكتاب المقدس . حتى إن " **المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى** " ، **الذى ظل** منعقدا لمدة أربع سنوات ؛ فى الفترة من ١٩٦٢ وحتى ١٩٦٥ م ، قد أشار إلى **وجود شوائب وبطلان فى بعض هذه النصوص (أى فى بعض نصوص الكتاب المقدس)** .

وقد أصاب الضيق الأوساط المسيحية لهذا التصريح الذى يمس التنزيل لديهم ، إلى درجة أن وثيقة هذا المجمع (**الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل**) قد صيغت خمس مرات حتى يتفق الجميع على النص النهائي لها ، وذلك بعد ثلاثة سنوات من المناقشات وحتى " **ينتهى هذا الوضع الأليم الذى هدد بتوريط المجمع** " على حد تعبير الأسقف فيبر (**Weber**) . وقد جاء فى مقدمة وثيقة هذا المجمع ، عن العهد القديم (الفصل الرابع ، ص : ٥٣) ما يلى :

بالنظر إلى الوضع الإنسانى السابق على الخلاص الذى وضعه السيد المسيح ، فإن أسفار العهد القديم تسمح للكل بمعرفة الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها

الله فى عدله ورحمته مع الإنسان غير أن **هذه الكتب تحتوى على شوائب وشىء من البطلان** ، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهى "

وهكذا نرى أن : " **وثيقة المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى** " تقول بمنتهى الوضوح والصراحة أن " **أسفار العهد القديم تحتوى على شوائب وشىء من البطلان** " . وبالتالى كما يفهم ضمنيا من هذا التصريح ، بأن عليهم التخلص منها ، وربما يمكن أن يؤدى هذا التخلص إلى إعادة صياغة الدين لديهم مرة أخرى . ونشير هنا إلى أن هذا التصريح هو جزء من تصريح شامل صوت عليه أعضاء المجمع نهائيا ، بأغلبية ٢٣٤٤ صوتا من الحاضرين ، ضد ٦ أصوات (ستة أصوات) فقط [٤٨] ، أى بإجماع شبه كامل على هذا القرار .

وعلى الرغم من هذه التصريحات **الواضحة** " **للمجمع المسكونى للفاتيكان الثانى** " ، نجد الأسقف " إستانلى شوبرج " كبير قساوسة السويد يقول : بـ " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ، لأن هناك ـ كما يقول ـ مفتاح جينى (**genetic code**) لنصوص الكتاب المقدس ، أى أنه يوجد " تركيبة رقمية " لنصوص الكتاب المقدس تقع خلف كل حرف من حروف التوراة والإنجيل فى أصلهما العبرى واليونانى ، مما يسهل معه إكتشاف أى تحريف حادث فيه [٤٩] ....!!!

وهكذا نرى أن السيد الأسقف " إستانلى شوبرج " قد إكتشف مالم يكتشفة (٢٣٤٤) قسا ومفكرا اخرا من علماء اللاهوت المشتركين فى المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى ...!!! والذى ظل منعقدا لمدة أربع سنوات متصلة ، ما بين دراسة وبحث . هذا بفرض أنه ـ أى الأسقف استانلى شوبرج نفسه ـ لم يكن من ضمن المشاركين فى أعمال هذا المجمع فى ذلك الوقت ، وأعلمهم بإكتشافه هذا ولم يوافقوا عليه ، وأصروا علىّ قولهم بأن " **أسفار العهد القديم تحتوى على شوائب وشىء من البطلان** " .

وعموما فإن هذا لا يهم ، لأن دأب أئمة العقيدة دائما هو الجنوح بها إلى أحد مناطق الحوار لإعطاء الإنطباع العام ، للعامة أو لغير المتحاورين ، بأن العقيدة يمكن أن تشبه إلى حد كبير أحد الأنظمة الفلسفية أو الأنظمة الجمالية (كنوع من الفن) ، التى يصبح فيهما الخطأ والصواب نسبى ، وبذلك يفقد الحق المطلق معناه فى داخل هذا النظام الفلسفي أو الجمالى .

---

[٤٨] " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " موريس بوكاى ، دار المعارف ؛ ص . ٥٩/٦٢ . والنسخة الإنجليزية هى :

" The Bible, The Qur'an And Science ", Maurice Bucaille, American Trust Publications, p. 40/41 .

[٤٩] " مناظرتان فى استوكهلم " ، أحمد ديدات و استانلى شوبيرج ، دار الفضيلة ، ترجمة على الجوهرى ؛ ص : ٤٣ / ٤٤ .

وعموما ، فإن هدف هذا الفصل هو عرض ما إنتهى إليه هؤلاء القوم من أفكار ، أو بمعنى آخر ، هو عرض ما إنتهى إليه قطاع كبير من البشرية من فكر ، على مدى سبعة عشر قرنا من الزمان (أى منذ بداية إنعقاد المؤتمرات الكنسية وحتى الآن) .
وعموما فسوف نتفق - فيما يتم عرضة هنا - مع السيد القس استانلى شوبرج على " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ، ونعترف بتركيبته الرقمية هذه ، حتى يمكن أن نرى بهدوء ما جاء به هذا الكتاب المقدس .

إن ما سبق عرضه هنا كان أهم المجامع المسكونية (أى العامة) والإقليمية ، وهى التى حددت بشكل قاطع معالم الديانة المسيحية المعروفة لدينا هذه الأيام ، كما حددت الشكل النهائى للكتاب المقدس . وقد رأينا ، أن ألوهية المسيح ، وتجسد الإله فى صورة المسيح الإنسان ، والخطيئة الأولى وتوريثها إلى ذرية آدم ؛ وصلب المسيح (الإله المتجسد) ... إلى آخره ...!!! كلها قد تحددت بالتصويت ...!! وحتى شرعية الكتاب المقدس نفسه ، وشرعية نصوصه هى الأخرى قد تحددت هى الأخرى بأخذ الآراء وبالتصويت عليها ...!!!

والآن وبعد كل هذا العناء والمعاناة التى تكبدها رجال الفكر المسيحى ، ورجال اللاهوت المسيحى فى الإنعقاد فى شكل مجامع مسكونية (أى عالمية) ، والإنتهاء فى شكل قرارات ووثائق ...!!! وبعد إعمال كل هذا الفكر على مدى مئات السنين حتى إنتهوا إلى ما إنتهوا إليه من الشكل النهائى لفكر العقيدة والنصوص ...!!! فماذا تمخض عن كل هذا العمل من فكر ؟؟ ... وماذا إنتهى إليه هؤلاء المفكرون - بعد كل هذا العناء - عن :

الأنبياء ... ونصوص الكتاب المقدس .... والفكر الإلهى فيه ....

وهنا يأتى دور الفقرات القادمة لتقديم وعرض ما إنتهى إليه فكر أئمة وقمم فكر العالم المسيحى عن هذه العقيدة . وسوف نتمسك فى عرضنا هنا بالمعنى الذى يقول بـ " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ، حتى يوضع الإنسان وجها لوجه مع الديانتين اليهودية والمسيحية وما إنتهى إليه الفكر البشرى عنهما .

٢ - *الأنبياء والقدوة الأخلاقية فى الكتاب المقدس*

بديهى أن الأنبياء والرسل هم سلالة من البشر قد إصطفاها الله لحمل رسالته وتبليغها للناس من جانب ، كما وإنهم يمثلوا العلاقة بين الله والبشرية من جانب آخر . وكذلك هم أول من يطبق

عليهم التشريع العملى لما ينزله الله من نصوص مـن جـانب ثـالث . لـذا ينبغـى أن يكونـوا قـدوة البشرية للبشرية فى الكمالات الأخلاقية ، والسلوك من جانب رابع . وبديهى أن الأنبيـاء والرسل هم درجة أعلى من درجة الأبرار . وإذا كان الكتاب المقدس يصـف حـال الأبـرار بـأن رغبـاتهم موجهه للخير فقط ، كما ورد فى سفر الأمثال :

[(٢٣) شهوة الأبرار خير فقط ...]

(الكتاب المقدس : أمثال { ١١ } : ٢٣)

لذا فمن المتوقع أن يصف الكتاب المقدس الأنبياء والرسل ، وهم بالبديهه درجة فى الخـير أعلـى من درجة الأبرار ، بأنهم موجهين بالفطرة نحو الخير والإحسـان كذلـك . ونحـن لا نتصـور نبـى يكون مفطور على إرتكاب المعاصى كالزنا والغدر والقتل والشرك بالله ... إلى آخره .

فنحن ـ بنى البشر ـ لا نتصور إلا أن نختار الخيرة لمن يمثلونا عند الآخرين . فبديهـى مـن غـير المتوقع أن تختار دولة أفاقا أو مخادعـا أو قـاتلا ليقـوم بتمثيلهـا عنـد دولـة أخـرى ، وذلـك حتـى تضمن الدولة الأولى حسن العلاقات ـ على الأقل ـ مع الدولة الثانيـة ...!!! فبديهـى إن إسـاءة إختيار المندوب ، يهدد العلاقات بالإنهيار .
وإذا كان هذا هو حال الإنسان وسلوكه نحو ما يمثله ، فما بال الحال فيمـا يختـار اللـه ويصطفـى من عباده ليبلغوا عنه فى الأرض . فبديهى من غير المتوقع أن يقوم " اللـه " ـ سـبحانه وتعـالى عما نصف ـ أن يقوم بإختيار ... لص أو قاتل ، أو أفاق ، أو زان ، أو أى فـرد مـن هـذا القبيل يتسم برذائل الأخلاق ..!!! ليقوم بالتبليغ عنه لبنى البشر . فإذا قـام الإلـه بمثـل هـذا الإختيـار ...!!! فماذا عسى الشيطان ـ إذن ـ فيما يختار لمن يمثله ..؟؟ فكيف يؤتمن لص أو أفـاق علـى الرسالة الإلهية ، وهو غير مؤتمن حتى على صغائر الأمور ...!!!

وإذا قلنا أن إختيار " الله " ـ سبحانه وتعـالى ـ لأفـراد ذوى كمـالات أخلاقيـة ، هـى مـن الأمـور البديهية ، التى لا تحتاج إلى أدلة إقناعية ، فإننا بذلـك لـم نتجـاوز المنطـق أو المفهـوم العـام أو الفطرة لدينا . بل أن الكتاب المقدس نفسه يؤكد صراحة على هذا المفهوم ، بل ويجب أن تخـدم نصـوص الكتـاب المقدس أغراض الدعـوة للصـلاح والتبليـغ فـى الـبر ، أى التبليـغ فـى مكـارم الأخلاق ، لذا نجده يقول :

[(١٦) كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى الـبر (١٧) لكى يكون إنسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس { ٣ } : ١٦ - ١٧)

والآن سنرى مدى إنطباق هذا المفهوم على الأنبياء كما ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس . ونحن كما نعلم من وجهة نظر العقيدة المسيحية إن الكتاب المقدس هو :

" وحى مطلق ومعصوم من الخطأ "

لذا فإن ما يرد ذكره هنا عن سير الأنبياء - من وجهة نظر الكتاب المقدس - هى سير صحيحة ليس فيها أدنى شك . فإذا روى لنا الكتاب المقدس أن نبيا معينا قد قام بقتل فلان مثلا أو زنى بفلانة مثلا ، **فإن معنى هذا أن هذه الأحداث قد حدثت فعلا** ، كما يكون معنى هذا أن هذا النبى قاتل وزان من وجهة نظر الكتاب المقدس ...!!! حيث يقول لنا القس " مرقس حبيب " فى مقدمة كتاب " إستحالة تحريف الكتاب المقدس [٥٠] " :

" أن الكتاب المقدس منزه عن أى تناقضات لأن كل الكتاب المقدس هو موحى به من الله (٢ تى ٣ : ١٦) [٥١] ، ولا يستطيع أى إنسان مهما كان أن ينال من الكتاب المقدس أو يزيد عليه أو ينقص منه كلمة واحدة بل حرف واحد حتى لا يقع تحت طائلة عقاب السماء " .

وبالتالى فإن جميع ما ورد فى الكتاب المقدس عن الأنبياء - وهم القدوة الأخلاقية لأفراد العقيدة - هو سيرة صحيحة تماما ، **من وجهة نظر أهل العقيدة** . أى سيرة لا يشوبها أدنى شك من صدق ما تم سرده وذكره عنهم عموما . لذلك نحن لا نستطيع تكذيب ما ورد فى الكتاب المقدس بأى صورة من الصور ، أو تحت أى مبرر ...!!! وربما كان الهدف من هذا هو تذكير أهل العقيدة بما يقولون ليس إلا .

كما يجب أن ننوه هنا إلى أنه ينبغى أن تكون النظرة للكتاب المقدس نظرة كلية لا جزئية ، أى لا يؤخذ بنص ويترك الآخر المناقض له ، لأن هذا يعنى التناقض الذاتى للمضامين الدينية . وبديهى إذا ما أخذ بنص وترك الآخر المناقض ، فإن هذا فيه ما يكفى لتقويض أركان الديانة تماماً ، شأنها فى ذلك شأن أى قضية علمية أخرى . فكما سبق وأن ذكرنا - فى الفصل السابق - فإن القضية الدينية يجب أن تحتوى القضية العلمية داخلها ، وبالتالى فهى أولى بالإتسام بالمنطقية العلمية ، من القضية العلمية ذاتها .

وكما سنرى حالا ، إن سلوك الأنبياء والرسل - بل وسلوك الرب [٥٢] نفسه أيضا - فى الكتاب المقدس يدعو للدهشة والإستغراب . حيث لا يمكن أن يكونوا قدوة أخلاقية أو سلوكية تحت أى

---

[٥٠] أنظر كتاب " إستحالة تحريف الكتاب المقدس " ، الطبعة الثانية ، مهندس وهيب عزيز خليل (تقديم القس مرقس حبيب) .
[٥١] أنظر نص الكتاب المقدس السابق .

منطق أو فكر أو مفهوم أو تبرير ...!!! فكما سنرى ، فإن سلوك الأنبياء فى أحيان كثيرة ــ إن لم يكن فى أغلب الأحيان ـ ليس بعيدا فحسب عن الفطـرة السليمة أو الأعراف العامة المعتدلة والمتفق عليها ، بل هو بعيد تماما عن الأخلاقيات أو حتى أى كمال إنسانى أيضا .

وعلى الرغم من وجود تنويعة عريضة من رذائل الأخلاق التى يتصف بها شريحة عريضة من الأنبياء والرسل ذوى الأسماء المرموقة المذكوره فى الكتاب المقدس (أمثـال : نـوح ، ويهـوذا ، ولوط ، وداود ، وسليمان ، وهارون أخى موسى .... وآخرين ، عليهم جميعا السلام) لدورهـم الإيجابى فى مجال تشكيل العقيدة الكتابية ؛ إلا إننى سوف أكتفى بعرض ثمانيـة أمثلـه فقط تمثل إلى حد ما هذه الشريحة المعنية ، ولبيـان المعنـى المقصـود . وسـنرى ــ مـن خـلال النصـوص المباشرة للكتاب المقدس ـ كيف يقوم أنبياء ورسل الإختيار الإلهـى بارتكـاب الجرائـم المتنوعـة ، بدءا من جرائم الزنا مع المحرمات ، والإغتصاب ، وإنتهـاك الأعراض ، والغـدر ، والخيانـه ، والقتل .... ووصولا إلى حد الشرك بالله وعبادة الأصنام ... !!!؟؟

٢. ١. يهوذا (النبى) أب السلالة اليهودية يزنى بـ " ثامار " زوجة إبنه " عـيرا " وثمرة هذا السفاح " فارص " فتخلدهما البشارات (أى الأناجيل) ويصبحا من أجداد الله البشرية [بعد أن تجسد ــ الله ــ ونزل على الأرض فى صورة المسيح ـ عيسى ابن مريم ـ ليحيا عليها حوالى (٣٣) سنة أرضية]

نجد فى سفر التكوين (الإصحاح ٣٨ : ١ – ٣٠) أن النبى يهوذا ، وهو أب السلالة اليهوديـة ، ومصدر كلمة " **اليهودية** " ، يزنى بـ " ثامار " زوجة إبنه " عيرا " ثم إبنه " أونان " ، فتلد له إبنـا يسمى " فارص " . فتخلدهما البشارات (أى يهوذا وفارص) فى " إنجيلى متى : ١ : ٣ ، ولوقـا : ٣ : ٣٣ " ، ويصبحا من أجداد المسيح أو " الله " فـى الصـورة البشـرية ، وذلـك تكريمـا لهـذا السفاح . ويروى الكتاب المقدس تفاصيل هذه القصة على النحو التالى : لقد تزوج أبـو اليهـود " يهوذا " من إبنة رجل كنعانى إسمه " شوع " ؛

[....ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعانى اسمه شوع . فأخذها ودخل عليها (٣) فحبلت وولدت ابنا ودعا أسمه عيرا (٤) ثم حبلت أيضا وولـدت لـه ابنـا ودعت اسمه أونـان (٥) ثـم عـادت فولدت أيضا ابنا ودعت اسمه شيلة . وكان فى كزيب حين ولدته]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ٣ – ٥)

---

[٥٢] لا يمكن الزج بلفظ الجلالة " الله " ، كما سنرى ، عند التعليق فى كل مـا ورد ذكـره فـى الكتـاب المقدس . ولكن سأكتفى بإستخدام كلمة " رب " أو كلمة " إله " للدلالة على نفس المعنى ، تأدبا وخشية .

ورزقه الله ـ كما رأينا ـ بثلاثة أبناء هم عيرا وأونان وشيلة . وكان عيرا الأبن البكر شريرا ، فزوجه أبوه ـ يهوذا ـ بـ " ثامار " ، ولكن الرب أماته لشره .

[(٦) وأخذ يهوذا زوجه لعير بكره اسمها ثامار (٧) وكان عيرا بكر يهوذا شريرا فى عينى الرب . فأماته الرب]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ٦)

وفى العادات اليهودية كان الرجل يتزوج إمرأة أخيه الميت ، حتى يقيم نسلا ليخلد إسم هذا الأخ الميت . وإخلاصا لهذه العادة فقد أمر يهوذا إبنة الثانى " أونان " ليتزوج " ثامار " . ولكن الغيرة والحسد يدخلان قلب " أونان " ، فيفكر أن البذرة ستكون ملكه ، بينما الإسم سيكون لأخيه الأكبر . ولهذا تحايل " أونان [٥٣] " على ثامار كلما دخل عليها وأفسد فى الأرض ، ولم يأت منها بنسل فأماته الرب أيضا . ويسرد الكتاب المقدس هذه الوقائع فيقول :

[(٨) فقال يهوذا لأونان ادخل على إمرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك . (٩) فعلم أونان أن النسل لا يكون له . فكان إذا دخل على إمرأة أخيه أنه أفسد فى الأرض لكيلا يعطى نسلا لأخيه (١٠) فقبح فى عينى الرب ما فعله فأماته الرب أيضا]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ٨ – ١٠)

وبهذا لم يكن أمام يهوذا إلا أن يأمر " ثامار " بالرجوع إلى بيت والدها ، حتى يكبر ابنه الثالث " شيلا " ليزوجها له . وكبر شيلا ولم يفى يهوذا بوعده نحو " ثامار " ، لأنه قد خشى على شيلة أن يموت هو الاخر مثل أخويه ؛

[.... لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويه]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ١١)

وتقرر الأرملة (ثامار) الإنتقام من يهوذا حماها ، الذى حرمها من حقها فى الزواج من " شيلة " . وعلمت " ثامار " أن حماها صاعد إلى " تمنه " ليجز غنمه ، فتقرر خطة تنفذها على الطريق ، حيث تخفت ، وجلست على طريق " تمنه " وكأنها إمرأة عاهرة ، ليقابلها يهوذا ... ثم نترك الكتاب المقدس ليكمل القصة :

[(١٤) فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست عند مدخل عينايم التى على

[٥٣] يعرف علماء النفس الأونانية (**Onanism**) ، بأنها قطع الإتصال الجنسى (أو القذف الخارجى) ، وذلك نسبة إلى أونان إبن يهوذا الثانى .

طريق تمنه . لأنها رأت شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة (١٥) فنظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها (١٦) فمال إليها على الطريق وقال لها هاتى أدخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كنته . فقالت ماذا تعطينى لكى تدخل على (١٧) فقال إنى أرسل جدى معزى من الغنم . فقالت هل تعطينى رهنا حتى ترسله (١٨) ما الرهن الذى أعطيك . فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك . فأعطاها ودخل عليها . فحبلت منه (١٩) ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ١٤ – ١٩)

[كنته : أى إمرأة إبنه]

وأرسل بعد ذلك يهوذا صاحبة (العدلامى) بالجدى ليأخذ الرهن من هذه الزانية ، ولكنه لم يجدها ، وعاد ومعه الجدى إلى يهوذا مرة أخرى وأخبره بهذا ، فسكت يهوذا وتكتم هذا الأمر ، ورفض البحث عنها ، ورضى بأن تأخذ المرأة خاتمه وعصابته وعصاه ، حتى لا يفتضح أمره ؛

[(٢٣) فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة . إنى قد أرسلت هذا الجدى وأنت لم تجدها]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ٢٣)

ويواصل الكتاب المقدس القصة ليخبرنا بإفتضاح أمر زنا " ثامار " ، لظهور أعراض الحمل عليها ، ويحاط يهوذا علما بهذا الأمر ، فيأمر بحرقها ، ولكنها ترسل له الرهن الذى أخذته منه (خاتمه وعصابته وعصاه) فيعرف أنه هو الزانى بها . فيتركها وشأنها ، وهو شاعر بخطنه لأنه لم يزوجها بابنه الثالث شيلة . ونترك النص للكتاب المقدس :

[(٢٤) ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك . وها هى حبلى أيضا من الزنى . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق (٢٥) أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة من الرجل الذى هذه له أنا حبلى . وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصى هذه (٢٦) فتحققها يهوذا وقال هى أبر منى لأنى لم أعطها لشيلة ابنى . فلم يعد يعرفها أيضا]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ٢٤ – ٢٦)

وولدت ثامار بعد ذلك إبنان سفاحا من هذا الزنا هما " فارص " و " زارح " . ويستأنف الكتاب المقدس القصة فيقول ؛

[(٢٧) وفى وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان (٢٨) وكان فى ولادتها أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلة هذا خرج أولا (٢٩) ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج . فقالت لماذا اقتحمت . عليك اقتحام . فدعى اسمه فارص (٣٠) وبعد ذلك خرج أخوه الذى على يده القرمز . فدعى اسمه زارح]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {٣٨} : ٢٧ - ٣٠)

وتخلد البشارات (أى إنجيلى متى ولوقا) يهوذا وفارص وتضعهما فى نسب المسيح أو " الله فى الصورة البشرية " . أى أن " الله " عندما تجسد إختار أن يكون من سلسلة أجداده البشرية شيخ زان ، وابن سفاح . وهذا النسب جاء ذكره فى إنجيل متى على النحو التالى :

[(١) كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم (٢) إبراهيم ولد إسحق . وإسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا وإخوته (٣) ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون . وحصرون ولد أرام (٤) .... (٦) ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا (٧) وسليمان ولد رحبعام .... (٨) .... (١٥) .... ومتان ولد يعقوب (١٦) ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح]

(الكتاب المقدس : إنجيل متى {١} : ١ - ١٦)

وذلك على الرغم من أن الرب قد صرح ـ سابقا ـ بأنه لا يدخل فى جماعته إبن زنا ، حتى الجيل العاشر ، كما جاء فى النص المقدس التالى :

[(٢) لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب . حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب]

(الكتاب المقدس : تثنية {٢٣} : ٢)

إلا إن الرب ـ كما يبدو ـ قد تراجع عن هذا الرأى ، ووقع إختياره على هذا الأب الزانى وابن زنى من الجيل الأول ، لا ليكونا من جماعة الرب فقط ، بل ليكونا من أهل الرب مباشرة ومن أجداده أيضا ....!!!

وليت إختيار " الرب " إقتصر على هذا الشيخ الزانى وإبنه السفاح ليكونا هما الإثنين من أجداده البشرية ، بل أن الأمر إمتد ليشمل جد أخر زان هو النبى داود ، وإبنه النبى سليمان الذى أشرك به ليكونا من أجداده البشريين أيضا . فقد زنى داود ـ عليه السلام ـ بزوجة القائد " أوريا الحثى " ، بعد أن راها ـ من فوق السطح ـ تستحم وهى عارية ، وكانت إمرأة شديدة الجمال . ثم تآمر

بعد ذلك داود مع " يواب " رئيس الجيش ، على قتل " أوريا الحثى " زوجها ، حتى يخفى جريمة زناه ويتزوج منها (أنظر المثال الثالث) .

أما النبى سليمان - إبن داود عليهما السلام - فقد إنتهى به الأمر إلى الشرك بـ " اللـه " ، تأثرا بزوجاته الغريبات ، ويغضب عليه الرب ، ويوعده بتمزيق مملكته (أنظر المثال الخامس) .

ولننتقل الان إلى المثال التالى للبحث عن القدوة الأخلاقية ، ومكارم الأخلاق فى صفات الأنبياء والرسل ، التى يختارها الله للتبليغ عنه ، كما يذكرها **الكتاب المقدس ذلك الوحى المعصوم من الخطأ** (كما يقول بهذا أهل العقيدة) .

٢ . ٢ . لوط (النبى) يزنى بابنتيه ، وتلدا ولدين من هذا السفاح ، هما أبوا الموابيين ، وبنى عمون

يروى لنا الكتاب المقدس فى سفر التكوين (الإصحاح ١٩ : ٣٠ - ٣٨) ، أن إبنتى " لوط " عليه السلام ، قد قامتا بسكر أبيهما وتزنيان معه ، وتحملان منه . فتلد البكر منه ، إبنا يسمى " موآب " ، هو أبو الموآبيين إلى اليوم . وتلد الصغرى إبنا منه ، أسمه " بن عمى " ، هو أبو بنى عمون إلى اليوم . ونترك الآن السرد لنصوص الكتاب المقدس ، وهو الوحى المعصوم من الخطأ (كما يقول بهذا أهل العقيدة) .

[(٣٠) وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن فى صوغر . فسكن فى المغارة هو وابنتاه (٣١) وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض (٣٢) هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه . فنحيى من أبينا نسلا (٣٣) فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم بإضطجاعها ولا بقيامها (٣٤) وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى . نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحى نسلا من أبينا (٣٥) فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها (٣٦) فحبلت إبنتا لوط من أبيهما (٣٧) فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم (٣٨) والصغيرة ولدت أيضا ابنا ودعت اسمه بن عمى . وهو أبو بنى عمون إلى اليوم]

(الكتاب المقدس : سفر التكوين {١٩} : ٣٠ - ٣٨)

فكما نرى من هذا المثال أن النبى " لوط " عليه السلام ، يسكر ولا يعى ماذا يفعل ، ويزنى بإبنتيه بدون أن يدرى . ولم يذكر لنا الكتاب المقدس ... ماذا فعل " لوط " عندما فاق - فيما بعد - من سكره ، ووجد نفسه قد زنى بإبنتيه ، وما شعوره عندما راهما حاملين ، ثم رأهما قد ولدتا ولدين من سفاح ...!!!

ولا ندرى أى مكارم أخلاق فى هذا الزنى على وجه عام ، وزنى المحارم - أبشع أنواع الزنى - على وجه خاص . ولا ندرى كيف وقع إختيار الرب على هذا السكير الزانى ، ليأتمنه على حمل رسالته إلى قومه ، وهو غير مؤتمن على عرض بناته .

٢. ٣. داود (النبى) يزنى بزوجة أوريا الحثى (أحد قواده) ثم يتآمر عليه ويقتله ليخفى جريمة زناه . وتلد له - بعد ذلك - النبى سليمان ، وتخلدهما البشارات (أى الأناجيل) ويصبحا من أجداد الله البشرية [بعد أن تجسد - الله - ونزل على الأرض فى صورة المسيح - عيسى بن مريم - ليحيا عليها حوالى (٣٣) سنة أرضية]

ويروى لنا سفر صموئيل الثانى (الإصحاح ١١ : ٢ - ٢١) ، ان النبى داود عليه السلام ، كان يتمشى فوق سطح بيته ، فرأى بثشبع (Bath-sheba) ، زوجة " أوريا الحثى " أحد قواده وهى تستحم ، وكانت إمرأة جميلة جدا . فيرسل إليها ويزنى بها لتحمل منه .

[(٢) وكان وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جدا (٣) فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة حوريا الحثى (٤) فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها (٥) وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١١} : ٢ - ٥)

ولإخفاء جريمة الزنى أرسل داود لإحضار أوريا الحثى (زوجها) من ميدان المعركه فى أثناء الحرب ليقضى أجازة مع زوجته ، وبذلك تستطيع الزوجه أن تنسب الحمل إليه . إلا أن أوريا الحثى بعد أن جاء إلى داود ، رفض أن ينزل فى منزله وجنوده تقاتل فى المعركة . ونام أمام باب قصر الملك داود . وعبثا حاول داود إغراء هذا القائد إلا أنه أبى وفاءا لقائده " يوآب - قائد

الجيش " وللشعب ، ولتابوت الرب [٥٤] الراقد فى الخيام . وأقسم أمام داود ألا يفعل ذلك والجنود تقاتل على الجبهة .

[(٦) فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى . فأرسل يوآب أوريا إلى داود (٧) فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب(٨) وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك (٩) ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته (١٠) فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا أما جئت من السفر . فلماذا لم تنزل إلى بيتك (١١) فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع إمرأتى . وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر]

(الكتاب المقدس : صمويل الثانى {١١} : ٦ - ١١)

ويهتدى فكر داود النبى إلى إسكار هذا القائد الوفى ، وذلك فى محاولة أخيره منه ليجعل هذا القائد ينزل فى بيته ، حتى يستطيع أن ينسب الحمل إليه ، ولكنه يفشل أيضا ...!!! وينام القائد الوفى أمام باب قصر داود مع عبيده مرة أخرى ...!!!

[(١٢) فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك . فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده (١٣) ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل]

(الكتاب المقدس : صمويل الثانى {١١} : ١٢ - ١٣)

فهذه هى شخصية أوريا الحثى من السمو الأخلاقى ، كما يصورها لنا الكتاب المقدس ، وهو ليس بنبى أو رسول ...!!!

وهكذا لم يعد أمام داود النبى إلا قتل أوريا الحثى لإخفاء جريمة زناه مع زوجته بثشبع(**Bath-sheba**) ...!!! ولكن كيف يقتله ... فليكن هذا غدرا أيضا ...!!! ويتم ذلك بتأمر النبى داود مع يواب (رئيس الجيش) ، ليرسل أوريا إلى الصفوف الأمامية للجيش ... ليقتل ... حتى يستطيع أن يتدارك جريمة زناه ، ويتزوج هو - أى داود - من إمرأته بثشبع .

[٥٤] التابوت (**The Covenant**) هو الصندوق الذى يحرز فيه المتاع أو جثة الميت . والمعنى المقصود هنا أن بنى إسرائيل كانوا إذا دخلوا الحرب يصطحبون معهم " تابوت العهد " وهو التابوت الذى توضع فيه التوراة أى الشريعة ليستنصروا به .

وبديهى يعلم داود بالسمو الخلقى وأمانة هذا القائد أوريا الحثى ، لهذا يقوم بإرسال المكتوب الذى يحمل غدره وخيانته مع أوريا الحثى نفسه ليسلمه بيديه إلى رئيس الجيش " يوآب " ...!!!

[(١٤) وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا (١٥) وكتب فى المكتوب يقول . اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١١} : ١٤ - ١٥)

وهكذا يوضح لنا السفر السمو الأخلاقى للقائد أوريا الحثى - وهو ليس بنبى - ومدى أمانته وإخلاصه ، عندما يحمل كتاب داود بيديه إلى يوآب قائد الجيش والذى يأمر فيه داود يواب بقتل أوريا . ولم تحدثه نفسه - ذلك القائد - بفتح هذا الكتاب ليرى ما فيه من غدر داود به ، ويرى إنه يحمل أمر إعدامه بيديه . وماذا فعل يواب - قائد الجيش - بعد أن تسلم رسالة داود ...!!!

[(١٦) وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه (١٧) فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد ومات أوريا الحثى أيضا]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١١} : ١٦ - ١٧)

ويبين لنا الكتاب المقدس أيضا ، أن يوآب - قائد الجيش - قد إضطر للتضحية بقادة آخرين حتى يضمن قتل أوريا . وأن هذه التضحية سوف تغضب داود نفسه ، ولكنه يعلم أن داود سوف يغفر له هذا ، إذا ما علم بأن هذه التضحية كانت ضرورية ولازمة لضمان قتل أوريا . ولنترك التعبير للنص المقدس :

[(١٨) فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب (١٩) وأوصى الرسول قائلا عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب (٢٠) فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال أما علمتم أنهم يرمون من على السور (٢١) من قتل أبيمالك بن يربوشث . ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات فى تاباص . لماذا دنوتم من السور فقل قد مات عبدك أوريا الحثى أيضا]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١١} : ١٨ - ٢١)

ثم ماذا بعد أن علم داود بالخبر (أى خبر قتل أوريا غدرا والقادة الاخرين معه) من رسول يواب .... أأحس بوخز الضمير ..؟؟ لا لم يحس بهذا ... بل قال لرسول يوآب :

[(٢٥) فقال داود للرسول هكذا تقول ليوآب . لا يسوء فى عينيك هـذا الأمـر لأن السـيف يـأكل هذا وذاك ...]
(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١١} : ٢٥)

ثم ماذا عن إمرأة أوريا ؛

[(٢٦) فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها (٢٧) ولما مضت المناحـة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة ....]
(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١١} : ٢٦ - ٢٧)

وهكذا يسطر لنا الكتاب المقدس قصة غدر النبى داود بأحد قواده المخلصين وقتلـه ، بعـد أن قـام بخيانته والزنا بزوجته ، ولتصبح هذه القصة من النصوص المقدسة ، التى تتلى على هذا الشـعب لتبين له قدوة الأنبياء فى مكارم الأخلاق ...!!!

وتلد بثشبع (Bath-sheba) بعد زواج داود لها خمسة أولاد ، اخرهم النبى سليمان [٥٥] ، عليه السلام . ونظرا لغرام سليمان ـ عليه السلام ـ بالنساء الغريبات ، اللاتى أثرن عليه ، فقد إنتهى الأمر به إلى الشرك بالله . فيغضب عليه الرب ويعده بتمزيق مملكته فى عهـد إبنـه ، وليس فـى عهده هو إكراما لأبيه داود .

وليس لنا تعليق على هذه القصة غير عرضها ، لرؤية أى مكارم أخلاق فى هذا السلوك إن كـان لرجل عادى . فما بالك والأمر متعلق بسلوك نبى ، أى المصطفى إلهيا ، والمفروض أنـه القـدوة للبشرية ، والقدوة البشرية فى مكارم الأخلاق .

ويعلق مثلث الرحمات الأنبا يونس على سقطة داود فيقول [٥٦] :

" من يصدق أن داود العملاق يسقط ؟! ويسقط فى خطية الزنا البشعة وخطية القتل المروعـة !! هل يصدق أن داود هذا الذى شهد له الله شهادة لم ترد عن إنسان أخـر فـى الكتـاب المقدس : " **فتشت قلب داود بن يسى فوجدته حسب قلبى** " ومـع ذلـك يسـقط هـذا الإنسـان !!! **إن بصمـات الشيطان واضحة فى قصةُ سقوط داود ...** "

[٥٥] **[(٢٤) وعزى داود بثشبع امرأته ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابنا فدعا اسمه سليمان والرب أحبه]**
(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١٢} : ٢٤)

[٥٦] " السماء " لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يونس ، مطبعة الأنبا رويس . ص : ١٠٢ .

وهكذا نرى أن قلب داود بن يسى **حسب قلب الرب** نفسه (أى مثل قلب الرب وهو الذى سيفعل كل مشيئة الرب [٥٧]) ، ومع ذلك يقوم بالزنا والقتل والغدر والخيانة مجتمعة معا ...!!! وبديهى يقوم أهل العقيدة بتبرير مثل هذا السلوك ، فيقولون [٥٨] :

لقد كانت سقطة داود سقطة عابره فى حياته ، فهو لم يعش طوال حياته زانيا بل قدم توبه صادقة ...

هكذا ببساطة شديدة ...!!! فهم يعتبرون أن الغش والخداع والغدر والزنا والقتل ، كلهم مجتمعين فى إمرئ واحد ، هى سقطة عابرة ...!!! بل ويمكن أن يقدم المرء عنها توبه صادقة ..!!! بل وتقبل توبته ، ولا يعتبر المرء بهذا من القديسين فحسب ، بل من الأنبياء أيضا ...!!! (راجع كذلك الفصل السابق ، بند ١٢ ـ " ظاهرة التبرير " أو التداخل والتضحية بالعقل) .

ولم يبينوا لنا ـ أهل العقيدة ـ إنطباعهم عن السلوك المتعالى للقائد النبيل أوريا الحثى ، المجنى عليه ، الذى يرفض أن ينعم بأجازة قصيرة أو حتى بلحظات سعيدة يقضيها مع إمرأته الجميلة ، وزملائه فى الجيش يحاربون فى الصحراء ، وتابوت الرب راقد فى الخيام ...!!! وبديهى لنا أن نتساءل ... من منهما أحق بالإختيار الإلهى للنبوة ....؟؟!!!
ولم أعد أدرى أى قياس بشرى أو ألهى هذا فى إختيار خائن للنبوة وترك هذا النبيل " أوريا الحثى " الذى من الشعب ...؟؟!!!

ثم بعد كل هذا يقع إختيار الرب (الإله المتجسد يسوع) ، على داود ليكون من أجدادة البشرية :

[(١) كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم (٢) إبراهيم ولد إسحق . وإسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا وإخوته (٣) ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون . وحصرون ولد أرام (٤) .... (٦) ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا (٧) وسليمان ولد رحبعام .... (٨) .... (١٥) .... ومتان ولد يعقوب (١٦) ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح]
(الكتاب المقدس : إنجيل متى {١} : ١ – ١٦)

---

[٥٧] **[(٢٢) ... وأقام لهم داود ملكا عليهم الذى شهد له أيضا إذ قال وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى]**
(الكتاب المقدس : أعمال الرسل {١٣} : ٢٢)

[٥٨] " إستحالة تحريف الكتاب المقدس " ، وهيب عزيز خليل ، كنيسة القديسة دميانة ، ص ١٨٥ .

٢. ٤. أمنون (إبن داود عليه السلام) يزنى بأخته ثامار ، بناءا على نصيحة "يوناداب " أحد الحكماء جدا ...!!!

وهذا المثال يعطي فكرة واضحة عن المستوى الأخلاقى كذلك لأولاد الأنبياء . ففى سفر الملوك الأول (الإصحاح ١١ : ١ – ٢٨) ، نجد أن أمنون بن داود - عليه السلام - قد أحب أخته غير الشقيقة " ثامار " ، فيوصيه حكيم الحكماء " يوناداب " (الحكيم جدا بوصف الكتاب المقدس) ، بأن يتمارض حتى تسهر عليه أخته ثامار . وبذلك تتاح له فرصة إغتصابها . وبعد أن يتم لأمنون ما أراد من أخته " ثامار " يقوم بطردها من بيته شر طردة ، وهى تصرخ وتولول وتضع الرماد فوق رأسها ، وتمزق ثوبها الملون .

وقد يتصور البعض أن هذا ممكن حدوثه ، طالما لم ينزل قانون إلهى بتحريم الأخت ، والأخت غير الشقيقة على الإخ ، وقت حدوث هذا الحدث . لكننا نرى أن هذا التحريم قد نزل قبل هذا الحدث ، بأكثر من خمسمائة عام [٥٩] ، منذ عهد موسى عليه السلام . حيث يقول الرب لموسى فى سفر اللاويين :

[(١) وكلم الرب موسى قائلا ... (٦) لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة . أنا الرب (٧) عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف . إنها أمك لا تكشف عورتها (٨) عورة إمرأة أبيك لا تكشف . إنها عورة أبيك (٩) عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها ... (١١) عورة بنت إمرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك]

(الكتاب المقدس : اللاويين {١٨} : ١ – ١١)

ولنترك الآن المجال الكتاب المقدس ، ليروى لنا قصة أمنون مع أخته ثامار :

[(١) وجرى بعد ذلك أن كان لإبشالوم من داود أخت جميلة إسمها ثامار [٦٠] فأحبها أمنون بن داود (٢) وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء وعسر فى عينى أمنون أن يفعل لها شيئا (٣) وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخى داود . وكان يوناداب رجلا حكيما جدا (٤) فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح . أما

---

[٥٩] أنظر الملحق الثانى من هذا الكتاب : " التواريخ التقريبية لتدوين أسفار الكتاب المقدس " .

[٦٠] إبشلوم وثامار هما من أم واحدة هى " مأكاه : **Maacah** " ، أما أمنون فمن أم أخرى هى " أهينوام : **Ahinoam** " ، وكلهم أبوهم داود عليه السلام . وبهذا تكون ثامار أخت غير شقيقة لأمنون ، ولكنها محرمة عليه منذ عهد موسى ، أى قبل داود بأكثر من ٥٠٠ سنة ، كما جاء فى سفر اللاويين على النحو السابق ذكره . أنظر :
Aids to Bible Understanding , pp 424 Int. Bible Student Assoc. , N.Y. , USA

تخبرني . فقال له أمنون إني أحب ثامار أخت أبشالوم أخي . فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض . وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزا وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثاني {١٣} : ١ - ٤)

وفعلا يتمارض أمنون بناءا على نصيحة يوناداب - **الرجل الحكيم جدا** - لكي يخدع أبوه داود عليه السلام ، ليرسل له أخته ثامار لينفرد بها ويغتصبها ... !!! فهذه هي أحد جوانب الحكمة في النصوص المقدسة . ويقوم داود (عليه السلام) بإرسال ثامار - فعلا - إلى أخيها أمنون لتمرضه في بيته ...!! ثم يستكمل الكتاب المقدس القصة فيقول :

[(٩) ... وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني . فخرج كل إنسان عنه (١٠) ثم قال أمنون لثامار ائتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك . فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع (١١) وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي إضطجعي معي يا أختي (١٢) فقالت له لا يا أخي لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل . لا تعمل هذه القباحة (١٣) أما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون واحد من السفهاء في إسرائيل . والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك (١٤) فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها (١٥) ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها . وقال لها أمنون قومي انطلقي (١٦) فقالت له لا سبب . هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي . فلم يشأ أن يسمع لها (١٧) بل دعا غلامه الذي كان يخدمه وقال اطرد هذه عني خارجا وأقفل الباب وراءها (١٨) وكان عليها ثوب ملون لأن بنات الملك العذارى كن يلبسن جبات مثل هذه . فأخرجها خادمه إلى الخارج وأقفل الباب وراءها (١٩) فجعلت ثامار رمادا على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثاني {١٣} : ٩ - ١٩)

ويحزن أبشالوم - أخوها الشقيق - على أخته ثامار ...

[(٢٠) ... فأقامت ثامار مستوحشة في بيت أبشالوم أخيها]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثاني {١٣} : ٢٠)

ويعقد العزم أبشالوم على قتل أمنون إنتقاما منه لإغتصاب أختهما . وبعد مرور سنتين على الحادثة ، يدعوا أبشالوم الملك داود لزيارته هو وأبناؤه ـ ومنهم أمنون ـ والحاشية ، إلى " بعل حاصور " ليروا جز الغنم ، فيعتذر داود الملك حتى لا يثقل عليه ، ويقول الكتاب المقدس :

[(٢٥) فقال الملك لأبشالوم لا يا ابنى لا نذهب كلنا لئلا نثقل عليك . فألح عليه . فلم يشأ أن يذهب بل باركه (٢٦) فقال أبشالوم إذا دع أخى أمنون يذهب معنا . فقال الملك لماذا يذهب معك (٢٧) فألح عليه أبشالوم فأرسل معه أمنون وجميع بنى الملك .
(٢٨) فأوصى أبشالوم غلمانه قائلا انظروا . متى طاب قلب أمنون بالخمر وقلت لكم اضربوا أمنون فاقتلوه . لا تخافوا . أليس أنى أنا أمرتكم . فتشددوا وكونوا ذوى بأس (٢٩) ففعل غلمان أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم . فقام جميع بنى الملك وركبوا كل واحد على بغله وهربوا]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١٣} : ٢٥ - ٢٩)

وبهذا فإننا نرى أن سلوك أبناء الأنبياء ، لم يتجاوز فكر ومفاهيم الآباء ... من الزنا ... والغدر ... والخيانة ... والتربص ... وقتلهم بعضهم بعضا ...!!! وليس هذا فحسب ، بل يقوم أبشالوم نفسه بإغتصاب كل زوجات أبيه داود علنا أمام بنى إسرائيل ...!!!

٢. ٥. أبشالوم (إبن آخر لداود) يقوم بإغتصاب كل زوجات أبيه داود (عليه السلام) ـ أمام جميع بنى إسرائيل ـ بناء على مشورة رجل حكيم كلامه مساوى لكلام الرب أو الوحى الإلهى .

وهناك نصائح أخرى فى الكتاب المقدس على غرار نصيحة ، **الرجل الحكيم جد يونادابا** ، الذى أشار فى الفقرة السابقة ، على أمنون بن داود ـ عليه السلام ـ بكيفية إغتصاب أخته ثامار . وقد ثار أبشالوم كما رأينا ـ فى الفقرة السابقة ـ على إغتصاب أمنون لأخته ثامار ، فقام بقتل أخيه أمنون جزاء فعلته هذه .

أما أبشالوم نفسه فقد قام بإغتصاب كل زوجات أبيه داود ـ عليه السلام ـ بناء على نصيحة أخرى من **حكيم آخر يدعى أخيتوفل ، كلامه مساو لكلام الرب** ، ولنفسح المكان للنص المقدس لنرى هذه القصة الجديدة :

[(٢٠) وقال أبشالوم لأخيتوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل (٢١) فقال أخيتوفل لأبشالوم ادخل على سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك فتتشدد أيدى جميع الذين معك (٢٢) فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١٦} : ٢٠ ~ ٢٢)

ولكن هل **أخيتوفل** حكيم حقا كما ندعى ...؟؟!!! نعم ...!!! إن الكتاب المقدس يبين لنا أن أخيتوفل ليس حكيما فحسب ، بل أن كلامه مساو لكلام الله نفسه ...!!! فهذا هو أخيتوفل ...!!! حكيم حكماء بنى إسرائيل ...!!! وهؤلاء هم الحكماء فى الكتاب المقدس ...

[(٢٣) وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله . هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم جميعا]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {١٦} : ٢٣)

ويالها من نصائح ترد فى الكتاب المقدس ، على لسان الحكماء ، ويالـه من وحى إلهى ... لتهذيب الإنسان ...!!! ولكن ما طبيعة هذا الإله الذى يوحى بكل هذه الموبقات تحت دعوى إنها مكارم أخلاق . إننا سوف نرى حالا ـ فى الفقرات القادمة ـ إن ذلك الإله هو كائن مسخ أقرب للحيوانات الأسطورية منه للإنسان ...!!!

٢. ٦. " رأوبين " ابن يعقوب البكر يزنى بزوجة أبيه " بلهه " أم أخويه دان ونفتالى ، فتكتب أسماءهم الثلاثة على أبواب مدينة أورشليم السمائية مسكن الله ...!!! ولكن ما هى أسماء باقى أبواب هذه المدينة المقدسة ... مسكن الله ...؟؟!!

إن ما سبق ليس هو كل الأخبار عن زنى المحارم ، وزنى الإبن بزوجات أبيه على وجه الخصوص . فيذكر لنا الكتاب المقدس مثلا اخر لهذا النوع من الزنى ـ الأخير ـ ليؤكد معناه لدينا ويعمق الإحساس به . فيقول الكتاب المقدس أن " رأوبين " إبن يعقوب البكر قد قام بالزنى هو الاخر مع زوجة أبيه يعقوب ، وأم أخويه دان ونفتالى . وقد شاع الخبر وسمعه يعقوب بنفسه . ويذكر لنا الكتاب المقدس أن يعقوب قد بارك " رأوبين " فيما بعد على الرغم من أنه قال لـه : **إنك دنست فراشى ..!!** . وليس هذا فحسب ، بل أن الكتاب المقدس قد كتب إسماء بنى يعقوب الإثنى عشر بما فيهم " رأوبين " على أبواب الجنة الإثنى عشر ...!!!

[(٢٢) ... وكان بنو يعقوب اثنى عشر(٢٣) بنو ليئة رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون (٢٤) وابنا راحيل يوسف وبنيامين (٢٥) وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالى (٢٦) وابنا زلفة جارية ليئة جاد وأشير. هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له فى فدان أرام]

(الكتاب المقدس : تكوين {٣٥} : ٢٢ - ٢٦)

فكما نرى أن " دان ونفتالى " هما أخوان لـ " رأوبين " ..... ثم يأتى رأوبين ويزنـى مع أمهما كما جاء فى النص المقدس ..!!! ويصبح إسم رأوبين - فيما بعد - أحد الأسماء المقدسة المكتوبة على باب الفردوس ... الذى لن يدخل القوم أو الشعب المؤمن بالكتاب المقدس إلا منه ...!!!

[(٢١) ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر (٢٢) وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه . وسمع إسرائيل وكان بنى يعقوب اثنى عشر]

(الكتاب المقدس : تكوين {٣٥} : ٢١ - ٢٢)

وإسرائيل هو يعقوب (كما يتضح من النص أيضا) ، وقد تسمى يعقوب بهذا الإسم - كما سنرى فيما بعد - بعد أن إشتبك مع " الله " فى معركة ليلية بالأيدى والأرجل ، وأجبر " الله " على النزول على إرادتة (أى على إرادة يعقوب أو إسرائيل) وقبول شروطه ، وإلا فلن يطلق يعقوب سراحه (أى سراح الرب) ....!!! (أنظر تفاصيل هذه المعركة المثيرة فى الفقرة ٤. ١. ٥. من هذا الفصل) .

ويعلم يعقوب بأمر هذا الزنى ، وبأن فراشه قد تنجس بفعل إبنه " رأوبين " الفائر ..!!! ومع ذلك يقوم يعقوب بمباركة " رأوبين " قبل وفاته ، فيقول له :

[(٣) رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز (٤) فائر كالماء لا تتفضل . لأنك صعدت على مضجع أبيك . حينئذ دنسته . على فراشى صعد (٥) شمعون ولاوى ...]
(الكتاب المقدس : تكوين {٤٩} : ٣ - ٥)

ويعدد " يعقوب بنيه بالإسم ، ويذكر لهم ما سيصيبهم فى آخر الأيام ... ثم ينهى هذا السفر هذه الأخبار والوصايا بالقول بأن :

[(٢٨) جميع هؤلاء هم أسباط إسرائيل الإثنى عشر . وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم كل واحد بحسب بركته باركهم]

(الكتاب المقدس : تكوين {٤٩} : ٢٨)

ويمجد " الإله " فى العهد الجديد من الكتاب المقدس أيضا " رأوبين " ، ويكتب إسمه على أحد أبواب الجنة ، أو مدينة " أورشليم السمائية (أى السماوية) مسكن الله " . حيث يقول لنا القديس يوحنا الرائى :

[(١٠) وذهب بى بالروح إلى جبل عظيم عال وأرانى المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله (١١) لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلورى (١٢) وكان لها سور عظيم وعال وكان لها اثنا عشر بابا وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكا وأسماء مكتوبة هى أسماء أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر [٦١]]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٢١} : ١٠ – ١٢)

ومدينة أورشليم السمائية ، هى المدينة التى سيسكن فيها " الله " ، مع شعبه المختار ، كما يقول بذلك الكتاب المقدس :

[(٢) وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها (٣) وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم إلها لهم]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٢١} : ٢– ٣)

وهكذا أئمة زنا المحارم فى الكتاب المقدس هم مفتاح أسمى درجات القرب من الله ، مفتاح أبواب الجنة والطريق إليها ...!!! وليس هذا فحسب ، بل أن شمعون ولاوى ... القساة ... الظلمة ...القتله ... كما يؤكد هذا أبوهما يعقوب بنفسه ، والذى كان يكره مجالستهما ... وكانا عارا عليه ... فيقول :

---

[٦١] تم تعديل ترتيب أسماء أسباط بنى إسرائيل فى العهد الجديد ، عند كتابة أسمائهم على أبواب مدينة أورشليم السمائية مسكن الله ، ليكون كالآتى :

يهوذا - رأوبين - جاد - أشير - نفتالى - منسى - شمعون - لاوى - يساكر - زبولون - يوسف - بنيامين

(رؤيا يوحنا اللاهوتى {٧} : ٥ – ٨) . وبهذا نرى أن دان لم يكتب إسمه على باب من أبواب الجنة ، واستبدل به منسى ، أو ربما عدل إسمه من " دان " إلى " منسى " فى العهد الجديد .

[(٥) شمعون ولاوى أخوان . آلات ظلم سيوفهما (٦) فى مجلسهما لا تدخل نفسى . بمجمعهما لا تتحد كرامتى . لأنهما فى غضبهما قتلا إنسانا وفى رضاهما عرقبا ثورا (٧) ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس ...]

(الكتاب المقدس : تكوين {٤٩} : ٥ – ٧)

يكتب إسميهما أيضا على بابين من أبواب هذه المدينة المقدسة مسكن " الله " ...!!!

وحتى " **يساكر** " ذلك الحمار التافه ، من بنى إسرائيل ، الذى لم يستحسن إلا المكان ، ولم ير الأرض إلا نزهة ، كما يصفه أبوه يعقوب (عليه السلام) :

[(١٤) يساكر حمار جسيم رابض بين الحظائر (١٥) فرأى المحل أنه حسن والأرض نزهة ..]

(الكتاب المقدس : تكوين {٤٩} : ١٤)

حتى هذا الحمار التافه ... يساكر يكتب إسمه أيضا على باب من أبواب هذه المدينة المقدسة ، مسكن الله ، لا لشيء إلا لأنه من بنى إسرائيل ...!!!

وهكذا أبواب المدينة المقدسة ، مسكن الله ، أو جنة الخلد [٦٢] ، فى الكتاب المقدس ... تكتب بأسماء ... زانى المحارم من بنى إسرائيل ... والقاتل من بنى إسرائيل ... والظالم من بنى إسرائيل ... والقاسى من بنى إسرائيل ... حتى الحمار التافه من بنى إسرائيل ... يكتب إسمه أيضا على باب من أبواب مدينة الله أو جنة الخلد ...!!! كما يبين لنا هذا الكتاب المقدس . فهؤلاء هم أبطال البشرية وقدوتها ... وطريق البشرية إلى الجنة ... كما يقول بهذا الكتاب المقدس ...!!!

وعلى الرغم من كل هذا التمييز الصارخ لبنى إسرائيل من جانب الرب ، إله المسيحية . إلا إننا نرى أن بنى إسرائيل لم يرضوا عنه [٦٣] ، ولم يرضوا بخلاصه ...!!! بل نجد حاخامات اليهود

---

[٦٢] ونود أن نشير هنا إلى أن الفردوس أو جنة عدن ، ليس مدينة أورشليم السمائية مسكن الله . بل أن الفردوس هو مجرد منطقة لإنتظار الأبرار - عقب موتهم - لحين إنتهاء " الله " من حربه مع الشيطان . أنظر كذلك مزيد من التفاصيل فى بند (٤. ٢. ٣.)

[٦٣] يقول مثلث الرحمات ، الأنبا يوأنس فى كتابه " السماء " (مطبعة الأنبا رويس) ص . ٦٥ ، أن اليهود المنشقون ، والذين يرفضون الإيمان بالمسيح ، لن يكون لهم مكانا فى مدينة أورشليم السمائية .

ونشير هنا إلى أن فكر العقيدة المسيحية عن التثليث والمسيح ، لم يتبلور إلا بعد حوالى ألفين سنة من تاريخ يعقوب (أو إسرائيل) وأبناؤه (أنظر الملحق الثانى الخاص ، بتواريخ تدوين أسفار الكتاب المقدس) . فيكون معنى ذلك أن

يقولون في التلمود [٦٤]، بأن **المسيح إله المسيحية المتجسد لفداء خطايا الناس ، هو في الواقع ، ابن زنى حملته أمه ــ مريم ــ خلال فترة الحيض ، وكانت تتقمصه روح يقال لها " إيسو : Esau** " ، وإنه مجنون ، مشعوذ ، مضلل . صلب ثم دفن في جهنم ، فنصبه أتباعه ــ منذ ذلك الحين ـ " **وثنا** " لهم يعبدونه . أي أن اليهود ـ شعب الله المختار ــ قد رفضوا الديانة المسيحية على نحو مطلق .

ولم يكتف " الرب الإله " بهذا التمييز العنصري لبني إسرائيل ، على أمم العالم ، وتغاضيه عن أعمالهم الصارخه ـ على الرغم من عدم قبولهم له ـ بل قام بجعل أبواب مدينتة ـ الشخصية ــ أو جنة الخلد مقصورة عليهم ، ولا أحد سواهم . ولم يكتفي الإله بهذا كله ، بل أرسل إليهم الملائكة لتختمهم على جباههم ليعرف كل كائن حي ، بأن أسباط بني إسرائيل هم عباد الله المميزون ... !!! على كل مخلوقات الله ...!!! كما ينبئنا بهذا القديس يوحنا الرائي [٦٥] في العهد الجديد ، وذلك عندما اراه " الرب " هذا ...

[(٢) ورأيت ملاكا آخر طالعا من مشرق الشمس معه ختم الله الحي فنادى بصوت عظيم إلى الملائكة الأربعة الذين أعطوا أن يضروا الأرض والبخر (٣) قائلا لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار حتى نختم عبيد إلهنا على جباهم (٤) وسمعت عدد المختومين مئة وأربعة وأربعين ألفا مختومين من كل سبط من بني إسرائيل (٥) من سبط يهوذا اثنا عشر ألف مختوم من سبط رأوبين اثنا عشر ألف مختوم . من سبط جاد اثنا عشر ألف مختوم (٦) من سبط أشير اثنا عشر ألف مختوم . من سبط نفتالي اثنا عشر ألف مختوم . من سبط منسى اثنا عشر ألف مختوم (٧) من سبط شمعون اثنا عشر ألف مختوم . من سبط لاوي اثنا عشر ألف مختوم . من سبط يساكر اثنا عشر ألف مختوم (٨) من سبط زبولون اثنا عشر ألف مختوم . من سبط يوسف اثنا عشر ألف مختوم . من سبط بنيامين اثنا عشر ألف مختوم . (٩) بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف ...]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتي {٧} : ٢ – ٩)

الله قد كتب أسماء بني إسرائيل على أبواب مدينته ، بناءا على ـ أو على أساس ـ أنهم كانوا سيقبلونه فاديا ومخلصا إذا حضروه في العهد الجديد ...!!!

وهناك سؤال آخر يتبادر إلى الذهن الآن ... هل الذي يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل له أولوية القرب من الله عن سائر بني البشر ...؟؟!! بغض النظر عن أعماله من زنى ، وقتل ، وغدر ... إلى آخره ... طالما أنه من بني إسرائيل ، وذلك بغض النظر عن أعمال سائر البشر من صوالح الأعمال ، كما يقول بهذا الكتاب المقدس ...؟؟!!

٦٤ " **فضح التلمود ـ تعاليم الحاخامين السرية** " ؛ الأب آي . بي . برانايتس . إعداد زهدي الفاتح . دار النفائس ؛ بيروت ؛ ص : ٥٧ .

٦٥ لاحظ أن يوحنا الرائي يرى المستقبل وليس ماضيا لأنه يرى الآخرة (أنظر كذلك فقرة ٤ التالية) .

سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه (٥) فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين (٦) وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه (٧) حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون (٨) وهكذا فعل لجميع نساؤه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن (٩) فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين (١٠) وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهه أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١١) فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك (١٢) إلا إنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد إبنك أمزقها]

(الكتاب المقدس : الملوك الأول {١١} : ١ – ١٢)

وإذا كان هو هذا حال الإنبياء أو الحكماء الذى وقع عليهم الإختيار الإلهى ، ليحملوا رسالتة . وإذا كان هذا هو حال سليمان ـ عليه السلام ـ مندوب العناية الإلهية ، الذى لم يصل إلى اليقين الكامل بإدراك وجود اللـه ، أو أدركه وعصاه ، وهو ... [(٩) ... **الذى تراءى له مرتين (١٠) وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهه أخرى .فلم يحفظ ما أوصى به الرب**] ، كما جاء فى النص السابق .

فماذا ينتظر ـ الله ـ من البشر العاديين ، وهم على درجة إدراك ـ بهذا الوجود الإلهى ـ أقل بكثير من إدراك الأنبياء : فلا تثريب عليهم إذن ، ولا إثم ولا وزر ، ولينتف التكليف الإلهى عن الإنسان ... ولتتضاءل الحكمة .... ولتعم الفوضى .... وليصبح الوجود بلا غاية ...!!! وعلى الرغم من هذا كله ، فقد قام الرب بإختيار هذا النبى ليكون أحد أجداده البشرية :

[(١) كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم (٢) إبراهيم ولد إسحق . وإسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا وإخوته (٣) ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون . وحصرون ولد أرام (٤) .... (٦) ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا (٧) وسليمان ولد رحبعام .... (٨) .... (١٥) .... ومتان ولد يعقوب (١٦) ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح]

(الكتاب المقدس : إنجيل متى {١} : ١ – ١٦)

ولا ندرى أى إله هذا ..!!!

٢. ٨ هارون (النبى) أخو موسى ـ عليهما السلام ـ ينتهى به الأمر بضلال الشعب وعبادة الأصنام .

يقدم لنا الكتاب المقدس نموذجا اخر لسلوك الأنبياء والرسل ، حيث ينتهى الأمر بهم وهم فى قمة الرسالة ـ المكلفون بها من الله ــ أن يقوموا بعبادة الأصنام . فــ " هارون " (أخو موسى) عليهما السلام ، هو نبى بنصوص الكتاب المقدس نفسه . فنجد سفر الخروج يقول :

[(١) فقال الرب لموسى أنظر . أنا جعلتك إلها لفرعون . وهارون أخوك يكون نبيك (٢) أنت تتكلم بكل ما آمرك . وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بنى إسرائيل من أرضه]
(الكتاب المقدس : خروج {٧} : ١ – ٢)

وليس هذا فحسب ، بل نجد أن الرب يقول لموسى :

[(١٥) ... وأنا أكون مع فمك (أى فم موسى) **ومع فمه** (أى فم هارون) **وأعلمكما ماذا تصنعان]**

(الكتاب المقدس : خروج {٤} : ١٥)

إذن فـ " هارون " كان نبيا بنص الكتاب المقدس . وكان هارون هو الذى كان يحمل عصا موسى ـ عليه السلام ـ بأوامر من الرب ، ليجرى بها المعجزات أمام فرعون والشعب . فنجد سفر الخروج يقول :

[(١٩) ثم قال الرب لموسى <u>قل لهارون خذ عصاك ومد يدك</u> على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى مجتمعات مياههم لتصير دما . فيكون دم فى كل أرض مصر فى الأخشاب وفى الأحجار (٢٠) ففعل هكذا موسى وهارون كما أمر الرب ...]
(الكتاب المقدس : خروج {٧} : ١٩ – ٢٠)

[الأجام : جمع أجمه وهى الشجر الكثيف الملتف]

وفى مواقع أخرى ، يقول الرب ...

[(٥) فقال الرب لموسى <u>قل لهارون مد يدك بعصاك</u> على الأنهار والسواقى والآجام وأصعد الضفادع على أرض مصر (٦) فمد هارون يده على مياه مصر . فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر]

(الكتاب المقدس : خروج {٨} : ٥ – ٦)

[(١٦) ثم قال الرب لموسى قل لهارون مد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضا فى جميع أرض مصر (١٧) ففعلا كذلك . مد هارون يده بعصاه وضرب تراب الإرض . فصار البعوض على الناس وعلى البهائم . كل تراب الأرض صار بعوضا فى جميع أرض مصر]
(الكتاب المقدس : خروج {٨} : ١٦ – ١٧)

وتتوالى المعجزات فى مواقع مختلفة فى الكتاب المقدس على يد هارون ، حيث يأمره الرب بإستخدام العصا لعمل المعجزات (الدم ـ الضفادع ـ البعوض ـ الذبان ـ موت الماشية ـ الدمامل ـ البرد والنار ـ الجراد) أمام فرعون مصر وشعبها . وهكذا كان لهارون دور إيجابى ومباشر فى فعل المعجزات مع موسى (عليهما السلام) .

ثم بعد كل هذه المعجزات التى جرت على يديه ، نرى أنه عندما ذهب موسى لميقات ربه وتأخر على القوم ، يقوم هارون بصناعة إله من الذهب لبنى إسرائيل ، ويبنى له مذبحا لعبادته . ولنترك سرد القصة للكتاب المقدس ؛

[(١) ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه (٢) فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها (٣) فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون (٤) فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر (٥) فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال غدا عيد الرب (٦) فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب]
(الكتاب المقدس : خروج {٣٢} : ١ – ٦)

ولما عاد موسى سأل هارون عما فعل بالشعب فلم ينكر ، بل أعاد أمامه نفس سياق النص السابق . وبهذا أدرك موسى أن هارون قد أضل الشعب ، وجلب عليهم خطية عظيمة ، وإنه قد عراه بين مقاوميه للهزء به .

[(٢٥) فلما رأى موسى الشعب أنه معرى . لأن هارون كان قد عراه للهزء به بين مقاوميه (٢٦) وقف موسى فى باب المحلة . وقال من للرب فإلى . فاجتمع إليه جميع بنى لاوى]
(الكتاب المقدس : خروج {٣٢} : ٢٥ – ٢٦)

وضرب الرب الشعب جزاء لخطيئته التى تسبب فيها هارون وعبادته للعجل .

[(٣٥) فضرب الرب الشعب . لإنهم صنعوا العجل الذى صنعه هارون]
(الكتاب المقدس : خروج {٣٢} : ٣٥)

****

وبهذا المثال نختتم الأمثلة الدالة على سلوك الأنبياء من جانب ، وعلى نصوص الكتاب المقدس من جانب اخر . فكما رأينا أن سلوك الأنبياء لا تتصف بالأخلاقيات أو حتى الأعراف العادية ، بل أن معاصيهم تتراوح بين زنا المحارم ، والتآمر ، والخيانة ، والقتل ... ثم تصل ذروتها إلى الشرك بالله ، وعبادة الأصنام .

إن القول بـ " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ، يحتم على أهل العقيدة ، إن أحسنوا الظن ، قبول مبدأ الخطأ الإلهى عند إختياره للأنبياء . حيث وقع إختياره على زمرة من الأشرار ، لم يحسنوا الدعوة إليه ، كما لم يضربوا أى مثل فى القدوة والإتباع . بل إننا نجد على مستوى تاريخ الشعوب أبطالا كثيرين يفوقون هؤلاء الأنبياء ـ بفوارق أضخم من أن تحسب ـ فى السلوك والقدوة فى الإتباع ، ومكارم الأخلاق .

أما القول بـ " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ، مع إساءة الظن ، فإن هذا يفرض على المرء **إما** : قبول مبدأ الإله كان لا يعى ماذا يفعل ...!!! **أو** : أن الإله كان يقع تحت سيطرة الشيطان عند إختياره للأنبياء والرسل ، حيث أضله الشيطان فيما فعل . وبذلك لم يحسن الإختيار لمن يدعو له ، لأن إختياره قد وقع على دعاة لا تعطى أى قدوة حسنة ـ للبشرية ـ فى السلوك ومكارم الأخلاق . وعموما ؛ فإن مثل هذين الإحتمالين ، هو فكر وارد وليس بمستغرب ، كما سنرى حالا عند مناقشة الفكر الإلهى فى العقيدة المسيحية واليهودية ، فـ " الإله " فى فكر العقيدتين عادة ما تنقصه الخبرة والحكمة معا ، هذا إن لم يكن ـ هو أصلا ـ " إلها مسخا " ومتدنيا كثيرا فى صفاته عن " الإنسان " ...!!

٣ – *النصوص*

من البديهى كان يمكن عدم إفراد بند مستقل للنصوص الواردة فى الكتاب المقدس . إذ أن مناقشة أى قضايا واردة بصياغة الكتاب المقدس ـ كقضية الأنبياء مثلا السابقة ـ إنما تعنى التعرض للنصوص المقدسة ضمنيا أثناء مناقشة هذه القضايا . ولكن تم إفراد هذا البند بنوع خاص من

الإستقلالية لمناقشة بعض النصوص التى لا يمكن أن تندرج تحت أى مسمى خاص أو أى قضايا أخرى ، كالأنبياء أو الفكر الإلهى ...

وسوف نتعرف هنا فى هذا البند ؛ إلى بعض من النصوص المقدسة التى يحويها الكتاب المقدس ، والتى لا يمكن أن تحتوى على أى معنى إلهامى يؤكد أو يشير ولو من بعيد عن حكمة ما ، أو فكر إحكامى ما ، أو أى نوع من أنواع الصياغة الإلهية المتوقعة من " الخالق المتعالى " لهذا الوجود على نحو مطلق . كما لا يمكن أن تشير هذه النصوص ـ من جانب آخر ـ إلى أى كمال ما ...!! يدل على ما يتمتع به هذا الخالق من كمالات مطلقة . بل سوف نجد ـ هذه النصوص ـ صياغة متردية لسرد بعض الفقرات الجنسية الصارخة التى لا تليق مناقشتها أو تعميم فكرها ، إلا فى المجتمعات التى تشيع فيها الفاحشة بشكل مباشر .

ففى هذه الفقرة سوف نناقش بعضا من هذه النصوص الشاذة أو الغريبة ، لنرى أى قدسية تحملها هذه النصوص ، وكيفية تبرير أهل العقيدة لوجود مثل هذه النصوص من ضمن الكتاب المقدس وقبولها على أنها وحى من الله ، وذلك فى محاوله منهم للإحتفاظ بالمسلمة الأساسية لديهم ، والتى تقول " **بأن الكتاب المقدس وحى مطلق ومعصوم من الخطأ** " من جانب ، وبـ " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ، من جانب آخر .

٣. ١ نصوص جنسية صارخة

نجد فى الكتاب المقدس نصوصا جنسية صارخة ، ليس لها أى دلالة خاصة أكثر من أن تكون من وضع شعراء الغزل الجنسى فى العهود القديمة . فنجد فى الإصحاح الأول من سفر نشيد الإنشاد النص المقدس التالى :

[(٢) ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر (٣) لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق . لذلك أحبتك العذارى (٤) اجذبنى وراءك فنجرى ..]
(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ١ } : ٢ – ٤)

وفى الإصحاح الثالث ، من نفس هذا السفر نجد نصا مقدسا آخر يقول :

[(١) فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته (٢) إنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق فى الشوارع أطلب من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته (٣) وجدنى الحرس

الطائف فى المدينة فقلت لهم أرأيت من تحبه نفسى (٤) فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى]
(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ٣ } : ١ - ٤)

وإنى أتساءل ... ما هو الحال إذا أرادت بناتنا وأخواتنا وأمهاتنا إتباع هذا النص المقدس ...؟؟؟!!!! ففى الواقع ، إنى أتحير جوابا على هذا السؤال . ثم لننظر إلى النصوص المقدسة التالية ...

[(١) ها انت يا حبيبتى ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك . شعرك كقطيع ماعز رابض ... (٣) شفتاك كسلكة من القرمز . وفمك حلو . خدك كفلقة رمانة تحت نقابك (٤) عنقك كبرج داود ... (٥) ثدياك كخشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن (٦) ...(١١) شفتاك يا عروس تقطران شهدا . تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان]
(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ٤ } : ١ - ١١)

[(١) قد دخلت جنتى يا أختى العروس .... شربت خمرى ولبنى .... (٣) قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ...]
(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ٥ } : ١ - ٣)

وتعال معى إلى النص المقدس التالى ...

[(١) ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم . دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع (٢) سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج . بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن (٣) ثدياك كخشفتين توأمى ظبية (٤) عنقك كبرج من عاج ... (٦) ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات (٧) قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد (٨) قلت إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح (٩) وحنكك كأجود من الخمر ...]
(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ٧ } : ١ - ٩)

وهناك أمثلة كثيرة تتكرر فى هذا السفر بهذه الألفاظ الجنسية الصارخة ، والذى يقول عنها ول ديورانت [٦٦] :

[٦٦] " قصة الحضارة " ول ديورانت ، ص ٣ / ٣٨٨ .

وفى هذه الكتابات الغرامية العجيبه مجال واسع للحدس والتخمين ، فقد تكون مجموعه من الأغانى البابلية الأصل ... وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين (وليست وحيا أو نصا مقدسا) ، ومهما يكن من أمرها فإن وجودها فى العهد القديم سر خفى ... ***ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما فى هذه الأغانى ، من عواطف شهوانية ، وأجازوا وضعها فى الكتاب المقدس "***

وربما كان هناك تفسير آخر ، لوجود مثل هذه الأغانى فى الكتاب المقدس . وهذا التفسير مستنتج من واقع فكر الكتاب المقدس نفسه . فنشيد الإنشاد هو أحد الأسفار التى تنسب إلى سليمان ، عليه السلام . وسليمان كما يقول الكتاب المقدس (أنظر بند ٢. ٥) كان يملك **ألفا من الحريم الغريبات . سبعمائة زوجة ، وثلاثمائة من الجوارى** . وقد فتن تلك النساء قلبه حتى عن الله نفسه وهو النبى المختار ؛ فذهب يسعى وراء آلهتهن ...

[(٣) وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئه من السرارى فأمالت نساؤه قلبه (٤) وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه (٥) فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين (٦) وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه]

(الكتاب المقدس : الملوك الأول {١١} : ٣ - ٦)

لذلك فليس بمستبعد أن تكون تلك الأغانى ـ التى نسبت كوحى لسليمان ـ هى **لبعض قوميات شعراء نساء سليمان الغريبة** ، وليس فكرا أو وحيا أو كلاما مقدسا أو خلافه .

وعموما فإن علماء الدين المسيحى لا يتفقون ومثل هذه الآراء أو التفاسير ، بل هم يقبلون وجود هذا السفر كجزء قانونى من الكتاب المقدس ، وبالتالى فأن نصوصه أصبحت ملزمة ـ من وجهة نظرهم ـ وكلاما مقدسا ، وعليهم إزاء هذا الموقف الحرج ، البحث عن المبررات الكافية التى تجعلهم يقبلون مثل تلك النصوص على إنها وحيا إلهيا قادما من السماء ....!!!

وفى محاولة مستميتة لهم للتوفيق بين نصوص هذا السفر وبين كونها مقدسة ، **نجدهم يقولون فى تبرير وجود هذه النصوص [٦٧] الآتى :**

- يوضح سفر نشيد الإنشاد العلاقة الصوفية بين السيد المسيح (أى الله) والنفس البشرية المكرسة له .

---

[٦٧] " إستحالة تحريف الكتاب المقدس " ، وهيب عزيز خليل ، كنيسة القديسة دميانة ، ص ١٨٧ .

- ففى هذا السفر نجد علاقات روحية تشبه إلى حد بعيد العلاقات الجسدية لا يدركها إلا من إختبرها ودخل فى أعماقها .
- أما الألفاظ الوارده فى هذا السفر فى مدح جمال العروسة (الكنيسة) أو العريس (السيد المسيح) هى همسات الحب فى مخدع العروسين وليس لأحد أن يسترق السمع لها .
- فهذا السفر يوضح دخول الله والنفس البشرية بصورة روحية فى شركة وارتباط يشبه الرباط الزوجى ...!!!
- كما أن هناك محاولة تبريرية أخرى ، تقول بأن المحب فى هذا السفر هو " الله " ، وأن العشيقة المتغزل بها هم شعب بنى إسرائيل .

وبمحاولة متواضعة الذكاء ، سوف نقوم بعمل مقابله لفظية بين ما ورد فى أحد هذه النصوص ، وبين ما يقولون به ، أو بين ما يقصده ، علماء العقيدة من قبول تفسير هذه النصوص على أنها العلاقة المتبادلة بين النفس البشرية والله ؛

ففى هذه المقابلة ؛ نجد أن النفس البشرية تتوق شوقا إلى (الرب [٦٨]) فتقول :

".. ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر ... "

فيرد (الرب) على النفس البشرية بقوله :

" ما أجمل رجليك بالنعلين ...

دوائر فخذيك مثل الحلى ...

سرتك كأس مدوره لا يعوزها شراب ممزوج ...

بطنك صبر حنطة مسيجة بالسوسن ...

ثدياك كخشفتين توأمى ظبية ...

قامتك هذه شبيهه بالنخلة وثدياك بالعناقيد .... "

وهكذا ... يمكن أن يقال عن أى مقابلات لفظية أخرى ...!!! وقد يتصور البعض أن عمل المقابلة اللفظية بين هذه النصوص والتفسير القائل به علماء العقيدة هو عمل سهل دائما ..!! فالأمر ليس سهلا كما نظن ، فهناك أمثلة كثيرة يصعب فيها عمل مثل هذه المقابلات ، فمثلا فى النص المقدس التالى :

[(٧) قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد (٨) قلت إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ...]

---

[٦٨] كما سبق وأن ذكر ، لا أستطيع الزج بلفظ الجلالة " الله " ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ـ فى مثل هذه الوثنيات .

(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ٧ } : ٧ - ٨)

لا نستطيع تحديد على وجه الدقة ، من الذى سيصعد النخلة ..؟؟ الرب ، أم النفس البشرية ..؟؟!!! فإذا كان من البديهى أن الذى سيصعد للآخر هو الأدنى درجة ، فمعنى ذلك أن النفس البشرية هى التى سوف تصعد إلى الرب ...!!! وهنا يكون السؤال .... **من تكون - إذن - ثدياه كالعناقيد ...؟؟؟!!!**

ثم كيف نصنع مقابله لفظية بين الله والنفس البشرية فى نص كهذا :

[(٨) لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان . فماذا نصنع لأختنا فى يوم تخطب (٩) إن تكن سورا فنبنى عليها برج فضة . وإن تكن بابا فنحصرها بألواح أرز (١٠) أنا سور وثدياى كبرجين . حينئذ كنت فى عينيه كواجدة سلامة]

(الكتاب المقدس : نشيد الإنشاد { ٨ } : ٨ - ١٠)

فمن يا ترى **أخت** " الرب والنفس البشرية " **الصغيرة التى ليس لها ثديان ...؟؟؟!!!! ولمن يزوج " الرب والنفس البشرية " أختهما الصغيرة ...؟؟!!** ومن منهما (أى الرب والنفس البشرية) الذى يمكن أن يقول على نفسه ... **أنا سور وثدياى كبرجين ...؟؟؟!!!!**

وبديهى إن مثل هذه التبريرات الفكرية ، ما هى إلا بهلوانيات لفظية ، أو جدلية تصل فى مداها إلى حد تغييب العقل تماما . ولا أملك الرد على مثل هذا التغييب العقلى ، إلا قوله تعالى :

[أرأيت من إتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)]

(القرآن المجيد : الفرقان {٢٥} : ٤٣ - ٤٤)

فهذا هو الحكم الإلهى لمن يقبل - من البشر - أن يلغى عقله إلى مثل هذا الحد المتردى .... إنه أقل درجة من الأنعام (أى البقر والجاموس ...) ... وبهذه الآيات يلقى الله - سبحانه وتعالى - الضوء على الجانب النفسى لسلوك الإنسان ، لعله ينتبه إلى حقيقة إعتقاده وحقيقة تدينه ... أو لعله يعى هذا ...ويتدارك موقفه قبل فوات الأوان ....!!

كما ننبه الغافل إلى قوله تعالى :

[سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل ءاية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلين (١٤٦)]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٤٦)

أليس ما سبق عرضه تأكيدا على تحقيق القانون الإلهى المحيط ... (... **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا** ...) . ولن أزيد ، عن القول ، بأننا لو أردنا فهم الجانب النفسى للإنسان الوارد فى هذه الاية من ايات القران المجيد ، فلن تسعفنا كل صفحات هذا الكتاب لشرح هذا المعنى . والله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم أنه لا جدوى ولا أمل فيمن يغيب عقله إلى هذا الحد ... لهذا نجد قوله تعالى :

[ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)]

(القران المجيد : الأنفال {٨} : ٢٣)

أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم أنه لا جدوى ، ولا أمل مع هؤلاء الذين يغيبون عقولهم إلى مثل هذا الحد المتردى ، فلا جدوى فى نصحهم أو إرشادهم للعدول عما هم فيه من ضلال . فلو كان هناك أدنى أمل فى إستجابتهم لدينه الحق لأسمعهم به ...!!! وحتى لو أسمعهم به (... **لتولوا وهم معرضون**) . ولهذا لا يسمعهم بالحق ... على الرغم أنه متاح أمامهم ...!!!

وهنا تنهى القصة ... بالنسبة لهذا الإنسان التائة الضال ، المغيب لعقله ، وعليه أن يدفع ثمن ضلاله ، وأن يدفع ثمن إستعمائه ... لأنه لم يحقق الغايات من خلقه ، وجعله الله خليفة له على الأرض ... وتأتى الاخرة ـ بموت الأنسان ـ قرب هذا أم بعد ... لتحمل معها قوله الحق ...

[ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (٧٠) وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١) قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٢)]

(القران المجيد : الزمر {٣٩} : ٧٠ - ٧٢)

وننهى هذه الفقرة بالقول ، بأن مثل هذه التفسيرات ـ المسيحية ـ هو أسلوب نمطى ومتوقع فى الفكر المسيحى . حيث أن تفسير النصوص يتم بإسلوب موجه نحو الهدف الغائى ، أو الهدف النهائى للإيمان بـ " قانون الإيمان المسيحى " ، وبأن الكتاب المقدس ، هو كتاب موحى به من "

الله " ، مهما كان البعد اللفظي بين معاني النصوص ، والهدف النهائي الذي يفرضه حكماء العقيدة للإيمان به .

ومثل هذه التفسيرات ، أو التبريرات التي يقولون بها لجعل مثل هذه النصوص ... نصوصا مقدسه ، هي التي دفعت بأريك فروم [٦٩] ، وهو واحد من أشهر علماء النفس الأمريكيين (راجع كذلك الفصل السابق ، بند ١٢ : " ظاهرة التبرير " أو التداخل والتضحية بالعقل) إلى أن يقول :

" بأن التبرير هو في الواقع عملية " **تزييف عقلي** " وهو إحد الظواهر الإنسانية المحيرة أشد الحيرة . ولو لم نكن معتادين عليه هذا الإعتياد (لأنه أي أريك فروم نفسه مسيحي) لبدا لنا أن مجهود الإنسان في التبرير مماثل لمذهب شخص مصاب " **بجنون الإضطهاد Paranoia** " [٧٠] . فالشخص المصاب بهذا الجنون يمكن أن يكون في غاية من الذكاء ، ومن الممكن أن يستخدم عقله إستخداما ممتازا في جميع مجالات الحياة ، اللهم إلا في هذا الجزء الذي يتعلق بجنون الإضطهاد . فالشخص الذي يقوم بالتبرير يفعل هذا تماما .

فعندما نتحدث إلى شخص ذكي من المؤمنين بالمسيحية ، وهذا الشخص يظهر مقدرة عظيمة في كثير من مجالات الفكر ، ولكن ما أن نناقش المسيحية معه حتى نواجه فجأة بمذهب فكري مغلق ، وظيفته الوحيدة هي إثبات أن ولاءه للمسيحية متفق مع العقل ولا يتناقض معه . ولهذا سوف ينكر بعض الوقائع الواضحة ، وسوف يشوه بعضها الاخر . أو تراه حين يوافق على بعض الوقائع والأقوال ، فإنه يشرح موقفه بأنه موقف منطقي ومتسق [٧١]

ويضيف علماء التحليل النفسي [٧٢] أن الدرجة التي يبلغها الإنسان في إستخدام تفكيره لتبرير العواطف اللامعقولة وأفعال طائفته ، تبين عظم المسافة التي ما زال على الإنسان أن يقطعها لكي يصبح إنسانا حكيما ومتعقلا " .

---

[٦٩] " الدين والتحليل النفسي " أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٤ .

[٧٠] تطلق كلمة بارانويا **Paranoia** على المرض النفسي " **جنون الضطهاد** " أو " **جنون العظمة** " وهو إضطراب عقلي مزمن يتميز الفرد المصاب به بأن لديه إحساس زائف بأنه مضطهد أو بأنه إنسان عظيم ، وهو يدافع دائما عن نفسه بمنطق يملؤه كثير من الحزن نتيجة شعور الآخرين تجاهه .

[٧١] في الحقيقة ؛ لا يدرك علماء النفس هنا ، أن الإنسان يدافع عن (فطرية) وجود " الله " في نفسه . وهذا الإتجاه النفسي القوي يجعل من المرء يضحي بمنطقه العقلي ، عن أن يضحي بالله نفسه .

[٧٢] " الدين والتحليل النفسي " أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٥ .

وهذا هو رأى علماء النفس ، عند تفسيرهم لقبول الإنسان تبريرا على النحو السابق . ولابد لنا أن نشير هنا ، بأن رأى علم النفس لم يتجاوز الوصف الظاهرى لما يقوم به الإنسان فقط ، أو بمعنى اخر لم يتجاوز تفسير علم النفس الإجابة على سؤال :

كيف يقبل الإنسان اللامنطق فى الفكر الدينى ؟

ولكنهم لم يجاوبوا على سؤال :

لماذا يلجأ الإنسان إلى التبرير لقبول اللامنطق فى الفكر الدينى ؟

والإجابة على سؤال (لماذا ...) يقع - فى الواقع - على عاتق الفطرة البشرية التى توقن بادراك وجود الله . فبديهى إذا لم يقبل الفرد المسيحى بمثل هذا التبرير السابق الذى قال به علماؤهم ، فعليه - فى الجانب الاخر - أن يقبل خطأ الديانة المسيحية ، وبذلك يكون مهددا بفقد الصلة بـ " الله " . ونظرا لقوة هذا الجانب الفطرى فى الإنسان ، وقوة إدراكه بوجود " الله " ، لذا يصبح من الصعب على الإنسان التضحية بـ " وجود الله " ، حتى وإن أدى الأمر - فى المقابل - إلى التضحية بعقل الإنسان نفسه ، وهكذا يصبح التبرير هو بمثابة دفاع الإنسان عن إدراك الوجود الإلهى لديه . (راجع الباب السابق بند ٧ : الوعى الفطرى بوجود الله وظاهرة تعدد الأديان) .

٣. ٢. أنصروا آلهتكم ... أو التناقض مع رد الفعل الفطرى

أن الملفت للنظر ؛ أن السلوك الإنسانى تجاه الدين لم يتغير فى جوهره - حتى الآن - عما كان عليه سابقا منذ عهد الأنبياء والرسل . فسلوك الجماعات تجاه المشكلة الدينية الان ، هو نفس سلوك الجماعات تجاه الدين كما كان فى عهدها الأول حال تواجد الأنبياء والرسل . إذ لا خلاف فى الجوهر ، حتى وإن كان هناك بعض الخلافات الظاهرية فى شكل رد الفعل الدينى لدى الجماعات .

فالجانب النفسى للإنسان تجاه المشكلة الدينية يعرضه القران المجيد بشكل قاطع وصريح ، فى قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه . فقد دعا إبراهيم قومه لنبذ عبادة الأصنام ، والإتجاه لعبادة الله وحده . فلم يجد من قومه إلا العناد والإصرار على عبادة الأصنام ، كما لم يجد معهم تكرار الدعوة لهم . لهذا يقرر إبراهيم - عليه السلام - تقديم البرهان العملى اللازم والكافى لهؤلاء القوم للبرهنة على ضلالهم ، وفساد التوجه إلى غير الله ، وعبادة الأصنام .

ففى أحد الإحتفالات الدينية ، وبينما الشعب خـارج المعبد ، يقوم إبراهيم بتحطيم جميع أصنـام المعبد ويترك كبيرهم قائما ـ بدون تحطيم ـ حيث قام بتعليق الفأس المستعملة فى الحادث فى رقبة هذا الصنم الكبير الباقى ، ليتهمه بالحدث .

ولم عاد القوم من إحتفالهم الخارجى وجدوا المعبد على هذا الحال ، جميع الأصنـام محطمـة مـا عدا كبيرهم ومعلق برقبته الفأس . وبديهى لم تنقصهم الفطنه فى معرفة من قام بمثل هذا العمل ، فقد إستنتجوا ـ بدون عناء ـ إنه الفتى إبراهيم ، عليه السلام ، لأنه هو الـذى كـان يسب الهتهم ، ويدعوهم إلـى تركها . لذلك قـاموا بإحضـاره لإستجوابه ...!!! ولنترك الأن بـاقى القصـة للصياغة القرانية المجيدة المحكمة ، لمعرفة الجوانب النفسية الدقيقة للإنسان فى مثل هذا الموقـف ، كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء :

[قالوا من فعل هذا بـآلهتنا إنه لمن الظالمين (٥٩) قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقـال لـه إبراهيم (٦٠) قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشـهدون (٦١) قـالوا أأنـت فعلت هـذا بآلهتنـا يـا إبراهيم (٦٢) قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كـانوا ينطقـون (٦٣) فرجعوا إلـى أنفسـهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون (٦٤) ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون (٦٥) قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئا ولا يضركم (٦٦) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (٦٧) قالوا حرقـوه وانصـروا ءالهتكـم إن كنتـم فـاعلين (٦٨) قلنـا يـا نـار كونـى بـردا وسلاما على إبراهيم (٦٩) وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين (٧٠)]

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ٥٩ – ٧٠)

فكما تبين الايات الكريمة ، لقد باغت إبراهيم ـ عليه السلام ـ قومه بقوله :

[... بل فعله كبيرهم ......]

بديهى إن هذا مستحيل ...!!! فكيـف يمكـن لتمثـال حجـرى سـاكن أن يقـوم بمثـل هـذا الفعـل الحركى ..؟؟!! وبذلك تنبهوا للحظة أن إبراهيم معه كل الحق ... فلا قيمة لمثل هذه التماثيل ولا قيمة لعبادتها ...!!! فماذا كان **رد الفعل الفطرى لدى القوم** :

[فرجعوا إلى أنفسهم ...]

هكذا .... لقد تبين لهم صدق إبراهيم فعلا ... فى عدم جدوى عبادة هذه الأصنـام ... وهـذا مـا دفع بعض الحكماء منهم إلى أن يقولوا :

[... إنكم أنتم الظالمون]

لا تثريب إذن على إبراهيم فيما فعل . **إن وقفة صدق مع النفس تقود للحق مباشرة دون أى عناء أو مشقة** ... ولكن تغييب العقل ، والعناد ، والتشبث بالخطأ هو الذى يؤدى حتما إلى الضلال . وكان التحدى ... وكان مقاومة التغيير ... فماذا فعلوا بعد هذه الوقفة القصيرة وإدراكهم للحقيقة ...!!

[ثم نكسوا على رءوسهم ...]

أى رجعوا عن الحق بعد أن أدركوه ... لقد عادوا سريعا إلى ضلالهم ، فكيف ينتصر عليهم إبراهيم ..!!! وبدا عليهم التحفز فى هذه المرة ... لتصبح أى كلمة كافية لأن تقود القطيع فى أى إتجاه ... وكانت الكلمة القادمة من وراء الجموع ....

[... حرقوه وانصروا آلهتكم ...]

وضاعت الحقيقة كلها أمام غوغاء العامة ...!!!

وها نحن وجها لوجه أمام " **ظاهرة الولاء الدينى** " أو " **القاعدة الذهبية** " كما يحلو للغرب أن يسميها ، والتى عادة ما يتهم بها المسلمون عندما لا يقبلون المسيحية ...!!! وهذه القاعدة أو الظاهرة يعنى جوهرها :

[... إنصروا آلهتكم ...]

خطأ كان هذا أم صوابا فإن هذا لا يهم ...!!! فقد غاب العقل الآن ، وإنتقلت القضية الدينية برمتها من حيز المنطق الفكرى ، إلى حيز التعصب الأعمى ، ومفهوم المعارك التى يجب أن ينتصروا فيها ، وليتهم ينتصرون لأنفسهم ..!!؟؟ بل هم ينتصرون فيها للشيطان ويخسرون أنفسهم ..!!

أدرك الإنسان ووعى من الصياغة القرانية للاية الكريمة السابقة ... معنى قوله تعالى :

[آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير (٢) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٣) إلى اللـه مرجعكم وهو عى كل شىء قدير (٤)]

(القران المجيد : هود {١١} : ١ – ٤)

ومن الغريب حقا أن يكون مبدأ " ... إنصروا آلهتكم ... " بأى طريقة ، وبأى شكل ، وبأى تفسير وبأى تبرير هو حجه وبينه وبرهان على " ***فطرية وجود الله فى النفس البشرية*** *"* [73] .

وبديهى إن قتل إبراهيم أو حتى حرقه لن يحل المشكلة لديهم ، فالخاسر الوحيد فى هذا الموقف هم أنفسهم ، أو هو ذلك الإنسان المغيب لعقله . وبديهى أيضا أن سلوك إبراهيم معهم لم يكن من منطلق السخرية بمعتقداتهم ... بل هى المحاولة المبذوله ـ منه ـ لإنتشال هؤلاء القوم من ضلالهم ، وإنقاذهم من الهوة السحيقة التى تردوا إليها ... وذلك من منطلق الحرص الإنسانى عليهم من جانب ، وما يحتمه عليه الله فيما يفعله معهم من جانب اخر .

إن العدل الإلهى قد قضى ألا يعذب الله إنسانه ، إلا بعد إرسال الرسل إليه . والإنسان حر فيما بعد فى إتخاذ ما يراه من قرار ... وبذلك تحق كلمة الله ـ بالعذاب ـ على الكافرين . كما جاء فى قوله تعالى :

[من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٥)

[ولا تزر وازرة وزر أخرى : أى كل منا مسئول عن ذنوبه فقط ، فلا تنتقل الذنوب بالميراث]

إن على الإنسان أن يعى أن ليس له الفضل فى إدراك وجود الله ، تماما كما ليس له الفضل فى إدراك أنه بحاجة إلى طعام أو شراب . إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مفطور فى الذات البشرية ، بدون الحاجة إلى دليل عليه . أما إن كان هناك فضل للإنسان ، فيكون هذا الفضل فى إدراك أو معرفة التوجه الصحيح إلى الله ، وإدراك المعنى الصحيح للدين .
ولم يكتف الله بأن وهبنا العقل الكافى والمنطق الفكرى والعلم ، وهى جميعا طرق تؤدى إلى المعرفة الصحيحة لله ، بل يجعل الله أيضا ، القضية الدينية برمتها دون مستوى هذه الملكات ، ثم قام بعد كل هذا بإرسال الرسل لنا كمنارات للإسترشاد بها على طريق الهداية المؤدى إلى المعرفة الحقه به .

ثم عودة بنا مرة أخرى إلى نصوص الزنى ... والواردة فى الكتاب المقدس ذلك الوحى المطلق والمعصوم من الخطأ .

---

[73] راجع الباب السابق ، بند ٧ : الوعى الفطرى بوجود الله وظاهرة تعدد الأديان .

٣. ٣. الأختين الزانيتين أهولة وأهليبة ....!!!

ففى " **سفر حزقيال** - الإصحاح الثالث والعشرون " نجد الصياغة المقدسة التالية :

[(١) وكان إلى كلام الرب قائلا (٢) يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة (٣) وزنتا بمصر . فى صباهما زنتا . هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما (٤) واسمها أهولة الكبيرة وأهوليبة أختها وكانتا لى وولدتا بنين وبنات ... (٥) وزنت أهوله من تحتى وعشقت محبيها ... (٧) ... وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم (٨) ولم تترك زناها من مصر أيضا لأنهم ضاجعوها فى صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ٢٣ } : ١ - ٨)

ثم يواصل **سفر حزقيال** وصف زنا أهوليبة الأخت الصغيرة ، التى فاقت أختها أهولة الكبيرة فى هذا المضمار ، فيقول النص المقدس :

[(١١) فلما رأت أهوليبة ذلك أفسدت فى عشقها أكثر منها وفى زناها أكثر من زنا أختها]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ٢٣ } : ١١)

ثم يستطرد **سفر حزقيال** فيقول فى النص المقدس :

[(١٧) فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها (١٨) وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها (١٩) وأكثرت زناها بذكر أيام صباها التى فيها زنت بأرض مصر (٢٠) وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمنى الخيل (٢١) وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ٢٣ } : ١٧ - ٢١)

ولست أدرى أى نوع من القدسية فى تلك النصوص والتى يقول بها الوحى الإلهى ، كما يؤمنون بهذا ....!!! إننا نعلم جميعا - بالفطرة - بأن ما يوحى به من الله - سبحانه وتعالى علوا كبيرا - هو ليهدينا إلى سبل الرشاد ، ويعلمنا مكارم الأخلاق ... فأى مكارم أخلاق فى هذه الأوصاف المتردية ....!!!

ولقد حاول مترجم الكتاب المقدس إلى العربية تقليل الفحش البالغ فى بعض كلمات الترجمة إلى حد كبير . فعلى سبيل المثال ، لو كانت الترجمة العربية للنص السابق رقم (٢٠) ، مطابقة

للنص الإنجليزى كما ورد فى " الترجمة العالمية الجديدة للنصوص المقدسة : New World Translation of the Holy Scripture " ؛ وهى :

[(20) And she kept lusting in the style of concubines belonging to those whose fleshly member is as the fleshly member of male asses and whose genital organ is as the genetal organ of male horses] (**Ezekiel 23 : 20**)

لكانت الترجمة إلى العربية هى :

[(٢٠) واحتفظت بشبقها ، كأسلوب العاهرات (أى بائعات الهوى) اللاتى يملن إلى هؤلاء الذين لهم أعضاء ذكورة مثل أعضاء ذكورة الحمير ، ولهم منيا مثل منى ذكور الخيل]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ٢٣ } : ٢٠)

فهل توجد فواحش فى المعانى أبعد من هذا ... وهل توجد كلمات أكثر هبوطا من هذا ...!!! ولست أدرى كيف يتجرأ الإنسان ـ بعد كل هذه الرؤية ـ ويقول أن هذه النصوص ، هى نصوص مقدسة ...!!! وإنها وحى إلهى قادم من السماء ... فأى إله هذا الذى يوحى لأنبيائه بمثل هذه النصوص ...!!! ولماذا يوحى بها ...!!! ونعجب ... وتعجب ... ونقول ... أخرب عقل الإنسان إلى هذا الحد ...؟؟!!!!

٣ . ٤ ونصوص أسطورية عن الوحى

كان لنا أن نقف ونتساءل هنا ... من هو حزقيال صاحب السفر السابق ..؟؟ وصاحب أخبار الزنى ...!!! ... والإجابة على هذا السؤال نجدها فى الكتاب المقدس أيضا . فحزقيال هو ـ فى الواقع ـ ذلك الكاهن الذى إختاره الرب ليكون رسولا إلى بنى إسرائيل ، تلك الأمة المتمردة على الرب . إنه ذلك الكاهن الذى إنفتحت له السماوات ، ليريه الرب من ملكوته الآتى :

[(٢) ... فرأيت رؤى اللـه ... (٤) فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار (٥) ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها . لها شبه إنسان (٦) ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة (٧) وأرجلها قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل عجل ... (١٠) أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر

لأربعتها (١١) فهذه أوجهها . أما أجنحتها فمبسوطة من فوق . لكل واحد اثنان متصلان أحدهما بأخيه واثنان يغطيان أجسامها (١٢) وكل واحد كان يسير إلى جهة وجهه ....]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ١ } : ٢ ١١)

ولا ندرى فى أى إتجاه تسير هذه الحيوانات [**وكل واحد كان يسير إلى جهة وجهه**] كل حيوان له أربعة وجوه .. إثنين يمين (إنسان وأسد) ، وإثنين شمال (ثور ونسر) ، فكيف بمن يمشى كل حيوان فى إتجاه وجهه ...!!! لاندرى ...!!! وعموما كانت كلما مشت هذه الحيوانات الإربعة ، سمع حزقيال لها صوت خرير كالماء وهدير كالجيش :

[(٢٤) فلما سارت سمعت صوت أجنحتها كخرير مياة كثيرة كصوت القدير صوت ضجة كصوت جيش . ولما وقفت أرخت أجنحتها]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ١ } : ٢٤)

ويجد حزقيال أن مجد الرب (أى عرش الرب) يقع فوق رؤوس هذه الحيوانات الأربعة ..

[(٢٢) وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشرا على رؤوسها من فوق .... (٢٦) وفوق المقبب الذى على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق (٢٧) .... رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها (٢٨) كمنظر القوس التى فى السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعان من حوله . هذا منظر شبه مجد الرب . ولما رأيته خررت على وجهى . وسمعت صوت متكلم]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ١ } : ٢٢ - ٢٨)

ويدخل فى حزقيال روح لتتكلم معه ، لترسله إلى الشعب اليهودى والمسيحى ليخبر عما راه ...

[(١) فقال لى يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك (٢) فدخل فى روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى (٣) وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت على . هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم (٤) والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم ...]
(الكتاب المقدس : حزقيال { ٢ } : ١ - ٤)

وهكذا دخل الوحى فى حزقيال النبى ، لقد تلبسته روح ...!!! بعد أن رأى مجد الرب ، الذى يحمله الحيوانات الأربعة ... (ذوى الوجوه الأربعة : إنسان وأسد وثور ونسر) ، **ثم قام ليتكلم بكل ما جاء فى هذا السفر ، كما سبق الإشارة إليه من نصوص الزنى السابقة ، وخلافة .**

والفكر الأسطورى فى الكتاب المقدس لا يقتصر على هذا فحسب ، بل يتعدى ذلك حتى ليكاد يشمل كل العلاقات الحاكمة بين الله والإنسان من جانب ، وكل سلوك الرب من جانب اخر . وسنرى ذلك واضحا عند مناقشة الفكر الإلهى فى البند التالى . ولهذا ليس بمستغرب على الغرب بأن يقوم بتصنيف " *الدين وعلم الأساطير : Religion and Mythology* " فى نفس القسم من المعارف ، نظرا لورود الفكر الأسطورى بشكل واضح فى الكتاب المقدس للديانتين اليهودية والمسيحية (أنظر على سبيل المثال " *قاموس ويبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopeidc Unabridged Dictionary* " ؛ ص : ١٧٠٧ .

٣. ٥ وللسب نصوص أيضا فى الكتاب المقدس

ولنر كلمات الرب المقدسة فى السب ...!!! كما يعلمها لنا الكتاب المقدس :

[**(٣٠) فحمى غضب شاول على يوناثان وقال له يا ابن المتعوجه المتمردة أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة أمك**]

(الكتاب المقدس : صمويل الأول { ٢٠ } : ٣٠)

هكذا (**... يا ابن المتعوجه المتمردة أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة أمك**) . إننا نعلم أن تعريف الصلاة هى التعبد بكلمات الله للتقرب بها إليه ، فهل يجوز التعبد بمثل هذه النصوص ...؟! أو قل بأبسط التطبيق ... هل يجوز أن أقول لآخر : **يا ابن المتعوجه المتمردة ...!!!** لقد إخترت " فلانا " **لخزيك وخزى عورة أمك ...!!!** . وإذا إحتج ... أيمكن أن أقول له ... ويحك ألا تعلم أنها نصوص مقدسة ..؟؟!!

٣. ٦ ونصوص يترادف فيها إسم " الله " و إسم " الشيطان "

وأخيرا نأتى إلى نوع آخر من النصوص ، حيث يمكن أن يترادف فيها لفظى " **الله** " و " **الشيطان** " ، عند وصف الحدث الواحد . فنجد فى سفر صمويل الثانى ، أن فكرة إحصاء بنى

إسرائيل قد جاءت بإيحاء من الرب مباشرة إلى داود ، عليه السلام . كما يقول النص المقدس التالى :

[(١) وعاد وحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا امض وأحص إسرائيل ويهوذا (٢) فقال الملك ليوآب رئيس الجيش الذى عنده طف فى جميع أسباط إسرائيل من دان إلى بئر سبع وعدوا الشعب فأعلم عدد الشعب]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى { ٢٤ } : ١ - ٢)

ثم نرى نفس الحدث قد جاء إلى داود بإيحاء من الشيطان وليس من الرب . فقد جاء فى سفر " أخبار الأيام الأول " حول نفس الحدث ، النص المقدس التالى :

[(١) ووقف الشيطان وأغوى داود ليحصى إسرائيل (٢) فقال داود ليوآب ولرؤساء الشعب إذهبوا عدوا إسرائيل من بئر سبع إلى دان وأتوا إلى فأعلم عددهم]

(الكتاب المقدس : أخبار الأيام الأول { ٢١ } : ١ - ٢)

فكما نرى أن لفظى " الرب " و " الشيطان " يترادفان فى النصين السابقين ، فكلاهما مصدر الحدث ، وبالتالى يمكن أن يتبادلا المواقع فى الكتاب المقدس فيما يتعلق بالوحى للأنبياء . وللإحتفاظ بمبدأ أن " الكتاب المقدس وحى مطلق ومعصوم من الخطأ " مع وجود هذا الترادف ، فلابد من الإعتراف بمبدأ تساوى الفكر والقدرات أو الصفات بين الشيطان والرب . وربما جاء من هذا المنطلق فكر تأسيس :

الديانة الشيطانية : Satanism

وهى الديانة التى يتم فيها عبادة الشيطان [٧٤] . وهذا يذكرنا بقصة السيدة العجوز التى أشعلت شمعة للقديس ميخائيل [٧٥] وأخرى للشيطان . وبذلك يكون لها صديق حيثما ذهبت . أكان ذلك فى الجنة أم فى النار .

---

[٧٤] نشأت هذه الديانة من الإعتقاد بوجود قوتين عليتين أحداهما للخير ، والأخرى للشر . وتؤمن هذه الديانة بأن الشيطان خلف كل العمليات الطبيعية ، كما تؤمن بالسحر الأسود والعرافة وقوى الظلام التى لا ترضيها إلا إراقة الدماء ، وطقوس أخرى مماثله لها . وتضيف موسوعة " جروليار الإلكترونية " ، بأن " إحتفالات هذه الديانة بما فيها القداس الأسود - الخاص بها - هى سخرية من الشعيرة أو المذهب المسيحى :

In Christisn Cultures these ceremonies include the Black Mass, a mockery of the Christian rite . "

وتبقى كلمة أخيرة ....

لقد ظلم الإنسان نفسه بهذه النصوص وإعتبارها وحيا إلهيا ومقدسا ، وظلموا أئمة الدين أنفسهم بهذه النصوص وإعتبارها وحيا إلهيا ومقدسا ، ولم يكتفوا بهذا بل راحوا يتسولون الأعذار والتبريرات ليبرهنوا على صحة ما يدعون ، وظلم الشعب نفسه بإتباع الائمة ، وقبول هذه النصوص وإعتبارها وحيا ألهيا ، ولا نملك إلا قوله تعالى :

[... ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧) يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٦٨) إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ – ١٦٨)

[وتقطعت بهم الأسباب : أى لن يقبل منهم أى أعذار أو أى تبرير لأسباب ضلالهم ، كما يمكن أن تستوعب كلمة " الأسباب " أيضا معنى الوصل الذى كان بينهم فى الحياة الدنيا من الأرحام والمودة / حسرات : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

فهل وعى الإنسان (**... أن تقولوا على الله مالا تعلمون**) ، وهل وعى الإنسان (**... وتقطعت بهم الأسباب**) ، وهل وعى الإنسان (**... كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**) لأنهم لم يحققوا الغايات من خلقهم . ولا تكفى صفحات هذا الكتاب لشرح هذين النصين فقط ، إذا ما علمنا أنه يوجد فى خلفية هذه النصوص قوانين فيزيائية متعالية يجب أن يحققها الإنسان حتى يدخل الجنة ... فهذا هو المنطق الإلهى ... وهل يوجد منطق فكرى وإحاطة علمية أبعد من هذا ... ؟؟!!! إنها جزئية فقط من الدين . ومازلت أكرر ، إننا لسنا بصدد " **قضية تبشيرية بدين ما** " ، بقدر ما نحن بصدد " **قضية خلاص الإنسان نفسه ونجاته** " ، إذا ما حقق الغايات من خلقه .... وليت الإنسان يعى هذا ...!!!

---

[٧٥] يقول جماعة " شهود يهوا **Jahova Wittness** " بأن المسيح هو الملاك ميخائيل ، بسبب أن الرب ظهر فى العهد القديم بهيئة ملاك ، فيظنون أنه ملاك بالحقيقة (راجع أسئلة الناس ؛ البابا شنودة الثالث ؛ الجزء السابع ، ص : ٣٤)

٤ ـ الفكر الإلهى فى الكتاب المقدس

فى هذه الفقرة سوف نتعرض **للفكر الإلهى** فى كل من الديانتين اليهودية والمسيحية ، كما تجىء به النصوص فى الكتاب المقدس . ولن نتعرض هنا لنقد هذا الفكر إلا فى أضيق الحدود ، كما لن نتعرض هنا إلى **التناقضات الفكرية** الموجودة بين النصوص ، لبيان عدم إتساقها أو خطأها . فمثل هذا العمل قد تناوله كثيرون من قبل وربما يتناوله كثيرون من بعد . ولن نعيد هنا هذه الإتجاه المنهجى للأسباب التالية :

أولا : هو أن أهل العقيدة لن يعييهم الرد ، أو حتى التظاهر بالرد ، لتبرير وجود مثل هذه التناقضات الفكرية فى النصوص . وكما رأينا ـ في تبرير وجود النصوص الجنسية الفاضحة فى الكتاب المقدس ـ قد يصل الرد إلى حد تغييب العقل تماما ، أو إلى حد إستخدام البهلوانيات اللفظية التى يمكن أن تصل إلى حد الهذيان اللفظى والعقلى .

ثانيا : هو أن العقيدة بهذا الشكل سوف تأخذ شكل أو طابع الحوار أو المناظرة بين متشيع ورافض ، مما قد يعطى الإنطباع العام عن صحة الديانة . وربما يؤدى هذا الحوار الظاهرى ، إلى إسباغ نوع من الشرعية الدينية على هذا الفكر . هذا إلى جانب ، أن كثيرا من الحقائق يمكن أن تضيع فى صخب الحديث ، أو عندما تعلوا الأصوات فى الحوار أو المناظرات الكلامية . وبالتالى يمكن أن يضيع الهدف الحقيقى من وراء القصد الفعلى من عرض الفكر الدينى . ثم يبدو ـ أخيرا ـ المظهر الخارجى ، أو الإنطباع العام لغير المتحاورين ، أنه يوجد المؤيد ، كما يوجد المعارض لنظام فكرى معين أو دينى ، ويبدو الأمر فى النهاية كما لو كان الدين نظاما فلسفيا .

ثالثا : إذا ما أخذ النظام الدينى الطابع الفلسفى ، فبديهى لن يكون هناك معنى للخطأ أو الصواب فيه ، شأنه فى ذلك شأن أى نظام فنى أو جمالى أخر . ويصبح الدين ـ بهذا الشكل ـ فكر نسبى ، أى مجرد وجهة نظر . وبهذا فإن **الحسم العلمى يفقد دوره تماما** ، **ليس فقط** فى تحديد هوية النظام الدينى أو الفلسفى ومدى صحته أو صدقه ، **بل كذلك** فى تحديد مدى جدوى النظام الدينى ـ للبشرية ـ على نحو عام .

ولهذه الإسباب مجتمعة ، فإن هذه الفقرة ـ كسابقتها ـ سوف تعرض فقط ، وأؤكد ثانية على تعرض فقط ، ما إنتهى إليه الفكر اليهودى والفكر المسيحى من صفات عن " اللـه " ، وعن " الكمالات الإلهية " . وليس هذا فحسب ، بل سوف نؤيد ما يقوله أهل العقيدة عن قدسية النصوص الواردة بالكتاب المقدس ، وسوف نتفق معهم كذلك على :

إستحالة تحريف الكتاب المقدس *

حتى يمكن أن نرى - بهدوء - ما يقدم لنا الكتاب المقدس من تصورات وفكر مجرد عن الله ، وعن الذات الإلهية ، وعن الكمالات أو الصفات الإلهية ...!!!

ولكن قبل أن نعرض إلى ما يجيء به الكتاب المقدس من فكر ... لابد لنا من وقفة لنتساءل ونقول ... طالما وإن هذا الفصل سوف يقتصر دوره على عرض فقط ما هو موجود فعلا ... فما جدوى أو ما قيمة ما تعرضه هذه الفقرة .. ؟؟!!

في الحقيقة - هذا إن لم يكن الكاتب مبالغا قليلا - بأن عرض ما جاء في الكتاب المقدس من نصوص عن الفكر الإلهي - **بدون فلسفات** - سوف يكفي لأن ينبه أي غافل ، مهما كانت درجة غفلته ، إلى فداحة ما فعله الفكر الإنساني بـ " الإله " . وسوف يرى القارىء أيضا ، إلى أي مدى يمكن أن يصل التردي الفكري بالإنسان حول معنى العبادة ومفهوم الله . وربما كان هذا دافعا حقيقيا ليجعل الإنسان يقف موقف صدق مع نفسه ...!!! وأن يتساءل هل هو محتاج فعلا للعبادة ... ؟؟!! وهل هو محتاج فعلا لوجود " الله " أم لا ... ؟؟!! وإذا كان إحتياجه هذا هو حقيقة مؤكدة ، ولا شك فيها ... فهل ما يقوم الإنسان بعبادته الان ... هو " الله " فعلا ..؟؟!! أم أن ما يعبده ، هي مجرد أصنام صنعها لنفسه ... لحاجته الفطرية لهذا ... ثم راح يقنع نفسه بعبادتها ...!!!

فقد كان إنسان الماضي يقدم القرابين للأصنام ... وكان إنسان الماضي يسجد للإصنام ... ثم إعتبر إنسان الماضي أن الأصنام هي آلهتة ... فأقام لها المعبد ... ونصبها في داخله ... ثم عكف على عباذتها ...!!!

وعندما حطم إبراهيم (عليه السلام) أصنام المعبد ... وقف إنسان الماضي - ببلاهة شديدة - وجها لوجه أمام **آلهته المكسوره** ، ولم يدرك ماذا قصد إبراهيم بهذا . وتنكر الإنسان لما فعله إبراهيم (عليه السلام) بالهته . وأعاد إنسان الماضي بناء المعبد ... وبناء الأصنام ، ليظل عاكفا عليها بالعبادة . ولم يدرك إنسان الماضي بأن الهته قد تحطمت ... وأن عليه البحث عن " الله " ... بنية خالصة ... وبعقل سليم ...!!! ويظل هذا الإنسان آلاف السنين من بعد إبراهيم (عليه السلام) ... يسجد للأصنام ... ويقدم القرابين للأصنام .... ويعبد الأصنام ....!!! حتى يأتي إنسان الحضارات ...!!!

ويأتى إنسان الحضارات ، بجهله وخيلائه وكبريائه ، ليستلقى على ظهره ضاحكا من إنسان الماضى ... ويشير إليه ... ويتهمه بالجهل وعدم الإدراك فيما كان يفعل ... وفيما كان يعبد ... ثم يندهش ويتساءل ...!!! أكان إنسان الماضى مغيب العقل إلى هذا الحد ... والأصنام بادية الوضوح لديه ..؟؟!!

ويعيد التاريخ نفسه ... وتتكرر الأحداث التاريخية هى ... هى ... وبالضبط ... ولكن بتباينات مختلفة ... وبظهورات شتى . ويعيد إنسان الحضارات نفس دور إنسان الماضى بالضبط ، ويبقى جوهر القضية الدينية واحد ... فى الحاضر ... كما كانت فى الماضى ..!!! ففى كل مرة تتحطم فيها أصنام المعبد الآن ... يقوم الإنسان ببناء أصنام المعبد مرة أخرى .... ثم يعود ليعبد الأصنام ....!!!

وتعجب ... ونعجب ....!!!

فلم يتخل إنسان الحضارات عن الأصنام ... فمازال إنسان الحضارات يسجد للأصنام ... ومازال إنسان الحضارات يقدم القرابين للأصنام ... ومازال إنسان الحضارات يعبد الأصنام . ولكن الأصنام ، مع التقدم الحضارى للإنسان ، أصبحت أصناما لا ترى بالعين المجردة ...لأنها أصبحت جهل أفكار الإنسان ذاته ...!!!

ولم يتجاوز هذا الفصل فى معناه ، عن إحضار إنسان الحضارات - هذا الأعمى المستعمى - إلى داخل المعبد ليتحسس عن قرب أصنام المعبد ... فربما كان يناديها من خارج المعبد ... أو من مكان بعيد ... ويظن أو يحسب أنها " الله " ، ولهذا لم يدرك أنه مازال يعبد الأصنام ... !!!

وتبقى همسة لكل عاقل ، وصرخه من الأعماق لكل غافل ... إذا ما سمعت إحتجاجا على الدين ، بعد أن تفرغ من قراءة هذا الفصل ، فعليك أن تتذكر ... وأن تتذكر فقط ... ما قرأته هنا ، وما شاهدته بعينى رأسك على هذه الصفحات ... لتدرك - بوضوح وبدون أى عناء عقلى أو فكرى – أن التجربه الدينية الفاشلة للبشرية مع الديانتين اليهودية والمسيحية ... هما المسئولتان عن تنكر الإنسان الحالى للدين ، وليس للتدين ... لأن الإنسان مازال متدينا ... ولكنه يعبد الأصنام ...!!!

أما " الله " فهو حق ... والدين الإلهى فهو حق ... وليس ثمة علاقة بين الحق وبين وثنيات هذه العقائد ... وما يمنع رؤية الإنسان لهذا الحق ... إلا جهل الإنسان ذاته ... وجهل الحضارات معه ... !!!

[وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جنهم ولبئس المهاد (٢٠٦)]
(القران المجيد : البقرة (٢) : ٢٠٦)

فهل وعى إنسان الحضارات (... **أخذته العزة بالإثم ...**) ، وهل أدرك (... **فحسبه جنهم ولبئس المهاد**) .

٤ . ١ " الله فى العهد القديم " أو " الله فى الديانة اليهودية "

سوف نعرض في هذه الفقرة بعض الأمثلة المختارة ـ وليست كل الأمثلة ـ عن التصور الإلهى فى العهد القديم ، أو الديانة اليهودية . وسوف نرى ـ معا ـ إنه فكر أسطورى ووثنى إلى حد بعيد . يسيطر فيه الإنسان بدرجة واضحة على الإله ، بل ويسبغ هذا الفكر " الدونية " على الإله وبشكل واضح ، حيث نجده " إلها " عار ومجردا من الكمالات (وهو الخالق لكل هذه الكمالات ...!!!) ، وسوف نجده " إلها " عاريا ومجردا من الحكمة (وهو الخالق لكل هذه الحكمة البالغة ...!!!) ، كما نجده " إلها " عاريا ومجردا من العلم (وهو الخالق لكل هذا العلم المطلق ، المدرك منه والغير مدرك ...!!!) .
لذا فإن عليه هذا المسكين ـ أى هذا الإله المسكين ـ قبول النصح والإرشاد والتوجيه الإنسانى ، كما وإن عليه قبول الحكمه البشرية التى تعلو على حكمته الإلهية وبشكل واضح ....!!!

كما يسبغ الإنسان ـ فى هذا الفكر ـ على " الإله " أيضا ، صفات وثنية كثيرة ؛ منها ضعف الذاكرة ، وضعف القدرة ، وضعف القوة .... وليس هذا فحسب ، بل لقد وصل الأمر بالفكر الإنسانى فى هذا الجزء ، إلى حد إشتباك الإنسان مع الإله فى معركة غير متكافئه بالأيدى والأرجل لصالح الإنسان . كما يضيف هذا الفكر (أى فكر العهد القديم) بعض الصفات عن الذات الإلهية ، التى لا نراها إلا فى صفات الحيوانات الخرافية كما تجىء بها الأساطير ....!!!

وسوف نتدرج فى عرض هذا الفكر ، أى فكر العهد القديم عن الصفات الإلهية ، من الصفات الأقل وثنية إلى أشد الصفات وأبعدها إيغالا فى الوثنيات ...!!! وبديهى إن فكرا كهذا لا يمكن أن يمثل " إلها " مهما أوغلنا فى العودة إلى الفكر البدائى للإنسان ...!!! فما بالنا ونحن نقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ، وقد إنتهينا إلى إدراك ـ بما لا يدع مجالا لأى شك ـ " **وجود كونى وعلمى لا متناه** " ... لا يملك معه الإنسان ... إلا الوقوف أمامه خاشعا متصدعا من تلك الكمالات التى تتراقص بها كل قطرة من هذا الوجود ، وتلك الكمالات التى نستشعرها ـ

نحن بنى البشر - فى إدراك كل ترنيمة يصدح بها الإنسان - بدون أن يدرى - فى رحلة بحثه المتواصل عن ... **الله** ... سبحانه وتعالى خالق هذا الوجود اللانهائى ... المرئى منه ... والغير مرئى ... المدرك منه ... والغير مدرك ...

وكما سبق وأن أشرنا ، وكما سيتضح هذا جليا الآن ، إلى أن الكتاب المقدس (والذى يتضمن الديانتين اليهودية والمسيحية معا) **يحوى بقايا ديانات سماوية** غارقة فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية ... لا يستطيع الفكر الإنسانى برمته ... مهما بذل ... ومهما فعل ... حتى ولو إجتمع على عقل رجل واحد ، من أن يصلح من شأن أجزائه ...!!! ولن يستطيع أى إنسان أن يدعى أنه يمكنه أن يفعل هذا ... إلا إذا فقد عقله ومنطقه وفطرته ... وأصبح إنسانا لا يعى ما يقول ... ولا يدرك ماذا يفعل ...!!!

٤ . ١ . ١ . أفعال جزافية للإله ، وفكر أسطورى عن العلم

يقول عالم النفس الأمريكى أريك فروم [٧٦] أن العهد القديم من الكتاب المقدس (أى الديانة اليهودية) قد كتبت بروح الدين التسلطى . وصورة الإله فيه هى صورة الحاكم المطلق لقبيلة أبوية (**patriarchal**) [٧٧]. فقد خلق الإله الإنسان وفق هواه ، ويستطيع أن يحطمه تبعا لمشيئته ، فعندما رأى الإله :

[(٥) ... أن شر الإنسان قد كثر على الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم (٦) فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض . وتأسف فى قلبه (٧) فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأنى حزنت أنى عملتهم]

(الكتاب المقدس : تكوين {٦} : ٥ - ٨)

ويقول أريك فروم ، لا مجال هنا للقول بشىء آخر سوى أن للإله الحق فى تحطيم مخلوقاته . لقد خلقهم وهم ملك له . ويصف الإله الشر الذى يرتكبه الناس بـ " **العنف** " ، بيد أن القرار الذى إتخذه الإله لا يمحو الإنسان وحده من على الأرض ، بل ويمحو معه الحيوان والنبات أيضا .

---

٧٦ " الدين والتحليل النفسى " ؛ أريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٤٢ .

٧٧ النظام البطريركى أو النظام الأبوى (**patriarchy**) : هو نظام إجتماعى يتميز بسلطة الأب المطلقة على العشيرة أو الأسرة وبانتساب الأبناء إليه لا إلى الأم .

وهذا يبين لنا أننا لسنا بصدد حكم يتناسب مع جريمة معينة ، **بل إزاء أسف الإله الغاضب على فعلته التى لم ينتج عنها إلا الشر** . وأرسل " الإله " الطوفان لمحو الإنسان من على الأرض .

[(٨) وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب]

(الكتاب المقدس : تكوين {٦} : ٨)

ولهذا نجا نوح هو وأسرته ، ومن كل أنواع الحيوان إثنين ، من الطوفان . **وهكذا كان محو الإنسان ونجاة نوح فعلين جزافيين من أفعال الإله** . ويضيف آريك فروم قائلا : بيد أن العلاقة بين الإله والإنسان قد تغيرت بعد الطوفان تغيرا أساسيا ، فثمة ميثاق تم عمله بين الإله والإنسان يلتزم فيه الإله بألا يمحو الحياة من على الأرض :

[(١١) أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض]

(الكتاب المقدس : تكوين {٩} : ١١)

على أن يلتزم الإنسان بأول أمر أساسى فى الكتاب المقدس ، وهو ألا يقتل :

[(٥) ... ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان . من يد الإنسان أخيه (٦) سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه . لأن الله على صورته عمل الإنسان]

(الكتاب المقدس : تكوين {٩} : ٥ – ٦).

ولم يشر اريك فروم فى كتاباته ، إلى ضعف ذاكرة الرب ، عندما قام بعمل ميثاقه هذا مع الإنسان . فالكتاب المقدس ، يذكر لنا ... أنه لكى لا ينسى " الرب أو الإله " ميثاقه هذا ـ مع الإنسان ـ قام بوضع علامة " **قوس قزح** : ***Rainbow*** [٧٨] " فى السماء حتى يتذكر فعلته السابقة

---

[٧٨] **قوس قزح** : هو أحد الظواهر الجوية ، التى تأخذ شكل قوس ملون يظهر فى السماء ، عندما تلمع أشعة الشمس فوق قطرات المطر الدقيقة المتساقطة من السحب . وكل قوس قزح هو دائرة كاملة . والدائرة الكاملة لا يمكن رؤيتها من على سطح الأرض ، ولكن يمكن مشاهدتها من على متن الطائرة . ومركز دائرة قوس قزح ، يكون دائما فى مواجهة الشمس مباشرة . وحجم الجزء المرئى من قوس قزح يتوقف على إرتفاع الشمس ؛ فيكون الحجم أكبر ما يمكن عندما تكون الشمس فى الأفق . ولما كان نصف قطر قوس قزح هو ٤٢ درجة (أى زاوية النظر التى تضم نصف القطر قيمتها ٤٢ درجة) ، لذلك لا يمكن مشاهدة قوس قزح عندما يكون إرتفاع الشمس أكبر من ٤٢ درجة . وألوان قوس قزح هى ألوان الطيف المرئى ، ويكون لون الجزء الداخلى منه ـ دائما ـ بنفسجى ، ولون الجزء الخارجى منه أحمر . وفى أحيان قليلة يمكن مشاهدة **قوس قزح ثان أكبر** من الأول (نصف قطره ٥٠ درجة) ، ولكن بألوان معكوسة (أى البنفسجى بالخارج والأحمر بالداخل) .
وينتج قوس قزح من **الإنعكاسات الداخلية** لأشعة الشمس نتيجة سقوطها على القطرات المفردة للماء المتساقط ، والقوس الثانى ـ فى حالة حدوثه ـ ينتج من إنعكاسات ثانية للأشعة . أما ألوان قوس قزح فتحدث نتيجة **تشتت أشعة الشمس** إلى مركباتها الأساسية (أى ألوان الطيف) نتيجة سقوطها على قطرات ماء المطر .

كلما رآه ، أى كلما رأى قوس قزح . وهكذا ضمن الإله بهذه العلامة ؛ أنه كلما نشر سحابا فى السماء وراها تذكر ميثاقه مع الإنسان ، فيتنبه ويعتدل فى إرسال المياة حتى لا تكون طوفانا كالمرة السابقة ، وبهذا ضمن ألا يتم تدمير الإنسان وكل ما على الأرض من حياة ، ربما بدون قصد هذه المرة ....!!! ولنفسح المكان الان للنصوص المقدسة :

[(١٣) وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض (١٤) فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب (١٥) أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبين كل نفس حية فى كل جسد . فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد (١٦) فمتى كان القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض]

(الكتاب المقدس : تكوين {٩} : ١٣ - ١٦)

وبديهى إن مثل هذا الفكر لم يتجاوز الفكر الأسطورى عن الظواهر الجوية ، وكذا الفكر الوثنى عن إله ينسى ماذا يفعل ، ويحتاج إلى من يذكره بما فعله سابقا ، وبما تعهد به من مواثيق ، وبهذا يعتدل فى إرسال المياة (... **فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد**) ، وحتى لا يدمر الإنسان هذه المرة بدون قصد .

وربما كان هذا النص يبين لنا أيضا طبيعة الآيات العلمية فى الكتاب المقدس ، هذا إن وجدت . فالظواهر الطبيعية ـ من وجهة نظر الكتاب المقدس ـ هى تفسيرات أسطورية لرد فعل إنفعالى للإله شأنه فى ذلك شأن الإنسان . وهو ما يشبه تماما الأساطير اليونانية القديمة التى تفسر الظواهر الطبيعية على أنها أفعال وردود أفعال بين الألهة بعضها وبعض ، وبين الآلهة والإنسان .

وبديهى أن النسيان هو أحد الصفات البشرية ، وليس من صفات " الله " . ولذلك نجد قوله تعالى عن أدم :

[ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما (١١٥)]

(القران المجيد : طه (٢٠) : ١١٥)

فـ " أدم " هو الإنسان ... [... **فنسى ولم نجد له عزما**] . أما عن المولى عز وجل ، فنجد موسى ـ عليه السلام ـ يجيب على تساؤلات فرعون عن الله ، كما جاء فى قوله تعالى :

[قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى (٥٢) قال فما بال القرون الأولى (٥١) قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى (٥٢)]
(القران المجيد : طه (٢٠) : ٤٩ - ٥١)

هذا هو " **الله** " ... (**... لا يضل ربى ولا ينسى**) . أما الذى ينسى فهو الإنسان ، وقد ركبه الله - سبحانه وتعالى - هكذا أو على هذا النحو رحمة به لضعفه ، كما جاء فى قوله تعالى :

[... وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨)]
(القران المجيد : النساء (٤) : ٢٨)

ولحكمة متعالية (ناقشنا جانبا منها فى الباب السابق) ، ليتفق هذا - النسيان - مع ملكاته وقدراته المحدودة التى خلق عليها .

وبديهى أن الفطرة البشرية السوية ، ترفض كل الرفض أن يوصف " الإله " بالإنحسار والجهالة والتسرع ، كما ترفض كل الرفض أن يسىء " الله " إختياره لسفرائه إلى خلقه ، فلا يقع إختياره إلا على السكارى والسفاحين والخونة ، على النحو السابق الذى بيناه فى الفقرة السابقة ....!!!
فلا يمكن أن يعلو الإنسان - المخلوق - بحكمته المحدودة على الحكمة الإلهية الخالقة والغير محدودة .... ولا نملك إلا قوله تعالى :

[سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣) تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)]
(القران المجيد : الإسراء (١٧) : ٤٣ - ٤٤)

إنه كان حليما على ذلك الإنسان الأحمق فى تصوراته .... غفورا له إذا ما تاب وأناب عن هذه الدعوى قبل فوات الأوان ... فأى رحمة تلك بعد هذا ...!!

٤. ١. ٢. " الإله " يوجهه " الإنسان " إلى ماينبغى فعله ... ويستجيب الإله

يخبرنا الكتاب المقدس أيضا ، بأنه عندما غضب الرب على بنى إسرائيل لعبادتهم العجل ، نجده يقول لموسى :

[(١٠) فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وافنيهم ....]

(الكتاب المقدس : خروج {٣٢} : ١٠)

فيهدىء موسى من غضب الرب ، وينبهه بأن عليه أن يرجع عن مثل هذا الإنفعال ...!!! حتى لا يتكلم عنه المصريون ويقولون أنه أخرجهم – أى أخرج بنى إسرائيل - بخبث من مصر ليفنيهم بالجبال ، وبديهى إن هذا لا يليق به كإله ...!!! ويتنبه الرب فعلا إلى مراجعة موسى له ، بل ويتراجع عن الفتك ببنى إسرائيل ...!!!

ثم يذكر (بتشديد الكاف) موسى " الرب " أيضا بما قاله سابقا ، عن أنبياء بنى إسرائيل وبأنه قد أقسم لهم من قبل ، بأن يملكهم الأرض إلى الأبد ، لذا يجب عليه – أى على الرب – أن يندم على إنه إنفعل أصلا بمثل هذا الشر لهذا الشعب ، حتى وإن عبدوا العجل معه ، فمثل هذا الموضوع - من وجهة نظر موسى - لا يستدعى كل هذا الإنفعال الإلهى ...!!! ويتذكر الرب – فعلا - ما قاله لأنبياء بنى إسرائيل ... ويستجيب الرب لنصيحة موسى ... !!! ويندم – فعلا – على نيته الشريرة هذه ...!!! والان لنفسح المكان للنص المقدس لنرى ما يقوله موسى للرب :

[(١١) .... لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة (١٢) لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض . ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك (١٣) اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل [٧٩] عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد (١٤) فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه]

(الكتاب المقدس : خروج {٣٢} : ١١ – ١٤)

وجدير بالذكر ، إنه على الرغم من وضوح هذه النصوص الخاصة بتوجيه موسى للإله بالندم على النية لفعل الشر كما فى النص [**اندم على الشر بشعبك** ...] ، وإستجابة الإله لهذا التوجيه كما فى النص [**فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه**] . إلا إننا نجد أهل العقيدة عادة ما يقومون **بإتهام كل من يقول بهذا ... بالجهل بلغة الكتاب المقدس** حيث يقولون [٨٠] :

[٧٩] إسرائيل هنا ، هو النبى يعقوب الذى أمسك بالإله ، وهو يتجول على (كوكب) الأرض ، واشتبك معه فى معركة غير متكافئة - بالأيدى والأرجل - لصالح يعقوب . وفرض يعقوب إرادته على الرب ولم يتركه إلا بشروط ...!!! أنظر الفقرة (٤. ١. ٥.) .

[٨٠] " إستحالة تحريف الكتاب المقدس " مهندس وهيب عزيز خليل ، كنيسة الشهيدة القديسة دميانة بالهرم ، الطبعة الثانية ص ١٧٤ .

" فكلمة إندم ... أو ندم الرب هى تعبير مجازى بمعنى الطلب من الله أن يكف عن الإنتقام من شعبه ، أما كلمة فندم الرب معناها أن الرب قد صفح "

وبهذا التبرير ، يكون أهل العقيدة قد أضطروا إلى إستعمال (أو بمعنى أدق أضطروا إلى إستبدال) كلمة " **إندم** " بكلمة " **إصفح** " عند تفسيرهم لهذه النصوص . ولا ندرى ما العلاقة بين كلمة " **إندم** " وكلمة " **إصفح** " . فكلمة " إندم " تعنى أن يقوم الإنسان بـ " **الأسف** " على ما فعل ؛ بينما كلمة " **إصفح** " تعنى أن يقوم الإنسان بـ " **العفو** " عن آخرين إرتكبوا فى حقه بعض الذنوب بينما - هو - يملك عقابهم ، فكلاهما معانى مختلفة تماما ، ومتباعدة تماما ...!!! ناهيك عن **الأمر الصادر من موسى** - حتى إذا ما إستخدمنا كلمة " **إصفح** " ...!!! ـ للإله بالصفح عن شعبه ... **فموسى هنا يكون هو الآمر ، ويكون " الإله " هنا هو المأمور .**

٤. ١. ٣. " الإله " لا يراه أحد ويعيش ، ولا بأس من أن يراه موسى من ظهره

وعندما طلب موسى عليه السلام أن يرى الله جهرة ، نجد أن الرب يحتار قليلا فى تلبية هذا الطلب ، فهو يعلم أن أى إنسان يراه سوف يموت ، ولكن كيف يمكن أن يحل " الإله " هذا الإشكال ، أو هذا المأزق الذى وضعه فيه موسى لكى يراه ...؟؟!!! ويلمح الرب مكانا مناسبا على الأرض يفى بالغرض لحل هذه المشكلة ...!!! فيقوم - الرب ـ بوضع موسى فيه ، ثم يستره بيده حتى يعبر من أمامه ، وهنا فقط يمكن لموسى أن يراه من ظهره ، وظهره فقط بعد أن يعبر - الإله - من أمامه ...!!! ولنفسح - الآن - المكان للنص المقدس ...

[(٢٠) وقال لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش (٢١) وقال الرب هو ذا عندى مكان . فتقف على الصخرة (٢٢) ويكون متى أجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز (٢٣) ثم أرفع يدى فتنظر ورائى . وأما وجهى فلا يرى]
(الكتاب المقدس : خروج {٣٣} : ٢٠ – ٢٣)

(... **وأما وجهى فلا يرى**) ... ومع هذا وفى نفس هذا السفر أيضا نجد موسى يكلم الإله وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه ...!!! كما يقول بهذا الكتاب المقدس ...

[(١١) ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه ....]
(الكتاب المقدس : خروج {٣٣} : ١١)

فكما نرى ... لا ضوابط ، ولا إلتزام ... فى فكر الإله فى هذه نصوص ....!!!

٤. ١. ٤. ثم يأتى " الله " جهارا إلى إبراهيم ليتفاهم معــه حـول حـرق سـادوم ، ويتحاور مع سارة زوجته وتكذبه ويكذبها ....!!!

وعلى الرغم من أن " الله " قد صرح - بوضوح - فى الكتاب المقدس ، بأنه لا يستطيع إنسان أن يراه ويعيش ، إلا أننا نراه يسمح لموسى أن يراه من ظهره فقط ، ثم لا بأس ـ بعد ذلك ـ أن يكلمه موسى وجها لوجه كصديق ، كما تم ذكره فى البند السابق .

أما فى هذه المرة فإننا نرى " الإله " يأتى ببساطة شديدة إلى ابراهيم - عليه السلام - جهارا ومعه إثنين من الملائكة ، ليتشاور معه حول حرق قرية سادوم ... فكما يقول " قداسة البابا شنودة الثالث " بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية " عن زيارة الرب لإبراهيم [٨١] ، نجد أن الرب قد جاء : " **وتفاهم مع إبراهيم فى شأن حرق سادوم** " ، أى تدمير قوم لوط نظرا لفسادهم ....

ففى هذه القصة جاء الرب - بنفسه - إلى إبراهيم بعد أن وصلته معلومة عن فساد سدوم وعمورة ، ولهذا نزل - بديهى من السماء - ليتأكد بنفسه من هذه المعلومة ، ومدى فساد تلك "الأقوام ....!!! وهل هى تكذب فى صراخها ، أم أن صراخها حقيقة ....!!!

[(٢٠) وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا (٢١) أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى . وإلا فأعلم]

(الكتاب المقدس : تكوين {١٨} : ٢٠ – ٢١)

وكما نرى ، كان على الرب أن ينزل للتأكد من أن هذا الصراخ حقيقى وليس مفتعلا ....!!!

والطريف أيضا - فى هذه القصة كما سنرى - أن إبراهيم قد خاف على النعمة التى كان عليها عندما راها " الله " عنده . فقد خشى أن يحرمه " الله " منها لكثرتها ، فيطلب من " الله " أن يتجاوز له عنها . ويعرض إبراهيم على الإله والملائكة الذين معه ، أن يقيم لهم مأدبة غذاء **ليأكلوا ويشربوا ويسندوا قلوبهم** (كما جاء بالنص المقدس) قبل أن يبدأوا مهمتهم هذه ، فيوافقوا على ذلك ....!!!

---

[٨١] " سنوات مع أسئلة الناس ـ الجزء السابع " البابا شنوده الثالث . ص ٣٤ .

وبصفة عامة فإن الكتاب المقدس يذكر لنا أن إبراهيم قد أحسن وفاد " الله " والملائكة الذين معه ، وقام بتجهيز وليمة جيده لهم . وفعلا يقوم " الله والملائكه " بالأكل والشرب عند إبراهيم ، قبل أن يبدأوا مهمتهم هذه ... ولنفسح المكان - الأن - للنصوص المقدسة ...

[(١) وظهر الرب [٨٢] عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار (٢) فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض (٣) وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك (٤) ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم وتكئوا تحت الشجرة (٥) فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون . لأنكم مررتم على عبدكم . فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت (٦) فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقا سميذا . اعجنى واصنعى خبز ملة (٧) ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله (٨) ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم . وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا]

(الكتاب المقدس : تكوين {١٨} : ١ - ٨)

وفى أثناء حوار الرب مع إبراهيم ؛ يبشر الرب إبراهيم بأن عند عودته مرة أخرى إليه بعد فترة من الزمن ، سوف يكون لسارة - زوجتة - إبنا ، وتسمع سارة هذا فتضحك ، ربما فرحا ...!!!
فيسمع الرب ضحكتها ...

فيسأل إبراهيم : لماذا ضحكت سارة ...؟! (لاحظ هنا إن الإله لا يعلم لماذا ضحكت)
فتخاف سارة من أنها ضحكت وترد على الرب : لم أضحك ...!! (فهى بذلك تكذبه)
فيرد عليها الرب : لا بل ضحكت ....!! (ليؤكد إنها هى الكاذبة)

وهكذا يدور الحوار المقدس ...!!! ولنفسح المكان الأن للنصوص المقدسة ...

[(٩) وقالوا له (الله والملائكة) أين سارة امرأتك . فقال هاهى فى الخيمة (١٠) فقال إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه .... فضحكت سارة فى باطنها أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت ... (١٥) فأنكرت سارة قائلة لم أضحك . لأنها قد خافت . فقال بل ضحكت]

(الكتاب المقدس : تكوين {١٨} : ٩ - ١٥)

---

[٨٢] فى الكتاب المقدس : **The New World Translation of the Wholy Scripture** ، أستخدم إسم **Jahova** ، أى " يهوا " (وهو إسم " الله " بالعبرية) بدلا من كلمة " الرب " الواردة فى النص العربى ، وذلك لبيان أن الظهور كان لله مباشرة . وهذا المعنى أيضا يؤكده قداسة الأنبا شنودة كما أشير إلى هذا فى التذييل السابق .

وإستكمالا لهذه القصة ؛ نجد أن الرب كان على وشك أن يخفى عن إبراهيم (عليه السلام) سبب نزوله على الأرض ، بل وتردد فى إخبار إبراهيم أى شيء عن مهمته هذه ، إلا إنه – أى الرب – قد عاد فعدل عن هذا الرأى ، لأن إبراهيم – من وجهة نظر الرب – يمثل أمة كبيرة ... !!! وبالتالى فلا يجوز له أن يخفى مهمته عنه ...!!! فليخبر الرب – إذن – إبراهيم بمهمته هذه ، وليتشاور معه حول عدد " البررة " التى يجب يترك سدوم من أجلهم ...!!!

وهنا يذكر إبراهيم للرب أن كل أديان الأرض بها هذا الظلم ، وعليه ألا يفعل مثل ما تفعله هذه الأديان ، أو بمعنى أدق ... عليه ألا يفعل مثل آلهة هذه الأديان ...!!! وهكذا كانت وسيلة إقناع إبراهيم للرب لترك سدوم ، هى نوع من الإقناع المقارن بينه وبين الآلهه الأخرى ، والذى يحمل فى طياته مفهوم الشرك بالله ...!!!

وإلى النص المقدس ...

[(١٦) ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم . وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم (١٧) فقال الرب هل أخفى على إبراهيم ما أنا فاعلة (١٨) وإبراهيم أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض ... (٢٠) وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا (٢١) أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الإتى إلى . وإلا فأعلم (٢٢) وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب (٢٣) فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم (٢٤) عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة . أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه (٢٥) حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم . حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلا]

(الكتاب المقدس : تكوين {١٨} : ١٦ – ٢٥)

وبديهى إن مثل هذا التصورات ، هى تصورات أسطورية عن إله يحتاج إلى المشورة (مع الإنسان) لإتخاذ القرار ، وإله ينزل إلى الأرض ليتفقد سير الخلائق من جانب ، ويقف على تطورات الأمور بنفسه من جانب اخر ، ليتأكد من صدق وسلامة المعلومات التى تصل إليه ...!!! وبديهى أن مثل هذه التصورات لا تمثل أى كمال أو إستعلاء إلهى ... بل هى عجز واضح عن إدراك الإله لحال خلائق لها معنى البعد عنه ، كما له معنى عدم الحضور معهم ...!!!

ونص كهذا [... **حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلا**] ، لا يعنى إلا تعدد الالهة ... فلكل إله دينه وجميعها الهة ظالمة ...!!! وكأن إبراهيم يقول له : لا يصح لك ـ يا إله موسى ـ أن تكون ظالما مثل هذه الالهة . أوعى الإنسان ما يقول ... أم لم يع ...!!!

[ولو علم أن فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)]
(القران المجيد : الأنفال {٨} : ٢٣)

أى لو علم الله أن فيهم خيرا لأسمعهم بالحق ...!!! ولكن ليس فيهم خيرا ، لهذا لو أسمعهم بالحق لأنصرفوا عنه ، وهم لا يدركون ما يسمعون .

٤. ١. ٥. ثم يمسك يعقوب " الله " أثناء تجواله على الأرض ويتصارع معه ليلة كاملة [٨٣] . ولا يستطيع " الله " الإفلات منه إلا بشروط معينة أملاها عليه

[٨٣] كان يجدر الإشارة هنا ـ بإختصار شديد جدا ـ إلى بعض الأبعاد المذهلة لكوننا هذا ، حتى يتبين لنا من هو " الله " خالق هذا الوجود ، والذى كان يتمشى على سطح الأرض فى هذه القصة ..!! والذى أمسك به يعقوب وتصارع معه .

فالشمس بكواكبها التسعة تسبح فى دائرة من الفضاء ، يقطع الضوء قطرها فى زمن قدره (١١) ساعة تقريبا . وسرعة الضوء كما نعلم هى (٣٠٠,٠٠٠) كيلومتر فى الثانية الواحدة (تقريبا) ، وهى سرعة تكفى لجعل شعاع الضوء يدور حول الكرة الأرضيه حوالى سبع مرات ونصف المرة فى الثانية الواحدة (بالضبط : ٧,٤٨ مرة) .

والشمس هى أحد نجوم مجرتنا ، أى الجزيرة الكونية ، التى تعرف بإسم " **الطريق اللبنى : The Milky Way** " . وقطر هذه المجرة يقطعه الضوء فى زمن قدره (١٠٠,٠٠٠) سنه (أى مائة ألف عام) . ومجرتنا هذه تكون مجموعة " عنقوديه : **Cluster** " مع حشد آخر من المجرات شبيه لها (حسب أخر تقدير ، حوالى ٣٥ مجرة تقريبا) يعرف بإسم " **المجموعة المحلية : The Local Group** " . وأشهر مجرات المجوعة المحلية هى " **مجرة المرأة المسلسلة أو الأندروميدا : The Andromeda** " ، **وسحابتى ماجلان الصغرى والكبرى** . وهذا الحشد المجرى للمجموعة المحلية يحتل حيزا من الفضاء (مكعب مثلا) طول ضلعة يقطعه الضوء فى زمن قدرة حوالى (٦,٥٢) مليون سنة (أرضية) .

وهذا الحشد المجرى للمجموعة المحلية ، يكون مع حشود مجرية أخرى مماثلة له ، ما يسمى بـ " **الحشد الفائق : Super cluster** " ، الذى يعرف بإسم " **أبل-٧ : Abel-7** " (نسبة إلى مكتشفة الدكتور **جورج أو. أبل : Dr. George O. Abel** فى عام ١٩٦١ ، من جامعة كاليفورنيا) . وهذا الحشد المجرى الفائق يحتل حيزا من الفضاء (مكعب مثلا) ، يقطع الضوء طول ضلعه فى زمن قدره حوالى (٣٠٠) مليون سنة (أرضية) . كما تكون هذه **الحشود المجرية الفائقة بدورها حشود مجرية أعلى** ...!!! تعرف بإسم " **الجاذب العظيم : The Great Attractor** " ... !!! **وهكذا** ...!!! وتقول الدراسات الكونية الحديثة بأن قطر الكون المادى يبلغ طولا يقطعه الضوء فى حوالى (٤٠,٠٠٠) مليون سنة أرضية (أى أربعون بليون سنة) . كما وإن عمر هذا الكون على حسب الدراسات الكونية الحديثة يتراوح بين (١٤ إلى ٢٠) بليون سنة أرضية ، وأن هذا الكون مازال يتمدد ....!!!

وهذه عجالة سريعة عن أبعاد الكون ، وهى أبعاد مذهلة ، لا يمكن حتى تخيلها ...!!! وهذا الكون هو أحد مخلوقات الله ، وليس كل الوجود . فالوجود مكون من هذا الكون ، ومن أكوان أخرى متراكبة أو متداخلة ـ كل له فيزياؤه الخاصة به ـ كما يقول بهذا القرآن المجيد . وسنعود إلى مزيد من التفصيلات العلمية والفلكية عن هذه المعانى ، وعن النموذج القرآنى للكون المادى ، والأكوان المتراكبة أو الموازية الأخرى فى : [**الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى**] لنفس مؤلف هذا الكتاب .

يعقوب . وتعطينا المسيحية معنى حرفيا " للجهاد مع الله " ؛ بأنه مصارعه مع " الله " والإشتباك معه بالأيدى والأرجل .

ويعطينا الكتاب المقدس معنى حرفيا جديدا للجهاد مع الله . حيث يقول أن " الجهاد مع الله " هو نوع من المصارعة أو الإشتباك بالأيدى والارجل بين الإنسان وبين " الله " مباشرة (وجها لوجه) على النحو الذى نراه فى المصارعة الحرة فى التليفزيون . حيث نرى يعقوب قد قام بإمساك " الله " - ليغفر لنا الله مثل هذا التجاوز الفكرى واللفظى - وهو يتجول ليلا على سطح هذا الكوكب (كوكب الأرض) ، وكان فى صورة إنسان . حيث قام يعقوب بمصارعة الإله [٨٤] ليلة كاملة ، لم يستطع الإله فيها الإفلات من يعقوب أو التغلب عليه .
ولم يذكر لنا الكتاب المقدس لماذا كان " **الإله** " يتجول على سطح هذا الكوكب (أى كوكب الأرض) ليلا ...؟!!! ولماذا بدأت هذه المصارعة ؟ ومن الذى بدأ التحرش بالاخر ؟ وماذا كان سبب هذه المعركة بالضبط ...؟؟!! ولكن الكتاب المقدس يذكر لنا أن الصراع قد إستمر بين يعقوب و" **الإله** " حتى جاوز الفجرعلى الطلوع ، ولما فشل " **الإله** " فى تخليص نفسه من بين يدى يعقوب فى هذه المصارعة الحرة ..!! طلب - **الإله** - صراحة من يعقوب أن يطلق سراحه لأن الصبح قد إقترب ...!! وبديهى برفض يعقوب أن يطلق سراح " الإله " ...!!! ففرصه لن تعوض أن يمسك يعقوب بـ " الإله " بدون أن يملى عليه شروطه ..!!!

وفعلا يملى يعقوب شرطه على " الإله " ...!! وهو أن يباركه ...!! . ولم يجد " الإله " بدا من الرضوخ ليعقوب وشرطه ، وإلا فلن يستطيع الفكاك من بين يديه (أى من بين يدى يعقوب) ...!!! ويبارك " الإله " يعقوب - بداهة - وهو مكره ...!!! حتى يستطيع أن يخلص نفسه من هذا المأزق الحرج ، فالصبح قد إقترب وربما كان عليه — أى كان على الإله — أن يعود إلى السماء قبل بزوغ الشمس ...!!! .

ولم يذكر لنا الكتاب المقدس لماذا كان " الإله " حريصا على أن يطلق يعقوب سراحة قبل طلوع الشمس ...؟؟!! ولنفسح المكان الان للنصوص المقدسة ... وتفسير أئمة الفكر المسيحى لهذا الحدث الجلل ... الذى أمسك فيه الإنسان بـ " الله " ...

[(٢٢) ثم قام (يعقوب) فى تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق (Jab'bok) (٢٣) أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له (٢٤) فبقى يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر (٢٥) ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه .

---

[٨٤] سوف أستخدم لفظ " إله " بدلا من لفظ الجلالة " الله " ، حتى لا أزج بهذا اللفظ فى مثل هذه الوثنيات .

فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه (٢٦) وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك إن لم تباركني (٢٧) فقال له ما إسمك . فقال يعقوب (٢٨) فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت (٢٩) وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك . فقال لماذا تسأل عن إسمي . وباركه هناك (٣٠) فدعا يعقوب إسم المكان فينييل . قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي (٣١) وأشرقت له الشمس إذ عبر فينوئيل وهو يخمع على فخذه]

(الكتاب المقدس : تكوين {٣٢} : ٢٢ - ٣١)

وكلمة " إنسان " في هذا النص هنا تعود على " الصورة التي ظهر بها الله ليعقوب " ولا تعني مجرد إنسانا عاديا . ويتضح هذا المعنى جليا من النص [**... لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت**] ، وقدرت بمعنى أنك تغلبت على " الله " ...!!! ويتضح هذا المعنى كذلك من النص [**فدعا يعقوب إسم المكان فينييل . قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي**] .

وعلى الرغم من وضوح هذه المعاني في النصوص ، والتي لا تحتمل التأويل بغير هذا المعنى ، إلا إنني والحق وقفت طويلا متأملا هذا النص ، مترددا في قبول فكرة صراع يعقوب مع " الله " . فكنت أخشى أن أتهم بإساءة فهم هذا النص فيصبح هذا مأخذا علي ، لأني لم أتحر الدقة الكافية قبل الكتابة في هذا الشأن . وأعتقد أن خطأ كهذا ليس من السهل على أن أغفره لنفسي ، فما بالك بأهل العقيدة أنفسهم ، وأنا أتجنى عليهم بمثل هذا التجني ...!!! .

ولم يمهلني الله - سبحانه وتعالى - وقتا طويلا في هذه الحيرة ، فقد ساق إلى تفسير هذا النص على لسان قداسة البابا شنودة الثالث " بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية " عندما سأله واحد من شعب الكنيسة قائلا :

قرأت في أحد الكتب أن الذي صارعه يعقوب هو ملاك وليس الله ... فما هي الإجابة السليمة ؟
فيرد قداسته [٨٥] عليه بالرد التالي :

" **الذي صارع يعقوب هو الله للأسباب الآتية :**
١- غير الله إسمه من يعقوب إلى إسرائيل . ولا يملك الملاك الحق في أن يغير إسم إنسان .
٢- قال له الله في تغيير إسمه " لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " (تك ٣٢ : ٢٨) . **قال له هذا بعد أن صارعه .** فما معنى " مع الله ... وغلبت "

[٨٥] " سنوات مع أسئلة الناس - الجزء السابع " البابا شنوده الثالث . ص ٣٣ - ٣٤ .

٣- يقول الكتاب " فدعا يعقوب إسم المكان فينيئيل قائلا " لأنى نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت نفسى " (تك ٣٢ : ٣٠)

٤- إصرار يعقوب أنه لا يتركه حتى يباركه ، أمر خاص بالله . لأنه لم يحدث فى التاريخ أن إنسانا صارع ملاكا لكى يباركه . وفعلا نال البركة وتحققت .

٥- كون أن الذى ظهر له ، ضرب حق فخذه ، فانخلع فخذه ، وصار يحمع عليه (تك ٣٢ : ٢٥ ، ٣١) . هذا لا يحدث مع ملاك . الملاك لا يضرب إلا إذا أخذ أمرا صريحا بذلك من الله ، وبخاصة لو كان يضرب أحد الاباء أو الأنبياء .

أما عبارة " صارعه إنسان حتى طلوع الفجر " (تك ٣٢ : ٢٤) فمعناها أن الله ظهر له فى هذه الهيئة . " (إنتهى)

وبناء على هذا ، فإن الفكر المسيحى واليهودى معا (لأن القصة وارده فى العهد القديم أى فى الجزء المشترك بين الديانتين) يقول بأن النبى يعقوب قد صارع " الله " ، طوال الليل . ولم يستطع " الله " الإفلات من قبضتة (أى من قبضة يعقوب) إلا بشرط خاص ، وهو أن يباركه الله . وقد قبل " الله " فعلا هذا الشرط - كما يبدو - تحت ضغط التهديد الإنسانى له وضغط الحاجه ، حتى يضمن أن يطلق يعقوب سراحة قبل طلوع الفجر .

كما يعطى لنا هذا الفكر معنى حرفيا لمعنى " **الجهاد مع الله** " : بأنه الإشتباك بالأيدى والأرجل مع " الله " فى مصارعة حرة على النحو الذى نراه فى المصارعة الحرة بالتليفزيون .

ويؤكد هذا المعنى أيضا النص باللغة الإنجليزية ، كما يأتى فى " الكتاب المقدس : " **نسخة الملك جيمس : The Holy Bible , King James Version** " ، كالنحو التالى :

[(24) And Jacob was left alone; and there <u>wrestled</u> a man with him until the breaking of the day] (The Holy Bible , King James Version : Genesis {32} : 24)

وهنا تذكر كلمة (**wrestled**) بوضوح ، أى أن يعقوب قد قام بمصارعة الرب على نحو المصارعة الحرة (**wrestling**) التى نراها بالتليفزيون ، أى الإشتباك بالأيدى والأرجل مع الله .

وهنا يصل التصور المسيحى أو اليهودى إلى الحضيض الفكرى عن " الله " ، للأسباب الثلاثة التالية :

- **أولاً :** جعل هذا الفكر قدرة " الله " دون قدرة " الإنسان " ، حيث لم تسعفه هذه القدره ـ كما رأينا ـ للتحول مرة أخرى من " إنسان " إلى " إله " عندما أمسك به يعقوب ، وبذلك لم يستطع أن يخلص نفسه من هذا المأزق .
- **ثانيا :** جعل هذا الفكر قوة " الله " دون قوة " الإنسان " ، حيث لم يستطع " الله " بإستخدام قوته المطلقه من إطلاق سراح نفسه من قبضة يعقوب ، مما دعاه إلى إستجداء يعقوب صراحةً لإطلاق سراحه .
- **ثالثا :** جعل هذا الفكر أيضا مشيئة " الإنسان " فوق مشيئة " الله " فقد كان يعقوب يملك ألا يطلق سراح الرب ، فإن شاء أطلق وإن شاء أمسك . وقد كان هذا الإطلاق المشروط بالمباركة كما رأينا . وهكذا ... إنتزع يعقوب البركةِ من " الله " . ولنا أن نتساءل ما هو الحال إذا قرر يعقوب الإحتفاظ بـ " الإله " وعدم إطلاق سراحه ..؟؟!!

وأعتقد إن فكرا كهذا قد فاق الفكر الأسطورى فى خياله . فإننا نجد أن الأسطورة قد قصرت صراع الألهة على نفسها ، أى فيما بينها وبين بعضها البعض . فلم يحدث ـ على حد علمى ـ أن أسطورة قد قالت بصراع أحد الألهة مع إنسان ، ولم يستطع هذا الإله ـ ذو الحظ العاثر ـ فكاكا من ـ أو التغلب على ـ هذا الإنسان الفائق القدرة أو السوبر . فدائما ما كانت الأسطورة تحتفظ بالحد الأدنى من الفكر القائل : بأن الحد الأدنى من قدرة أضعف الآلهة لابد وأن يتجاوز الحد الأقصى لقدرة أقوى البشر ، وإلا تداخلت أمور العوالم (أى عالم الالهة والعالم الإنسانى) وإختلطت أحداث العالمين بشتى المتناقضات ، حتى على مؤلف الأسطورة نفسه ....!!!

٤. ١. ٦. و " الإله " حاقد وساخط ويخلو من أى صفات أو كمالات إلهية

والإله فى العهد القديم نجده " إله " خال من أى كمالات أو صفات إلاهية متعالية . فنجده كائنا أسطوريا غريب الأطوار ... حقودا ... ساخطا ... مدمرا ..... وبينه وبين الأمم عداء سافر ... ما عدا " بنى إسرائيل " ... شعبه المختار ...!!! ولنفسح المكان ـ الان ـ للنصوص المقدسة لنرى مثل هذه الصفات ...!!!

[(٢٧) هو ذا اسم الرب يأتى من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم . شفتاه ممتلئتان سخطا ولسانه كنار آكله (٢٨) ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبه . لغربلة الأمم [٨٦] بغربال السوء

[٨٦] المراد هنا بالأمم التى يغربلها الرب بغربال السوء هى الأمم غير اليهود ، كما يتضح ذلك جليا من النص الذى يلى هذا .

وعلى فكوك الشعوب رسن مضل (٢٩) تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناى ليأتى إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل (٣٠) ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد (٣١) لأنه من صوت الرب يرتاع آشور بالقضيب يضرب (٣٢) ويكون كل مرور عصا القضاء التى ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان . وبحروب ثائرة يحاربه (٣٣) .... نفخة الرب كنهر كبريت توقدها]

(الكتاب المقدس : إشعياء {٣٠} : ٢٧ - ٣٣)

فهذه هى نصوص الوحى الإلهى التى يصف بها " **الإله** " حاله فى العهد القديم . **غضبه مشتعل ... شفتاه ممتلئتان سخطا .... لسانه نار آكله ... ذراعه يهيجان غضب ...!!!** إنه وصف خال من أى كمالات ...!!! ولم يكتف " **الإله** " فى " العهد القديم " بتقديم نفسه على هذا النحو الهابط ، الحاقد ، الكاره للشعوب ، بل نجده كذلك يأتى بسلوك اخر فى غاية من الغرابة ....

٤. ١. ٧. ويحلق " الإله " شعر رأسه ، وشعر رجليه ، وينزع لحيته ، بموسى حلاقة مستأجرة فى المناسبات

ويستكمل الكتاب المقدس الفكر الأسطورى عن " الإله " ، فنجده يعطينا تصورا اخرا عن " الإله " يبين لنا فيه أنه يقوم بنفس الأعمال التى يقوم بها الإنسان العادى ، وليس هذا فحسب بل تجرى عليه أيضا ، نفس السنن والقوانين الطبيعية التى تجرى على الإنسان . أو على وجه التخصيص نفس القوانين البيولوجية التى تجرى على الإنسان ، من نمو أجزائه ، والحاجة للتخلص من الزائد منها ...!!!

فيذكر لنا الكتاب المقدس أن " الإله " يقوم بقص شعر رأسه ، وشعره رجليه ، ونزع لحيته فى بعض المناسبات ....!!! ولنفسح المكان الآن للنصوص المقدسة :

[(٢٠) فى ذلك اليوم يحلق السيد (the Lord) ، بموسى مستأجرة فى عبر النهر بملك أشور ، الرأس وشعر الرجلين وتنزع اللحية أيضا]

(الكتاب المقدس : إشعياء {٧} : ٢٠)

و " **السيد** " فى هذا النص تعنى " الله " ، ويتضح هذا المعنى جليا فى الترجمة الإنجليزية لهذا النص ، كما جاء فى الكتاب المقدس " **نسخة الملك جيمس** : King James Version " :

[(20) In the same day shall the Lord shave with a razor that is hired, namely, by them beyond the river, by the king of Assyria, the head, and the hairof the feet; and it shall also consume the beard] (The Holy Bible: Isaiah (7) : 20)

فكلمة (**Lord**) تعنى " الله " . ويتضح هذا المعنى أيضا ، فى النص الإنجليزى المعروف باسم : " **الترجمة العالمية الجديدة للنصوص المقدسة** : New World Translation of the Wholy Scripture " وهو كالتالى :

[(20) In that day, by means of hired razor in the region of the River, even by means of the King of As.syr'i.a, Jahovah will shave the head and the hair of the feet, and it will sweep away even the beard itself] (Isaiah 7 : 20)

حيث يظهر ، إسم الرب " يهوا : Jahova ، أى الله " صراحة فى هذه الترجمة . فنجد ترجمة النص السابق هى :

(... يهوا - أى الله - يحلق الرأس ، وشعر الأرجل ، وينزع اللحية)

ونعود لمعنى النص المقدس بالعربية ؛ فنجده يقول - على الرغم من ركاكتة - بأن " الإله " يقوم بقص شعر رأسه ، وشعر رجليه ونزع لحيته إحتفالا بعبور ملك آشور النهر ، وبديهى إنها من المناسبات الخاصة .....!!!

ولا يحتمل هذا النص أى معنى اخر ؛ كأن يقوم " الإله " بمثل هذا العمل (أى بحلق الرأس وشعر الرجلين ، ونزع اللحية) لشخص اخر غيرة (لاحظ صيغة المفرد ، للرأس واللحية ، فى النصوص الإنجليزية) ، وإلا كان معنى هذا أنه يوجد كائن على نفس مستواه الإلهى ليؤدى له مثل هذا العمل ، أو كان على الإله القيام بالتجسد ، لمزاولة هذه الأعمال لإنسان ما على غرار يعقوب (عليه السلام) ، الذى أمسكه وهو يتجول على الأرض وتصارع معه ، كما سبق وإن ذكرنا فى الفقرة (٤. ١. ٥.) السابقة .

ويعطينا الكتاب المقدس وصفا للموسى التى إستخدمها الرب فى الحلاقة ، **بأنها موسى حلاقة مستأجرة : hired razor** . أى إنها ليست ملك الإله ، وبالتالى فقد كان عليه أن يستأجرها . ولكن لم يذكر لنا الكتاب المقدس ممن إستأجرالرب هذه الموسى بالضبط ؟ كما لم يذكر لنا الكتاب المقدس أبعاد هذه الموسى . وهل هى موسى حلاقة عادية أم إنها موسى حلاقه من النوع العملاق ، على غرار الأفلام الخرافية أو الأسطورية .....!! وعموما فإن هذا لا يفيدنا كثيرا ، لأن ما يعنينا هنا هو أسطورية أو وثنية هذه القصة فحسب .

وبديهى عندما يوحى " الإله " بهذه المعانى لـ " داود " (لأن النص ينسب إليه) ، فإنما هو ـ فى الواقع ـ يقوم بتعريف داود ببعض الأمور والأفعال الخاصة به ، والتى يأتى بها (أى الإله) ، فى بعض المناسبات الخاصة لديه ، والإجراءات التى يقوم بها عادة عند قيامه بمثل هذه الإحتفالات ...!!! وبداهه أن مثل هذه الأمور لا سبيل لنا إلى معرفتها أو الوصول إليها إلا من خلال الوحى الإلهى لأنبيائه ، ورسله كما جاء بها العهد القديم ...

٤ . ١ . ٨ . ويتصاعد الدخان من أنف " الإله " والنار من فمه إذا ما غضب

وإستمرارا لهذا لفكر الأسطورى غن الإله ، يخبرنا الكتاب المقدس أنه عندما غضب " الإله " تصاعد الدخان من أنفه والنار من فمه . وبديهى إن مثل هذا الفكر لا نجده إلا فى فكر الأساطير فحسب .

فعادة ما نرى مثل هذه القصص الأسطورية أو الخرافية في أفلام الكارتون لـ " والت ديزنى " للصغار أو للكبار على حد سواء . حيث نرى " **التنين : The Dragon** " ذلك الحيوان الأسطورى أو الخرافى الضخم الذى **يتصاعد من أنفه الدخان ويخرج من فمه النار** ، وهو يحاول أن يلتهم الأميرة فيتصدى له البطل ، الذى يقوم بقتله بإستخدام شجاعته وحسن ذكائه ، ثم يفوز البطل فى النهاية ـ أى فى نهاية الكارتون ـ بالزواج من الأميرة ...!!!

وقبل أن نفسح الطريق للنص المقدس ، لابد لنا وأن نذكر بأن الكتاب المقدس هو كتاب موحى من الله لأنبيائة ، أو بمعنى آخر هو إخبار إلهى للأنبياء للتبليغ عنه . والنص الذى نحن بصدده الآن ، يمثل دعاء داود ـ للرب ـ فى أثناء محنته . وكان هذا الدعاء فى صورة صراخ ، فيدخل هذا الصراخ فى أذن الرب ، فيغضب الرب ، فينطلق من أنفه الدخان ويخرج من فمه النار ...!! ثم ينزل مسرعا من السماء لإنقاذ داود وتخليصه من محنته لأنه سر به (أى سر بداود) ...!!! ولا ننسى ـ طبعا ـ أن داود هو ذلك النبى الذى زنى بزوجة أحد قوادة ثم تامر عليه وقتله ليخفى جريمة زناه ويفوز بزوجته (راجع بند ٢. ٣.) ...!!! والان إلى النص المقدس :

[(٧) فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى <u>وصراخى دخل أذنيه</u> (٨) فارتجت الأرض وارتعشت . أسس السماوات ارتعدت وارتجت لأنه غضب (٩) صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت . جمر إشتعل منه (١٠) طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه .... (١٨) أنقذنى من عدوى القوى من مبغضى لأنهم أقوى منى .... (٢٠) ... خلصنى لأنه سر بى]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {٢٢} : ٧ – ٢٠)

فكما نرى ... عندما صرخ داود ... دخل صراخه فى أذنى الرب .... فغضب ... فارتجت أسس الأرض ... وتصاعد الدخان من أنفه ... وخرجت النار من فمه ..... ونزل من السماء مسرعا - كما يبدو - وتحت رجليه ضباب لينقذ داود من محنته .... !!!

ونؤكد مرة أخرى على الفكر القائل بأن الكتاب المقدس كله موحى من الله لأنبيائه . وبديهى عندما يوحى الرب بهذه المعانى لداود فإنه يصف حالته التى كان عليها عندما غضب ...!!!

٤. ١. ٩. ويركب " الإله " الملائكة الصغيرة ويطير بها

وإستكمالا للقصة السابقة ، ولهذا الخيال الأسطورى عن الله ، نجد أن " الإله " ينزل من السماء ، ويمتطى الملائكة الصغيرة ، ليطير بها ... وتطير به ... ولنفسح المجال للنص المقدس :

[(١٠) طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه (١١) ركب على كروب (cherub) وطار ورئى على أجنحة الريح]

(الكتاب المقدس : صموئيل الثانى {٢٢} : ١٠ - ١١)

والكرب أو الكيروب أو الكاروب (**cherub**) هو الملاك الصغير (أى الكائن المجنح السماوى) وتجمع كلمة " كاروب " بكلمة " كاروبيم : **cherubim** " وتنطق فى اليونانية شاروب وشاروبيم . وتأتى هذه الكلمة فى فكر العقيدة بأنها ملاك من الدرجة الثانية ، كما يقول بذلك " قاموس الميراث الأمريكى : **The American Heritage Dictionary** " :

Cherub : 1. A winged celestial being . 2. (Theology) One of the second order of angels .

فكما يبدو أن ملائكة الدرجة الأولى - فى فكر العقيدة - لا يركبها الرب ، بينما ملائكة الدرجة الثانية هى التى يركبها الرب فقط لإنها مخصصة لخدمة العرش الإلهى ، ولهذا فإنها تعتبر ملائكة عالية الرتبة ، كما يقولون بهذا فى صلاة القداس الإلهى[٨٧] .

كما يجب ملاحظة أن كلمة : " درجة : **order** " ، مختلفة عن كلمة : " رتبة : **rank** " وليس لهما نفس المعنى ، وعلى هذا فالكاروب هو ملاك من الدرجة **الثانية** ومن الرتبة (أو الطغمة

---

٨٧ " السماء " لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، مطبعة الأنبا رويس ، الطبعة الخامسة ، ص : ٩٨ .

[88]) الأولى (تماما كما نقول ـ فى مجال الرياضيات ـ معادلة تفاضلية من الدرجة الثانية ، ومن الرتبة الأولى) .

ويعتقد أهل العقيدة بأن الشيطان ، كان رئيس ملائكة ـ ويدعى سطانائيل ـ وهو من رتبة الكاروبيم [89] . وعندما سقط هذا الكاروب وتحول إلى شيطان سقط معه ملائكة أخرى وانضموا إليه . وأصبح للشيطان مملكة وجيوش منظمة كما الحال فى الدول الحديثة [90] ، لمحاربة الإله . والشيطان فى الكتاب المقدس له أسماء كثيرة منها : إبليس ، والشرير ، وبليعال ، ورئيس العالم ، وبعلزبول ، وإله هذا الدهر ، و الحية القديمة ...... إلى آخره من الأسماء .

****

وبهذا المثال ننهى تسعة من الأمثلة المختارة فقط ، وليست هذه هى كل الأمثلة عن التصور الإلهى فى العهد القديم ، أو الديانة اليهودية ، بل هى عينة مختاره فحسب .

وكما رأينا فإن الفكر الإلهى ـ فى العهد القديم ـ هو فكر أسطورى وثنى إلى حد بعيد . يسيطر فيه الإنسان بدرجة واضحة على إله مسخ ....!!! تنقصه الحكمة ... متسرع .... يندم .... وتملأ نفسه الحسرة .... بل ويجعل هذا الفكر ، أن على الإله أن يقبل من الإنسان النضح والإرشاد والتوجيه ، كما وإن عليه قبول الحكمة البشرية التى تعلو حكمته الإلهية نفسها بكثير ، الذى هو خالقها .....!!!

كما يسبغ هذا الفكر العقائدى على " الله " صفات وثنية أخرى كثيرة ؛ منها ضعف القدرة ، وضعف القوة .... والإنحسار ....والجهالة .... ووصل الأمر بهذا الفكر ، إلى أن يجعل الإنسان يشتبك مع الإله ، بالأيدى والأرجل فى معركة ـ على غرار المصارعة الحرة ـ غير

---

[88] المرجع السابق . ص : ١١٨ .

[89] لمجرد التذكرة ؛ نجد فى إنجيل برثولماوس (وهو أحد الأناجيل التى كانت متداولة فى القرون الأولى الميلادية ، أنظر فقرة ١ . ٣. المجامع الكنسية ... من نفس الفصل) ، أن المسيح يسمح لبرثولماوس ـ كاتب الإنجيل ـ أن يرى الشيطان ويسأله . وقد وجد برثولماوس أن الشيطان طوله ٦٠٠ ذراع ، وعرضه ٣٠٠ ذراع ، ويحرسه ٦٠٦٤ ملاكا . وكما نرى فإن الفكر المسيحى ينسب الشيطان إلى ملائكة الكاروبيم وهى الملائكة التى ترسم على جدران الكنائس فى صورة أطفال صغيرة فى غاية من الرقة والوداعة ولها أجنحة رقيقة (وليست ملائكة ضخمة الجثة كما جاء فى الوصف السابق) . وعادة ما يتم طبع صور هذه الملائكة الرقيقة على كروت أعياد الميلاد ، وهى تحمل باقات الزهور لتحمل معانى التهنئة للآخرين . وتوجد صور لهذه الملائكة عادة فى القواميس الإنجليزية ، نذكر منها على سبيل المثال : " قاموس الميراث الأمريكى : The American Heritage Dictionary " ؛ ص : ٢٦٤ .

[90] " السماء " لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس . مطبعة الأنبا رويس . ص. ٩٦ / ١١٠

متكافئه لصالح الإنسان . وقد أشرنا ـ من قبل ـ إلى أن مثل هذا الفكر قد فاق الفكر الأسطورى نفسه فى تصوره ، وفى نظرته للإله .

كما يضيف هذا الفكر (أى فكر العهد القديم) صفات أسطورية أخرى كثيرة على الذات الإلهية والتى لا نراها إلا فى الحيوانات الخرافية التى يرد ذكرها فى فكر الأساطير والخرافات .... !!!

ولهذا نكرر هنا ، بأنه لا غرو أو لا عجب فى أن يقوم الغرب بتصنيف " ***الدين وعلم الأساطير : Religion and Mythology*** " على أنهما من نفس قسم المعارف ، أنظر على سبيل المثال : " ***قاموس وبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopeidc Unabridged Dictionary*** " ؛ ص : ١٧٠٧ .

وننتقل الان إلى الفكر الإلهى فى العهد الجديد ، لننظر ماذا يضيف هذا الفكر ـ هو الاخر ـ على الفكر السابق ، أى فكر العهد القديم .....!!!

٤ . ٢ . الله فى العهد الجديد (أى الجزء الثانى من الديانة المسيحية)

لقد إنتهينا الان من تلخيص الفكر الإلهى فى العهد القديم من الكتاب المقدس . وكما سبق وأن ذكرنا ، فإن العهد القديم يمثل الديانة اليهودية من جانب ، كما وإنه يمثل الجزء الأول من الديانة المسيحية من جانب اخر .

ويستكمل " العهد الجديد " ، أو الجزء الثانى من الديانة المسيحية ، هذا السيناريو أو الإمتداد الطبيعى للفكر الإسطورى أو الوثنى عن الإله ، وهذا التفوق الإنسانى الواضح عليه (أى على الإله) .....!!! ولكن بصياغة جديدة لقصة جديدة تعرف بإسم " **الفداء والصلب** " .

فلكى يثبت " إنسان العهد الجديد " ، إنه ليس بأقل " قدرة وقوة " ـ بأى حال من الأحوال ـ عن " قدرة وقوة " ، إنسان " العهد القديم " فى تفوقه على " الإله " . نجده هو الاخر يقوم بتصميم وإضافة فصل مأساوى اخر عن " الإله " يفوق فى تصوره كل خيال .... !!! فقد قام إنسان " العهد الجديد " فى محاوله منه لإثبات هذا التفوق على " الإله " ...؟؟!!! بأن قام " بجلد الإله " و " تعذيب الإله " و " صلب الإله " ، ثم أخيرا قام بـ " قتل الإله " ...!!!

وبديهى إن فكرا كهذا يفوق حدود تصور الفكر البشرى ، بل هو فكر متطرف للغاية ...!!! وليس من السهل قبوله على نحو أو اخر بسهولة إلا بمقدمات تبريرية هائلة ...!!!؟؟؟؟ جعلت

علماء النفس يقفون حائرين أمام هذا الإنسان العجيب والغريب معا ...!!! الذى يفقد عقله ووعيه تماما فى الحيز الدينى ، بينما نراه عاقلا متعقلا فى كل المجالات الاخرى من الحياة تقريبا .

بل ولم يستطع علماء النفس تفسير هذا الوضع الشاذ أو هذه الظاهرة الفريدة ، إلا على أساس أن أصحاب هذه العقائد هم قوم مصابون بمرض نفسى هو : **الشعور بالإضطهاد : The Paranoia** . ومريض هذا المرض يتمتع بصحة عقلية جيدة على نحو عام فى كل مجالات الحياة تقريبا ، ولكنه فى جزئية واحدة فقط أو أكثر ـ من فكر ما يسيطر عليه ـ نجده يفقد عقله تماما وقدرته المنطقية على التحليل والإستنتاج والإستنباط .

وكما سبق وأن بينا فى الفصل السابق ، إن رأى علماء النفس لم يتعد فكر التشخيص فقط ، لما هو موجود أو قائم فعلا ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجاوبوا على السؤال : لماذا يقبل الإنسان بمثل هذا الوضع الشاذ ..؟؟!! وقد بينا فى الباب السابق أن قبول الإنسان لهذا الوضع الشاذ يعزى إلى سببين رئيسيين هما :

- **السبب الأول** : هو قوة ووضوح " فطرية وجود الله " في النفس البشرية .
- **والسبب الثانى** : هو " عملية غسيل المخ " المنظمة والمتصلة ، والتي يجريها كهنة العقيدة على الأتباع أو الشعب ، منذ الصغر ، وذلك بغرس " الوثن " فى مكان " الإله " فى النفس البشرية . وطبيعة هذه العملية ، إنها تحجب إستخدام العقل (أو المنطق) تماما فى حيز أو فى منطقة الدين ، وهى المنطقة المطلوب عماء الأتباع فيها .

وبديهى عندما لم يتنبه علماء النفس إلى هذه الحقائق ، لجأوا إلى تشخيص الحالة فقط ، وقالوا بأنها مرض نفسى مستعصى فحسب ، أى أنها حالة مرضية لا يعرفون سببا لها .

وإمتدادا لهذا الفكر الأسطورى السابق عن الإله ، يعطى لنا العهد الجديد (أو الفكر المسيحى) تصورا جديدا عن الإله وعن الإنسان يختلف فى مضمونه بشكل جذرى عما جاء به العهد القديم فى الديانة اليهودية . حيث يصف لنا " العهد الجديد " هذا المضمون بأنه أحد " الأسرار الأساسية " التئ لم يستطع الإله أن يبوح بها أو أن يذيعها فى " العهد القديم " (أى فى الديانة اليهودية) .... لحرصه الشديد وحذره فى معركته المستمرة مع الشيطان حتى يضمن نجاحه فيها ....!!!

فكما سنرى ؛ فحتى وصول " العهد الجديد " للإنسان ـ من خلال تجسد الإله نفسه ونزوله على الأرض ـ كان الإنسان لا يعلم بأن " الإله " قد فقد سلطتة على الإنسان ، أو بمعنى أدق أن الإله

قد فقد سلطة الموت على الإنسان ، أى أنه أصبح إلها لا يستطيع أن يميت الإنسان ، كما أصبح إلها لا يستطيع أن يهب الإنسان الحياة ...!!! فنجده قد فقد هذه السلطة ، وأصبح إلها بلا سلطة ، وأن الشيطان قد سلبها منه ، أو بمعنى أدق أن الشيطان قد إنتزعها منه بموجب خطيئة أو عصيان ادم له (أى عصيان أدم للإله) . وبهذا أصبح من حق الشيطان أن يميت الإنسان ، ولا يستطيع الإله إعادة الحياة له ...!!! وبموجب إنتقال هذه السلطة ـ من الإله للشيطان ـ أصبح شيطان ملكا للموت ... وأصبحت مملكة الجحيم تحت سيطرته ، يأخذ إليها الإنسان حيث يشاء ... ولا يقوى الإله على إقتحامها ، ليصل إلى الشيطان ويخلص الإنسان منه ...!!!

وبداهه كان على " الإله " أن يحاول أن يستعيد هذه السلطة المفقودة ، والتى سلبها منه الشيطان فليس منطقيا أن يبقى هكذا إلها بلا سلطة ...!!! وخطط ـ فعلا ـ الإله لكيفية إستعادة سلطتة المفقودة . وقام بتنفيذ هذا التخطيط بسيناريو معين من الأحداث (سنأتى إلىٰ شرحه بالتفصيل حالا) ، سماه أهل العقيدة فيما بعد باسم :

" قصة الفداء والصلب "

وبديهى إن هذا المنظور يتساوى فى المعنى تماما ، مع منظور اخر لنفس القصة يمكن أن يسمى بلا أدنى تجاوزات لفظية باسم :

" قصة إستعادة السلطة المفقودة لإله بلا وظيفة "

وبداهة يكون المقصود ـ هنا ـ بالوظيفة ؛ هى وظيفه " الإله " التى تتعلق بموت وحياة الإنسان ؛ وذلك حتى لا أتهم بالتجاوز فى المعنى . ويخبرنا " العهد الجديد " أن " الإله " قد إعتبر سيناريو أحداث إسترجاع سلطتة المسلوبة ، من الأسرار التى يجب ألا تذاع فى " العهد القديم " حتى يضمن عدم تسرب المعلومات إلى الشيطان بما سيتم عمله . وبالتالى يضمن الإله نجاحه فى إستعادة هذه السلطه عند ملاقاته ، أو عند منازلته للشيطان .

كما لم يبح " الإله " بسر هذه الأحداث ـ فيما بعد ـ إلا إلى " **بولس الرسول** " فى العهد الجديد ، وذلك عقب إنتهائه من الجوله الأولى فى معركته مع الشيطان ، وقيامه (أى قيام الإله) باسترداد سلطة الموت منه (أى من الشيطان) . حيث يقول قداسة البابا شنودة الثالث فى هذا الشأن ...

وليس معنى هذا أن المعركة بين الشيطان والإله قد إنتهت ، بل سيظل (الشيطان) يحارب (الإله) إلى آخر الأيام ، إلى أن يلقيه الرب (أى الإله) فى بحيرة النار والكبريت [91] "

ويتأكد هذا المعنى أيضا من النص المقدس :

[(١٠) وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٢٠} : ١٠)

وقد أخبر " الإله " بولس الرسول فى " العهد الجديد " بأن المعركة بينه وبين الشيطان سوف تمتد إلى المستقبل أو إلى اخر الأيام ، ولكنه أخبره أيضا بأنه سوف ينتصر على الشيطان ، عندما يقوم "الإله " بإرسال الملاك ميخائيل [92] مع جيش الملائكة ، ليوقع الهزيمة بجيش الشيطان ومن معه من الملائكة الأشرار [93] المنضمين إليه ...!!

كما يخبرنا " العهد الجديد " أيضا بأن الإنسان قد شارك فى هذه المعركة الدائرة ، بين الإله والشيطان بدون أن يدرى ... حيث قام الإنسان بإيعاز من الشيطان ... بجَلد الإله .... وتعذيب الإله .... ثم بصلب الإله .... ثم بقتل الإله ...!!! وذلك ضمن سيناريو أحداث " الخطة " ، التى قد رسمها " الإله " بعناية ودقة فائقة ... لإستعادة سلطته المفقودة من الشيطان ...!!!

ويمكن أن نأتى - الان - إلى تفاصيل الفكر السابق فى النقاط التالية المجردة من أى رتوش ، وبدون أى تجاوزات فكرية ، مؤيدين ذلك بالنصوص المقدسة وبشرح أئمة الديانة المسيحية نفسها .

٤. ٢. ١. قصة " الفداء والصلب " فى الفكر المسيحى ، أو قصة إستعادة السلطة المفقودة لإله بلا وظيفة

بادىء ذى بدء ، وحتى لا يجنح بنا الفكر نحو الشرك بالله ، وهو فكر ينكره أهل الفكر المسيحى أنفسهم حيث نجدهم يرددون - دائما - بأن هناك " **وحدانية فى تثليث وتثليث فى وحدانية** " . بمعنى أنه على الرغم من أن الفكر المسيحى يقول بـ " تثليث الإله " ، أى أن " الإله " مكون من

---

[91] " سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء السابع ، ص : ٨٤ .

[92] سبق وأن نوهنا ؛ إلى أن جماعة " شهود يهوه " (أحد فئات المسيحية) تعتقد فى أن رئيس الملائكة " الملاك **ميخائيل** " هو المسيح نفسه ، وليس المسيح هو الإله المتجسد ، كما تعتقد فى هذا باقى فئات المسيحية الأخرى .

[93] يقول مثلث الرحمات الأنبا يوأنس " يبدوا أن الملائكة بعد أن خلقهم الله ، دخلوا إمتحانا لا نعلم أين ومتى وكيف ؟ ... لكن نتيجة الإمتحان فصلوا إلى فريقين : ملائكة أبرار وملائكة أشرار هم الشياطين " . أنظر كتاب " السماء " لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، مطبعة الأنبا رويس ، الطبعة الخامسة ص : ٩٦ .

ثلاثة أقانيم (أو ثلاث صور) إلا إنهم فى الواقع " إله واحد " . تماما كما تقول أنت بأن الماء العادى يمكن أن يأخذ ثلاث صور ؛ هى الحالة الصلبة (الثلج) ، والحالة السائلة (أى الماء العادى) ، والحالة الغازية (بخار الماء) . وهو مثال مستحب لدى أهل الفكر المسيحى ، حيث يقومون دائما بترديده [٩٤] ، للعامة عند شرح الأقانيم ، أى شرح صور - الله - الثلاثة لبيان أو تقريب معنى التثليث للأذهان . **فهكذا ، كما يتوقف حالة الماء على درجة الحرارة ، كذلك يتوقف حال أو شكل الإله على المهمة التى يقوم بها أو يؤديها : من حيث هو آب** (فى السماء) **، أو من حيث هو إبن** (على الأرض) **، أو من حيث هو روح قدس** (حين يعمل مع الرسل) . وتتضح هذه الوحدانية أيضا عند أهل العقيدة فى البسملة التى يقومون دائما بترديدها وهى :

" بسم الآب والإبن والروح القدس ، إله واحد آمين "

أى أن الآب هو الله ، والإبن هو الله ، والروح القدس هو الله . وبناءا على هذه الوحدانية ، فلا بد لنا وأن نقبل أو أن نسلم بأن " الله " - أى واحد من الثلاثة يفى بالغرض - هو من له الحق الوحيد فى سن القوانين الأزلية أو السرمدية التى يخضع لها كل مخلوقاته ، بما فى ذلك الإنسان أحد مخلوقاته . ولا نستطيع بأن نقول بأن هناك من له نفس هذا الحق فى سن هذه القوانين السرمدية ، لأن معنى هذا نكون قد قبلنا بالشرك بـ " الله " ، وهو فكر مرفوض كما سبق وأن ذكرنا من أهل العقيدة أنفسهم . ونقصد بالقوانين السرمدية هى القوانين العامة المتعلقة بالخلق والوجود على نحو مطلق ... مثل قانون الجاذبية العامة أو قانون بقاء الطاقة أو أى قانون عام اخر من هذا القبيل .

وبعد التسليم بهذا الفكر الواضح بالوحدانية ، والتسليم بأن من له الحق الوحيد فى سن القوانين هو " الله " ، يمكننا الان تلخيص فكرة " فداء وصلب الإله " فى الفكر المسيحى ، فى النقاط الثمان المحددة التالية :

[**أولا**] قام " الإله " قبل خلق الإنسان أو بعد خلقة للإنسان فهذا لا يهم كثيرا ، بسن ثلاثة قوانين أساسية ، لم يبح بها " الإله " إلا إلى " بولس الرسول " فيما بعد (فى العهد الجديد) ، وقد تورط " الإله " فى نتائجها ، كما سنرى ، كما وإنه لم يلتزم بها على طول الكتاب المقدس . وهذه القوانين الثلاثة هى :

القانون الأول : هو أن خطيئة ادم عقوبتها الموت ...

---

[٩٤] " يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته " د. هانى رزق ، مكتبة المحبة ، الطبعة الثانية ، ص : ١٨٦/١٨٧ .

[(٢٣) لأن أجرة الخطية هى موت ...]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية {٦} : ٢٣)

القانون الثانى : أن خطينة ادم تورث إلى ذريته ....

[(١٢) من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية {٥} : ١٢)

وهذا ما قال به الإله لـ " بولس الرسول " فى العهد الجديد (فى رسالته إلـى أهل رومية) ، أى أن ـ الله ـ قد قرر توريث خطينة آدم إلى ذريته ....!!! ولم يتنبه الإله إلى أنه قد قال بعكس هذا القانون تماما فى العهد القديم (أو ربما تنبه وقال بعكسه ، حتى لا يلفت نظر الشيطان إلى ما سيقوم ـ الإله ـ بتنفيذه فى العهد الجديد من أحداث لإستعادة سلطته المفقودة منه) لهذا نجده يقول فى العهد القديم :

[(١٦) لا يقتل الآباء عن الأولاد . ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل]
(الكتاب المقدس : تثنية {٢٤} : ١٦)

ويؤكد " الإله " على هذا المعنى أيضا فى مكان آخر من العهد القديم ، فنجده يقول ...

[(٢٠) النفس التى تخطىء هى تموت . الإبن لايحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الإبن . بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون]
(الكتاب المقدس : حزقيال {١٨} : ٢٠)

وعموما فإن هذا التناقض فى فكر الإله لا يعنينا كثيرا الان ، فكل ما يعنينا هو أن الإله قد إستقر منه الرأى ـ فى العهد الجديد ـ على توريث الخطيئة من أدم إلى ذريتة فحسب ... أيا كانت النوايا .
فربما كان هذا التناقض السابق فى أقوال الإله ، ضروريا للتمويه ولضمان سرية سير الأحداث التى ستتم فى العهد الجديد . فمن الناحية التكتيكية (أى من الناحية العسكرية) يمكن أن يكون هذا الكلام مقبولا ، طالما أن الصراع أو الحرب قائمة بين " الله " و " الشيطان " ...!!!

ثم نأتى إلى ....

القانون الثالث : (والأخير) وهو أسوأ القوانين الثلاثة ... **حيث ينص هذا القانون ، على أنه** في حالة خطيئة ادم تنتقل سلطة الموت من " الإله " إلى " الشيطان " تلقائيا **(أى أوتوماتيك : Automatic)** . وفي الواقع ، فإن هذا القانون هو الذى تسبب فى الحرب الدائرة إلى الان بين " الله " و" الشيطان " ...!!! فالإله يبذل قصارى جهده ...

[(١٤) ... لكى يبيد ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس]

(الكتاب المقدس : الرسالة إلى العبرانيين {٢} : ١٤)

ولم يسن " الله " قانونا عكسيا لإسترجاع سلطة الموت من الشيطان فى حالة إنتقال هذه السلطة إليه ، بدون تضحيات جسيمة عليه أن يؤديها فى حالة خطيئة ادم . وربما فطن الإله إلى هذا الوضع ، لذا نراه ـ من باب الإحتياط ـ يقوم بخلق " **شجرة الحياة** ، تحسبا لأن يقوم ادم بعصيانه أو وقوعه فى الخطيئة ؛ وهى الشجرة التى إذا أكل منها ادم ، فى حالة خطئه ، فإنه سوف يحيا حياة أبدية أيا كانت خطيئته أو نوع عصيانه لله . وهكذا ضمن الإله عدم إنتقال سلطة الموت منه إلى الشيطان ، إذا ما أكل " آدم " من شجرة الحياة .

وعلى الرغم من هذه الإحتياطات ، إلا أن سلطة الموت قد إنتقلت فعلا من الإله إلى الشيطان ، كما رأينا من النص المقدس السابق ، فكيف حدث هذا ...؟! وهو ما سوف نراه حالا ...!!!

[**ثانيا**] ويخلق " الله " ادم ويقدر له حياة أبدية ، ويضعه فى جنة عدن ، ويطلب منه ألا يأكل من شجرة المعرفة ، وأن عليه ألا يعصيه ... لأن المعصية معناها موته ، كما رأينا بموجب القوانين السابقة ؛ كما فى النص المقدس ...

[(١٥) واخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها (١٦) وأوصى الرب الإله آدم قائلا جميع شجر الجنة تأكل أكلا (١٧) وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت]

(الكتاب المقدس : تكوين {٢} : ١٥ – ١٧)

والنص يبين لنا أنه لا موت لآدم (أى أن هناك حياة أبدية) طالما أن آدم لن يعصى الله . أى أن الله قد قدر لادم حياة أبدية طالما أنه لن يخطىء . ولكن ادم لم يستجب لتحذير الرب الإله ، وعصى ادم " الله " فعلا ، وأكل من شجرة المعرفة ، وأصبح عارفا للخير والشر ، شأنه فى ذلك شأن الإله نفسه ... أى لا فرق الان ...

[(٢٢) وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا [٩٥] عارفا الخير والشر ...]
(الكتاب المقدس : تكوين {٣} : ٢٢)

وهكذا أصبح الإنسان يعرف الخير والشر شأنه فى ذلك شأن الإله (بأقانيمه الثلاثة) لا فرق بينهما . ويخشى " الله " أن يمد الإنسان يده ، ويأكل من شجرة الحياة ، فتكون هذه كارثة أومصيبة أخرى ...!!! لأن معنى هذا أن الإنسان سيحيا إلى الابد ...!!! (أرجو ألا يتصور القارىء بأنى قد خرفت ، لأنى قلت هنا وفى نفس البند ، بأن الله قد خلق الإنسان وقدر له حياة أبدية ... وإنه خلق شجرة الحياة تحسبا لأن يخطىء ادم فيأكل منها ، وها هو الان الرب يرفض أن يسمح لآدم بالأكل من شجرة الحياه ليسترجع هذه الحياة الأبدية المقدرة له ... فكيف يكون هذا ..؟؟ فى الواقع ؛ هذا هو ما حدث فعلا) . فإستكمالا للنص المقدس السابق ، نجد الإله يقول لأقانيمه ...

[(٢٢) .. والآن لعله (أى ادم) يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد]
(الكتاب المقدس : تكوين {٣} : ٢٢)

وكلمة [**.. لعله ...**] ، تعنى " **خشية أن** " يقوم ادم بالأكل من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد . ويتضح هذا المعنى جيدا بشكل لا يدع مجالا لأى شك ، من النص الإنجليزى للكتاب المقدس :

" The Holy Bible , King James Version : نسخة الملك جيمس "

وهى من أدق النسخ ، حيث تقول النسخة :

[(22) And the LORD God said, Behold, the man is become as one of us, to know good and evil: and now, lest he put forth his hand, and take also of the tree of life, and eat, and live for ever] (Genesis {3} : 22)

ومعنى كلمة (**lest**) هو " **خشية أن أو مخافة أن** " . وبهذا فإن الترجمة الحرفية للنص الإنجليزى تقول :

"... خشية أن يمد الإنسان يده ، ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ، ويحيا للأبد "

[٩٥] تعتبر صيغة الجمع هنا " ... **كواحد منا** .." هى أحد البراهين الحاسمة لدى أهل العقيدة ، على أن " الله " مكون من ثلاثة أقانيم . فهم يقولون بأن الرب يتكلم هنا مع أقانيمه ، ليكشف ـ لأهل العقيدة ـ عن دواره التى سوف يؤديها . كما نلاحظ هنا أن الفرق بين " الله " و" الإنسان " هو معرفة الخير من الشر ... ليس إلا ...!!!

ولهذا يقوم الرب بطرد ادم وزوجه من الجنة ، لمعصيته من جانب ، وخشيتة من أن يأكل ادم وزوجه من شجرة الحياة فيحييا إلى الأبد ، من جانب اخر ...

[(٢٣) فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها (٢٤) فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة]
(الكتاب المقدس : تكوين {٣} : ٢٣ - ٢٤)

وهكذا ؛ لم يكتف الرب الإله ، بطرد ادم وزوجه من الجنة ، بل أقام حراسة مشددة من ملائكة الكاروبيم ، وهى الملائكة الشديدة من طراز الشيطان كما سبق وأن ذكرنا (أنظر فقرة ٤. ١. ٩. من هذا الفصل) ، على الطريق المؤدى إلى شجرة الحياة ، شرقى جنة عدن ... خشية أن يحاول ادم العودة إلى الجنة ليأكل منها ، وبهذا يحيا إلى الأبد . وبهذا قطع الرب الإله الطريق على ادم ... لقيامه بأى محاولة للعودة إلى شجرة الحياة ...!!! ولم يتنبه الإله ، أنه بفعلته هذه قد أتاح الفرصة للشيطان بأن يسلبه سلطة الموت على الإنسان ... وبهذا أصبح الشيطان ...

[(١٤) .... ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس (١٥)]
(الكتاب المقدس : الرسالة إلى العبرانيين {٢} : ١٤)

ومات الإنسان وذهب إلى الجحيم [٩٦] **. وانتظر هناك خلاص المسيح** [٩٧] **(أى الإله المتجسد)** أى إنتظر الإنسان فى الجحيم حتى يأتى إليه الله ويخلصه . ويتنبه الرب الإله إلى هذا ... ولكن بعد فوات الأوان ...!!! لأن " **سلطة الموت** " كانت قد إنتقلت منه فعلا إلى " الشيطان " ...!!! ويوضح لنا هذا المعنى الأسقف استانلى شوبيرج [٩٨] رئيس كنيسة السويد ، قائلا ...

أنه عندما أراد يسوع (أى الإله المتجسد) أن ينقذ النوع البشرى .... كانت المشكلة أن الشيطان كان هنالك ، كملك للموت ، وكانت أبواب مملكة الجحيم تحت سيطرته (أى تحت سيطرة الشيطان) ... "

---

[٩٦] **الجحيم أو الهاوية** ؛ هى مكان إنتظار الأشرار عقب موتهم ، لحين إنتصار الله على الشيطان فى الحرب الدائرة بينهما . وبعد هذه الحرب ، وبعد إنتصار الله على الشيطان ، وذلك بمعاونة الملاك ميخائيل ، فإن الله سوف يقوم بإلقاء الشيطان مع الأشرار فى بحيرة النار والكبريت . وسوف يتم ذكر مزيد من التفاصيل ـ عن هذا السيناريو من الأحداث ـ فى باقى الفصل .

[٩٧] " سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء الثانى ، ص : ٢٨ / ٢٩ .

[٩٨] إستانلى شوبيرج (Pastor, Stanley Soberg) ، ويطلق عليه لقب (باستور) أى رئيس الكنيسة فى السويد . أنظر " مناظرتان فى استوكهولم بين أحمد ديدات واستانلى شوبيرج " الناشر : دار الفضيلة ، ترجمة على الجوهرى ، ص : ١٢٤ .

وهكذا أصبح الشيطان بهذه السلطة الجديدة هو ملك للموت ... وتصبح مملكة الجحيم تحت سيطرته ، يأخذ إليها الإنسان حيث يشاء ... ولا يستطيع الإله إقتحامها ... ليصل إلى الشيطان ويخلص الإنسان منه ...!!!

وهكذا " تورط الإله " ... مع الشيطان .... بموجب قوانينه الثلاثة التى إستنها هو بنفسه ... ثم رفضه بأن يقوم ادم بالأكل من شجرة الحياة . وبهذا أصبح إلها بلا سلطة ـ فى مملكته ـ على الإنسان وذريته . وأصبح الشيطان بموجب إنتقال هذه السلطة إليه ، له الحق فى أن يميت الإنسان وذريته ، وهو الذى كان مقدرا له ـ الله ـ الحياة الأبدية ، من قبل ...!!!

ويقف الإله عاجزا لا يدرى ماذا يفعل ...؟؟؟!!!! وبناءا على هذا الوضع الشاذ لإله مسلوب السلطة ..!!! أصبح محتما عليه القيام بعمل ما لإسترجاع هذه السلطة . وبديهى **نحن لا ندرى ولا نستطيع أن نجزم هنا بالقصد الإلهى من قيامه ـ أى قيام الإله ـ بإسترجاع سلطتة المفقودة هذه (من الشيطان) ؛ وهل كان القصد الإلهى بإسترجاعه لسلطته هو :**

- من أجل الحفاظ على ماء وجهه ...!!! إذ كيف يتثنى له أن يصبح إلها فى مملكته وهو بلا سلطة أو سلطان على الإنسان ...!!! فبديهى إن مثل هذا الفكر مرفوض ، فلا يعقل أن يبقى هكذا إلها بلا وظيفة ...!!!.
- أم أن القصد الإلهى من إسترجاع سلطته من الشيطان ، كان من أجل الإنسان ..!! ومن أجل محبته للإنسان فقط ..!!! فلا يهم كثيرا أن يبقى إلها بلا سلطة فى مقابل إنسان سوف يميته الشيطان هو وذريته ...!!! فالإنسان .... الإنسان .... هو المهم ...!!!
- وبديهى يكون الإحتمال الثالث ، هو الجمع بين الإحتمالين السابقين . بمعنى أن القصد الإلهى من إسترجاع سلطته من الشيطان ؛ هو من أجل نفسه من جانب ، ومن أجل الإنسان ومحبته له من جانب اخر ...!!!

وعموما فإن أهل العقيدة يقولون بالإحتمال الثانى فقط ، أى أن حب الإله للإنسان ، هو الدافع الوحيد وراء محاولة الإله لإسترجاع سلطته التى فقدها والتى أخذها منه الشيطان (بموجب قوانينه السابقة) ...!!!! وربما كان أهل الفكر من العقيدة ، يضعون الإحتمالين الاخرين فى مكان بعيد من الإحتمال الثانى ...!! ولكن هذا غير واضح ـ بصفة عامة ـ فى كل ما كتب عن هذا الشأن ...

وعموما سواء كان القصد الإلهى هذا أو ذاك ، فإن هذا أصبح لا يهمنا الان كثيرا ، إذا ما علمنا أن " الإله " قد صمم فعلا على القيام بإسترجاع سلطته ، وهى السلطة التى قد سلبها الشيطان منه

بقوانينه " الإلهية " التى إستنها هو بنفسه . ويخطط " الإله " لإسترجاع هذه السلطة ...!!! ويقوم بالتنفيذ ...!!! ولكن كيف ..؟؟ لننظر ...!!!

[**ثالثا**] يقع إختيار " **الإله** " **على** " **أم بشرية له** " هى مريم البتول (أى مرٍيم العذراء) . وينزل الإله من السماء [99] إلى الأرض ليحل فى رحمها :

[(١٨) ..... لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس]

(الكتاب المقدس : متى {١} : ١٨)

و " **الروح القدس** " هو الله بموجب التثليث . و" .. **مريم أمه** .. " **تعنى هنا** " **أم الإله** [100] " بالمفهوم العريض لهذا المعنى . وتمتلىء بطن " أم الإله " مريم العذراء بـ " الإله " وهو فى صورة " الروح القدس " ...

[(١٥) ... ومن بطن أمه يمتلىء بالروح القدس [101]]

(الكتاب المقدس : لوقا {١} : ١٥)

وهكذا تمتلىء بطن " أم الإله " بـ " الروح القدس " أى بالإله ، أو بمعنى أخر تمتلىء بطن مريم البتول بالأقنوم الثانى من الثالوث القدوس . **فكما سبق وأن ذكرنا فإن شكل وحال الإله يتوقف على الدور الذى يؤديه** . ويظل الإله على هذا الحال الساكن داخل رحم " مريم البتول " تسعة أشهر ، ثم تقوم مريم البتول (أم الإله) بولادة الإله ، طفلا رضيعا ، يقطعوا له " **غرلته** " فى اليوم الثامن من ولادته ، وتسميه ... " **يسوع** " ...

---

[99] يتخيل أئمة الديانة المسيحية ، بأن حوارا ما قد دار - فى السماء - بين " الله " وبين الملائكة وقبل نزوله إلى الأرض ، ليرى من من الملائكة يمكن أن يتطوع بالنزول بدلا منه ليقوم بهذه المهمه ..؟؟ ولما سأل " الإله " الملائكة .... ميخائل وجبرائيل وروفائيل .... للقيام بهذه المهمة ... سكتوا جميعا لأنهم لم يريدوا الموت عن آدم .... ولم يجد " الإله " بدا من نزوله هو شخصيا للقيام بهذه المهمة . وقد برر - أئمة العقيدة - رفض الملائكة هذا ، بأن خطيئة ادم (أى أكله من شجرة المعرفة على النحو السابق ذكره) هو خطأ لامتناه ، وأن موت البشر أجمع وإبادة كل العالم وملاشاة (إبادة) الملائكة لا يكفوا جميعهم للتكفير عن هذه الخطيئة اللامتناهية ، لذا تحتم على الإله نزوله هو شخصيا للقيام بهذا التكفير . [عن " **التوحيد والتثليث** " فوزى جرجس باسيلى ، تقديم الأنبا غريغوريوس ؛ أسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى . صفحة ٨٣ وما بعدها] .

[100] راجع أعمال المجامع الكنسية هنا ؛ حيث قد تقرر فى **مجمع أفسس المسكونى عام** ٤٣١ م ، بإجماع الأصوات ، بأن مريم هى " **أم الإله** " .

[101] راجع أعمال المجامع الكنسية ؛ حيث قد تقرر فى **مجمع القسطنطينية المسكونى عام** ٣٨١ م ، بأن الروح القدس هو الآخر " إله " ، وبذلك إكتمل الثالوث القدوس فى هذا المجمع المسكونى فى العقيدة المسيحية . أى أن " الآب والإبن (أى يسوع) والروح القدس ، إله واحد . أى هم ثلاث صور لإله واحد ، أو هو الإله فى أدواره الثلاث .

[(٢١) ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن]
(الكتاب المقدس : لوقا {٢} : ٢١)

وينموا الإله المتجسد ، على كوكب الأرض في صورة **الطفل يسوع** (أو المسيح عيسى إبن مريم) ، بعد أن أرضعته أمه الأرضية ... حيث تقول له إمرأة فيما بعد ...

[(٢٧) ... طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما]
(الكتاب المقدس : لوقا {١١} : ٢٧)

ويترعرع " الإله " مع أطفال الإنسان ... يجوع ويأكل ... يتبول ويتبرز ... على كوكب الأرض ...!!! وتتعهده ـ أمه ـ مريم البتول (أم الإله) على النحو السابق بيانه بالعناية والتربية حتى بلغ من العمر ثلاثين عاما أرضيا (بداهه لأنه على كوكب الأرض) ...!!!

[**رابعا**] ثم يتنبه " **الشيطان** " لوجود " **الإله** " على الأرض في هذه الصورة البشرية ، فيأتي إليه في محاولة منه لإغوانه ، ربما ليفتنة عن المهمة التي جاء من أجلها إلى كوكب الأرض . وظل الشيطان يجربه لمدة أربعين يوما أرضية كاملة ...

[(١) أما يسوع (أي الإله المتجسد) **فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح في البرية (٢) أربعين يوما يجرب من إبليس ...]**
(الكتاب المقدس : لوقا {٤} : ١ - ٣)

فعلى مدى أربعين يوما كاملة .... يقوم الشيطان بمحاولة إغواء " الإله " ... ولا ندري ما القصد الإلهي من أن يترك ـ الإله ـ الشيطان ليقوم بإغوانه ... ومحاولة فتنتة على مدى أربعين يوما كاملة ... ؟؟!!! فهل كان هذا ... ليطمئن " الإله " على نفسه ، ويتأكد من مدى صلابته وصلاحيته لهذه المهمة الصعبة ، والتي جاء ـ خصيصا ـ من أجلها إلى الأرض ...؟؟!!! أو من أجل أن يطمئن إلى أنه أصبح ناسوتا (أي إنسانا) كاملا ، ولا يستطيع الشيطان فتنته . أم من أجل حكمة أخرى نحن نجهلها . عموما ؛ لم يذكر لنا الكتاب المقدس وصفا دقيقا حول معنى ترك الشيطان يجربه على مدى أربعين يوما كاملة . ويتوج الشيطان تجاربه على الإله ، بأن يحاول أن يجعل الإله يخر ويسجد له ...!!!

[(٨) ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه ممالك العالم ومجدها (٩) وقال أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى]

(الكتاب المقدس : متى {٤} : ٨ – ٩)

ولم يحدد لنا الكتاب المقدس كيف أخذ الشيطان " **الإله المتجسد** " إلى هذا الجبل العالى ، فهل أمسك به الشيطان فى قبضته ثم طار به إلى هذا الجبل العالى ... أم أن الشيطان حمله على ظهره وطار به ... أم تسلقوا معا هذا الجبل العالى ليريه هذه الممالك [١٠٢]، ويغريه بها (وهو خالقها) ليجعله يخر ويسجد له ...!!! وعموما فإن هذا لايهم الآن ...

وتحبس الملائكة أنفاسها أمام هذا المنظر خوفا من أن يسجد " الإله المتجسد " للشيطان ، فتكون كارثة ...!! أو ربما خوفا من أن تسجد هى الأخرى للشيطان . ولكن " الإله " ينجح فعلا فى هذا الإختبار الفذ ... فلم يخر ويسجد للشيطان ...!!! بل يقف ـ الإله ـ من الشيطان موقفا صلبا ومتشددا جدا فى هذا الشأن أو فى هذا الإختبار ....!!! لهذا نراه يقول له : إذهب يا شيطان ....!!!

[(١٠) حينئذ قال له يسوع <u>اذهب يا شيطان</u> . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد]

(الكتاب المقدس : متى {٤} : ١٠)

هكذا منتهى الحسم ...!!! إذهب يا شيطان ...!!! فهذه هى غاية القدرة " الإلهية " على الشيطان الذى يريد أن يجعل " الإله " يخر ويسجد له ...!!! وتأتى الملائكة فرحة بهذا النجاح الباهر الذى أحرزه " الإله " فى هذا الإختبار... لتخدم " الإله " ....

[(١١) ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه]

(الكتاب المقدس : متى {٤} : ١١)

أى تخدم الإله .... ويفارقه الشيطان إلى حين وهو متربص به ...

[(١٣) ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين]

(الكتاب المقدس : لوقا {٤} : ١٣)

---

[١٠٢] بديهى مهما كان الجبل عاليا ، فإنه لن يظهر ممالك العالم (أى الكرة الأرضية) على النحو المذكور .

أى أن الشيطان قد فارق الإله إلى حين ، أى أن بينهما لقاء اخر واخر ....!!! إذن فـ" **سيناريو الأحداث** " بين الشيطان والله مازال مستمرا ، والحرب مازالت قائمة بين الإله والشيطان ولم تنته بعد . فالإله ـ حتى الان ـ لم يستطع أن يخلص نفسه من ربقة ، أى من كربة الشيطان ، فالمعركة مازالت بينهما مستمرة .....!!!

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث [١٠٣] ، فى هذا الشأن ....

" فبكل عنف سيحاول الشيطان فى الأيام الأخيرة أن يعمل على إبادة ملكوت الله ... ولكن الله سيرسل رئيس الملائكة ميخائيل [١٠٤] ، ليحارب الشيطان مع كل ملائكة الأشرار الذين يعملون معه ... ويقهرهم جميعا " (إنتهى)

وعندئذ ... وعندئذ فقط (وليس قبل هذا) ... سيتحقق للإله الخلاص من ربقة الشيطان ...!!! وتأكيدا لهذا المعنى ، يقول القديس يوحنا الرائى فى النص المقدس :

[(٧) وحدثت حرب فى السماء . ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته (٨) ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء (٩) فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته (١٠) وسمعت صوتا عظيما قائلا فى السماء الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه طرح المشتكى على إخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهارا وليلا (١١) لقد غلبوه بدم الخروف ... (١٢) ... ويل لساكنى الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالما أن له زمانا قليلا (١٣) ولما رأى التنين أنه طرح أرضا اضطهد المرأة التى ولدت الإبن الذكر ...] [١٠٥] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {١٢} : ٧ - ١١)

---

[١٠٣] أنظر كذلك " سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء الثانى ، ص : ٧٣/٧١ .

[١٠٤] لاحظ أن جماعة " شهود يهوه " ـ وهى أحدى فئات المسيحية ـ تعتقد فى أن رئيس الملائكة : " الملاك ميخائيل " هو المسيح نفسه ، وليس المسيح من وجهة نظرهم هو " الله " بعد تجسده . وقد خلق الله المسيح ـ أو الملاك ميخائيل ـ قبل الخلائق (وبذلك فهو المولود الأول للإله) وذلك لمعاونته فى خلق باقى الخلائق ، وكذا قيامه بالعمليات الخاصة التى يكلف بها ، كمهمة الفداء والصلب المذكورة . وقيادته للمعركه السماوية المتوقعة بين الله والشيطان ، والتى تعرف بـ " الأرماجدون " . كما تعتقد جماعة شهود يهوا أن من يدرك هذه المعركة منهم فلن يصيبه الموت ، حيث يتجدد شبابه ويحيا حياة أبدية إن كان من الصالحين ...

[١٠٥] قد يتصور البعض ، أن فهم هذه النصوص الأسطورية هو من السهولة بمكان ...!!! وليس هذا نظرا لصعوبتها ولكن نظرا لكونها تفترض أن من يسمعها يجب أن يكون مغيب العقل إلى حد كبير ...!!! فلا إلتزام بمعنى واحد أو بتعريف محدد للكلمات على طول النص . فكما نرى هنا ، يمكن أن يكون الشيطان هو التنين الوارد فى النص رقم (٧) ، بينما الملاك ميخائيل يجب أن يكون " التنين العظيم " فى نص رقم (٩) . والحرب حدثت فى السماء والشيطان طرح أرضا ، كما وإن الشيطان يجب أن يكون " المشتكى " فى النص رقم (١٠) . ولا ندرى معنى (**طرح المشتكى على إخوتنا** ...) إلا إذا كانت الشكوى تأخذ معنى الإضلال ، ثم ينزل إبليس على الأرض وهو غاضب ، ثم نجد التنين يضطهد المرأة التى ولدت ذكرا (لا يمكن أن تكون السيدة مريم ، لأن الشيطان لم يعلم بنية الإله المتجسد إلا بعد صلبه ، كما لم تذكر لنا الأناجيل تجربة السيدة مريم مع الشيطان) ...!!! فالعلاقات مبهمة ...

[**خامسا**] ثم نعود لإستكمال باقى قصة الفداء والصلب فى المسيحية .... فبعد أن فارق الشيطان الإله ، قام الشيطان - بوحى من الإله أو بدون وحى منه فهذا لا يهم - بإغواء الإنسان للإمساك بالإله وهو على هذه الصورة البشرية ، لينكل به الإنسان (أى ينكل الإنسان بـ " الإله") أشد التنكيل ...!!! فيقوم الإنسان بالبصق على الإله ... ولكم الإله ... ولطم الإله ...!!!

[**(٦٧) حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه . وآخرون لطموه (٦٨) قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك**]

(الكتاب المقدس : إنجيل متى {٢٦} : ٦٧ - ٦٨)

والمسيح هو الإله المتجسد ...!!! ثم يقوم الإنسان بجلد الإله ... !!!

[**(١٥) فبيلاطس ... أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع (الإله المتجسد) بعد ما جلده ليصلب**]
(الكتاب المقدس : إنجيل مرقس {١٥} : ١٥)

وهكذا قام الإنسان بجلد الإله ...!!!

ثم يعرى الإنسان الإله ...!!! ثم يضفر له " إكليلا من الشوك " ويضعه على رأسه ، ثم يضربه بالقصبة على رأسه الإلهى ... فتنغرس الأشواك فى الجبين الإلهى حتى تدميه ... فيبصق الإنسان على الإله ، ويمنع الإنسان الماء عن الإله ويسقيه خلا بدلا منه ... ثم يمضى الإنسان بـ " الإله " إلى الصلب ...

[**(٢٧) فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة (٢٨) فعروه وألبسوه رداء قرمزيا (٢٩) وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبه فى يمينه . وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود (٣٠) وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه (٣١) وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب**]

(الكتاب المقدس : إنجيل متى {٢٧} : ٢٧ - ٣١)

ولم يكتف الإنسان بهذا ، بل يقوم الإنسان بالتنكيل بالإله على الصليب ....!!!

ولا تحمل أى معانى منطقية . فكما نرى هنا ؛ أن **النصوص لا تتسم بالإتصالية التى تتسم بها الأسطورة الواعية** ، فهى هنا أحاديث خرافة وغير مترابطة إلى حد كبير ...!!! ثم نقول بعد ذلك أنها نصوص مقدسة ، ووحى نازل من السماء ...!!! كما يجب أن نلاحظ هنا أن الإله مازال تحت ربقة (أو كربة) الشيطان حتى وقتنا الحالى ، لأن الحرب هذه لم تحدث بعد ، فـ " الإله " لم يستطع أن يخلص نفسه من الشيطان حتى وقتنا الحالى ...!!!

[(٣٤) لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء]
(الكتاب المقدس : إنجيل يوحنا {١٩} : ٣٤)

وهكذا يطعن الإنسان " الإله " وهو على الصليب ، تلك **الطعنة النجلاء في جنبه الإلهي ليسيل منه الدماء** طهرا على الأرض كلها [١٠٦] ...!!! ويموت الإله على الصليب ...!!! يوم الجمعة في الساعة التاسعة مساء ... (وتختلف روايات الإناجيل في هذا التاريخ [١٠٧])

[(٤٥) ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الإرض إلى الساعة التاسعة (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني (٤٧) فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادي إيليا (٤٨) وللوقت ركض واحد منهم وأخذ أسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه (٤٩) وأما الباقون فقالوا اترك . لنرى هل يأتي إيليا ليخلصه (٥٠) فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح]
(الكتاب المقدس : إنجيل متى {٢٧} : ٤٥ - ٥٠)

وتقول الأجبية بأنه قد تم إنزال جثة الإله من على الصليب حوالي الساعة الحادية عشر مساءا من نفس يوم الصلب [١٠٨] . ثم بعد ذلك قام الإنسان بتكفين الجسد المقدس ، ووضعه في قبر منحوت مع بداية يوم السبت ... ويقول الإنجيل عن موعد ذلك :

[(٥٤) وكان يوم الإستعداد ، والسبت يلوح]
(الكتاب المقدس : إنجيل لوقا {٢٣} : ٥٤)

.

---

١٠٦ " كيف تستفيد من القداس الإلهي " نيافة الخوري أبسكوبس ، الأنبا متاؤوس ، كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر ، ص : ١٧ .

١٠٧ تقول أناجيل متى ولوقا ومرقص بأن المسيح قد مات على الصليب يوم الجمعة الساعة التاسعة مساءا ، بينما يقول إنجيل يوحنا بأن المسيح قد مات على الصليب يوم الخميس . وفي كل الأحوال فقد وضع جسده في القبر مساء يوم الصلب .

١٠٨ وبذلك يكون إجمالي مدة الصلب هي حوالي " **خمس ساعات** " . ويرى بعض المهتمين بالدراسات المسيحية ، ومنهم الشيخ " **أحمد ديدات** " أن مدة الصلب هذه غير كافية لموت السيد " المسيح " على الصليب ، وبالتالي فإنه يمكن أن يكون قد تم إنزال السيد المسيح من على الصليب وهو حي ولم يمت بعد . وتأكيدا لهذا المعنى قامت جريدة " **ويك إند وورلد : Weekend World** " بنشر وقائع فعلية - بالصور - لشخص يدعى " بيتر فان ديربرغ : **Pieter Van der Bergh** " تم صلبه بنفس نمط وإسلوب صلب السيد المسيح على الصليب ، وذلك بدق يديه ورجليه بالمسامير . ثم تم إنزال - فانديربرغ - بعد ذلك وهو بحالة جيدة من على الصليب ، بعد أن مكث عليه مدة (٢٠) دقيقة .

ويرى الشيخ " **ديدات** " أن " **عملية الصلب** " التي لا تفضي إلى الموت ، لا يصح أن يطلق عليها هذا الإسم . فكلمة " **صلب** " **يجب أن تطلق فقط على كل عملية صلب تفضي إلى الموت . وبناء على هذا التعريف** ؛ لم يصلب السيد المسيح ، بل " شبه " للجنود الرومان - ومن معهم - بأنهم قد قاموا بعملية صلبه ، أي صلب السيد المسيح بينما هو - في الواقع - لم يصلب ، لأنه قد تم إنزاله من على الصليب وهو حي ، اي قبل إتمام عملية الصلب (أي قبل موته) . [أنظر : " **مسألة صلب المسيح - بين الحقيقة والإفتراء** " ؛ أحمد ديدات ، ترجمة على الجوهري . دار الفضيلة] .

[سادسا] يظل الإله على هذه الحالة من الدفن والوفاة ، أى أن **جسده ظل فى القبر ، ولكن روح الإله ذهبت إلى الهاوية ، أى ذهبت إلى الجحيم فى باطن الأرض** [١٠٩] :

[(٩) وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضا إلى أقسام الأرض السفلى]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل أفسس {٤} : ٩)

ويتأكد هذا المعنى أيضا ، حول وجود الإله فى الجحيم فى هذه الفترة ، كما جاء فى " **قانون إيمان الرسل** [١١٠] " والذى يقول :

أومن بالله الآب القادر صانع السماء ، ويسوع ابنه الوحيد ربنا ، الذى حبل به من الروح القدس ، وولد من العذراء مريم ، وتألم فى عهد بيلاطس البنطى ومات ودفن . ونزل إلى الجحيم ، وفى اليوم الثالث قام ثانية من الأموات ... "

ثم يصعد بعد ذلك الإله إلى الفردوس [١١١] حتى إنتهت المدة المعينة ، ثم أعاد لنفسه ـ أو لناسوته ـ الحياة فى فجر يوم الأحد التالى [١١٢] ... وهكذا مات الإلـه ، لكى يبطل بموته من كان له سلطان الموت ، كما سبق وأن أشرنا ...!!!

---

[١٠٩] " قيامة المسيح والأدلة على صدقها " عوض سمعان ، الكنيسة الأسقفية بالقاهرة . ص ١٥٢ .
يرى بعض أئمة الديانة المسيحية ، أن الهاوية أو الجحيم مكانها هو أسفل الأرض أو فى باطن الأرض ؛ مستندين فى ذلك إلى نصوص كثيرة منها : (مزمور ٧١ : ٢٠) ، و (مزمور ١٣٩ : ٨) ، و (أمثال ١٥ : ٢٤) ، وما جاء فى (إشعياء ١٤ : ٩ – ١٥) ، و(رومية ١٠ : ٦ و ٧) ... إلى آخره . (أنظر كذلك : " السماء " ؛ لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، ص ١٥٦ وما بعدها . مطبعة الأنبا رويس) .

والجحيم أو الهاوية هو مكان إنتظار الأشرار لحين إنتصار الملاك ميخائيل على الشيطان وجيشه ، ثم بعد ذلك سيتم إلقاء الأشرار مع الشيطان فى بحيرة النار والكبريت للعذاب الأبدى . ويقول الدكتور القس وديع ميخائيل فى كتابه " العقاب الأبدى والكتاب المقدس ، فى صفحة ٥٢ / ٥٣ " أن **جهنم** : هو التعبير اليونانى عن (وادى ابن هنوم) العبرى ، وهو عبارة عن ممر عميق يقع شرق أورشليم (مدينة القدس) . وكان وادى ابن هنوم يستخدم أولا فى الطقوس الوثنية (٢ أيام ٢٨ : ٣) ، ثم بعد ذلك صار مكان لدفن الموتى (أرميا ٧ : ٣١) ، أو بالحرى مكانا لحرق الجثث . ثم أصبح بعد ذلك مكانا تلقى فيه نفايات أورشليم لحرقها (يوسيفوس) ، وكانت النار دائمة الإشتعال فيه . وأصبح وادى ابن هنوم يرمز إلى المزبلة العالمية الكبرى ... الجحيم " .

[١١٠] يوجد هذا القانون فى كتاب الصلوات للكنيسة المتحدة فى أنجلترا وإيرلندا . أنظر كذلك " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " أحمد عبدالوهاب ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبه . ص ٣٠٦ .

[١١١] **الفردوس** هو مكان إنتظار الأبرار بعد موتهم ، لحين إنتهاء الإله من معركته مع الشيطان . وبعد أن يفرغ الإله من معركته مع الشيطان وينتصر فيها ، سوف ينتقل الأبرار ـ مع اللـه ـ إلى مدينة أورشليم السمائية مسكن الإله . والفردوس يعرف بإسم " جنة عدن " وكان على الأرض ، فيما مضى ، ولكنه إختفى الان . ولكن أين ذهب ؟ وهناك **ثلاثة** اراء للكنيسة عن مكانه الآن : الرأى الأول يقول بأن الفردوس كان على الأرض ثم رفع إلى السماء الثالثة . والرأى الثانى يقول بأن الفردوس كان فى السماء وما زال فى السماء . أما الرأى الثالث فيقول بأن الفردوس كان على الأرض ولكنه مخفى عن أعيننا ، بعد أن اكتسب خاصية روحية . ويقول مثلث الرحمات الأنبا يوأنس : ونحن لا نستطيع أن نرجح رأيا من هذه الأراء الثلاثة ، فالأمر غامض بالنسبة لنا . أنظر " السماء " ؛ لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، صفحة ١٥٥ وما بعدها . مطبعة الأنبا رويس .

[(١٤) فإذا قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضا (أى الإلـه) كذلـك فيهمـا لكـى يبيد ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس (١٥) ويعتـق أولئك الذين خوفـا مـن المـوت كـانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية]

(الكتاب المقدس : الرسالة إلى العبرانيين {٢} : ١٤ - ١٥)

[**سابعا**] ويقوم " الإله " من بين الأموات ، ويعتبر موته على الصليب هو كفارة قد أداها لنفسه فى مقابل خطأ الإنسان . وبهذه الكفارة أصبح له الحق الان ، فى أن يسترجع سلطة الموت التى سلبت منه ، وهى السلطة التى إنتزعها الشيطان منه بموجب قانونه الإلهى الذى إستنه هـو بنفسـه ، ثم عانى ـ بعد ذلك ـ كل هذه المعاناة لإسترجاعها منه ...!!!

ولم يتنبه الشيطان حين أغوى الناس للقيام بتعذيب " الإله " ثم قتله على الصليب [١١٣] ، بأن هـذه مقايضـة أو كفارة ، سوف يعتبرها الإله إنها تعطيه الحق فى إسترجاع سلطة الموت التى كان قد أخذها أو سلبها منه الشيطان ....!!!

وفى هذا الشأن يقول الشيطان " للإله " : لو كنت أعلمتنى ، بنيتك هذه وبأن هذه مقايضة ، لمـا قمت بإغواء الناس لقتلك ... ويذيع هذا السر للبشرية لأول مرة بولس الرسول ، بعد ما أوحى به الله إليه ، فيقول ...

---

[١١٢] تذكر الأناجيل أن مدة موت المسيح وحتى قيامته هى ثلاثة أيام وثلاث ليال ، مثل يونان النبي الذى لبث فى بطـن الحوت ثلاث أيام وثلاث ليال ، كما جاء فى النص المقدس :

[(٤٠) لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكـون ابـن الإنسـان (أى يسـوع) فـى قلـب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال] (الكتاب المقدس : متى ١٢ : ٤٠) ، أنظر أيضا (لوقا ١١ : ٢٩)

وبديهى أن مدة موت المسيح ، كما وردت فى الأناجيل (متى ومرقس ولوقا) ـ من يوم الجمعة الساعة حوالى الحادية عشر مساءًا وحتى فجر الأحد التالى ـ هى ليلتين ويوم واحد فقط (كما تقول بذلك الخبرة العادية) ؛ وليست ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كما جاء فى النص السابق . ومع هذا يصر أهل العقيدة على أن مدة مـوت المسيح وحتـى قيامتـه هـى : ثلاث أيام وثلاث ليال .
وهذا الموضوع قد تناولته كتب كثيرة بالدراسة والنقد ، كما جرت فيـه منـاظرات فكريـة بيـن أطـراف مسـيحية وغـير مسيحية ، لإثبات هذا التناقض الواضح والصريح فى هذه النصوص . وضاع مجهود الأطراف المعنية كلها فى إثبـات ونفى هذه الجزئية . ولم يتنبهوا جميعا ... إلى إننا أمام **فكر موجه وغير دقيق وتركيبى** (أى تركيـب نصـوص العهـد الجديد على نصوص العهد القديم) ...!!! بغض النظر عن وجود المنطق أو عدم وجود المنطق فيه ...!!! وبالتـالى فلا قيمة لما تكون عليه هذه المدة ....!!! ثلاثة أيام ... يومان ... عشرة أيام .... فهـذا لا يهـم ... ولست أدرى فـى ماذا يناقش الإنسان ، وماذا يحاول الإنسان أن يثبت ...!!! وهل إثبات أو نفى هذه الجزئية سوف يسبغ منطقا ما علـى باقى قصة الفداء والصلب ... أو على الديانة نفسها ... !!!

[١١٣] من الجدير بالذكر ؛ أن كلمة " صليب " لم يأتى ذكرهـا علـى نحـو مطلـق فـى " **الكتـاب المقـدس** " الـذى يحمـل عنوان " الترجمة العالمية الجديدة للنصوص المقدسة : **New world Translation of the Holy Scripture** " ، كما سبق أن نوهنا بذلك . أنظر " **Aid to Bible Understanding** " صفحة ٣٩٨ .

[(٧) بل نتكلم بحكمة الله فى سر . الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا (٨) التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر . لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٢} : ٧ – ٨)

ويقول أئمة الديانة المسيحية [١١٤] بأن عظماء هذا الدهر هم رؤساء هذا الدهر :

" ورؤساء هذا الدهر هم الأبالسة لا اليهود الذين نفذوا تحريض الشيطان الذى أمعن فيهم الحسد حتى أوغر فى صدورهم ، لأن اليهود لم يكونوا فى وقت ما حتى ولا وقت الصلب رؤساء العالم بل كانوا تحت حكم الرومان " . (إنتهى)

ونلاحظ هنا - فى النص - التكتم الشديد الذى أجرى به " الإله " عملية الفداء والصلب هذه ، وذلك إمعانا فى التمويه . لأن لو علم الشيطان ومساعديه الأبالسه بنية الإله بهذه المقايضة ، لما أغووا الناس بصلبه ...!!!

[(٨) ... لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٢} : ٨)

وربما تورط " الإله " فى هذه الحالة - أى فى حالة عدم صلبه - ببقائه على الأرض ، كما تورط سابقا عندما أمسك به يعقوب وهو يتجول على الأرض (أنظر فقرة ٤. ١. ٥.) . ولا ندرى كيف كان سيحل " الإله " هذا الإشكال (أى ببقائه على الأرض) لو لم يمسكه الإنسان ويصلبه ...؟!!! ولا ندرى كيف كان سيتم سيناريو الأحداث لو لم يصلب الإله ...؟!!!

وهنا نتأكد ، بأنه كان على " الإله " أن يلتزم الحيطة والحذر والتكتم الشديد ، حتى يضمن نجاح العملية وسير الأحداث ، حتى يضمن ألا يتنبه الشيطان لهذه النية - أى نيته فى هذه المقايضة - فيأمر مساعديه من (الأبالسه) بالتوقف عن إغواء الناس للقيام بقتله (أى قتل الإله) على الصليب . ولهذا لم يبح الإله بنيته فى عملية الفداء هذه ، ونيته بهذه المقايضة أو هذه الكفارة إلا لبولس الرسول - كما رأينا فى النص السابق - وذلك عقب إنتهائه من القيام بعملية الفداء ، وبعد التأكد من نجاحها . ويؤكد بولس الرسول على هذا المعنى أيضا ، وبأن هذا السر لم يذع إلا له فى مواقع شتى من العهد الجديد منها ...

---

[١١٤] " التوحيد والتثليث " فوزى جرجس إلياس (تقديم : الأنبا غريغوريوس ، أسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى) ، مكتبة المحبة . ص ٨٦ .

[(٣) إنه بإعلان عرفني بالسر . كما سبق فكتبت بالإيجاز]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل أفسس {٣} : ٣)

[(٢٦) السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنه الآن قد أظهر لقديسيه]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى أهل كولوسي {١} : ٢٦)

وبديهي أن " الإله " قد أظهر هذا السر لقديسيه على يد بولس الرسول ... وهكذا تمت عملية الفداء بنجاح ... ويسترجع " الإله " سلطة الموت من الشيطان ...!!! ويعود الإله إلى السماء ...

[(١٩) ثم إن الرب بعد ما كلمهم (التلاميذ) ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله (٢٠) وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة]
(الكتاب المقدس : إنجيل مرقس {١٦} : ١٩ - ٢٠)

والمعنى هنا جلس الرب عن يمين الله ... أي جلس الله عن يمين نفسه ... فيجب ألا ننسى أن ... الآب والإبن والروح القدس هم إله واحد . ففي النص رقم (١٩) السابق يكون " الرب " هو الإبن ، و " الله " هو الآب . أما " الرب " في النص رقم (٢٠) فهو " الروح القدس " أي (الله) أيضا . وهذا يعني أن الآب (الله) والإبن (الله) قد تركا الروح القدس (الله أيضا) ليعمل مع التلاميذ على الأرض ...!!!

وهكذا تنتهي " قصة الفداء والصلب في العقيدة المسيحية " ...!!! ولكن مازال سيناريو الأحداث بين " الله " و " الشيطان " مستمرا ، والحرب مازالت قائمة ...!!!

ويقول أئمة فكر العقيدة ... وهكذا

" ... أبطل المسيح حكم الموت الصادر من قبل الله على الجميع (آدم ونسله) ، وهو الحكم الذي أخذه أبليس (الشيطان) على الجميع أجرة لخطيئة آدم [١١٥] "

ونلاحظ هنا أن فكر الائمة يستخدم كلمة " **أجرة لخطيئة آدم** " ، أي بهذا المعنى يكون " الله " قد اجر الشيطان (أي كافأه) لقيامه بإغواء أدم وجعله يعصيه ...!!! ثم عاد واستعاد منه هذه الأجرة بعد ذلك ...!!!

---

[١١٥] " يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته " د. هاني رزق ، مكتبه المحبه . الطبعة الثانية ، ص ٢٠٣ .

كما يجب ملاحظة ، أن حكم الموت الصادر مـن اللـه علـى الجميـع كـان بموجـب القـانون الأول والثانى الذى إستنهما الإله بنفسه والسابق ذكرهما وهمـا : الخطيئـة عقوبتهـا المـوت ؛ والخطيئـة تنتقل من ادم إلى ذريته ، ولا تسقط بالتقادم (راجع بند ١ السابق) . كما وإن حكم الموت الذى أخذه الشيطان من الله ، كان بموجب القانون الإلهى الثالث السابق ذكره وهو : فى حالة خطأ ادم تنتقل سلطة الموت تلقائيا من الله إلى الشيطان ، أو كما يقول أئمة الديانة المسيحية : **عندما أخطأ الإنسان أعطى الله الشيطان أجرته على هذا الخطأ** ، وهو حكم الموت علـى الإنسـان [١١٦] (راجع أيضا بند ١ السابق) . ويوضح لنا هذا المعنى أيضا الأسقف استانلى شوبيرج رئيس كنيسة السويد [١١٧] ، فيقول ...

" عندما أراد يسوع (أى الإله المتجسد) أن ينقذ النوع البشـرى (مـن الشـيطان) وأراد أن أن يظهر له الحب ، مات ، لأنه تحمل عقوبـة المـوت ، ولكـن المشـكلة أن الشـيطان كـان هنـالك ، كملك للموت ، وكانت أبواب مملكة الجحيم تحت سيطرته ، لذلـك كـان يتعين علـى يسـوع أن يموت ، لا لمجرد أن يعانى سكرات الموت ، ولا لكى يهزمه الشيطان ، ولكن لكى يقتحم أبـواب مملكة الجحيم ، لكى ينفذ إلى الشيطان من خلالها ... لكـى ينفـذ إلـى الشـيطان ، وليهـزم هـذا الذى يطاردنا ، ولكـى ينتزع القوة من بين يديه (أى من بين يدى الشيطان) " .

[**ثامنا**] وبديهى تبقى هناك ثغرة فى إسترجاع هذه السلطة ، لأننا ما زلنا نرى الإنسان يموت ، ولكن يمكن أن يحل هذا التناقض بقول أئمة العقيدة [١١٨] بأن :

" المسيح (أى الإله المتجسد) قد خلص الإنسان من <u>الموت الروحى والموت الأدبى</u> ، <u>فـالموت الجسدى لم يعد موتا بالحقيقة</u> " .

أى أن الإنسان حى من الناحية الأدبية . وليس هذا كل ما يواجه هذا الفكـر مـن صعوبـات ، فمـا زال هناك بعض الخلافات قائمة إلى الان ، فى الفكر المسيحى ، حـول بـدء سـريان مفعـول هـذا

---

١١٦ وهذا الفكر يحوى أيضا " فكر الرهان " . فمن منظور اخر ، يمكن أن يقال أن " الله " قد " تراهن مع " الشـيطان " على إغواء الإنسان . فإن إستطاع الشيطان إغواء الإنسان فإن له الحق فى أن يميتـه ، أو أن للشيطان الحـق فـى أن يمتلك الإنسان . وقد خسر " الله " الرهان فعلا ، وبذلك كان عليه أن يستعيد سـلطته علـى الإنسـان مـرة أخـرى . وقـد إستعاد الله سلطته ـ كما رأينا ـ بقيامه بعملية خداع كبرى للشيطان . بأن تركه يقوم بإغواء الناس بقتله (أى بقتـل اللـه) ثم إعتبر " الله " هذا مبررا كافيا لإسترجاع سلطتة من الشيطان . وبسبب هذه الخديعة ؛ قال الشيطان لله ـ كما رأينا ـ لو أعلمتنى بنيتك هذه ، أى بإعتبار قتلك سببا كافيا لإسترجاع سلطتك منى ، ما كنت أغويـت النـاس علـى قتلك ؟؟؟...

١١٧ أنظر " مناظرتان فى استوكهولم بيـن أحمـد ديـدات واسـتانلى شـوبيرج " الناشـر : دار الفضيلـة ، ترجمـة علـى الجوهرى ، ص : ١٢٤ .

١١٨ " سنوات مع أسئلة الناس ــ الجزء الثانى " البابا شنوده الثالث . ص ٣٠/٢٩ .

الفداء ...!!! بمعنى هل إستطاع الإله إسترجاع سلطة الموت بأثر رجعى ؟ أى هل أصبح للإله الحق فى أن يحيى من مات من البشر قبل تقديم الفداء ...؟؟ أم أن الأمر إقتصر فقط على من يموت بعد تقديم الفداء ..!!! حيث لم يستطع الإله إلا إخراج بعض الأنبياء والقديسين فقط من الجحيم عقب موته على الصليب ...!!! **وبعد أن نزل هو شخصيا بنفسه إليه (أى إلى الجحيم) ليخرجهم منه ...!!!** وذلك على النحو السابق شرحه .

وهنا يجب أن أشير إلى أن " مشكلة فداء البشر قبل حادث الصلب " على وجه مطلق ، إنما تعنى - ضمنيا - أن جميع الناس قبل حادث الصلب كانوا **سيقبلون السيد المسيح فاديا ومخلصا لهم بدون إستثناء** ، لأن **قبول هذا الشرط** هو أساس التمتع بالخلاص المسيحى . وطالما إن هذا الإجماع لا يحدث الان نظرا لتعدد الأديان ، فبديهى إن هذا الإجماع - بالقياس - ما كان ليحدث سابقا ، حيث لا يمكن الجزم بأن كل من جاء من البشر قبل عملية الفداء كان سيقبل السيد المسيح فاديا ومخلصا . وهكذا تظل هذه المشكلة قائمة بلا حل .

****

وأكاد أرى الشيطان - الان - وهو يقف مشدوها وباد البلاهه لهذا السيناريو الذى يراه ...!! وهو لا يكاد يصدق نفسه لما يدور حوله من أحداث .... كما لا يجد تبريرا أو تفسيرا معقولا لما يقوم به هذا " الإله " من تصرفات ...!!!

- فقد قال له " الإله " إن الإنسان - الذى خلقته - قد عصانى وأخطأ (ولا يعنينا الان من كان وراء خطيئته) ، ولك الحق الان فى أن تميته ...!!! ولتأخذ سلطة الموت منى ...!!!
- ويتعجب الشيطان ...!!! ويقف ليحك رأسه ويتساءل ... لماذا يعطيه " الإله " سلطة الموت على الإنسان بدون سبب وجيه يدعوه لهذا ...؟؟؟!!! ولكنه يجد من يقول له ، من بعيد ، إن عدله قد إقتضى هذا لأن الإنسان قد عصى الإله ... !!! ويتحير جوابا ... فليس ثمة علاقة بين " عدل الإله " والذى يمكن أن يتمثل فى عقاب من عصاه ، وبين أن يعطيه " الإله " سلطة لا علاقة له بها ... !!! ولكن – يتمتم الشيطان قائلا – حسنا ... ساخذ هذه السلطة ... طالما أن " الإله " يريد هذا ، ثم يزداد الشيطان تعجبا وحيرة ...!!
- حين يرى " الإله " يقوم بالتجسد فى رحم بشرى ....!!!
- ثم يرى " الإله " يولد من هذا الرحم البشرى ... وينمو ويترعرع ... وتقطع له غرلته وهو فى سن ثمانية أيام أرضية ... ويتبول ويتبرز ... على كوكب الأرض ... !!! ثم تزداد حيرة الشيطان ...
- حين يسمح " الإله " للإنسان بأن يقوم بتغذيته وتربيته وهو على هذا النحو المحدود ...!!!

ثم يسمح " الإله " للشيطان بالقيام بإغوانه وإختباره على مدى أربعين يوما كاملة ...!!!
ثم يسمح " الإله " للإنسان بأن يقوم بتعذيبه وهو على هذا النحو ...!!! حيث يقوم الإنسان بالبصق على " الإله " ... ويقوم الإنسان بلطم " الإله " ... ويقوم الإنسان بجلد " الإله " ... ويقوم الإنسان بضرب " الإله " ... ثم أخيرا يقوم الإنسان بصلب " الإله " ...!!!
ثم تصل المأساة إلى ذروتها ، حين يسمح " الإله " للإنسان بأن يقوم بقتله وهو على الصليب ...!!! ويصل تعجب الشيطان إلى الذروة
حين يقول له " الإله " ؛ لقد فعلت هذا **لأقدم نفسى قربانا لنفسى** فى مقابل خطيئة الإنسان وقيامه بمعصيتى ...!!! ويتأكد هذا المعنى بالنص المقدس :

[(٢٠) وأن يصالح به الكل (الله) لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه ...]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى {١} : ٢٠)

و " **الكل** " تعنى " الله " (فى جميع التفاسير المسيحية) ؛ وهكذا صالح الله نفسه ... بأن **جعل الإنسان يقتله ... لأن الإنسان قد عصاه ...!!!** (وهذا يعنى أن الإله لم يرض عن ادم لعصيانه له ، فجعله ـ أى جعل أدم ـ يقوم بقتله حتى يرض عنه . ولا أدرى إن كانت هذه صياغة عاقلة ، أم لا ؟!) . ثم يستطرد " الإله " قائلا للشيطان ... وبما أنى قد **قبلت نفسى قربانا لنفسى ...!!!** إذن فقد أصبح من حقى الان أن أسترجع منك سلطة الموت التى سلبتها منى ، وهى السلطة التى كنت قد أنتزعتها منى بموجب قوانينى السابقة ...!!!
ويعجب الشيطان ويتساءل ... ولم كل هذا ...؟؟! ألم يكن فى وسع هذا " الإله " ـ **بدلا من كل هذه المعاناة الذى سببها لنفسه** ـ أن يترك ادم عقب خطيئته (بأكلة من شجرة المعرفة) مباشرة ، أن يتركه يأكل من شجرة الحياة أيضا ليحيا إلى الأبد ، بدلا من إبعاده عنها ، وقيامة بحراسة الطريق المؤدى إليها بملائكة الكاروبيم ... وبهذا أتاح الفرصة له (أى للشيطان) أن يسلبة سلطة الموت على الإنسان ...!!!
ويزداد تعجب الشيطان ويتساءل ... ولما كل هذا أيضا ...؟؟! ألم يكن فى وسع هذا " الإله " ـ **بدلا من كل هذه المعاناة التى سببها لنفسه** ـ أن يعفو عن هذا الإنسان الخاطىء **من قبل** ، وهو نفس الإله ، الذى فى أثناء تواجده على الأرض ـ **من بعد** ـ يغفر للرجل المفلوج (أى المشلول) ويقول له :

[(٥) ... يا بنى مغفورة لك خطاياك]
(الكتاب المقدس : مرقص {٢} : ٥)

وهو كذلك ـ نفس الإله ـ الذى يغفر للمرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى خطاياها ، ويقول لها

[(٤٨) .... مغفورة لك خطاياك]

(الكتاب المقدس : لوقا {٧} : ٤٨)

وليس هذا فحسب ، بل ـ هو نفس الإله ـ الذى يخلص المرأة الزانية من الرجم ويقول لها :

[(١٢) ... أما دانك أحد (١١) فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع (أى الإله المتجسد) **ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضا]**

(الكتاب المقدس : يوحنا {٨} : ١٫١ – ١٢)

أليس " إله العهد الجديد " هو ... هو " إله العهد القديم " ... ؟؟ أليس " إله العهد الجديد " هو الذى قام ببساطة شديدة بالعفو عن الناس ، وقام ببساطة شديدة بمغفرة جميع خطايا الناس ، وقام ببساطة شديدة بتخليص الناس ... كما رأينا ولم يقيد نفسه بما سن من قوانين .... !!! ***وليس هذا فحسب ، بل يتجاوز كل هذه الحدود ، ويعطى سلطة مغفرة خطايا الناس لتلاميذه أيضا :***

[من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (٢٤)]

(الكتاب المقدس : يوحنا {٢٠} : ٢٤)

ثم نرى نفس هذا الإله " فى العهد القديم " يقف أمام خطيئة ادم [١١٩] ، وبديهى ادم ، ناس أيضا ...!! وتعييه الحيلة ويغلبه العجز ... فلا يستطيع أن يعفو عن ادم ... ولا يستطيع أن يغفر لادم ... ولا يستطيع أن يجد خلاصا لادم ... إلا أن يأتى فى العهد الجديد ـ أى فى نفس العهد الذى كان يعفو فيه عن الناس ، ويغفر فيه هو وتلاميذه خطايا الناس ـ ليقوم (أى الإله) ... بتعذيب

---

١١٩ **يجدر الإشارة هنا إلى أن خطيئة** " آدم " كانت هى الأكل من شجرة المعرفة ــ كما سبق ذكره ؛ أنظر ص : ٣٤٠/٣٣٩ ــ وبهذا أصبح " آدم " (وبالتالى الإنسان) عارفا للخير والشر شأنه فى هذا شأن الإله ، كما يقول بهذا الكتاب المقدس . **وبديهى أن خطأ كهذا ما كان ليحتسب على** " آدم " . لأن " آدم " وقت عصيانه " للإله " لم يكن يعرف أن الأكل من شجرة المعرفة سوف ينتج عنه " شرا " ، وهو الشئ الذى لم يعرفه " آدم " إلا بعد أن أكل من الشجرة فعلا ، وبذلك أصبح عارفا له أى عارفا للشر . أو بمعنى اخر أن " **آدم أصبح عارفا للشر والخير بعد أن إقترف الشر (بمعصية الإله)** " . **وهو ما يعنى أن آدم قد إقترف الخطأ وهو لا يعلم ، لأن " الله " لم يؤهله بهذه المعرفة إلا بعد أن عصاه** . بينما نجد أن خطايا الإنسان فى العهد الجديد تشمل جميع أنواع المعاصى الممكنة ، ومنها الزنى وخلافة ، وكلها حدثت بعد أن **عرف الإنسان معنى الخير والشر** ؛ وهو ما يفيد بأن الإنسان ـ **فى العهد الجديد** ـ كان يرتكب المعصية وهو متعمدا لفعلها ؛ ومع ذلك نجد " الإله " يعفو عن الإنسان (العامد المتعمد لفعل الخطايا) ، بينما لا يعفو ـ الإله ـ عن " آدم " الذى لم يكن يعرف ـ أصلا ـ أنه يفعل خطيئة ما ، أو شر ما . **وبديهى يوجد فى هذا تناقض واضح** . كما ينبغى أن أؤكد على أن " **الخطيئة أو الشر** " إنما تعنى " **عصيان الأمر الصادر من الله** " . فالزنا مثلا هو خطيئة وشر ، وقد نهى عنه الله فى " **الوصايا العشر** " ، وبذلك عندما يقترفه الإنسان ، فإنما يعنى هذا أن الإنسان " يعصى الأمر الصادر من الله " .

نفسه ... ثم بصلب نفسه ... ثم بقتل نفسه .. على يد الناس ... ويقدم نفسه ... قربانا لنفسه ... حتى يستطيع أن يجد خلاصا لادم ...!!! أو أن يعفو عن خطيئة ادم التى إرتكبها ...!!!

*وليمرح الإنسان بفكره هذا ، أو بجنونه هذا إن صح التعبير ...!!! الذى إستطاع أن يفعل كل هذا بـ " الإله " ...!!! وليسعد الإنسان بهذا الإله ... **وعلى الإنسان ألا ينسى وهو فى صلاته ، أن يتذكر دائما ... وأن يردد دائما** ... لقد خلقنى الإله ... فعصيت الإله ... فحرمنى الإله ... من الحياة ... ولم يتركنى الإله ... أن اكل من شجرة الحياة ... بل حال بينى وبين شجرة الحياة ... وقام بحراسة الطريق المؤدى إلى شجرة الحياة ... فبصقت على الإله ... ولكمت الإله ... ولطمت الإله ... وجلدت الإله ... ثم صلبت الإله ... ونكلت بالإله ... وقتلت الإله ... ثم قدمت الإله ... قربانا للإله ...!!! ... فأعاد الإله ... إلى الحياة ...!!!*
وليس فى هذا أى تجاوز لفظى أو تجن فى معانى هذه الصياغة ... وإن كان هناك من يحتج ... فيمكن أن يضيف إليها ... وما فعلت كل هذا ... إلا بإرادة الإله ...!!! فهل وعى الإنسان ماذا يقول ..؟؟!!! وهل وعى الإنسان ماذا يعبد ..؟؟!!!

٤. ٢. ٢. ومزيد من الفكر الوثنى عن " الإله "

وتأكيدا لمعنى فكرة الفداء فى الكتاب المقدس ، ولتعميقها لدى الإنسان ، فقد قام الإله بتسمية نفسه بـ " **حمل الله** " أثناء تواجده على كوكب الأرض ، أى عندما كان على هذه الصورة البشرية ، كما جاء ذلك فى الكتاب المقدس ...

[(٢٩) ... نظر يوحنا يسوع (أى الإله المتجسد) **مقبلا عليه فقال هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم]** (الكتاب المقدس : يوحنا {١} : ٢٩)

ولم يكتف " الإله " بهذا السيناريو من الأحداث ، بل قام بإختيار أحد القديسين (هو القديس يوحنا الرائى أو يوحنا اللاهوتى) ليريه طبيعته وماهيته الإلهية ، وهو فى مجده ، وجها لوجه مع الإنسان ... لا وحيا (يحتمل خطأ التبليغ) ... بل بالرؤية المباشره للإله ...!!! حيث يقول يوحنا الرائى فى أول سفره ...

[(١) إعلان يسوع المسيح الذى أعطاه إياه الله ليرى عبيده مالابد أن يكون عن قريب وبينه مرسلا بيد ملاكه لعبده يوحنا (٢) الذى شهد بكلمة الله وبشهادة يسوع المسيح بكل ما رآه]
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {١} : ١ - ٢)

ويرى القديس (يوحنا اللاهوتى) ، كل ما يدور فى السماء ويقص على البشرية ما رأى . فقد رأى ذلك القديس ... هيكل الإله ... ورأى عرش الإله .... ورأى الإله نفسه ...!!! ولكن ما هى طبيعة ذلك الإله ...!!! يقول لنا القديس " يوحنا الرائى أن " الإله " ـ له المجد ـ عبارة عن :

[(٥) ... خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٥} : ٦)

ويستفيض " القديس يوحنا اللاهوتى " فى وصف الإله ، وفى وصف عرش الإله ، وفى وصف هيكل الإله ... وفى وصف الأحداث الجسام التى رآها ... حتى كاد الأمر أن يلتبس على الإنسان المنصت له ... !!! فيلجأ الإنسان إلى البرهان الرياضى فى هذا الشأن ، حتى لا تضيع منه الحقائق ، ويخطئ معه الحساب . ففى خطوات رياضية محكمة ، لا يخطنها كل ذى خبرة ، ينتهى الإنسان من رؤية يوحنا اللاهوتى بأن : [" الإله " هو " خروف "] بما لا يدع مجالا لأى شك . حيث يأتى البرهان الرياضى المحكم على هذا كالنحو التالى بعد[١٢٠] :

- بما أن الخروف له روح الله . (رؤ ٥ : ٦)
- وبما أن الخروف يلازم الإله الجالس على العرش . (رؤ ٥ : ١٣)
- وبما أن الخروف والله فى عرش واحد هو عرش الإله الواحد . (رؤ ٧ : ٩ - ١٠)
- وبما أن الخروف والله هيكل واحد هو هيكل الإله الواحد . (رؤ ٢١ : ٢٢)
- إذن الخروف هو الرب الإله . (رؤ ٢٠ : ٢٢)

وبذلك ينتهى الإنسان " بما لايدع مجالا لأى شك ـ من هذا البرهان العلمى الشائك ـ بأن " الإله " ... هو خروف ، أو تحديدا هو :

[... خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين ...]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٥} : ٦)

ويهنىء الإنسان نفسه على هذا البرهان المعقد ، فلولا تقدم الإنسان فى المنطق الرياضى ما إستطاع أن يصل إلى مثل هذا البرهان . ولهذا يقول عنه (أى عن هذا البرهان) الإنبا

[١٢٠] " يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته " د. هانى رزق ، مكتبه المحبه . الطبعة الثانية ، ص ٢١٢ . وسنعود إلى تفصيل هذا البرهان فى فقرة تالية (فقرة ٤. ٢. ٥.) .

غرغوريوس ، أسقف البحث العلمى والدراسات العليا (فى الكرازة المرقسية) ؛ هو تحليل علمى معاصر لصفات يسوع المسيح وماهيته الإلهية ، يكشف عن حقائق العقيدة المسيحية فى تسلسل موضوعى ، ووضوح منطقى ، ويقين ثابت ...!!!

وهذا هو طبيعة البرهان العلمى فى الفكر المسيحى ...!!! وهذا هو حال الكمالات الإلهية ، والإستعلاء الإلهى الذى يقول به هذا الفكر ...!!! فـ " الإله " عبارة عن ... [... **خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين** ...] فهذه هى بعض من الكمالات الإلهية فى الفكر المسيحى عن الإله ....!!!

ثم تبقى كلمة أخيرة لابد لنا من ذكرها ، حتى لا يخطىء الظن ، أو قد يتصور البعض أن هناك تناقضا فكريا ما قد جاء فى نصوص الكتاب المقدس . وحتى لا يكون هناك شبهة إستعلاء للصفات الإنسانية فوق الصفات الإلهية . فعندما كان " **الإله** " متجسدا فى الصورة البشرية على الأرض (أى فى صورة يسوع البشرى) ، نجده يقول فى النص المقدس الحقيقة العلمية التالية :

[(١٢) فالإنسان كم هو أفضل من الخروف]
(الكتاب المقدس : إنجيل متى {١٢} : ١٢)

وبهذا يقرر " **الإله** " بتفوق " **صفات الإنسان** " على " **صفات الخروف** " . **وبما أن** ... الإله قد أخذ صورة " الخروف " ... **إذن** ... فكيف يكون الإنسان متفوقا فى الصفات على " الإله " ؟! وبديهى لحل هذا التناقض يمكن أن نقول ...!!! بإن الإله لم يكن يعنى بهذا النص السابق إلا الخروف الأرضى ، أى الخروف المألوف لدينا فى هذه الحياة اليومية على كوكب الأرض . أما صورة الخروف التى أخذها هو شخصيا ، وكما رآها القديس يوحنا الرائى وأخبرنا بها من خلال النصوص المقدسة السابقة ، فهى صورة جد مختلفة عن الخروف الأرضى ...!!! فهى تحديدا : [... **خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين** ...] . وبديهى أن خروف كهذا لابد وأن يكون مختلف فى الصفات والخواص عن الخروف الأرضى الذى نألفه ...!!! . وبهذا **التفسير** يمكن أن نكون أنهينا أى مقوله حول وجود أى تناقض فكرى فى الكتاب المقدس ، والذى يمكن أن يحمل معنى تفوق " الصفات البشرية " على " الصفات الإلهية " . وذلك لسبب بسيط جدا ، كما سبق وأن رأينا ، هو إختلاف صور الخروف فى الحالتين على النحو السابق ذكره ...!!!

ولنا أن نقف موقف صدق مع أنفسنا الآن ونتساءل ...!!!

- أكان ينبغى أن نقول كل هذا للإنسان حتى يعى بماذا يؤمن ؟ وماذا يعبد ؟
- أكان ينبغى أن نقول كل هذا للإنسان حتى يفيق من غيبوبته ؟ ويتنبه إلى أنه يتجه بعبادته هذه إلى الأوثان . متفقين فى ذلك مع الأنبا يوأنس [١٢١] الذى يقول :

" لا يقصد بعبادة الأوثان ، من يعبدون الأصنام . بل كل من يتجه بالعبادة إلى غير الله وحده ، فيكون عابد للأوثان " . أوعى الإنسان ما يقول ...!!! وإن لم تكن هذه أوثانا ، فما هى الأوثان إذن ...؟؟!!!

- أكان ينبغى أن نقول كل هذا للإنسان حتى يرى نفسه ، إنسان القرن الواحد والعشرين فى أى طريق يسير ؟ وفى أى معبد يقف ..؟؟ وفى أى إله يعتقد ..؟؟ وهل يعى الإنسان ماذا يقول عن هذا الإله ، وماذا يفعل بهذا الإله ...؟؟!!
- أكان ينبغى أن نقول كل هذا للإنسان ، حتى يتنبه إلى أين ينتهى به هذا الطريق ؟
- أكان ينبغى أن نقول كل هذا للإنسان حتى يدرك أنه الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، وليس أحد سواه ... نظير إهداره لعقله على هذا النحو المتردى ...!!؟؟

وهكذا ظلم الإنسان نفسه بعبادة الأوثان ...

[... وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (٢٢٧)]

(القران المجيد : الشعراء (٢٦) : ٢٢٧)

ولا أملك إلا قوله تعالى :

[أرأيت من إتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)]

(القران المجيد : الفرقان (٢٥) : ٤٣ - ٤٤)

فهذا هو الحكم الإلهى لمن يقبل - من البشر - أن يلغى عقله إلى هذا الحد .... إنه أقل درجة من الأنعام ... وبهذه الآيات يلقى الله - سبحانه وتعالى - الضوء على الجانب النفسى لسلوك الإنسان ، لعله يتنبه الى حقيقة إعتقاده وحقيقة تدينه ... أو لعله يعى هذا ... ويتدارك موقفه قبل فوات الأوان ...!!! ولن أنبه **الائمة والأتباع** ؛ إلا بقوله تعالى :

---

[١٢١] " السماء " لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، مطبعة الأنبا رويس . الطبعة الخامسة ؛ صفحة ١٨٠ .

[... ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ - ١٦٧)

[وتقطعت بهم الأسباب : أى لن يقبل منهم أى أعذار أو أى تبرير لأسباب ضلالهم / حسرات : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

فهل وعى الإنسان " ... **وتقطعت بهم الأسباب** " ، وهل وعى الإنسان " ... **كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** " لأنهم لم يحققوا الغايات من خلقهم . ولا تكفى صفحات هذا الكتاب لشرح هذين النصين فقط ، إذا ما علمنا أنه يوجد فى خلفية هذه النصوص قوانين فيزيائية متعالية يجب أن يحققها الإنسان حتى يدخل الجنة ... فهذا هو المنطق الإلهى ... وهل يوجد منطق فكرى وإحاطة علمية أبعد من هذا ...؟؟!!!!

٤. ٢. ٣. " الخلاص الإنسانى " فى الفكر المسيحى

ويعد " الإله " الإنسان بالخلاص ، أو بمعنى أدق يعد " الإله " أن من يؤمن ، من مخلوقاته البشرية ، بحكمته المتعالية السابق ذكرها ...!!! وبكمالاته الإلهية المذكورة ، وبشكله الإلهى النهائى كـ " خروف " ...!!! فإن الجنة الأزلية هى الجزاء العادل لهذا الإيمان . ولكن ما هو الجزاء العادل لهذا الإيمان وما هى الجنة الأزلية التى وعد بها " الإله " الإنسان وأقصى درجاتها العليا ؟

يقول الكتاب المقدس بأن الجزاء العادل لهذا الإيمان هو - ببساطة شديدة - يتلخص فى قيام الصالحين من بنى البشر بخدمة الخروف ليلا ونهارا فى هيكله ، وهذا الهيكل موجود فى مدينة الله ، أو مدينة أورشليم السمائية [١٢٢] ، وبذلك يضمن الإنسان أنه لن يجوع ... ولن يعطش ...

[١٢٢] مدينة الله أو أورشليم السمائية : هى المدينة التى سوف يسكن فيها الله مع شعبه المختار من بنى إسرائيل ... كما يقول بذلك النص المقدس ..

[(١٠) وذهب بى بالروح إلى جبل عظيم عال وأرانى المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله (١١) لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بللورى (١٢) وكان لها سور عظيم وعال وكان لها اثنا عشر بابا وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكا وأسماء مكتوبة هى أسماء أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٢١} : ١٠ - ١٢)

ولن تقع عليه شمس .... !!! فهذا هو الخلاص كما يصفـه الكتـاب المقدس ...!!! ويالـه مـن خلاص هذا ... !!! فمن أجل الصالحين من البشر ...

[(١٥) من أجل ذلك هم أمام عرش اللـه ويخدمونـه ليلا ونهـارا فى هيكلـه والجـالس علـى العرش يحل فوقهم (١٦) لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم شمس ولا شىء مـن الحر (١٧) لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع مـاء حيـة ويمسـح الله كل دمعة من عيونهم]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ٧ : ١٥ - ١٧)

وليس هذا فحسب ، بل أن القديسين والصالحين من مختلف الشعوب والألسنة ، لهم مكانه أخـرى متميزة عند " الإله " ، حيث يراهم القديس يوحنا اللاهوتى على هذا الوضـع المتميز فيصـف مـا يراه بقوله ، على لسان الوحى ...

ومدينة " الله " هذه هى مدينة مكعبة متساوية الأبعاد ، أى أن طولها مثـل عرضهـا مثـل إرتفاعهـا (رؤ ٢١ : ١٦) . وطول الضلع فيها ٢٤٠٠ كيلومتر . أى أن مساحتها (٢٤٠٠ × ٢٤٠٠) أى تساوى ٥,٧٦٠,٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهى مساحة تساوى حوالى ٦٢ ٪ من مساحة الولايات المتحدة (التى تبلغ ٩,١٦٦,٦٠٠ كيلومـتر مربـع لخمسين ولاية فقط) ؛ وحوالى ربع مساحة الإتحاد السوفيتى . هذا وقد حضر القديس يوحنا اللاهوتى ـ بنفسه ـ قياس هذه أبعاد المدينة فيقول ...

[(١٥) والذى كان يتكلم معى كان معه قصبة من ذهب لكى يقيس المدينة وأبوابهـا وسورها (١٦) والمدينـة كـانت موضوعة مربعة طولها بقدر العـرض . فقـاس المدينـة بالقصبـة مسـافة اثنـى عشـر ألـف غلـوة . الطـول والعرض والإرتفاع متساوية] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٢١} : ١٥ - ١٦) **"والغلوة = ٢١٠ مترا "** .

والمدينة كلها من الذهب الخالص ـ ولها أربعة أسوار ، وإثنا عشر بابا (ثلاثة من كل جهة) . مكتـوب علـى أبوابهـا الإثنى عشر أسماء أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر (لاحظ أن من بينهم رأوبين الزانى مع زوجة أبيه وأم أخويـه دان ونفتالى ، ومنهم القاتل ، ومنهم الظالم ، ومنهم الحمار التافه ... راجع فقرة ٢. ٥. من نفس هذا الفصل) . أما أسماء **رسل الخروف** (أى رسل الله ؛ مثل موسى وداود وسليمان ...) فهى مكتوبة على أساسات سور المدينة ، أى بجوار الأرض (رؤ ٢١ : ١٢ ، ١٤) ، فبنى إسرائيل أرفع مكانة من الرسل ... أقصد رسـل الخـروف ...!!! وأساسـات المدينة من الأحجار الكريمة مثل اليشب والعقيق والزمرد والجزع والزبرجد .

ولكن لماذا كل هذه الأسوار الشاهقة الضخمة ؟ والجواب هو من كلمة الله : **" ولن يدخلها شىء دنس ولا مـا يصنـع رجسا وكذبا إلا المكتوبين فى سفر حياة الخروف "** (رؤيا ٢١ : ٢٧) . فالأسوار ـ إذن ـ شاهقة لكى تمنع كل دنـس ، وذلك تحسبا من أن يقفز أحد العصاة ـ الذين يصنعون الرجس والكذب ـ من فوق أسـوار المدينـة مـن الخـارج ... وذلك إذا ما كانت غير شاهقة بقدر كاف ...!!! وكما رأينا فى النص السابق ، لقد تم وضع على كل باب مـن أبـواب المدينة ملاك ، وهذا بديهى ليمنع دخول الممنوعين خلسة إلى داخل هذه المدينة .

كما يجدر الإشارة هنا إلى أن مدينة أورشليم السمائية هى جنة الخلد ، وليست الفردوس . فالفردوس هو منطقة إنتظـار الأبرار (بعد موتهم) ، لحين إنتهاء الإله من معركته مع الشيطان ، كما سبق وأن ذكرنا . ومكان الفردوس هـو جنـة عدن . وبعد إنتصار الله على الشيطان ، سوف ينتقل الأبرار مع الله ليعيشوا فى مدينة أورشليم السمائية . راجـع فقـرة ٢. ٥. كذلك من نفس الفصل . [أنظر كذلك ... " السماء " لمثلث الرحمـات نيافـة الأنبا يوأنـس ، ص ٦٠ / ٦٨ . مطبعة الأنبا رويس] .

[(٩) وبعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل (١٠) وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف [١٢٣]]
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ٧ : ٩ - ١٠)

وهكذا يمضى الإنسان ... ذلك الكائن ... التائه الضال ... إلى الأزل ... على هذا النحو ... وعلى هذا الحال من السخرة فى خدمة الخروف ليلا ونهارا ...!!! ومن الصراخ بصوت عظيم قائلا : [... **الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف**] ...!!!

وليس هذا فحسب ... بل يخبرنا القديس يوحنا الرائى أيضا ... بأن على الأبرار البرره الإبتهاج والتهلل والفرح ... لأنهم سوف يحضرون حفلة عشاء عرس الخروف (أى عرس الإله) ...!!! وأن إمرأته قد هيأت له نفسها ...!!!

[(٧) لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها (٨) وأعطيت أن تلبس بزا نقيا بهيا لأن البز هو تبررات القديسين (٩) وقال لى [١٢٤] اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف . وقال هى أقوال الله الصادقة]
(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٩ : ٧ - ٩)

وليهوى الإنسان إلى الحضيض الفكرى ...!!! وليهوى الإنسان إلى قاع الجحيم جزاءا وفاقا ، وجزاء عادلا لإهدار عقله على هذا النحو المتردى ... العقل الذى أودعه " الله " فيه وميزه عن الحيوان ليعقل ويتعقل به ... ثم يحقق الغايات من خلقه ... وهو لم يفعل ...!!!

وأكرر التذكير بقوله تعالى :

[أرأيت من إتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)]
(القران المجيد : الفرقان (٢٥) : ٤٣ - ٤٤)

---

[١٢٣] نلاحظ هنا أن الإنسان مازال يدعو للإله (أو يستحثه) للخلاص من الشيطان . وهذا يتناقض ما سبق ذكره فى بند ٤. ٢. ١. فقرة ٥ ، والذى يقرر فيه أن الكتاب المقدس بأن " الله " قد أرسل الملاك ميخائيل لهزيمة الشيطان والملائكة الذين معه فى نهاية أيام الدنيا ، وقد هزمهم فعلا الملاك ميخائيل ، وبذلك إستطاع أن يخلص " الله " من الشيطان . فكيف يتثنى فى هذا النص أن القديسين مازالوا يدعون للإله بالخلاص من الشيطان ...!!!
[١٢٤] أى الملاك المصاحب للقديس يوحنا الرائى .

فهذا هو الحكم الإلهى لمن يقبل - من البشر - أن يلغى عقله إلى هذا الحد .... إنه أقل درجة من الأنعام ... وبهذه الايات يلقى الله – سبحانه وتعالى – الضوء على الجانب النفسى لسلوك الإنسان ، لعله يتنبه الى حقيقة إعتقاده وحقيقة تدينه ... أو لعله يعى هذا ... ويتدارك موقفه قبل فوات الأوان ...!!! وليتحقق فيه قول الله تعالى فى محكم أياته :

[سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل ءاية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلين (١٤٦)]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٤٦)

فهل وعى الإنسان ... (**... وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا** ...) . أليس فى هذا إشارة إلى سلوك ذلك الإنسان الذى يلغى عقله تماما أمام اليقين الكامل ، ويرفض الإستماع إلى كل حق ، ويتمسك بكل باطل . وبديهى إن إلغاء العقل لن يجدى معه أى نصيحة ، ولن ينفع معه أى منطق ...!!!

وكثيرا ما كان هذا يحزن محمدا (ﷺ) على هؤلاء القوم المغيبين عقليا ، كما فى قوله تعالى :

[فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦)]

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ٦)

[باخع نفسك : قاتل ومهلك نفسك من الغم / هذا الحديث : أى القران المجيد]

فينبهه الله - عز وجل - بقوله تعالى :

[أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون (٨)] .

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٨)

أى فلا تغتم يا محمد على هؤلاء القوم المغيّبين عقليا . لأن الله - سبحانه وتعالى - يعلم أنه لا جدوى معهم ، ولن ينفع معهم أى نصح مع ما هم فيه من ضلال . فلو كان هناك أدنى أمل فى إستجابتهم لدينه الحق لأسمعهم به ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)]

(القران المجيد : الأنفال {٨} : ٢٣)

وينتهي - سبحانه وتعالى - إلى الجزاء العادل والطبيعي فى الاخرة لهـذا الإنسان الـذى لـم يحقـق الغايات التى خلق من أجلها ...

[ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (٧٠) وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١) قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٢)]

(القران المجيد : الزمر {٣٩} : ٧٠ - ٧٢)

فهل وعى إنسان الحضـارات كـل مـا قيـل ...!!! أم أن جهلـه ... وجهـل الحضـارات معـه ... تحول دون إدراكه لذلك ...!!!

٤. ٢. ٤. هل مازال تحريف " الكتاب المقدس " مستمرا إلى الآن ... ؟؟!!

وقبل أن نخطو خطوة واحدة بعد هذا .... يجب أن نشـير هنـا إلـى التحريفـات التـى تحـدث فـى ترجمة الكتاب المقدس أخيرا ... !!! ولنقف وقفة تـأمل قصيرة أمـام مـا يحـدث . ولنـأخذ مثـلا النص السابق الوارد بالكتاب المقدس ، والذى يقول ...

[(١٠) وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ٧ : ١٠)

وهنا نرى أن الناس تصرخ بصوت عظيم طالبه الخلاص للإله العظيم الجالس على العرش وهـو الخروف ...!!! أى أن الناس تستحث الإله للعمل على تخليص نفسه من ربقة الشيطان . ويتـأكد هذا المعنى أيضا ، عندما نعرض نفس هذا النـص السـابق ، كمـا جـاء فـى الكتـاب المقـدس : " **نسخة الملك جيمس** : The Holy Bible . King James Version " وهى من أدق النسخ ، حيث تأتى الترجمة فيها كالنحو التالى :

[(10) And cried with a loud voice, saying salvation to our God which sitteth upon the throne, and Unto the Lamb] (Revelation {6} : 10)

وهو نفس المعنى للترجمة العربية السابقة . ولكن صدر مؤخرا - فى عام ١٩٨٨ - ترجمة جديـدة **للكتاب المقدس** ، كتب عليها " **وقد ترجم بلغة عربية حديثة** " . ، وقد تم طبع أربع طبعـات مـن

هذا الكتاب المقدس حتى الان ، اخرها كان إصدار سنة ١٩٩٤ . وهنا نجد أن هذا النص قد تغير إلى التالى :

[(١٠) وهم يهتفون بصوت عال " الخلاص من عند إلهنا الجالس على العرش ومن عند الحمل !]

(الكتاب المقدس " ترجمة عربية حديثة " : رؤيا يوحنا اللاهوتى ٧ : ١٠)

فكما يبدو إن أئمة الدين قد أصابهم بعض من الحرج ، من مثل هذه النصوص ، فقاموا بالتخفيف من حدة تلك الكلمات المستخدمة فيها حتى يستطيع فرد العقيدة أن يستثيغها ؛ أو أن يبتلعها ...

فكما نرى من مقارنة النصين ، أن أئمة العقيدة قد قاموا باستبدال كلمة " يصرخون : cried " فى النص الأول ... بالمعنى المخفف لها : " يهتفون بصوت عال " كما فى النص الثانى . كما قاموا باستبدال كلمة " خروف " فى النص الأول بكلمة " حمل " [١٢٥] ... فى النص الثانى .

فلا بأس إذن من هذه التعديلات ... ولا مشكلة ...!!! فعلى الرغم من وجود فروق فى المعنيين بين النسخة الأصلية ، والنسخة الحديثة ، بهذه الإستبدالات اللفظية إلا أنه يمكن التجاوز عن هذا الفرق ...!!! ونقول ربما تحريفات قليلة ، ترفع كثيرا من الحرج عن أهل العقيدة ، إن كان هناك حرج ...!!!

ولكن أن يقوم أئمة الديانة باستبدال باقى النص الأول :

[..... الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف]

إلى باقى النص الثانى :

[... الخلاص من عند إلهنا الجالس على العرش ومن عند الحمل] .

فهذا يعنى تغيرا جذريا فى المعنى تماما ، أو بمعنى آخر إنه تحريف صارخ ...!!! فبينما النص الأول يعنى أن الناس تطلب الخلاص للإله أو للخروف على حد سواء (**salvation to our God** كما جاء النص فى نسخة الملك جيمس) ، وهو ما يعنى أن الناس تدعو للإله بالتحرر

---

١٢٥ كلمة " **حمل** " تعنى الصغير من الضأن ، و " **الخروف** " هو الذكر من الضأن والأنثى خروفة . وبذلك ننتهى إلى أن " الإله " هو خروف صغير وليس خروفا كبيرا ، ولا أدرى كيف يكون الخروف صغيرا ، وهو له سبعة قرون وسبع أعين ... راجع الفقرة (٤. ٢. ٢.) . [أنظر " المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية "] .

من ربقة (أى كرب) الشيطان . إلا إننا نجد فى النص الثانى أن الناس هى التى تطلب الخلاص لنفسها ، وليس للإله ، وتقول بأن تحريرهم من ربقة الشيطان ، سوف يأتى من عند الإلـه أو من عند الخروف الصغير ، وهو معنى مغاير تماما للمعنى الأول ...!! وهكذا نجد أئمة الدين يقومون هم بأنفسهم بتحريف الكتاب المقدس ، ثم يصرخون ، فى الفكر الإنسانى المغيب ، بأعلى صوتهم ويقولون :

بـ " إستحالة تحريف الكتاب المقدس "

ولا أدرى عن أى وثنية يدافعون ...؟؟!!

وبديهى إن هذا النص ليس هو النص الوحيد المحرف فى الترجمة العربية الحديثة للكتاب المقدس لسنة ١٩٨٨ ... وحتى سنة ١٩٩٤ . فهناك تحريفات أكثر من أن تحصى ... نذكر منها مثالا اخر فقط لضيق المساحة والوقت أيضا . وهو مثال سبق مناقشتة فى بند (٤. ١. ٩.) . فنجد فى هذا البند ؛ أن " الإله " ينزل من السماء ، ويمتطى الملائكة الصغيرة ، ليطير بها ... وتطير به ... كما جاء فى الكتاب المقدس المترجم عن اللغات الأصلية ... ويأتى هذا العمل على هذا النحو التالى :

[(١٠) طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه (١١) ركب على كروب (cherub) وطار ورئى على أجنحة الريح]

(الكتاب المقدس : صمويل الثانى {٢٢} : ١٠ – ١١)

ففى هذا النص نجد أن " الإله " يركب على كروب واحد ، والكروب أو الكيروب (cherub) هو الملاك الصغير أو ملاك درجة ثانية وهى الملائكة التى يركبها الرب ، وذلك على النحو السابق شرحه فى بند (٤. ١. ٩.) . فإذا ما نظرنا إلى نفس هذا النص فى الكتاب المقدس بالترجمة العربية الحديثة فإننا نجده يأتى على النحو التالى :

[(١٠) طأطأ السماوات ونزل . فكانت الغيوم المتجهمة تحت قدمية (١١) امتطى مركبة من ملائكة الكروبيم (cherubim) وطار وتجلى على أجنحة الريح]

(الكتاب المقدس" ترجمة عربية حديثة " : صمويل الثانى {٢٢} : ١٠ – ١١)

أى أن " الإله " فى الترجمة العربية الحديثة لهذا النص ، يمتطى مركبة تجرها ملائكة الكيروبيم (والكيروبيم هى جمع كروب) وهى صورة مشابهة إلى حد كبير ، للصورة الأسطورية

للقديس " سانت كلوز " أو " بابا نويل " الذى يحضر الهدايا الأطفال فى أعياد الميلاد . وبديهى أن النصين مختلفان ، وليس لهما نفس المعنى .

- و لا أدرى من أين أتى أئمة العقيدة بكلمة " **مركبة** " الواردة فى الترجمة العربية الحديثة ، ففى الكتاب المقدس " **نسخة الملك جيمس** : King James Version " ، لا نجد أى أثر لهذه الكلمة ، حيث يقول النص الإنجليزى بأن " الإله " قد ركب " **كروب** ، **وكروب واحد فقط** " وليس مركبة تجرها " الكيروبيم " ، كما جاء النص كالاتى :

[(10) He bowed the heavens also, and came down; and darkness was under his feet (11) <u>And he rode upon a cherub</u>, and did fly : and he was seen upon the wings of the wind.] (The Holy Bible: 2 Samuel (22) : 11)

كما لا نجد أثر لكلمة " **مركبة** " أيضا فى : " **الترجمة العالمية الجديدة للنصوص المقدسة** : New World Translation of the Wholy Scripture " ، والتى تقول بأن الإله قد ركب " **كروب** ، **وكروب واحد فقط** " وليس مركبة تجرها " الكيروبيم " ، كما جاء النص كالنحو التالى :

[(10) And he proceeded to bend the heavens down and to descend ; And thick gloom was beneath his feet (11) <u>And he came riding upon a cherub</u> and came flying; And he was visible upon the wings of a spirit]
(The Holy Bible: 2 Samuel (22) : 11)

فمن أين إذن علم أئمة العقيدة - فى الترجمة الحديثة - بأن الإله قد ركب مركبة تجرها ملائكة الكروبيم (أو الكاروبيم) ، ولم يركب الإله كروب واحد ، كما هو وارد فى المصادر الأصلية للكتاب المقدس ...؟؟!!!!

ولكى نجيب على هذا السؤال نقول .... ربما رأى أهل العقيدة أن الصورة الثانية (أى أن الإله قد ركب عربه تجرها الكروبيم) هى صورة أكثر منطقية من سابقتها . ففى الصورة الأولى يركب " الإله " كروبا واحدا ، أى ملاكا صغيرا [١٢٦] واحدا ... وقد يبدو هذا غير منطقى ، خصوصا إذا ما كان الإنطباع العام عن الرب بأنه ضخم التركيب ...!!! بينما فى الصورة الثانية فإن " الإله " يركب عربة تجرها ملائكة صغيرة كثيرة ، هى صورة تبدو أكثر حبكة ... وأكثر منطقية من سابقتها ...!!!

---

[١٢٦] نذكر (بتشديد الكاف) بأن ملائكة الكيروبيم ، ترسم على جدران الكنائس فى صورة أطفال صغيرة فى غاية من الرقة لها أجنحة رقيقة (وليست ضخمة الجثة) ، وعادة ما يتم طبعها على كروت أعياد الميلاد عند تبادل التهانى بين الصغار والكبار على حد سواء فى هذه المناسبة .

وهكذا يكتب أئمة الدين الكتاب المقدس بأيديهم ... أو بمعنى آخر يقومون بتحريف الكتاب المقدس ، ثم يصرخون بأعلى صوتهم ـ فى الفكر الإنسانى المغيب ـ ويقولون :

بـ " إستحالة تحريف الكتاب المقدس "

ولا أدرى عن أى وثنية يدافعون ...؟؟!!!

وجدير بالذكر أن " فهرس الكتاب المقدس [127] " ، اخرها طبعة ١٩٩٤ ؛ مازال يصنف كلمات الكتاب المقدس ، على أساس الكلمات الواردة فى النص الأصلى للكتاب ، وليس على أساس الترجمة العربية الحديثة . فمثلا يقوم الفهرس بتصنيف كلمات الكتاب المقدس ، على أساس كلمة " **خروف** " التى وردت فى سفر يوحنا اللاهوتى ، وليس على أساس كلمة " **حمل** " المعدلة ، وهكذا بالنسبة للكلمات الأخرى . وربما كان هذا تنبيها لإئمة الدين إلى ضرورة إصدار طبعة خاصة من " فهرس الكتاب المقدس " على أساس التعديلات الجديدة .

ولا أملك إلا التذكير بقوله تعالى :

[فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (٧٩)]

(القران المجيد : البقرة (٢) : ٧٩)

[فويل : أى لهم العذاب / وويل لهم مما يكسبون : أى فلهم العذاب من أى مكسب مادى أو أى مكسب معنوى اخر يمكن أن يأتى بجاه أو مجد أو سلطة ، لأئمة الدين]

٤. ٢. ٥. وتبقى كلمة أخيرة عن العلم والبرهان العلمى فى الفكر المسيحى

إمتدادا للفكر السابق ... بديهى لا يمكن أن يكون للعلم أى تواجد فى الكتاب المقدس . بل وبديهى أيضا بأن تكون الحكمة هى فى الجهل ، كما قال بذلك بولس الرسول :

[(١٨) ... إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٣} : ١٨)

---

[127] " فهرس الكتاب المقدس " للدكتور جورج بوست ، دار الثقافة . طبعة ثامنة . رقم الإيداع بدار الكتب : ٧٥٥٢ / ١٩٩٤ .

هكذا صراحة ... فى الجهل حكمة ...!!! كما يقول بهذا النص . وليس هذا فحسب ، فحكمة هذا العالم هى جهالة عند الله ، كما ينبغى أن يؤخذ الحكماء بمكرهم :

[(١٩) لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله لأنه مكتوب أخذ الحكماء بمكرهم]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٣} : ١٩)

ولا ندرى على وجه الدقة ماذا يقصد " الله " بأن حكمة هذا العالم هى جهاله عنده ، فهل يقصد بذلك أنه جاهل بحكمة هذا العالم أم يقصد أن جهله هى حكمة هذا العالم ...!!! ويقرر " الله " فى هذا النص كذلك ، كما نرى ، بأن الحكماء هم قوم ماكرون لا يؤمن جانبهم ، لذلك ينبغى أخذهم بمكرهم ...!!! . وليس هذا فحسب ، بل يقرر الكتاب المقدس بأن أفكار الحكماء باطلة على نحو عام أيضا ، لهذا نراه يقول :

[(٢٠) وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة] [١٢٨]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٣} : ٢٠)

ومن هذا المنطلق ، بديهى ألا يقع إختيار الله إلا على الجهلة أيضا من البشر ...!!!

[(٢٧) بل اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء ...]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {١} : ٢٧)

هكذا بمنتهى الصراحة ، يختار " الله " جهال العالم للتبليغ عنه ...!!! وليس هذا فحسب ؛ بل أن أعمال الحكماء تتساوى فى القدر مع أعمال المخادعين وحماقات العرافين . وبذلك يصنف الكتاب المقدس ـ أو الله ـ الحكماء فى نفس مستوى المخادعين والعرافين ، ولذلك فهو يرجع الحكماء بحكمتهم إلى الوراء ، ويجهل معرفتهم ...

[(٢٥) مبطل آيات المخادعين ومحمق العرافين . مرجع الحكماء إلى الوراء ومجهل معرفتهم]
(الكتاب المقدس : أشعياء {٤٤} : ٢٥)

---

١٢٨ على الرغم من أننا لسنا بصدد المقارنة الآن ، إلا إنه يلزم الإشارة إلى فضل الحكمة فى القرآن المجيد ، وبأنها تمثل قمة عطاء الله لخير الإنسان وللبشرية ، كما جاء فى قوله تعالى :

[يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)]
(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٦٩)

أولوا الألباب : هم ذوى الفكر العالى أو الفكر المتقدم .

وبعد هذه العجالة الشديدة الإيجاز عن العلم وحكمة الحكماء فى الكتاب المقدس ، لنا أن نتساءل ، **إذن ماهى طبيعة البرهان العلمى فى فكر العقيدة المسيحية ؟** خصوصا إذا ما كان موقف الكتاب المقدس من العلم والحكمة (أسمى مراتب العلم) وكذا الحكماء ، على هذا الشكل المتردى . ولكى نعرض إجابة لهذا السؤال كان لابد لنا أن نعود مرة أخرى إلى مفهوم البراهين العلمية أو العقلانية عند أهل العقيدة ، وكما يجىء به الكتاب المقدس .

وربما كان خير مثال يعكس مثل هذا الفكر العلمى هو ما ورد ذكره فى كتاب " يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته " [١٢٩] كما جاء فى الصفحات ٢١٢ / ٢١٣ ، وهو برهان لا يمثل وجهة نظر شخصية أو إجتهاد شخصى من السيد المؤلف ، بل يعكس وجهة نظر وإيمان الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بما جاء فيه . حيث يبين إهداء الكتاب أن السيد أسقف البحث العلمى والدراسات العليا للكنيسة الشرقية ، قد قام ببذل مجهود ضخم فى إعداده ، وبذلك إستحق الإهداء على ما تفضل به من جهد فى إعداد هذا الكتاب . هذا وقد أشرنا - من قبل - بإقتضاب شديد فى الفقرة (٤. ٢. ٢.) السابقة ، إلى هذا البرهان على أن نعود إليه بالتفصيل والمناقشة الآن .

وعموما فإن البرهان العلمى - الذى نحن بصدده الان - يعتمد أساسا على نصوص سفر " رؤيا يوحنا اللاهوتى " . والبرهان - فى الواقع - يمثل قمة قبول الإنسان وتسليمه بالعقيدة مهما كانت التصورات الوثنية أو المضامين الواردة بها ، بدون تمحيص أو حتى مجرد إعمال أى فكر أو عقل فيها .....!!!

وسوف نجد أن هذا البرهان يمثل نوعا من الإستنباط الرياضى - المستخدم فى الفكر المسيحى - للبرهنة من خلال نصوص رؤيا يوحنا اللاهوتى - على أن " الإله [١٣٠] " هو - بما لا يدع مجالا لأى شك - " خروف " فى شكله النهائى ....!!!

وينبغى لنا أن نلاحظ هنا - فى هذا البرهان - أن إيمان الإنسان بأى وثنيات عن الإله لا يرتبط بثقافة الفرد أو بفكره على أى نحو أو آخر . فقد يحمل الفرد أعلى الدرجات العلمية ، كدرجة الكتوراه مثلا ، ولا يمنعه علمه هذا من الإيمان بأى وثنيات فكرية عن الإله ....!!!

وربما كان هذا هو ما دفع بعلماء النفس الأمريكيين بالقول بأن هؤلاء القوم ، هم - فى الواقع - قوم مرضى بداء " **جنون الإضطهاد** : ***Paranoia*** " ... (أنظر الباب الثانى ، فقرة ١٢) ...

---

١٢٩ " يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته " د. هانى رزق ، مكتبة المحبة ، الطبعة الثانية .

١٣٠ على طول الكتابة تخوننى الشجاعة ، وتملأ نفسى الخشية من " اللـه " - سبحانه وتعالى - من أن أزج بإسمه المتعال فى خضم هذه الوثنيات ، وإكتفيت بذكر " إله : أى God " ، بدلا من لفظ الجلالة " اللـه " . ولكن بديهى كان لابد لى من ترك النصوص المقدسة كما هى ، كما وردت بالكتاب المقدس ، وكما يجىء فيها لفظ الجلالة " اللـه " صراحة ، حتى لا أتهم بتشويه النصوص .

أى التغييب العقلى فى حيز معين من الفكر ، وهذا الحيز هنا هو الحيز الدينى . ولكى نبين ما نعنى ، سوف نعرض هنا هذا البرهان بخطواته كاملة بدون أى إضافات أو حذف لأى كلمة من كلماته . والبرهان قد ورد فى صورة نقاط محددة جدا تبدأ وتنتهى على النحو التالى :

[**طبيعة الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) اللاهوتية :**

ورد فى الكتاب المقدس فى سفر رؤيا يوحنا ما يشهد بطبيعة الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) اللاهوتية ، **وأنه هو والله الآب واحد** ، إذ هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس .

١. الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) له روح الله :

رؤ ٥ : ٦ " **خروف** قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون ، وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض "

٢. ملازمة الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) للإله الجالس على العرش فى مجده :

رؤ ٥ : ١٣ " وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر ، كل ما فيها سمعتها قائلة للجالس على العرش **وللخروف** البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين " .

رؤ ٧ : ٩ - ١٠ " وبعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم أستطع أن أعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة ، واقفون أمام العرش وأمام **الخروف** وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين ، الخلاص لإلهنا الجالس على العرش و**الخروف** "

٣. الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) والله فى عرش واحد هو عرش الإله الواحد :

رؤ ٧ : ١٥ - ١٧ " من أجل ذلك هم أمام عرش الله يخدمونه نهارا وليلا فى هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم ... **والخروف** الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية "

رؤ ٢٢ : ١ " وأرانى نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كبللور خارجا من عرش الله و**الخروف** "

٤. الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) والله هيكل واحد هو هيكل الإله الواحد :

رؤ ٢١ : ٢٢ " ولم أر فيها هيكلا (أورشليم السماوية مدينة القديسين) ، لأن الرب الإله القادر على كل شيء هو و**الخروف** هيكلها "

٥. الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) هو الرب الإله :

رؤ ٢١ : ٢٢ " ولم أر فيها هيكلا لأن الرب الله القادر على كل شئ هو والخروف هيكلها "

رؤ ١٧ : ١٤ " هؤلاء سيحاربون **الخروف والخروف** يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك "
يتضح من القول القائل (رؤ ٢٩ : ٢٢) " الرب الإله " أن الإله يحمل صفة الرب . ولقد وردت أقوال كثيرة في العهد القديم والجديد بهذا المعنى . ثم ورد القول (رؤ ١٧ : ١٤) أن الخروف (المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) هو رب الأرباب ـ وبذلك يكون الخروف (يسوع المسيح فى صورة ذبيحة الفداء) هو والإله واحد ، إذ كلاهما يحمل صفة الرب .]

(إنتهى البرهان)

وعلى الرغم من " الوثنيات " الفكرية الواضحة في التصورات الواردة فى هذا البرهان عن **الإله** " ، إلا إننا نرى أنه برهان مقبول بين أفراد العقيدة .

وأؤكد هنا على أن قبول الإنسان لبرهان بهذا الشكل ، إنما يعكس ـ فى الحقيقة ـ مدى سهولة تشكيل التفكير البشرى ، بإجراء عمليات غسيل المخ المناسبة للجماعة على يد كهنة العقيدة من جانب ، ومدى قوة فطرية وجود الله فى النفس البشرية ، من جانب آخر . إذ لولا وجود هذه الفطرة لدى الإنسان ، وبهذه القوة الكافية ، ما إستطاع الإنسان أن يقبل أو أن يستسيغ برهانا على هذا النحو وبهذا التصور ، وبهذا الكم من الوثنيات الفكرية . فالإنسان بقبوله لفكر إلهى على هذا النحو ***إنما يعكس ـ فى الحقيقة ـ تمسكه بالإله*** *مهما كانت الوثنيات الفكرية التى يتصف بها الإله من جانب ، ومهما كانت التضحيات التى يجب عليه أن يقدمها فى سبيل ذلك ... حتى وإن كانت التضحيات هى عقله ذاته ، من جانب آخر ...!!!*

وكما سبق وأن بينا فى الباب السابق ، إن مثل هذه الفطرة (أى فطرية إدراك وجود الله فى النفس البشرية) لا تعكس تخيلا معينا عن الذات أو الصفات الإلهية ، ولكن هذه الفطرة تؤكد فقط على وجود " الإله " فحسب . على أن يتم الإخبار عن صفات هذه الذات ـ كما قضت بذلك حكمة الله ـ بما يُمليه الله على الإنسان من خلال وحيه لأنبيائه ورسله . مع الأخذ فى الإعتبار الإستفادة من المنطق العقلى والفكرى الذى ركبه الله فى الإنسان ، وبذلك يكون الإنسان قد حقق أحد غايات خلقه ، التى ترفعه ـ بهذا العقل ـ على المملكة الحيوانية التى ميزه الله به عليها .

وبديهى إن قبول الإنسان لفكر كهذا ، يجعلنا نجزم بأن الإنسان لم يستفد على نحو مطلق من ملكاته الفطرية ... ومن العقل الذى أودعه " الله " فيه ...!! وبهذا يكون الإنسان قد ضل أو بعد عن الهدف النهائى من خلقه على نحو بعيد جدا ...!!

ولا أدرى ... ماذا بقى للإنسان لم يفعله بـ " الإله " ...!!! وماذا بقى " للإله " من نقائص لم يصفه بها الإنسان ...!!! وتملأ نفسى المرارة والحسرة والألم ، على ذلك الإنسان الذى يتمسك بالوثن معتقدا بأنه هو الإله ، مهما كلفه هذا من ثمن ...!!! حتى وإن كان هذا الثمن هو التضحية بعقله وتعقله (أى منطقه) تماما . والغريب حقا ؛ أن يخشى الإنسان التحول عن هذا الوثن ، ليتجه إلى الإله الحق ، معتقدا بأن هذا التحول سوف يفقده الصله بـ " الله " الذى **يدرك وجوده فعلا حق الوجود ...!!!**

****

وبهذا ننهى شرح فكر العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية معا عن الإله ...!!! واللتين لم تدعا أى نقائص متردية إلا وألصقتها بالإله ، كما لم تدعا أى تفوق ـ متعال على الإله ـ إلا ونسبته للإنسان ... وبهذا هوت العقيدتان اليهودية والمسيحية ... بـ " الإله " إلى مستنقع من الأوحال أو الحضيض الفكرى المتردى ...!!! لا يجدى معه أى محاولة مبذولة من جانب الإنسان ـ فيما بعد ـ لإنتشال هذا " الإله " من هذه الأوحال ، أو رفع قدر " الإله " بشكل أو باخر ، حتى يمكن وصفه بأى كمالات إلهية أخرى ممكنه ...!!!

ومازلت أكرر ، إننا لسنا بصدد " قضية تبشيرية بدين ما " ، بقدر ما نحن بصدد " قضية خلاص الإنسان نفسه " ، ونجاته إذا ما حقق الغايات من خلقه .... فهل وعى الإنسان وأدرك هذا ..!!

وقبل أن ننتقل إلى رد فعل العلماء والمفكرين لهذا الفكر المتردى ... !!! فى الباب التالى ، لابد لنا وأن نعرض لسلوك بعض أئمة الدين ، أو القدوة الدينية للشعب والأتباع والمثل الأعلى فى الإتباع . وكذا نعرض لبعض النصوص المقدسة فى فكر العقيدتين التى تفى لكل الأغراض الدونية ... لكى تجهز على ما بقى لدى الأنسان من قيم أو أخلاق ....!!! ونرى كيف تم تطبيق هذا الفكر المسيحى على مدار التاريخ الإنسانى ....

٥. (بعض) الأئمة والتطبيق

من المفيد هنا ، أن نقف وقفة قصيرة الآن لنلقى بعض الضوء على السلوك الأخلاقى لبعض بابوات الكنيسة الكاثوليكية بروما ، أو قمة قمم الديانة المسيحية ، وهم القدوة الأخلاقية للشعب ، فى السلوك وتطبيق نصوص الديانة ؛ حتى نرى ـ عن قرب ـ مدى إلتزام هؤلاء القدوة الدينية بتطبيق النصوص المقدسة ، والوارد ذكرها بالكتاب المقدس على النحو السابق ذكره فى هذا

الفصل . ويفيدنا فى هذا الشأن كثيرا ، القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، وهو واحد من أشهر قساوسة الفاتيكان ، والذى درس علم الأديان فى الجامعة البابوية (جريجوريانا) بروما ، كما عمل مدرسا للميتافيزيقا والأخلاق فى المعهد اللاهوتى فى ويستمنستر ، وفى الجامعة المسيحية فى لندن . وفى هذا الصدد يقول دى روزا [١٣١] :

" لقد ان الأوان لكى يتم التعامل مع تاريخ الكنيسة بشكل مختلف عما هو عليه الان ، فإن الصمت المتعمد عن جرائم البابوات (يقصد باباوات روما) لهو فضيحة ونوع من الرياء ... إن تزييف الحقائق قد بدأ بإطلاق لقب " شهيد " على الثلاثين بابا الأوائل باستثناء واحد فقط ، مع أنه لا توجد أى شواهد تاريخية أو غيرها تدل على أنهم إستشهدوا فى سبيل المسيح . فالحقيقة أن بعضهم أبناء لأساقفة وكرادلة ، ومنهم الإبن الغير شرعى ، ومنهم الأرمل ، ومنهم العبد المحرر ، **وكثير منهم قتلة وبعضهم لادينيين . ولم يكن البابوات قتلة بالجملة فحسب ، وإنما أرسو كذلك قاعدة القتل محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية ، ومن شروط خلاص النفس** [١٣٢] . **كما كان منهم الوثنيون والساديون** أيضا . وبعضهم إشترى منصب البابا ثم قام ببيع بعض متعلقات الكنيسة ليسترد ماله . **وواحدا منهم على الأقل كان يعبد الشيطان** . وكان لبعضهم أبناء غير شرعيين ، ومنهم من قام بالخيانة الزوجية على أوسع نطاق ...!!! وبعضهم قد تم دس السم له ، وبعضهم تم خنقه ، **وأسوؤهم من قام بعبادة وثن من الجرانيت ....!!!** وكان منهم أيضا البابوات المصابون بالجنون التام ، مثل البابا ستيفان السادس الذى نبش قبر سلفه البابا فورموسيسو ، ثم قام بمحاكمته بعد أن ألبسه حلته كاملة ، ثم أمر بإغراقه فى النهر بعد إدانته .

ونورد هنا بعضا من هذه الأمثلة التى يسوقها القس اللاهوتى بيتر دى روزا فيقول :

" لقد أصبح البابا يوحنا الثانى عشر (٩٥٥ م.) مثلا صارخا حتى بالنسبة لفجور عصره [١٣٣] ، إذ قام بإبتداع جرائم جديدة ، وأنواع جديدة من الآثام . **فعاشر أمه معاشرة الأزواج** ، وأهدى ممتلكات الكنيسة للغانيات صديقاته ، وكان يملك ألفى حصان يطعمها تينا وخمرا ، **وعبد علانية آلهة الرومان الوثنية** . أما مطارداته للنساء فقد ذاع صيتها حتى أصبح الذهاب إلى كنيسة لاتيران يعد نوع من المخاطرة ...!!! وكانت نهاية يوحنا الثانى عشر على يد زوج غيور ضبطه فى وضع شائن مع زوجته . ثم تلاه البابا بنديكت الذى قتل أيضا بيد زوج غيور أثناء خيانته له مع زوجته .

---

[١٣١] " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ٣٦ .
[١٣٢] المرجع السابق ؛ ص : ٩٩ .
[١٣٣] المرجع السابق ؛ ص : ٤٨ .

وقد كانت الكنيسة قد حـددت [١٣٤] عدم زواج رجل الدين ، وليس الإمتناع عن الجنس ، هو المعيار لصلاحية أخلاق رجل الدين . وقد طبق رجال الدين هذا المبدأ بحذافيرة . وأصبح غير المتزوجين منهم رسميا مثلا يحتذى به ، بينما واقعيا كانوا يعيثون فـي الأرض فسادا ويتلاعبون بأعراض الناس . وقد سمح البابا يوحنا الثانى والعشرون للقساوسة بالإحتفاظ بعشيقاتهم مقابل دفع ضريبة عن ذلك ...!!! وعندما قرر " البابا بيوس الخامس " طرد جميع العاهرات من روما ، إعترض القساوسة على هذا القرار ، وكان حجتهم فى ذلك أن السيدات لن يـأمن ـ فيما بعد ـ على أنفسهن من إرتياد الكنيسة بعد ذلك [١٣٥] ...!!! وقد بلغ خطر رجال الكنيسة على النساء إلى الحد الذى جعلهن يأخذن معهن خناجر حين يذهبن إلى الكنيسة للإعتراف .
أما فى حالة دخول رجل الدين سلك الكهنوت بعد زواجه ، فقد قرر المجلس الكنسى المنعقد فى مدينة تور عام ٥٦٧ ، بمعاقبته بالخروج من سلك رجال الدين لمدة عام والإنضمام للعامة ، إذا ما ثبت أنه على إتصال جنسى بزوجته ، ومعاقبة الزوجة بالجلد مائة جلدة .

وبهذا أصبحت زوجات رجال الديـن لا يستطيع أزواجهن الإقتراب منهن . وعندما أمر البابا جريجورى السابع رجال الدين إما أن يفترقوا عن زوجاتهم وأولادهم أو أن يتركوا مناصبهم ، فضلوا الإحتفاظ بمناصبهم ، مما أدى ذلك إلى زيادة نسبة إنتحار الزوجات السابقات بصورة كبيرة . كما دفع هذا برجال الدين أنفسهم للإتجاه إلى العلاقات الجنسية الغير مشروعة . وقد وصل الأمر بالكنيسة عام ١٠٩٥ ، تحت قيادة البابا أوربان الثانى ، بأن قامت ببيع زوجات رجال الدين فى سوق النخاسة للتخلص منهن .

وقد ساءت سمعة الأديرة ـ فى تلك الأثناء ـ حتى صارت مرادفة لبيوت الدعارة ، وكثير من الراهبات كن بمثابة عاهرات . وقد كان للأسقف هنرى وحده ـ من مدينة لييج ببلجيكا ـ خمسة وستون طفلا غير شرعى من ناتج إعتداءاته على الفتيات العذارى من مرتادى كنيسته ، وأصبح كثير منهم (أى كثير من هؤلاء الأطفال الغير شرعيين) من راهبات الأديرة فيما بعد . وقد أقيل هذا الأسقف عام (١٢٧٤) ، وكانت نهايته على يد فارس فلمنكى ثار على ما فعله هذا الأسقف بابنته [١٣٦] . وهكذا كلما علا شأن رجل الدين كلما زاد مجونه وفجوره ...!!!

وقد إستمر تمسك الكنيسة برأيها القائل بأن **زواج رجل الدين ذنب أكبر من ذنب ممارسته للزنا .** وهذا يفسر لنا بعض القرارات الغريبة للبابا ألكسندر الثانى ، **بأنه لم ينزل أى عقاب بقس مارس**

---

[١٣٤] " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ٢٣٩ / ٢٤٢ .
[١٣٥] المرجع السابق ؛ ص : ٩٤ .
[١٣٦] المرجع السابق ؛ ص : ٢٤٤ .

الزنا مع زوجة أبيه ، وآخر مارس الزنا مع أمه [137] ...!!! وكان تبرير الكنيسة في هذا أن القساوسة لم تقترف ذنب الزواج ...!!!

ولكن ، في الواقع ، وكما سبق أن بينا ؛ إن مثل هذه الممارسات الشاذة وردت على أنها أفعال عادية في الكتاب المقدس . ولهذا يمكن أن نقول أن القرار الأول للبابا ألكسندر الثاني ، والخاص بالقس الذي مارس الجنس مع زوجة أبيه ، كان يستند إلى نصوص التوراه التي تبيح للابن إغتصاب زوجة الأب (أنظر بند ٢. ٦. رأوبين ابن يعقوب البكر يزني بزوجة أبيه " بلهه " ...) **. بينما يستند البابا في قراره الثاني ، أي معاشرة القس لأمه ، إلى التلمود (وهو العقيدة الشفاهية التي فاه بها موسى ـ عليه السلام ـ للشيوخ السبعين ، كما سبق وأن ذكرنا) ، حيث يقول التلمود** [138] **:**

[من رأى أن يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أن يجامع أخته فمن نصيبه نور القلب] .

إذن فنحن هنا بصدد تطبيق لبعض النصوص المقدسة فحسب ، وليس خروجا على الشريعة الذي يستوجب العقاب [139] ....!!!

أما " البابا سيكوتس الرابع " الذي تم إنتخابه عام ١٤٧١ ، فقد تفتق ذهنه عن أساليب جديدة للحصول على المال . فكان أول من أعطى تراخيص لبيوت الدعارة ليجني منها جباية سنوية . وكان أول من باع صكوك الغفران للأموات أيضا وليس للأحياء فقط ...!!! مما دفع بأهل الموتى بالتسابق للحصول على هذا الصكوك ليضمنوا الغفران لأحبائهم ...!!

وإذا ما ذهبنا إلى فساد البابا يوحنا الثالث والعشرون ، خليفة ألكسندر الخامس ، الذي لم يعمر في منصبه سوى عشرة أشهر ، فإننا نجد أن هذا البابا لم يؤخذ عليه سوى أنه كان لا يؤمن بتعاليم المسيحية ، وأنه كان نصابا ومزورا وخاطفا لزوجات الغير ...!!!

أما البابا الطفل " بنديكت التاسع " ، فقد تم شراء المنصب له (عام ١٠٣٢) ، وكان عمره وقتها أحد عشر عاما ، ومثلما تولى هذا المنصب مبكرا ، بدأ فساده ومغامراته النسائية مبكرا . وقد كتب عنه المقدس بطرس داميانى : " إن هذا المسكين غاص في الخطيئة منذ بداية توليه لمنصبه وحتى نهاية عمره " . وكتب آخر يصفه : " **إنه شيطان من جهنم في زي قس يجلس على**

---

[137] المرجع السابق ؛ ص : ٢٤١ .

[138] " تطوير أم تضليل في التاريخ الإسلامي " ؛ د. جمال عبد الهادي وآخرون . دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ص : ١٦ .

[139] أنظر صفحة ٢٥٨ ، سفر اللاويين (١٨ : ١-١١) ، وفيه يقول الرب لموسى ـ عليه السلام ـ بأنه قد حرم النظر إلى عورة الأم ، وعورة إمرأة الأب ، وليس القيام بإغتصابهما أو معاشرتهما جنسيا ...!!!

كرسى بترى (أى بطرس) " . وأنتهى الحال بالبابا بنديكت التاسع (البابا الطفل) ، ببيع منصبه إلى أشبينيه يوحنا جراتيوس ، الملقب بـ " البابا جريجورى السادس " . وقد بدأ جراتيوس فترة رئاسته للكنيسة وسط موجة نقد شديدة لأنه كان أول بابا يشترى منصبه من بابا اخر . ولكن كان منطقه فى هذا أنه إشترى خلاص الكنيسة من الفساد . وقد مات بعد ذلك البابا جريجورى شبه منفى عن منصب البابوية .

أما البابا بونيفاس التاسع فقد كان مشهورا بأنه قاتل ومجرم ، وفوق ذلك كله فقد قيل عنه إنه لم يوقع مستندا قط ، إلا وكانت يده ممدودة لأخذ المقابل .

أما تاريخ البابا ألكسندر السادس [١٤٠] ، وكان إسمه الحقيقى رود ريجو بورجيا ، فكان مليئا بالقتل ، منذ أن كان فى الثانية عشرة من عمره ، ولأتفه الأسباب . كما كان تاريخه مليئا بالجنس مع خليلاته **وبناته** (أنظر : بند ٢. ٢. لوط يزنى بإبنتيه ...) وزوجات غيره ، وكان أسلوبه فى تنحية أعدائه : إما بالسم أو القتل بالخنجر ثم إلقائهم فى نهر التيبر .

وقد إشترى بورجيا منصب البابوية بثمن باهظ جدا ، حتى قيل أنه أفلس تماما حين حصل على بغيته . وكان لبورجيا عشرة أولاد غير شرعيين ، من عشيقاته . وقد أوصى بمراسم دفن ، توازى مراسم دفن كاردينالا ، عند دفن خليلته " فانوسا ". أما عشيقته " جوليا فارنيزى " ، فمن فرط حبه لها ، فقد أمر برسم صورة للعذراء مريم ، لها وجه " جوليا " تخليدا لذكراها . ومات بورجيا عندما شرب خطأ خمرا مسموما ، كانت معده لأعدائه . ولما مات تضخمت جثته وتضخم لسانه حتى ملأ فمه فلم يستطع إغلاقه ، وتورم جسده حتى أصبح طوله مثل عرضه ، وانفجرت جثته بفعل السموم . ولما لم يرض أحد أن يحمل أو حتى يلمس جثة بهذا الشكل ، تم ربطها من نفس القدم التى طالما قبلتها النساء والأمراء ، وتم سحبها بحبل حتى وقعت فى صندوق الدفن ...!!!

ويمكن أن يقال أن عادة تقبيل " قدمى البابا " ، قد بدأت ـ رسميا ـ عندما تولى البابا جريجورى السابع [١٤١] ، (وكان إسمه هيلد براند) منصبه البابوى فى عام ١٠٧٣ . حيث أصدر قائمة تضم سبعة وعشرين نقطة تحدد سلطته ، منها على سبيل المثال :

١. ليس لأى كائن ما ... الحق فى تقييم البابا .

[١٤٠] " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ٨١ - ٨٢ .

[١٤١] نفس المرجع السابق صفحات : ٥٤ ، ٥٥ ، ٨٥ .

٢. الكنيسة الرومانية لم ولن تخطىء أبدا .

٣. البابا له حق خلع الملوك والقياصرة وحاشيتهم .

٤. على كل من الحكام وحاشيتهم أن يقبلوا قدمى البابا .

وربما تكون عادة **تقبيل قدمى البابا** هذه ، قد بدأت قبل هذا الوقت بكثير ، ولكن جريجورى السابع قام بتقنين هذا الوضع فقط فى صورة النقاط المذكورة السابقة .

وللحق التاريخى ؛ فقد رفض البابا يوليوس الثانى أن تقبل قدماه ـ كما فعل البابوات من قبله ـ لا تواضعا منه ؛ بل لأن اثار مرض السيلان (وهو من الأمراض الجنسية المعروفة) كانت قد بدأت فى الظهور عليه .

أما البابا جريجورى الثانى عشر فقد أختير ، لأنه كان يقترب من التسعين من عمره ، وكان الظن به أنه لا يقوى أن يكون فاسدا ، بينما كانت أول أفعاله أن قام برهن تاج البابوية لسداد ديون المقامرة ، ثم باع كل ما وقع تحت يده حتى باع مدينة روما نفسها إلى ملك نابولى [١٤٢] ...!!!

وعندما توفى البابا جريجورى الثالث عشر عام ١٥٨٥ ، رأى مجلس الكرادلة المجتمعين إختيار الكاردينال الفرنسيسكانى مونتالتو (البابا سيكستوس الخامس فيما بعد) لكبر سنه ، كما وإنه مريض مرض الموت . فقد كان منحنى الظهر ، خفيض الصوت ضعيفه ، دائم السعال كأن روحه ستزهق لساعتها . واعتقد الكرادلة أنه لن تطول مدة شغله لمنصب البابوية . ولكن المجلس أيقن خطأ تقديره فى نفس لحظة إختياره لهذا البابا ، فقد نسى البابا أمراضه المزمنة ، وشد قامته وصرخ بصوت جهورى قائلا : " **أنا القيصر** " ، قبل أن يبدأ الصلاة بصوت قوى وواضح . وكان هذا البابا مفرطا فى الأنانية وحب السلطة ، فنصب نفسه رئيسا لكل الملوك والأباطرة [١٤٣]

وقد كتبت الأميرة كاتارينا من سيينا [١٤٤] ـ ذات مرة ـ للبابا جريجورى الحادى عشر : " إننى لا أجهد نفسى فى البحث عن مقر البلاط البابوى فرائحته النتنة تصلنى أينما كنت " .

إنها فقط بعض نماذج من سلوك أئمة الديانة المسيحية أو قمة قمم رجال الدين المسيحى ، وكما يصفهم واحد من المقربين منهم ، والمشتغلين معهم فى نفس سلك الكهنوت . وعلى الرغم من

---

[١٤٢] المرجع السابق ؛ ص : ٧٦ .

[١٤٣] المرجع السابق ؛ ص : ١٤٤ .

[١٤٤] يقع " إقليم أو مقاطعة سيينا : Siena Province " فى شمال وسط إيطاليا ، كما تقع مدينة سيينا على بعد ٥٥ كيلومتر جنوب فلورنسا .

أن كثيرا منهم لم يكونوا يعرفون اللاتينية حتى يستطيعوا إقامة الصلاة بالناس ، إلا أن هذا لم يمنعهم من رئاسة الصلاة ، وقد بلغت بهم الجرأة والإستهتار إلى حد أنهم كانوا يتمتمون بأى كلام فارغ أمام الناس موهمين إياهم أنهم يصلون بهم [١٤٥] ...!!! كما لم يمنع هذا المجلس الفاتيكانى [١٤٦] بالتصويت على مبدأ " **عصمة البابا من الخطأ** " حيث وافق ثلاثمائة كاردينالا ، من إجمالى عدد الحاضرين الخمسمائة كاردينالاعلى هذا المبدأ ، وامتنع مائة وأربعون قسا عن التصويت [١٤٧] .

وكان إجناثيوس من ليولا (مؤسس طائفة اليسوعيين) يقول : " **يجب أن نكون على إستعداد لأن نتقبل ما نراه أبيض على أنه أسود إذا رأت الجهات العليا للكنيسة ذلك** " .... !!! أما البابا إينوسنس الثالث فقد قال مقولته الشهيرة : " **كل رجال الدين ينبغى أن يطيعو البابا حتى لو أمرهم بالشر ، إذ لا يوجد من يستطيع الحكم على البابا وتقييمه** " . أما البابا جريجورى التاسع فقد أعلن : " **أن البابا سيد الكون والأشياء...!!!** " .

٦ - *ونصوص لكل الأغراض .....*

فى هذا البند سوف نتعرض بإيجاز شديد لبعض نصوص أخرى من الكتاب المقدس التى لا يمكن أن تتفق بأى حال من الأحوال مع " **الشرط الثانى** " **من الشروط ــ الفضفاضة ــ الستة** [١٤٨] ، التى سبق وأن وضعها خبراء اللاهوت المسيحى لقبولهم لأى وحى مفترض ، بإعتباره وحيا حقيقيا وصادقا وأصيلا وقادما من السماء . **وهو الشرط الذى يقول : بأنه يجب أن يتفق الوحى مع الضمير ، أو القانون الأخلاقى المكتوب فى عقل الإنسان** . وذلك حتى نرى - بالعين المجردة - إلى أى مدى إنحرفت الديانتين المسيحية واليهودية عن تحقيق هذا الشرط . وهو الشرط الذى يؤكدون عليه لضمان أن يكون الكتاب المقدس وحيا حقيقيا وقادما من السماء ....!!!

---

[١٤٥] المرجع السابق ؛ ص : ٧٩ .
[١٤٦] يقصد بهذا المجلس الفاتكانى الأول ، والمنعقد فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٩ . (موسوعة جروليار الإلكترونية ، لسنة ١٩٩٥) .
[١٤٧] ويجدر أن نشير هنا إلى أنه يوجد إحصائية تقول ؛ بأن من بين (٣٢٤) قولا مأثورا لبابوات الأربعة قرون الأولى الميلادية ، يوجد (١١) قولا مأثورا فقط هى الصحيحة والحقيقية . " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . (صفحات : ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٧) .
[١٤٨] أنظر الفصل الثانى ؛ بند (١٦ . حلقة لانهائية) ؛ ص : ٢١٤ .

٦. ١. نصوص فى الغدر والقتل والنهب والسبى

إمتدادا لفكر الزنا واللاأخلاقيات ، يحكى لنا الكتاب المقدس قصة " دينة " بنت يعقوب عليه السلام ، من إحدى زوجاته . وتقول القصة أن " شكيم " إبن رئيس المدينة المجاورة " حمور " ، قد أعجب بـ "دينا " فزنى بها . وتعلقت نفس الفتى شكيم بـ " دينا " ، ورأى أن يصحح خطأه ، ويجعل العلاقة مشروعة ويتزوجها ، فكلم أباه ، أى " حمور " ، كى يذهبوا إلى " يعقوب " (عليه السلام) - والد دينا - ويطلب منه أن يزوجها له . وذهب الفتى - فعلا - ووالده إلى " يعقوب " يطلب مصاهرته . بل وطلب شكيم من يعقوب وبنيه أن يطلبوا ما شاءوا مهرا لـ " دينا " برهانا على حسن النوايا ، ولم يكتف بهذا حمور - والد شكيم - بل قال لهم إعتبروا بلدنا إمتدادا لبلدكم فاسكنوا فيها وتاجروا فيها فنحن أهل الآن . ولنفسح المكان الآن للنصوص المقدسة لبيان هذه المعانى :

[(٨) وتكلم حمور معهم قائلا شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم أعطوه إياها زوجة (٩) وصاهرونا تعطوننا بناتكم وتأخذون. لكم بناتنا (١٠) وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم . اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها (١١) ثم قال شكيم لأبيها ولإخوتها دعونى أجد نعمة فى أعينكم فالذى تقولون لى أعطى (١٢) كثروا على جدا مهرا وعطية . فأعطى كما تقولون لى . وأعطونى الفتاة زوجة]

(الكتاب المقدس : تكوين { ٣٤ } : ٨ - ١١)

ويتظاهر بنى يعقوب بالموافقة على ذلك ، وطلبوا من شكيم وأبوه حمور أن يختتنوا هم وقومهم كشرط لإتمام الزواج ، وسوف يكونون معهم كأهلهم تماما ؛

[(١٣) فأجاب يعقوب شكيم وحمور بمكر وتكلموا لأنه قد نجس دينة أختهم (١٤) فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف . لأنه عار علينا (١٥) غير أننا بهذا نواتيكم . إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر (١٦) نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا (١٧) وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ إبنتنا ونمضى (١٨) فحسن كلامهم فى عينى حمور وفى عينى شكيم بن حمور (١٩) ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر . لأنه كان مسرورا بابنة يعقوب . وكان أكرم جميع بيت أبيه]

(الكتاب المقدس : تكوين { ٣٤ } : ١٣ - ١٩)

ويرجع شكيم وأبيه حمور إلى مدينتهم ، ليقنعوا قومهم بالإختتان ، حتى يزوج يعقوب (عليه السلام) إبنته دينا لـ " شكيم " ... وفاء لوعده لشكيم وأبيه ... ويقوم القوم بالإختتان فعلا إكراما

لرئيسهم ... ثم ماذا حدث ؟ ... ويكمل لنا **الكتاب المقدس** قصة الغدر بشكيم وأبيه وأهل المدينة جميعا ، مستغلين عدم قدرتهم عن الحركة أثناء توجعهم من الختان ...

[(٢٥) فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر (٢٦) وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف . وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا (٢٧) ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أختهم (٢٨) غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه (٢٩) وسبو ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت]

(الكتاب المقدس : تكوين { ٣٤ } : ٢٥ – ٢٩)

هكذا سلوك أسماء أبواب جنة الخلد [١٤٩] في الكتاب المقدس ... غدر ... وقتل ... ونهب ...!!! فهذا هو الكتاب المقدس ونصوصه ، وهذه هي أخلاق الرسل وأبنائهم . ولنا الان أن نتساءل ... إذا كان غلام قد أخطأ ، واغتصب بنت يعقوب عليه السلام كرها ، فلم لم يعاقب هذا الغلام وحده . وإذا كان يعقوب وبنوه قد قبلوا إصلاح الخطأ بإتمام الزواج ، فلماذا غدروا بأهل المدينة كلها ، وإستباحوا قتلهم جميعا ، بعد أن جعلوهم عجزه أثناء الام ختانهم . أليس هذا إستدراج خائن لشكيم وأبيه وأهل المدينة الذين وثقوا بهذا النبي وبنيه ...؟؟!!! وهل كل هذا جزاء لفتى أخطأ وأراد أن يصلح خطأه بإخلاص ..؟؟!!! فهل هذه سيرة أنبياء وأولاد أنبياء ... ؟؟!!! أم إنها سيرة قطاع طرق وخونة وسفاحين ..!!! أهذا هو الإختيار الإلهي للأنبياء ...!!!

والان ؛ يجب أن نشير ـ هنا ـ إلى **الشرط الثاني** من الشروط الفضفاضه الستة ـ التي وضعها علماء اللاهوت المسيحي ـ واللازم توافرها للحكم على صحة الوحي الإلهي (أنظر الباب السابق ؛ بند ١٦ : حلقة لانهائية) ، وهو الشرط الذي يقول :

" يجب أن يتفق الوحي مع الضمير ، وهو القانون الأخلاقي المكتوب في عقل الإنسان "

فهل ما ورد ذكره في القصة السابقة من خيانة وغدر وقتل ونهب وسبي .... إلى أخره ؛ تتفق مع الضمير أو القانون الأخلاقي المكتوب في عقل الإنسان ؟ أم أن ما ورد ذكره بالكتاب المقدس ليس وحيا إلهيا ... ؟؟!!! بديهي إن الحقيقة ليست صعبة الإدراك ، فالحد الأدنى للفكر البشري يقول بأن هذا الإنحطاط الأخلاقي ... والذي ينحدر إلى أحط وأخس الدرجات ... لا يمكن أن ينسب إلى الله ـ سبحانه وتعالى علوا كبيرا عما يصفون ـ أو أن يكون هذا وحيا إلهيا بأي حال من الأحوال ..!!!

[١٤٩] أنظر بند ٢. ٦ . من هذا الفصل ؛ صفحة ٢٨٣ .

٦ . ٢. ونصوص فى إستعباد وتملك البشر

ويتشيع " الإله " فى الكتاب المقدس لـ " **بنى إسرائيل** " ، فيسمح لهم **باستعباد وتملك** الأجناس البشرية الأخرى[١٥٠] على غرار تملك الحيوانات والأمتعة . بل ويذهب الكتاب المقدس إلى أبعد من هذا ، فيسمح لـ " **بنى إسرائيل** " بتوارث هذه الملكية ـ البشرية ـ وإلى الأبد ، كما جاء فى النص المقدس التالى :

[(٤٤) وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك (يا بنى إسرائيل) **فمن الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيدا وإماء (٤٥) وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكا لكم (٤٦) وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك . تستعبدونهم إلى الدهر . وأما أخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف]**

(الكتاب المقدس : سفر اللاويين {٢٥} : ٤٤ ـ ٤٦)

عنصرية وتطرف بغيض لا يمكن أن يقول بهما رب ...!!! وبديهى أن مثل هذه العنصرية مرفوضة تماما فى الوحى الإلهى الصادق [١٥١] . وكما نرى ؛ فغير مسموح لـ " **بنى إسرائيل** " بالتسلط على بعضهم البعض ، ولكن يسمح لهم بتملك واستعباد الشعوب الأخرى . فهل هذه النصوص تتفق و" قانون الأخلاق الفطرى لدى الإنسان " والذى يقول به علماء اللاهوت ...!!!

٦ . ٣. ونصوص فى الإبادة ولعنة المدن (مدينة أريحا مدينة ملعونة ...!!! قدمت قربانا للرب وملعون كل من يبنيها) .

والكتاب المقدس مليء بنصوص القتل ، والغدر ، والإبادة الجماعية ، والتدمير ، وذبح الخصوم ... وليس هذا فحسب ، بل وتدمير كل ما هو حى ...!!! **ومدينة أريحا هى** أحد المدن ، التى لعنت ، وقدمت بكاملها وبكل ما فيها قربانا للرب . حيث تم ذبح كل ما فيها ...!!!

[(٢١) ... من رجل وإمرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف]
(الكتاب المقدس : يشوع { ٦ } : ٢١)

---

١٥٠ بديهى يشمل هذا الشعب المسيحى أيضا ، لأن اليهود لا يعترفون بالسيد المسيح ولا بديانته (أيا كانت) .
١٥١ راجع البرهان الإجتماعى (بند ١١. ١٠) ـ الفصل الثانى من هذا الكتاب . ص : ١٦٦

ولنترك المكان الآن **للنصوص المقدسة** لتروى لنا ما حدث لهذه المدينة التعسة التىغضب عليها الرب ولعن كل من يبنيها أيضا ، وليس هذا فحسب بل قدمت بكل ما فيها قربانا له ، لتذبح على محرابه ...!!!

فيروى لنا سفر يشوع ، أن النبى يشوع ـ صاحب السفر ـ أخذ بنى إسرائيل وحاصر مدينة أريحا التى أعطاها له الرب

[(١) وكانت مدينة أريحا مغلقة مقفلة بسبب بنى إسرائيل . لا أحد يخرج ولا أحد يدخل (٢) فقال الرب ليشوع انظر . قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس]
(الكتاب المقدس : يشوع { ٦ } : ١ – ٢)

وحاصر يشوع المدينة ستة أيام ، وفى اليوم السابع دار حولها سبع مرات .

[(١٦) وكان فى المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة (١٧) فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب . راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما]
(الكتاب المقدس : يشوع { ٦ } : ١٦ - ١٧)

وفى النص السابق رقم (١٧) ، تأتى كلمتى " محرما للرب " ، تخفيفا لمعنى " لعنت بكل ما فيها من الرب " ، كما يأتى هذا المعنى بوضوح فى الكتاب المقدس " **نسخة الملك جيمس : The Holy Bible , King James Version** " ، وهى من أدق الترجمات للكتاب المقدس . فنجد هذا النص يأتى كالنحو التالى :

[(17) <u>And the city shall be accursed</u>, even it, and all that therein, to the LORD : (أى لعنت وكل ما فيها من الرب) only Rahab the harlot shall live, she and all that are with her in the house, because she hid the messengers that we sent .]
(The Holy Bible . King James Version : Joshua {6} : 17)

وسقطت المدينة فى يد يشوع النبى وجنوده من بنى إسرائيل ...

[(٢١) وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف] (الكتاب المقدس : يشوع { ٦ } : ٢١)

و " حرموا كل من فى المدينة ... بحد السيف " ، إنما تعنى " أبادة كل من فى المدينة إبادة تامة أو مطلقة ... بحد السيف " ، كما يأتى هذا النص فى الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس : " نسخة الملك جيمس : The Holy Bible , King James Version " ، وهى من أدق الترجمات ، كما هو معروف . فنجد هذا النص يأتى كالنحو التالى :

[(21) <u>And they utterly destroyed</u> (إبادة تامة أو مطلقة) all that was in the city, both man and woman, young and old, and ox, and sheep, and ass, with the edge of the sowrd.] (The Holy Bible , King James Version : Joshua {6} : 21)

وهكذا قام النبى يشوع وجنوده من بنى إسرائيل ، بحصد جماعى للمدينة لكل ما هو حى فيها بحد السيف ...!!! وتعجب إن لم ينج من هذه المدينة إلا المرأة الزانية راحاب ، كما جاء فى النص السابق : (... **راحاب الزانية فقط تحيا** ...) . فلم يجد يشوع فى هذه المدينة من يتعاون معه إلا هذه المرأة الزانية . وليس هذا بمستغرب ، فالمرأة الزانية تجرى الخيانة فى جسمها مجرى الدم ، فهى لا تدين بالإنتماء أو الولاء لأى رجل ، وبالتالى فهى لا تدين بالإنتماء إلى الأرض أو الوطن كذلك . فهذه المرأة الزانية هى التى كانت تتعامل مع النبى يشوع وجنوده من بنى إسرائيل . فهى التى كانت تخبىء جواسيس يشوع (النبى) ، للتجسس على أهل المدينة لمعرفة نقط الضعف فيها . وبعد أن أنقذ يشوع راحاب الزانية ، وبيت أبيها وكل مالها ، أمر بحرق المدينة ؛

[(٢٤) وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة الرب (٢٥) واستحيى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها . وسكنت فى وسط إسرائيل إلى هذا اليوم . لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكى يتجسسا أريحا]

(الكتاب المقدس : يشوع { ٦ } : ٢٤ - ٢٥)

ولعن يشوع بعد ذلك كل من يبنى هذه المدينة ، واستجاب له الرب ...!!!

[(٢٦) وحلف يشوع فى ذلك الوقت قائلا ملعون قدام الرب الرجل الذى يقوم ويبنى هذه المدينة أريحا . ببكره يؤسسها وبصغيره ينصب أبوابها (٢٧) وكان الرب مع يشوع وكان خبره فى جميع الأرض]

(الكتاب المقدس : يشوع { ٦ } : ٢٦ - ٢٧)

والمعنى هنا أنه ملعون كل من يقوم ببناء أريحا ، **ويخسر إبنه الأكبر ، الذى يضع أساس المدينه ، ويخسر إبنه الأصغر الذى يقيم أبواب المدينة** . وهذا المعنى يتضح جليا من النـص الإنجليزى ، كما جاء فى " **الكتـاب المقدس** " ، الـذى يحمـل عنـوان : " ترجمـة عالميـة حديثـة للنصـوص المقدسة : **New World Translation of the Holy Scrpture** " وهو كالنحو التالى :

[(26) Then Joshua had an oath pronounced at that particular time, saying " Cursed may the man be before Jahovah who gets up and does build this city, even Jer ' i . cho. At the forfeit of his first born let him lay the foudation of it, and at the forfeit of his youngest let him put up its doors] (Joshua 6 : 26)

٦ . ٤ . ونصوص فى البغض والكراهية وتفكك الأسرة والمجتمع

وأخيرا يمكن أن نمس مسا خفيفا مـا جـاء فـى الأنـاجيل مـن نصـوص ، عـن البغـض والكراهيـة وتفكك الأسرة . ففى إنجيل متى ؛ يقول السيد المسيح (أى الله فى الصورة البشرية) :

[(٤٩) جئت لألقى نارا على الأرض . فمـاذا أريد لـو اضطرمـت (٥٠) ولـى صبغـة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل (٥١) أتظنون إنى جئت لألقى سلاما على الأرض . كلا أقول لكم . بـل انقساما] [١٥٢] (الكتاب المقدس : لوقا { ١٢ } : ٤٩ - ٥١)

---

[١٥٢] كان يلزم التعرض هنا لمحاولة تبرير أو تفسير هـذا النـص " **جئت لألقـى نـارا علـى الأرض** ..." فـى الفكر المسيحى على نحو معقول . وذلك بهدف إلقاء مزيد من الضوء على طبيعة فكـر أئمـة الديانـة المسـيحية ، نحـو تـبرير النصوص الصارخة ، والغير منطقية . فيقول السيد القس إبرام داود سـليمان فـى كتابـه " كلمـات هادئـة عـن الـروح القدس " ، إصدار كنيسة القديسة العذراء ، أرض الجولف ـ مصر الجديدة ، فى الصفحة الخامسة ... فى تفسيره لهـذا النص ما يلى :

[فالروح القدس " نارى " فهو " النار الإلهية " ، التى جاء الرب يسوع ليلقيهـا فـى قلـب أولادة ...." **جئـت لألقـى نـارا** ..." والنار تزداد إشتعالا ، حتى لا تخمد ، فأى محاولة لتقليل إشتعالها هـى فـى الواقـع محاولـة لإطفائهـا ... ولهـذا يصرخ فينا الرسول بولس " **لا تطفئوا الروح** .... " **ليكون الروح نشيطا وفعـالا وناريـا فينـا** ... وكـل الأمـور التـى تحزن الروح هى أيضا تطفئه ، ويطفئه أيضا بالأكثر جنوح الإنسان إلـى " ذاتـه " ... فـأى إعتمـاد علـى الـذات معنـاه إطفاء للروح حتى لا تعمل .... فالروح القدس بطبيعته رقيق جدا ، ومتواضع جدا ، فهو يأخذ ممـا للمسيح ويعطينـى ويظل مختفيا . لذلك نخلص أن الروح القدس : " نارى " و " رقيق جدا " و " متواضع جدا "] . (إنتهى)

فكما رأينا لقد كان يلزم تعديل معنى هذا النص ، لأن أئمة العقيدة لم يستسيغوا أن يأتى السيد المسيح (وهو الله ..!!) لإلقاء النار على الأرض وعمل إنقسام فى البشرية ، كما لايعنيه أن تحترق الدنيا بكل ما فيها ....!!!
لذا لجأ السيد القس إلى تفادى ذكر النص كاملا ، حتى يمكن أن يأتى سيادته بتفسير معقول حول مجىء السيد المسيح إلى الأرض بهدف السلام ، وليس لإلقاء النار عليها . ولهذا إكتفى سيادته بذكر الثلاث كلمات الأولى فقط مـن النـص ، أى ذكر " **جئت لألقى نارا** ..." ، وبهذا قطع النص عما جاء بعده ، حتى يستطيع أن يقول بأن السيد المسيح جاء إلى الأرض لـ " **إلقاء النار فى قلب أولاده** " بدلا من " **جئت لألقى نارا على الأرض** ... " وإنه جـاء .. ليعمـل سـلاما على الأرض ، لا ليعمل إنقساما بين بنى البشر ، كما يفيد باقى النص ، كما ذكر أعلاه . كما لم يشر لنـا الكـاتب فـى تفسيره لهذا النص ، إلى نصوص الكتاب المقدس التى تم الإستناد إليها فى كون الروح القدس " رقيق جدا " ، و " متواضع جدا " . كما لم يقل لنا بكيفية الجمع بين هذه المتناقضات ... " نارى " و " رقيق جدا " و " متواضع جدا " .

ويتأكد المعنى السابق ، والذى يقول بإلقاء النار على الأرض ، مرة أخرى فى إنجيل لوقا بقول السيد المسيح :

[(٣٤) لا تظنوا إنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا (٣٥) فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها (٣٦) وأعداء الإنسان أهل بيته]

(الكتاب المقدس : متى { ١٠ } : ٣٤ - ٣٦)

وهو معنى مشابه تقريبا للنص السابق . وفى موضع اخر من إنجيل لوقا يقول السيد المسيح للجموع السائرة معه :

[(٢٥) وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم (٢٦) إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا]

(الكتاب المقدس : لوقا { ١٤ } : ٢٥ - ٢٦)

ويرى النقاد أن تعاليم المسيحية ، كما يصورها العهد الجديد تحارب العمران والمال والتقدم . فكما رأينا أن ـ من ضمن ـ نصوص المسيحية الدعوة لإلقاء النار على الأرض والحرب والإنقسام والتفرقة بين أعضاء الأسرة الواحدة والمجتمع . ولا يعنى السيد المسيح (الله فى الصورة البشرية) كثيرا أن يرى النار تضطرم فى كل الكرة الأرضية ...!!! كما يقول : **[جئت لألقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت]** .

فهذه هى نصوص مسيحية العهد الجديد ؛ هى دعوة للحرب ... هى دعوة للبغض ... ودعوة لكراهية الإنسان لكل ما حوله ... حتى ينال رضا الرب . ويمتد البغض والكراهية إلى كل ما حول الإنسان ... حتى يصل الحال بالإنسان إلى بغض نفسه شخصيا . لأنه لن ينال رضى الرب حتى يبغض نفسه كذلك ... !!! (أعد قراءة النصوص السابقة بتأن) .

٦. ٥. ونصوص فى ذبح الأعداء والمخالفين بمباركة الرب الإله ...!!

وليت الأمر يقف عند هذا الحد السابق ، بل تخطى كل الحدود حين طالب السيد المسيح ، صراحة أتباعه بسفك دماء كل من لا يرتضيه ملكا عليه ، أو بمعنى اخر بذبح كل من لم يرتض

بمثل هذه التعاليم . فعلى أتباع السيد المسيح ، إحضار هذا الشعب وذبحــه تحت قدميـه ... !!! .
وفى هذا الصدد نجد السيد المسيح يقول :

[(٢٧) أما أعدائى أولئك الذين لـم يريـدوا أن أملـك عليهـم فـأتوا بهـم إلـى هنـا واذبحوهـم قدامى] (الكتاب المقدس : لوقا { ١٩ } : ٢٧)

و " **أملك عليهم**... " *أى أكون ملكا عليهم* [١٥٣] . أما الأعداء فهم أى شعب لا يقبل بأن يكـون السيد المسيح ملكا عليه ، أو بمعنى أكثر تخصيصا هم أى شـعب لا يرتضـى فكرهـم بـأن يكـون عيسى إلها ... !!! . فيقول السيد المسيح لأتباعه ... " **فأتوا بهـم** ... " ، أى بهـؤلاء ، أو بهـذا الشعب الذى لا يرتضـى بهـذا التتويـج أو هـذا المنهـاج " ... **وإذبحوهـم قدامـى** ... " أى تحت قدمى (راجع النص بالإنجليزية فى التذييل السابق) . وبديهى إن لم يكـن السـيد المسيح موجـودا بالكيان الفيزيانى له وقت ذبح الأعداء ، فلا بأس من أن يتم الذبح أمام أى رمز أو وثن يشير إليه ، كما سنرى حالا .

وبعد كل هـذه النصـوص التـى تحمـل الإنسـان علـى الذبـح والقتـل والحـرب والخـراب والبغـض والكراهية ... وقل ما شئت ...!!! نجد الكتاب المقدس يقول ليس فقط فى رقة بالغـة ، ووداعـة شديدة ، بل أيضا فى براءة متناهية :

[... أحبوا أعداءكم باركو لاعنيكم ...]
(الكتاب المقدس : متى { ٥ } : ٤٤)

هل يمكن أن يكون هذا هو الإنسان ...؟؟!! هل يمكـن أن يوجـد كـائن عـاقل متعقـل ، يمكـن أن يجمـع بين كل هذه المتناقضـات ...؟؟؟!!!

ونعيـد التذكـير بقولـه تعـالى :

[أرأيـت مـن إتخـذ إلهـه هـواه أفـأنت تكـون عليـه وكيـلا (٤٣) أم تحسـب أن أكـثرهم يسـمعون أو يعقلـون إن هم إلا كالأنعـام بـل هـم أضـل سـبيلا (٤٤)]

---

١٥٣ والنص بالإنجليزية عن الترجمة العالمية :
[Moreover , these enemies of mine that <u>did not want me to become king over them</u> BRING here and slaughter them before me] .
وعن نسخة الملك جيمس :
[But those mine enemies, <u>which would not that I should reign over them,</u> bring hither, and slay them before me]

(القرآن المجيد : الفرقان (٢٥) : ٤٣ - ٤٤)

فهذا هو الحكم الإلهى لمن يقبل ـ من البشر ـ أن يلغى عقله . وبهذه الآيات يلقى الله – سبحانه وتعالى – الضوء على الجانب النفسى لسلوك الإنسان ، لعله يتنبه الى حقيقة إعتقاده ودينه ، ولعله يعى هذا لتدارك موقفه قبل فوات الأوان .

وأتمنى أن يعى أو أن يفهم الإنسان هذا الجانب النفسى لسلوكه ، كما جاء فى قوله تعالى [**أرأيت من إتخذ إلهه هواه ...**] فالقضية ليست تفسيرا جزافيا لنصوص عشوائية تتلون وتتباين بما يريد الإنسان ويهوى ، ثم يسميها فى النهاية دينا هكذا ببساطة شديدة ، أو وحيا سماويا . فالدين علم ومنطق ، كما سبق وأن بينا ، وليس تخريفا يدين به الإنسان ...!!!

لقد لعب أئمة الديانات ألوثنية دورا أساسيا فى إضلال الأتباع أو الشعب ، فماذا يكون حسابهم ، إنهم فى النار ، ولن يعفى هذا الأتباع أو الشعب من العقاب أيضا . وفى هذا الصدد ينبهنا الله ـ عز وجل ـ إلى أن الأئمة والأتباع (أو الشعب) كلاهما فى النار ، وسوف يتبرأ كل منهما من الآخر يوم القيامة . وأتمنى أن يفيق الإنسان التابع ، ليتبرأ من أئمة الدين ، قبل أن يتبرأوا هم منه يوم القيامة ، ولكن بعد فوات الأوان . كما جاء فى قوله تعالى :

[... **ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)**]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ - ١٦٧)

[وتقطعت بهم الأسباب : أى لن يقبل منهم أى أعذار أو أى تبرير لأسباب ضلالهم / حسرات : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

فهل وعى الإنسان " ...**وتقطعت بهم الأسباب** " ، وهل وعى الإنسان " ... **كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** " . ولا يكفى صفحات هذا الكتاب لشرح هذين النصين فقط ... أهناك منطق فكرى وإحاطة علمية أبعد من هذا ... !!! إنها جزئية فقط من الدين .

ونذكر بقول القس اللاهوتي بيتر دى روزا ، أحد قساوسة الفاتيكان ، عن أئمة أو قمة قمم الديانة المسيحية [١٥٤] (أى باباوات روما) :

بأن كثيرا منهم قتلة وبعضهم لادينيين ، **ومنهم الوثنيون والساديون** ، وبعضهم إشترى منصب البابا ثم قام ببيع بعض متعلقات الكنيسة ليسترد ماله . **ومنهم من كان يعبد الشيطان** . وكان لبعضهم أبناء غير شرعيين ، ومنهم من قام بالخيانة الزوجية على أوسع نطاق ... وبعضهم قد تم دس السم له ، وبعضهم تم خنقه ، **وأسووزهم من قام بعبادة وثن من الجرانيت** ....!!! وليس هذا فحسب ، **بل لم يكن البابوات قتلة بالجملة فحسب** ، **وإنما أرسو أيضا قاعدة القتل بأنه محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية** ، **وأنه من شروط خلاص النفس** ...!!!

ومازلت أكرر ، إننا لسنا بصدد " **قضية تبشيرية بدين ما** " ، بقدر ما نحن بصدد " **قضية خلاص الإنسان نفسه** " ، ونجاته إذا ما أدرك حقيقة وجوده ، وحقق الغايات من خلقه .... فهل وعى الإنسان ذلك وأدرك ...!!!

إن ما ذكر فقط ؛ هو بعض الأمثلة التى جاءت فى العهد الجديد . وهى أمثله تمثل التناقض الصارخ ، والتطرف البالغ ...!!! الذى يعطى العالم المسيحى كل الحق والمسوغات اللازمة ، والمبررات الكافية لإرتكاب أبشع وأفظع أنواع المجازر البشرية تحت مسميات دينية ... ولم لا وإلههم يقول : [..... **فأتوا بهم (أى أعدائه) إلى هنا واذبحوهم قدامى (أو تحت قدمى فى تراجم أخرى)**] .

ثم تأتى الأناجيل لتعطى السلطة المطلقة لرجال الكهنوت ، **وهم كما رأينا منهم القتلة واللادينيين وعبدة الشيطان** ... ، أن يفعلوا ما يشاءون ، بإسم السماء وبإسم السيد المسيح (أى الإله) ، كما يقول المسيح لبطرس ...

[(١٩) وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات]
(الكتاب المقدس : متى { ١٦ } : ١٩)

ويعمم الإنجيل هذا الفكر ، فيقول .. أن على المخطئين ـ على نحو عام ـ أن يسمعوا للكنيسة ، ومن لا يسمع للكنيسة فهو كالوثنى أو الكافر ... ويحق للكنيسة أن تفعل به ما تشاء ...

---

١٥٤ " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : أسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ٣٦ . راجع أيضا ما تم كتابته هنا هذا الشأن بند ٥ ؛ ص : ٣٧٥ .

[(١٧) ... وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار (١٨) والحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء]

(الكتاب المقدس : متى { ١٨ } : ١٧ - ١٨)

٧. وبعض التطبيقات التاريخية لنصوص الكتاب المقدس .

وهناك تطبيقات تاريخية كثيرة لهذا الفكر الدموى - السابق عرضه ــ للديانة المسيحية ، وسوف نكتفى هنا بضرب بعض الأمثلة التاريخية التى حدثت ، كشاهد صدق على تطبيق هذا الفكر على مر العصور والحضارات .

فبادىء ذى بدء ، نجد أن القديس أوغسطين [١٥٥] (عام ٤٣٠) قد صاغ مبدأ الإضطهاد الدينى لهداية الأجيال التالية ، مستندا فى ذلك على نصوص الكتاب المقدس ، ومنها ما سبق ذكره فى البند السابق . وقد سلم أوغسطين بمعاقبة الملحد بالنفى والجلد وفرض الغرامات عليه . وقد وضع أوغسطين للكنيسة دستورا تلتزمه إزاء كل حركة إلحادية ، فمضت الكنيسة بعد هذا جاهدة فى تحقيق هذا الدستور . ومفهوم كلمة " **إلحاد** " هو الخروج أو التنكر لأى فكر أو مقررات تقول بها الكنيسة على أى نحو .

وبعد ممات القديس أوغسطين ببضع عشرات من السنين ، فرضت الرقابة على المطبوعات ، وصدرت أول قائمة بالكتب التى حرمت قراءتها على المؤمنين . وما إنتصف القرن الحادى عشر حتى إرتفعت المطالبة باستخدام السلاح الدنيوى فى معاقبة الملحدين ، ونفيهم ومصادرة أملاكهم ، وهدم بيوتهم ، وحرمانهم من حقوقهم المدنية ...!!! . ثم أنشئت محاكم التفتيش لتتولى مطاردة المارقين وتعذيبهم إلى حد إحراقهم وهم أحياء ...!!! وبديهى أن جميع الأمثلة التى سوف يتم سردها هنا ، هى حقائق تاريخية حدثت بالفعل ، كنتيجة طبيعية لفكر دموىٍ قد قضى به الكتاب المقدس ، على النحو السابق ذكره .

---

[١٥٥] أوغسطين : **Saint Augustine** (٣٥٤ - ٤٣٠ م) لاهوتى وفيلسوف كاثوليكى . حاول التوفيق بين الفكر الأفلاطونى والعقيدة النصرانية .

٧. ١ ـ محاكم التفتيش ....

وتاريخ محاكم التفتيش هو تاريخ الدكتاتورية الدينية والإضطهاد الدينى فى أبشع صوره ، وقتل حرية الفكر الإنسانى بأبشع أداة . ومن أقذر سبل هذه المحاكم إنها حتمت أن يبلغ كل إنسان فى غير تباطؤ ما يصل إليه سمعه بشأن الملحدين (أو الهراطقة) ، **والملحد** هو كل ما يخالف الكنيسة الكاثوليكية فى الرأى . وهددت من يتوانى فى التبليغ بعقوبات صارمة فى الدنيا والاخرة ، فانتشر بسببها نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

وقد ظهرت " **محكمة التفتيش** " أول مرة فى عهد ثيودوسيوس (٣٩٥) . أما الميلاد الحقيقى لمحاكم التفتيش فقد جاء بعد إعتلاء البابا جريجورى التاسع عرش البابوية فى عام ١٢٢٧ ، وذلك حين أصدر كتابا بأن يحرق جميع المشعوذين والملحدين أو من يحذوا حذوهم . **والمشعوذ أو الملحد** ليس له تعريف محدد فى الفكر الكنسى . حتى قيل : " **أن المسيح نفسه كان سيعتبر مشعوذا لو كان حيا فى عصر محاكم التفتيش** " . كما أعتبر البابا هونوريوس [١٥٦] نفسه مشعوذا ـ كان هذا قبل إعتبار أن البابا معصوم من الخطأ ـ عندما لم يوافق ـ هذا البابا ـ على رأى المجلس الكنسى الذى قال بأن المسيح ذى طبيعتين (إلهية وإنسانية) ، وليس ذى طبيعة واحدة [١٥٧] .

وعلى هذا فإنه يمكن تعريف **المشعوذ** : **بأنه كل من يخرج عن النمط الدينى الذى يرسمه البابا ، أو كل من يعترض على أى قرار أو تعليم بابوى** [١٥٨] . وبهذا بدأت الإبادة المنظمة للمشعوذين ، وجعلها البابا واجبا دينيا على كل كاثوليكى . وقد تم تنظيم محاكم التفتيش من المفتشين ، وكان أعضاؤها مقصورة على شرائح معينة من رجال الكنيسة كالدومينيكان مثلا . وكان كل شيء مباحا للمفتشين ، فهم الجناة والقضاة فى نفس الوقت ، وكانوا يستلهمون سلطتهم من البابا رأسا وهو المعصوم من الخطأ ، لذلك لم يخضعوا للقوانين المدنية أو لأى سلطة كنسية أخرى .

وقد كثر صرعى هذا النظام ، ولم يكن الغرض من التنكيل بالملحدين وإعدامهم ، مجرد التخلص منهم ومن شرورهم ، بل كان الهدف هو إيثار الفزع فى نفوس الذين يوسوس لهم الشيطان بالمروق . ولم يكن الإعدام يجرى على وجه السرعة ، بل جرت العادة بأن يحرق الملحدون

---

[١٥٦] فى الفترة من ٦٢٥ إلى ٦٣٨ .

[١٥٧] " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : أسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ١٢٠ – ١٢٤ .

[١٥٨] المرجع السابق ؛ ص : ١٤١ .

أحياء ، وبأن تكون النار بطيئة لا تأتى علــى ضحيتها مـرة واحـدة ..!!! وكـانوا **يبررون إطالـة العذاب على هذا النحو ، لأنـه يبيح للمتهم فسحة من الوقت ، يستطيع أن يعلن فيها توبته ...!!**
وهذا الإحراق بالنار كانت تسبقة مراحـل مـن التعذيـب بـالكى بالنـار ونحـوه ، حيـث يختـبر فيهـا صلابة الفرد وعمق إيمانه وقوة إرادته ، لإنتقـاء أنسـب أسـلوب لحرقـه . ومـن الغريـب أن هـذا الأسلوب فى إختبار قدرة المتهمين قبل حرقهم ، قد حـدده أمـر بـابوى أصـدره إنوسـنت الرابـع ، وأعاد توكيده كليمان الرابع فى أمر بابوى آخر [159] . **وبمثل هـذا العذاب الجسـمانى ، عوقب الذين زاولوا التفكير الحر فى البحث عن الحقيقة .**

وكم كان مثيرا للهلع منظر الملحد وهو يسام العذاب ، وكم كانت الام الزوجه أو الأم مثـارا لكـل إشفاق ..!! وهى ترى من كانت تفتديه بحياتها ... يتلوى من فرط الألم ... ويرتجف من هـول الفزع ... وهى ترقب النار وهى تأتى على أعضائه فى بطء عضو بعد الآخر ، فـإذا مـا خمـدت أنفاسه واستراح من هذا العذاب البشع ... قيل لهذه البائسة :

إن هذه إرادة الله الذى تعبدين ....!!!

وأن هذا العذاب ، ليس إلا صورة باهتة لعذاب سرمدى وأبـدى سـوف ينزلـه بـه اللـه ، وبأمثالـه الملحدين . **ولنا أن نتخيل ماذا سيكون عليه رد فعل هؤلاء البؤساء تجاه الإلـه ، وخصوصا إذا ما كانت إرادة هذا الإله على هذا النحو من التوحش والقسوة .**

وكما سبق وأن ذكرنا ، أن الملحد - من وجهة نظـر الكنيسـة ـ هـو كـل مـن يعتنـق فكـرا مخالفـا لفكرها ، مثل بنيامين كبير أساقفة مصر ، الذى تم إحراقه بـأن سلطت عليـه الشـموع ، وخلعـت أسنانه أيضا زيادة فى التنكيل به ، لأنه رفض الخضوع لقـرار **مجمـع خلقدونيـة** الـذى يـرى أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية ...!!!

وترى قمة الإختـلال النفسـى والعقلى فـى ذلـك الوقـت لأعضـاء محـاكم التفتيش ، عندمـا يعلـن القـاضى الإكلـيركى أن السـجين ملحـد ، ولا أمـل فـى توبتـه . ثـم يسـلمة للسـلطات الدنيويـة ... **ويلتمس عندها إلتزام الرحمة والرفق فى معاقبته ... وهو يعلم أن السلطة الدنيوية لا تملك إلا إعدام المتهم بالهرطقة فى مدة لا تتجاوز ستة أيام** ، وإلا أتهمـت هـى ـ نفسـها ـ بـالعمل علـى ترويج الإلحاد ...!!!

[159] " قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل ، ص ٨٤ وما بعدها . وانظر كذلك " مقارنـة الأديان ـ ٢. المسيحية " د. أحمد شلبى ، ص ٦٧ وما بعدها .

وهكذا غرقت أوربا فى بحر من الدماء على يد محاكم التفتيش . أما الأعداد التى أعدمت فأكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نسوق هنا بعض الأرقام للدلالة على بشاعة هذا الإضطهاد الدامى ، معتمدين فى هذا على " **لورنتى : Lorente** " ، سكرتير التفتيش فى أسبانيا والمؤرخ فى نفس الوقت ، والذى أتيح له البحث بمطلق الحرية فى " أرشيفات " محكمة التفتيش فى أسبانيا [١٦٠] فقط .

يقول لورنتى إن محكمة تفتيش أسبانيا قدمت وحدها إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس ، من عام ١٧٩٠ إلى ١٧٩٢ ، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفا عقوبات أخرى تلى الإعدام فى صرامتها ، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة ـ الأسبانية ـ فى مكسيمو وليما بأمريكا الجنوبية ، وقرطاجنه وجزر الهند الغربية وصقلية وسردينيا ، وأوران ومالطة ...!!!

وقد كان من أشهر المفتشين في أسبانيا هو " توماس الطرقماوى " ، الذى إستمر فى منصبه لمدة خمسة عشر عاما ، وكان له (١١٤,٠٠٠) ضحية تم إحراق (١٠,٢٢٠) منهم . وعندما غزا نابليون أسبانيا عام ١٨٠٨ ، إعتصم القساوسة الدومينيكان بديرهم فى مدريد ، وعندما إقتحمه نابليون عنوة أنكر الدومينيكان وجود أى حجرات للتعذيب ، ولكن عند البحث والتنقيب وجدها جنود نابليون تحت الأرض مليئة بالمساجين وكلهم عرايا وكثير منهم معتوه . ورغم أن القوات الفرنسية لم تكن تتميز برقة الشعور إلا أن هذا المنظر قد أثار شعور جنودها ، فأخرجوا المساجين وفجروا الدير بأكمله .

وقد حدد بعض المؤرخين عدد الذين أعدموا فى عهد تشارلس الخامس فى الأراضى الواطئة وحدها بخمسة آلاف نسمة ، وارتفع البعض الآخر بهذا العدد إلى مائة ألف ..!! وقد لاقى نصف هذا العدد ـ على أقل تقدير ـ حتفه فى عهد ابنه . ففى السادس عشر من شهر فبراير من عام ١٥٦٨ أصدر الديوان المقدس قرارا بإدانة جميع سكان الأراضى الواطئة والحكم عليهم بالإعدام متهمين بالهرطقة ...!!! واستثنى هذا القرار بضعة أفراد نص القرار عليهم بالإسم ..!! وبعد عشرة أيام أعلن الملك صحة هذا القرار وأمر بتنفيذه فى الحال ؛ فسيق إلى المقصلة الاف من الرجال والنساء والأطفال فيما يروى **ليكى** (المؤرخ) .

---

١٦٠ " قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل ، ص ٨٧ وما بعدها . و " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : آسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ١٢٠ – ١٢٢ .

وبعد هذا كله ...!!! يقول الكتاب المقدس فى رقة بالغة ، ووداعة شديدة ...

[... أحبوا أعداءكم باركو لاعنيكم ...]

(الكتاب المقدس : متى { ٥ } : ٤٤)

فهل يمكن أن يكون هذا هو الإنسان ... ذلك الكائن العاقل المتعقل ...؟؟؟!!!! واستمرت محاكم التفتيش قائمة فى العالم الكاثوليكى حتى القرن الثامن عشر ، بل ظلت قائمة فى أسبانيا شطرا من القرن الماضى . بل إن إلغاءها لم يقض على التعصب الذي كان قد أدى إلى وجودها ، ولم يتحرر العالم من هذه الظلمات إلا بعد المعارك الطاحنة التى أثارها الأحرار .

٧ . ٢ ـ *الحروب الصليبية . . .*

فى ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥ ، قام البابا أوربان الثانى [١٦١] ، بابا الكنيسة الكاثوليكية يدعوا العالم المسيحى إلى الحرب المقدسة لإستعادة الأراضى المقدسة ، من يد العالم الإسلامى ، بعد أن أعلن أن المسلمين كفرة يستباح دماؤهم [١٦٢] ، والإستيلاء على ممتلكاتهم .

وبهذه الدعوة بدأت الحرب الصليبية الأولى ...!!! ثم جاءت من بعدها الحرب الصليبية الثانية ، ثم الحرب الصليبية الثالثة ... ثم الرابعة ... ثم الخامسة ..... حتى بلغت هذه الحروب ثمانى حروب مقدسة واستغرقت مائتى عام ، تحت شعار :

هكذا أراد الله [١٦٣] " أو " إنها إرادة الله "

أى أن هذه الحروب هى إرادة الله . وأعلن أوربان الثانى إنه سوف يغفر الذنوب جميعا لمن يسهم فى هذه الحروب الصليبية ، من منطلق التفويض الإلهى الممنوح له .

ودخلت قوات الحملة الصليبية الأولى [١٦٤] الأراضى المقدسة ، وتم إنتخاب " جود فروى " دوق لورين وقائد الحملة ، ملكا على أورشليم ، بعد ظهر يوم الجمعة ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ ، فى مشهد تاريخى رهيب .... يقول عنه المؤرخ " جيبون " :

---

١٦١ إسمه الأصلى اودو دى لاجرى (١٠٤٢ - ١٠٩٩) . ولد بالقرب من مدينة شاتيون على نهر المادن فى فرنسا . وقد جاء من أسرة نبيلة ، وتلقى تعليما جيد . وابتدأ سلك الرهبنة والكهنوت من مراحله الأولى حتى أصبح بابا الكاثوليك فى سنة ١٠٨٨ . ومات البابا أوربان الثانى سنة ١٠٩٩ ، بعد أسبوعين من إستيلاء الصليبيين على مدينة القدس . وقد مات دون أن تبلغه أنباء هذا النصر الكبير .

١٦٢ " التبشير " ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٠٣ .

١٦٣ كان أول من صرخ بهذا الشعار هو " **بطرس الناسك** " ، وردده فيما بعد البابا أوربان الثانى عدة مرات فى المؤتمر الكنسى الذى دعى إليه فى ٢٣ نوفمبر عام ١٠٩٥ ، لإنقاذ الأرض المقدسة من أيدى المسلمين ، حتى غدى هذا شعار هذه الحروب فيما بعد .

" إن خدام رب المسيحيين رأوا بإعتقادهم الأعمى أن يكرموا الرب ، فقاموا بذبح ٧٠ (سبعين) ألفا من المسلمين .... تعظيما وإجلالا وزلفى وقربانا له .... ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء ... وقد إستمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ، وأن من إحتفظوا بهم من الأسرى دون أن يقتلوه ، إنما يرجع بقاؤهم على قيد الحياة إلى التعب والإجهاد الذى أصاب الصليبيين من كثرة ما قاموا به من القتل والذبح " .

وتقول الألمانية زيجريد هونكه [١٦٥] ؛ أن رجال الدين المسيحى المصاحبين للحملة الصليبية كانوا يرددون ـ أثناء قتل وذبح الأطفال والنساء والشيوخ ـ وأيديهم وسيوفهم مخضبة بدماء المسلمين ، مزمور داود الثامن والخمسين الذى يقول :

[(١٠) **يفرح الصديق** (بكسر وتشديد الصاد والدال ، أى البار) **إذا رأى النقمة** (الثأر) . **يغسل خطواته** (أى رجليه) **بدم الشرير** (١١) **ويقول الإنسان إن للصديق** (أى للبار) **ثمرا** (أى مكافأة) . **إنه يوجد إله قاض فى الأرض**]

(الكتاب المقدس : مزامير {٥٨} : ١٠ ـ ١١)

والمعنى هو أن على الصليبيين أن يبتهجوا بإبادة وحصد المسلمين . وليس هذا فحسب ، بل أن عليهم أيضا أن يغسلوا أرجلهم ليس **بدمائهم فقط** ؛ بل **فى دمائهم** أيضا . ويتضح هذا المعنى جليا من نفس هذا النص كما تجىء به نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس [١٦٦] ، والذى

---

١٦٤ فى الحقيقة كانت هذه الحملة هى الحملة الصليبية الثانية ، فعقب دعوة البابا أوربان الثانى لإنقاذ الأراضى المقدسة ، تم تأليف جيش قوامه مائتا ألف مقاتل . يقول عنهم المؤرخون : " إنهم من المرتزقة وقطاع الطرق والأفاقين تحت قيادة " جوتيه المعدم " ، واتخذ هذا الجيش " عنزة وأوزة " شعار له ، كانتا على حد قول المؤرخين مهبط الوحى الإلهى لهم .
وكانت الطقوس الدينية التى تباشرها هذه القوات ، خليط من العبادة والعربدة ... من الصلاة والسكر والإنحلال الخلقى .... وكانت الحملة فى زحفها لا تعدوا عن أن تكون عصابة كبيرة دأبت طول الطريق على السطو والقتل . فثارت حفائظ أهل البلاد التى مروا بها . وتجمعوا للدفاع عن أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ... وانقضوا على هذا الجيش وشتتوا شمله . ففر رجاله ، وكان بطرس الناسك فى طليعة الفارين . ثم عادت فلول الجيش فتجمعت من جديد ، وواصلت المسير حتى بلغت القسطنطينية ، حيث أمر الإمبراطور البيزنطى " ألكسيس " بإبعادهم ، ونقلهم إلى البر الأسيوى للبوسفور ... إلى أن لاقاهم الأتراك بالقرب من مدينة " نيقية " فى معركة إنتهت بهزيمة الصليبيين . وانتهت الحملة التى كان شعارها " هكذا إرادة الله " .
وكانت كارثة الحملة الصليبية درسا لم ينسه الغرب ولا الكنيسة ، حينما شرعا فى تنظيم حملتهما التالية ، فأطلقوا عليها ـ كما هو معروف تاريخيا ـ " الحملة الصليبية الأولى " وذلك تبرءا من سابقتها .

١٦٥ " **الله ... ليس كذلك** " زيجريد هونكه ؛ ترجمة د. غريب محمد غريب ؛ دار الشروق ـ مؤسسة بافاريا . صفحة ٢٢ وما بعدها .

١٦٦ والنص بالإنجليزية كما يأتى فى نسخة الملك جيمس أكثر وضوحا وصراحة من النص العربى وهو كالتالى :
[(10) The **righteous** shall rejoice when he seeth the vengeance ; **he shall wash his feet in the blood of the wicked** (11) So that a man shall say , verily there is a **reward** for the righteous ; verily he is a God that judgeth in the earth] (**King James Version** ; Psalms , Chapter 58 , 10 - 11)
وقد كتبت معان الكلمات المناظرة بالخط العادى بين قوسين فى النص العربى .

حاول المترجم إلى العربية أن يخفف من حدة كلماته من الأصل اللاتينى له . وكما نرى ؛ فإن دعوة " الإله " لديهم مزيد من سفك الدماء ...!!!

ويعجب المؤرخ لودفج ... فيقول :

" كيف ساغ لزعماء الكنيسة والأشراف من الصليبيين بعد هذه المذبحة أن يوفوا نذرهم ، ويكشفوا رؤوسهم ، ويخلعوا نعالهم ، ليسيروا فى بحار من الدماء ، ليصعدوا إلى المرتفعات التى نصب عليها الصليب ، ويلصقوا شفاههم بقبر المسيح ، بين مختلف التراتيل والتسابيح والأناشيد والمزامير ...!!!؟؟؟ لقد كان منظرا بشعا لا يمكن أن يتصورة أحد . **فهؤلاء أراقوا دماء سبعين ألف مسلم ، وهم الآن يلتمسون الغفران وتطهير أجسادهم وأرواحهم** ، ويأملون فى العفو عن خطاياهم ، بل ويستمدون البركة من الكنيسة " [١٦٧] .

وبعد هذا كله يقول الكتاب المقدس فى رقة بالغة ، ووداعة شديدة ....

[... أحبوا أعداءكم باركو لاعنيكم ...]

(الكتاب المقدس : متى { ٥ } : ٤٤)

فهل يمكن أن يكون هذا هو الإنسان ... ذلك الكائن العاقل المتعقل ...؟؟؟!!!!

ويقول " جيبون " :

" أن الحملة الصليبية الأولى تركت فى التاريخ أثرا مؤلما يدل على أقصى ما عرف من التعصب ، لا ضد المسلمين فحسب بل وضد مسيحيى الشرق . إذ أنه بمجرد إستقرار الأمر للصليبيين بادروا بإتهام مسيحيى الشرق بالإلحاد والتمرد على سلطة الكنيسة الشرعية - يقصد سلطة البابا - فاضطهدوهم ، وحاربوهم فى أرزاقهم وطردوهم من أعمالهم " .

ويضيف قائلا :

" إن مسيحيى الشرق لاقوا من أولئك الذين جاءوا لإنقاذهم من حكم المسلمين ، ما جعلهم يقارنون بحسرة بين سماحة الحكام المسلمين ، وبين ما لاقوه من التنكيل والعذاب على أيدى حكام الغرب " .

---

[١٦٧] لاحظ أن البابوات لم يكونوا قتلة بالجملة فحسب ، بل أرسوا أيضا قاعدة أن القتل محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية ، بل ومن شروط خلاص النفس كذلك . [التاريخ الأسود للكنيسة ؛ القس دى روزا . ص : ٩٩]

٧. ٣ ـ مذبحة سان بارثلميو

وهناك مثال اخر ، قد نفذت فيه المسيحية تلك الوصايا السابقة بدقة ، واستوحت من هذه النصوص مسلكها تجاه خصومها فى الرأى والعقيدة . ومن الغريب أنهم عندما كانوا يسفكون دماء مخالفيهم لا يرون أنها جرائم ، بل على العكس فقد كانوا يعتبرون هذه الدماء قربانا يطلبون به رضوان الرب .

ويبدأ هذا المثال بظهور البروتستانت [١٦٨] ، حيث اتجهت الكنيسة الكاثوليكية بالإضطهاد العنيف لهم . وكثرت المذابح ، وكان من أهمها مذبحة سان بارثلميو (أو القديس بارثلميو) فى باريس فى ٢٤ إغسطس عام ١٥٧٤ [١٦٩] ، لما فيها من غدر واضح وخيانة . فقد دعى الكاثوليك خصومهم البروتستانت إلى باريس لعمل تسوية تقرب من وجهات النظر . وفى منتصف الليل دق ناقوس كنيسة " سان جرمان " مؤذنا ببدء المذبحة :

" فإذا بأشراف الكاثوليك والحرس الملكى وجموع الجماهير تنقض بغدر وخيانة على بيوت البروتستانت والفنادق التى اوتهم وهم نيام ، وتأتى عليهم ذبحا . فلما أصبح الصباح كانت شوارع باريس تجرى بدماء ألفين من البروتستانت ، وتطايرت أنباء المذبحة المروعة إلى الأقاليم ، فإذا هى تستحيل بدورها إلى مجزرة تجرى بدماء ثمانية الاف أخرى من البروتستانت . وقد قيل أن هذه المذبحة قد أودت بحياة نيف وعشرين ألفا " .

وقد أثار وقوع هذه المذبحة الغبطة والرضا فى أوروبا المسيحية الكاثوليكية كلها ، فكاد "فيليب الثانى [١٧٠] " يجن من فرط الفرح عندما بلغته أنباؤها وإنهالت التهانى على " تشارلس التاسع [١٧١] " بغير حساب . وأمر البابا " جريجورى الثالث عشر [١٧٢] " بسك أوسمة تخليدا لذكرى هذه

---

[١٦٨] من أهم مبادىء الكنيسة البروتستانتينية الاتى : (١) من حق كل مسيحى أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره ، ولا يقتصر ذلك على رجال الدين فقط . (٢) يجب ترجمة الكتاب المقدس للغات حتى يقرأه الناس على إختلاف لغاتهم وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها . (٣) ليس للكنيسة حق غفران السيئات للناس . (٤) لا علاقة بالعشاء الربانى بجسم المسيح ودمه . (٥) عدم إتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس وعدم السجود لها فذلك للوثنية أقرب . (٦) عدم الإعتراف بضرورة الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الدين . وبديهى ـ بالمقابلة ـ فإن الكنيسة الكاثوليكية تقول بالعكس . " **مقارنة الأديان ـ ٢ (المسيحية)** " د. أحمد شلبى ، ص ٢١٨ .

[١٦٩] " التعصب والتسامح بين المسيحية الإسلام " محمد الغزالى ، ص ٣٢٤ وما بعدها . أنظر كذلك " قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام " الكتور توفيق الطويل . ص ٩٦ وما بعدها .

[١٧٠] فيليب الثانى **Philip II** (١٥٢٧ - ١٥٩٨) ملك أسبانيا فى الفترة من (١٥٥٦ - ١٥٩٨) . عمل على تعزيز مكانة أسبانيا السياسية والعسكرية .

[١٧١] شارل التاسع **Charles IX** (١٥٥٠ - ١٥٧٤) ملك فرنسا فى الفترة من (١٥٦٠ - ١٥٧٤) فى عهده إنفجر الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت .

[١٧٢] غريغوريوس الثالث عشر **Gregory XIII** (١٥٠٢ - ١٥٨٢) بابا روما فى الفترة (١٥٧٢ - ١٥٨٥) . ينسب إليه التقويم الغريغورى .

المذبحة ، وتوزيعها على أعيان الشعب ، وقد رسمت عليها صورته وإلى جانبه ملك يضرب بسيفة أعناق الملحدين . وكتب على هذه الأوسمة " **إعدام الملحدين** " . وأمر البابا - إلى جانب هذا! - بإطلاق المدافع ، وإقامة القداس في شتى الكنائس ، ودعا الفنانين إلى تصوير مناظر المذبحة على حوائط الفاتيكان ، وأرسل تهنئة خاصة إلى " تشارلس " .

٧ . ٤ - *مذبحة الألبيجيين*

أما مذبحة الألبيجيين (أو الألبيين) ؛ فهى مثال اخر من أمثلة التعصب الدينى . وتتلخص هذه المذبحة فى أن رعايا أمير تولوز من الألبيجيين قد إتهمتهم الكنيسة بالهرطقة ، وكان هذا فى عهد البابا إينوسنس الثالث . فأشار البابا على أمير تولوز أن يستأصلهم من إمارته . فأبى الأمير أن يذعن لطلبه [١٧٣] . وهنا أمر البابا فرسانه بدخول المدينة عنوة وتصفية ما فيها .

ويقول " **لى** " فى كتابه " **تحقيقات فى العصور الوسطى** " ، لقد تم القضاء على الألبيجيين فى " مذبحة ليس لها مثيل فى التاريخ الأوربى " . فقد تم حصار مدينة بيزييه ، وعندما نجح فرسان البابا فى دخولها قاموا بقتل وذبح أكثر من عشرين ألف شخص ما بين رضع ونساء وشيوخ ورجال ، **رغم إحتمائهم بكنيسة القديسة مريم المجدلية** ، ثم تم إحراق المدينة بأكملها بحيث أصبحت كومة من التراب ولم يبق فيها أثر واحد .

وفى هذه المذبحة تم لأول مرة ذبح رجال الكنيسة وخاصة أثناء إقامة صلاة وشعائر دينية [١٧٤] . وحتى ذلك التاريخ كان عهد القيصر ديوكليتيان يعتبر عصر شهداء المسيحية ، لأن هذا القيصر قام بقتل نحو ألفين من المسيحيين . أما **البابا إينوسنس الثالث والذى قامت هذه المذبحة تحت رعايته ، فقد قام بقتل أكثر من عشرة أمثال عدد عصر الشهداء من المسيحيين** . وعندما وصلته أخبار هذه المذبحة خر ساجدا لله شاكرا له على نعمانه ونصره له ...!!!

٨ - *وبعض شروط أخرى للخلاص*

كما وسبق أن بينا ، فإن أهل العقيدة يقولون بأن الكتاب المقدس هو الوحى المعصوم من الخطأ . وبالتالى فإن هذا الإعتقاد يستلزم الإيمان بكل ما سبق ذكره من نصوص . ولكن ليس هذا فحسب

---

١٧٣ " قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل . الزهراء للإعلام العربى . ص : ٧٧ .
١٧٤ " **تاريخ الكنيسة الأسود** " ، القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : أسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ٤٠

كاف لنيل الخلاص كما يرسمه الكتاب المقدس . بل إن من أصول المسيحية أيضا ، لنيل الخلاص ، ترك الدنيا بما فيها ، ودعوة لنبذ العمل بكل صوره ، وذم الغنى وتقبيحه . بل ومن الأفضل أن يخصي الإنسان نفسه كذلك في سبيل نيل الخلاص . ففي الإصحاح السادس من إنجيل متى ، يقول السيد المسيح (أي الإله المتجسد) :

[(٢٤) لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال (٢٥) لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون . ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس]

(الكتاب المقدس : متى { ٦ } : ٢٤ - ٢٥)

وبديهي إن الطعام واللباس هما من أساسيات الحياة . إذ لا حياة بدونهما . وحتى إن قصد بالحياة في هذا النص ، هي الحياة الأخرة وليست الأولى ، فتكون هذه النصوص دعوة صريحة لنبذ العمل بجميع صوره . والسؤال الآن ... أليست هناك أعمال صالحة ..؟؟ ثم من الذي قال أن الإنسان مركب على نحو لا يسمح له - تركيبه هذا - إلا القيام بعمل واحد فقط لا غير ؟؟!! ... فمن منا ليس له أكثر من عمل يحبه أو أكثر من إهتمام يعشقه ...!!! فهناك الكثيرون الذين يقومون بجمع المال ثم يوقفونه على أعمال الخير من مستشفيات ومدارس وبحوث ... وغيره .

وجاء في الإصحاح التاسع عشر ، عندما سأل شاب غنيا يسوع بأنه حفظ الوصايا منذ حداثته ، فماذا يعوزه بعد ذلك لكي يدخل ملكوت الله ؛

[(٢١) قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني (٢٢) فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا . لأنه كان ذا أموال كثيرة (٢٣) فقال المسيح لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات (٢٤) وأقول لكم أيضا أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله]

(الكتاب المقدس : متى { ١٩} : ٢١ - ٢٤)

فكما نرى أن من المستحيل أن يدخل غنيا في ملكوت الله ، أي جنته ...!!! وهكذا فإن الغنى مرفوض على نحو مطلق . كما نجد في نفس الإصحاح :

[(١٢) .... ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات . من إستطاع أن يقبل فليقبل] (الكتاب المقدس : متى { ١٩} : ١٢)

وهكذا قصر الفكر المسيحى ملكوت السماء ، أو الخلاص أو النجاة البشرية ، على من لا يهتم بمأكله ، ومن لا يهتم بمشربه ، ومن لا يهتم بملبسه ، ومن لا يملك درهما فى يده ، ومن لا يؤدى عمل ما حتى لا يكون غنيا ... !!! وإمعانا فى التطرف يجب أن يخصى الإنسان نفسه كذلك لأجل ملكوت الرب ...!!! ولمن يكون النسل إذن بعد الخصاء ..!! وهل يوقف النسل على الأشرار فقط ، دون الأتقياء والصلحاء ...؟!!! لا ندرى ..!!

وبالقياس البسيط ، سوف لا نجد من يحقق شروط النجاه هذه فى العالم المسيحى قاطبة ..!! حتى ولا أئمة الديانة منهم ...!!! بل ولا قمة قمم هذه الديانة ، وقدوة البشرية فى تطبيق النصوص المقدسة ، أى باباوات روما ...!!! وفى هذا الشأن يقول القس اللاهوتى بيتر دى روزا [١٧٥] :

إننا نجد البابا (يقصد بابا روما ، أى خليفة السيد المسيح على الأرض) ، يسكن فى قصر مكونا من : **أحد عشر ألف غرفة ، بخلاف المقر الصيفى المطل على بحيرة ألبانو** . ولم يكتف البابا يوحنا بولس [١٧٦] بهذا ، بل قام ببناء حمام سباحة لإستخدامه أقل ما يقال عنه إنه فخم جدا . **ففى الواقع ، إن البابا يعيش وسط كنوز ذات أصل وثنى ، ويرفل فى الحرير والذهب بمعنى الكلمة** .

ثم نذكر على سبيل المثال أن سور إسطبل البابا كليمنس السادس كان من الذهب الخالص [١٧٧] . أما ملابس البابوات ، فهى أقرب إلى ملابس الملوك منها إلى ملابس الزاهدين ورجال الدين . ففى حفل تنصيب البابا إينوسنس الثالث ، قام البابا بلبس عباءة الملك المرصعة بالجواهر بدلا من عباءة البابوية البيضاء اللون ، وتغيرت كلمات التنصيب التى يتلوها أحد " الأرشدياكونات " إلى : " تسلم هذا التاج وأعلن أنك أبو الملوك والقياصرة وحاكم العالم خليفة المسيح فى الأرض " . ثم إمتطى إينوسنس بعد التنصيب ، جواده المرصع بالجواهر ، وانطلق عبر المدينة قاصدا كنيسة لاتيران (كاتيدرانية روما) .

وبديهى إذا كان الإنسان يرفل فى الحرير ويسكن القصور ويعتلى العروش ، فليس من السهل تقبله على أنه خادم الرب ، أو الرجل الفقير القادم من طبرية (يقصد بهذا بطرس الرسول) إلى الفقراء والمساكين ...!!!

[١٧٥] " **تاريخ الكنيسة الأسود** " ، القس اللاهوتى بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : أسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ٣٠ .
[١٧٦] يقصد بهذا البابا يوحنا بولس الثانى (البابا الحالى) وهو بولندى الأصل وتولى منصبه عام (١٩٧٨ ـ ...) . [موسوعة جروليلر الإلكترونية – لسنة ١٩٩٥] .
[١٧٧] المرجع السابق ؛ ص : ٦٩

وهكذا حتى تطبيق نصوص الخلاص الواردة بالكتاب المقدس والإلتزام بمعانيها ، يضرب بها عرض الحائط من أعلى قمم العالم المسيحى ، وهم القدوة فى التطبيق . وقد رأينا - من قبل — أن من هؤلاء البابوات الزناة والقتلة واللادينيين ...!!! ومنهم كذلك ليس عبدة الأوثان فحسب ، بل منهم عبدة الشيطان أيضا [178] ...!!!

٩ – ملاءة فوق الأديان

وقبل أن ننهى هذا البند ، لابد لنا أن نشير إلى أن الفكر المسيحى هو فكر مختلط بين وثنيات أخرى ، على نحو أو آخر . فيقول القديس بولس الرسول - مؤسس المسيحية - فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس :

[(١٩) فإنى اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين (٢٠) فصرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس (٢١) وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس . مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح . لأربح الذين بلا ناموس (٢٢) صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء . صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما]

(الكتاب المقدس : كورنثوس الأولى {٩} : ١٩ – ٢٢)

هكذا يتحدث القديس بولس رسول المسيحية عن نظريته بكل وضوح وصراحة . إنه يتغير ويتلون فى كل إتجاه . إنه يدعى لليهود أنه يهودى ، وللوثنيين أنه وثنى ، وللملحدين أنه ملحد ... إنه يمثل لكل جماعة ولكل فرد ما يتفق مع هواهم ومشيئتهم ، كل ذلك **ليربح الكل للمسيحية** ... يربحهم إسما وليس إيمانا . إنه لا يغير من الناس ، بل يتغير هو ويتلون من أجلهم . بل ويغير التعاليم السماوية من أجلهم ، وفى سبيل إرضائهم . وتورد الأناجيل وقائع ومواقف إدعى فيها بولس تارة أنه يهودى ، وتارة أنه فريسى ، وتارة أخرى أنه رومانى .... وهكذا ...!!!
وبمنتهى اليسر والبساطة ، ألغى القديس بولس شريعة الختان ، التى قررها العهد القديم ، عندما سمع بتضرر الوثنيين من الختان فنجده يقول :

[(٢٤) إذ قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس . الذين نحن لم نأمرهم]

(الكتاب المقدس : أعمال الرسل {١٥} : ٢٤)

---

[178] راجع بند ٥. (بعض) الأئمة والتطبيق ؛ من هذا الفصل .

لقد خرج بولس بهذا القرار على تعاليم السيد المسيح . بل أن إنجيل لوقا قد ذكر أن السيد المسيح نفسه قد إختتن :

[(٢١) ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى سمى يسوع ...]

(الكتاب المقدس : لوقا { ٢} : ٢١)

وليس هذا فحسب ، بل تقررت أيضا صلاة خاصة فى ذكرى ختان السيد المسيح . ومع ذلك فقد ألغى بولس شريعة الختان ببساطة شديدة لمجرد أن الوثنيين قد تضرروا منها ...!!!

ولم يقتصر الأمر على بولس أو على حكم الختان ، بل تعداه إلى غير بولس وإلى غير الختان . فحتى القديس بطرس ، خليفة السيد المسيح ، قد سمح لنفسه بتغيير الكثير من تعاليم المسيحية من أجل وداد الوثنيين . فمثلا بالنسبة لأكل لحم الخنزير الذى كان وما زال محرما أكله عند اليهود ، وحين جاء السيد المسيح فإنه لم يلغ هذا الحكم ، ولم يسمح بأكل الخنزير . ولكن الخنازير كانت من الحيوانات التى يقتنيها الرومان واليونانيين ويأكلون لحومها [١٧٩] ، مما حمل القديس بطرس على إباحة أكل لحومها ، وليس هذا فحسب ... ، بل إباحة أيضا أكل كافة الوحوش والحشرات والهوام من أجل إستمالة هذه الشعوب الوثنية للدين الجديد . ففى سفر أعمال الرسل يقول بطرس الرسول :

[(٩) ثم فى الغد فيما هم يسافرون ويقتربون إلى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلى نحو الساعة السادسة (١٠) فجاع كثيرا واشتهى أن يأكل . وبينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة (١١) فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض (١٢) وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء (١٣) وصار إليه صوت قم يا بطرس اذبح وكل (١٤) فقال بطرس كلا يا رب لأنى لم آكل قط شيئا دنسا أو نجسا (١٥) فصار إليه أيضا صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت (١٦) وكان هذا ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضا إلى السماء]

(الكتاب المقدس : أعمال الرسل { ١٠} : ٩ - ١٦)

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال ، أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية . ويقول القس بولس إلياس اليسوعى [١٨٠] :

---

١٧٩ " الله واحد أم ثالوث " الأستاذ محمد مجدى مورجان . دار النهضة العربية ، ص ٨٥ - ٨٧ .

١٨٠ المرجع السابق ، ص ٨٨ .

" لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثنى بالفكر المسيحى ، فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل . وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير . فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما . ولقد إحترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس فى مختلف الطوائف فما فرضت صيغة موحدة للصلاة "

ويستطرد القس بولس اليسوعى فيقول :

" أنه فى مفتتح القرن السابع الميلادى كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطنيوس أسقف كنتربرى ببريطانيا يقول : دع البريطانيين وعاداتهم ، وابق لهم على أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد واضعا إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين "

هذا ما كتبه بالحرف الواحد أسقف من كبار أساقفة الدين المسيحى ، كتبه بكل بساطة دون أن يشعر بوجود أى حرج فيما يقرره ، ودون أن يحس بوجود غضاضة أو غرابة فى هذا المزج الوثنى المسيحى .

ولهذا لا نجد غرابة فى أن يقوم قس فى كنيسة بعقد قران رجل على رجل [١٨١] . أو أن تقدم أحد مسارح أوربا مسرحيات ، تبدأ بمجموعة من الرهبان والراهبات تقوم بتقديم التراتيل الدينية المختلفة ، تحت الرموز المسيحية ، ثم تبدأ هذه المجموعة فى التجرد من ملابسها كاملة ، ليمارسوا جنسا جماعيا فى أحط وأقذر صوره .... بين التراتيل المسيحية وتحت هذه الرموز الدينية لها ...!!

وقد أكد أخيرا تقرير للكنيسة الأسقفية الأمريكية ــ أكبر طوائف الكنيسة البروتستانتينية ــ عن وجود الشواذ والشاذات جنسيا [١٨٢] فى سلك الكهنوت ، وإن هذا لم يعد سرا . وإن الكنيسة لا

---

[١٨١] شاهدت ذلك بنفسى ، أثناء تواجدى بهولندا ، وكان أحد الرجلين يترك شعره مسترسلا ، كما لو كان يمثل المرأة ، بينما الرجل الآخر قد حلق رأسه بالموسى تماما ، وبشكل مقزز ليدل على إنه الرجل . وقد أجرى القس جميع مراسم الزواج داخل الكنيسة ، كما هو الحال عند زواج الرجل بالمرأة . وعقب إتمام الزواج تبادل الرجلين القبلات من الفم بشكل كريه ومقزز للغاية ، كما لو أنهما رجلا وإمرأة حقيقية . وفى زواج حديث من هذا النوع تم فى سويسرا ـ حيث كان محرما فيها من قبل ـ قال القس " كلاوس بوملين " يصف حفل الزواج : " **إنه بادرة تعويض بسيطة حيال مثيلى الجنس الذين رفضتهم الكنيسة ولاحقتهم طوال قرون** " .

[١٨٢] يقدر القس الأمريكى (سابقا) والكاتب حاليا (**ريتشارد سيبه**) بأنه يوجد ١٠ آلاف من ٥٣ ألف رجل دين أمريكى ... شاذون جنسيا . أى أن نسبة شذوذ رجال الدين فى أمريكا تبلغ حوالى ٢٠٪ من التعداد الكلى لهم . وكذلك يقدر عالم الإجتماع الكنسى (آندرو جريلين) أن القس الشاذ ، وعلى مدى ٢٥ سنة من وظيفته ، يكون قد إعتدى تقريبا على ٥٠ طفلا ، أى بمعدل طفلين فى السنة ، ولا يستبعد (جريلين) بأن يكون الرقم الحقيقى هو ستة أضعاف

يمكن أن تدافع عن حقوق الشواذ والشاذات فى المجتمع عموما ....!!! إذا كانت ـ هى ـ تحرم العاملين فى سلك الكهنوت هذه الحقوق نفسها ...!!! لذا فمن المتوقع ـ هذا إن لم يكن قد حدث هذا فعلا قبل صدور هذا الكتاب ـ مناقشة الكنيسة لمبدأ القساوسة الشواذ جنسيا ، ومباركة الكنيسة لزواج شخصين من نفس النوع .

وتأييدا لهذا الفكر نجد أن اريك فروم [١٨٣] ، يتساءل عن موقف الدين فى المجتمع الغربى المعاصر فيقول :

" ماهو الموقف الدينى فى المجتمع الغربى المعاصر ؟ فيجيب ... بأنه يشبه ـ على نحو غريب ـ

الصورة التى يخرج بها الأنثروبولوجى (Anthropologist [١٨٤]) من دراسة دين الهنود فى أمريكا الشمالية . فقد دخلوا الديانة المسيحية ، بيد أن أديانهم السابقة لم تستأصل من نفوسهم ، **وما المسيحية إلا الملاءة التى وضعت فوق هذا الدين الجديد ، وإختلطت به على أنحاء شتى .** ***هذه هى المسيحية فى عجالة شديدة الإيجاز*** ، وهى فى نفس الوقت تحوى فى داخلها الديانة اليهودية ، وذلك بإعتبار أن العهد القديم (أو الجزء الأول من الديانة المسيحية) هو الديانة اليهودية .

وليس بمستغرب أن يكون هذا الميراث الدينى ، هو الذى أدى بالإنسان إلى مثل هذا التردى داخل هذا الصخب الهائل من الوثنيات الفكرية . وقد أدى هذا الموقف المتردى إلى هروب الإنسان ـ إن صح القول بفكره ـ من الدين إلى المذاهب الوضعية .... فربما تكون أكثر رحمة به وبعقله ، من هذه الوثنيات اللامعقولة ...!!!

وليس بمستغرب الآن على الغرب ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ بأن يقوم بتصنيف " ***الدين وعلم الأساطير : Religion and Mythology*** " فى نفس قسم المعارف فى الموسوعات العامة ، كما جاء على سبيل المثال فى " ***قاموس وبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopeidc Unabridged Dictionary*** " ؛ فى صفحة : ١٧٠٧ . نظرا لورود الفكر

هذا العدد . ويشارك القساوسة فى الولايات المتحدة بحوالى من ٢٪ إلى ٣٪ من نسبة جرائم الإغتصاب السنوية فى الولايات المتحدة . فإذا ما أخذ نسبة عدد الرهبان إلى العدد الكلى للسكان بالولايات المتحدة ، فيكون حجم ما يسببه القس الأمريكى هو حوالى ٥٠ ضعفا من حالات الإغتصاب أكثر من الفرد الأمريكى العادى . ولا ننسى فى هذا الصدد ، إتهام رئيس أساقفة فيينا الحالى (الكردينال جرور : **Groer**) بالشذوذ جنسيا ، بعد أن قام ضحاياه بالإعتراف عليه الآن ، مما دفع هذا ببابا الفاتيكان الحالى يوحنا بولس الثانى بتعيين آخر إلى جانبه ، ولكنه لم يقبله .

[١٨٣] " **الدين والتحليل النفسى** " آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص ٣١ .

[١٨٤] الأنثروبولوجيا **Anthropology** هو من العلوم الإنسانية التى تبحث فى أصل الجنس البشرى وتطوره وعاداته ومعتقداته .

الأسطورى بشكل واضح فى الكتاب المقدس للديانتين اليهودية والمسيحية على النحو السابق بيانه .

بل أن هذا الوضع الديني الشاذ ، وهذا الميراث الدينى الأسطورى هو الذى أدى بالمفكرين ، ليس بالكفر بالديانة المسيحية فحسب ، بل بالكفر بمدلول كلمة " **دين** " على نحو مطلق . بل وأصبح **الترادف بين الدين والخرافة** من البديهيات الأولية التى يعتنقها الكثيرون الان . وبهذا الفكر فقد الإنسان الفرصة نحو إستدراك الأمر ، والتعرف على الدين الحق ، كما فقد صلته الحقيقية بـ " الله " ، وتحقيق الغايات من خلقه .

لقد قضت الحكمة الإلهية **بألا تكون** الأديان الموجودة على الساحة البشرية متقاربة من الناحية الفكرية أو من الناحية الموضوعية . **ففى** الواقع ؛ إننا نجد أن كل الأديان الموجودة على الساحة البشرية الآن ، هى أديان وثنية بشكل واضح ومميز ، ولا تخطئها العين المجردة . بل أن الفجوة الفكرية بين هذه الوثنيات وبين الديانة الصحيحة أكبر من أن تحسب ، وأوضح من أن تحجب مما يسهل معها إدراك الدين الصحيح بيسر بالغ ... إذا ما قرر الإنسان النجاة .... أو إذا ما قرر الإنسان ألا يخسر وجوده ... وألا يخسر مصيره ...!!!

ولننتقل الآن إلى رد الفعل الدينى لدى مفكرى الغرب والفلاسفة ، وما تمخض عنه هذا الوضع الغريب للميراث الدينى للديانتين اليهودية والمسيحية . وإلقاء نظرة سريعة على المذاهب الوضعية المختلفة ، وما قدمته الفلسفة للإنسان منذ نشأتها وحتى الان .

الفصل الرابع

رد فعل التجربة الدينية لليهودية والمسيحية
عند
العلماء والمفكرين والفلاسفة

لقد إنتهينا من الفصل السابق - بما لا يدع مجال لأى شك - إلى وثنية الفكر الدينى للديانتين اليهودية والمسيحية على نحو مطلق وأسطوريتهما . فكما رأينا من الفصل السابق ، **إذا ما إعتبرنا أن " الكتاب المقدس " كله موحى من السماء ، كما يعتقد فيه أهله ، وإذا ما إفترضنا أن " الكتاب المقدس " يخلو من أى تحريفات أو صياغة بشرية** ، فيكون هذا معناه أن الوحى الإلهى القادم من السماء ، لم يأت للإنسان (فى الديانتين اليهودية والمسيحية معا) إلا بالخرافات فى " الدين " ، والخرافات فى " الفكر الإلهى " ، وكذلك الخرافات فى " النصوص الكتابية " . فلم يأت هذا الوحى إلا بفكر مترد وهابط عن الأنبياء ، كما لم يأت إلا بفكر وثنى وأسطورى عن الإله ، وكذلك لم يأت هذا الوحى ، إلا بنصوص لا يمكن أن تندرج إلا تحت كل ما هو هابط وقبيح فى الأخلاق واللغة معا [1] .

وقد خلفت هذه التجربة الدينية - كما سنرى - إنسان تملؤه الريبة والشك فى وجود الله والدين من جانب ، كما تملأ نفسه التردد والحذر من الإقتراب من الأديان بصفة عامة من جانب آخر .

---

[1] فى الحقيقة ، كما سبق وأن ذكرنا ، أن الديانتين اليهودية والمسيحية بشكليهما الحالى ، **هما بقايا دين سماوى حقيقى** ، غارق فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية البدائية ، جمعهما كتاب **بشرى/سماوى** واحد هو **" الكتاب المقدس "** بشكله الحالى . وهو الكتاب ؛ الذى يصر أهله على إعتباره أن كله موحى من السماء ، وليس به أى تحريفات أو صياغة بشرية ما . وبديهى أن هذا يضعهم فى وضع محرج للغاية ، ووجها لوجه مع الفصل السابق ، ليروا حقيقة ما يعبدون ، وحقيقة ما يعتقدون فيه .

وبديهى ، طالما وأن الكتاب المقدس يحوى بقايا أصول سماوية ، فلابد - إذن - من أن يحوى بقايا من بعض مكارم الأخلاق ، وبعض بقايا من صفات " الله " الحقيقية . وبديهى أيضا أن مثل هذه اللقطات الحقيقية تمثل ، فى الواقع ، الوحى الإلهى الصادق القادم من السماء ، بينما باقى الوثنيات الفكرية - على النحو السابق ذكره فى الفصل الثالث - هى من صنع الإنسان البدائى وحده ، وليست وحيا سماويا ، بل ولا يمكن حتى إعتبارها صياغة معقولة لفكر بشرى ناضج عن الدين أو عن الإله أو عن كلاهما معا . وجدير بالذكر ، أنه لولا وجود بعض من تلك البقايا السماوية فى الكتاب المقدس (إلى جانب الفطرة البشرية القوية نحو إدراك وجود الله) ، لما إستطاعت تلك الديانتان (أى اليهودية والمسيحية) ، الصمود والبقاء على مر التاريخ ، وحتى الآن . وكما سبق وأن ذكرنا ، إن إستخراج بقايا النصوص المقدسة من **" الكتاب المقدس "** ، أو تنقية فكر **" الكتاب المقدس "** من الوثنيات الفكرية الوارده به ، لبست من ضمن أهداف هذا الكتاب .

وليس هذا فحسب ، بل خلفت تلك التجربة أيضا ، **إنسانا فاقد الثقة فى مبدأ الوحى الإلهى القادم من السماء على نحو مطلق .**

وعلى الرغم من هذه التجربة المريرة التى مر بها الإنسان على يد تلك الديانتين كما سبق وأن رأينا فى الفصل الثالث ، إلا أن الإنسان لم يستطع أن ينفصل عن الإله ، كما لم يستطيع أن ينفصل عن التدين بدين ما ...!!! أو بمعنى اخر ، إن الإنسان ما زال لم يستطع أن يكف عن الإعتقاد فى الله ، كما لم يستطع التخلص من حاجته الفطرية للتدين بدين ما .

وهكذا خلفت التجربة الدينية الناتجة من فكر هاتين الديانتين ، إنسانا يشعر بالوحشة فى ذلك الكون ، ولم يعد لديه إلا الإعتماد على نفسه فى البحث عن الله ... وعن الدين ...!!!

وبديهى وهذا هو **حال تجربته الدينية السماوية كما يعتقد** ، إذن لم يعد لديه إلا الذهاب إلى الفلسفات الوضعية التى جاء بها الفكر البشرى ليتدين بها . أو بمعنى اخر ، لقد أصبح من البديهى أنه لم يعد للإنسان إلا البحث عن دين اخر فى قالب فلسفات فكرية من وضع البشر .

وكما سنرى حالا ؛ فإن جميع هذه الفلسفات الوضعية ـ منذ بدء الحضارة البشرية وحتى الفلسفات المعاصرة ـ لم تؤد بالإنسان إلى فكر يذكر عن الإنسان أو عن الله ، بإستثناء ما هو مدرك بالفطرة فقط . ونقصد بالفطرة ... هو بإستثناء ما هو موجود فى الفطرة البشرية من إدراك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ موجود وينبغى أن يتميز بكمالات مطلقة ومتعالية ، كما وإنه ـ أى الله ـ يجب أن يكون مصدر هذا الوجود ، ومصدر حياة الإنسان وخلوده . أما التفاصيل الأخرى الخاصة بجميع المقاصد الإلهية فى هذا الشأن ، والخاصة بالإجابة على سؤال ... لماذا الوجود ؟ ولماذا الإنسان ؟ .... فلا يمكن أن يقود إليها الفكر الفلسفى بنحو أو بأخر على الإطلاق . وسوف نرى أن الفلسفات المختلفة منذ أن نشأت ، لم تقد الإنسان إلا إلى بعض البراهين الدالة والقاصرة فى نفس الوقت على وجود الله فقط ، على النحو الذى سبق ذكره فى الفصل الثانى .

١ . *رد الفعل الدينى لدى العلماء والمفكرين والفلاسفة*

يقول الفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشه [٢] :

" إن الإيمان المسيحى معناه الإنتحار المتواصل للعقل البشرى [٣] "

[٢] فريدريك نيتشه : Friedrich Nietzsche (١٨٤٤ – ١٩٠٠) ؛ فيلسوف ألمانى ، يعتبر من وجهة نظر كثيرين من الفلاسفة أمثال " هيدجر " و " ويسبرز " ، أحد المؤسسين الأوائل ، أو على الأقل ، أحد المفكرين الأوائل الذين مهدوا الطريق إلى " **مذهب الوجودية الحديثة** " . وقد بشر " نيتشه " بـ " **الإنسان الأعلى** " أو " **السوبرمان** " ، بعد أن مات الإله على يديه . وسنعود بالتعليق على هذا المعنى بعد قليل .

وعلى الرغم من أن " نيتشه " كان ينحدر من أسرة إكليركيـة (أى قسيسـية) ، أى أنـه كـان ذى خلفية دينية مسيحية ، إلا إننا نجده يقول :

" إن الإله قد مات ، وسيظل ميتا ونحن الذين قتلناه "

وموت الإله من وجهة نظر " فلسفة نيتشه " ، كما يصفها فلاسفة اخرون ، معنـاه تحـرر الإنسـان من الدين ، ولكنهم يضيفوا قائلين ... بأن هذه الفلسفة ، قد أدت بالإنسان إلى عصـر العدميـة (**Nihilism**) ، وبذلك لم يعد للإنسان إلا ذاته . وتأكيد الإنسان لنفسه أو إثباته لذاته يقـوم علـى خلفية أساسية ، هى إننا موجودون فى عـالم عبثـى لا معقـول (**Absurd**) ليـس فيـه " إلـه " . وهكذا ، لم توصد الديانتان اليهودية والمسيحية طريق الدين أمام المفكرين والفلاسفة فحسب ، بل جعلتهم يكفرون بكّل ما هو دينى على نحو عام ومطلق أيضا .

وبديهى أن العبثية فى الخلق لاتتفق وفكر الكمال الإلهى ، الذى إنتهى إليه فكر فلاسفة آخرين ، ولهذا نرى القران المجيد يرد على هـذه الفريـة وينفـى هذ الفكـر ، أى فكـر العبثيـة ، فـى قولـه تعالى :

[أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (١١٥) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم (١١٦)]

(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ١١٥ – ١١٦)

كما وأن لامعقولية هذا الوجود لا تتفق وفكر الكمـال الإلهـى أيضـا ، إذ يجـب أن يكـون الوجـود موجه نحو غايات عليا وحكمة بالغة ، كما فى قوله تعالى :

[حكمة بالغة فما تغن النذر (٥)] (القران المجيد : القمر {٥٤} : ٥)

بمعنى ؛ فأى نفع تفيد النذر لمن أعرض عن رؤية هذه الحكمة . كما وإن خلق هذا الوجـود ليس لهوا إلهيا ، لأن هذا أيضا يتعارض وفكر الكمال الإلهى ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)] (القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٦ – ١٨)

---

[٣] " **الوجودية** " ، جون مـاكورى ؛ ترجمـة د. إمـام عبد الفتـاح إمـام ، مراجعـة د. فـؤاد ذكريـا . دار الثقافة للنشر والتوزيع . صفحة : ٧٤ /٧٥ .

إذن فقضية الوجود قد حسمت ، بأنها ليست لهوا إلهيا ، كما وإن الخلق ليس عبثا إلهيا . فالوجود ليس قضية عديمة الجدوى ولا طائل من ورانها ، بل هى قضية محددة الغايات واضحة المعالم ، يقوم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بتعريفها وتحديد معالمها بشكل قاطع فى قرانه المجيد ، وقد سبق وأن عرضنا جانب منها فقط ، ولكن للقصة بقية سنتناولها بالتفصيل فى كتابات أخرى إن شاء الله تعالى .

والمتتبع للفصل السابق ، كما سبق وأن أشرنا ، لن يجد صعوبة فى التعرف على ما فى الديانتين اليهودية والمسيحية ، بشكلهما الحالى من وثنيات واضحة ، وهو ما دفع بـ " نيتشه " إلى التوجه فى فلسفته الإلحادية إلى هذا الفكر الوجودى . حيث لا يمكن الإحتفاظ بمثل هذه الوثنيات الصارخة ، والبادية للعيان ، إلا بالتضحية بالعقل من جانب ، والتضحية بالفطرة النقية ــ والتى ركبها الله سبحانه وتعالى فى الإنسان ــ من جانب آخر . ومن البديهى أيضا أن تلك الديانتين هما اللتان قادتا الإنسان إلى الفلسفات المادية الأخرى المماثلة . فهما ، فى الواقع ، يمثلان الدوافع الحقيقية وراء ظهور تلك الفلسفات . ويقف إنسان القرن العشرين ليؤكد على هذه التجربة الفاشلة له مع الديانة المسيحية ، حيث يقول الدكتور ولتر أوسكار لندبرج [٤] ، كرد فعل طبيعى لهذه الديانة ، فى مقال له :

" أن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان بدلا من الإعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض [٥] . وعندما تنموا العقول بعد ذلك وتتدرب على إستخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول . وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى ، **نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية . وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين ، وما ترتب عليها من نتائج نفسية ، لا يحبون العودة إلى التفكير فى هذه الموضوعات ، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع ، وتدور حول وجود الله .** "

وبديهى أن نبذ فكرة الله ، ليس معناها رفض الديانة المسيحية فحسب ، بل معناها أيضا رفض أى فكر دينى ـ على نحو مطلق ـ بدون ترو حتى وإن كان الدين صحيحا .

---

[٤] " الله يتجلى فى عصر العلم " ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين . ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، ص ٥٠ . (سبق التعرض لهذا النص فى بند ١. ٣. ١٢. من الفصل الثانى ولكن من منظور إقرار المجامع الكنسية على وجود الصور والتماثيل داخل الكنائس ، وتكراره هنا ضرورة لتكاملية فكر رد الفعل الدينى) .
[٥] أنظر الملحق الثالث من هذا الكتاب ، لمزيد من التفاصيل عن قصة خلق الإنسان ، والفكر الداروني فيها .

ويتكرر فكر الدكتور وولتر أوسكار لندبرج ، مرة أخرى وبشكل مباشر ، عند مفكر آخر هو عالم الفيزياء الكمية ؛ بول ديراك [٦] ، الذى يسجل لنا إنطباعة ليس فقط عن الديانة المسيحية ، بل يسجل لنا إنطباعه عن الأديان بوجه عام ، كنتيجة حتمية ورد فعل طبيعى لتجربته الدينية الفاشلة مع الديانة المسيحية ، فنجده يقول [٧] :

" إننى لا أتفق مبدئيا مع **الخرافات الدينية** ، وذلك لأن **خرافات الأديان** المختلفة تتناقض سويا ... إن **علينا الإعتراف بأن الأديان مليئة بالمزاعم والخرافات الخاطئة** ، والتى لا توجد لها مبررات فى عالم الواقع . فإذا نظرنا إلى المصطلح " **إله** " فإنه بالقطع يعتبر من نتاج " **الخيال الإنسانى** " ، لأنه يعكس تفسير الإنسان البدائى لقوى الطبيعة ، ولم تعد هذه التصورات الآن ضرورية بعد فهمنا لطبيعة هذه القوى .

إن إفتراض " **إله قادر على كل شىء** " لن يساعدنا فى أى شىء ، ولكن من جانب آخر ، فإن هذا الإفتراض يؤدى إلى إثارة قضايا عديمة المغزى مثل السؤال ... لماذا يسمح الإله بهذا البؤس والظلم فى هذا العالم ؟ ... وبإضطهاد الأغنياء للفقراء ...!! وبكل المآسى الأخرى ..!! على الرغم من قدرته على القضاء على كل هذا .

وإذا كان الدين مازال يعلم أو يدرس فى عصرنا الحالى ، فإن ذلك لا يرجع إلى أن الصورة التى ورد بها ما زالت تقنعنا ، ولكن السبب فى ذلك يكمن فى إرضاء الشعوب أو الناس البسطاء . إن حكم الناس الهادئين يعتبر أسهل من حكم الناس البسطاء ، والغير راضين . إن ذلك **يسهل عملية إستغلال الناس وإستهلاكهم** . إن الدين **نوع من الأفيون** الذى يعطى للشعوب لغوايتها بالأحلام السعيدة ، وتعزيتها فى الظلم الواقع عليها . ومن هنا تنشأ ببساطة الرابطة بين القوتين السياسيتين الكبيرتين ... **الدولة والكنيسة ، فكلاهما يحتاج إلى الخيال القائل بأن هناك إله محسنا — إن لم يكن فوق الأرض ففى السماء — الذى يثنى على الذين لا يتمردون ضد الظلم ، والذين يؤدون إلتزاماتهم بصبر وهدوء** . وبالطبع فإن قول الصدق ، إن هذا الإله هو فقط من نتاج الخيال الإنسانى .

---

[٦] بول أدريان موريس ديراك : Paul Adrien Maurice Dirac ؛ عالم إنجليزى (١٩٠٢ – ١٩٨٤) . نال جائزة نوبل (بالمشاركة) فى الفيزياء عام ١٩٣٣ ، عن أعماله فى ميكانيكا الكم (Quantum Mechanics) ولف الإلكترون (Electron Spin) ، وعلى إكتشافة للمادة المضادة (Anti-Matter) . وقد شغل ديراك منصب أستاذ الرياضيات فى جامعة كمبردج حتى عام ١٩٧٤ ، وهو نفس المنصب الذى شغله إسحق نيوتن من قبل ، ويشغله حاليا عالم الفيزياء " ستيفن هوكنج : Stephen Hawking " المشهور ببحوثه فى الثقوب السوداء (Black Holes) .

[٧] " الجزء والكل — محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية " تأليف فيرنر هيزنبرج . ترجمة محمد أسعد عبد الرؤف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ١٤٢ . ومؤلف الكتاب ، هو فيرنر هيزنرج (١٩٠١ – ١٩٧٦) ، الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٣٢ ، عن أعماله فى ميكانيكا الكم ، وإكتشافة لـ " مبدأ الشك أو اللاتحديدية : The Uncertainity Principle " . وهو مؤسس معهد ماكس بلانك للفيزياء بجوتنجين ، بألمانيا .

إننى لا أستطيع أن أعتقد إلا فيما هو حق . أما بالنسبة لكيفية تصرفى فإننى أستنتجها بالفعل وفقا للموقف المعين . إننى أعيش مع جماعة بشرية أقر لافرادها نفس الحقوق فى الحياة التى أقرها لنفسى ، وإذن فإنه يتحتم على أن أعنى بالتوازن العادل بين المصالح المختلفة ، وكل ما عدا ذلك فهو غير ضرورى أو لازم " (إنتهى)

وهكذا لم ير ديراك فى " **الفكر الدينى** " إلا دربا من دروب الخرافات . وبديهى إن هذا واضح وجلى فى الفكر الدينى اليهودى والمسيحى على حد سواء على النحو الذى بيناه فى الفصل السابق . وربما يلخص بول ديراك بكلماته هذه ؛ فكر الفلسفة الوضعية وفكر الفسفة الماركسية فى ان واحد ، كناتج عادل وطبيعى للتجربة البشرية الفاشلة مع فكر الديانتين اليهودية والمسيحية ، كما رأيناه عن قرب فى الفصل السابق .

إن التجربة الدينية لأصحاب المذاهب الوضعية على نحو عام ، مع الديانة المسيحية الموروثة ، قد إنعكس أثارها ، على هذه الفئة ، فى صورة إحباط شديد لديهم ، لم يؤد بهم فقط إلى رفضهم لديانتهم الموروثة فحسب ، بل أدى هذا أيضا ، إلى إتخاذهم موقفا عدائيا وكراهية ظاهرة لكل الإديان الأخرى بغض النظر عن إمكانية أن يكون أحدها هو الدين الصحيح أو الدين الحق . ولقد خلص أصحاب المذاهب الوضعية ، مستندين فى ذلك إلى تجربتهم الدينية الفاشلة إلى أن :

" جميع الأديان تحوى قدرا من الخرافة هذا إن لم تكن كلها خرافة "

وهكذا قبل أصحاب المذاهب الوضعية ، والمتمثلة فى فكر عالم فيزياء ميكانيكا الكم ، **بول ديراك** ، هذه العبارة " **كمبدأ أو قانون عام** " يصلح أو ينطبق على كل الأديان . وبديهى إن إطلاق الأحكام العامة ، لا يتم بمثل هذه البساطة . فإصدار حكم عام مثل هذا ؛ يستلزم دراسة مستفيضة ومتأنية لجميع الحالات الممكنة لكل الأديان ، والتى يمكن أن تقع تحت طائلة هذا الحكم أو القانون العام ، **وذلك حتى يمكن أن يأخذ هذا القانون صفة العمومية** ، التى يقولون بها ؛ وحتى لا يكون هذا المنطوق ، هو قانونا أو حكما جزئيا يصلح لمجموعة من الأديان ، ولا يصلح لأخرى . وبديهى إن مثل هذه الدراسة لكل الأديان ، لم يقم بها أحد من هذه الفئات الرافضة للدين وللإله ، بل إعتمدوا فقط على تجربتهم الفاشلة مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، ثم قاموا بتعميم نتائجها على الدين الصحيح مهما كانت صحة وصدق مضامينه .

وكلمة " **دين** " عند تلك الفئات ، قد أستخدمت بذات المدلول لها فى كل الأديان . فكل دين يحتوى لديهم ، بدرجة ما ، على قدر من الخرافات المتناقضة ، بغض النظر عن الإختلافات التى تنشأ فى المضامين الداخلية بين الأديان الباطلة والدين الصحيح . ولذلك فجميع الأديان من وجهة نظر

هذه الفئة ، **لها نفس النتيجة التى تم الإنتهاء إليها من خلال بحثهم فى ميراثهم الدينى** . وهم بهذا المفهوم كمن إستخدم كلمة " **بناء** " بنفس المدلول بغض النظر عن طبيعة هذا البناء ... من كونه " **بناء متهدم وقبيح** " أو كونه " **بناء شامخ ومثير** " ... أو كونه " بين هذا وذاك " ، فجميع المبانى من وجهة نظر هذه الفئة هو " بناء متهدم وقبيح " وحسب . تماما مثل جميع الاديان تحوى قدرا من الخرافة وحسب .

وبديهى أن " **الرأى المسبق** " عن المضامين المختلفة للقضية الدينية ، بدون دراسة ما تحويه الديانات المختلفة ، هو الفكر السائد عند هذه الفئة ، التى يمثلها بول ديراك . **وبديهى إن مثل هذا الأسلوب مرفوض تماما فى الفكر الفيزيائى . فالنتيجة العامة أو القانون العام فى الفيزياء ، لا يصاغ بشكله النهائى من دراسة حالة خاصة أو ظاهرة واحدة قد يصلح القانون لوصفها بدقة عالية ، ولكنه يفشل فشلا ذريعا عند تناولة ظواهر أخرى مماثلة فى الوصف .**

فالقاعدة العلمية تقول : بأن تطبيقا واحدا (أو مثالا واحدا) **يتناقض مع** النظرية الفيزيائية أو القانون العام التجريبى ، ليس كفيلا بأن يهدم هذه النظرية أو القانون التجريبى فحسب ، بل كفيلا بأن يقوض أركانهما أيضا ، حتى وإن كان هناك مئات التطبيقات الدالة على صدق هذه النظرية أو القانون التجريبى .
والأمثلة الدالة على هذا كثيرة فى مجال الفيزياء العامة ، نذكر منها على سبيل المثال ، أن الحكم على النظرية الذرية لـ " نيلز بوهر "[٨] ، كان قد أعلن بعد ظهور النظرية بعشرة أعوام ، وجاء كما يلى على وجه التقريب :

" أن النظرية الذرية تصلح لوصف أطياف الهيدروجين والهيليوم المتأين بدرجة عالية من الدقة ، ولا بأس بها فى حالات الذرات الأحادية التكافؤ . ولكنها لا تصلح مطلقا فى حالات الذرات عالية التكافؤ " .

وعلى هذا الأساس قضى على هذه النظرية و أصبحت فى ذمة تاريخ العلوم . وعلى ذلك فإن القانون العام فى الفيزياء ، لا يصاغ بصورته النهائية حتى يثبت يقينا بأنه ينطبق على كل الظواهر التى يتكلم عنها بدقة كافية . وهنا فقط يحق لنا بوصفه بالعمومية ، أو بأنه قانون **فيزيائى عام** . كما قد يعاد النظر فى صحته مرة أخرى إذا ما أكتشف ظاهرة جديدة لا يصلح القانون بتفسيرها ، أو لا يصفها بالدقة الكافية .

[٨] عالم دانيمركى (١٨٨٥ – ١٩٦٢) نال جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٢٢ .

ومن هذا نرى أن فكر الفئة التى يمثلها عالم الفيزياء بول ديراك ، **لا ينتمى إلى التفكير العلمى** من قريب أو بعيد . حيث يتم إطلاق الأحكام العامة بدون سند إلا تجربة خاصة ، أو تجربة ذاتية لا تصلح لمثل هذا التعميم . ومن المفارقات الغريبة إننا نجد علميين كثيرين ينتمون إلى هذا الفكر ، أى إلى فكر بول ديراك ، الغير علمى . غير إننا يجب ألا نغفل رأى العلميين المدركين لهذه الحقيقة تماما ، حيث يرد عالم الفيزياء فيرنر هيزنبرج [٩] على بول ديراك بقوله :

" إن الدين لا ينهدم بمثل هذه البساطة التى ذكرتها الان ، فربما يملك دينا اخر ، مثل الدين الصينى القديم [١٠] بالنسبة لك قوة إقناع أكبر من الدين الذى يظهر فيه تصور الإله المتجسد ، أو الإله الإنسان " .

ثم نأتى إلى حجة أخرى قد ساقها ديراك ، فى تبريره لرفض الدين والإله معا ، ويتفق معه فيها كثير من العلماء - أو بمعنى أدق كثير من مدعى العلم بكل أسف - وهى الحجة التى تقول ، (كما يقول عالم الفيزياء بول ديراك) :

" أن مجرد فهمنا للقوانين الطبيعية ، والعلاقات التى تحكمها كاف تماما لدحض فكرة " الله " ، حيث لم نعد فى حاجة إلى هذه الفكرة ... بعد أن إنجلت الأمور لدينا ...!!! "

ففى الحقيقة ، إن هذه حجة - هى الأخرى - متهافتة للغاية ، وتعكس بدرجة واضحة العجز البشرى عند تناوله قضية أو قضايا لا يوليها العناية الكافية أو الوقت الكافى لدراستها وفهمها ، حتى وإن كان من أقطاب الفكر فى مجالات أخرى . ففى الواقع ، إن مثل هذا الفكر أو هذا المفهوم لا يعكس إلا جهلا واضحا ، وقصورا ملحوظا فى إدراك حقيقة الإنسان لنفسه ، وفى حقيقة إدراكه لهذا الوجود . فيجب أن يكون مفهوما جيدا ؛

[٩] " الجزء والكل - محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية " تأليف فيرنر هيزنبرج . ترجمة محمد أسعد عبد الرؤف . صفحة ١١١ .

[١٠] ديانات الصين على حسب الترتيب الزمنى لها هى : **التاوزمية (Taoism)** ، **والكونفوشية** ، **والبوذية** . وليس مستطاعا أن نقول أن بعض الصينيين تاوزميون ، والبعض الأخر كونفوشيون ، وغيرهم بوذيون . فيمكن أن يكون الصينى تاوزميا وكونفوشيا وبوذيا فى نفس الوقت .
والحكمة الصينية التقليدية ، فى التاوزمية ، تقول بأن فى جوهر كل الأشياء مبدأ إلهى ، أو شريعة يسمونها " الطريق : **Tao** " ، هى أقرب ما تكون إلى ما يسميه الرواقيون " الطبيعة " التى يجب أن تنسجم معها كل الأشياء فى السماء وعلى الأرض . ومعرفة " الطريق : **Tao** " هو أسمى أنواع المعرفة ، وهو يمثل إرادة السماء ، وهو الإسم الذى يطلق على " **القوة العليا الأسمى** " (أى الله) التى تضبط شئون البشر ، وهى قادرة على كل شىء ، عالمة بكل شىء . وقد إنحدرت التاوزمية فيما بعد ، وأصبحت فكرا يؤمن بحلول الألهة ، لا يبالى ولا يميز بين الأشياء ، ويقف موقفا سلبيا تجاه المثل الأخلاقية . ثم إنحدرت ، بعد ذلك ، إنحدارا آخر على مر الزمن ، فأمست عقيدة مسرفة فى تعدد الآلهة ، وممارسة فنون السحر للوقاية من الشياطين . وقد تشابكت فى هذا مع الهندوسية ، وشاركتها نفس المصير .
وكما نرى ، فإن هذا هو غاية معرفة " **فيرنر هيزنبرج** " عن الأديان ، فهو لم ير على الساحة البشرية ، غير الدين الصينى القديم - هذا إلى جانب المسيحية - والذى يمكن ، أو يحتمل أن يكون أحسن حالا منها (أى من المسيحية) من حيث قوة الإقناع ، ولكنه لا يعلم شيئا عن " الإسلام العلمى " .

إن القضية فى العلوم الطبيعية تدور فقط حول إستنباط أو معرفة ما تقوم به الطبيعة بالفعل ، من خلال القوانين السرمدية التى قد سنها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتجرى عليها الطبيعة ، كما يجرى عليها أيضا الإنسان والأكوان والمخلوقات الأخرى المختلفة . ولا أحد يدعى أو يجرؤ أن يدعى من الفيزيائيين أو من غيرهم ، بالقول بأكثر من هذا . ودعنا نفصل هذا المعنى بالمثال البسيط التالى :

لقد أدركنا قانون الجذب العام بين الأجسام المختلفة ... بل وذهبنا إلى أبعد من هذا ، وحددنا مقدار القوة المتبادلة والناتجة عن تفاعل أى جسمين متباعدين ، والكيفية التى تتغير بها هذه القوة ؛ فوجدناها (أى وجدنا هذه القوة) تتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما ، وطرديا مع كتلتيهما [11] . والسؤال المطروح الان هو :

من الذى قرر أن تكون العلاقة الجذبية بين الأجسام المتباعدة على هذا النحو الذى نراها به الآن ، وليست على نحو آخر ؟ بديهى ليس نحن ... فبديهى هناك **من** قرر أن تكون العلاقة الجذبية بين الأجسام على هذا النحو الموجودة به فعلا . والسؤال التالى هو :

هل إكتشافنا لهذه العلاقة هو الذى حدد شكل القانون أو هو الذى حدد النحو الذى يتغير به هذا القانون الآن ؟ ... بديهى لا أيضا ، فمن البديهى أن معرفتنا لهذا القانون ليس له علاقة من قريب أو من بعيد بشكل القانون نفسه .

ففى الواقع ، إن الإنسان ليس له دور فيما يحدث فى الطبيعة على الإطلاق ، أو فيما يرى . كما وأنه فى أحسن أحواله ، يستطيع ـ فى أحيانا قليلة جدا ـ أن يفهم أو أن يعى ما يدور حوله وبقدر محدود وغير كامل . إن الإنسان يقف دائما موقف المتفرج على ما يحدث له ، تماما كما يقف موقف المتفرج على ما يحدث حوله فى الطبيعة . **ففى الحقيقة ؛ إن صورتنا لم تتغير كثيرا عن الإنسان البدائى أمام الظواهر الطبيعية وأمام الكون .**

فعلى سبيل المثال ؛ فقد كان الإنسان البدائى ينسب " **ظاهرة حدوث الرعد** " مثلا والصوت الصادر عنه ، وبدون الدخول فى التفصيلات العلمية ، ببساطة شديدة وبذكائه الفطرى ، إلى إرادة عليا تعلو على إرادته ، وهذه الإرادة هى المسئولة عن حدوث هذه الظاهرة وبهذا الشكل . وفى الحقيقة ؛ إن هذا الموقف لم يتغير ـ الآن ـ كثيرا عن موقف الإنسان البدائى ، وبعد غاية علمنا من قوانين طبيعيات الجو وظواهره ، وقوانين القوى الكهرومغناطيسية ، وقوانين الديناميكا

---

[11] يسمى هذا القانون بـ " **قانون الجذب العام** " ، كما يسمى أحيانا بـ " قانون التربيع العكسى " . وعلى الرغم من أن العلاقة التى يمثلها هذا القانون هى علاقة من أبسط العلاقات الموجوده فى الفيزياء العامة ، إلا إنها تعتبر من أعتى ألغاز الكون التى لم يستطيع الإنسان أن يفك أو أن يحل طلاسمها حتى الآن .

الحرارية ، وقوانين الصوتيات ، وقوانين إنتشار الموجات ، **وهى جملة فروع العلم المتشابكة التى تدخل فى تكوين هذه الظاهرة .** فماذا بعد أن علمنا بكل هذا ... لا شىء ...!!!

فعملية تكون **السحب الركامية التى تسبق حدوث الرعد** ، مازالت تجرى على نفس النحو أو نفس النمط السابق التى كانت تجرى عليه أيام الإنسان البدائى ، ومازالت الظاهرة تحدث بنفس الكيفية التى كانت تحدث عليها أيام الإنسان البدائى ... إن غاية علمنا بالظاهرة ، لم يغير من الظاهرة فى شىء ... كما وأن الظاهرة مازالت تحدث بناءا على قوانين أو سنن سرمدية محددة ، قدرتها إرادة عليا لتجرى عليها . إننا بعلمنا هذا لم نتجاوز معنى المتفرج ، الذى أصبح يعى قليلا ما يرى ، وبطريقة أكثر دقة عن ذى قبل ...!!! لكن ما زالت الإرادة العليا تعمل بنفس الكيفية التى كانت تعمل بها من قبل ، كما سوف تعمل بها من بعد . فهذه الإرادة هى التى قررت حدوث كل هذا من قبل وحدوثه من بعد ، وما زالت نفس السنن التى كانت تجرى على الظاهرة من قبل ، هى التى تجرى عليها الان ، وسوف تجرى عليها من بعد .

إن غاية البحث العلمى الان ، هو البحث عن مجالات أو أساليب جديدة ومبتكرة ، لإستغلال الظواهر الطبيعية ، من حيث كونها موجودة فعلا ، مثل وجودنا تماما سواء بسواء ، كما وإن هذه الظواهر مسخرة للإنسان ـ فعلا ـ وليس هو الذى يسخرها . فالإنسان يتعلم كيف يركب الحصان (وليس الأسد) ويسوسه ولكنه لا يقوم بصنعه . فهناك من قام بصنع الحصان له وسخره له وجعله مستأنسا ، كما سخر له الأسد أيضا ولكن فى حدود أقل من الحصان .

كما يجب وأن نشير هنا إلى أن إكتشاف القوانين الرياضية التى تحكم الظواهر الطبيعية ، هو بمثابة العثور على كتاب التشغيل لماكينة بالغة الدقة قد صنعت خصيصا من أجلنا ، وأرسلت إلينا من قبل صانع (خالق) قادر متعال ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣)] (القران المجيد : الجاثية {٤٥} : ١٣)

أأدرك الإنسان معنى (**... جميعاً منه ...**) ؟ ، وأليس هذا مدعاة للإنسان **للتفكر فيمن سخر لنا هذا** ... كما جاء فى قوله تعالى (**... إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) . فهل يعنى فهمنا لكتاب تشغيل ماكينة ما (**The operating manual**) أن ننفى وجود صانع لهذه الماكينة ، سبحان الله ...؟؟؟!!!!

إن الإنسان دوره سلبى تماما فى هذا الشأن . فالإنسان يقف من هذه القوانين موقف المتفرج فى جميع حالاته . فالإنسان ليس هو الذى قد سنّ قوانين الظواهر على النحو الذى نراها به ...

وليس هو الموجد لهذه الظواهر ... وليس هو الذى قد سخرها لنفسه ... وليس هو الذى يجريها ... وليس هو الذى يستطيع أن يجعلها تكف عن الفعل أو العمل ... **وليس هو الذى قد حدد لنفسه حدود إدراكه بها** ..... وقل ما شئت ... عن ... ليس هو ...!!!

كما وأننا لا نفهم من الظواهر الطبيعية إلا بالقدر المسموح لنا به فقط ، وبدرجة معينة تكفى للتعامل مع الظاهرة ، وفى أضيق الحدود ... هذا إلى جانب أننا لا نملك تعديل القوانين الفيزيائية أو خلق قوانين جديدة لم يكن لها وجود سابق من قبل ...

إن قول ديراك :

" إن مجرد فهمنا للقوانين الطبيعية والعلاقات التى تحكمها كاف لدحض فكرة " الله " ، حيث لم نعد فى حاجة إلى هذه الفكرة ... بعد أن إنجلت الأمور لدينا "

هو ، فى الواقع ، قول لا يمكن أن يصدر إلا عن فرد مغيب العقل تماما . وهو قول مكافىء تماما لمن يقول :

" إن مجرد فهمنا للماكينة الجديدة ، من خلال كتاب التشغيل الخاص بها ، والذى أرسله الصانع لنا معها ، كاف لدحض فكرة أن يكون للماكينة صانع ، وذلك بعد أن إنجلت لدينا طريقة عمل هذه الماكينة " .

ما هذا العبث الفكرى ...؟؟! وهكذا يصل التناقض الذاتى فى الصياغة الفكرية والكلامية فى فكر العلماء ، إلى درجة صارخة من الوضوح ..!! بل وتكاد تصل هذه الصياغة إلى حد البلاهة ...!!! فبديهى أن عبارة كهذه ليست عبارة منطقية على الإطلاق . فبديهى إن وجود صانع للماكينة هى من الأمور البديهية التى لا تحتاج إلى برهان ، لأنها نتيجة طبيعية لوجود الماكينة نفسها . كما وإن فهمنا لطريقة عمل الماكينة ، لو صح الإدراك والتعقل ، سوف يلقى لنا مزيد من الضوء على الحكمة البالغة والقدرة الفائقة لهذا الصانع ، نظرا للإتقان المذهل الذى جاءت عليه هذه الماكينة . ولهذا نجد الله ـ عز وجل ـ ينهى الآية السابقة بقوله تعالى : (**... إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) .

ولا أدرى كيف لم يدرك عالم فيزيائى مثل بول ديراك عبارة خاطئة من الناحية العلمية بمثل هذه البساطة . ولكن لا نملك إلا أن نقول بأن كلامه هذا هو نتيجة حتمية ، تفرضها عليه الصورة المتردية عن الديانة الموروثة ووثنيتها الفادحة التى يراها ديراك ، والتى يعتقد بأنها الديانة الوحيدة الصحيحة والمتاحة ...!!!

وتبقى كلمة أخيرة ، هو أن ديراك لم يدرك حقيقة بسيطة أخرى ، ألا وهى إنه هو نفسه جزء بسيط من هذه الماكينة ، وإن كتاب التشغيل يشمله هو الأخر كما يشمل الظاهرة . حيث سبق تجهيزة هو نفسه ، أى سبق تجهيز وتركيب ديراك نفسه - فى المصنع الإلهى - ليكون بالكيفية التى نراه عليها ، وعلى النحو الذى أراده الله له ، وذلك حتى يمكن أن يستوعب ظواهر مثله تماما ... من منطلق قوله تعالى :

[يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذى خلقك فسواك فعدلك (٧) فى أى صورة ما شاء ركبك (٨)]

(القران المجيد : الإنفطار {٨٢} : ٦ - ٧)

أوعى الإنسان قوله تعالى ... (**فى أى صورة ما شاء ركبك**) ... ؟؟؟

ثم تبقى كلمة أخيرة يجب إضافتها ، حول خوف الإنسان البدائى من الظواهر الطبيعية ، وهو الخوف الذى يجعجع به الماديون ، ويقولون بأن هذا هو الدافع الحقيقى بالإنسان إلى التدين ونشأة الدين . ونقول أن هذا الخوف لم يتجاوز فى معناه " الخوف الغريزى أو الفطرى " الذى زرعه الله فينا . وهو الخوف اللازم لحفظ النوع من الفناء والذى يعرف بإسم " غريزة حب البقاء " . وبهذا لم يتجاوز الخوف من الظاهرة ... المعنى من أن يمتد أثر الظاهرة لتصيب الإنسان بالضرر أو أن تقتله .

وبديهى إن هذا الخوف سوف يتلاشى إذا ما تم الإحاطة بالتأثيرات المختلفة للظاهرة ومدى تأثيرها على الإنسان ، وبهذا يستطيع الإنسان أن يتقيها . ومع ذلك فما زال الإنسان يخاف من الظواهر التى لا يمكن التنبؤ بإمتدادها المكانى والزمانى وبالاثار الناجمة عنها ، مثل الزلازل والفيضانات . إن الخوف هنا هو خوف غريزى للمحافظة على الحياة ، وليس خوفا من الظاهرة نفسها ، لأن هذا الخوف سوف يتلاشى إذا ما علم الإنسان بأبعاد الظاهرة وتأثيراتها . أما الدافع وراء التدين والإيمان بالله ، فهو دافع غريزى اخر ومستقل عن باقى الغرائز الأخرى .

أن الإنسان لا يمثل - فى الواقع - إلا أحد الكمات فى هذا الكون شأنه فى ذلك شأن المخلوقات الأخرى ، بل وشأنه فى ذلك أيضا شأن القوانين الطبيعية نفسها ، ولكن ، الله سبحانه وتعالى ، قد قضى بأن يكون هذا المخلوق ذى طبيعة مغايرة . ونعنى بذلك أن الإنسان لا يمثل نفسا ذات إمتداد محدود فى الزمان والمكان فحسب ، بل هو - فى الواقع - يمثل وجودا تلتقى فيه حدود عدة عوالم أو أكوان مختلفة ومتداخلة مع بعضها البعض . أو بمعنى أدق ، أن " الله " - سبحانه وتعالى - قد قدر للإنسان خلقا لا ينتمى إلى كون واحد محدد ، بل خلق الإنسان كحدود

إلتقاء لعدة أكوان متداخلة ومتراكبة (تحكمها قوانين مغايرة تماما لما نألفه فى كوننا هذا الذى نحيا فيه) ، حيث يتحدد ظهوره فى أى منها (أى يتحدد ظهور الإنسان فى أى من هذه الأكوان المتراكبة) على حسب أحوال عليا تحدد تحركه وحركته فيها ، وهذه الأحوال العليا ؛ هى قوانين سرمدية أخرى ، لا نعلم عنها شيئا الآن إلا شذرات متطايرة من محيط هائل من المعرفة الكلية أو جانب ضئيل من العلم الإلهى اللامتناهى . وليس معنى هذا إن هذه القوانين غيبية بشكل مطلق ، ولكنها قوانين نستطيع أن نمسها من بعيد ، وتحت ظروف خاصة جدا ، وكما يخبرنا بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى قرآنه المجيد . وسوف نعرض لها بالتفصيل فى كتابات تالية إن شاء الله [١٢] .

ثم نأتى إلى حجة ثالثة قد ساقها ديراك فى معرض كلمته ، والتى تستند إليها هذه الفئات المنكرة للقضية الدينية فى تأكيد رفضها للدين . وهى الحجة التى تقول :

بـ " أن الدين يستخدم فى إستغلال الناس وإستهلاكهم "

فكما يبدو من هذه الحجة إن تجربة هذه الفئة لم تخرج عن الإطار الفكرى لميراثهم الدينى . وبديهى إن الديانة اليهودية أو المسيحية كما جاءت على النحو السابق ، **تسمح بمثل هذا الإستغلال والإستهلاك الإنسانى للإنسان ، وليس هذا فحسب بل تسمح كذلك بتدمير الإنسان للإنسان وتقديمه قربانا وضحية على مذبح الإله الوثنى ، كما تسمح للإنسان بظلم الإنسان والغدر به وخيانته أيضا ...!!!** وقل ما شئت ... أو حدث بلا حرج كما رأينا فى الفصل السابق . وحتى الأحكام الأخلاقية التى جاءت فى هاتين الديانتين ـ اليهودية والمسيحية ـ لا يعول عليها كثيرا ، فى إطلاق العدالة بمعناها العام أو المطلق . فعلى سبيل المثال نجد النص المقدس التالى يقول :

[(١٦) لا تشهد على قريبك الزور]

(الكتاب المقدس : سفر الخروج {٢٠} : ١٦)

وبديهى يكون بالمقابلة ، إنه يمكنك أن تشهد الزور على غير قريبك . وهو ما يسمح بشيوع الفاحشة والفوضى وإستهلاك الإنسان للإنسان . ومثل هذه الفوضى الأخلاقية مرفوضة تماما فى الوحى الإلهى الصادق ، فالحق والعدل يجب أن يجريان على نحو متسق ومطلق ومستقل حتى عن النفس أو الوالدين أو ذوى القربى ، كما فى قوله تعالى :

---

[١٢] أنظر **" الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى "** لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥)**]

(القران المجيد : النساء {٤} : ١٣٥)

هكذا بمنتهى الوضوح والصراحة والحزم (... **كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** ...) ، فالقوام بالقسط معناه أداء الحق والعدل **بمقياس لامتغير** أى بمقياس مطلق ، وهو منتهى أداء الحق والعدل ، حتى لو كان هذا على الإنسان نفسه . ولا (... **تتبعوا الهوى أن تعدلوا** ...) ، فالإنسان يجب ألا يتبع هواه فى العدل ، فالعدل هو " **قضية مطلقة** " أى قضية مستقلة وبعيدة تماما عن أهواء النفس .

فإذا جئنا إلى النواهى الإلهية ـ فى الديانة الحقة ـ نجد قوله تعالى :

[**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** [١٣] **لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢)**]

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٥١ – ١٥٢)

[من إملاق : من فقر]

فأين الإستهلاك الادمى هنا فى مثل هذه النصوص ، فكما نرى (... **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** ...) ، أى لا تحيز ما ، وأين الإستهلاك الادمى مع النص الإلهى ... (... **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** ...) . وأين الإستهلاك الادمى فى نص كهذا ...

[**ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا مبينا (١١٢)**]

(القران المجيد : النساء {٤} : ١١٢)

[والخطيئة هى فى العمد وغير العمد ، أما الإثم فلا يكون إلا فى العمد ، والبهتان هو الفرية والكذب]

---

[١٣] هنا نرى الإحكام المذهل فى الصياغة القرانية ؛ فجواب القضية الجزئية : " **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده** " ، نراه قد أدمج تحت حكم القضية الكلية التالية لها : " **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** " . وبهذا المعنى يكون الإستكمال الضمنى للقضية الأولى هو أن اليتيم سوف يحصل على ماله بدقة بالغة ، وبحق مطلق ، بعد بلوغه سن الرشد والتعقل .

فبديهى أن **الدين الذى يستخدم فى استعباد وإستغلال الناس وإستهلاكهم ليس دينا** ، إنما هو مجموعة من القوانين الوضعية قد وضعها أفاقون ولصوص وخونة لخدمة أغراضهم ، ولا يمكن أن يكون هذا ـ دينا ـ من صنع إله خالق ذى كمالات مطلقة . ولهذا نجد الرسول (ﷺ) يصف بعثته بقوله :

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

وننتهى من هذا ، بأن فكر عالم الفيزياء بول ديراك لم يتجاوز فى معناه ، عن وصف ما رآه فى ميراثه الدينى ، وهو أن الدين يستخدم فى استعباد وإستغلال الناس وإستهلاكهم ، وبديهى أن الوحى الإلهى الصادق من هذا كله براء .

ولهذا تأتى الفلسفة التنويرية (**The Englightenment**) فى القرن الثامن عشر ، لنراها تتمرد بشكل مباشر على الفكر المسيحى ، وتقول بأنه يجب إصلاح ما أفسدته الكنيسة . فقد كان من بين أهم برامج الإصلاح لدى فلاسفة التنوير ، برنامج الإصلاح الدينى (**Religious Reform**) . فقد حاولوا فصل الأخلاق عن اللاهوت والميتافيزيقا . كما إعتبروا أن التطبيقات الكنسية خاطئة ، واعتقدوا أن الديانة الطبيعية (**Natural Religion**) هى الديانة الصحيحة ، والتى تعنى العبادة البسيطة لله . كما أكدوا على ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة [١٤] . ولكن لم تقدم هذه الفلسفة أى معلومة إيجابية عن الله ... كما لم يتجاوز فكر فلاسفتها عن الديانة الطبيعية ، فكر الفطرة البشرية عن وجود الله ، والحاجة إلى التدين ...

ومن فلاسفة عصر التنوير بإنجلترا ، الفيلسوف الإنجليزى جون تولاند (١٦٧٠ – ١٧٢١) ، فقد كان من المؤلهين الطبيعيين الذين يذهبون إلى القول بوجود إله صانع ، ولكنه لا يعترف بالوحى ولا بالشرائع ولا بالرسل ، كرد فعل طبيعى للوثنيات التى تحويها الديانة المسيحية ، وإنسحاب تجربته الدينية على الدين بصفة عامة ...

والفيلسوف والسياسى الداهية **فرنسيس بيكون** (١٥٦١ – ١٦٢٦) الذى كان يخدم فى بلاط ملك إنجلترا جيمس الأول (والذى كان يظن نفسه ضليعا فى اللاهوت) ، لم يستطع القول بإنكار اللاهوت الطبيعى للإله (أى أنكار الإله فى الصورة البشرية) ، وبدلا من محاولة مناقشة قضاياه المختلفة مناقشة داخلية ، نقل المشكله كلها إلى تقسيمات الفلسفة ونهجها حتى لا يتورط فى معركة كثيرة المزالق مع الكنيسة .

---

[١٤] " المرجع فى الفكر الفلسفى " دكتورة نوال الصراف الصايغ ؛ دار الفكر العربى . ص : ٢٠٠ .

ففى التقرير الذى رفعه **بيكون** ، إلى الملك جيمس الأول ملك إنجلترا ، عن كيفية إصلاح الحالة العامة للتعليم ، أوصى - بيكون - وصية أساسية هى ؛ **بأن تتم المحافظة على هوة عميقة بين العلوم الطبيعية من ناحية ، وبين الدين واللاهوت المقدس من ناحية أخرى . ذلك لأن الإنسجام والتكامل العلمى يتطلبان معا فصلا صارما بين هذين الجانبين** . حيث كان يقول أن الفيلسوف الذى ينغمس فى اللاهوت (أى فى الفكر الدينى) يخلق مذهبا خرافيا جامحا ، على حين أن اللاهوتى (أى رجل الدين) الذى يهتم إهتماما مغاليا بالفروق الفلسفية والكشوف العلمية ينتهى به الحال إلى الكفر والزندقة . ولهذا رأى أن المسلك السليم الوحيد هو **سمة ثنائية حادة بين العلوم الطبيعية والوحى الإلهى** . وكان يقول أنه لسوء الحظ أن اللاهوت الطبيعى (أى الإله المتجسد) يقيم جسرا بين كلا من الميدانين ، وبالتالى ينبغى حرمانه من هذا الدور الوسيط [15] .

وهكذا يقرر الفيلسوف فرنسيس بيكون ، بإسلوب سياسى ، بإستحالة الجمع بين العلم والدين المسيحى لأن هذا يؤدى بالإنسان إلى الكفر بالمسيحية ، وكذا إستحالة الجمع بين العقل والدين المسيحى لأن هذا يؤدى إلى تأسيس مذهب خرافى جامح .

والفيلسوف الإنجليزى المادى ، توماس هوبز : **Hobbes** (١٥٨٨ - ١٦٧٩) كان يرى :
" أن **الدين ليس أمرا من أمور الفكر** ، وإنما هو أمر من أمور الإعتقاد ... ، ولا يجوز الخلط بين العقيدة والعقل . فحيث ينتهى العقل تبدأ العقيدة ، وحيث ينتهى العلم يبدأ الإيمان [16] " وهكذا كان **يرى هوبز ، أن الدين والعقل لا يجتمعان ، كما وأن الدين والعلم لا يجتمعان .**

ويأتى الفيلسوف الألمانى ؛ فيرباخ : **Feuerbach** (١٨٠٤ - ١٨٧٢) ، ليهاجم الدين المسيحى ، ويذهب إلى أن الشيء الحقيقى ليس هو " الله " ، ولا الوجود ، وإنما هى المعطيات الحسية فقط . ويضع فيرباخ ما يسمى **بدين الإنسان مكان الدين المسيحى** ، ويقول : " إن الشيء الإنسانى هو الشيء الإلهى " . وهو بذلك يتبنى نزعة إلحادية بحته [17] ، كناتج طبيعى ، كما نرى ، لما تمخضت عنه الديانة المسيحية من فكر وثنى إلى أبعد الحدود .

ثم تأتى الفلسفة الوجودية فى فكر سارتر ... بعبثيتها ... **وليس للموت فى ذاته عند سارتر أهمية خاصة . فقط إنه العبث الأخير ، وهو لا يقل عبثا عن الحياة ذاتها ، فالموت يظهر عند سارتر فى الفلسفة الوجودية كـ " جزء من الصفقة " (الحياة والموت) ، على حد تعبيره** [18] .

---

[15] " **الله فى الفلسفة الحديثة** " ، جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل . الناشر مكتبة غريب . ص : ١٣٢/١٣٣ .
[16] " **تمهيد للفلسفة** " د. محمود حمدى زقزوق ، دار المعارف . ص : ١٨٢ .
[17] المرجع السابق ؛ ص : ٢١١/٢١٢ .
[18] " **الوجودية** " ، جون ماكورى ؛ ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة د. فؤاد ذكريا . دار الثقافة للنشر والتوزيع . ص : ٢٨٧ .

ولكن ماذا يحدث عندما تحين ساعة رحيل المرء الكافر فعلا من هذه الحياة ؟ أو ماذا يحدث عندما يواجه الإنسان الملحد الموت فعلا ويصبح فى لحظاته الأخيرة ؟ إننا لا نرى إلا الفزع يغلفه ويحيط به من كل جانب ....!!! **إنه يدرك فى تلك اللحظات الأخيرة ـ بشعور فطرى ـ بأنه لم يحقق الغايات من خلقه** ، وها قد حانت الآن لحظة المواجهه مع الحقيقة الكاملة أو الحقيقة المطلقة وجها لوجه ....!!! ويحاول ذلك الإنسان النجاة ... النجاة بأى شكل وبأى ثمن ... ولكن إلى أين يذهب ؟ ... حيث يقول المولى عز وجل (له ولأمثاله) :

[فأين تذهبون (٢٦) إن هو إلا ذكر للعالمين (٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨)]
(القرآن المجيد : التكوير {٨١} : ٢٦ – ٢٨)

[إن هو إلا ذكر للعالمين : أى ما القرآن المجيد إلا تذكرة وموعظة للعالمين / لمن شاء منكم أن يستقيم : أى لمن أراد منكم تحرى الحق والصواب.]

وتتلاشى الفلسفات فى تلك اللحظات الأخيرة ، وتمر أحداث حياة المرء فى لحظات أمام عينيه ، ليدرك أنه قد أضاع الحياة فى سفسطة كلامية ، بدلا من إخلاص النية فى البحث عن الله ... وفى محاولة يائسة أملا فى النجاة ، يتمسك المرء بأى شىء ....!!! فلا يجد لديه إلا الوثن القديم .... فيعود إليه ....!!! أملا فى النجاة ... ولكن أى نجاة هذه .....!!!

ويأتى الموت الحقيقى لسارتر ... ويفزع ذلك الفيلسوف التائه الضال كأمثاله ....!!! ويطلب سارتر قبل موته من رفيقة حياته " **سيمون دى بوفوار** " أن تأتى له **بقس** ....!! وتبدى (هذه البلهاء ـ هى الأخرى ـ والجاهله معا بهول هذا الموقف) دهشتها الشديدة وإستنكارها لما يطلبه ذلك المسكين ، ثم تقول له : سآت لك بالكاردينال ، فيرد عليها بقوله : لا ... لا أريد كاردينالا ... إنه غشاش للإله ، إنما أريد قسا متواضعا ، من قرية متواضعة مغمورة ، وجاءت له بالقس ....!!! واعترف له سارتر بهزيمته [١٩] أمام الموت ... أملا فى النجاة ... !!! ولكن أى نجاة هذه ....!!! حيث يصف حالهم المولى عز وجل فى محكم تنزيله بقوله تعالى :

[... ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (٩٣) ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (٩٤)]
(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٩٣ – ٩٤)

---

[١٩] " **د. رشدى فكار (المفكر الإسلامى) فى : حوار متصل حول مشاكل العصر** " ، خميس البكرى ، مكتبة وهبة . ص : ٦١ .

سبحان الله ..!!! **ويتجاوز تفسير هذه الآيات إلى ما وراء الإعجاز العلمى** ، والرؤية القاصرة للبشرية العاجزة ، لذا سيرجأ تفسيرها إلى كتابات أخرى إن شاء الله [٢٠] . وتترى الايات العلمية والفيزيائية بعد هذه الآيات العميقة المعانى ، فى هذه السورة (سورة الأنعام) ، لينهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الفقرة ، بنفيه للبنوة التى تدعيها المسيحية عليه ، ثم بوصفه لنفسه ببعض كمالاته الإلهية التى لا نستطيع أن نحصيها عليه ـ سبحانه وتعالى هو محصيها ـ كما يصف كتابه العزيز بالبصائر ، وهى الرؤية المستيقنة التى لا يبقى معها أى شك أو ريبة ، كما فى قوله تعالى لمحمد (ﷺ) للتبليغ عنه :

[بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم (١٠١) ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل (١٠٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)]

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٠١ - ١٠٤)

وهذا هو حال من لم يدرك هذا ...

[... وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣)]

(القران المجيد : النحل {١٦} : ٣٣)

وننهى هذه الفقرة بالقول ، متفقين فى ذلك مع ما يقوله الفيلسوف الفرنسى **روجيه جارودى** [٢١] عن العالم المسيحى ومبشريه ، بأنه تكاد تكون من سخرية الأقدار :

" أنهم يريدون أن يفرضوا على الآخرين مسيحية يهزأون منها بكل عمل من أعمالهم "

٢ . وتعود دورة الحياة (The Circle of Life) للتكرار ...

وتعود التجربة الدينية ، للديانتين اليهودية والمسيحية معا ، بالإنسان ـ ذلك التائه الحائر ـ مرة أخرى إلى محاولة سبر غور المعرفة الإلهية ، معتمدا فى ذلك على نفسه ...!!! وعلى نفسه

---

[٢٠] أنظر " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٢١] " **روجيه جارودى ـ لماذا أسلمت ؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة** " دراسة أعدها محمد عثمان الخشت . مكتبة القران . ص : ٩٠ .

فقط ... بعد أن تأكد أن ما لديه من أديان (متأثرا فى ذلك بتجربته مع هاتين الديانتين الوثنيتين) لا يصلح لأن يكون مصدرا للمعرفة الإلهية ، كما إنه لا يصلح لأن يكون منهاجا إنسانيا أو إلهيا ، يمكن أن يتدين به إنسان عاقل ، وذلك على الرغم ، من المحاولات المضنية التى بذلها ويبذلها أئمة هاتين الديانتين لإسباغ نوع من الشرعية ـ الشكلية فقط وليست المنطقية ـ عليهما .

وتعود دورة الحياة (The circle of life) بالإنسان مرة أخرى إلى الحالة التى كان عليها منذ الاف السنين فى الماضى . ويقف إنسان العصر الحديث الان ، نفس موقف ابراهيم (عليه السلام) قبل بعثته ، وهو يحاول التعرف على " الله " معتمدا فى ذلك على نفسه ، وعلى فكره فقط . ويشرح لنا القران المجيد حيرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى البحث عن " الله " ، بالكلمات الإلهية المحكمة ، فى قوله تعالى :

[فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦) فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون (٧٨)]

(القران المجيد : الأنعام (٦) : ٧٧ – ٧٨)

فالايات تبين بوضوح ـ كما سبق وأن تعرضنا لها فى الفصل الثانى ـ أن غاية فكر إبراهيم ـ عليه السلام ـ قبل بعثته ، لم يتجاوز فكر إدراك أن الله موجود ، وأن من كمالات " الله " ألا ينبغى له أن يغيب عن مخلوقاته ؛ بل يجب أن يكون فى حضور دائم ومستمر معهم . ولكن من هو " الله " ؟ ... أهو كوكب ؟ ... أهو قمر ؟ ... أهو الشمس ؟ بديهى لا ؛ لأنها جميعها قد أفلت ... أى غابت ، ولا ينبغى لكمال " الله " أن يغيب عن مخلوقاته .

ولم يتغير الفكر البشرى فى معناه كثيرا ، متمثلا فى صفوة مفكريه من العلماء والفلاسفة ، عن فكر إبراهيم (عليه السلام) قبل بعثته . فغاية فكر الإنسان عن " اللـه " إنه موجود ... ولكن من هو الله ؟ وماهى صفاته ؟ وما هى كمالاته ؟ فجميعها أمور لا يملك الإنسان التنبؤ بها مستندا فى ذلك إلى أى خبرة عملية أو واقعية ، أو أى فكر ـ باستثناء الفطرة ـ يمكن أن يدله على هذه الأمور ، كما سبق وأن بينا فى الفصل الثانى .

ويجد الإنسان وينشط فى البحث عن الله ، وفى البحث عن دين يتدين به ، بديهى عدا الأديان التى يدعى أهلها بأنها قادمة من السماء ، وهذا هو حال تجربته معها . أو تخصيصا ، هذا هو حال تجربته مع ***الديانتين (السماويتين) اليهودية والمسيحية ، وعدم صلاحيتهما فى أن يكونا***

مصدرا للدين والتدين . فهى تجربة فريدة تتحدث عن نفسها بأنها خير شاهد على فشل الفكر السماوى ، كما جاءت به تلك الديانتان ....!!!

وهكذا لم يبق للإنسان ـ المفكر ـ إلا ذاته ، ولم يبق له سوى الإعتماد إلا على نفسه ، وذلك فى محاوله منه للتعرف على الله ... ولكن من أين يبدأ ؟ ... وإلى أين يتجه ؟
ويذهب الإنسان إلى **المذاهب الوضعية أو الفلسفية** ، أو بمعنى أخر ، يتجه إليها لعله يجد لديها الحل ، **أو يجد فيها الملاذ والسكن** ....!!! ويقف الإنسان من هذه المذاهب الوضعية ، نفس موقف إبراهيم ، قبل بعثته ، من الكوكب ... ومن القمر ... ومن الشمس . ويشير الإنسان إلى أحد المذاهب الوضعية أو الفلسفية ... ويقول هذا ربى ... ثم يتضح له خطأ ما يقول ... وخطأ ما يعتقد ....!!! فيتركه (لأنه أفل) ... !!! ليذهب إلى مذهب اخر ويقول ... هذا ربى ... هذا أفضل .... ثم يتضح له خطأ ما يقول ... وخطأ ما يعتقد ....!!! فيتركه إلى مذهب اخر ...!!! وهكذا ... ويتكرر الإعتقاد ... وتتكرر الأخطاء ... وبغير نهاية ....!!!

ولم يتنبه خلاصة مفكرى الإنسانية ، إلى ما تنبه إليه إبراهيم (عليه السلام) قبل بعثته ، وهو : **" أنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالله "** ... ولهذا نجد إبراهيم (عليه السلام) يقول فى نفس الايات السابقة :

[... لإن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين]
(القران المجيد : الأنعام {٦} : ٧٧)

إذن فالمعرفة الإلهية لن تتأتى إلا بالإخبار " الإلهى " عن نفسه ، وهى معرفة لا تنتج عن فكر تأملى أو تجربة معملية يقوم بها الإنسان . بل هى معرفة إخبارية ـ محضة ـ يتحدث فيها " الله " عن نفسه ، ويقدم فيها " الله " نفسه للبشرية ، لتعريفهم به ، وبكمالاته الإلهية .

إن قمة الإدراكات البشرية ، متمثلة فى فكر الأنبياء قبل بعثتهم ، هو مجرد إدراك أن الله موجود وإنه واحد فحسب ، ومن كمالاته ألا ينبغى له أن يغيب عن مخلوقاته ، بل يجب أن يكون فى حضور دائم ومستمر معهم . كما أدرك الإنبياء ــ قبل بعثتهم ــ أن معرفة الله لن تتأتى ، ولن تتم إلا بإخبار الله عن ذاته وعن صفاته . وهذه هى غاية إدراكات الإنسان الفطرية ، **والمتمثله فى نقاء فكر الإنبياء وصفاء فطرتهم** [٢٢] .

[٢٢] وهذه هى الفطرة التى نولد عليها ، والتى يمكن أن تسمى بلغة الكمبيوتر (**The Default**) ، أى مالم يذكر غير ذلك ، كما سبق أن بينا فى الفصل الثانى .

وليقف الإنسان ذلك العاجز ، **إن لم يدرك هذا** ، حائرا فى هذا الوجود ... ليترنم بصوته النابع من أعماقة ... ليعبر بكل كلمة يتغنى بها ـ بدون أن يدرى ـ عن ندائه المتواصل على الله ... ويعبر بكل لحن يشدو به ـ بدون أن يدرى ـ عن بحثه الدائب والمتصل عن الله ... وليردد ذلك الفضاء اللامتناهى ... صدح هذا الإنسان الحائر ، وليحك الوجود ... قصة هذا الضياع ... ضياع ذلك الإنسان الحائر الذى ينادى فى كل لحظة ... وفى كل حركة ... وفى كل سكنه ... بدون أن يدرى ... على الله ... وهو ـ فى نفس الوقت ـ يصم أذنية حتى لا يسمع إستجابة الله له ...!!! ويغمض عينيه ... حتى لا يرى تجلياته عليه ...!!! **ويتجلى " الله " هنا ... ويتجلى " الله " هناك** ... ولتعيد دورة الحياة (**The circle of life**) نفسها ... هكذا ... وبغير نهاية ...!!!

وليتكرر الإنسان ... وليكرر إنسان بداية القرن الواحد والعشرين ، إنسان نوح ـ عليه السلام ـ منذ آلاف السنين ...!!! عندما يشكى ـ نوح ـ حاله وحال قومه إلى الله سبحانه وتعالى ، على الرغم من كثرة دعائه لهم ... ولكن بلا طائل . فيخبرنا المولى عز وجل بقول نوح ، فى قوله تعالى :

[قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا (٥) فلم يزدهم دعاءى إلا فرارا (٦) وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا (٧)]
(القرآن المجيد : نوح {٧١} : ٥ – ٧)

ويستغشى إنسان بداية القرن الواحد والعشرين بثيابه (أى يغطى بها وجهه) ـ كقوم نوح تماما منذ آلاف السنين ـ حتى لا يرى الدين الحق . ويضع إنسان بداية القرن الواحد والعشرون ، أصابعه فى أذنيه ـ كقوم نوح تماما منذ الاف السنين ـ حتى لا يسمع ما يجىء به الدين الحق من علم . بل ويستكبر ويصر إنسان بداية القرن الواحد والعشرون ، على كفره إصرارا ....

وتجرى سورة نوح بعد ذلك ، وتتوالى فى وصف السنن الكونية بإحكام بالغ ، لتنبيه قوم نوح ، وتنبيه إنسان بداية القرن الواحد والعشرين ، إلى وجود " الله " ، خالق كل شىء سبحانه وتعالى ، حتى نأتى إلى قوله تعالى :

[مالكم لا ترجون لله وقارا (١٣) وقد خلقكم أطوارا (١٤) ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا (١٥) وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (١٦) ....] [٢٣]
(القران المجيد : نوح {٧١} : ٥ - ٧)

حتى يكفوا عن عبادة الأصنام ، وعبادة الأوثان ، ولكن دون جدوى أو طائل معهم . فتكون النتيجة المحتومة هى ، كما جاء فى قوله تعالى :

[مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا (٢٥)]
(القران المجيد : نوح {٧١} : ٢٥)

أى بخطيئاتهم أغرقوا ، وبديهى أن هذا ليس فعلا جزافيا من أفعال الرب ، كما يقول اريك فروم ، بناء على وصف العهد القديم لهذه القصة (أنظر كذلك الفصل السابق) [٢٤] ، بل هى عدالة إلهية لإنسان لم يحقق الغرض الذى خلق من أجله ، وأقر هو (أى الإنسان) لقبوله لهذا الخلق ، وعلى أساس هذا الغرض . وهكذا يدخل الإنسان نارا أرادها لنفسه ، وهكذا يدخل الإنسان نارا أرادها بإختياره ....!!! ويردد الله قوله تعالى للإنسان لعله يتذكر أو يخشى ...

[... وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١١٨)] (القرآن المجيد : النحل {١٦} : ١١٨)
[وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين (٧٦)] (القرآن المجيد : الزخرف {٤٣} : ٧٦)
[... وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣)] (القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٣٣)

---

[٢٣] لعمرى ... إننى أقف والعجز يغلفنى ... ولا أدرى ماذا أقول عن تفسير هذه الايات ، وحول هذا الإحكام المذهل الوارد فيها ... **أأدرك مسيحيوا الخروف** ... قوله تعالى : **مالكم لا ترجون لله وقارا** ... أأدرك محدودى فكر النظرية الداروينية ... قوله تعالى : **وقد خلقكم الله أطوارا** ....
ولم يدرك علماء الكونيات حتى الأن ، ولن ندرك نحن ، ولن ندرك إلا به (إلا بالله) ... قوله تعالى : ... **سبع سماوات طباقا** .... ولم ندرك ولن ندرك إلا به ... قوله تعالى : **وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** ....
ولم ندرك ، ولن ندرك إلا به ... قوله تعالى : ... **فيهن** ...
ولقد أدركنا أخيرا ... **معنى القمر نورا** ... **والشمس سراجا** ... والنور فى القران المجيد هو الضوء المنعكس من الجسم المظلم ، أما السراج ... فهو الجسم المشع بذاته ... أهناك إحكام أبعد من هذا ... أم أن هناك إحكاما بعد هذا ... أم إنه القران المجيد .... وفعلا هو القران المجيد .... [أنظر ملحق ٣ ، وسنأتى إلىتفسير معنى السماوات فى **"الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى "** لنفس مؤلف هذا الكتاب] . ولا أملك إلا قوله تعالى :

[قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا (١٠٧) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)]
(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ١٠٧ - ١٠٨)

[٢٤] " الدين والتحليل النفسى " ، اريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل . دار غريب للطباعة . ص : ٤٤ .

وتنتهى قصة الإنسان ... وتنتهى حياته ... ليقف وجها لوجه مـع الحقيقـة المطلقـة ... ليقـول لـه الله تعالى فى محكم تنزيله :

[وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخـرج لـه يـوم القيامـة كتابـا يلقـاه منشـورا (١٣) اقـرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤)]

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ١٣ - ١٤)

[ألزمناه طائره : ما قضى له ـ فى العلم الإلهى السرمدى ـ أنه عامله وما هو صائر إليه]

وأرجو أن يتنبه الإنسـان إلـى قولـه تعـالى : (**اقـرأ كتـابك كفـى بنفسـك اليـوم عليـك حسـيبا**) . وهكذا لم يحقق الإنسان الغاية من خلقه ، وهكـذا لـم يحقـق الإنسـان الغايـة مـن إستخلافه علـى الأرض ... ولتعيد دورة الحياة (**The circle of life**) نفسها ... وبغير نهاية ...!!!

وفى الحقيقة ، إن المتتبع للفكر الفلسفى للإنسـان ، ليشـعر بالرثـاء علـي هـذا الإنسـان ... وعلـى المأزق الفكرى الذى أوقعته فيه الديانتان اليهودية والمسيحية . **فقد أوقعته هاتان الديانتان ـ وهو لا يدرى ـ فى أكبر مأزق فكرى على مدار تاريخه وحضاراتـه** . وقـد إنعكس اثـار هـذا المـأزق الفكرى ، وإن لم يكن فى هذا أدنى مبالغة ، على فكر الفلاسفة والمفكرين الغربيين ، حتى أصبـح الان ، كما كان من قبل ، يدور حول **كيفية الجمع أو التوفيق بين** فطـرة ناصعـة مدركـة لوجـود إلهى متعال ذى كمالات مطلقة ، **وبين** دين هابط دون مستوى الحضيض ، يقـول بوجـود إلـه وثنى وأسطورى ...!!!

وهكذا أنتجت التجربة الدينية **اليهودية/المسيحية** : **إما إنسانا** يحاول أن يجمع بين المتناقضـات ، لهذا يتهمه علماء النفس بالمرض ـ النفسى ـ عندما يجدوه يجد فى البحث عن المبررات الفـاقدة للعقل والمنطق معا حتـى يمكنـه الإحتفـاظ بـالدين بشكله الراهـن ؛ **وإمـا إنسـانا** يحـترم عقلـه ، ويرفض هذا الفكر الدينى والإلهى الوثنى برمته ...!!! ثم يذهب يتحرى وجـود الحقيقـة فـى مكان اخر ، فى شكل فلسفة ما ...!!! أو مذهب ما ...!!! **عدا البحث عن الله بشعور مخلـص فى دين حق ، بعد أن كفر بالأديان ...!!!**

٣. الفلسفة [٢٥] منذ نشأتها وحتى الفلسفات المعاصرة

ولماذا الفلسفة ؟

فى الواقع ؛ أن نظرية المعرفة (Epistomology) ، ونظرية الوجود (Ontology) ، ونظرية القيم (Axiology) [٢٦] ، هى من موضوعات الدين الأساسية ، وهى فى نفس الوقت من صميم علم الفلسفة ، فليست هناك ثمة علوم أخرى يمكن أن تقوم بالرد على مثل هذه الأسئلة ، إلا الفلسفة .

ولماذا الفلسفة منذ نشاتها وحتى الفلسفة المعاصرة ؟

ربما كان هذا أساسيا ولازما ، حتى نضمن عدم سقوط أو تسرب أى فكر من بين أيدينا يمكن أن يفيد فى بحثنا هذا عن قضية الوجود والمصير ، من جانب . ومن جانب اخر ؛ حتى لا يدعى أحد بأن هناك أنظمة فلسفية يمكن أن تقودنا للحقيقة ... أى حقيقة ...!!! ولم نتناولها بالبحث فى هذا الكتاب ...!!!

إن الهدف من هذا العرض ، هو الإجابة على السؤال الذى يقول : **وماذا قدم خلاصة المفكرين ـ من علماء وفلاسفة ـ للبشرية من فكر يمكن أن يعتمد عليه فى تحديد هوية الإنسان ووجودة ، وتحديد طبيعة المصير الذى يمكن أن ينتهى إليه الإنسان . وكذا تحديد هوية خالق هذا الوجود ـ سبحانه وتعالى ـ وصفاته ؟**

وبديهى لكى نقوم بالإجابة على مثل هذا السؤال ، لابد لنا وأن نعرض لقصة الإنسان مع الفلسفة ، وماذا قدمت له الفلسفة من فكر يمكن أن يحول عليه فى الرد على مثل هذه التساؤلات السابقة .
لذا كان يلزم أن نبدأ بالفلسفة منذ بداية الحضارة الإنسانية وننتهى بالفلسفات المعاصرة أى فلسفات القرن العشرين . وبديهى إن مثل هذا العمل ، هو عمل موسوعى يحتاج لعدة مجلدات ضخمة لبيانه وتحليله . وبديهى لن نقوم بمثل هذا العمل ، وإلا تهنا فى التفاصيل وضاع من بين أيدينا الهدف المنشود .
ولكن ما يعنينا الان ، هو الرؤية الكلية أو الإجمالية لما أسفرت عنه الفلسفات من أفكار كلية تخدم أغراض البحث هنا ، من حيث وجود الإنسان ومصيره ، وكذا الغاية من هذا الوجود

---

[٢٥] تتكون كلمة (**Philosophy**) من مقطعين يونانيين (**Philia**) وتعنى : حب ؛ وكلمة (**Sophia**) وتعنى : حكمة . وبهذا يكون معنى كلمة فلسفة ، هى " حب الحكمة : **Love of Wisdom** " (أنظر الملحق الرابع من هذا الكتاب لمزيد من التفاصيل) .
[٢٦] أنظر الملحق الرابع من هذا الكتاب للتفاصيل .

وطبيعة الخالق على نحو مجمل . ولحسن الحظ إن مثل هذا العمل يمكن تقديمه فى صفحات قليلة ، كما نعرضه هنا ، مبتدئين فى ذلك بـ : " الفلسفة اليونانية القديمة : **Ancient Greek Philosophy** " ، ثم " الفلسفة فى العصور الوسطى : **Midieval Philosophy** " ، ثم " الفلسفة فى عصر النهضة : **Renaissance Philosophy** " ، ثم " الفلسفة الحديثة : **Modern Philosophy** " ، ثم أخيرا " الفلسفة المعاصرة : **Contemporary Philosophy** " [٢٧] .
وسوف نكتفى هنا بإعطاء المعالم العامة لكل مرحلة من مراحل الفكر الفلسفى ، على طول حضارات الإنسان ، مع الإشارة فى نفس الوقت إلى أهم الفلاسفة وفلسفتهم فى كل مرحلة . وهذا ما فيه الكفاية لبيان ما قدمته الفلسفة للإنسان والدين .

وفى الواقع ، وكما سنرى ، إن الفلسفة - فى أحسن احوالها - لم تقدم للدين إلا ما تقدمه التجربة المعملية ذات الدلالة المحدودة ، لبيان جزئية صغيرة ذات معنى ضيق ومحدود ، من طيف عريض من المعانى والمفاهيم العامة التى تتنبأ بها إحدى النظريات العلمية العامة ، ذات المضامين الشاملة والفكر المحيط . وبديهى لا توجد تجربة بدون نظرية ، ولكن قد توجد النظرية بدون التجربة . لذلك فإن الدين ليس فى حاجه إلى الفلسفة ، بينما الفلسفة تمثل المحاولة المتواضعة التى يبذلها الإنسان فى محاولة منه لإسباغ المعنى المعقول على وجوده ، وذلك بمحاولة معرفة مكانه من هذا الوجود .

ولو توخينا الدقة فإنه يمكن تعريف الفلسفة من وجهة النظر الدينية [٢٨] : بأنها المساعى الحميدة ــ التى لا تقدم شيئا إلا الفطرة وبعض التأكيدات الثانوية ــ والتى يبذلها الإنسان من جانبه ، فى محاولة منه لمعرفة وجودة أو مكانه فقط (وليس مصيرة) من هذا الوجود .

---

[٢٧] هناك إسلوب آخر فى عرض الفلسفة ، غير هذا العرض التاريخى ، وفيه يتم عرض الفلسفة من خلال الميادين الأساسية لها وهى : مبحث الوجود (Ontology) ، ومبحث المعرفة (Epistomology) ، ومبحث القيم (Axiology) ، غير أن ما اتبع هنا هو العرض التاريخى حتى نتجنب تكرار أسماء الفلاسفة من جانب ، كما يستحسن إعطاء فكر متكامل عن الفيلسوف فى هذه المباحث معا وليس فكرا جزئيا فى كل حالة ، من جانب آخر .

[٢٨] لابد لى وأن أؤكد هنا - وحتى لا يخطىء الحساب ــ على دور الفلسفة الهام فى السياسة والأخلاق والإجتماع ونتائجها الإيجابية فى هذا الشأن ، وذلك فى حالة **غياب الدين الصحيح** . وكذا المساهمة الإيجابية والحقيقية - للفلسفة ــ فى مجال تقدم الحضارة البشرية على مر العصور المختلفة ، وذلك فى غياب الدين الصحيح أيضا . وكذا دور الفلاسفة المعاصرين فى الدعوة للسلام العالمى فى الوقت الحالى . ولكن ما أعنيه هنا بهذا التعريف هو دور الفلسفة وما أحرزته فى مجال معرفة الإنسان لوجوده ومصيره فى هذا الوجود ، وهما موضوع الكتاب . والكاتب يعتقد أن الفلسفة تمثل الضمير الإنسانى ، أو الفطرة البشرية ، فى حالة غياب الدين الصحيح . أما فى حالة وجود الدين الصحيح ، ومنهاجه وقياسه العلمى الكلى ، فلا مكان ولا دور للفلسفة بمفهومها الحالى . فهى قاصرة عن تقديم أى شيئ ذى نفع حقيقى لا عن جانب الوجود ، ولا عن جانب المصير ، ولا عن الجانب الخاص بفكر الخالق وغاياته . كما وإن الجانب الأخلاقى فى الفلسفة هو عادة فكر غير قياسى وناقص أو بمعنى آخر هو فكر قاصر بدرجة واضحة وملحوظة ، لأن هذا يستلزم الإحاطه الكامله والدقيقة بالفكر البشرى وطبيعة الإنسان ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الدين الصحيح .

والفلسفة لم تؤد - حتى الان - بالإنسان إلا إلى " **الشعور بالإغتراب** " ، وهى تسمية يتبناها فلاسفة اليوم ، ولا تعنى أكثر من " **الشعور بالضياع** " . وهو الشعور الذى يمر به إنسان اليوم والذى يوحى معناه ، بأن الإنسان يكاد يصبح شيئا - تافها - من بين أشياء أخرى فى هذا الكون ، وبهذا يكاد يفقد الإنسان معنى وجوده على نحو مطلق .

ففي الواقع ؛ إن الفكر الفلسفى منذ نشأته وحتى الان - كما سنرى - يدور فى فلك الصراع بين المعرفة العقلية (والتى يطلق عليها المعرفة الميتافيزيقية) [٢٩] ، وبين المعرفة الحسية (والتى يطلق عليها المعرفة العلمية) [٣٠]. ويقف الفلاسفة الان - وكل متشيع لرأية - ليتساءلوا ... هل تأتى لنا المعرفة بطريق : العقل وبمنهاج عقلى (Rationalism) ، أم بطريق الحس وبمنهاج حسى (Empiricism) ؟ أم إنها تأتى لنا : بالحدس (Intuition) أم بالتجربة (Experience) ؟ أم إنها (أى المعرفة) تأتى لنا : من خلال الروح (Spirit) أم من خلال المادة (Matter) ؟

وما الفلسفات الألمانية الكانطية (Kantianism) والهيجلية (Hegelianism) ، من جانب ، والماركسية (Maxism) من جانب اخر ، إلا تعبير عن هذين الإتجاهين الفكريين وصراعهما بنحو أو اخر . وقد تطور هذا الصراع فى الفلسفة المعاصرة ، وظهرت المناهج الفلسفية المتضادة ، كفلسفة الظاهرات (Phenomenology) ، والفلسفة الوجودية (Existentialism) ، وهى فلسفات أقرب فى إتجاهها إلى التفكير الميتافيزيقى (أى المعرفة بالعقل) . بينما ظهرت الفلسفة التحليلية (Analytic) ، والفلسفة الوضعية (Positivism) ، والفلسفة اللغوية (Linguistic) فى أوربا ، والفلسفة البراجماتية (Pragmatism) فى أمريكا ، معبرة عن التفكير العلمى (أى المعرفة بالحواس) .

وما هذه الفلسفات العديدة ومناهجها ، إلا تعبير عن إستمرارية الجدل بين الفكر الميتافيزيقى ، والفكر العلمى ؛ أو الجدل بين الفكر العقلى والفكر الحسى . **وما زال الفلاسفة يعتقدون فى أن التفكير الفلسفى هو طريقة بحث ومنهاج للوصول إلى معرفة الحقيقة [٣١] المطلقة** . وهذا يعنى أن الفلاسفة لم تكفهم ثلاثة الاف سنة (أى منذ نشأة الفكر الفلسفى وحتى الان) من المحاولات العبثية الفاشلة ، ومن إضاعة الوقت ، حتى يفيقوا أو يتنبهوا إلى أن هذه الإتجاهات الفكرية

---

[٢٩] **التفكير الميتافيزيقى أو المعرفة بالعقل** : هو التفكير (أو المعرفة) الذى يبدأ بالذات والتجربة العقلية من حدس (Intuition) وتأمل وإعتماد على البديهيات .

[٣٠] **التفكير العلمى أو المعرفة بالحواس** : هو التفكير (أو المعرفة) الذى يبدأ أو تبدأ بالعالم الخارجى ، والتجربة الموضوعية من حسابات ومختبرات وإثباتات علمية .

[٣١] " **المرجع فى الفكر الفلسفى** : نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى " ؛ الدكتورة نوال الصراف الصايغ . دار الفكر العربى . ص : ٢٦ / ٢٧ .

والجدل لن يقودهم إلى معرفة ما عن الإنسان والخالق ...!!! بل مازلنا نراهم فى إستمرارية فى المناقشات السوفسطانية التى لا جدوى منها ولا طائل من ورائها ...!!!

وينبهنا الله ـ عز وجل ـ وهو أعلم بنا منا ، إلى أنه خلق الإنسان محب للجدل ، كما فى قوله تعالى :

[... وكان الإنسان أكثر شيء جدلا (٥٤)] [٣٢]

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ٥٤)

كما ينبهنا الله ، أن كل المناهج الوضعية ، لن تقود الإنسان إلى شيء ما ، وها هى الفلسفة ، كما سنعرضها ، لم تقدم للإنسان شيئا ...!!! فإلى أين يذهب الإنسان إذن ؟ ... وقد أوشك أن يعتريه اليأس ، ويتملكه الضياع ، ويملأ نفسه الشعور بالإغتراب ...!!! وتكون الإجابة بأنه لن يكون هناك للإنسان خيار إلا إلى الذهاب إلى المنهاج الإلهى لمن أراد الهداية ...

[فأين تذهبون (٢٦) إن هو إلا ذكر للعالمين (٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨)]

(القران المجيد : التكوير {٨١} : ٢٦- ٢٨)

وإذا ما أصر الإنسان على الإستكبار والبعد ... ينبهه المولى ـ عز وجل ـ بقوله تعالى :

[... فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧)]

(القران المجيد : طه {٢٠} : ١٢٣ - ١٢٧)

إذن ... لا ملجأ للإنسان إلا إلى الله ... وتعود دورة الحياة (The Circle of life) إلى التكرار ليعيد الإنسان نفسه ... وليقف إنسان مشارف القرن الواحد والعشرين ، نفس موقف كُعب بن مالك ، وهلال ابن أمية ، ومرارة بن الربيع منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ... في قوله تعالى :

[وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (١١٨)]

---

[٣٢] والاية الكريمة كاملة هى : [ولقد صرفنا فى هذا القران للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا (٥٤)] ؛ وصرفنا : بمعنى ذكرنا .

(القرآن المجيد : التوبه {٩} : ١١٨)

فهذه هى الحقيقة المطلقة التى يجب أن يتنبه لها الإنسان .. أى (... **لا ملجأ من الله إلا إليه** ...) . ثم بأى شىء يعتصم الإنسان ... بعلمه القليل ... أم بحواسه المحدودة ... أم بعقله القاصر ... أم أنه يعتصم بلا شىء ...!!! وتعود دورة الحياة (The Circle of life) لتتكرر ، ويكرر الإنسان نفسه ... ويبين لنا الله - سبحانه وتعالى - قوله تعالى عن ابن نوح (عليه السلام) ، عندما ناداه نوح - عليه السلام - من السفينة ...

[وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٢) قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (٤٣) [٣٣]]

(القران المجيد : هود {١١} : ٤٢ - ٤٣)

وليت الإنسان يتنبه إلى قوله تعالى (... **لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ...) . ويجب أن أشير هنا إلى أن الإنسان فى رحلته الفكرية ، لم يستطع أن ينفصل عن " الله " بدون أن يدرى ... فرحلة سعية فى هذه الحياة لم تتجاوز فى معناها العميق إلا البحث عن الحقيقة... وما الحقيقة التى يبغيها الإنسان إلا " الله " سبحانه تعالى ...

وليس هذا تفكيرا ميتافيزيقيا أو تفكيرا علميا ... بل هذا تفكير متكامل شديد البساطة ، لإنسان يملك من الحواس والعقل والمعرفة الفطرية ، ما يكفيه لإدراك الحقيقة . إنسان يملك كلا من الجانب المادى والجانب الروحى معا ، أنسان قد قضى الله - سبحانه وتعالى - له :

---

[٣٣] وتتجلى الرحمة الإلهية بنوح عليه السلام ، فى قوله تعالى (... **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**) ، فلم يشأ الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل نوحا يرى بعينيه غرق إبنه الكافر ... رحمة منه بنوح الأب . وهنا يتضرع نوح إلى الله ويقول ...

[ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (٤٥) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين (٤٦)]

(القرآن المجيد : هود {١١} : ٤٥ - ٤٦)

وهنا يتنبه نوح - عليه السلام - إلى أن الكفر حال وفصل بينه وبين ابنه ... فيعود ليقول لربه ...

[قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين (٤٧)]

(القرآن المجيد : هود {١١} : ٤٧)

وتتجلى القوانين السرمدية والسنن الكونية التى تجرى علينا — نحن البشر — لتحقيق الغايات من خلقنا ... حيث نتحسسها فى قول نوح - عليه السلام - لله (... **إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم** ...) ... ولم ولن ندرك ما ندرك إلا بالله ...

بأن يكون جزئية روحية فى الجوهر ، منحته ـ هذه الجزئية ـ حرية ومسئولية وكمالا إنسانيا بقدر ، وكذا إدراكا ووعيا ومعرفة فطرية بقدر ، وأصبح بموجب هذه الجزئية الروحية الحدود المشتركة (Common Boundaries) لملتقى عدة عوالم مختلفة أو أكوان موازية يتحدد ظهوره فى أيها ، على حسب قوانين عليا تحدد سلوكه وتحركه فيها . وهذه القوانين ؛ هى قوانين سرمدية " فيزيقية/ميتافيزيقية " معا ، تبدأ من عالم الشهادة أو العالم الفيزيائى وتنتهى بعالم الغيب ، أو الأكوان الموازية أو المتراكبة ، وكل هذا بلا أدنى تضحيات عقلية أو فكرية أو تسلسل منطقى يفقد للقضية معناها أو يفسد مغزاها . والدلائل الدالة على صدق هذه القوانين ، تتعدد وتتنوع حتى تترك الإنسان فى رؤية كلية كاملة متكاملة ، أو رؤية مستيقنة تحيط به وتغلفه من كل جانب ، كما يسطع نورها فى كل جوارحه [٣٤] "

ولم يتنبه هذا الأعمى ... (أى هذا الإنسان المستعمى) ـ بموجب هذه الحرية الممنوحة له ـ إلى أنه هو الذى يغمض عينيه حتى لا يرى حقيقة وجوده وحقيقة مصيره ...!!! كما لم يتنبه هذا الأصم ... (أى هذا الإنسان المدعى الصمم) ـ بموجب هذه الحرية الممنوحة له ـ إلى أنه هو الذى يضع أصابعه فى أذنيه أو يصم أذنيه حتى لا يسمع كلمة الهداية لما يحييه الحياة المأمولة ...!!! وعليه أن يتحمل توابع هذه المسئولية ...!!! وتتأكد المسئولية الملقاه على عاتق الإنسان صراحة فى قوله تعالى :

[إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢)]

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٧٢)

أى أن الإنسان قد قبل التكليف بكامل حريته واختياره ، ولكنه كان ظلوما لنفسه لأنه لم يول هذه القضية الفكرية العناية الكافية ، وكان جهولا لأنه لم يقبل بالتعلم وبالهداية ، وبالعون الإلهى الممدود إليه ... على مدار حياته .

ومن الغريب حقا ؛ أن يعرض الإنسان عن المعرفة الحقة المقدمة إليه من الله مباشرة ...!!! تحت دعوى أنه مر بتجربة مريرة مع الأديان ... بينما نجده يجرى لاهثا ، يجد فى البحث عن الله .... يجرى لاهثا وراء زيف من المعانى يعتقد أنها سوف تقوده إلى الله ... ولن تقوده إليه

[٣٤] تعتبر هذه الصياغة أحد التعريفات الخاصة بالإنسان . وهو تعريف مستمد مباشرة من واقع الفكر القرآنى . وسوف يتم إلقاء مزيد من الضوء على هذا التعريف ، فى كتابات تالية ، إن شاء الله ، وذلك عند مناقشة حقيقة وجود الإنسان ومصيره [أنظر : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب] .

... يجرى لاهثا وراء زيف من المعانى يعتقد بأنها سوف تقوده إلى حقيقة وجوده وحقيقة مصيره ... ولن تقوده إلى شئ ... ويكون هذا هو تصديقا لقوله تعالى (... **إنه كان ظلوما جهولا**) .

ويتبع الإنسان هواه فيما يقول ، ويتبع الإنسان هواه فيما يصف به الله ، ويعرض عن العلم المقدم له ... فيصفه الله في محكم تنزيله بقوله تعالى :

[واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١٧٦) ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨) ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠)]

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٥ – ١٨٠)

[فانسلخ منها : أى تبرأ منها / فاتبعه الشيطان : أى صيره لنفسه / فكان من الغاوين : أى الهالكين / أخلد إلى الأرض : أى سكن إلى الحياة الدنيا وشهواتها / ذرأنا : خلقنا / وذروا : اتركوا / يلحدون : يشركون ، والإلحاد هو العدول عن القصد ثم يستعمل فى كل معوج غير مستقيم . وقد ضرب الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ هذا المثل لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله]

.

هذا هو الله .... أدرك الإنسان ... معنى قوله تعالى ... (... **واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) ... هكذا (... **مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا** ...) أى بايات الله . فهل وعى الإنسان قوله تعالى ... (... **لعلهم يتفكرون**) ... أم لم يحن للإنسان بعد فى أن يتفكر فيما يحيط به ... حتى يدرك حقيقة وجوده ... وما سوف يؤول إليه مصيره ....!!!

فهذا هو الإنسان اللاهث وراء زيف من المعانى التى لا طائل من ورائها ... وهذا هو الإنسان التارك للمعرفة الكلية التى أتاه الله بها ... فى يسر وبغير عناء ....!!! وهذا هو الإنسان الذى تصرخ كل ذرة من كيانه ووجوده بنداء خفى على الله ... وهو لا يدرك ذلك ....!!! ثم ... أأدرك الإنسان ... معنى قوله تعالى ... عن نتيجة تغييب عقله وحواسه ... (**ولقد ذرأنا لجنهم**

كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) .

فأين الفلسفات ؟ ... وأين الفلاسفة من هذا العلم اللدنى ؟!!! ... وأين الإنسان ووجوده ؟ ... أم إنه ما زال يقف مغمض العينين ، أصم الأذنين ...!! أأدرك ذلك المغيب عقليا ... **أنه لن يستطيع أن يقود نفسه بنفسه إلى الله ... وإنه لن يستطيع أن يصل إلى الله إلا بالله ...!!!** إن الله يمد يد العون إلى الإنسان ليأخذ بيديه ... فهل سيتنبه الإنسان إلى أنه ينبغى له أن يقبل هذا العون الإلهى المقدم له ، وعليه أن يأخذ نفسه طواعية إلى الله ... أم سيظل يتخبط فى جهالاته ... وفى ظلماته ... معتمدا فى ذلك على عقله القاصر وحواسه المحدودة ... التى لن تقوده إلى شيء من بعد ... كما لم تقده إلى شئ من قبل ...!!!

ولكن على الإنسان أن يتنبه بأنه هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود إن لم يتدارك موقفه قبل أن يأتى إليه الموت الذى يترصده فى كل لحظة من لحظات حياته ، وفى كل حركة من حركات وجوده ...!!! ثم يجد نفسه لم يحقق الغايات من خلقه ...!!! ألم يحن بعد لإنسان مشارف القرن الواحد والعشرين أن يقف موقف صدق مع نفسه ... بدلا من أن يولول ... ويعلو صراخه إلى عنان السماء ليقول لقد أحاط بى الإغتراب ، والضياع من كل جانب ، ولم أعد أدرى من أكون ...!!!

ثم تبقى كلمة أخيرة للإنسان ، عن مذاهبه الفكرية وما جاء بها على مر حضاراته . ونقول له ، سواء أدرك هذا أم لم يدرك ، سواء إستوعب هذا أم لم يستوعب ، ربما لأن هناك شوطا بعيدا مازال أمامه كى يقطعه حتى يمكنه إدراك ذلك . وهذه الكلمة هى : أن جميع ما جاءت به الفلسفات والمذاهب الفكرية لم يتجاوز فى معناه عن (**عشر**) كلمات فقط من كلمات القران المجيد (أنظر كذلك الفصل الثانى ، البند الخامس) ، وتأتى هذه الكلمات العشر موزعة فى القرأن المجيد على النحو التالى : ستة كلمات منها يصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها خلق الإنسان ذاته ، كما يأتى فى قوله تعالى للملائكة :

[فإذا سويته ونفخت فيه من روحى [٣٥] ... (٧٢)]

(القران المجيد : ص {٣٨} : ٧٢)

[٣٥] أنظر كذلك الملحق الثالث من هذا الكتاب لمزيد من التفاصيل عن قصة خلق الإنسان ، والنظرية الدارونية .

وتشمل هذه الكلمات الفطرة الإلهية فى النفس البشرية . كما تشمل أيضا تعريف الجزء بالكل ، أو تعريف النفس المحدودة بالنفس اللامحدودة ، أو تعريف الـ " هو " الأدنى بالـ " هو " الأعلى ، بلا أدنى إتحاد وبلا أى حلول .

وليس معنى هذا أن الأمر قد إقتصر على وجود الفطرة الإلهية فى داخل النفس البشرية فحسب ، بل تعدى هذا إلى التوابع المترتبة على طبيعة هذا الخلق . فهذه الكلمات تعنى أيضا " الحرية الإنسانية " و " المسئولية الإنسانية " ، كما تعنى أيضا " الكمال الإنسانى " . ويكاد يغيب أفق المعرفة البشرية فى داخل حدود تلك الكلمات الخاصة بطبيعة خلق الإنسان . كما تعنى ، هذه الكلمات ، من جانب اخر المكانة المشرفة للإنسان التى إختص بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان كمخلوق متميز فى هذا الوجود . وليس هذا فحسب ، بل أن هذه الكلمات الست ، تمثل الصرخة التى يطلقها الإنسان من أعماقه فى كل لحظه ـ بدون أن يعى ـ بحثا عن الله ورغبة منه فى لقائه ، فى لقاء الجزء بالكل ، الصرخة التى ينادى بها الإنسان على " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ فى أثناء سعيه الدءوب فى البحث عنه والرغبة فى لقياه .

وقد تجد " **فلسفة وحدة الوجود** " أصلا أو جذورا لها فى هذه الكلمات الستة ، إذا ما أسىء فهمها أو أسىء تفسيرها . كما تعنى كلمة " **سويتة** " [٣٦] ، الواردة فى الاية السابقة ، بأن الله قد قضى بتطور الإنسان من حال إلى أحوال ، وقد رأينا أحوالا محدودة منها فى هذا الكون المادى ... وسنرى باقى الأحوال فيما بعد ...

ثم تأتى الكلمات الأربع الأخرى (أى باقى الكلمات العشرة) ، لتصف فطرية المعرفة فى النفس البشرية ، كما فى قوله تعالى :

[وعلم آدم الأسماء كلها .... (٣١)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٣١)

---

[٣٦] الآية الكريمة السابقة تمثل قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ للملائكة عن الإنسان :

[إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدون (٧٢)]
(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٧١ - ٧٢)

و كلمة " طين " تعنى العناصر الأرضية أى المركبات العضوية وغير العضوية ، وكلمة " سوى" الشىء يعنى : قومه وعدله وأنضجه (أى غيره من حال غير صالح إلى حال صالح) . وسوى الشىء بالشىء جعله بماثله ويعادله ، وهى تعنى الوصول به إلى الغاية أو الهدف المحدد أو المراد به من الخلق .

وهنا يخبرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن المعرفة البشرية هى معرفة فطرية قد ركبها الله فى العقل الإنسانى . وبهذا المعنى تكون المعرفة هى " **معرفة عقلية** " أو " **معرفة ميتافيزيقية** " (كما يحلو للفلاسفة تسميتها بهذا الإسم) ، وأن مصدرها الله ، سبحانه وتعالى ، وليست مصدرها الحواس (أنظر كذلك الملحق الثالث ، من هذا الكتاب ، لمزيد من التفاصيل) .

وبهذا يستطيع الإنسان العادى إدراك وجود الله بـ " الفطرة " ، كما يستطيع أدراك " فطرية المعرفة " لديه بالفطرة أيضا ، وليس هنا حاجة إلى فلسفة ما ، لإدراك هذه المعانى . فهذه هى الكلمات العشر ـ من القران المجيد ـ التى تحدد ماهية الإنسان وطبيعة خلقه المتعالية ، وشكل المعرفة لديه ، وهى التى يدور حولها الفكر البشرى منذ الاف السنين ولم يستطع إلا الإقتراب منها ... ومن بعيد فقط ...!!!

وللحق وقفت طويلا أمام الفكر الفلسفى للبشرية الضالة ، وتأملت هذا الفكر طويلا ، كما تأملت هذه الفلسفات طويلا فوجدتها لم تتجاوز المعانى الفطرية السابقة التى جاء بها القرآن المجيد فى تلك الكلمات العشر السابق عرضها . فالفيلسوف ـ شأنه فى هذا شأن أى إنسان آخر عادى ـ لديه الوعى الفطرى بوجود الله ، كما أن لديه أيضا الوعى الفطرى بالمعرفة العقلية بالموجودات المحيطة ... ولكن يبدو هذا الوعى ملتبسا عليه ، وبهذا يصبح متشككا فيما يحس وفيما يدرك . ويصبح هذا الوعى الفطرى مجرد أحاسيس يحاول جاهدا ودائما التثبت منها ، طالما لم يؤكدها ويفسرها له الخالق بطريقة مباشرة وغير مباشرة ....

ومن الغريب حقا ، أن الفيلسوف يريد أن يصل إلى حالة من الكشف الإلهى ، أى " كشف الحجب" وهى الحالة التى يصل إليها الصوفى كناتج ذكره لله ، ولم يدرك الفيلسوف أن الفارق بينه وبين الصوفى ، هو أن الصوفى قد أحسن التوجه إلى " الله " منذ البداية ، بينما الفيلسوف قد أخطأ فى التوجه إلى " الله " منذ البداية . فالفيلسوف لم يتوجه إلا إلى نفسه ، كما لم يتوجه إلا إلى عقله ، وبديهى لن يجد لديه إلا ما لديه ، أى الفطرة التى بدأ بها . وتصبح الفطرة لديه مجرد أحاسيس وإدراكات بحقائق تتطاير كومضات معرفية من حوله ينقصها يقين الكشف المباشر ، وبذلك نجد الفيلسوف يعبر عن هذه الأحاسيس بغموض واضح عن وجوده وأصل معرفته . كما يعبر عنها بتعابير مبهمة فى أغلب أحواله . كما وإن إحساس العامة بهذه التعابير يكاد يكون معدوما من جانب ، كما وإنها تمثل معرفة غالبا فاقده للحياة فى معناها من جانب آخر . وغالبا لا تقود مثل هذه التعابير الفرد العادى إلى شيء له قيمتة ، كما لا يمكن أن تقود ـ هذه المعرفة ـ الإنسانية إلى هداية ما . ودعنا نبين ذلك بالمثال التالى :

سوف نرى حالا ؛ بأن الفلسفة الوجودية (Existentialism) تقول بأن وجود الإنسان سابق على ماهيته [٣٧] ، بينما فلسفة الظاهرات (Phenomenology) تقول بأن وجود ماهية الإنسان سابقة على وجود الإنسان ذاته . أى إننا هنا إزاء فكرين متناقضين تماما ، فكلا الفلسفتين تقف من الأخرى موقف الفكر المناقض للفكر الأخر ....!!!

ولنا الان أن نسأل هؤلاء الفلاسفة (العقلاء منهم وغير العقلاء معا) : مـاذا يجنى الإنسان من وراء هذه المعرفة أو تلك (أى الماهية قبل الوجود أم الوجود قبل الماهية) ، وخصوصا إذا ما كانت الفلسفتان تتنكران لوجود الخالق ....!!! ثم إلى أين تقود هذه المعرفة الإنسان ، سواء أدرك أن ماهيتة قبل وجوده أم أن وجوده قبل ماهيتة ....!!!

ثم هب أن الفكر البشرى قد إستقر منه الرأى ، أو أن كل الناس قد أجمعوا على أن الفكر الوجودى هو الصحيح ، وإتفقوا على أن وجود الإنسان سابق على ماهيته ....!!! أو هب أن الفكر البشرى قد إستقر منه الرأى على العكس من ذلك ، وأجمع الناس على أن فلسفة الظاهرات هى الصحيحة ، أى أن ماهية الإنسان سابقه لوجودة ....!!! فماذا يجنى العقلاء ، أو حتى المجانين منهم ومنا من وراء هذه المعرفة أو ذاك ...؟؟!!! لا شىء ....!!!

أستقودنا هذه المعرفة أو تلك إلى معرفة وجود الإنسان ومصيره ....!!! أم سيكتفون بأن يقولوا ببلاهه بأن الإنسان عدم ، لا وجود له وينكرون هذا الحضور . وأن الإنسان لا مصير له ... وينكرون علينا وعينا الفطرى بإدراك الخلود ....!!! ثم هل ستقودنا هذه المعرفة أو تلك إلى المعرفة الحقة بـ" الله " ....!!! أم سيكتفون بأن يقولوا ببلاهه لا موجد لهذا الوجود ....!!! وليتلاشى العقل ، وتتلاشى المعرفة الفطرية ، ولتتلاشى أيضا الحواس ....!!!

ثم ماذا نفعل عندما يدركنا الموت حقيقة ... ونقف وجها لوجه معه ....!!! أسنقول مثل ما قال سارتر - هذا الأعمى المستعمى مؤسس هذا الخلط - أنقول لمن حولنا ... إحضروا لنا قسا حتى نعترف له بهزيمتنا أمام الموت أملا فى النجاة ... وأى نجاة هذه فى ذهابنا إلى الخروف ....!!! فأى هراء هذا الذى يقول به الفلاسفة ....!!! وأى خطل وأى خلط هذا الذى يتيه فيه الإنسان ....!!! ويعتقد أن هذا سوف يقوده إلى الحقيقة المطلقة ....!!! لقد كاد الإنسان هذا الكائن أن

---

[٣٧] يرى الفلاسفة أن لكل شىء : " **ماهية** " و " **وجود** " . فـ " **الوجود** " هو الحضور الفعلى للشىء فى هذا العالم . أما " **الماهية** " فهى الصفات الجوهرية الثابته التى يكون عليها الشىء . فالإنسان ماهيته كائن حى حساس مفكر ، أما وجوده ، فهو أنا وأنت ومحمد وعلى وجورج .... ويرى الفلاسفة السابقون على الوجوديين ، **أن الماهية سابقة على الوجود** . فمثلا **ماهية المدرسة سابق على وجودها** . لأن قبل أن توجد المدرسة فعلا ، كان هناك من قرر بناءها ، والهدف منها ، ثم قام أحد المهندسين بتصميمها ، وتحديد عدد حجراتها والأدوار التى تتكون منها ... إلى اخره . وتتفق الوجودية مع الفلسفات الأخرى فى القول بأن ماهية الأشياء تسبق وجودها ، إلا إنها تستثنى من ذلك الإنسان . فترى أن وجوده يسبق ماهيته ، وبهذا تلغى فكرة الخالق - أى صاحب القرار الموجد للإنسان - ضمنيا .

يكون مغيبا عقليا بإرادته ...!!! ولاهث وراء سراب من المعرفة لا قيمة لها ، كما ينبهنا الله بقوله تعالى :

[والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب (٣٩)]

(القران المجيد : النور {٢٤} : ٣٩)

[بقيعة : أى بالأرض الواسعة المبسوطة والممتدة والتى تحدث فيها ظاهرة السراب]

إن غياب الهدف فى الفلسفة هو أحد سماتها المميزة . فلا يكفى أن يقول الفلاسفة أن هدف الفلسفة هو المعرفة ، والمعرفة هى التى سوف تقود الإنسان إلى السعادة المطلقة . لأننا سوف نقول لهم ... حسنا ...!!! إخبرونا الان ما هى سعادة الإنسان ، بإعتبارها الهدف النهائى للفلسفة لديكم ...؟؟؟ وبديهى لن نجد لديهم إجابة ...!!! لأن السعادة ليس لها تعريف لدى الفلاسفة ، وليس هذا فحسب ، بل أن الإنسان نفسه ليس له تعريف فى الفلسفة ... بإستثناء أن يكون نجارا أو زبالا أو فيلسوفا كما تعرفه بهذا الفلسفة العبثية ... أقصد كما تعرفه بهذا الفلسفة الوجودية ...!!!

فأين الوعى الإنسانى ... وأين العقل الإنسانى المغيب ... لذا لزم التنبيه على أنه ينبغى على الفيلسوف قبل أن يبدأ فلسفته أن يحدد لنا أولا غاياته ، ويخبرنا بها ، حتى ندرك وندرى فى أى طريق هو يسير ..؟؟ وفى أى إتجاه يحاول أن يأخذنا معه ..؟؟ لذا وجب على الفيلسوف أن يحدد لنا الآتى :

أولا : ما هو الإنسان ؟ (ولن نقول له ؛ ما هى حقيقة وجوده ؟ بإعتبار أن هذا السؤال غاية نهائية مطلوب الإجابة عليه) . فعلى الفيلسوف إن أمكن - ولن يمكن - أن يعرف الإنسان بدقة كافية ، حتى يكون على دراية عما يتكلم عنه [٣٨] . فكما سنرى ؛ إن غاية معرفة الفلاسفة عن الإنسان هو معرفة أنه موجود ، أى أن الفلاسفة موجودون ، كما قال بهذا ديكارت . وحينما قال ديكارت مقولته الشهيرة : " **أنا أفكر إذن أنا موجود** [٣٩] " ، صفقت له البشرية وأثنت عليه ، وقالت بأنه **أبو الفلسفة الحديثة** ، لأنه قال لنا بأننا موجودون ...!!! ويالها من مقولة ، ويالها من معرفة كانت غائبة عنا حقا ...!!! فلم نكن نعلم بأننا موجودين حتى قال لنا بهذا ديكارت أبو الفلسفة الحديثة ...!!!

---

[٣٨] سبق تعريف الإنسان من واقع الفكر القرآنى فى صفحة : ٤٣٥ .

[٣٩] وهو البرهان المشهور بإسم " الكوجيتو " ، أى برهان وجود النفس . وبديهى إن معرفة كهذه لا تغنى ولا تسمن من جوع . فيمكن أن نقول حسنا ، لقد عرفنا إننا موجودون ، ولكن من هو الإنسان ؟ ويصبح التعريف مفتوح مرة أخرى على مصراعيه ، لأن هذه المقولة لم تؤدى إلى شئ ...

وليت الأمر قد إقتصر على ذلك ، بل يـأتى " **ألفريد جولز آير** " فى الفلسفة المعاصره (فى الفلسفة الوضعية المنطقية : Logical Positivism) ، كما سنرى ، ليناقض ديكارت ويقول " أنا أفكر إذن أنا موجود " **هو فرض خاطىء** ، فليس من الضرورى أنا أفكر ، أن يتبع هذا أن أكـون أنا موجودا ...!!! وهكذا يعلق آير وجود الإنسان مرة آخرى إلـى براهين أخـرى ..!! وهكـذا أعادنا **ألفريد جولز آير** إلى الضياع والوحشة مرة أخرى ... وأصبحنا لا نـدرى ... مـن وجهـة نظر الفلاسفة ...!!! إن كنا موجودين حقا ؟! أم نحن غير موجودين ؟!

ثانيا : هل الفلسفة ـ أو حتى المعرفة ـ التى ينادى بها الفيلسوف سـوف تقـود الإنسان فعـلا إلـى معرفـة حقيقتـه ، بمعنـى معرفـة حقيقيـة وجـود الإنسـان وحقيقـة مصـير الإنســان ... ؟؟ أم إن الفيلسوف نفسه ضال ومضلل .

ثالثا : إذا ما تشدق الفيلسوف وقال : إن الغرض من فلسفته هذه ، هى أن يقود الإنسـان أو يقـود البشرية إلى السعادة الحقة ...!!! فسنقول له ... أكيد إنك تمـزح أو إنـك تكـذب أو كلاهمـا معـا ...!!! فأنت لا تعرف للسعادة معنى ...!! كما إنك لا تعرف للسعادة [٤٠] طريق ...!!

ولم يحدث ، حتى الآن ، أن قام أحد من الفلاسفة بـ " تعريـف السـعادة " أو حتـى تحديـد منظـور نسبى لها على نحو مقنع ومتفق عليه من نسبة معقوله من البشر ...!!! وبذلك لا يعى الفلاسـفة ماهو الهدف النهائى والمنشود من سعيهم ؟ كما لا يعوا فى أى طريق يسيرون ؟ وإن سـاروا ؟ لا يمكنهم التنبؤ إلى أين ينتهى بهم المقام فى هذا الطريق ..!!؟؟

ولنا أن نسأل الفيلسوف سؤالا أخيرا حول هذا المعنى فنقول له : هل يكفى للإنسـان ــ والمـوت يتراقص من حوله ويمـلأ جوانبـه ــ أن يعيـش فـى " **جمهوريـة أفلاطـون** " ذات نظـام الحكـم الديكتاتورى ــ كما سنرى حالا فى باقى الفصل ـ حتى يدرك الإنسان حقيقتـة ؛ أى حقيقـة وجـوده وحقيقة مصيره ، وحتى تتحقق له السعادة المنشودة ..؟؟!!

---

[٤٠] فى الواقع ، تخضع السعادة لحالة فيزيائية هامه تعرف بإسم حالة : " **الإتزان الغير مستقر : The state of Unstable Equilibrium** " . وخير مثال لتشبيه هذه الحالة هو : **وجود قمة جبلية بين واديين** ، فإذا ما وضـع حجر ما على القمة الجبلية فسوف يستقر عليها طالما لم يحركه أحد من مكانه ، وتعرف حالة الحجر فى هذا الوضـع بإسم حالة الإتزان الغير مستقر ، لأن مع وجود أدنى تغير فى مكان الحجر ، فسوف يتدحـرج الحجـر مـن قمـة الجبـل ليستقر فى قاع أحد الواديين ، حيث يعرف فى هذه الحالة ، أى حالـة وجـود الحجـر فـى قـاع الـوادى بإسـم : " **حالـة الإتزان المستقر : The state of Stable Equilibrium** " . لأنه سوف يكون أكثر إستقرارا فى هـذا الوضـع ، لأن عند تحريكة من مكانه هذا ثم تركه ، نراه يعـود إلـى نفس المكـان ، أى إلـى قـاع الـوادى مـرة أخـرى . والقمـة الجبلية فى هذا التشبيه هى سعادة الإنسان ، والواديين هما المعاناة التى يعيشها الإنسان . وعلى هذا فـ " **السعادة** " لـدى الإنسان هى حالة من حالات **الإتزان الغير مستقر** ، بينمـا " **المعانـاة** " لدى الإنسـان هـى حالـة مـن حـالات **الإتـزان المستقر** . والإنسان فى رحلة الحياة يتحرك بين قمم السعادة ووديان المعاناة ، ويكون أكثر إستقرارا علـى المعانـاة ، فالأصل هو المعاناة . وهذا الفكر مستمد مباشرة من " **القران المجيد** " . أما تعريـف السعادة وكذا تحويـل حالتهـا مـن حالة الإتزان الغير مستقر إلى حالة من حالات الإتزان المستقر ، فسوف نرجئه إلـى كتابـات تالية إن شـاء اللـه ، لأن هذا ليس من أهداف الكتاب الحالى .

أم هل يكفى للإنسان ــ والفناء يغلفه ظاهرا وباطنا ــ أن يعيش فى **المجتمع الشيوعى** ــ ليتم توزيع الخبز عليه بالتساوى مع باقى أفراد القطيع الحيوانى/البشرى ـ حتى يدرك حقيقته ، وحقيقة وجوده وحقيقة مصيره ، وحتى تتحقق له السعادة المنشودة ..؟؟!!

ثم تفرض علينا هذه الفقرة أيضا أن نعرض الكلمات الخمسة التالية ، التى يصف الله ـ عز وجل ـ بها بعضا من كمالاته الإلهية أو أسمائه الحسنى بقوله تعالى :

[هو الأول والآخر والظاهر والباطن ...]

(القران المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

أى هو الأول بلا إبتداء ... والآخر بلا إنتهاء ... والظاهر بلا فوقية ... والباطن بلا تحتية ... ومابينهما ... لنرى أن الإنسان لا يغيب برمته فى هذه الكلمات الخمس فحسب ... ولا تغيب الكلمات العشر السابقه فى هذه الكلمات الخمس فحسب ... بل يغيب الوجود بأسره فيها .. ولا يبقى إلا الله ... وقد تتعدد الأديان ... كما قد تتعدد المذاهب ، وهى تجد لها أصلا أو جذورا فى هذه الكلمات الخمسة ، إذا ما أسيء فهمها وأسيء تفسيرها أو تأويلها ...!!

حيث يمكن أن يرى الإنسان ـ كما يرى بعض الصوفية ــ أن المقصود النهائى واحد ، أو أن الغاية النهائية واحدة ... طالما أن الحقيقة المطلقة واحدة ... وأن الحقيقة المنشودة واحدة ، حتى وإن إختلفت النظرة إلى التفاصيل أو المضامين الجزئية ...!!! وما تعدد الأديان إلا شاهد صدق على هذه الحقيقة عندما يساء فهم هذه الكلمات الخمسة ، وعندما يساء تفسير هذه الكلمات الخمسة ...!!!

لهذا لزم التنويه ... بأن مثل هذه النظرات الصوفية تستلزم حدا أدنى من إدراك معنى الكمال الإلهى ، وهو مالا يتوفر أو ما لا توفره الأديان الوثنية لمعبودها ...!!! كما يجب ألا يغيب عن الذهن ، أن العبادة منهاج إلهى وليست منهاجا إنسانيا . فالإنسان ليس حرا فى إختيار ما يعبد ، كما فى قوله تعالى :

[وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ... (٢٣)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

وبهذا النص الإلهى يكون الله ــ سبحانه وتعالى ـ قد قرر بألا يتوجه الإنسان بالعبادة إلى أحد آخر سواه ، أو إلى ما هو دونه . وبهذا النص الإلهى الصريح يصبح الإنسان مختبرا ـ فقط ــ

فى معرفة صحة التوجه إلى الله ليس إلا ، وبلا تأويلات وبلا فلسفات . لأن الإنسان ـ فى الحقيقة ـ يعبد الله ، ظاهرا وباطنا ، بدراية منه أو بغير دراية ، أدرك هذا أم لم يدرك ...!! كما وأن الأنسان ليس حرا فى إختيار أسلوب وطريقة عبادته لله ، فجميع هذه الأمور منهاج إلهى ، وليست منهاجا إنسانيا ، يحدد القصد منها والغاية الكلية لها الله ، سبحانه وتعالى ... فلا فلسفة فيها إذن ، ولا تأويل ولا إجتهاد . لأننا لسنا مؤهلين لمعرفة مثل هذه الأمور والمقاصد والغايات الإلهية فطريا ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ لذا لزم قيام الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالإخبار عنها من خلال وحيه إلى الأنبياء والرسل صراحة ، إستكمالا للحكمة الإلهية المتعالية والغاية الكلية من خلق الإنسان ، وكذا إستكمالا لفكر إختبار الإنسان وإبتلائه .

ونعود لتلك الكلمات الخمس ... هو : الأول والآخر والظاهر والباطن ... لنرى الصوفى [41] يعبر بها هذا الوجود كله ، ويتخطى بها الجزئيات ... ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة المطلقة ... أمام الأول وأمام الآخر ... أمام الظاهر وأمام الباطن ... أمام " الله " ... ليخر ساجدا وباكيا ... أمام هذا الحق المطلق ....!!! ثم يقف ... ليترنم ... وهو يتمايل فى نشوة تسكره السعادة ... وهو يشدو بالحق .... لتتناهى لديه المعرفة ... وتنتهى عنده الحجب ... ويتصل لديه العلم ... وتتكشف له الرؤية ... ويرى النور يسطع فى كل جوانبه ... ولتتلاشى عنده المعرفة الحسية ... لأنه لم يعد فى حاجة إلى برهان ... إلى أى برهان ... بعد أن أدرك الوجود ... وغاب فى هذا الأفق المتلألىء اللانهائى ... وليس هذا شعرا ... وليس نثرا ـ كما يمكن أن يتراءى للبعض ـ لكنها الحقيقة المطلقة ... التى يسعى إليها الإنسان لبلوغها ... بدون أن يدرى ... وبدون أن يعى ...!!!

٣ . ١ . الفلسفة اليونانية القديمة (*Ancient Greek Philosophy*)

يلزم التنويه هنا إلى أنه قبل ظهور الفلسفة اليونانية القديمة ، كان هناك **العصر الشرقى القديم** ، والذى يبدأ منذ بضعة آلاف من السنين قبل ميلاد السيد المسيح ، ويستمر هذا العصر حتى حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد . وتمثل تلك الحقبة الأولى السحيقة فجر الضمير الإنسانى ، وبداية ظهور الفكر الأخلاقى والحكمة الدينية فى الحضارات القديمة التى كانت فى مصر وبابل

[41] لابد من التأكيد هنا ، بأن لفظ صوفى لا يعنى الإستحالة ، أو يعنى الشخص الذى ينكر ذاته ، ويحيا على شظف العيش . ولكن الصوفى هو ـ ببساطة شديدة ـ أى فرد عادى (ذكر أم انثى) ذى فكر معتدل ، أخلص النية فى البحث عن الله ـ عز وجل ـ كما أحسن التوجه إليه . ولن يجد هذا الفرد أى عناء فى أن يقوده فكره البسيط هذا إلى الوصول إلى هذه الدرجة من الصفاء الروحى التى يدرك بها وجود الله ، بل ويمكنه أن يصبح فى هذه الحضرة الإلهية بصفة متصلة .

واشور . كما كانت فى فارس والهند والصين . وكان من أبرز حكماء ذلك العصر الشرقى القديم " **بوذا** " [٤٢] و " **كونفوشيوس** " [٤٣] و " **زرادشت** " [٤٤] إلى جانب بعض ملوك حضارة مصر القديمة .

ثم يأتى بعد هذا العصر الشرقى القديم الفلسفة اليونانية القديمة ، وهى تمتد حوالى عشرة قرون . تبدأ من حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (حوالى سنة ٦٠٠ ق . م) ، وتنتهى عند أوائل القرن الخامس الميلادى (حوالى سنة ٤٠٠ بعد الميلاد) . وقد بلغت الفلسفة اليونانية قمة نضجها فى ذلك العصر على أيدى سقراط وأفلاطون وأرسطو . ثم بدأت هذه الفلسفة بالتدهور تدريجيا مع نهاية هذا العصر ، حتى إنطفأت شعلة الحضارة اليونانية ، مع بداية ظهور فلسفة العصور الوسطى (**Midieval Philosophy**) . وتتسم الفلسفة اليونانية القديمة ، بثلاث مراحل أساسية هى : **مرحلة ما قبل سقراط ، ومرحلة سقراط ، ومرحلة ما بعد سقراط** . وأهم إتجاهاتها الفكرية سوف نعرضها فيما يلى .

٣. ١. ١. المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل سقراط *(Pre-Socratic Era)*

وتشمل أربع فلسفات هى : الفلسفة الأيونية ، والفلسفة الفيثاغورسية ، والفلسفة الهيرقليطية ، ثم الفلسفة الإيلية ، وأهم إتجاهاتها الفكرية هى كالنحو التالى :

[١] الفلسفة الأيونية (**Ionian Philosophy**) :

---

٤٢ **جوتاما بوذا** (٥٦٣ – ٤٨٣ ق. م.) مؤسس الديانة البوذية ، وقد سبق الكلام عنها فى الباب الثانى .

٤٣ **كونفوشيوس** (٥٥١ – ٤٧٩ ق. م.) فيلسوف صينى أقام مذهب يضم كل الأفكار الصينية عن السلوك الإجتماعى والأخلاقى ، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقا لمثل أخلاقية عليا . وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف سنة . وكثيرا ما يوصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات الكبرى ، ولكن هذا التعبير غير دقيق فمذهبه غير دينى . فهو لا يتحدث عن الله أو عن السماوات ، وإنما مذهبه : هو طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الإجتماعى والسياسى . ومذهبه يقوم على الحب : حب الناس وحسنُ معاملتهم والرقة فى الحديث والأدب فى الخطاب ، ونظافة اليد واللسان ، وكذا إحترام الأكبر سنا والأكبر مقاما ، وتقديس الأسرة . ومن الحكم المأثورة عن كونفوشيوس " أحب لغيرك ما تحبه لنفسك " .

٤٤ **زرادشت** إيرانى المولد (٦٢٨ – ٥٥١ ق. م.) مؤسس الديانة الزرادشتية ، التى عاشت (٢٥) قرنا ، ولا يزال لها أتباع حتى اليوم غير أنهم قليلون . والديانة الزرادشتية تؤمن بضرورة الخير وإتباعه . ويرفض زرادشت الزهد والإمتناع عن الزواج . والزرادشتيون يؤمنون ببعض الطقوس مثل تقديس النار والصلاة حولها وأمامها ، والإحتفاظ بها مشتعلة دائما فى المعابد . ومن أهم تقاليدهم التخلص من الميت : لا بدفنه أو إحراقه ، ولكن بوضعه فى مكان مرتفع لتأكله الطيور الجارحة ، وهذه الطيور تجرد الجثث من اللحم فى ساعات قليلة .

يعتبر طاليس : **Thales** (٦٢٤ – ٥٤٦ ق . م) هو مؤسس الفلسفة الأيونية (نسبة إلى أيونيا [٤٥]) . **ويسود الإعتقاد بأن طاليس هو أول فلاسفة اليونان** ، كما تعتبر فلسفته علمية ، لأنه كان يبحث عن قانون عام يمكن أن تنسب إليه مفردات هذا الوجود . وقد قال بأن الماء هو أصل الأشياء ، وهو العنصر الأساسى للحياة .

ثم يأتى الفيلسوف الثانى فى هذه المدرسة ، وهو انكسيمندر : **Anaximander** (٦١١ ـــ ٥٤٧ ق . م) ، وقال بأن هناك عنصر آخر أكثر أولوية من الماء ، وأطلق عليه إسم " اللامتناهى واللامحدود : Aperion " ، وهو الذى تتكون منه السماوات والعالم . وهذا العنصر اللامتناهى ، مكون من الأضداد التى كانت متحدة ثم إنفصلت . ويعتبر تفكيره هذا بداية للتفكير الميتافيزيقى . وقد قال انكسيمندر كذلك بأن الأرض لا تقوم على قاعدة - كما كان يعتقد طاليس - بل هى معلقة وسط السماء وثابته فى مكانها ، وعلى مسافة متساوية من الأجرام السماوية .

ثم نأتى بعد ذلك إلى انكيسيمينس : **Anaximenes** (٥٨٥ – ٥٢٨ ق . م) ، الفيلسوف الثالث فى هذه المدرسة ، الذى جعل من الهواء المادة الأولى كمصدر للأشياء ، بدلا من الماء الذى قال به طاليس . وقال بأن الهواء جاءت منه الإلهيات .

[٢] الفلسفة الفيثاغورسية (Pythagorian Philosophy) :

ومؤسسها فيثاغورس : **Pythagoras** (٥٧٢ – ٤٩٧ ق . م) ، ويعتقد الباحثون بأنه أول من جاء بلفظ " **فلسفة** " . وأسس فيثاغورس مدرسته فى كروتون فى جنوب إيطاليا ، وكانت ذات أهداف دينية وعلمية . وقال فيثاغورس بأن الروح الإلهية هى القوة الفكرية لمعرفة الحقيقة الثابتة . فالروح هى الآلهة والجسم سجين لها . وقد وجد الفيثاغورسيون أن تفسير أصل الموجودات على أساس ردها إلى مادة واحدة غير مقنع ، لأن هذا يوحى بأنه لن يمكن التمييز بين هذه المفردات إذا كانت كلها من مادة واحدة . وقد وحد الفيثاغورسيين بين عالم الموجودات وعالم الأعداد . فالأعداد بالنسبة لهم تصور وليست مقدار . وقد رمزوا للعقل بالواحد ، والظن بإثنين ، لأنه تردد بين طرفين ، ورمزوا للوقت بسبعة لأنه يقابل أيام الأسبوع ... وهكذا .

وقد تطورت نظرية العدد لدى الفيثاغورسيون لتصبح أساس الموجودات ، على أساس أن النقاط صدرت من الأعداد ، ومن النقاط تكونت الخطوط ، ومن الخطوط تكونت المسطحات ، ومن المسطحات تكونت المجسمات ، ومن المجسمات تكونت الأجسام المحسوسة وعناصرها الأربعة هى : النار ، والهواء ، والأرض ، والماء .

---

[٤٥] أيونيا (**Ionia**) : هى المنطقة الحضارية القديمة التى كانت تقع غرب آسيا الصغرى ، والتى كانت تمتد على طول شاطىء بحر إيجة (the Aegean Coast) . وبحر إيجه هو الذراع الشمالى من البحر الأبيض المتوسط الذى يقع بين اليونان وتركيا . وكانت هذه الحضارة لها لغة خاصة بها هى اللغة الأيونية ، التى تنسب إليها الفلسفة .

وقالوا الفيثاغورسيون أيضا بأن **نظرية الأعداد تقود إلى أن الشمس والقمر والكواكب الأخرى هى آلهة** (لاحظ هنا أسطورية الفكر العلمى) ، وما تبعثة من حرارة هو علة الحياة . والبشر يقتربون من الالهة لأنهم يشاركون فى الحرارة ، وبذلك ترعاهم الالهة ، وهكذا يسير العالم لقدره .

[٣] الفلسفة الهيرقليطية (Heraclitean Philosophy) :

ومؤسسها هيرقليطس : **Heraclitus** ، وهو فيلسوف أيونى (٥٣٦ – ٤٧٠ ق . م) ، وأهم ما يميز فلسفته هو قبول " **التغيير كقانون لجميع الموجودات** " ، ولولا التغير لم يكن هناك شيئا . والتغير يتم وفق قانون عام هو " **اللوجوس أو اللوغوس : Logos** [٤٦] " **ويعنى الجوهر الإلهى والعقل الإلهى** . ويتم التغيير حين يصير الشىء إلى ضده ، ولذلك تعتبر الأضداد متحدة مع بعضها . ونظريته بالتغيير تعنى صراعا بين الأضداد ؛ مثل الخير والشر ، والصحة والمرض ، والعمل والراحة ، والبارد والحار ، والجاف والرطب ... ولا يوجد واحد بدون ضده . فلولا الشر ما كان الخير ، ولولا العمل ما نعمنا بالراحة ... وهكذا .

وقد أرجع هيرقليطس جميع الأشياء إلى النار ، ويرى أنها المبدأ الأول التى يصدر عنها كل الأشياء . وليس النار هنا هى النار المحسوسة ، بل هى **النار الإلهية الأزلية** . فهى حياة العالم وقانونه هو " اللوغوس " . وعندما يعترى النار الإلهية الوهن تصير النار المحسوسة ، ويتكاثف بعض هذه النار فتصير بحرا ، ويتكاثف بعض البحر فيصير أرضا ، وترتفع الأبخرة من الأرض والبحر فتصير سحبا ، فتلتهب السحب وينقدح منها البرق وتعود نارا ، أو تنطفىء السحب فتكون العاصفة وتعود النار إلى البحر ، وتتكرر الدورة (لاحظ هنا أيضا أسطورية الفكر العلمى) .

والنفس البشرية متصلة بهذه النار الإلهية ، وهى عرضة للتحول نحو الجفاف والنار ، أو نحو الرطوبة والماء . وفى الحالة الأولى يزداد نصيب النفس من العقل والصلاح ، وفى الحالة الثانية يدرك النفس الفساد .

[٤] الفلسفة الإيلية (Eleatic Philosophy) :

وأهم فلاسفتها ، بارمنيدس : **Parmenides** (٥١٥ – ٤٤٠ ق . م) ، وقد تتلمذ على أيدى إكسينوفون : **Xenophone** (٥٧٠ – ٤٨٠ ق . م) الذى قال بوحدة الوجود ، ويعنى أن الوجود واحد ، هو أرفع الموجودات السماوية والأرضية ، وأنه ليس مركبا على هيئتنا أو مفكرا

---

[٤٦] تعنى كلمة " **لوجوس** " – أيضا – فى الفكر المسيحى : " السيد المسيح عيسى بن مريم " ؛ او " كلمة الله " ؛ أو " الإله المتجسد فى الصورة البشرية " .

مثل تفكيرنا ، وهو لا متحرك بل ثابت يحرك الكل بعقله . وبذلك إختلف عن سابقيه من الفلاسفه الذين إفترضوا موجودا واحدا كالماء أو الهواء أو النار ثم إستخرجوا منه كثرة الأشياء بالحركة والتغير ، فوصفت فلسفتهم بتفكيرها المادى ، بينما وصفت فلسفة إكسينوفون بتفكيرها الميتافيزيقى .

وقد قال بارمنيدس بنوعى المعرفة العقلية والحسية . والمعرفة العقلية لديه تتميز بأنها ثابته وكلية ، بينما المعرفة الحسية تتميز بإتجاهها العلمى . وتعتبر أفكار بارمنيدس نقطة البداية التى نشأ منها تفكير أفلاطون المثالى ، وتفكير أرسطو المنطقى ، وتطور فيما بعد إلى الفكر الأوربى بنوعيه ؛ التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى [٤٧] .

٣. ١. ٢. المرحلة الثانية : مرحلة سقراط *(Socratic Era)*

وتشمل هذه المرحلة أربع فلسفات هى : الفلسفة السوفسطانية ، والفلسفة السقراطية ، والفلسفة الأفلاطونية ، ثم أخيرا الفلسفة الأرسطوطاليسية ، وأهم إتجاهتها الفكرية كالنحو التالى :

[١] الفلسفة السوفسطائية (Sophism) :

وأهم فلاسفتها بروتاغورس : **Protagoras** (٤٨٠ - ٤١٠ ق . م) ، وجورجياس : **Gorgias** (٤٨٠ - ٣٧٥) .

وترجع الفلسفة السوفسطانية إلى كلمة سوفسطائى (**Sophist**) ، ومعناها " المعلم " أو " معلم الخطابة " بنوع خاص . حيث أخذ السوفسطائيين على عاتقهم تعليم الشباب إسلوب الخطابة ، وفن النجاح فى الحياة العملية وكيفية الوصول إلى المناصب وكسب الأصدقاء . وتتميز هذه الفلسفة السوفسطانية **بالشك المذهبى أو المطلق** [٤٨] ، الذى لا يعترف بوجود خطأ أو صواب ، أو حق أو باطل . ولهذا أخذ السوفسطانيين التلاعب بالألفاظ اللغوية والمغالطات المنطقية ، التى

---

[٤٧] كما سبق وأن ذكرنا ، فإن **التفكير الميتافيزيقى : هو** التفكير الذى يبدأ بالذات والتجربة العقلية من حدس (**Intuition**) وتأمل وإعتماد على البديهيات . أما **التفكير العلمى : فهو** التفكير الذى يبدأ بالعالم الخارجى ، والتجربة الموضوعية من حسابات ومختبرات وإثباتات علمية .

[٤٨] هناك **ثلاثة أنواع من الشك** فى الفكر الفلسفى هى :

(١) **الشك المنهجى أو العلمى :** وهو شك مؤقت ، يبدأ به الفيلسوف أو العالم ثم يتحول منه إلى اليقين بعد ذلك ، بعد أن يحلل القضية ويناقشها ، وينتهى من هذا التحليل والمناقشة إلى صدقها أو خطأها . وقد إتبع كل من سقراط وديكارت هذا الشك المنهجى للوصول منه إلى الحقيقة .

(٢) **الشك الإنكارى :** وفيه ينصب الشك ـ فقط ـ على المعتقدات التى يسلم بها الأفراد ، ويتضمن الإلحاد فى الدين .

(٣) **الشك المذهبى أو المطلق :** وفيه يعتنق الإنسان منهاج الشك فى كل شىء ، بمعنى أنه لا يوجد صواب أو خطأ فى ذاته ، فما يبدو لى صوابا قد يكون خطأ بالنسبة لشخص آخر أو العكس ، وكلانا على صواب . والشك المذهبى هو الشك الذى قال به السوفسطائيين .

تجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا . وأصبحت التعاليم السوفسطانية موضع نقد من الفلاسفة أمثال سقراط وإكسينوفون (أو زينوفون) وأفلاطون ، لغياب المعايير لديهم ، كما وأن المعرفة أصبحت لديهم غاية منفعية فحسب .

وقد أتهم بروتاغورس - أهم فلاسفتها - بالإلحاد لأنه قال : **لا أستطيع أن أعلم إن كانت الألهه موجوده أم غير موجودة** ، لأن هناك أمورا كثيرة تحول بينى وبين هذه المعرفة وهذا العلم ، منها غموض الموضوع ، وقصر العمر . وقد أدين بروتاغورس لآرائه هذه وحكم عليه بالإعدام ، وفر هاربا غير أنه توفى غرقا أثناء فراره . وفى أسطورة منسوبه إليه يقول :

" أن الإلهين ابميثيوس (Epimetheus) وبروميثيوس (Prometheus) كانا قد كلفا بتوزيع المواهب والقدرات على المخلوقات . وفى عملية التوزيع وهب أبميثيوس الحيوانات مالها من قدرات لكى تساعدها على الحياة . وعندما جاء دور الإنسان لم يتبق له من المواهب شئ . فسرق له بروميثيوس النار وفنونها من الالهة ووهبها له عطفا عليه . ورغم إن قوة النار قد ساعدته على الحياة والسيطرة على طبيعتها إلا إنها لم تخرجه من حياة الوحشية لإفتقاره إلى معرفة الفضيلة والكرامة والعداله " .

وقد وضع الفيلسوف الثانى - فى هذه الفلسفة - " جورجياس " كتابا عن اللاوجود ، تميزت فيه فلسفته بثلاث قضايا أساسية هى :

أولا : بأنه لا يوجد شئ .

ثانيا : بأنه إذا كان هناك شئ فالإنسان قاصر عن إدراكه .

ثالثا : إنه بإفتراض وجود شئ ، وأن الإنسان قد أدركه ، فإنه لن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس .

[٢] الفلسفة السقراطية (Socratic Philosophy) :

ومؤسسها سقراط : **Socrates** (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) . وهو يعتبر أهم فلاسفة اليونان ، وأكثرهم إبداعا وتأثيرا ، ولا يعتقد أن هناك من له أثر على الفكر الفلسفى مثل سقراط . وتتميز فلسفته بأنها ميتافيزيقية (أى الفلسفة التى تبدأ بالذات والتجربة العقلية والإعتماد على البديهيات) . بمعنى أنه فى بحثه عن الحقيقة رفض التفسيرات المادية السببية واتجه نحو التفسيرات العقلية . ففى فلسفته نجد سيطرة العقل على الحس ، والنفس على الجسد . ونقد السوفسطائيين واتجهاتهم العملية ، وكون لنفسه منهاجا فكريا لتفسير الحقيقة ، وهى تدور حول **حقيقة الإنسان والوصول**

إلى معرفته . وقد تركزت فلسفة سقراط حول ماهية الإنسان وفضائله ، وتهذيب الذات وتحريرها من عبودية الشهوات ، وبذلك يمكن أن تتحقق سعادة الإنسان . ولهذا يعتبر سقراط ــ في نظر كثير من مؤرخي الفلسفة ــ مؤسس الفلسفة الخلقية ، أو علم الأخلاق . وتعتبر السعادة في نظر سقراط الغاية العليا أو الهدف النهائي للأخلاق . والسعادة ــ من وجهة نظره ــ تقوم على سيطرة العقل على دوافع الشهوة ، ونوازع الهوى ، ورد الإنسان إلى حياة الإعتدال .
ويقول شيشرون ، لقد أنزل سقراط الفلسفة من السماء إلى الأرض . أي **أنه حول التفكير من العالم وأصله إلى الإنسان وذاته** . ووجه الإنسان إلى معرفة الحكمة والفضيلة والخلق إستنادا إلى قوة العقل .

وكان سقراط يرى الإنسان عبارة عن روح وعقل يسيطر على الحس والتجربة . فالقوانين العادلة تصدر عن العقل ، وهي قوانين غير مكتوبة . وكان يعتقد أن الأطفال تولد بمعرفة متواحدة في أرواحهم (أي معرفة فطرية) غير أنهم لا يستطيعون إظهارها دون مساعدة . ولهذا إتبع طريقة الحوار الجدلي (وتعرف أيضا بالطريقة السقراطية المنهجية ، أو نظرية الأنامنيسس : The Theory of Anamnesis) ، لمساعدة محدثيه وتلاميذه لإكتشاف المعرفة العقلية في نفوسهم .

وقد إتبع سقراط الشك المنهجي [٤٩] للوصول إلى الحقائق ، وقد تضمن منهاجه **التهكم والتوليد** [٥٠] . وقد كرس سقراط فلسفته للبحث عن الخير والفضيلة ، وعرف الفضيلة بأنها معرفة (Virtue is Knowledge) . وكان يؤكد على أن السعادة لا تكمن في إشباع الرغبات ، وإنما في القرب من الله . وقد أتهم [٥١] سقراط بأنه يفسد الشباب ، ويعتقد بآلهه بدل الالهه المعروفة ، وأعدم بإجباره على تناول السم . وقال وهو في طريقه إلى الموت :

" أنا إلى الموت ، وأنتم لتستأنفوا الحياة الأفضل ، ولكن من منا لديه السعادة المقبلة ، فهذا أمر يبقى غير معروف لأي أحد غير الله " .

[٤٩] أنظر التذييل السابق .

[٥٠] **التهكم** : هو جانب سلبي في الحوار ، بأن يتظاهر سقراط ـ أو المتحدث ـ بالجهل أمام محدثيه ويلقي عليهم أسئلة وكأنه يستفيد منهم ، ثم يستمر في الأسئلة ويجعلهم يستنبطون من أقوالهم نتائج ـ مترتبة ــ لا يوافقون عليها ، وعندئذ يعترفون بالجهل . أما
التوليد : فهو جانب إيجابي في الحوار ، فهو محاولة إستخراج الحقائق والمعاني من نفس محدثة بالأسئلة والإعتراضات . وعندئذ يعتقد محدثة بأنه قد إكتشف الحقيقة بنفسه . ولذلك كان سقراط يقول أنه يحترف صناعة والدته (والتي كانت تعمل مولدة) إلا أنه كان يعتبر نفسه ، يولد الحقائق من محدثيه .

[٥١] إتهمه ثلاثة أشخاص هم : أنيتوس (Anytos) وهو أحد السياسيين ، وليقون (Lycon) أحد الخطباء ، ومليتوس (Meletos) أحد الشعراء .

[٣] الفلسفة الأفلاطونية (Platonic Philosophy) :

ومؤسسها أفلاطون : Plato (٤٢٧ ؟ - ٣٤٧ ق . م) أحد تلاميذ سقراط . وتعتبر الفلسفة الأفلاطونية تطلع إلى العالم الأفضل بنظرة روحية ، ولديها ثقة بمقدرة العقل الإنسانى للوصول إلى الحقيقة المطلقة (The Absolute Truth) . وقد ذهب أفلاطون إلى أن العالم الحقيقى ليس هو العالم المحسوسات أو عالم الإدراك الحسى ، إنما الحقيقة الواقعة فى ذاتها هى نظام فكرى فطرى كائن فى الإنسان . وقد تميزت المدرسة (أو الأكاديمية) الأفلاطونية بالتفكير الميتافيزيقى (أى العقلى) ، مع التركيز على الرياضيات والسياسة .

وقد رفض أفلاطون النظريات التى تقول بأن المعرفة هى معرفة الحواس . لأن معرفة الحواس هى معرفة ظنية وليست كاملة ، كما وأنها ليست معرفة حقيقية مطلقة . إنما المعرفة الحقيقية المطلقة يمكن أن نصل إليها من خلال التفكير الميتافيزيقى . أى أن العالم الحقيقى هو عالم الأفكار . وهذا هو الأساس الذى يقوم عليه " **المذهب العقلى الميتافيزيقى** " .

والنفس فى حقيقتها فكر ، والوجود الأرضى يفقدها صفاءها بسبب إتصالها بالجسم . وعلى هذا ؛ فإن واجب النفس يقتضيها أن تعمل جاهدة على التحرر من الحسيات حتى يعود إليها صفاؤها . وكلما إقتربت النفس من تحقيق هذا الهدف كلما كانت معرفتها للمبادىء الأولى أكثر وضوحا . وهذا التصور شبيه بتصور هيجل عن الحقيقة ذاتها . فالحقيقة عند هيجل فكرة تتطور بضرورة داخلية حتى تدرك بوعى ذاتى .

وقد تأثر أفلاطون بإعدام سقراط ، وإعتقد أن الديموقراطية هى سبب هذا . ولذلك شك فى صحة أوضاع مجتمعه ، ورسم لنا صورة للمجتمع المثالى كما يراه فى جمهوريته (**جمهورية أفلاطون**) وهى تختلف عن المجتمع القديم ، فى كثير من الجوانب .

ففى هذه **الجمهورية** ، تناول أفلاطون المجتمع كوحدة واحدة مبينا ما فيه من عيوب ، ثم وضع خطة شاملة لإصلاح الجوانب التعليمية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية ، ونقد الفن ودافع عن مكانة المرأة . كما طالب بأن يكون نظام الحكم فى جمهوريته ديكتاتوريا (أى السلطة فى يد الحاكم) . وكان يرى أن العدل هو تنسيق بين أفراد المجتمع ، أو هو إتفاق متبادل بين الفرد والمجتمع . وقد قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث طبقات هى : الحكام ، والجنود ، والطبقة الإنتاجية . وذلك على أساس النجاح فى المراحل التعليمية . ومن الناحية الإقتصادية حرم الملكية على الجنود والحكام . كما نادى بضرورة الرقابة على الفن ، حتى يكون فى خدمة المجتمع .

وطالب بالمساواة بين المرأة والرجل ، وقال بأن المرأة تستطيع الوصول إلى الحكم إذا اجتازت الإمتحانات . كما نادى بضرورة إصلاح الدين الإغريقى .

[٤] الفلسفة الأرسطوطاليسية (Aristotelian Philosophy) :

وتنسب إلى مؤسسها أرسطو : **Aristotle** (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) ، الذى يعتبر أعظم تلاميذ أفلاطون ، ولكن بينما كانت فلسفة أفلاطون تهتم بالتفكير الميتافيزيقى (أى التفكير العقلى) ، مع التركيز على الرياضيات والسياسة ، **كانت فلسفة أرسطو تقول بالتفكير العلمى الذى كان يقول بأنه لا يوجد شىء فى العقل لم يكن قبلا فى الحواس** . وكانت فلسفة أرسطو تهتم بالبيولوجيا والطبيعة ، ولهذا فهى تعتبر إلى درجة كبيرة فلسفة حسية ، وقد تأثرت بها فيما بعد " الفلسفة الحسية " الذى جاء بها جون لوك ، وباركلى ، وهيوم . **وقد قسم أرسطو الفلسفة إلى علوم نظرية ، وعلوم عملية ، وعلوم شعرية .**

فالعلوم النظرية تهدف إلى مجرد المعرفة وطلب الحقيقة لذاتها ؛ وتنقسم إلى ثلاثة أقسام : **طبيعيات** : وتبحث فى الوجود من حيث هو متحرك وموجود . **ورياضيات** : وتبحث فى الوجود من حيث هو مقدار وعدد مجرد عن المادة . **وإلهيات** : وتبحث فى الوجود من حيث هو وجود بالإطلاق . وكان أرسطو يطلق على مبحث الإلهيات " الفلسفة الأولى " ، تمييزا لها عن فلسفة العلم الطبيعى التى كان يسميها " الفلسفة الثانية " .

أما **العلوم العملية** فقد قسمها أرسطو إلى : الأخلاق والسياسة وتدبير المنزل . **والعلوم الشعرية** فموضوعها الإنتاج الفنى على إختلاف أنواعه . وقد ظل هذا التقسيم ساريا حتى بداية القرن السابع عشر ، عندما جاء فرنسيس بيكون بتقسيم مغاير كما سنرى .

وقد تميزت المعرفة الطبيعية عند أرسطو بالمعرفة الخارجية البسيطة للاشياء ، والتى تعتمد على الملاحظة المباشرة دون الذهاب إلى ماهية الحقائق . فقد كان يقول ـ على سبيل المثال ـ بأن شكل الجسم هو الذى يقرر : إذا كان الجسم يغرق أو يطفو ، إلى أن جاء بعد ذلك الرياضى والفيزيانى اليونانى **أرشميدس** : **Archimedes** (٢٨٧ ؟ – ٢١٢ ق.م) ، الذى إكتشف قانون الطفو بشكله الحالى وفيه يقرر أن طفو الأجسام يتوقف على وزن السائل الذى يزيحه الجزء المغمور من الجسم الطافى أو الجسم المغمور ، أى أن الطفو يتوقف على حجم الجسم المغمور وكثافة السائل .

٣. ١. ٣. المرحلة الثالثة : مرحلة ما بعد سقراط (*Post-socratic Era*)

وقد عرفت مرحلة ما بعد سقراط بـ " **الفلسفة الهلنستية : Hellenistic Philosophy** " ، وقد جاءت هذه الفلسفة بفكر عملي يتناسب مع أوضاع اليونان السياسية والإجتماعية والتى كانت بحاجة إلى الإستقرار الفردى والجماعى ، عقب تفكك المدينة اليونانية بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق . م .

وقد تميزت الفلسفة الهلنستية لا بتفكيرها الميتافيزيقى ، بل بتفكيرها العملى . فقد إتجه فلاسفتها إلى العمل على إمداد الفرد بـ " **لائحة سلوك : Code of Conduct** " ، تمكنه من إيجاد طريقة فى الحياة مبنية على الأخلاق والفضائل فى أعماله . ويمكن تقسيم الفلسفة الهلنستية إلى ثلاث فترات :

الفترة الأولى : وتمتد من نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، وحتى القرن الأول بعد الميلاد . وقد تميزت هذه الفترة بظهور " **الفلسفة الرواقية : Stoicism** " و " **الفلسفة الأبيقورية : Epicureanism** " . *وقد تركزت هاتين الفلسفتين على السلوك والتصرفات الفردية والجماعية للحصول على السعادة المرجوة ، مع عدم تحديد منهج أو فكر فلسفى خاص بهما .*

أما الفترة الثانية : فهى تمتد من القرن الأول بعد الميلاد إلى منتصف القرن الثالث ، وتميزت بظهور " **الفلسفة الشكية : Skepticism** " التى إهتمت بنقد التفكيرين العقلى (الميتافيزيقى) والعلمى من حيث مقدرتهما على الوصول إلى المعرفة اليقينية .

أما الفترة الثالثة : وهى الفترة التى تمتد من منتصف القرن الثالث بعد الميلاد ، وحتى منتصف القرن السادس أو السابع ، وتسمى بالمرحلة " **الأفلاطونية الجديدة أو المحدثة : Neo - Platonism** " ، وتمثل المرحلة الأخيرة من الفلسفة اليونانية القديمة . وقد تميزت هذه الفلسفة بمحاولة الجمع بين الأفلاطونية والأرسطوطاليسية ، أى الجمع بين التفكير الميتافيزيقى (أى أن العقل أصل المعرفة) وبين التفكير العلمى (أى أن الحواس والتجربة هما أصل المعرفة) ، وكان لهذه الفلسفة تأثيرا كبيرا فيما بعد على الفكر الأوربى . وسنقوم بإعطاء ملخص سريع عن كل مرحلة وأهم فلاسفتها فيما يلى .

[١] الفترة الأولى : الفلسفة الرواقية والفلسفة الأبيقورية :

الفلسفة الرواقية (Stoicism) :

يعتبر زينو : Zeno (٣٤٠ – ٢٦٥ ق . م) المؤسس الإول للفلسفة الرواقية ، ثم خلفه كريسيبوس : Chrysippus ، الذى أعتبر المؤسس الثانى لهذه الفلسفة لقيامة بتنظيم مبادئها . وقد ركز الرواقيون على فلسفة الأخلاق ، وقد تأثروا فى ذلك إلى حد بعيد **بالمدرسة الكلبية (Dog-men)** . والكلبية تعتبر مدرسة أكثر منها فلسفة ، حيث تركز تعاليمها على الحياة الفاضلة ، وأن سعادة الإنسان الحقيقية تكمن فى السلوك الصحيح ، وذلك عن طريق سيطرة الإنسان على رغباته وشهواته من خلال إتباع قانون الطبيعة (**Law of Nature**) . والحياة عند الكلبيين ، وفقا لقانون الطبيعة ، تتميز بالتقشف كالمشى حفاة الأقدام ، وتغطية أجسادهم بقطعة خشنة ، وكان مأكلهم عدسا ، ومشربهم ماء . وقد إعتبر الكلبيون الفضيلة هدفا لهم ، فتبنوا أسلوب الوعظ والخطابة فى الأماكن العامة ، يوعظون به الناس . ومن ثم جاء إسمهم الكلبيون (Dog-men) ، لأن الكلب عند اليونانيين أنذاك كان تعبيرا عن عدم الخجل .

وقد إعتبر الرواقيين أن الفضيلة هى الشىء الهام كالكلبيين ، إلا أنهم إختلفوا عنهم فى طريقة تحقيقها . فليس بالتقشف يمكن تحقيق الفضيلة ، بل يمكن تحقيقها بما يتناسب وحياة بسيطة لا مترفة . وقد أخذ الرواقيون بعض مبادئهم من الأفلاطونية والأرسطوطاليسية ، من حيث أن المعرفة نوعان ، روحية ومادية . وإعتقدوا ـ مثل هيرقليطس ـ بأن النار هى مادة كل شيء . كما قال الرواقيين بمذهب وحدة الوجود ، فقد إعتبروا أن المادة والحياة والروح مجرد جوانب مختلفة للحقيقة التى هى فى نهاية الأمر **غير معروفة ... وهى الله** . وقد قال بنفس المذهب فيما بعد كل من أفلوطين وإسبينوزا وهيجل [٥٢] .

الفلسفة الأبيقورية (Epicureanism) :

ومؤسس هذه الفلسفة هو أبيقور : **Epicurus** (٣٤١ – ٢٧٠ ق. م) . ويمكن أن ينظر إلى هذه الفلسفة على أنها نظام عملى (**Practical System**) ، يهدف إلى فلسفة أخلاقية لتحقيق حياة إنسانية سعيدة . وقد ركز أبيقور على إرادة الإنسان ، حيث لا توجد أى قوة خارجية تعلو على الإرادة . **ومثل الكلبية ترى الأبيقورية أن المتعة ـ العقلية ـ غاية الحياة ، وفى المتعة توجد السعادة** . وتعتبر الأبيقورية تعبير سام عن الرغبة لنوع سام من السعادة عن طريق المتعة

---

[٥٢] " **تمهيد للفلسفة** " د. محمود حمدى زقزوق ، دار المعارف . ص : ١٦٧ .

العقلية التى تستطيع السيطرة على الماديات . ويرى أبيقور أن المتع العقلية هى أسمى أنواع المتع ، فهى أسمى وأعلى من متع الجسد لأن الجسد يعيش الحاضر ، بينما العقل يرجع إلى الماضى وينظر إلى المستقبل ، وأنه بهذا الشعور يستطيع أن يقضى على حالة الضيق (Distress) من أسى وألم .

ويقول أبيقور أن المعرفة الحسية هى معرفة مطلقة ، وهى معيار الحقيقة دائما ، وكل إحساس يعتبر صادقا ولا يمكن الشك فيه . أما الصواب والخطأ فإنه يرجع إلى حكمنا العقلى .

[٢] الفترة الثانية : الفلسفة الشكية (Skepticism)

بدأت الفلسفة الشكية بالمدرسة البيرونية ، ومؤسسها بيرون : **Phyrrhon** (٣٦٠ – ٢٧٠ ق.م) ، ويقال أنه رافق الأسكندر الأكبر فى مسيرته إلى الهند . وقال بيرون بأن نفس الأشياء تظهر مختلفة بالنسبة للأفراد المختلفة ، ويتوقف ذلك على الحالة النفسية والصحية للفرد (فالمريض لا يشعر بالمذاق) . كما وإن الأحكام تختلف بإختلاف العادات والتقاليد والقيم فى المجتمعات . وبالتالى فكيف لنا أن نعرف اليقين ؟ وهكذا ليس بالإمكان التأكد من شيء . ولذلك أخذ بيرون بمبدأ تعليق الحكم (**Suspension of Judgement**) . كما ينبغى على الحكيم ألا يقول " هذا كذلك " ولكنه يقول " هذا يبدو لى " أو " ربما يكون هذا كذلك " . وقد بحث بيرون مثل معاصريه عن **طمأنينة النفس** ، ووجدها وأتباعه فى تعليق الحكم ، لأن فى فلسفتهم أن جميع الأشياء غير ثابته وغير يقينية .

وكان هناك أيضا المدرسة الأكاديمية الجديدة (The new Academy) التى أخذت الشك كمنهج فلسفى لها . ومن أهم فلاسفتها أرقازيلاس : Arcesilaus (٣١٥ – ٢٤١ ق.م) الذى عرف عنه أنه لاشيء فى المحسوسات أو المرئيات يضمن لنا صدق الأشياء ، وبالتالى لا يمكن لنا التأكد من العالم المحيط . ثم جاء بعده كارنيادس : Cardneades (٢١٥ – ١٢٥ ق.م) الذى أكد بأن المعرفة اليقينية مستحيلة لأنه ليس هناك مقياس لها .
وقد إستمر تأثير الفلسفة الشكية فى الفلسفة اليونانية حتى القرن الثالث بعد الميلاد . وظهر هذا التأثير واضحا فى فلسفة أوغسطين .

[٣] الفترة الثالثة : الفلسفة الأفلاطونية الجديدة (Neo - Platonism) :

وهى تمثل الفترة الثالثة والأخيرة من الفلسفة اليونانية القديمة . وتمتد هذه الفلسفة من منتصف القرن الثالث وحتى منتصف القرن السادس بعد الميلاد . وتنسب هذا الفلسفة إلى أفلوطين : **Plotinus** (٢٠٥ – ٢٧٠) ، **وكان مصريا (من أسيوط) يتكلم اليونانية** ، ثم رحل إلى روما وأسس مدرسته عام ٢٤٤ . ويعتبر أفلوطين بلا منازع أعظم وأهم فلاسفة الأفلاطونية الجديدة ، وأكثرهم تأثيرا . وأعماله الفلسفية هى " **التساعيات** " وهى المعروفة باسم " **الإنيدز : Enneads** " . وقد تأثر الفكر الأوربى بفلسفة أفلوطين من خلال تأثيره على فلسفة أوغسطين فيما بعد .

وقد عرف أفلوطين أن هناك حقيقتين : حقيقة العالم المرئى (Visible Universe) وحقيقة العالم المثالى (Ideal Universe) ، وفوقهما المبدأ الأول (The First Principle) أو الواحد (The One) أو الجيد (The Good) ، وأحيانا يسميه **الأب** (The Father) ، متأثرا فى هذا بالفكر المسيحى . وهذا **المبدأ الأول** أو الواحد يقع على قمة النظام فى فلسفة أفلوطين ، وهو أبعد من إدراك العقل أو الحس ، وهو ليس الوجود بل ما فوق الوجود ، وإنه غير متناه وغير محدود ، وهو مصدر الحقيقتين المرئية والروحية ، والتفكيرين المادى والعقلى . وهنا نرى الخلاف بين فلسفة أفلاطون وأفلوطين . فقد وقف أفلاطون عند العالم المثالى وقال بأنه هو أعلى حقيقة ، بينما أفلوطين تعدى هذا (العالم المثالى) إلى المبدأ الأول أو الواحد وانه هو مصدر الحقيقة .

ويشير أفلوطين إلى الحقيقة بأنها ذات مستويين : **المستوى الأول** : ويطلق عليه المستوى الروحى (Spiritual) وهو يمثل العقل الإلهى (The Divine Mind) أو الجانب الأعلى من الحقيقة . **والمستوى الثانى** : ويطلق عليه المستوى المادى (Cosmic) ، وهو يمثل صورة الحقيقة (The Real Form of Reality) ويعبر عن العالم المرئى (The visible Universe) .
وهذان المستويان يمثلان الجانبين الرئيسيين للحقيقة ، ولكل مستوى الخصائص والقيم المختلفة التى يتميز بها ، الأمر الذى يجعل ضرورة إعتبارهما جانبين للحقيقة المتكاملة . وهذا يعنى أن تفكير أفلوطين كان متجها نحو إعتبار وجود العالم الروحى بجانب العالم المادى .

٣ . ٢ . فلسفة العصور الوسطى (Midieval Philosophy)

بدأت الفلسفة المسيحية فى الظهور فى العصر الوسيط منذ حوالى القرن الخامس الميلادى . وظلت قائمة حتى منتصف القرن الخامس عشر تقريبا . وكانت السيادة فى تلك الفترة لتعاليم الكنيسة ، ولهذا كان دور الفلسفة هو دور الخادم للتأسيس العلمى للعقيدة والدفاع عنها . لذا

جاءت هذه الفلسفة فى جوهرها إمتدادا لفلسفة أفلاطون وأرسطو اليونانية القديمة ، ولكن فى ثوب دينى مسيحى . فالتفكير الفلسفى فى العصور الوسطى تميز بأنه تفكير ميتافيزيقى تغلب عليه النزعة الدينية ، متبعا فى ذلك المنهج الإستنباطى (Inductive Method) الذى يبدأ بالطريقة القبلية (A Prior Method) ، **والتى تهدف إلى ملاءمة الحقائق (Facts) بالنظرية (Theory) . أو بمعنى آخر ، ضبط الحقائق على الفكر الدينى أو القيام بالتبرير ، كما سبق وأن بينا هذا فى الفصلين الثانى والثالث .**

كما ظهرت فى نفس الوقت **الفلسفة الإسلامية** ، حين شرع المسلمون فى بناء حضارتهم الجديدة إعتبارا **من القرن السابع وإمتدت حتى القرن الثانى عشر الميلادى** . وقد إتسمت هذه الفلسفة بأنها ذات طابع دينى إسلامى ، وأهم فلاسفتها : الكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد .

ولن نناقش هنا الفلسفة الإسلامية لأن الغرب عادة ما ينكر دورها عليهم من جانب ، كما وإنه يصر دائما ويؤكد على تأثر هذه الفلسفة ـ الإسلامية ـ بالفلسفة اليونانية القديمة والأفلاطونية المحدثة أو الجديدة من جانب اخر . **ولم يتنبه الغرب إلى أن الفلسفة الإسلامية لم تتجاوز فى معناها أكثر من : تأويل ... أو تفسير ... أو شرح ... بعض من آيات القرآن المجيد ، بالقدر الذى أدركه أو فهمه الفيلسوف من خلال ثقافته وقدراته الخاصة ، وكذا من خلال الخلفية العلمية لثقافة عصرة فى ذلك الوقت . أو بمعنى آخر فإن الفلسفة الإسلامية : هى رؤية جزئية من محيط هائل من المعرفة المطلقة (لما ورد ذكره فى القرآن) ، إستطاع الفيلسوف الإسلامى مشاهدتها من خلال فكرة وتجربته الخاصة مع هذا الكتاب (أى القرآن المجيد)** [٥٣] ، **وهذه الرؤية تعكس ثقافته وثقافة عصرة كما سبق وأن بينا هذا ببعض الأمثلة المذكورة هنا .**

كما لم يتنبه الغرب أيضا ، إلى أن فلسفاته السابقة ـ بصفة عامة ـ لم تتجاوز فى معناها عن مس ـ ومن بعيد ـ لبعض الحقائق التى ورد ذكرها فى القران المجيد (على النحو السابق الإشارة إليه بإيجاز شديد فى هذا الفصل) [٥٤] ولهذا قدر لهذه الفلسفات البقاء لما فيها من قدر معقول من

---

[٥٣] كما أود أن أضيف ـ هنا ـ إلى أن كبار الفلاسفة المسلمين قد خاضوا غمار الفلسفات الأجنبية بين يونانية وهندية وفارسية وعرضوا لكل مشكلة من مشاكل العقل والأيمان فيها ، وتكلموا عن وجود الله ووجود العالم ووجود النفس ، **وخرجو من سبحاتهم الطويلة فى هذه الفلسفات فلاسفة مسلمين دون أن يعنتوا أذهانهم فى التأويل والتخريج .** ومنهم كذلك ؛ من ترجم أرسطو وأفلاطون إلى الاسلام ولم يعسر عليهم أن يذهبوا معهما إلى أقصى مدى فى رأى العقل **دون أن يخرجهم هذا من حظيرة الدين .**

[٥٤] وهذا ما دفع بـ " ابن رشد " إلى القول بأن " أرسطو " ، كان حنيفا مسلما . بل وذهب ابن رشد إلى أبعد من هذا عندما أخذ فى تنقية فكر أرسطو من كل ما يخالف العقيدة الإسلامية . **وابن رشد (ويعرف فى الغرب بإسم : Averroës) (١١٢٦ ـ ١١٩٨)** ؛ هو الفيلسوف العربى الأندلسى الذى حاول التوفيق ـ كما هو معروف ـ بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية .

بعض الحقيقة والتى تتمثل فى علوم الفطرة لدى الإنسان . ولهذا سنكتفى هنا بمناقشة فلسفة العصور الوسطى الأوربية فقط ، والتى تشمل الفلسفات التالية : الفلسفة الأوغسطينية ، والفلسفة الأكوينية .

٣. ٢. ١. الفلسفة الأوغسطينية (Augustinian Philosophy) :

وتنسب هذه الفلسفة إلى القديس أوغسطين : St. Augustin (٣٥٤ – ٤٣٠) ، الذى ولد فى تاجيست : Tagaste ، فى مقاطعة نوميديا : Numidia ، فى شمال أفريقيا من أم مسيحية ، ثم إنتقل فيما بعد إلى ميلانو بروما . وهو يعتبر من أعظم علماء الدين المسيحى الذين أنجبهم الغرب [٥٥] .

وقد إهتم أوغسطين فى بداية حياته بدراسة اللاهوت والمسيحية ، قبل أن يبدأ معرفته بالفلسفة . **وقد أعجب أوغسطين بأفكار أفلوطين لما وجد فيها من تشابه بين تعاليمه ، وبين ما جاءت به الأناجيل من تعاليم كالتوافق بأن الله روح لا مادة ، وأن العقل الإلهى مطلق .** وإعتقد أوغسطين فى أن المعرفة لا تبحث لأسباب أكاديمية بل تبحث لتحقيق السعادة . وأن الإنسان الحكيم هو فقط الذى يستطيع أن يكون سعيدا ، والحكمة تتمثل فى البحث عن المعرفة ، والسعادة توجد فى البحث عن الحقيقة . ويعتبر أوغسطين أن المعرفة العقلية تأتى فوق المعرفة الحسية . ويبين لنا أوغسطين أن المعرفة التى تأتى لعقولنا ليست من عمل عقولنا ، بل هى من عمل الموجود الذى هو وحده قادر وأبدى وغير متغير ، وهو الله .

وإقترح أوغسطين " نظرية الإنارة : The Theory of Illumination " ، والتى تقول بأننا لا نستطيع أدراك حقيقة الأشياء ما لم تأت لنا من الله . فالله خلق العقل ، والعقل يستنير بالله ليدرك الحقيقة ، فالمعرفة لديه هى معرفة روحية وليست معرفة مادية للعقل .

والزمن فى فلسفة أوغسطين ظاهرة ذهنية هامة تمتد فى الروح . فالماضى ذكرى (Memory) ، والحاضر إنتباه (Attention) والمستقبل توقعات (Expectations) ، ويتلاشى الحاضر فى الماضى . ولا يعتقد أوغسطين بأن العالم خلق فى موعد ولكنه خلق مع الزمن . وعندما سئل

---

[٥٥] قبل أن يتجه أوغسطين إلى الدين ، كان فاسقا ومشهورا بحبه للعنف وللنساء . فلما إتخذ إتجاهه الجديد لم ينس ماضيه بل تأثر به إلى الحد أنه أصبح له مقاييس متشددة فى مجال الجنس . ووصل به الأمر إلى ربط الجنس بالذنب حتى من خلال الزواج . وكان إرتفاع شأن العزوبة عند القديس أوغسطين هو منشأ فكرة عزوبة رجال الدين فيما بعد ، والتى قد نشأت كشئ مستحب وانتهت كواجب ملزم لكبارهم . [" **التاريخ الأسود للكنيسة** " القس دى روزا ، الدار المصرية للنشر والتوزيع . ص : ١٩٩ / ٢٠١]

أوغسطين ماذا كان يفعل الله قبل خلق العالم ؟ كان يجيب بأن حياة الله أزلية وليس هناك شئ إسمه قبلا [٥٦] .

٣ . ٢ . ٢ . الفلسفة الأكوينية (Aquinian Philosophy) :

وتنسب هذا الفلسفة إلى القديس توما الأكويني : Thomas Aquinas (١٢٢٥ – ١٢٧٤) ، الذى ولد فى روكاسيكا (Rocasecca) بالقرب نابولى بإيطاليا . ودرس اللاهوت وتتلمذ على يد القديس ألبرت الكبير وتأثر بفلسفته .

وفلسفة توما الأكوينى هى فلسفة تلاؤم بين الفلسفة اليونانية والمسيحية من جهة ، والفلسفة الأفلاطونية والأرسطوطاليسية من جهة أخرى . ولكنه يعلو بفكر أرسطو على فكر أفلاطون ، **أى يعلو بالفكر العلمى على الفكر الميتافيزيقى** . ولهذا نجد توما يقبل بمبدأ المعرفة بطريق الحس والمنطق دون مساعدة الروح ، وهذا الإتجاه يعنى لديه أن التفكير العلمى يبقى مميزا فى فلسفتة الأكوينية . ويقول بأن الفيلسوف يجادل بأن الله هو الخالق ، فمعرفة الفيلسوف بالله تأتى نتيجة جدل عقلى منطقى ، فى حين معرفة اللاهوتى عبارة عن وجود الله كحقيقة لا فرض يدعو للجدال . **ويعتقد الأكوينى بأن ليس بوسع الفرد أن يعرف نفس الحقائق علميا ، ويعرفها فى نفس الوقت ويصدقها بالإيمان . فمن وجهة النظر هذه ، يجب الفصل بين القضايا الإيمانية ، والحقائق العلمية** (لاحظ هنا إستحالة الجمع بين العلم والعقيدة المسيحية) .

وهذه الثنائية الحادة بين العلوم الطبيعية والوحى الإلهى قال بها ، فيما بعد ، بيكون بمنتهى الوضوح ، كما سبق وأن أوضحنا هذا . فالعلم والدين فى الفكر المسيحى لا يجتمعان تحت أى تصور ، لذا كان يلزم الفصل دائما بينهما ، حتى يمكن الإحتفاظ بالدين . ولهذا كان يقول بيكون بأن الفيلسوف الذى ينغمس فى اللاهوت (أى فى الفكر الدينى) يخلق مذهبا خرافيا جامحا ، على حين أن اللاهوتى (أى رجل الدين) الذى يهتم إهتماما مغاليا بالفروق الفلسفية والكشوف العلمية ينتهى إلى الكفر والزندقة .

---

٥٦ بهذه الإجابة يقرر **أوغسطين** بازلية العالم ، شأنه فى ذلك شأن الله ، سبحانه وتعالى عن هذا . وهى إجابة تتناقض مع نظرية الإنفجار الأعظم : The Big Bang Theory ، وهى النظرية التى تقرر بأن **للكون بداية زمنية** ؛ منذ حوالى (١٤ إلى ٢٠) بليون سنة مضت . اى أن زمن الكون مستقل عن زمن الله . فبديهى ليس الكون بأزلية الله لأنه أحد مخلوقاته ، وإلا كان لله بداية أيضا . وبديهى أيضا أن إجابة **أوغسطين إنما** تعكس الرؤية القاصرة والمحدودة عن الكون (أو السماء) فى تلك الفترة .

٣ . ٣ . فلسفة عصر النهضة (*Renaissance Philosophy*)

ويشير هذا المصطلح إلى حركة الفكر العلمية والثقافية (أى الأخلاقية والدينية) ، التى بدأت فى إيطاليا فى القرن الرابع عشر وانتشرت فى جميع أنحاء أوربا حتى القرن السادس عشر . وأهم ما يميز فلسفة عصر النهضة يرجع إلى الإكتشافات العلمية فى تلك الفترة . ومفهوم العلم عند علماء النهضة له وجهان ، علم نظرى (Theoritical) ويمثل المحاولة لفهم العالم ؛ وعلم عملى أو تطبيقى (Practical) وهو يمثل المحاولة لتغيير العالم . وقد لاقت النظريات العلمية الجديدة فى تلك الفترة مقاومة شديدة من جانب الكنيسة . فعندما جاء كوبرنيكوس : Copernicus (١٤٧٣ – ١٥٤٣) الفلكى البولندى ، بنظريته العلمية التى تقول بأن الشمس هى مركز العالم ، وأن الأرض هى التى تدور حولها ، رفض اللاهوتيون هذه النظرية وقاوموها بعنف . وعندما جاء جاليليو : Galileo (١٥٦٤ – ١٦٤٢) عالم الفلك الإيطالى ، ومكتشف الطريقة التجريبية (Experimental Method) ، بالبرهنه العملية على نظرية كوبرنيكوس بإستخدام تليسكوبه ، حكمت عليه الكنيسة بالسجن ، ومات كفيفا فى السجن غير مسموح له بالإتصال بأحد ، وبمصادرة كتبه (راجع الفصل الأول ؛ بند ٨) .

وقد أدى تقدم العلوم فى عصر النهضة إلى ظهور المنهج الإستقرانى [٥٧] ، كما أدى تقدم الرياضيات إلى ظهور المنهج الإستنباطى [٥٨] ، وقد أدى هذا إلى فتح افاق جديدة للمعرفة ، أدت إلى التمييز بين سلطة العلم وسلطة الكنيسة ، **أى المعرفة العلمية والمعرفة اللاهوتية** . بمعنى التمييز بين المعرفة التى تأتى من التعاليم الدينية أو الوحى الإلهى (The Divine Revelation) كما جاءت به الديانة المسيحية ، وبين المعرفة التى تأتى من المقدرة الفكرية أو الفكر الإنسانى

---

[٥٧] **المنهاج الإستقرائى (The Inductive Method)** : هو منهاج تجريبى له خطوات محددة مثل : تحديد المشكلة ، وجمع المعلومات ، وفرض الفروض والمسلمات المختلفة ، وإختبار صحة هذه الفروض والمسلمات بالتجارب المختلفة للتوصل إلى شكل القانون العام ، الذى يمكن إستخدامه فى تطبيقات أخرى .

[٥٨] بينما الرياضة تعتمد على " **المنهاج الإستنباطى : The duductive Method** " : (أو الإستنباط العقلى) ؛ وهو المنهاج الذى يستخلص النتائج من المقدمات بالعقل . وفيه يعتمد الباحث على التحليل العقلى والمنطقى للوصول إلى النظرية المطلوبة مبتدءا بالتعريفات والبديهيات والمسلمات الأولى التى يمكن أن يستخلص منها النظريه .

وأود أن أشير هنا إلى أنه ليس هناك معنى لهذه التفرقة بين المنهجين وهذا التخصيص ، أى المنهاج الإستقرانى للتجربة الفيزيائية ، والمنهاج الإستنباطى للرياضة . ففى الواقع ، كلا المنهاجين أساسيين وضروريين ، بل ولازمين ولا غنى عنهما فى مجال الفيزياء العامة (أى فى مجال التجربة والنظرية والتعميم) .

فعلى سبيل المثال ، نجد أن **النظرية النسبية الخاصة قد بنيت على مسلمتين أساسيتين** ، سبق الإشارة إليهما فى مقدمة هذا الكتاب ـ وأستنبط منهما ، بطرق رياضية بحته " **تحويلات لورانتز** " التى تعتبر الأساس النظرى لجميع النتائج العملية التى تنبأت بها هذه النظرية ، ومنها قانون (الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء) ، ومنها كذلك قانون تغير كتلة الجسم مع حركته ، وكذا إعتماد طول الفترة الزمنية على حركة النظام ... إلى اخره ... من كثير من النتائج التى ثبت صدقها بالتجربة المعملية . وجميع هذه التنبؤات الفيزيائية قد جاءت بطرق أستنباطية ورياضية بحته ، وليست بطرق إستقرائية ؛ حيث أنها تقع جميعها داخل المنطقة أو المساحة الفيزيائية للعالم المشهود .

(The Human Reason) إستنادا إلى فلسفة أرسطو وفكره التجريبى . وقد تمخض هذا الوضع عن نتائج عممت اثارها ، وما زلنا نعانى منها إلى الان ، وهذه النتائج هى :

(١) إما أن يقبل الإنسان بتفوق فكره على الفكر الإلهى الخالق ، أو أن يقوم الإنسان بالتخلص من الفكر الدينى على نحو مطلق . وما يترتب على هذا من إنكار لوجود الخالق ، أو على الأقل إستبعاد " الفكر الإلهى " من قضية الوجود والمصير ، وما يتبع هذا من القول بعبثية هذا الوجود كما قالت به الوجودية . وهنا لم يتبق للإنسان للبحث عن الله إلا الإعتماد على فكره وذاته ، على النحو السابق ذكره .

أو ؛

(٢) أن يقوم الإنسان بمحاولة الجمع بين المتناقضات ، أى الجمع بين الفكر الدينى الأسطورى من جانب ، وبين العلم التجريبى الغير قابل للشك من جانب آخر ، وما يترتب على ذلك من إلغاء عقل الإنسان فى القضايا الدينية على نحو مطلق ، وظهور " ظاهرة التبرير " أو المرض النفسى الذى يقول به علماء النفس ، على النحو السابق مناقشتة فى الفصل الثانى .

أو ؛

(٣) أن يقوم الإنسان بالفصل التام بين الدين والعلم ، وإعتبار أنهما قضيتان مختلفتان ومستقلتان تماما كل منهما عن الاخرى ، حتى وإن جاء الدين بعكس ما يجىء به العلم . فيكفى – فى هذه الحالة - إلغاء العقل والقول بإستقلالية القضيتين ...!!!

وأهم فلاسفة هذا العصر ، أى عصر النهضة هم : فرنسيس بيكون ، ونيقولا ماكيافيللى ، وتوماس هوبس . وسنعرض لفلسفاتهم فى إيجاز شديد .

فرنسيس بيكون : Francis Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦) ، رأى أن الأمل الوحيد للمعرفة هو عن طريق المنهج العلمى أو التجريبى (أى المنهج الإستقرائى : Inductive Method) [٥٩] ، وإستخف بالمنهج الرياضى (أى المنهج الإستنباطى : Deductive Method) [٦٠] . وهذا يعنى إنه قد ركز على العلوم والطبيعيات وأهمل الرياضيات . وقد تخطى بيكون التقسيم الأرسطى

---

[٥٩] يجب ملاحظة أن منهاج البحث فى العلوم الطبيعية يمكن أن يأتى بإسم : المنهاج العلمى أو المنهاج التجريبى أو المنهاج الإسقرائى (Scientific or Emperical or Inductive Method) . وخطوات المنهج العلمى أو المنهج الإستقرائى هى : (١) ملاحظة الظاهرة . (٢) وضع المسلمة أو الفرض أو الفروض الأساسية واللازمة لوصف الظاهرة . (٣) التجربة أو التجارب المختلفة التى تمثل الإختبار النقدى للفروض الموضوعة وكذا التأكد من صحتها . (٥) القانون ، أى الخروج بالقانون العام أى العلاقة الثابتة التى تخضع لها الظاهرة (أنظر كذلك التذييل السابق) . والخطوات المذكورة عن هذا المنهج لم تكن معروفة وقت بيكون ، كما وإن بيكون نفسه لم يكن يعرف إلا جزئيات منها فقط ، وقد أكمل هذه الخطوات الفلاسفة من بعده أمثال : مل ، وسميث .

[٦٠] وفى هذا المنهج يتم إستخلاص النتائج من المقدمات بالعقل (أنظر كذلك الثلاث تذييلات السابقة) .

للفلسفة ، وإعتمد تصنيفا اخر يعتمد على القوى العقلية المدركة ، وقرر أن البحث السيكولوجى يجب أن يكون أساسا لكل فلسفة وكل علم . وقد حصر بيكون القوى العقلية فى ثلاثة أمور هى : **الذاكرة** : وبها نحصل على معرفة التاريخ ، **والخيال (أو المتخيلة)** : وبه نحصل على معرفة الشعر ، وأخيرا **القوى العقلية المفكرة** : وبها نحصل على الفلسفة . وتنقسم الفلسفة إلى ثلاثة أقسام هى **الفلسفة الإلهية** (وتعنى بدراسة الدين وما يحويه) ، **والفلسفة الطبيعية** ، وتعنى بدراسة الأشياء المادية ثم الميكانيكا ثم السحر (لاحظ إدراج السحر ضمن الفلسفة الطبيعية) ، ثم أخيرا **الفلسفة الإنسانية** (وتعنى بدراسة جسم الإنسان والفسيولوجيا والتشريح ، وعلم النفس ، والعلاقات السياسية والإجتماعية) .

نيقولا ماكيافيللى : Nicola Machiavelli (١٤٦٩ – ١٥٢٧) ، وكانت فلسفته واضحة فى كتابه " **الأمير** " وتتميز بأنها فلسفة سياسية وعلمية تطبيقية . وقد نشر هذا الكتاب الذى تعتمد عليه شهرة ماكيافيللى السيئة فى عام ١٥٣٢ ، أى بعد وفاته بخمسة أعوام . وفلسفة ماكيافيللى هذه مبنية على تجربته الخاصة لإخضاع الوسيلة (**means**) لتبرير الغاية (**end**) ، أو **أن الغاية تبرر الوسيلة** . وكان يرى أن الحياة السياسية نضال (**Struggle**) ، وإن الفضائل تعرض السياسة للخطر ، **وكان يرى أن الخداع والنفاق وشهادة الزور ضرورية ومغتفرة من أجل الإحتفاظ بالقوة السياسية** . وإن الحاكم يمحى إذا كان دائما فاضلا . ولا بأس من إستعمال الإرهاب فى وحشية لإستمرار من دحرهم الحاكم . كما ينبغى للحاكم أن يقبض بطغيان على البلاد التى دحرها . ولهذا ظلت الميكافيلية عالقة فى ذهن العالم لمدة تزيد على الأربع قرون على إنها شىء مرادف لعمل شيطانى وخائن ونذل وقاس وخبيث ، وقد قال البعض إن كتاب " **الأمير** " ضرورى للطغاة [61] .

ثم نأتى إلى **توماس هوبز : Thomas Hobbes** (١٥٨٨ – ١٦٧٩) ، ونال شهرته من تأليفة لكتاب " **اللوثيان : Leviathan** " ، وقد قوبل هذا الكتاب بالنقد الشديد من قبل الكنيسة ، كما إتهمته الكنيسة بالإلحاد . وقد تأثر هوبز بجاليليو ، ولهذا نراه يؤكد على الجانب العملى فى الفلسفة وأن وظيفة الفلسفة هو المساهمة فى ثراء الإنسان المادى . فالفلسفة لديه تبدأ من العالم التجريبى لتنتهى بالنتائج . فالمعرفة الفلسفية لديه هى معرفة النتائج (**Cosequences**) . أو بمعنى اخر ، أن فلسفته هى فلسفة منهجية (**Methodological**) ، تبدأ بإستخدام المنهج الإستقرائى من فروض مستمدة من العالم المادى (من ملاحظة وتجربة وتدوين) ، وتنتهى بإستنباط أو بإستنتاج النتائج النهائية التى تسمح بالتطبيق أو التعميم . وبديهى أن فلسفة بهذا

---

[61] " **كتب غيرت وجه العالم** " روبرت ب. داونز ؛ ترجمة أمين سلامة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص : ٣١/٤٧ .

الفكر لم تتجاوز فى معناها عن إسلوب تناول بحث الظواهر الطبيعية المختلفة ، والتى يمكن الإنتهاء منها بقوانين عامة تسمح بتطبيقها أو إستخدامها فى مجالات أخرى لنفس الظاهرة ، ولكن بتباينات أو ظهورات مختلفة . وبديهى أن فلسفة كهذه لا يمكن أن تقود إلى أى فكر يذكر عن الإنسان أو عن الله ، أو عن الدين ، لهذا نرى هوبز يقول :

" أن الدين ليس أمرا من أمور الفكر ، وإنما هو أمر من أمور الإعتقاد ، ولا يجوز الخلط بين العقيدة والعقل . فحيث ينتهى العقل تبدأ العقيدة ، وحيث ينتهى العلم يبدأ الإيمان " . وهذا يعنى أن العقيدة لا عقل لها والإيمان لا علم فيه ...!!! وبديهى هذا هو حال تجربته مع الفكر المسيحى .

٣ . ٤ . *الفلسفة الحديثة (Modern Philosophy)*

بدأت الفلسفة الحديثة تظهر فى أوربا والعالم الغربى منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادى تقريبا ، وذلك مع بداية النهضة الأوربية ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر . وقد أخذت الفلسفة فى العصور الحديثة صورتين أساسيتين هما : " **الفلسفة العقلية : Rationalism** " المبنية على العقل وتعكس صور التفكير الميتافيزيقى . أما الصورة الأخرى فهى " **الفلسفة الحسية : Empericism** " المبنية على الحس وتعكس صور التفكير العلمى .

وتشمل الفلسفة الحديثة " **ستة فلسفات** " هى : (١) **الفلسفة العقلية** ، (٢) **الفلسفة الحسية** ، (٣) **فلسفة التنوير** (وتنقسم إلى الفلسفة الرومانسية ، والفلسفة النفعية) ، (٤) **الفلسفة الكانطية** ، (٥) **الفلسفة المثالية** ، (٦) **الفلسفة المادية** . وجميع هذه الفلسفات تدور فى فلك تحديد نظرية المعرفة (Epistemology) أو (Theory of Knowledge) عند الإنسان ، وهل أصلها عقلى (أى التفكير الميتافيزيقى) ، أم أن أصلها حسى (أى التفكير العلمى) ، أم أن أصلها مشترك بين العقل والحس . وسنأتى إلى شرح موجز لهذه الفلسفات وأهم فلاسفتها فيما يلى .

٣. ٤ . ١. الفلسفة العقلية (Rationalism) :

والفلسفة العقلية أو المذهب العقلى (Rationalism) هى الفلسفة أو المذهب الذى يقول بأن المعرفة مصدرها العقل لا الحس . وتعتبر هذه المعرفة معرفة " **قبلية : A priori** " ، أى معرفة فطرية لا مكتسبة ، فهى معرفة موجودة بالعقل وتدرك بـ " **الحدس : The Intuition** " دفعة واحدة وليست تدريجيا . ومنهاج **المعرفة العقلية** هو منهاج إستنباطى (**Deductive**) ، بينما

منهاج المعرفة الحسية هو منهاج إستقرانى (**Inductive**) . وتبدأ المعرفة العقلية بالبديهيات أو المسلمات أو الفروض الأولية أو بهم جميعهم (وهى أوليات معرفة وصادقة) لتنتهى بالحقائق الواقعة . أى أن المعرفة العقلية تبدأ بالنظرية وتنتهى بالواقع . كما يعرف أيضا " التفكير العقلى " باسم " التفكير الميتافيزيقى " . وأهم فلاسفة هذه الفلسفة هم ؛ ديكارت ، وإسبينوزا ، ولايبنتز . وسوف نعرض بإختصار إلى أهم إتجاهاتهم الفلسفية كما يلى .

رينيه ديكارت : René Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠) . علق بعد تخرجه من كلية الجيزويت ، بأنه على الرغم من دراسته بأفضل الكليات وعلى أيدى أفضل رجال العلم إلا أنه زاد شعورا بالجهل ، وكان بيكون قد خرج بنفس الشعور من جامعة كمبردج .

إعتقد ديكارت أن أكثر الطرق الفلسفية إثارة هى **المعرفة العقلية** ، فعن طريق التأمل والعقل نصل إلى معرفة اليقين . فالمعرفة لديه ذهنية لا حسية ، لأن المعرفة بطريق الحواس غير يقينية والأشياء لا تفهم كما تظهر للحواس بل كما تتراءى للذهن . وقال بأن المعرفة اليقينية هى أفكار فطرية (Innate Ideas) تولد مع الإنسان ولا تكتسب بالتجربة ، إن العقل فقط هو مصدر المعرفة اليقينية عكس المعرفة الحسية ، وإن هذه المعرفة تستند إلى الإستنباط العقلى (Deduction) ، بحيث ينتقل الذهن مباشرة من المجهول إلى المعلوم .

وتبدأ المعرفة لدى ديكارت بالشك فى كل شىء ما عدا الفكر . وفى عبارته الشهيرة " **أنا أفكر إذن أنا موجود : I think therefore I am** " ، وهى باللاتينية " **Cogeto ergo sum** " (ولهذا يعرف هذا البرهان بالكوجيتو) ، توضيح لمنهجه الفلسفى للمعرفة ، وهو إذا توقفت عن التفكير فأين الدليل على وجودى ؟ وقد قال ديكارت بأساسيات (أو جواهر) ثلاثة هى : **العقل والمادة والله** ، وبأن الفلسفة تشبه الشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء وأغصانها هى العلوم الأخرى . وقد تأثر هيديجر (أحد رواد الفلسفة الوجودية) بهذا التحليل الديكارتى وتساءل فى أى تربة توجد جذور شجرة الفلسفة هذه ؟

وقد وضع ديكارت لنفسه مبادىء أخلاقية فلسفية معتقدا أنها ستقوده إلى السعادة ، مع الإلتجاء إلى الديانة والتى فيها عظمة الله .

ثم نأتى إلى **إسبينوزا (باروخ بينيدكت إسبينوزا : Baruch Benedict Spinoza)** (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذى قدم إلى هولندا مع أسرته من البرتغال . وقد كرس حياته للدراسة الفلسفية ، بينما كان كسب عيشه من صقل الساعات ، وقد رفض وظيفة أستاذ للفلسفة فى هيدلبرغ معتقدا أن ذلك سيأخذه من حريته وهدونه . ومن كتبه " **المعاهدة السياسية اللاهوتية** " الذى نشر تحت

إسم مستعار وأثار ضجة كبيره لآرائه التشككية الدينية . وقد إعتدى عليه أحد الطلاب نتيجة لآرائه الدينية هذه ، جعلته يمضى حياته منعزلا مع الفلسفة فى غرفة عند عائلة خارج المدينة (أمستردام) .

وتتسم فلسفة إسبينوزا بالوحدانية (Monism) ، والجوهر فى فلسفة سبيوزا هو الله أو الطبيعة ، وإنه سبب وجود الأشياء جميعا ، وكل حقيقة ما هى إلا صفة من هذا الجوهر . وكان هدف إسبينوزا أن يحررنا من الخوف وإنفعالاته . فكان يقول بأن العاقل لا يندم على فعل أو فاجعة ، فالماضى والمستقبل ثابتان لا تعديل بهما [٦٢] . والمعرفة فى نظر إسبينوزا قوة وحرية والطريق الوحيد للسعادة . ويقال أن إبداع إسبينوزا المنهجى الفلسفى يكمن فى الطريقة التى يجمع فيها بين المبادىء الديكارتية وبعض المبادىء الأرسطوطاليسية .

ثم نأتى إلى لايبنتز (**غوتفريه ولهلم لايبنتز : Gottfried Wilhelm Leibnitz**) (١٦٤٦ - ١٧١٦) من مدينة لايبزج بألمانيا . وقد رأينا مما سبق ؛ أن ديكارت كان يقول بجواهر ثلاث هى العقل والمادة والله ، وقال إسبينوزا بالجوهر الواحد وهو الله . أما لايبنتز فكان يعتقد بعدد لامتناه من الجواهر المفردة سماها " **المونادات : Monads** " . وكل جوهر هو فرد - متناه - وله صفة جوهرية واحدة هى الفكر أو الله . وفوق المونادات المتناهية توجد المونادا العظمى اللامتناهية أو الله . وأفكاره هذه نجدها فى علم المونادولوجيا (**Monadology**) ، أى علم الجواهر . ويقول بأن رؤية الجواهر (أى جوهر الأشياء) هى رؤية فطرية ، وتنتج تلقائيا من طبيعة داخلية لا من تجربة عملية . ويعتقد لايبنتز بأن الله أكمل كائن وموضوع كل الكمالات ، ويعرف الكمال بأنه " صفة بسيطة إيجابية ومطلقة تعبر دون حدود عن كل ما تعبر عنه " [٦٣] .

---

[٦٢] ولا أدرى ... أيكفى تلك الكلمات السطحية للتحرر من الخوف . فبديهى مثلا لا يمكن التحرر من خوف الموت ، وهو قمة الخوف وإنفعالاته ، إلا بالإدراك اليقينى للفرد لما يحدث له عقب الموت وبعده . ولا نجد هذا اليقين إلا فى الديانة الإسلامية فقط . ولهذا نرى المسلم الحق لا يتهيب الموت ، بل أن الأمر كان يصل ببعض الصحابة إلى رؤية مقاعدهم من الجنة قبل موتهم ، ولهذا كانوا يستعجلون نيل الشهادة . وفى هذا المعنى يقول لنا المولى عز وجل :

[ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩) فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠)]
(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٦٩ - ١٧٠)

[٦٣] وبديهى لم يذكر لنا لايبنتز ماهى الكمالات الإلهية التى يقول بها ، وبأنها **" تعبر دون حدود عن كل ما تعبر عنه "** ، ولا أدرى إن كان هذا يمثل تعريفا أم مجرد إنفعال ذاتى (أو فطرى) لما ينبغى أن يكون عليه الكمالات الإلهية ، لا يقدم شيئا يذكر عن هذه الكمالات . أنظر الملحق الأول عن الصفات أو الكمالات الإلهية ، التى يذكرها الله - سبحانه وتعالى - عن نفسه (هو محصيها) ، وكما تجيء بها الديانة الإسلامية .

٣. ٤. ٢. الفلسفة الحسية (Empericism) :

لقد رفض الحسيون العملية العقلية التأملية ، وإن الأفكار الفطرية هي مصدر المعرفة ، واستبدلوها بالتجربة إعتقادا منهم أن المعرفة مكتسبة وجزئية ومتغيرة ، مستندين على ما جاء به أرسطو بأنه لا يوجد فى العقل ما لم يكن قبلا فى الحواس . ولهذا يقول أصحاب هذه الفلسفة بأن الحواس والتجربة هما مصدر المعرفة . ولهذا كان منهجهم هو " منهج إستقرائى : Deductive " لا " منهج إستنباطى : Inductive " كما فى الفلسفة العقلية . وأهم فلاسفة الفلسفة الحسية هم ؛ جون لوك ، وباركلى ، وديفيد هيوم . وسوف نعرض بإختصار إلى أهم ارائهم وإتجاهاتهم الفلسفية فيما يلى .

جون لوك : John Locke (١٦٣٢ - ١٧٠٤) ، فيلسوف إنجليزى ، تميزت فلسفته بأنها تجريبية ، وقال بأن المعرفة تأتى من " **الحس الذاتى : Self - perception** " ، وأن التجربة هى ينبوع جميع أفكارنا . ويرفض لوك الأفكار الفطرية ، ويرى أن العقل سلبى (Passive) ولا يلعب دورا نشيطا فى تكوين الأفكار ، لأن الأفكار تأتى للعقل وتفصح له عن الأشياء الخارجية بالحس . فمثلا رائحة الزهور تأتى لنا بحاسة الشم ، كما إن فكرة البياض تأتى لنا من خلال حاسة النظر [٦٤] . كما وأن هناك أفكار أخرى نستلهمها بواسطة أكثر من حاسة مثل : الحركة والإمتداد والشكل . واعتبر لوك أن اللون والطعم والرائحة والصوت هى " **كيفيات ثانية أو ثانوية : Secondary qualities** " ، منفصلة عن الجسم ومكانها خارجه . بينما الإمتداد والشكل والحركة هى " **كيفيات أولية : Primary qualities** " غير منفصلة عن الجسم .

وكما رأينا ؛ فقد سبق لوك فى هذا المذهب الحسى كل من توما الأكوينى ، وفرنسيس بيكون متأثرين فى ذلك بفلسفة أرسطو ، كما أكدوا على أهمية المنهج الإستقرائى أو التجريبى . وليس هناك فى فلسفة لوك " **قوانين أخلاقية : Moral Rules** " ، فجميع مبادئنا الأخلاقية تنبع من خبرتنا الحسية . فالعدالة ـ مثلا ـ مستقاة من تجربتنا ، وهى أيضا مستنتجة من واقع خبراتنا . والخير لدى ـ لوك ـ هو ذلك الشيء الذى يزيد من متعة العقل أو الجسم ويبعد الألم ، بينما الشر هو ذلك الشيء الذى يسبب الألم ويبعد اللذة .

---

[٦٤] فى الحقيقة ؛ نحن لا نستطيع أن نجعل " الحاسب الآلى " أو " الكمبيوتر " التعرف على اى شيء مهما صغر ، مالم يكن هذا الشئ قد تم وضعه مسبقا فى ذاكرة الحاسب . فإذا أردنا ـ مثلا ـ أن نجعل الكمبيوتر التعرف على طائرة ما ، فلا بد لنا من تزويد الكمبيوتر بصورة الطائرة ، أو بالمواصفات الخاصة بها حتى يمكن التعرف عليها عند إلتقاط صورتها بواسطة الرادار مثلا . وكذلك إذا أردنا أن يتعرف الكمبيوتر على ذرات عنصر ما ، فإن علينا تزويدة بخصائص ومواصفات ذرات هذا العنصر حتى يستطيع التعرف على ذراته . وهكذا بالنسبة لأى شيء أخر ، وهذا يعنى أن المعرفة لابد وأن يكون أصلها عقليا وليست حسية ، وذلك بعد قيامنا ببناء أسلوب التعرف على الأشياء فى الحاسبات الألية (أنظر كذلك الملحق الثالث من هذا الكتاب) .

ثم نأتي إلى **جورج باركلي : George Berkleley** (١٦٨٥ - ١٧٥٣) ، وهو فيلسوف إيرلندى ، قال " **بعدم وجود العالم المادى : Matter is non - existence** " . وقال بأن ظواهر العالم المادى تخضع لظواهر العالم الذهنى ، فالمعرفة فى فلسفة باركلى لا ترجع إلى جوهر مادى بل ترجع إلى " **وجود روحى : Spiritual Being** " ، كما وإن الأشياء ليس لها وجود مستقل عن العقل ، ولا يوجد شئ إلا إذا كان مدركا بالذهن . فمثلا هو لا ينفى وجود الكرسى فى الغرفة طالما أنه لا يوجد من يراه ، فالشيء يوجد وإن لم ير ، لأنّ الله يراه . والله هو الذى يطبع أفكارا على عقل كل من يدخل الغرفة ليرى الكرسى . أى أنها أفكار فى العقل الإلهى فى الأصل ، فهى توجد لأن الله يراها ويدركها ثم يجعلنا نراها وندركها بعد ذلك .

ولهذا جاءت فلسفة باركلى مادية مثل فلسفة لوك ، ولكن الفرق أن لوك قال بوجود المادة مستقلة عن العقل ولهذا يراها العقل ، بينما قال باركلى بأن الوجود المادى قائم فى العقل الإلهى ، فهو الذى يرى المادة ويدركها أولا ، ثم يجعلنا نراها وندركها ثانيا . أو أن لوك قال برؤية المادة مباشرة ، بينما قال باركلى برؤية المادة من خلال الرؤية الإلهية لها . وهو **بهذه النظرة يصبح منهجه مثاليا** (أى الإيمان بوجود الله) ولكنه فى نفس الوقت تجريبى ، بمعنى أن الأشياء المطبوعة على الحواس - من قبل الله - هى الأشياء الحسية . ولهذا نرى باركلى قد جمع بين الفلسفة الحسية (مثل لوك وهيوم ، كما سنرى) وبين الفلسفة المثالية : **Idealism** .

وأخيرا نأتى إلى **ديفيد هيوم : David Hume** (١٧١١ - ١٧٧٦) ، الذى كان ينفى وجود الأفكار الفطرية المطلقة كطريق للمعرفة ، ويؤكد على أن المعرفة تأتى بطريق التجربة والملاحظة . ولهذا كان يرى أن المنهج التجريبى : Experimental Method (الذى طبق بنجاح فى العلوم الطبيعية) يمكن تطبيقه أيضا فى دراسة الإنسان .

وكان يرى أن طبيعة الإنسان دائما ثابتة ، ولهذا يؤدى فيها الدافع المعين إلى نوع معين من السلوك . ولو لم يكن سلوك الإنسان مطردا - إطراد الظواهر الطبيعية - لاستحال علينا أن نحكم على أحد . غير إنه لا يجوز أن نفترض أن هذا الإطراد فى أفعال الإنسان إطراد كامل ، فليس معنى أن تتشابه الظروف أن تخلق دائما نفس السلوك ، لذا يجب علينا أن نعمل حسابا لتنوع الشخصيات الإنسانية فى رد فعلها تجاه المؤثرات البيئية . لإننا عندما نلاحظ سلوك الناس ، إنما نلاحظ تنوعا فى سلوكهم حتى فى الظروف المتشابهة . وبهذا فإننا ننتهى من ذلك إلى مجموعة

مبادىء تجرى على نسقها أفعال الناس ، بدل أن ننتهى إلى مبدأ واحد [٦٥] ، كما هو الحال فى القانون الطبيعى الذى ينطبق على الجمادات .

ويقول هيوم إن مبدأنا العام فى المعرفة الإنسانية كلها هو نوعان لا ثالث لهما ؛ فهى إما " **إنطباعات** " تقع على الحواس مباشرة ، أو " **أفكار** " تكون هى نفسها الإنطباعات بعد أن تزول محدثاتها من أمام الحسّ ، فتبقى صورا ذهنية لا تختلف عن الإنطباعات فى حالتها الأولى إلا من حيث درجة الوضوح . فالفكرة لا تختلف عن الإنطباع الذى أحدثها إلا أنها تكون أقل وضوحا وأبهت لونا [٦٦] .

ويرى هيوم أن العقيدة الدينية هى فرع من الغرائز (وليست غريزة أصلية) لتعدد شكل الديانات [٦٧] ، شأنها فى ذلك شأن الفضائل الأخلاقية كالعدالة والوفاء بالعهود وما إلى ذلك . وأن العقيدة مستمدة من العواطف الفطرية للإنسان . **وكان يرى وجود " الله " لا خلاف عليه ، ولكن المشكلة لديه هو مدى ما يعلمه الإنسان عن طبيعة الله وخصائصة** . وكان يقول بأنه يمكن أن نهتدى إلى خصائص الله مستنتجة من خصائص الإنسان ، لوجود تشابه بينهما ، وعندئذ يكون الفرق فى الجانبين فى الكم وحده لا الكيف .

وعلى هذا الأساس ينكر هيوم موقف الملحد إنكارا تاما ، ذلك إذا ما أريد بالإلحاد الشك العقلى في وجود " الله " ، لأن " الوجود الإلهى " ، كان يراه أمرا ناشئا عن الوجدانات الفطرية ، ولا شأن للتفكير العقلى به . وفي نفس الوقت كان يرفض هيوم أن يرتمى فى أحضان الإيمان الساذج ، ما دام العقل لا يستطيع أن يهدى الإنسان إلى شيء يطمئن إليه . .

وكان يقول بأن الأساس الذى تقوم عليه صدق الديانة المسيحية أضعف وأوهى من الأساس الذى تقوم عليه صدق ما تدلنا عليه الحواس . فمعجزات المسيح مروية عن شهود أقدمين ليسوا ثقات ، هذا إلى جانب جهلهم ، لذلك فإن إحتمالات خداعهم ـ من جانب المسيح ـــ تكون أكثر ترجيحا من حدوث المعجزة نفسها أمامهم [٦٨] .

---

[٦٥] لم يقدم لنا هيوم شيئا يذكر عن هذه المبادىء ...!!! التى يمكن أن تلقى الضوء على طبيعة الإنسان وماهيته . فلم يتجاوز فكره ترديد كلمات صياغية مختلفة لا تقدم ولا تؤخر ..!!! مثل : إنطباعات ... رد فعل ... أفكار ... ألخ .

[٦٦] " **نوابغ الفكر الغربى (٧) : ديفيد هيوم** " ؛ د. زكى نجيب محمود ، دار المعارف . ص : ٩٨ / ١١٤ .

[٦٧] راجع الفصل الثانى (الدين وظاهرة التعدد) . راجع كذلك صفحة (٦٠) لرأى **هيوم** عن وجود " الله " .

[٦٨] المرجع السابق ؛ ص : ١٦٢ / ١٧٠ .

٣. ٤. ٣. فلسفة التنوير (The Enlightenment) :

وهى فلسفة توجه إهتمامها إلى المعرفة العلميـة وإكتشـاف القوانيـن التـى تحـدد سـلوك الإنسـان . وقالوا بأن حقل العلوم التجريبية بمكن تطويره ليشمل العلـوم الإنسـانية بغيـة إصـلاح المجتمـع ، حيث إعتقدوا أن فى إصـلاح المجتمـع سـعادة للفـرد . وكـان مـن بيـن برامـج الإصـلاح لديهـم ، الإصـلاح الدينـى (Religious Reform) ، كمـا حـاولوا فصـل الأخـلاق عـن اللاهـوت والميتافيزيقا . واعتبروا التطبيقات الكنسية خاطئة وقالوا بإصلاحها ، كما إعتقدوا فـى أن الديانـة الطبيعية (Natural Religion) هى الديانة الصحيحة ، وهى تعنى العبادة البسيطة لله [٦٩] .
وتنقسم فلسفة التنوير إلى قسمين أساسين : هى **الفلسفة الرومانسية** التى تؤكد على دور الشـعور فى المعرفة ، **والفلسفة النفعية** التى تقول بأن الأعمال تكون صالحة متى كـانت نافعـة . وسـوف نعطى شرحا موجزا لكل منهما وأهم فلاسفتها فيما يلى .

[١] الفلسفة الرومانسية (Romanticism) :

وتنسب هذه الفلسفة إلى **جان جاك روسو** : Jean - Jacques Rousseau (١٧١٢ – ١٧٧٨) . وتقول هذه الفلسفة بالحرية والمساواة ، وبأن الإنسان يولـد حـرا غيـر أنـه فـى كـل مكـان مقيـد بسلاسل . والإنسان بطبيعته فاضل غير أن المدنية تسـبب عـدم مسـاواته ، والمجتمـع ومؤسسـاته تجعله سينا . وفـى كتابـه " **العقد الإجتمـاعى** : Social Contract " دعـى إلـى الديموقراطيـة ، وإنكار حـق الملـوك الإلهـى . وقـال بـأن الأفـراد أحـرار فـى دولـة الطبيعـة ، وكيـف أن النظـام الإجتماعى قد قضى على حرية الإنسان البدائى . أما فى كتابه " **الأميل** : Emile " فقد بحث فيه روسو التربية طبقا لمبادىء الطبيعة مما أثار سخط الكنيسة ، فاضطر إلى اللجوء إلى سويسرا هربا من الكنيسة .

ويعتقد روسو أن الشعور سابق للذكاء ، وما نشعر به بأنه صائب فهو صائب ، وما نشعر به بأنه خاطىء فهو خاطىء ، وهذه هى أسس المعرفة لدى روسو . كما كان يقول بأن أسـاس عواطفنـا التـى تولـد معنـا وتبقـى معنـا هـى " **حـب البقـاء** " . وأن هـذا الشـعور بدائـى وغريـزى ويسـبق الإنعكاس أو الإستجابة . ولذلك فإن شعور " **حب الذات** " عند الطفـل هـو الـذى ينبثـق منـه حـب الغير . والأخلاق تبنى على هذه المشـاعر الطبيعيـة . وأخلاقنـا فـى حياتنـا تعتمـد علـى غرائزنـا وشعورنا . كما وإن إمتداد حبنا الذاتى للغير يتحول إلـى فضيلـة ، والفضيلـة تجـد جذورهـا فـى قلب كل واحد منا .

---

[٦٩] " المرجع فى الفكر الفلسفى " دكتورة نوال الصراف ؛ دار الفكر العربى . ص: ٢٠٠ .

[٢] **الفلسفة النفعية أو المنفعية (Utilitarianism) :**

يعتبر **جيرمى بنثام : Germey Bentham** (١٧٤٨ – ١٨٣٢) مؤسس هذه الفلسفة ، وهى تعرف أيضا **بالفلسفة البنثامية (Benthamism)** ، أو مبدا المنفعة لدى بنثام . وهو يعنى أن كل فعل يعتبر أخلاقيا مادام ينتج سعادة . كما وإن تحقيق أعظم الخير لأكبر عدد من الناس يجب أن يكون هدف السلوك البشرى .

ولتوضيح منهاج بنثام الفلسفى المبنى على المبدأ النفعى ، نشير إلى المثال الذى يضربه لنا فى شأن محاولته للإنتهاء إلى قرار حول أخذ إبن أخيه إلى السيرك ، أو أن يمضى أمسيته فى البيت مع كتاباته ؟

وفى هذا المثال يقول بنثام : إنه يعرف أن السيرك ممل بالنسبة له ، وهذا يسبب له ألم بقدر ٥ وحدات ، ومتعة أو سعادة بقدر ٢ وحدة (وحدتين) . بينما الذهاب إلى السيرك يعنى ١٠ وحدات سعادة بالنسبة إلى إبن أخيه ، فتكون النتيجة النهائية هى (٢ – ٥ + ١٠ =٧ وحدة متعة) . وبذلك يمكن أن يصل إلى أن قرار الذهاب إلى السيرك يكون قرارا صائب لأن نتيجته متعة أكثر .

وبديهى من السهل الحكم بعدم واقعية هذه الفلسفة ، لأنها تعتمد على وحدات لا يمكن قياسها أو تحديدها أو حتى تعريفها على نحو معقول . فمن منا يستطيع أن يقوم بتعريف وحدة للألم ، ووحدة للمتعة ...!!!

وإذا كان الذهاب إلى السيرك يسبب خمس وحدات ألم لدى " **بنثام** " . فقد يكون الذهاب إلى السيرك لدى شخص آخر غير بنثام ، يوازى مائة وحدة متعة بدلا من الخمس وحدات ألم هذه ..!! فبديهى إن مثل هذه الوحدات لا يمكن تعريفها من جانب ، كما وإنها نسبية من جانب اخر ، إذ تتوقف هذه الوحدات على الفرد ذاته وعلى إتجاهاته الفكرية ، وبالتالى فإن معيارها ـ أى معيار وحدات المتعة والألم ـ هو معيار غير مطلق ...!!!

وهذه الفلسفة تشبه إلى حد بعيد القول بأن " **الأخلاق تخضع لمعايير المنفعه الفردية** " . وقد سبق ، وأن بينا فى الفصل الثانى ، بأن القانون النفعى السائد فى عالم الجريمة هو " اللاأخلاق أو عدم التقيد بالأخلاق " هى المعايير النفعية التى تحكم هذا العالم . فمثل هذه الأمور هى أمور نسبية بحته إلى حد بعيد .

وفلسفة بنثام فى السياسة والقانون ما هى إلا تطبيق لمبدئه الفلسفى وهو أن السعادة العامة ومصلحة المجتمع عموما ؛ هى نتيجة منفعية حسابية لمجموعة المتع والالام الفردية . وبهذا لم تقدم هذه الفلسفة شيئا عن الإنسان أو عن الدين أو عن الإله .

٣. ٤. ٤. الفلسفة الكانطية (Kantianism) :

وهى الفلسفة التى تقول بأن المعرفة تنبع من مصدرين ؛ هما الفهم (Understanding) ويمثل التفكير الميتافيزيقى ، والحس (Sensibility) أو الواقع (Actuality) ويمثل التفكير العلمى . وبالجمع ـ فقط ـ بين التفكيرين الميتافيزيقى والعلمى ، يمكن الحصول على المعرفة المتكاملة . وتنسب هذه الفلسفة إلى مؤسسها **عمانويل كانط Immanuel Kant** (١٧٢٤ – ١٨٠٤) . ويقول كانط بأن المعرفة الميتافيزيقية يمكن الحصول عليها بواسطة ما يسمية بالسلفية أو السبقية (A priory) أو البرهان الأولى المجرد ، أو البرهان القبلى . بينما يمكن الحصول على المعرفة العلمية بواسطة البرهان الحسى الواقعى ، وهو برهان لاحق (A posteriory) . ويقول بأن الوعى يفكر والحس يعطى موضوع الفكر ، فالمعرفتان متداخلتان ووحدتهما تعطينا المعرفة المتكاملة . وهكذا تميزت فلسفة **كانط** بالجمع بين الفلسفتين العقلية والحسية أو التفكيرين الميتافيزيقى والعلمى .

٣. ٤. ٥. الفلسفة المثالية : Idealism (أو الفلسفة الهيجيلية : Hegelianism)

وتتميز الفلسفة المثالية بمنهجها الذى يفسر الحقيقة بالروح أو العقل مستندا إلى مبادىء ميتافيزيقية . ونواة هذا المنهج يرجع إلى أفلاطون ، الذى كان يؤكد على أن العقل هو مصدر الحقيقة المطلقة . وقد عرفت فلسفة أفلاطون نوعين من الوجود ؛ العالم الطبيعى ، أو عالم الظواهر أو الظاهرات (**The Phenomenal World**) وهو العالم الذى يعرف من الحواس والتجارب ، والعالم الحقيقى (**The Real World**) وهو العالم المثالى الذى يعرف من خلال العقل . وفى العصور الحديثة ظهرت الفلسفة المثالية بوضوح وتطورت أثر الفلسفة الكانطية ، كما سبق وأن بينا ، حيث أعطى كانط فى فلسفته إهتماما لكلا من التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى على حد سواء .

ثم جاء الفيلسوف الألمانى ؛ **جورج ويلهلم فردريك هيجل : George Wilhelm Friedrich Hegel** (١٧٧٠ – ١٨٣١) (أهم فلاسفة الألمان وأعظم فلاسفة الغرب [٧٠]) ، ليتبنى الفلسفة المثالية ، وكان هدف هيجل هو البحث عن الحقيقة المطلقة ، وهى ليست الحقيقة التى تبحث عنها العلوم الطبيعية . ويقول هيجل ، بأن المعرفة تكمن فى ذاتنا ووعينا ، وهى معيارنا . ففى داخل وعينا تبدو ماهية الحقيقة ومعيارها والتى نقيس بها معرفتنا . إن إختبارنا لمعرفة الحقيقة يتكون

---

[٧٠] ولد هيجل فى شتوتجارت (Stuttgart) بألمانيا ، والتحق بجامعة تيوبجين (Tubigen) ، وعندما تخرج منها عام ١٧٩٣ ، بينت شهادته حسن سلوكه ومعرفته الجيدة باللاهوت مع الإشارة إلى عدم مقدرته على إستيعاب الفلسفة . وعكس شهادته التى تخرج بها من الجامعة أصبح هيجل أعظم فلاسفة الغرب .

من مدى **مطابقة الفكر** : للشيء أو الوجود [71] . فالوعي هو وعي لذاته من ناحية ، ووعي للشيء من ناحية أخرى ، وبما أن الإثنين ينتميان إلى الوعي ذاته ، فإن الوعي هو الذى يقرر إن كانت معرفتنا بالشيء تطابق الشيء ذاته . وبذلك تصبح الحقيقة هي الحقيقة التي تظهر للوعي . وكان يقول هيجل بأن العالم الملاحظ تنبثق حقيقته عن قوة خارقة أو منبع روحي متعال (**Transcendental**) [72] .

ويستنبط هيجل قانونا كليا للوجود يقول فيه بأن " كل شيء يوجد ويتم في إطار عملية التطور لروح العالم فى صورة الأضداد ، وكل شيء يعتبر " لحظة " فى هذه العملية ، وكل الأضداد تتقابل فى شيء شامل لها ؛ وفى هذا الشيء الشامل ترتفع (أو تجتمع) تلك الأضداد مرة أخرى [73] " . وبهذا ينتهى هيجل إلى **الجدل الثلاثى** الذى يأخذ صورة : (١) **الدعوى** : وهى فكرة الوجود ، **(٢) نقيض الدعوى** : وهى فكرة العدم ؛ (٣) **والجامع للدعوى ونقيضة** : هى فكرة الصيرورة .

وقد إلتقط كارل ماركس هذه الثلاثية ـ فيما بعد ـ وقال بأن الدعوى هى المجتمع الرأس مالى ، ونقيض الدعوى هى طبقة البروليتاريا (Proletariate) أى طبقة العمال أو الكادحين ، أما الصيرورة أو المركب الجامع للدعوى ونقيضة فهو المجتمع الشيوعى اللاطبقى [74] .

٣. ٤. ٦. الفلسفة المادية (Materialism) :

وهى فلسفة واقعية لا ميتافيزيقية ، نشأت كرد فعل أو ثورة على الفلسفة المثالية ، أو الفلسفة الهيجلية ، وهى تنظر إلى الوجود والإنسان نظرة واقعية لا تأملية أو روحية . وتعتبر المادة

---

[71] لقد أدرك هيجل بهذا فطرية المعرفة فى العقل البشرى ، كما جاء بها القرآن المجيد ، أنظر الملحق الثالث من هذا الكتاب ، حول قصة خلق الإنسان .

[72] بديهى أن هيجل يعنى بهذا وجود " الله " أو " الخالق " سبحانه وتعالى . وأن هذا الخالق ، هو مصدر وأصل كل معرفة عند الإنسان . وبديهى لم يتجاوز هذا الفكر الأربع كلمات التالية من القرآن المجيد ؛ كما جاء فى قوله تعالى : (... **وعلم أدم الأسماء كلها** ...) . أنظر كذلك الملحق الثالث من هذا الكتاب (حول قصة خلق الإنسان ، والنظرية الدارونية) .

[73] لم يتجاوز هذا الفكر التعبير الحسابى البسيط : ١ + (-١) = صفر . فالواحد الأول (١) فى هذه المعادلة هو الوجود ، و الحد الثانى (-١) هو النقيض ، والصفر فى الطرف الشمال من المعادلة (= صفر) هو الصيرورة .

[74] أنظر التذييل السابق لبيان نفس المعنى . فالواحد هو المجتمع الرأسمالى ، و (-١) هو نقيضة أى مجتمع الكادحين (البروليتاريا) ، والصفر هو المجتمع الشيوعى أى المجتمع اللاطبقى .

أساس المعرفة ، وأن مظاهر الوجود على إختلاف أنواعها تعتبر تطورا متصلا لقوى مادية [٧٥] ، وكل ما هو عقلى يتطور عما هو مادى ، ولا بد وأن يفسر على أساس واقعى . وأهم فلاسفة هذه الفلسفة المادية هو **كارل ماركس : Karl Marx** (١٨١٨ – ١٨٨٣) .

ومن أمثلة الفلسفة المادية : **الفلسفة الماركسية : Marxism** ، أو **الفلسفة المادية الجدلية : Dialectical Materialism** . ثم إنقسمت الماركسية فيما بعد إلى **إشتراكية : Socialist** ، **وشيوعية : Communism** .

وترجع جذور الفلسفة المادية الماركسية - فى الواقع - إلى بعض الفلاسفة المتطرفين من الجناح اليسارى الهيجيلى الذين لم يهتموا بتفسير هيجل المثالى ، بل إهتموا فقط باستعمال بعض أفكاره ليحولوا المثالية الميتافيزيقية إلى فلسفة مادية . ومن أمثلة هؤلاء الفلاسفة نذكر **فيارباخ : Feuerbach** (١٨٠٤ – ١٨٧٢) ، **وأرنولد روج : Arnold Ruge** (١٨٠٢ – ١٨٨٠) .

وقد هاجم كارل ماركس الفلسفات المثالية غير الواقعية ، وإتهمها بأنها فلسفات لا تغنى ولا تسمن من جوع . ووصف أصحابها بأنهم فئة من الفلاسفة لم تستطع تغيير الواقع وإصلاحه ، فوضعت أحلامها وأمانيها فى هذه الفلسفات . وقال ماركس : " **لقد إقتصر الفلاسفة على تفسير العالم فى أنحاء شتى ، ولكن المهمة الحقيقية للفيلسوف هى تغيير هذا العالم** " . ويتضح من هذا أن ماركس كان ثوريا أكثر منه فيلسوفا ، فالفلسفة لديه ليست إلا وسيلة لإتجاهاته السياسية .
وكان ماركس يهدف من هذا الهجوم إلى نقد الأوضاع الإجتماعية والسياسية السائدة فى وقته ، بإعتبار أن نقد الفلسفة القائمة هى طريقة غير مباشرة لنقد الواقع . وطالب ماركس بأن تكون الفلسفة تعبيرا عن مشكلات الناس والامهم كما تظهر فى الصراع بين القوى المستغلة وقوى الشعب العاملة ، أى تعبر الفلسفة عن العمل والحياة التى يعيشها الإنسان والمشكلات التى يتعرض لها . **وهاجم كارل ماركس الدين ، وإتهمه بأنه : " أفيون الشعوب "** .

وإنتهى ماركس إلى نظريته التى تقول : بأن المجتمع البشرى يتطور بسلسلة من التناقضات (متأثرا فى ذلك بالفلسفة الهيجلية على النحو السابق بيانه) وقال بأن المجتمع الرأسمالى (أى الدعوى : **Thesis**) ، يحدث نقيضة (أى نقيض الدعوى : **Antethesis**) وهو (البروليتاريا :

[٧٥] لاحظ القفزة الواسعة فى هذا الفكر ، والذى بدأ من وجود الكون وماديته والإنسان بشكلهما الراهن . وتعامى هذا الفكر عما هو سابق على هذا ...!!! فقد أغفل هذا الفكر الموجد لهذا الكون ، والموجد لمادته ، والموجد للقوانين المادية التى تحكمه ، كما أغفل الموجد لهذا الإنسان بوعيه وعقله وإدراكاته وإرادته ، والموجد للجانب الروحى فيه ... والموجد للعقل الإنسانى والمقرر بتطوره ...!!! كما أغفل أيضا عددا لانهائيا من الأمثلة التى تركت مفتوحة وبلا أجوبة فى هذه الفلسفة . ففى الواقع ؛ هى تمثل فلسفة سطحية ومتهافتة . ولكننا نكاد نسمع هؤلاء الفلاسفة يقولون إن البدائل الدينية لدينا ، هى المسيحية على النحو السابق صياغته فى الباب السابق ...!!! وهذا مالا يمكن إحتماله ...!!!

Proletariat) ـ وهى طبقة العمال أو الكادحين ـ التى تنقض هذه بدورها إلى تقويض الرأسمالية [٧٦] . ثم تنتهى الدعوى ونقيضها بالمركب الجامع لهما وهو المجتمع الشيوعى اللاطبقى . **وهذا ما يعرف بالفلسفة الماركسية أو الفلسفة الجدلية المادية** ، وقد إنقسمت فيما بعد إلى : الإشتراكية والشيوعية .

فالإشتراكية (Socialism) : فى الفلسفة الماركسية ، هى المرحلة الإنتقالية بين الرأسمالية والشيوعية . حيث توزع فيها السلع والرواتب توزيعا غير متكافىء وفقا لعمل الفرد . وفى هذا النظام ـ الإجتماعى ـ تختفى الملكية الشخصية ، وتمتلك الدولة فيه وسائل الإنتاج وتهيمن عليه .
أما الشيوعية (Communism) : فهى تعتبر المرحلة الأخيرة من مراحل تطور المجتمع فى النظرية الماركسية ، حيث تضمحل فيها الدولة ، وتوزع السلع الإقتصادية توزيعا متساويا . ويعلن أصحاب هذا المذهب عن سعيهم لإقامة مجتمع بلا دولة . والشيوعية تدعو إلى إلغاء الملكية الخاصة ، وإحلال الملكية الجماعية محلها .
أما الشيوعية الروسية ؛ فهو مذهب مبنى على أساس الإشتراكية الماركسية ، وعلى أساس الماركسية اللينينية ، وهذا المذهب يمثل الأيديولوجية الرسمية للإتحاد السوفيتى سابقا . وفيه يسيطر بموجبه حزب واحد على وسائل الإنتاج المملوكة من قبل الدولة . **وعندما إنهار هذا النظام تبين بأن أعضاء الحزب الواحد قد نهبوا كل شىء ، ولم يتركوا للشعب شيئا .**

[**ملحوظة :** لا أحد يعرف بالضبط كم عدد القتلى الذين قتلهم ستالين (١٨٧٩ – ١٩٥٣) إبان فترة حكمة للإتحاد السوفيتى ، ولكن الذى لا خلاف عليه هو أن عدد القتلى يقربون من عشرين مليونا . ويعتبر ستالين ــ دكتاتور الإتحاد السوفيتى سابقا ــ (وأسمه الأصلى يوسف فيسرابوفتش جوجا شفيلى) أحد أئمة الحزب الشيوعى ، وإليه يرجع الفضل فى نشر الشيوعية الدولية . وهو يعتبر أيضا أحد العبقريات الشريرة فى التاريخ لحجم الجرائم الهائل التى إرتكبها فى حق الشعب السوفيتى . وكما هو معروف ، أنه لا وجود للحرية الفردية أو الديمقراطية فى دستور الإتحاد السوفيتى سابقا] .

٣ . ٥ . *الفلسفة المعاصرة (Contemporary Philosophy)*

وتشمل الفلسفة المعاصرة ؛ الحركات الفلسفية الأوربية والأمريكية وتطورها من نهاية القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين وحتى وقتنا الحاضر . ففى الواقع ؛ بعد إنتشار الفلسفة المادية الماركسية كان هناك نداء بالعودة إلى الفلسفة الكانطية التى تقول بضرورة إعتبار التفكيرين الروحى والمادى معا . وقد أدى ذلك إلى ظهور **الحركة الكانطية الجديدة ، أو الفلسفة**

[٧٦] والتجربة البشرية التطبيقية ، تشير إلى خطأ هذه النظرية أو المنظور الماركسى ، فقد إنهار الإتحاد السوفيتى ، أحد تطبيقات الفلسفة الماركسية ، بينما المجتمع الرأسمالى مازال قائما كما هو .

الكانطية المحدثة (Neo-Kantian Philosophy) ، والتى تهدف إلى تجديد فكر كانط مع إدخال بعض التعديلات عليه للتوحيد بين التفكيرين الميتافيزيقى والعلمى أو التوحيد بين العقل الخالص والعقل العملى مع تجنب المبالغة فى التفكير النظرى أو التحيز للتفكير العلمى [٧٧] . ومن ممثلى هذه الحركة **هيرمان كوهين : Herman Cohen** (١٨٤٢ - ١٩١٨) ، و **هنرى بيرجسون : Henri Bergson** (١٨٥٩ - ١٩٤١) .

وقد إتجه كوهين مع آخرين معه ، أمثال **بول ناتروب : Paul Natrop** (١٨٥٤ - ١٩٢٤) ، إلى المدرسة الماربارغية (Marburg School) وأصبحوا من زعمائها . وهى المدرسة التى تقول بأن المعرفة هى " معرفة قبلية : A Prior " ، أو المعرفة السابقة [٧٨] ، وترفض نظرية معرفة الأشياء فى ذاتها ، ولا تعتقد أنه يوجد حقيقة غير تلك الحقيقة التى نعرفها بالفكر . وهذا ينطبق على معرفة الذات والشيء والله [٧٩] .

أما هنرى بيرجسون (وهو من أسرة يهودية قدمت إلى فرنسا) ، فقد تميزت فلسفتة بالثنائية التى تؤكد على ثنائية الروح والجسم ، وبمحاولة الجمع بينهما بطريق الفعل الإنسانى (Human Action) . وقيل (حسب وصيته التى أذاعتها زوجته عقب وفاته والمؤرخة فى ٢٨ فبراير ١٩٣٨) أنه تمنى لو أن قسيسا كاثوليكيا - وليس بروتستنتينيا - يسير فى جنازته ويصلى على جثمانه ، ولكنه لم يعتنق المسيحية خوفا من الإضطهاد [٨٠] .

وقد مهدت الفلسفة الكانطية الجديدة إلى ظهور الفلسفات المعاصرة ، وأهمها : فلسفة الظاهرات (Phenomenology) والفلسفة الوجودية (Existentialism) ، والفلسفة اللغوية (Linguistic Philosophy) والفلسفة الوضعية (Positivism) فى أوربا ؛ والفلسفة البراجماتية (Pragmatism) فى أمريكا .

---

[٧٧] لم يتجاوز هذا الفكر ، فكر الأفلاطونية المحدثة إلا بقليل . فالإنسان يدور فى فلك المعرفة العقلية ، أو المعرفة العلمية ، أو الجمع بينهما ؛ ولكن بظهورات مختلفة ، وفى كل مرة يعتقد الفيلسوف أنه يأتى بجديد ، وما هو بجديد !!

[٧٨] عودة مرة أخرى إلى الفكر الهيجلى ، والذى يدور حول المعرفة الفطرية ، والذى لم يتجاوز عن تفسير أربع كلمات فقط من القرآن المجيد فى قوله تعالى : (... **وعلم آدم الأسماء كلها** ...) . أنظر الملحق الثالث ـ من هذا الكتاب ـ حول قصة خلق الإنسان ، والنظرية الداروينية .

[٧٩] ولم تقدم هذه الفلسفة شيئا يذكر عن " الله " ، بإستثناء الفطرة ، أو الإدراك بوجوده .

[٨٠] " تاريخ الفلسفة الحديثة " يوسف كرم ، دار المعارف . ص : ٤٥٠ .

٣. ٥. ١. فلسفة الظاهرات (Phenomenology) :

وتنسب إلى **إدموند هسرل : Edmond Husserl** (١٨٥٩ – ١٩٣٨) ، وهو الذى أطلق هذا الإسم عليها [٨١] . ويحسب على هذه الفلسفة أيضا فرانز برينتانو : Franz Brentano (١٨٣٨ – ١٩١٧) الذى تأثر به هسرل ؛ كما كان لهسرل نفسه تلاميذ نابهون أبرزهم مارتن هيدجر (١٨٨٩ – ...) ، وماكس شلر (١٨٧٤ – ١٩٢٨) ونيقولاى هارتمان (١٨٨٢ – ...) .
وقد هدف هسرل إلى تأسيس فلسفة تبنى على أسس مطلقة (Absolute Foundations) . ويبدأ منهج هسرل بالمباشر (Immediate) ، ولكن ما هو المباشر ؟ إنه ليس العالم المحسوس كما عند التجريبيين والذى تبدأ فيه المعرفة بالتجربة ، كما إنه ليس بالعالم العقلى كما هو عند العقليين والذى تبدأ فيه المعرفة بالمسلمات . بل يبدأ هسرل بموضوع الوعى (Consciousness) المستقل ، فهو لا يهتم إلا بما يبدو للوعى . وهذا يؤدى إلى إعتبار العالم المحيط بنا ظاهرة وجود ، وليس عالما موجودا .

وبهذا نرى أن منهاج الظاهرات لا يأخذ بالفروض أو المسلمات بل يأخذ بالوعى . وبهذا تبدأ المعرفة فى هذه الفلسفة بـ " **الماهيات : The Essenceses** " بخصائصها الثابتة ، لا بالوجود . وبهذا المعنى يمكن تأسيس فلسفة لها نفس معنى العلوم والرياضيات . وليس مجرد فلسفة ذات أراء مسبقة لا مسوغ لها .
ويضع هسرل مبدأين أساسيين أحدهما سلبى والآخر إيجابى . المبدأ السلبى هو أنه " يجب التحرر من كل رأى سابق ، بإعتبار أن ما ليس متبرهنا ببرهان ضرورى فلا قيمة له " . أما المبدأ الإيجابى يقول بأنه " يجب الذهاب إلى ماهية الأشياء نفسها " ، أى إلى الأشياء الظاهرة فى الشعور ظهورا بينا ، مثل اللون الأزرق أو الأحمر أو الصوت ... وما إلى ذلك من ماهيات ثابته ومدركة بحدس خاص . وبهذا تأخذ هذه الفلسفة على عاتقها إعادة وصف الظواهر بكل دقة وترتبها بإحكام ، وخصوصا المعانى الأساسية فى العلوم ، بغية توضيحها وتعريفها .
ويقول هسرل إن فلسفة الظاهرات تختلف عن الفلسفة الديكارتية إلا أنها فى الوقت نفسه تعتبر إمتدادا لها ، إذ أنها تبعد عن كل ميتافيزيقى ساذج ، غير أنها لا تستبعد الميتافيزيقا نفسها . فيقول إن ديكارت كان فى حالة من الشك الكلى فى الوجود ، بينما نحن لا نرتاب فى الوجود ولا ننكر العالم الخارجى ... بل نطلب من العقل أن " **يضع بين قوسين** " الوجود الواقعى للأشياء

[٨١] ورد لفظ : " **الظاهرات** " ؛ عند الألمانى لمبرت فى كتابه " **الأورغانون الجديد** " (١٧٦٤) للدلالة على نظرية الظواهر الأساسية للمعرفة التجريبية ؛ وعند كانط للدلالة على نفس المعنى ولكن فى حدود أضيق فى كتابة "**ميتافيزيقا الطبيعة** " (١٧٨٦) ؛ وعند **هيجل** فى " **فينومنولوجيا الروح** " (١٨٠٧) للدلالة على المراحل التى يمر بها الإنسان حتى يصل إلى الشعور بالروح ؛ وعند **هاملتون** فى " **دروس فى الميتافيزيقا** " (١٨٥٨) للدلالة على فرع من " **علم الفكر** " وهو الذى يلاحظ مختلف الظواهر الفكرية ويعممها . [عن " تاريخ الفلسفة الحديثة " ، يوسف كرم ، دار المعارف . ص : ٤٦١]

بصفة مؤقته ، حتى يتاح لنا تناول الموضوع برينا من كل واسطة مشوهة للحقيقة ، وبالتالى يمكن أن ننظر فيه بنظرة صافية خالية من الشوائب ، وبذلك يمكن حصر الخصائص الجوهرية لهذه الأشياء .

ويقول هسرل أنه بعد الإنتهاء من عملية التجريد أو الإختزال للصفات الظاهرية ، فإننا نصل إلى الأنا المفكر (The Transcendental Ego) أو الشعور النقى (The Pure Consciousness) ، الذى يبقى فى الوجود حتى وإن تهدم العالم كله . وبهذا نرى أن فلسفة الظاهرات لم تتجاوز فى فكرها إدراك الفطرة [٨٢] .

ولنترك فلاسفة الظاهرات ليقوموا بإعادة توصيف الظواهر وتصنيفها وتدقيقها لنا [٨٣] .... ثم يقومون بإعادة كتابة ما نملك ، فهم يبدأون بما نملك (من علم) ... وبديهى سوف ينتهون إلى ما نملك (من علم) ...!!! وهم لا يدركون أنهم لا يتقدمون بنا ولا بالعلم ، حتى خطوة واحدة للأمام ...!!!

٣. ٥. ٢. **الفلسفة الوجودية** (Existentialism) :

ترجع جذور هذه الفلسفة إلى **سورين كيركيجارد** : **Soren Kierkegard** (١٨١٣ – ١٨٥٥) ، وهو فيلسوف ولاهوتى دانمركى فقد الثقة بالكنيسة فهجرها كما هجر الجامعة ، وقال بأن **المسيحية عثرة** (**Offense**) **أمام العقل** ، ونحن لا نستطيع الإحاطة بها إلا بفعل للإرادة يتخطى العقل ، وتلك هى قفزة الإيمان . ونقد هذا الفيلسوف مبدأ الظاهرات ، وأسس فلسفته التى تعتبر أساس الوجودية ، والتى تقول بأن " **الوجود هو الذى يسبق الماهية** : **Existence precedes essence** " ، وليس " **الماهية هى التى تسبق الوجود** : **Essence preceds existence** " [٨٤] ، كما تقول بهذا فلسفة الظاهرات ، ومن هنا جاء إسم **الوجودية** .

ثم يأتى بعد كيركيجارد ، **كارل يسبرز** : **Karl Jaspers** (١٨٨٣ – ١٩٦٩) الذى يعتبر مهندس الوجودية ، وأول من إستخدم مصطلح وجودى (**Existentialist**) . وقد إهتم يسبرز بتحليل نظرة الإنسان تجاه العالم ، والقرارت التى يأخذها إزاء المواقف التى لابد من مواجهتها

---

[٨٢] راجع الكلمات العشر السابقة التى قال بها القران المجيد فى بند ٣. السابق (ص : ٤٣٧ وما بعدها) .
[٨٣] من بعض ما ترك هسرل ؛ مجموعة من الملزمات المكتوبة تقارب (٤٥٠٠٠) صفحة ، وقد تم نقلها مع مكتبته إلى أرشيف هسرل فى جامعة لوفين فى بلجيكا (Louvin in Belgium) . [عن " **المرجع فى الفكر الفلسفى** " ، د. نوال الصراف الصايغ ، دار الفكر العربى ، ص : ٢٣٤]

[٨٤] أنظر التذييل رقم (٣٧) من هذا الفصل ؛ ص : ٤٤٠ ، لتعريف الماهية والوجود ، والأمثلة الدالة عليهما .

مثل الموت والشعور بالذنب والتغيير ... وفلسفته لا تعتبر ميتافيزيقيــة أو علميــة صرفــة بـل هــى وصف منظم للوجود الإنسانى من حيث الوعى والتجربة مع إهتمام بإنسان اليـوم . وتبـدو أهميـة التجربة فى منهاج يسبرز ، فى فلسفته عن الأخلاق ، فى أنهـا تركـز علـى القـوة الكامنـة لفرديـة الفرد الحرة وإختياره الحر .

ومن الفلاسفة الوجوديين كذلك **مارتين هيديجر : Martin Heidegger** (١٨٨٩ – ١٩٧٦) ، وهو أكثر الفلاسفة تمثيلا للفلسفة الوجودية فى ألمانيا . ومعرفة الوجود هى مشكلة الفلسفة لـدى هيديجر . فالحقيقة لديه هى إكتشاف الوجود . ولا يأخذ هيديجر بالمنهج العقلى أو المنهج الحســى بل بالوجود الكلى . فالمعرفة لديه ليست تجربة عقلية أو تجربة حسية بـل هـى معرفـة وجوديـة . وقال بأنه ليس هناك أنا (Ego) أو ماهية (Essence) كبدايـة للمعرفـة ، بـل هنـاك وجـود فـى العالم (Being-in-the-world) ، وقد سمى هذا الوجود فى العالم " ديزن : Dasein " .
ويقول هيديجر أن معرفة الإنسان للوجود يتمثـل بـالعلو (Transcendence) . ويمـيز هيديجـر بين خصــائص ثلاثـة للمعرفـة هـى : **الواقعيـة (Facticity)** ، **والوجوديـة (Existeniality)** **والفقدان (Fortfeiture)** . أما **الواقعية** فتقول بأن ليس فى الإمكان أن يكون هناك عالم بدونى أو أكون بدونه ، **والوجود** هو الوجود الذاتى الداخلى للإنسان ، أما **الفقدان** أو الخسران فهو حياة الإنسان مع الغير ومن أجل الغير وبذلك فهو فى حالة إغتراب مع نفسه .

ثم **جابريال مارسيل : Gabrial Marcel** (١٨٨٩ – ١٩٧٣) ، ويعتبر من المساهمين فى نشر الفلسفة الوجودية فى فرنسا . ويقول مارسيل بأن الوجود خالد وأبدى وغير مسـتهلك ، وأنـه فقـط عن طريق المشاركة بالوجود يمكن للإنسان أن يقهـر الوحـدة واليـأس . ففـى الوجـود نصـل إلـى إشباع لتجربـة الحـب والإبـداع . ويأسـف مارسـيل لأن العلاقـات الإجتماعيـة أصبحـت علاقـات تجريدية وإنتاجية يصبح الإنسان فيه " دور : Role " ، لا كـ " ذات حقيقيـة : Authentic Self " . فلم تعد العلاقات إنسانية بل أصبحت إنتقادية ، وبذلك أصبح الإنسان **مغتربا** لا عن ذاته فقط بل عن مجتمعه أيضـا ، لأن قيمتـه تتحـدد بمـدى نجـاح الـدور الـذى يقـوم بـه ومـدى تـأثيره علـى الآخرين .

ثم نأتى إلى أكثر الفلاسفة الوجوديين أهميـة وأكـثرهم تـأثيرا ، وهـو **جـان بـول سـارتر : Jean Paul Sarter** (١٩٠٥ – ١٩٨٠) . والوجود هو محور فلسفة سـارتر ، فـالوجود لديـه يسـبق الماهية ، وليس الماهية هى التى تسبق الوجود كما سبق وأن ذكرنا . ومتـى كـان الوجـود سـابقا على الماهية فلن يبق للإنسان شـىء يعيـن سـلوكه ويحـد مـن حريتـه . لهـذا فقـد قـرر سـارتر أن الإنسان حر تماما ، وهو الذى يصنع بنفسه هذه الحرية . فسـارتر خلافـا لكـانط لا يعتقـد بوجـود

سابق (A prior) بالأخلاق ، أى لا يوجد مبادىء أخلاقية أو أحكام قيمية بنفسها بل إننا نوجد قيمنا فى هذهّ الحياة . ولهذا كان الإنسان حرا كل الحرية فى كل ما يفعل ، لا يتقيد بأى شىء . كما قرر سارتر أن الإنسان هو الذى يختار بنفسه صفاته المميزة له بعد وجودة (ومن هنا جاء إسم **الوجودية** ، كما سبق وأن أشرنا) ، وبهذا إستبعد سارتر من دراسته البحث فى مسألة وجود " الله " تعالى ، واكتفى بدراسة الإنسان منذ وجوده فى الحياة ، وجعل مصدر هذا الوجود مبنيا للمجهول [٨٥] . ولهذا نجد أن جهد سارتر قد تركز على ، أو هو فى أساسه هجوم واضح ضد " الميتافيزيقا " ، أى ضد كل بحث عن أصل الوجود . ولقد أصاب أحد الباحثين ، وهو " بدرو ديسكوبس : Pedro Descops " ، حين قال **أن مذهب سارتر قصد منه أن يكون دفاعا عن الإلحاد** [٨٦] .

والوجودية لا ترى أن بوسع الإنسان أن يجد معونة أو علامة على الأرض تهديه السبيل (لاحظ ـ هنا ـ اليأس الواضح من الفكر الدينى المتاح له ، وهو اليهودية والمسيحية ، وإنه لا جدوى منهما) . لأنها ترى أن الإنسان يفسر الأشياء بنفسه كما يشاء ، وإنه محكوم عليه فى كل لحظة أن يخترع الإنسان . فما الإنسان " **إلا ما يصنع نفسه وما يريد نفسه وما يتصور نفسه بعد الوجود** [٨٧] " . ولهذا يظن سارتر إنه ينقذ حرية الإنسان من الجبرية . وهو لهذا يصف مذهبه ، أى " **الوجودية بأنها مذهب تفاؤل لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه** " فتجعل حياة الإنسان ممكنة [٨٨] " .

كما يعنى سارتر بفكرته عن " **النبذ** " أنه ليس هناك ثمة " **رب** " وضع قيما أو مثلا عليا للبشرية على الإنسان أن يسعى إلى بلوغها ، وإنما على الإنسان أن يخترع قيمه الخاصة ، وهو يوجد وجودا أصيلا (Authentic) بمقدار ما يسعى إلى تحقيق قيمه الخاصة . ولكن ليس كما قال ديستوفسكى ، إذا لم يكن هناك رب فكل شىء مباح للإنسان . ففكرة المسئولية لدى سارتر هى

---

[٨٥] يمكن هنا ملاحظة القفزة الهائلة فى هذا الفكر ، والذى بدأ بوجود الإنسان ، وتعامى هذا الفكر عن الموجد لهذا الإنسان ، والموجد لوعيه وعقله وإدراكه وإرادته . كما تعامى هذا الفكر عن الموجد للجانب الروحى للإنسان ... وعن الموجد والمقرر بتطور عقل الإنسان ... . كما أغفل هذا الفكر أيضا الموجد لهذا الكون ، والموجد للقوانين المادية التى تحكمه ... وكذا الموجد لعدد لانهائى من الأمثلة التى تركت مفتوحة وبلا أجوبة فى هذه الفلسفة . وبديهى تمثل هذه الفلسفة ، فلسفة سطحية ومتهافتة ، ولكننا نكاد نسمع هؤلاء الفلاسفة يقولون إن البدائل الدينية لدينا ، هى المسيحية على النحو السابق صياغتها فى الباب السابق ...!!! وهذا مالا يمكن إحتماله أو أن نطيقه ...!!!

[٨٦] " الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين " د. محمود رجب ، دار المعارف . ص : ١٤٣ .

[٨٧] ولا يعنى هذا الفكر إلا أن يكون الإنسان هو الذى خلق نفسه ...!!! كما يعنى أن الإنسان هو الذى سوف يحدد مصير نفسه بنفسه بعد هذا الوجود الأرضى ، أى بعد الموت ...!!! فيكفى أن يفكر الإنسان بأنه سوف يكون فى نعيم أبدى ـ بعد الموت ـ لأن يكون فى نعيم أبدى . وأعتقد إن فكر كهذا يجعل من صاحبه أقرب إلى الجنون أو البلاهة منه إلى العقل . فلا يمكن أن يكون فكر كهذا فلسفة على الإطلاق ...!!!

[٨٨] " تاريخ الفلسفة الحديثة " يوسف كرم ، دار المعارف . ص : ٤٥٧ .

التى تؤدى إلى ممارسة الضبط (أى ضبط النفس) والتحكم ، وكذلك مصدر الألم الذى مبعثة الإختيار . وعموما فإن رفض الأخلاق المتعارف عليها هى سمة يتسم بها الوجوديون جميعا ، بمن فيهم من بعض الوجوديين المسيحيين [٨٩] .

ويرى سارتر ، ومعه الوجوديون ، بأن الإنسان " ملقى به " أو مطروح فى " الهم " ، **فهو موجود يتسم بالهم والزمانية** ، وهو فى النهاية متروك للموت ، بحيث يتوقف إحساسة باللاتناهى عند حدود تناهيه الجذرى وهى موته . وبهذا يمكن أن نحكم على الوجود البشرى بأنه عبث بصفة أساسية . ولكن جون مكورى [٩٠] يقول ، بأنه لم يصل أحد من الوجوديين ، حتى أشدهم تطرفا ، فيما يبدو إلى نظرية عدمية أو عبث بشكل مطبق (وهو يقصد بذلك العبث النسبى) .

ثم تأتى " **اللحظة الحاسمة** " ـ كما يسميها بهذا هيديجر ـ لسارتر وهى " **لحظة مواجهة الموت** " ، **فيفزع ذلك الفيلسوف التائه الضال كأمثاله** ...!!! ونراه يتراجع عن كل فلسفاته ، ويطلب سارتر قبل موته من رفيقة حياته " سيمون دى بوفوار " أن تأتى له بقس ، ورغم دهشتها الشديدة ، واستنكارها لموقف سارتر إلا أنها جاءت له بالقس ...!!! ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ واعترف له سارتر بهزيمته أمام الموت ... أملا فى النجاة ... !!! ولكن أى نجاة هذه ...!!!

٣. ٥. ٣. الفلسفة اللغوية (Linguistic Philosophy) :

ومؤسسها **لودفيج فيتجنشتاين : Luddwig Wittgenstein** (١٨٨٩ – ١٩٥١) ، وتتمثل أهم مبادئها فى أن الفلسفة عبارة عن نشاط (Activity) وليس محتوى حقيقيا ، بل أن إهتمامها هو إهتمام لغوى مبنى على مبدأ التحقق (Verifiability Principle) . فاللغة هى وسيلة معرفة العالم والأشياء الموجوده فيه ، وهذا يتطلب معرفة كيفية إستعمال الكلمة فى الجملة . والفلسفة هى مجرد تحليل لغوى . ويقول فيتجنشتاين أنه من الخطأ أن نتساءل عن معنى الكلمة ، بل يجب أن نعرف كيف نستعملها ؟ لذلك لا يجب أن نتساءل عن معنى مطرقة أو شاكوش أو منشار ... إلى اخره ، ولكن علينا أن نتساءل عن وظائف هذه الكلمات التى تختلف باختلاف الأداة . وهكذا أراد فيتجنشتاين أن يؤسس منهجا فى المعرفة عن طريق إستعمال اللغة ، بإعتبار أن اللغة هى عجلة الفكر . ويقول بأن هدف الفلسفة هى أن تضع كل شىء أمامنا ولا تفسره ، فمادام كل شىء واضح فهو لا يحتاج إلى شرح .

---

[٨٩] الوجودية " جون ماكورى ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح ، مراجعة د. فؤاد زكريا . دار الثقافة للنشر والتوزيع . ص : ٢٩٩ وما بعدها .
[٩٠] المرجع السابق ، ص : ٣١١ .

وقد أنكرت الفلسفة اللغوية كل بحث لا يستند على تفكير علمى ، ورفضت البحث فى المسائل الميتافيزيقية مثل الكون وقيم الإنسان ومبادئه الثابتة وأصله ومصيره ، وإعتبرت أن هذه قضايا غير ذات معنى مادام الإنسان ليس بإمكانه إيضاحها أو برهنتها .

ولقد تأثر فلاسفة أكسفورد بفلسفة فيتجنشتاين ومنهجه ، أمثال جلبرت رايل (Gilbert Ryle) ، وجون أوستين (John Austin) ونويل سميث (Nowell Smith) ، وكانوا قد إجتمعوا فى ندوة قرب باريس وجمعوا أعمالهم فى مجلد بعنوان " **الفلسفة التحليلية** " ، *وركزوا فيها على دور اللغة وأهمية التحليل اللغوى* . وكان إهتمامهم الرئيسى مركزا على الكلمات والنظم والعبارات ، والوظائف المختلفة لأنواع التعبيرات ، هادفين بذلك إلى تفحص اللغة كلغة لحل المشكلات الفلسفية .

٣. ٥. ٤. الفلسفة الوضعية المنطقية (Logical Positivism) :

يرجع مصطلح الوضعية (Positivism) إلى **أوجيست كونت : Auguste Comte** (١٧٩٨ – ١٨٥٧) [٩١] ، فى أثناء سعية لتأسيس علم الإجتماع كعلم مستقل وفصله عن الفلسفة . وهذه الفلسفة تهدف إلى تغيير الفكر الفلسفى من تفكير ميتافيزيقى إلى تفكير علمى متأثرة فى ذلك بالمنهج الحسى وفلاسفته أمثال بيكون ، وبيركلى ، ولوك ، وهيوم حيث تستند على التجربة الحسية . وأهم فلاسفة هذه الفلسفة هو الفيلسوف الإنجليزى ألفريد جولز أير : Alfred Jules Ayer (١٩١٠ – ...) . ونادى اير بالقضاء على التفكير الميتافيزيقى ، وقال بأن الفيلسوف الميتافيزيقى هو شاعر يتحدث بكلام فارغ . ولهذا نجد أير يعترض على المنهج الإستنباطى الذى هو من خصائص التفكير الميتافيزيقى لأنه يسند المعرفة إلى مبادىء أو فروض أولية لا تمدنا بالمعرفة الأكيدة . وقال أير بأن هذه المبادىء ما هى إلا فروض بحاجة إلى تبرير . وبذلك تصبح كل محاولة للمعرفة من خلال المنهاج الإستنباطى هى محاولة فاشلة . كما قال بأن أى فرض يجب أن يتلاءم مع تجربة ما ليستمد منها صحته ، لذلك يجب أن لا نستنتج الأحداث من المبادىء الأولية إستنباطيا (أى بالبراهين العقلية) بل إستقرائيا (أى بالتجربة) .

وقد أشار اير إلى أن ديفيد هيوم قال بأنه ليس هناك حادثة تشير إلى أخرى ، ولهذا إعتبر اير بأن الفرض الذى قال به ديكارت " أنا أفكر فأنا موجود : Cogeto ergo sum " هو فرض

---

[٩١] سبق التكلم عنه فى الفصل الأول ـ فقرة ١ ، بالتفصيل من هذا الكتاب .

خاطىء ، لأنه يمثل أحداثا مستقلة (بمعنى أن التفكير حدث مستقل ، والوجود حدث مستقل ولا علاقة بينهما) ، ولهذا " أنا أفكر " ليس من الضرورى أن يتبعها " أنا موجود " .

٣. ٥. ٥. الفلسفة البراجماتية (Pragmatism) :

البراجماتية مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية **Mpayua** وتعنى **action** أى فعل ، ومنها جاءت فلسفة البراجماتية أو **الفلسفة العملية أو الأدائية** . وتعتبر هذه الفلسفة أول إسهام فكرى أمريكى فى الفلسفة الغربية . وتسمى هذه الفلسفة أيضا باسم " **فلسفة الذرائع** " ، أى الفلسفة التى تتخذ من النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الأفكار الفلسفية ومدى صدقها .
والفلاسفة الثلاثة الذين أسسوا الفلسفة البراجماتية هم : **شارلز س. بيرس : Charles S. Peirce** (١٨٣٩ - ١٩١٤) ، وهو يعتبر مؤسس الفلسفة البراجماتية وواجد مصطلحها . ووليم جيمس : **William James** (١٨٤٢ - ١٩١٠) ، **وجون ديوى : Jhon Dewey** (١٨٥٩ - ١٩٥٢) .
والبراجماتية هى فلسفة معاصرة تتفق مع الماركسية فى أنها ربطت الفلسفة بالحياة والمجتمع وأرادت من الفلسفة أن تكون أداة لتغيير المجتمع . إلا أن الإختلاف بينهما هو أن الماركسية تمثل مجتمعا إشتراكيا يسعى إلى الشيوعية فى نهاية مراحلة ، بينما تمثل البراجماتية مجتمعا رأسماليا يسعى إلى المزيد من الرأسمالية .

ويوضح لنا بيرس - مؤسس البراجماتية - معناها : بأنها الإتجاه الذى يجعل من معرفة معنى القضية (أى قضية) هو معرفة ما يترتب عليها من آثار وسلوك (لاحظ التقارب الفكرى بين هذه الفلسفة وبين الفلسفة اللغوية . ففى الفلسفة اللغوية لا يتم البحث عن معنى الكلمات ، بل يتم البحث فى وظائف تلك الكلمات وما تؤديه من معنى) . فمثلا نحن نجهل حقيقة الكهرباء ، ولكن جهلنا يزول إذا ما عرفنا آثارها [٩٢] ، **أى ما تؤديه لنا من أغراض عملية ومنافع** (لاحظ مفهوم فكر الأداء والمنفعة هنا ، أى فكر الفلسفة الأدائية ، وهو إسم الفلسفة ذاتها) . وتبعا لذلك فإننا إذا أردنا أن نوضح أية فكرة من أفكارنا ، فما علينا سوى أن ننظر إلى الآثار العملية التى تتولد من هذه الفكرة ، والإحساسات المباشرة وغير المباشرة التى تترتب عليها ، وكذا ردود الأفعال التى يجب أن نعمل حسابا لها . وبهذا المعنى يكون معنى الفكرة هو تصور النتائج العملية المترتبة عليها .

---

[٩٢] **لاحظ هنا ، أنه بدلا من الإعتراف بالجهل ، قاموا بالتظاهر بالمعرفة .**

وقد رفض ديوى القول بأن هدف الفلسفة هو البحث عن الحقيقة المجردة بصرف النظر عن الزمان والمكان . بل رأى أن الفلسفة كالسياسة والأدب والفنون ، إحدى ظواهر الحضارة الإنسانية ، وتتصل إتصالا وثيقا بالتاريخ . فالفيلسوف ـ كالأديب والفنان والسياسى ـ يتأثر بمشكلات زمانه ، ويعبر عن التغييرات المتتابعة فى الحضارة ويهدف إلى وضع قيم جديدة . ولم يقتصر فكر ديوى بالربط بين الفلسفة والحضارة ، بل إنتهى فى أواخر أيامة ـ كما فعل افلاطون ـ إلى أن البحث فى الخير والقيم هو صميم الفلسفة .

هذا وقد إعتمدت البراجماتية فى تحديدها لوظيفة الفلسفة على كتاب وليم جيمس (مبادىء علم النفس) ، الذى حاول فيه أن يجعل المنهاج العلمى وسيلة لدراسة الموضوعات الإنسانية ، مما أدى إلى تغيير بعض المفاهيم (كالشعور والذكاء) ، والتى كانت تعرف تعريفا تأمليا مجردا . وعموما فقد إهتمت الفلسفة البراجماتية بالحقائق الواقعية العادية بدلا من الحقائق المجردة ، التى كانت تهتم بها الفلسفات القديمة . وإستخدمت المناهج التجريبية بدلا من المناهج التأملية . وبذلك جعلت الفلسفة كالعلم وسيلة للتوجيه فى عالمنا الذى نعيش فيه . وعلى الفلسفة أن تعمل على رقية وتحسينه وتجميله وتأمينه . وبديهى أن فكرا كهذا لن يقدم شيئا يذكر عن الإنسان ، وجوده ومصيره ، وكذا الغايات من خلقه . كما لن يقدم هذا الفكر أى تصور ممكن عن الله ...!!!

وإلى هنا ينتهى سرد الفكر الفلسفى منذ فجر الحضارة البشرية وحتى وقتنا الحاضر . وللنظر الآن عن ماذا قدمت هذه الفلسفات للإنسان من فكر ....

٤ . *ثم ماذا قدمت الفلسفة للفكر البشرى بعد آلاف السنين ...؟؟!!*

والان وبعد أن إستعرضنا هذا الفكر الفلسفى للإنسان على مر تاريخه وحضاراته ، أى منذ الفلسفة اليونانية القديمة وحتى الفلسفات المعاصرة ، ان لنا أن نسأل أنفسنا ، كما نسأل الفلاسفة أيضا بعد هذا العرض السابق ، السؤال التالى : وماذا قدمت لنا هذه الفلسفات من فكر إيجابى عن حقيقة وجود الإنسان والغايات من خلقه ، وكذا حقيقة وجود الله وصفاته ...؟؟!!!

فى الحقيقة ؛ وكما رأينا لم تؤد هذه الفلسفات أو هذه النظم الوضعية إلى معرفة ما عن وجود الإنسان حاضرا ومصيرا ، كما لم تؤد هذه الفلسفات إلى معرفة ما ... عن الغايات من خلق الإنسان ، كما لم تؤد إلى معرفة ما ... عن الله وعن كمالاته أو صفاته الإلهية المطلقة . هذا بإستثناء ما توصل إليه الفلاسفة من إدراك للفطرة أو المعرفة الفطرية ، وهى المعرفة التى ركبها الله فى الإنسان بنوعيها ، أى الفطرة عن الجانب الإنسانى (الأخلاق والقيم ...) والفطرة عن

الجانب الإلهى (أى إدراك وجود الله وما ينبغى أن تكون عليه كمالاته الإلهية) ، وهذه المعارف لا تحتاج لإدراكها إلى أى نوع من أنواع الفلسفة ، حيث أنها معارف فطرية لدى كل الناس .

فكما رأينا أن الفلسفة فى جميع العصور لم تعدو تحديد نظرية المعرفة (Epistemology) أو (Theory of Knowledge) عند الإنسان ، ولكن بتباينات شتى وظهورات مختلفة ، **أملا فى أن تقود نظرية المعرفة** هذه إلى معرفة وجود الإنسان ومصيره والغايات من خلقه . **وأملا فى أن تقود نظرية المعرفة** هذه ... الإنسان إلى معرفة شئ ما عن هذا الوجود والغايات من خلقه . **وأملا فى أن تقود نظرية المعرفة هذه** ... الإنسان إلى معرفة شئ ما عن " الله " خالق هذا الوجود وشئ ما عن صفات هذه الذات ...!!! وتتبدد أحلام الإنسان وأماله فى الوصول إلى معرفة أى شئ ...!!! لأن الإنسان لم يبدأ إلا بنفسه ... وبديهى لن ينته إلا بنفسه فى هذه الفلسفات ...!!!

وهكذا ... لقد فشلت الديانتان اليهودية والمسيحية فى إحتواء الفكر البشرى ، كما فشلت الفلسفات المختلفة فى تقديم البدائل للإنسان للتدين والإعتقاد . وهكذا إنتهى الأمر بالإنسان إلى إعتناق واحد من الإتجاهات أو المذاهب الفكرية التالية :

[١] **اللاأدرية (Agnosticism)** : وهو المذهب الذى يقول بأن إقامة الدليل أو البرهان على وجود الله مستحيل ، وإن لم ينف إمكانية وجود الله . وهناك تعريف اخر لهذا المذهب ؛ وهو الذى يقول بأن وجود الله وأصل الكون هى من الأمور التى لا سبيل إلى معرفتها ، أو من المستحيل معرفتها .

وربما كان هذا المذهب ، يمثل الإعتراف الصريح فى فشل الفلسفات فى الوصول إلى نتائج حاسمة أو حتى فكر معقول يمكن الإعتماد عليه فى البرهنة على وجود الله ، ومعرفة الغايات من خلق الإنسان . كما يبين هذا المذهب أيضا عدم قدرة الإنسان فى الخوض فى المسائل الدينية أو الإلهية بصفة عامة ، معتمدا فى ذلك على ذاته فقط .

[٢] **العلمانية (Secularism)** : وهو الإتجاه الفكرى الثانى ، وهو ـ فى الواقع ـ فكر متغير ، فمعناه يتغير مع الزمن ، فقد ظل على ما يزيد على قرن من الزمان يعرض بمفهوم شغل الفكر بمسائل العالم المادية فقط ، ثم تغير هذا المعنى بعد ذلك إلى الفكر المضاد للإيمان بالدين ، أو بمعنى أدق هو فكر يرفض التربية الدينية ، فى جميع المراحل التعليمية . حيث يرى هذا الفكر أن " **الله قد انسحب من هذا العالم ...!!!** "

[٣] الإلحاد (Atheism) : وهو الإتجاه الفكرى الثالث والأخير ، وهو مذهب لا يعتقد أتباعه فى وجود " الله " ، أو هم ينكرون الله على نحو مطلق .

وهذا هو منتهى الإنسان ... وهذا هو منتهى فكره ... بعد أن أوصدت الديانات الوثنية الطريق أمامه ، فى التعرف على نفسه والتعرف على خالقه ... وبعد أن فشلت الفلسفات الوضعية فى أن تحتويه ، أو أن تقوده إلى أى طريق للهداية ...!!!

لهذا كان التدخل الإلهى - من خلال الوحى - ضرورة تحتمها العلة الغائية من وجود وخلق الإنسان . وذلك ؛ حتى يستكمل الله - سبحانه وتعالى - جوانب نقص المعرفة لدى الإنسان ، فى الأمور التى لا يمكنه الخوض فيها ، معتمدا فى ذلك على ذاته وفكره فقط .

ونود هنا أن نؤكد على الاتى : فليس معنى أن الإنسان غير مؤهل لإستنتاج الأمور والمقاصد أو الغايات الإلهية ، أن يكون معنى هذا أنه غير مؤهل للحكم عليها وعلى مدى صحتها من الناحية المنطقية إذا ما عرضت عليه . لا ، ففى الواقع ، أن الحكم على صحة هذه الأمور ، قد قضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يضعها فى نطاق قدرة الإنسان . أى أن حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد قضت بأن تضع البراهين الدالة على صحة وصدق هذه الأمور فى حيز المنطق الفكرى أو الحيز العقلى للإنسان . أى فى حيز الملكات العادية التى يمتلكها الإنسان ؛ وإلا خرجت هذه الأمور كلها من مناط التكليف والإبتلاء (أى الإختبار) والمساءلة الإنسانية ، بل ويمكن أن تكون حجة لنا نقيمها يوم القيامة لتبرير عدم إهتدائنا إلى المعرفة الحقة عن الله - سبحانه وتعالى - وكذا الغايات من خلقنا . ولهذا نجد قوله تعالى :

[... لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما إكتسبت (٢٨٦)]
(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٨٦)

وقوله تعالى :

[ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون (٦٢)]
(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ٦٢)

وهو ما يؤكد أن جميع أمور الحكم على المقاصد الإلهية ، والغايات من خلق الإنسان فى متناول الحكم والقدرة الفكرية للإنسان .

٥ . ونظرات حول الفكر الفلسفى والفكر الإلهى ...

كما رأينا أن غاية فكر الفيلسوف الطفل كارل ماركس [٩٣] هو أن المجتمع البشرى يتطور بسلسلة من التناقضات ، بين الدعوى ونقيضها لينتهيا بالمركب الجامع لهما . لذا نجده يقول بأن المجتمع الرأسمالى (أى الدعوى : **Thesis**) ، يحدث نقيضة (أى نقيض الدعوى : **Antethesis**) وهو (البروليتاريا : **Proletariat**) - وهى طبقة العمال أو الكادحين - التى تنقض هذه بدورها إلى تقويض الرأسمالية . ثم تنتهى الدعوى ونقيضها بالمركب الجامع لهما وهو المجتمع الشيوعى اللاطبقى .

ولم يتجاوز فكر هذه الفلسفة ، عن فكر المعادلة الحسابية البسيطة : [١ + (-١) = صفرا] ، ليخلق لنا هذا الفيلسوف مجتمعا من اللصوص والأفاقين والسفاحين والقتلة [٩٤] ...!!! بينما نجد المولى عز وجل يقول لنا :

[... **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** (٨٥)] (القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٥)

وليس معنى هذا ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ أن علم الإنسان متناه ، بل أن المولى عز وجل يقرر لنا أن علمنا لامتناهى كما جاء فى قوله تعالى :

[... **وفوق كل ذى علم عليم** (٧٦)] (القران المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

و " **عليم** " ليس من أسماء الله الحسنى ، بل " **العليم** " هو الذى من أسماء الله الحسنى . والاية السابقة هى تعريف لـ " **لانهائية العلم بشكل مطلق** " أو بشكل فى غاية من الصراحة ، كما سبق وأن أشرنا إلى هذا من قبل . وهكذا يقرر الله - سبحانه وتعالى - باللامتناهى العلمى للإنسان ، كما يقرر بأن الإنسان حتى فى نهاية علمه لن يبلغ هذا اللامتناهى . وإن أدرك هذا اللامتناهى ، فلن يجد لديه إلا المتناهى ، أى القليل من العلم ، كما جاء فى قوله تعالى (... **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) . وليست هذه فلسفة أو عرض غامض لفلسفة مبهمة ؛ بل هى تعبير رياضى بسيط يجد أصله أى رياضى عادى فى مفهوم وطبيعة الدوال التقاربية .

[٩٣] راجع كارل ماركس فى الفلسفة المادية بند (٣. ٤. ٦.) .
[٩٤] كما سبق وأن ذكرنا ، فإن عدد القتلى الذين قتلهم ستالين (١٨٧٩ - ١٩٥٣) ، أحد أئمة الحزب الشيوعى ودكتاتور الإتحاد السوفيتى سابقا (وأسمه الأصلى يوسف فيسرابوفتش جوجا شفيلى) بلغ حوالى عشرين مليونا من المواطنين السوفيت . وكما هو معروف ، أنه لا وجود للحرية الفردية أو الديمقراطية فى دستور الشيوعية (أى الإتحاد السوفيتى سابقا) .

وهكذا تحمل كلمات الآيتين السابقتين (وهى إحدى عشر كلمة فقط) " **فكر القضية الغيبية الكاملة** " وهى : " **لانهائية العلم ومحدوديته فى نفس الوقت** " . ولكن الله ، سبحانه وتعالى ــ مع ذلك ــ يضع هذه القضية بالكامل فى حيز عالم الشهادة ، أى فى حيز العالم الفيزيانى المحسوس ، كما نرى هذا كله وندركه من واقع نحياه ، ليكون لنا فى هذه الكلمات السابقة ... التجربة ويكون لنا فى هذه الكلمات البرهان الكافى ... على صحة وصدق هذا الكتاب ، أى القران المجيد . ويكون الإنسان هو خير شاهد على هذا ... وعلى نفسه .

وقد يحتج الفلاسفة ... وقد يحتج الإنسان ... لأنه لا يرى ما نرى ... ولا يرى فى هذا دليلا كافيا ...!!! فنقول له حسنا ... أتريد دليلا آخرا ..؟! وإن كان هذا ليس مقامه ، فيقول نعم ، فنقول له إسمع ... إلى موعد يوم القيامة ... إحدى " **قمم القضايا الغيبية** " بالنسبة للإنسان ، والتى يضعها المولى عز وجل **بكاملها** فى عالم الشهادة أى فى عالم المحسوسات ... وليت الإنسان يدرك هذا ....!!! ولنسمع معا إلى قوله تعالى :

[... حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (٢٤)]

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٢٤)

[أمرنا : قضاؤنا بهلاك من عليها / حصيدا : مقطوعا ومقلوعا من أصله / كأن لم تغن : كأن لم تكن قائمة من قبل على الأرض]

جزء فقط من آية ... وليست آية كاملة ...!!! لا إله إلا الله ... وتعقد الدهشة لسانى عن الكلام عن هذا الإحكام ...!!! ففى قوله تعالى (... **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت** ...) يعنى بأن الإنسان سوف يصل إلى غاية التقدم العلمى والتكنولوجى على حد سواء ، أى سوف يصل الإنسان إلى قمة تقدم العلم النظرى والعلم التطبيقى على حد سواء ، كما ستصل الحضارة البشرية من الناحية العمرانية إلى أوجها ، أى إلى ذروتها على سطح هذا الكوكب ... كوكب الأرض ... وهذا هو الحادث فعلا ، فنحن نسير بخطى مسرعة فى هذا الإتجاه ...

ثم نأتى إلى قوله تعالى (.... **وظن أهلها أنهم قادرون عليها** ...) ، وأهلها هنا ، هم أهل الأرض ، أى البشرية جمعاء . وتعنى هذه الكلمات بأن الإنسان **سوف يقترب من** غاية أو ذروة التقدم العلمى ، وبهذا التقدم سوف يعتقد الإنسان ، **أو بمعنى أدق سوف يظن الإنسان** ، بأنه قد سيطر على هذا الكوكب ، كما سيطر على كل ظواهره ، حتى أصبح يعتقد أنه يتحكم فى حدوث هذه الظواهر . وبديهى إننا لن نقترب من هذا المعنى إلا بعد غاية التقدم العلمى ، وغاية التقدم

الحضارى على مر تواجد الإنسان على سطح الأرض ... ولكن هذا كله يدور فى فلك المتناهى أى القليل من العلم (... **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) .

والآن ؛ وجها لوجه مع اللامتناهى العلمى الذى ينتهى أو يؤول بالإنسان إلى المتناهى العلمى ، أو المحدود أو القليل ، لأننا بعد كل هذا التقدم فسوف ندرك ... أننا ما زلنا ذلك الإنسان العاجز الذى لم يدرك إلا القليل من العلم . وتبقى (.. **وظن أهلها** ..) ـ فى الاية السابقة ـ شهادة صدق على عدم إدراك الإنسان للقيم النهائية لهذا اللامتناهى على الرغم من قلته ، فمازال هناك قيم يمكن إدراكها ، ولكنها قيم صغيرة ولا ترضى غروره ...!!!

وهنا يقترب الإنسان إلى التناهى من هذا الوجود ... ولم يبق له حينئذ إلا ما يبقى ... وهكذا يصبح الوجود سجنا قد أغلقه الله على الإنسان ... وبهذا لم يعد هناك معنى لهذا التناهى ... وبهذا لم يعد هناك معنى حتى للأمل ، كما لم يعد هناك معنى لإبتلاء الإنسان أو إختباره فى حسن الأداء ... ولتنته القصة إذن ، قصة هذا الوجود الجزئى للإنسان من على سطح هذا الكوكب ـ كوكب الأرض ـ والتى تأتى بها الجزئية الثانية من الاية الكريمة السابقة ، فى قوله تعالى (... **أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ...) .

وقد يتنبه الغافل أو قد لا يتنبه إلى الدقة المتناهية فى قوله تعالى (... **أتاها أمرنا ليلا أو نهارا** ...) والتى تعنى بأن قضاء الله سيأتى بالخاتمة إلى الكرة الأرضية فى وقت واحد ... أى عندما يكون نصفها ليلا ... ونصفها الاخر نهارا ...!!! وينهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الآية الكريمة بقوله تعالى (... **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**) ، لعل الإنسان يتفكر فيما يسمع ويرى ...!!!

ولتتداخل الشبكات التلفزيونية ومحطات الإذاعة فى تلك اللحظات الأخيرة لوجود هذا الإنسان على سطح الأرض ، ولتتناقل الإذاعات المحلية والعالمية " **الأخبار** " الان ، لتعلن هذه اللحظات الأخيرة ... لحظات النهاية ... نهاية هذا الوجود الإنسانى أو الجنس البشرى [٩٥] . ويبين لنا المولى عز وجل هذا فى قوله تعالى :

[يومئذ تحدث أخبارها (٤) بأن ربك أوحى لها (٥)]

(القران المجيد : الزلزلة {٩٩} : ٤ – ٥)

---

[٩٥] جميع التفاصيل العلمية المذهلة وبدقة متناهية ، لتلك اللحظات الأخيرة للجنس البشرى على كوكب الأرض ، سوف تناقش بإذن الله فى كتابات تالية .

وهذه هي ... إحدى قمم " القضايا الغيبية " أي " قضية يوم القيامة " ووقتها يضعها المولى - عز وجل - بالكامل في عالم الشهادة (أي العالم المحسوس) ... وليعيد الفيلسوف - والعامة أمثالي - قراءة قوله تعالى :

[... حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (٢٤)]

(القران المجيد : يونس {١٠} : ٢٤)

لعلنا ندرك ما نسمع ونعي قليلا ما يقوله لنا الله في محكم تنزيله . فهل وعى الإنسان هذا ... وهل وعى الفلاسفة هذا ... أم مازالوا يلهثون وراء سراب إسمه نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا ، كما يحلو للعامة تسميتها ... وهم لم يتنبهوا أو يدركوا قوله تعالى (**... كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**) .

ثم يبين لنا المولى - عز وجل - بأن الماضي والحاضر سوف يتصبلان في تلك اللحظات الأخيرة لوجود الإنسان ... ليبدءا معا رحلة المستقبل ... **ليبدأ الله - سبحانه وتعالى - الفصل الثاني من السيناريو الإلهي ... لهذا الإمتداد الزماني والمكاني للكل ... أي لكل البشرية** ، ولكن بمفهوم أعم وأشمل من هذا الوجود القاصر وهذا التناهي الجزني ... لنبدأ معا لامتناهيا اخرا ...!!! كما في قوله تعالى :

[... وننشئكم في ما لا تعلمون (٦١) ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون (٦٢)]

(القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٥٨ – ٦٢)

فهذا هو غاية علم الإنسان ... إنها النشأة الأولى فحسب التي نحياها الان على سطح هذا الكوكب... كوكب الأرض . أأدرك الإنسان بعض معاني التطور العريض الذي يقول به المولى عز وجل ... ؟!!! إذا ما علم أن أحد صور تطور الإنسان - في الاخرة - هو ما جاء في قوله تعالى عن **أهل الجنة** :

[ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣)]

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٤٣)

ونزع غل ما فى الصدور هو نوع من تطور النفس البشرية ، وهذا ليس تطورا ماديا (وكما سنرى فى كتابات تالية أن الروح لا تتطور) .... أأدرك الإنسان إذن الفجوة بين ما جاء به القرآن المجيد ، وبين ما جاء به دارون من معانى [96] ؟

وهل أدرك الإنسان معنى قوله تعالى : (... **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) ، أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يمنحنا ، كما لم يمنح دارون إلا القليل من العلم ... ليستكمل لنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بطريقة مباشرة الكثير ...!!! وتذرف العين دمعة ألم ، تملؤها الحسرة على هذا الإنسان ... لتتناغم النفس مع النص الإلهى ، كما جاء فى قوله تعالى :

[يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون (٣٠)]
(القرآن المجيد : يس {٣٦} : ٣٠)

وتطول حيرة الإنسان ، وتقصر حياته ، ولكنه يصر على إساءة التقدير ، كما يصر على جهله واستكباره ، ولتعيد دورة الحياة (**The circle of life**) نفسها ، وليكرر الإنسان نفسه ، ليقول عنه المولى ـ عز وجل ـ اليوم ، كما قال عنه ـ سابقا ـ لرسوله الكريم ....

[كلا إنه (أى الإنسان) **كان لآياتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧) إنه فكر وقدر (١٨) فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف قدر (٢٠) ثم نظر (٢١) ثم عبس وبسر (٢٢) ثم أدبر واستكبر (٢٣) فقال إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) إن هذا إلا قول البشر (٢٥) سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقى ولا تذر (٢٨) لواحة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر (٣٠)]**

(القرآن المجيد : المدثر {٧٤} : ١٦ - ٢٤)

[فقتل كيف قدر : أى فلعن تقديره واستحق عليه الهلاك / عبس : قبض ما بين عينيه / بسر : كلح وجهه / أدبر : أعرض عن الإيمان / سحر يؤثر : سحر ينقله عن غيره / سأصليه سقر : سأورده جهنم ، **لأنه لم يحقق الغايات من خلقه**]

ولم يدرك بعد هذا الفيلسوف التائه قوله تعالى (**سأرهقه صعودا**) . كما لم يدرك قوله تعالى : (**عليها تسعة عشر** [97]) ، كما لم يدرك الفيلسوف نفسه ... **وحيرته** ... فى تلك الكلمات القابضة والحاكمة له ولسلوكه الحائر ...

---

[96] أنظر الملحق الثالث من هذا الكتاب لمزيد من التفاصيل عن نشأة الإنسان وتطوره .

[97] يمثل هذا الرقم واحد من أهم " **الأكواد الجينية : Genetic Codes** " فى القرآن المجيد . أنظر " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[إنه فكر وقدر ... فقتل كيف قدر ... ثم قتل كيف قدر ... ثم نظر ... ثم عبس وبسر ... ثم أدبر واستكبر] .

فهذه هى حقيقة الإنسان ...!!! ويقف الفيلسوف المشرك يغلفه العجز من كل جوانبه ، وتحيط بـه الحيرة من كل إتجاه ، يحك رأسه كالأبله ... ولا يدرى ماذا يفعل ...!!! ثم نراه يدبر ، أى يعطى ظهره لهذا الكتاب وينصرف عنه ، ويستكبر عن الإيمان به ...!!! ويصبح كمن :

[... خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (٣١)]
(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٣١)

أى خر من عال بين جبال صلدة ... لا نهاية لها ... ورياح قاسية ... صفيرها يصم أذنيه ... تتخطفة النسور والجوارح من كل جانب ، وتصبح الحياة لديه ذلك الكابوس الذى لا نهاية لـه ... ولن يعى ما يعى ... ولن يدرك ما يدرك ... حتى قوله تعالى :

[آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١)]
(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٣١)

ولابد لنا أن نشير هنا ؛ إلى أنه يكاد يكون من الغريب حقا أن تصل درجة الوضوح فى البراهين القرآنية إلى حد الإختفاء والتلاشى ، أى نفس سمة الوجود الإنسانى ذاته . لأنه قد يكون من الغريب حقا أن تصل درجة الوضوح الإنسانى إلى الحد الذى نقول معه بإختفاء البرهان الدال على وجوده ووجود خالقه . فبدلا من أن نقول أن وجود الإنسان لهو خير دليل أو خير شاهد على وجود الإله الخالق له ، أصبحنا نقول أن الوجود الإنسانى هو خير دليل وخير شاهد على عدم وجود الله ...!!! سبحانه وتعالى وهو الظاهر فوق كل ظهور ...

وهنا تصل درجة التماثل أو التطابق بين الوجود القرآنى وبين الوجود الإنسانى إلى الذروة فى التناهى . وهنا يصبح القرآن كائنا حيا ليس بمفهوم معانى كلماته المحكمة أو بمفهوم مفرداته الجزئية وتكاملها الوظيفى فحسب ، بل بمفهوم درجة وضوح الكينونة ذاتها أيضا . فالوضوح القرآنى هنا يصل إلى حد إنكار التنزيل الإلهى له ، تماما كما يصل درجة وضوح الوجود الإنسانى إلى حد إنكار الخالق له ... حتى وإن كان الوجود الفعلى لكليهما يتلألأ عرفانا بهذا الحق المطلق . وأعتقد أن هذا ليس فيه أى تجاوز لفظى أو أى غموض فلسفى ، بل هو واقع صدق يشهد على نفسه ، كما يشهد علينا نحن - بنى البشر - وقصورنا الفكرى وقصور ما إنتهينا إليه .

فكما رأينا ؛ إن الإنسان فى جميع فلسفاته ... إعتقد فى أن تحديد هوية أو توصيف نظرية المعرفة بدقة كافية سوف تقوذة إلى معرفة الحقيقة المطلقة عن وجودة وعن مصيره ، وكذا الغايات من خلقة ، وقد أخطأ الإنسان فى إعتقاده هذا . ونتيجة لهذا الإعتقاد فإننا نجد أن جميع الفلسفات لم تتجاوز فى معناها عن محاولة توصيف أو تعريف المعرفة ، وهل هى أصلها عقلى ، أم أن أصلها حسى أم أن أصلها مشترك ، أى الجمع ما بين العقل والحس . ولم يتنبه الإنسان ، سواء كانت المعرفة هذا أو ذاك ، فلا قيمة لما يعرف . فلا قيمة للإنسان أن يعرف أن أصل المعرفة هى بالعقل فقط ، أم إنها بالحواس فقط ، أو إنها تأتى بالجمع بينهما ، لأن هذا لن يؤدى به إلى معرفة حقيقته هو ... ومصيره هو ... وكذا الغايات من خلقه هو . فجميع هذه الأمور ليست أمورا ذاتية تنبع من داخل الإنسان ، بل هى أمور خارجية تأتى بالإخبار ـ الخارجى ـ المباشر والمستقل عن فكر الإنسان .

وهكذا لم يتنبه الفلاسفة إلى أنهم حتى إذا ما إنتهوا إلى توصيف **نظرية المعرفة بالدقة الكافية** ، فإن هذا لن يقودهم إلى تحديد هوية الإنسان والغايات من خلقه ، كما لن يقودهم هذا ، إلى فكر ما ... يذكر عن الله ....

فالإنسان فى كل فلسفاته كمن يحاول توصيف جميع الخطوات اللازمة لبرهان النظرية ... وحسنا ما فعل ...!!! ولكن أين هى النظرية ...؟؟؟!!!! فالإنسان لم يتنبه ـ إلى الآن ـ وبكل أسف ، إلى أنه ليس هناك ثمة علاقة ما ... بين تحديد جميع الخطوات اللازمة لبرهان النظرية (أى نظرية) وبين النظرية نفسها .

وأكاد أسمع الفلاسفة يقولون ؛ إنك بهذا تدفعنا دفعا لقبول مبدأ الوحى الإلهى القادم من السماء (أى القول بوجود النظرية) . وها أنت قد عرضت هذا الوحى فى الفصل السابق على هذا النحو الفكرى المتردى ...!!! فكيف لنا أن نقبل بمثل هذا التردى الفكرى على أنه وحى إلهى قادم من السماء ...!!! فأقول له ... ويحك ...!!! كأنك لم تدرك حتى الان ما تم كتابته عن الوحى الإلهى الحق الصادق والقادم من السماء ، الذى يقول الله عنه فى محكم تنزيله :

[لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤)]

(القران المجيد : الحشر {٥٩} : ٢١ - ٢٤)

فإلى متى يظل الإنسان مستغلق الفكر ، تحت دعوى أن التجربة المريرة التى مر بها على يد الديانتين اليهودية والمسيحية ، هى التى جعلته ينفر من الدين الحقيقى ، ومن التدين ، ومن الوحى الإلهى الصادق القادم من السماء [٩٨] ...!!! وإلى متى يظل الإنسان مستغلق الفكر تحت دعوى أن هذه التجربة الفاشلة هى التى جرت عليه كل أذيال الخيبة والفشل التى نراها عليه الان ، وهى التى جعلته لم يدرك الوحى الحقيقى القادم له من الله ...!!! فهل وعى الفلاسفة معنى الايات السابقة ومنها (... **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**) ، أم إنهم سيظلوا بلا تفكير وبلا منطق ، وبهذا ينطبق عليهم قوله تعالى :

[... وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ... (٤)]

(القرآن المجيد : المنافقون {٦٣} : ٤)

كأنهم خشب مسنده ... سبحان الله ...!! وهكذا يتردى الإنسان إلى درجة من الحضيض الفكرى تصل به إلى درجة الجماد ، أى أقل من درجة الحيوان . وينبهنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ جميعنا بقوله تعالى :

[ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٨٩)]

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٩)

ولا أدرى متى سيتنبه الإنسان إلى هذه المعانى .

فعلى الإنسان أن يتنبه ، بل ويعى أيضا أن القضية الدينية الحقة ليست قضية صراع بين أيديولوجيات (Idiologies) فكرية ، بل هى قضية وجود الإنسان ذاته ومصيره هو والحكمة من خلقه . فهو الرابح الوحيد إذا ما أدرك هذه المعانى ... لأن إدراكه لهذه المعانى هو الذى سوف يعطيه الفرصة الوحيدة ـ فى أثناء حياته الأرضية ـ لكى يحقق الغايات من خلقة . كما وإنه هو الخاسر الوحيد إذا لم يدرك هذه المعانى ... لأنه لن يحقق هذه الغايات ... التى خلق من أجلها ...!!!

وأود أن أشير ، **هنا وبعد أن قاربنا على الإنتهاء من هذا الكتاب** ، إلى أنه ؛ على الرغم من قبول هذا الكتاب " **للمسلمة الأساسية** " التى تقول بأن : " الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة "

[٩٨] أنظر المرجع السابق ، لمعرفة معنى السماوات .

وما يتبع ذلك من أن يكون " القرآن المجيد هو وحـي إلهـي صـادق وقـادم مـن السـماء " ، إلا أن قبول هذه المسلمة مازال يعتبر قبولا معلقا ، على الرغم من كثرة الأمثلة التى سقناها هنا فى هـذا الكتاب ، والتى تؤكد صحة نتائج هذه المسلمة ، وبالتالى صحـة المسـلمة نفسـها . إلا أننـا مازلنـا نقول بأن القبول النهائى لهذه المسلمة قد أرجئ ... حتى الآن ...؟؟!! لأن - فى الواقع - يوجـد للقصة بقية أو يوجد للقضية بقية ، وهذه البقية يفرضها علينا وجود العلم الإنسانى الموجود على الساحة البشـرية ، والـذى لـم نتعرض لـه فـى هـذا الكتـاب إلا مـن خـلال أمثلـة عـابرة لا تكفـى بالإحاطة الكاملة بدور العلم والفيزياء فى المساهمة الفعليـة والإيجابيـة فـى إدراك صحـة وصـدق هذه المسلمة . لذلك كان لزاما علينا تقديم العلم البشرى كله فى صورة جرعة مكثفة ، كمـا فعلنـا مع الفلسفة البشرية سابقا ، وأوضحنا مدى قصورها ، وقصور دورها وعدم جدواه فـى تقديـم أى عون حقيقى للإنسان نحو إكتشاف أى معرفة فعليـة ، نحـو الغايـات الحقيقيـة مـن وجـود الإنسـان وخلقه ، وماهيته ، ومصيره . كما وإن هذه الفلسفات لم تقدم أى فكـر يذكـر ، أو حتـى أى شـئ يعول عليه نحو المعرفة الحقة بـ " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ وصفاته .

وكما سنرى فى الكتاب الآخر إن شاء الله [99] ، إن العلم - منفردا - لم ولن ، يقدم هو الآخر شـيئا يمكن أن يعول عليه نحو معرفة الحقيقة المطلقة عن هذا الوجـود . ففـى الحقيقـة ؛ إن الديـن هـو الذى يقدم للعلم ما ينبغى أن يفعله (الإنسان) من تجارب ، حتى يسـتطيع أن يقـود الإنسـان إلـى اليقين الكامل ، ونحو إدراك صحة الغايـات مـن هـذا الوجـود . و بهـذا المعنـى يكـون العلـم هـو التجربة الدالة ، أو هو البرهان اللازم على صـدق وصحـة المسـلمة الدينيـة التـى يقدمهـا الديـن للإنسان .

أما العلم كفكر مستقل عن الدين هو لا شيء على الإطلاق ...!!! كما وإنه لا يصلـح لتقديـم أى برهان أو حتى تقديم أى فكر يذكر عن وجود الإنسان ومصيره وكذا الغايـات مـن خلقـه . فـالعلم بذاته قاصر عن أن يكون له الدور الإيجابى فى أن يقود الإنسان إلى حل لغز هذا الوجـود ، أى وجود الإنسان ومصيره . فالعلم مستقل عن الدين هو بمثابة الجثة بلا حيـاة ...!!! أو هـو بمثابـة التجربة المجردة التى ليس لها نتائج ، نظرا لغياب الهدف أو غياب المطلوب من هـذه التجربـة ، وذلك لغياب النظرية الحاكمه لها . فـ " **العلم للعلم** " يمثل الإنسان المتحـرك فـى هـذه الحيـاة بـلا غايـات أو هـدف . أو أن " **العلـم للعلـم** " يمثـل الإنسـان المتحـرك فـى هـذه الحيـاة تلـك الحركــة العشوائية التى ليس لها إتجاه لا يدرى معها الإنسان ... إلـى أيـن تقـوده هـذه الحركـة وإلـى أيـن ينتهى به المقام ... حتى وإن أثمر - العلم - عن تحقيق بعض الرفاهيات المادية القاصرة ...!!!

[99] " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

إن المنهاج الإلهى ؛ هو الدليل الذى يقود الإنسان وعلمه نحو غايات محددة ، أى نحو الغايات الكلية من وجود هذا الوجود ، وطبيعة هذا المصير . **فالإنسان والعلم بدون الله** ، ليس لهم غايات عليا ... وبهذا يصبح ... **الوجود للوجود** ... أو تصبح ... **الحياة للحياة** ... لتتحول الحياة بهذا المعنى إلى ذلك الكابوس المخيف أو ذلك العبء الثقيل الذى يحمله الإنسان على كاهله وينوء تحته ، والذى يجعل منه ذلك الإنسان الذى يتحرك فى هذا الوجود بلا هدف أو غايات ، شأنه فى ذلك شأن الحيوان والنبات والجماد ... حتى وإن كنا لا ندرك بحواسنا القاصرة أن الحيوان والنبات والجماد هم ـ فى الواقع ـ الصورة التكميلية ، أو الخلفية اللازمة فى بانوراما الوجود الأنسانى ، حتى يتبين له حقيقة وجوده وواقعه ... ولتبقى هذه الصور ... خير شاهد على جهل الإنسان وقصور فكره ... وليس الغرور إلا سمة من سمات الحمقى والجهلاء ...!!!

وسوف نرى أن العلم الإنسانى كله يذوب ضعفا وهوانا وتواضعا وقلة ، كما يعكس حدود الضعف المتناهى لما هو عليه فكر الإنسان فعلا ، إذا ما قورن بما قدمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من علم لدنى للإنسان ، من خلال وحيه المطلق للرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام .

وتعجب ... ونعجب سويا ...!!! لأن تعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يطلب من الإنسان البرهان فى كل شىء ، حتى فى حالة الشرك به . أى حتى فى حالة " قضية الشرك بالله " ، فمطلوب من الإنسان البرهنة على صحتها أيضا ؛ كما فى قوله تعالى :

[ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (١١٧)]

(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ١١٧)

فواضح من هذه الآية الكريمة أن جملة (... ــ **لا برهان له به** ــ ...) هى ، فى الواقع ، جملة إعتراضية ، فى النص الإلهى . فكان يمكن أن ترفع هذه الجملة من الآية الكريمة ، وحينئذ يجرى النص على النحو التالى :

(ومن يدع مع الله إلها آخر "..." فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)

وبهذا المعنى الأخير يتحدد عقاب الإنسان المشرك بالله على نحو مطلق . أى ليس هناك فارق بين من سعى إلى المعرفة الإلهية ولم يجدها ولهذا أشرك ، وبين من قبل الشرك كميراث عقائدى أحمق وبدون تفكير . ولكن وجود مثل هذه الجملة الإعتراضية (ــ **لا برهان له به** ــ) ، لا

تسوى بين الحالين ، بل تجعل من إمعان الفكر والبرهان اللازم لقضية الشرك بالله.، عوامل أساسية فى الحساب النهائى ـ أو الأخروى ـ للإنسان .

وهكذا حتى فى " قضية الشرك بالله " ـ فى الفكر الإلهى ـ مطلوب البرهان لها أيضا . فغير مقبول أن يشرك الإنسان ـ بالله ـ ببلاهة ، أو بدون إمعان للفكر ، أو بتغييب العقل ، أو أن يشرك الإنسان كنتيجة لميراث عقائدى أحمق بدون إعمال العقل فيه .
وبديهى إن السعى لإيجاد برهان للشرك بالله ، لن يؤدى بالإنسان المشرك إلا إلى الإيمان بالوحدانية والتفرد ... أى الإيمان بوحدانية الله وتفرده بالخلق . ولهذا نرى الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول لنبيه الكريم ... ليقول لمن يهمه الأمر من الفلاسفة ، ومن العلماء ، ومن أهل الأديان الوثنية ...

[.... قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩)]
(القران المجيد : الأنعام {٧} : ١٤٨ – ١٤٩)

[تخرصون : تكذبون]

فهل وعى الفلاسفة معانى تلك الايات المحكمة ، أم إنهم مازالوا مغيبين . فهل وعى الفلاسفة قوله تعالى : (... **قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا** ...) ، وهل وعوا قوله تعالى : (**قل فلله الحجة البالغة** [١٠٠] ...) والحجة البالغة هى البينة الواضحة والبرهان الدامغ ... الذى لا يأتى بعده برهان اخر .... ولا أملك إلا قوله تعالى :

[يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا (١٧٤)]
(القران المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

وهذا هو الفرق بين الدين والفلسفة ... إنه الفرق بين الله ... والإنسان ...!!!

---

[١٠٠] سنرجىء مناقشة (... **فلو شاء لهداكم أجمعين**) إلى كتابات تالية إن شاء الله ، لإرتباطها بقضايا أخرى مثل الحرية والجبرية ، أو التصيير والتخيير ، والحكمة من الوجود . وذلك على الرغم من المناقشة الجزئية التى تمت لبعض هذه المعانى فى هذا الكتاب ، إلا أن المعانى النهائية لا تأتى إلا من المناقشة الكلية لهذه القضايا ، وبالتوسع المطلوب .

خاتمة الكتاب

لقد قضت الحكمة الإلهية ألا تتقارب الأديان الموجودة على الساحة البشرية من الناحية الفكرية ...!!! بل أن الفوارق الفكرية بين جميعها وبين الدين الحق أضخم من أن تحسب . كما قضت الحكمة الإلهية أن تضع كل البراهين اللازمة ، والخاصة بالحكم على صحة الدين وإدراك وجود الله ، فى حيز الشهادة كاملاً وبلا غيبيات ...!!! ولا يحول دون إدراك المرء لهذا ، إلا نظرته القاصرة للدين حتى الآن ...!!! وذلك كناتج طبيعى للميراث الدينى الذى خلفته الأديان الوثنية والموجودة الآن على ساحة الفكر البشرى ...!!! وكذلك قضت الحكمة الإلهية أيضا بأن يختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطرى أو ملكاته الفكرية بكثير ، والتى ركبها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه . وبعد أن فرغنا من قراءة هذا الكتاب ، يمكننا ـ الآن ـ أن نرى بوضوح الآتى :

١. أن " القضية الدينية " ليست " قضية غيبية " ، كما هو الإعتقاد الزائف فى هذا . بل هى ، فى الواقع ، " قضية يقينية " [١٠١] ، بكل ما تحوى الكلمات من معنى عريض لها ، وبالتالى يمكن التثبت منها ، ومن صدقها إلى أى درجة مطلوبة من الدقة .

٢. أن " القضية الدينية " هى " قضية علمية كلية " يحتل فيها الوجود الإنسانى ، والوجود الفيزيانى ، والوجود الكونى جزئية صغيرة لا تكاد تبين . ولا يحول دون إدراك المرء لهذا ، إلا النظرة القاصرة إلى الدين والفكر الدينى ، وذلك كناتج طبيعى للميراث الفكرى الذى خلفته الأديان الوثنية والموجود الان على ساحة الفكر البشرى . كما لا يتجاوز معنى الفيزياء ، ومعنى الكون ، ومعنى الظواهر الطبيعية ، بل ومعنى الإنسان ذاته فى " القضية الدينية " ؛ إلا معنى التجارب المعملية المختلفة والمتباينة النتائج للدلالة على صحة " القضية الدينية " . وبهذا المنظور تكون " **القضية الدينية** " ؛ هى " **النظرية العامة** " التى تحدد للإنسان الغايات من نوعية التجارب التى يجريها كتطبيق قابل للملاحظة والتحقيق . ثم تتنبأ له ـ أى تتنبأ القضية الدينية للإنسان ـ مقدما بنتائج هذه التجارب ، لتكون دليل صدق على المسلمات الأساسية التى تقدمها ، أو تقول بها " القضية الدينية " . وبهذا تصبح " القضية الدينية " هى " النظرية الأم " ، كما يصبح العلم والوجود الإنسانى هما " التطبيق " .

٣. إن " **الله هو مصدر الدين** " ، وليس " **الدين هو مصدر الله** " . ففى الواقع ؛ تمثل القضية الأولى وحدانية " الله " ووحدانية الدين ، بينما تمثل القضية الثانية " الشرك بالله " وتعدد

[١٠١] أنظر مقدمة الكتاب للفرق بين " القضية اليقينية " و " القضية العلمية " .

الأديان . وبمفهوم " **الله هو مصدر الدين** " ، يكون " **الله** " ـ سبحانه وتعالى ـ قد أعفى الإنسان من الإجتهادات فى تعريف الدين ، كما يكون قد أعفاه أيضا من الإجتهادات فى تعريف ذاته (أى تعريف الذات الإلهية) وتعريف الإنسان والغايات من خلقه . وبهذا المعنى يكون الله ، سبحانه وتعالى ، قد جنب الإنسان الوقوع فى الوثنيات الفكرية الخاصة بالتعدد أو الشرك ، طالما أن التأهيل الفطرى للإنسان لا يسمح له بتناول مثل هذه القضايا وبحثها معتمدا فى هذا على ملكاته الفكرية فقط .

ولقد رأينا ـ إلى الآن ـ أن الفكر السائد لدى البشرية هو أن " **الدين هو مصدر الإله** " . وبهذا الفكر تعددت الأديان ، حيث أصبح من حق كل دين أن يقوم بتعريف إلهه بالصورة التى يرتئيها كهنة العقيدة ...!!! ولهذا يصعب ـ فى هذه الحالة ـ عقد المقارنات العلمية بين هذه الوثنيات الفكرية والدينية ...!!!

٤. الرجوع **بإنسان نهاية الحضارات** ليقف مرة أخرى ـ **كإنسان بداية الحضارات** ـ تماما ؛ خاشعا متضائلا بجوار الظاهرة الطبيعية سواء بسواء ... أمام الوجود " الإلهى " المتعالى . ولقد رأينا أن الظاهرة الطبيعية قد وقفت ـ لوقت طويل ـ حائلا بين **إنسان منتصف الحضارات** ، وبين " الله " سبحانه وتعالى . ولهذا قد حالت الظاهرة الطبيعية طويلا دون إدراك الإنسان لله . ولكن بعد أن تخطى إنسان نهاية الحضارات الظاهرة الطبيعية ، وجد نفسه يقف إلى جوارها جنبا إلى جنب ـ كجزء مكمل لوجودة ـ أمام هذا الوجود الإلهى المتعالى . ثم تتصافر المتناهيات (أى تصبح أصفارا) أمام هذا الوجود الإلهى المتعالى واللامتناهى . فلا فرق بين إنسان نهاية الحضارات وبين إنسان بداية الحضارات أمام الله ، إلا أن الأخير أصبح أكثر رؤية لله ـ سبحانه وتعالى ـ عن ذى قبل . وتزيد هذه الرؤية وضوحا كلما إزداد علم الإنسان . ويصل الإنسان برؤيته إلى حد الإدراك الكامل بوجود " الله " ، أو إلى اليقين الكامل ، وذلك عند المتناهى العلمى والحضارى والزمنى لوجود الإنسان على سطح هذا الكوكب الضئيل ؛ كوكب الأرض .

٥. لقد كان من الضرورى إعادة صياغة الدين بالطريقة التى تضمن عدم تسرب الأديان الوضعية من خلال هذا التعريف ، كما تم وضع الشروط المصاحبة والضرورية للحكم على صحة الدين وأن مصدره هو " الله " ، وليس مصدره الإنسان . وبهذا يمكن الحكم الان على صحة الأديان الموجودة على ساحة الفكر البشرى ومدى مصداقيتها.

٦. كما تم بيان أن " القضية الدينية " (أى قضية الحكم على صحة المضامين الدينية) و " القضية الإلهية " (أى قضية إثبات وجود الله) هما ـ فى الواقع ـ قضيتان مستقلتان تماما كل منهما عن الأخرى ، ولكل منهما طبيعتها الخاصة وبراهينها المميزة . فبينما تكون " القضية

الإلهية " قضية فطرية فى المقام الأول ، نجد أن " القضية الدينية " هى " قضية علمية كلية " فى المقام الأول ، وليس هذا فحسب بل تستلزم هذه الأخيرة ، براهين أشد صرامة من البراهين اللازمة للبرهنة على صدق " النظريات الفيزيائية الحديثة " .

٧. ثم رأينا أن الفكر الفلسفى منذ بدء الحضارة البشرية وحتى الفلسفات المعاصره لم يقد الإنسان إلى فكر يذكر عن تعريف الإنسان ، أو الوجود ، أو تعريف الكمالات الإلهية . فالفكر البشرى قاصر ـ بذاته ـ قصورا كاملا عن تناول مثل هذه المواضيع ، والوصول فيها برأى يمكن أن يعول عليه .

٨. ونشير هنا إلى أننا قد إفترضنا فى بداية هذا الكتاب المسلمة الأساسية التى تقول بأن **"الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة "** ، وقلنا بأنه ليس ثمة قيمة فيما يفرض من مسلمات ، ولكن القيمة فيما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج قابلة للقياس والتحقيق . كما قلنا بأن البرهان على صحة المسلمات ، مرتبط أساسا بصحة النتائج المترتبة عليها ، أو المنبثقة منها . وكما رأينا ، فإنه قد ثبت ثبوت مطلق صحة كل النتائج المترتبة على هذه المسلمة الأساسية المذكورة ، من خلال ما ناقشناه هنا فى هذا الكتاب من أمثلة كثيرة مختلفة ومتباينة ، مما يقودنا هذا حتما إلى القول بأن هذه المسلمة هى مسلمة حقيقية فعلا ؛ أى أن الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة فعلا . ومع ذلك فقد فضلنا ألا ننتهى إلى هذه النتيجة الآن ، لأن مازال للقصة بقية أو مازال للقضية بقية . وهذه البقية يفرضها علينا وجود **العلم الإنسانى الموجود على الساحة البشرية** ، ولم نتعرض له فى هذا الكتاب إلا من خلال بعض الأمثلة العابرة ، والتى لا تكفى للإحاطة الكاملة بدور العلم والفيزياء الكامل فى المساهمة الفعلية والإيجابية فى إدراك صحة وصدق هذه المسلمة .
لهذا فقد تم أرجاء الحكم النهائى على صحة هذه المسلمة لحين الإنتهاء من تقديم العلم البشرى كله فى صورة جرعة مكثفة ، كما فعلنا هنا مع الفلسفة البشرية كلها ، والتى تم تقديمها فى هذا الكتاب فى الفصل الرابع . وقد أوضحنا مدى قصور الفلسفة ، وقصور دورها وعدم جدواه فى تقديم أى فكر إيجابى عن معرفة الغاية الحقيقية من وجود الإنسان وماهيتة ومصيره . كما وإنها ـ أى الفلسفة ـ لم تقدم أيضا ، أى فكر يذكر حول المعرفة الحقيقية بـ " الله " ، سبحانه وتعالى ، وماهية كمالاته .
وفى الكتاب التالى إن شاء الله [١٠٢] ، سوف نرى إن العلم ـ بذاته ـ هو الآخر قاصر عن تقديم أى شىء يذكر ، عن " الإنسان " أو " الله " . فالعلم يمكن أن يؤدى إلى التجربة الدالة على صحة المسلمة الدينية ، إذا ما أحسن توجيهه فقط . أما العلم بذاته ـ أى بدون توجيه ـ فهو قاصر عن

[١٠٢] " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

أن يكون له أى دور إيجابى في أن يقود الإنسان ـ بمفرده ــ إلى حل لغز الوجود والمصير . فالعلم مستقل عن الدين هو بمثابة الجثة بلا حياة ...!!! أو هو بمثابة التجربة المجردة التى ليس لها نتائج لغباب المطلوب منه ، نظرا لغياب النظرية الأساسية أو الحاكمه له ، ألا وهو الدين .

فالمنهاج الإلهى ؛ هو الدليل الذى يقود الإنسان وعلمه نحو الغايات الكلية من الوجود والمصير. وبدون هذا المنهاج يصبح الوجود غير موجه نحو غايات عليا ، بل يصبح " **الوجود للوجود فقط** " ... أى وجودا عشوانيا ...!!! وبهذا تتحول الحياة إلى " **الحياة للحياة** " أى إلى خواء مطلق ، وعبء يثقل كاهل الإنسان ، لينتهى به الحال إلى العدم ...!!! وهى ـ كما إنتهينا هنا ـ إن هذا ليس هو الواقع الحق ...!!! وسوف نرى ، إن العلم الإنسانى كله إنما يعكس حدود الضعف المتناهى لما هو عليه الفكر الإنسانى فعلا ...!!! إذا ما قورن بما قدمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من علم لدنى للإنسان من خلال وحيه المطلق كما جاء فى القران المجيد .

٩. تم بيان أن " الإدراك الفطرى بوجود الله " لدى الإنسان ، وعملية " غسيل المخ " الجماعية التى يجريها كهنة العقيدة على الأتباع أو الشعب ، هما القضيتان الأساسيتان ، والمسئولتان المسئولية المباشرة عن تعدد الأديان بشكلها الراهن حاليا . كما تم البرهان بما لا يدع مجالا لأى شك على وثنية وأسطورية الأديان الموجودة الآن على الساحة البشرية للإنسان (باستثناء الديانة الإسلامية) وذلك برؤية علمية شاملة وحقيقة مجردة بدون أى فلسفات ، أو تجاوزات فى المعنى المراد ، وذلك من منظور البند السابق .

١٠. وننهى هذه الخاتمة بتكرار القول ، بأن هذا الكتاب ليس فكرا تبشيريا ، بدين ما ، بقدر ما هو تبشير بالوجود الحقيقى للإنسان ، وإن هذا الوجود هو غاية ومحور . وأن **الإنسان محاسب أولا ، فيما هو محاسب عليه ، على صحة التوجه إلى الله ، وبلا فلسفات** . فيجب أن يعى الإنسان أن " **القضية الدينية** " ليست " **قضية إنسانية** " ، بل هى " **قضية إلهية** " ، وبالتالى :

فهى ليست " قضية صراع بين حضارات مختلفة " أو " قضية صراع بين أيديولوجيات مختلفة " ، كما وأنها ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها . وهى أيضا ليست " قضية سياسية " لكسب " أتباع ما أو أرض ما " . ولكنها ـ فى الواقع ـ هى " **قضية وجود الإنسان ذاته ومصيره هو** " . ذلك الإنسان الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخه ، هذا إن لم يدركه الموت قبل ذلك ، ليغادر هذه الحياة إلى اليقين الكامل ...!!! ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى للقضية الدينية ، لأنه بهذا سوف تفوته الفرصه الحقيقية أو الفرصة الوحيدة

لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك القصد الإلهى من هذا الخلق ، كما وأنه لم يدرك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، ومن وراء وجود هذا الوجود .

ولا يبقى غير التذكير بأن رحلة حياة الإنسان عبارة عن طريق واضح المعالم يملؤه النور . بدايته نور ، وأوسطه نور ، ونهايته نور ، وطريقه لا يحوى حتى الظلال . ولا لبس ولا غموض ولا يوجد أى تضحيات عقلية فيه ... والحقيقة المطلقة فى إنتظاره ... عند أول منعطف من هذا الطريق ... طريق حياته هذا ... وهو ملاقيها ... شاء هذا أم أبى ...!!!

[وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ... (١٤٣)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٤٣)

(صدق الله العظيم)

ملحق " ١ "

الكمالات الإلهية

[ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ....]

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٨٠)

الكمالات الإلهية ؛ هى الصفات التى يتصف بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويطلق عليها " **أسماء الله الحسنى** " . وقيل أن عدد هذه الأسماء أو الصفات أو هذه الكمالات الإلهية كثيرة . فقال بعضهم أن عددها ثلاثمائة ، وقيل أنها ألف وواحد ، وقيل أن ليس لها نهاية . ولكن أشهرها ما ورد فى حديث الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة) . وهذه الأسماء حسب رواية الترمذى هى :

الله	الرحمن	الرحيم	الملك	القدوس	السلام
المؤمن	المهيمن	العزيز	الجبار	المتكبر	الخالق
البارىء	المصور	الغفار	القهار	الوهاب	الرزاق
الفتاح	العليم	القابض	الباسط	الخافض	الرافع
المعز	المذل	السميع	البصير	الحكم	العدل
اللطيف	الخبير	الحليم	العظيم	الغفور	الشكور
العلى	الكبير	الحفيظ	المقيت	الحسيب	الجليل
الكريم	الرقيب	المجيب	الواسع	الحكيم	الودود
المجيد	الباعث	الشهيد	الحق	الوكيل	القوى
المتين	الولى	الحميد	المحصى	المبدىء	المعيد
المحيى	المميت	الحى	القيوم	الواجد	الماجد
الواحد	الصمد	القادر	المقتدر	المقدم	المؤخر
الأول	الآخر	الظاهر	الباطن	الوالى	المتعال
البر	التواب	المنتقم	العفو	الرؤف	مالك الملك
ذو الجلال والإكرام	المقسط	الجامع	الغنى	المغنى	المانع
الضار	النافع	النور	الهادى	البديع	الباقى
الوارث	الرشيد	الصبور			

ملحق " ٢ "

التواريخ التقريبية لتدوين اسفار الكتاب المقدس [1]

أولا : العهد القديم وعدد أسفاره ٣٩ سفرا (أو كتابا) .

إسم السفر أو الكتاب	تاريخ التدوين التقريبى
التكوين (Genesis)	القرن الخامس عشر قبل الميلاد
الخروج (Exodus)	القرن الخامس عشر قبل الميلاد
اللاويين (Leviticus)	القرن الخامس عشر قبل الميلاد
العدد (Numbers)	القرن الخامس عشر قبل الميلاد
التثنية (Deuteronomy)	القرن الخامس عشر قبل الميلاد
يشوع (Joshua)	القرن الرابع عشر قبل الميلاد
القضاة (Judges)	القرن الحادى عشر قبل الميلاد
راعوث (Ruth)	القرن الحادى عشر قبل الميلاد
صمويل الأول (I Samuel)	القرن العاشر قبل الميلاد
صمويل الثانى (II Samuel)	القرن العاشر قبل الميلاد
الملوك الأول (I Kings)	القرن السادس قبل الميلاد
الملوك الثانى (II Kings)	القرن السادس قبل الميلاد
أخبار الأيام الأول (I Chronicles)	القرن الخامس قبل الميلاد
أخبار الأيام الثانى (II Chronicles)	القرن الخامس قبل الميلاد
عزرا (Ezra)	القرن الخامس قبل الميلاد
نحميا (Nehemiah)	القرن الخامس قبل الميلاد
استير (Esther)	القرن الخامس قبل الميلاد
أيوب (Job)	غير مؤكد تاريخ تدوينه (Uncertain)
المزامير (Psalms)	القرن العاشر قبل الميلاد وما بعده
الأمثال (Proverbs)	القرن العاشر قبل الميلاد

[1] مأخوذ عن كتاب " الطريق الصحيح : The True Path " ، International Doorways Publishers, USA ، ص . ١٤٦ / ١٤٧ .

إسم السفر أو الكتاب	تاريخ التدوين التقريبى
الجامعة (Ecclesiastes)	القرن العاشر قبل الميلاد
نشيد الإنشاد (Song of Solomon)	القرن العاشر قبل الميلاد
اشعيا (Isaiah)	القرن الثامن قبل الميلاد
ارمياء (Jeremiah)	القرن السابع قبل الميلاد
مرانى ارمياء (Lamentations)	القرن السادس . قبل الميلاد
حزقيال (Ezekial)	القرن السادس قبل الميلاد
دانيال (Daniel)	القرن السادس قبل الميلاد
هوشع (Hosea)	القرن الثامن قبل الميلاد
يونيل (Joel)	القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد
عاموس (Amos)	القرن الثامن قبل الميلاد
عوبديا (Obediah)	القرن السادس قبل الميلاد
يونان (Jonah)	القرن الثامن قبل الميلاد
ميخا (Micah)	القرن الثامن قبل الميلاد
ناحوم (Nahum)	القرن السابع قبل الميلاد
حبقوق (Habakkuk)	القرن السابع قبل الميلاد
صفنيا (Zephaniah)	القرن السابع قبل الميلاد
حجى (Haggai)	القرن السادس قبل الميلاد
زكريا (Zechariah)	القرن السادس قبل الميلاد
ملاخي (Malachi)	القرن الخامس قبل الميلاد

ثانيا : العهد الجديد وعدد أسفاره ٢٧ سفرا (أو كتابا)

إسم السفر أو الكتاب	تاريخ التدوين التقريبى
انجيل متى (Matthew)	عام ٥٠ بعد الميلاد
انجيل مرقس (Mark)	عام ٥٠ بعد الميلاد
انجيل لوقا (Luke)	عام ٦٠ بعد الميلاد
انجيل يوحنا (John)	عام ٨٥ بعد الميلاد
اعمال الرسل (The Acts)	عام ٦٠ بعد الميلاد
الرسالة إلى أهل رومية (Romans)	عام ٥٦ بعد الميلاد
الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: (I Chorinthians)	عام ٥٦ بعد الميلاد

إسم السفر أو الكتاب	تاريخ التدوين التقريبى
الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (II Chorinthians)	عام ٥٧ بعد الميلاد
الرسالة الى أهل غلاطية (Galatians)	عام ٥٢ بعد الميلاد
الرسالة الى أهل أفسس (Ephesians)	عام ٦٠ بعد الميلاد
الرسالة الى أهل فيلبى (Philippians)	عام ٦٠ بعد الميلاد
الرسالة الى أهل كولوسى (Colossians)	عام ٦٠ بعد الميلاد
الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكى : (I Thessalonians)	عام ٥١ بعد الميلاد
الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى : (II Thessalonians)	عام ٥١ بعد الميلاد
الرسالة الأولى الى تيموثاوس : (I Timothy)	عام ٦٤ بعد الميلاد
الرسالة الثانية الى تيموثاوس : (II Timothy)	عام ٦٧ بعد الميلاد
الرسالة الى تيطس (Titus)	عام ٦٥ بعد الميلاد
الرسالة الى فليمون (Philemon)	عام ٦٠ بعد الميلاد
الرسالة الى العبرانيين (Hebrews)	عام ٦٨ بعد الميلاد
رسالة يعقوب (James)	عام ٥٠ بعد الميلاد
رسالة بطرس الأولى (I Peter)	عام ٦٥ بعد الميلاد
رسالة بطرس الثانية (II Peter)	عام ٦٦ بعد الميلاد
رسالة يوحنا الأولى (I John)	عام ٨٥ بعد الميلاد
رسالة يوحنا الثانية (II John)	عام ٨٥ بعد الميلاد
رسالة يوحنا الثالثة (III John)	عام ٨٥ بعد الميلاد
رسالة يهوذا (Jude)	عام ٦٨ بعد الميلاد
رؤيا يوحنا (The Revelation)	عام ٩٥ بعد الميلاد

ملحق " ٣ "

كلمة موجزة
عن
قصة خلق الإنسان والنظرية الداورنية كما جاء بها القرآن المجيد

يقول داروين [٢] بمبدأ الإنتخاب الطبيعى ، الذى يعنى ببقاء الأصلح من الأجناس فى الصراع حول البقاء والوجود[٣]. وبهذا يعطى داروين تفسيرا آليا عن تطور وتحـول الكائنـات الحية على مـدى تواجدها على سطح الأرض . وقد ترك داروين فـى كتابـة (**أصل الأنـواع** : **The Origin of Species**) والذى صدر عام ١٨٥٩، مسألة أصل الإنسان معلقـة ، ولكنـه عاد إليهـا فـى كتابـه الآخر (**أصل الإنسـان**) الـذى صـدر فـى عـام ١٨٧١ ، حيث إمتـدت نظريتـة للتطـور لتشمل الإنسان أيضا . وقد بين داروين ومساعديه توماس هنرى هكسلى ، وأرنسـت هيكـل : **Heackel** (١٨٣٤ – ١٩١٩) أن الإنسان يشترك مع الشمبانزى (Chimpanzee) والغوريللا (Gorilla) وإنسان الغابه (Orangutan) [٤] فى صفات تشريحية كثيرة ، مما دعى إلى الإعتقاد بأن الإنسـان العاقل (Homo Sapiens) ربما يكون قد إنحدر من سلالة بدائية تشبه القردة نظرا لهـذا التشـابه التشريحى .

وفى عام ١٨٩٩ صدر كتاب بعنوان (لغـز العـالم) ، لإرنسـت هيكـل : الـذى روج فيـه لأفكـار داروين ، وقال بأن التطور الآلى يمتد من الذرة إلى الإنسان ، وبهذا فإن الأسـلاف المباشـرين للإنسان فى الحيوانات الثديية العليا هى " القرود " . وبهذا أصبح الفكر العام منذ ذلك الوقت بـأن **" الإنسان ينحدر من سلالة تشبه القرود "** .

---

[٢] تشارلز روبرت داروين **Darwin, Charles Robert:** (١٨٠٩ – ١٨٨٢) عالم طبيعة بريطـانى . صـاحب النظرية الداروينية .

[٣] من جانب اخر ؛ كانت هناك تطبيقات أخرى لنظرية داروين فى مجال المجتمعات الإنسـانية ؛ مثـال ذلك إستخدمت الفاشية فكرة الإنتقاء الطبيعى ، أو البقاء للأصلح لتبرير تصفية أجناس بعينها . كما دوفع عن الحروب بين الأمم لنفس الأسباب ، وقالوا بأنهـا وسيلة لإبادة الضعفـاء مـن الجنس البشـرى وإستمرار بقـاء الأقويـاء . كذلك حـرف أنصـار الماركسية ـ الداروينية ـ لتطبيقها على تنازع الطبقات . كما تم تبرير الأعمـال الوحشـية لإبـادة المجتمعـات الصغيرة ، إستنادا إلى النظرية الداروينية كذلك .

[٤] نوع من القردة العليا الشبيهة بالإنسان يقطن فى كل من بورنيو وسومطرة .

وبعد دارون فقد الإنسان مكانته الخاصة فى عالم الأحياء ، ولم يعد يبدو أن " الله " قد خلق الإنسان خلقا مباشرا ، بل بدا أنه نتاجا طبيعيا للسلالة البيولوجية العامة . وبهذا أصبح عمل دارون مشابها إلى حد بعيد عمل " **كوبرنيكوس** " [5] ، الذى إنتزع الأرض من مكانتها الخاصة كمركز للكون (كما يقول بهذا الفكر المسيحى) وألقى بها فى غياهب الفضاء شأنها فى ذلك شأن أى كوكب آخر ... مناقضا بذلك فكر الكنيسة عن الإنسان والأرض .

وقد تلقف الفكر الدارونى (أو النظرية الدارونية) فيما بعد كل من الجيولوجيين و" الطبيعيين : Naturalists " ، وأخذوا فى البحث والتنقيب فى الأرض ، لإثبات هذا الفكر أو هذه النظرية فيما يتوفر لديهم من أدلة مختلفة كناتج طبيعى من الحفريات التى تم العثور عليها فى نهاية القرن السابق ، وفى خلال القرن الحالى . وكملخص لما إنتهت إليه هذه الأبحاث ، تقول **موسوعة جروليار الإلكترونية لعام ١٩٩٥** :

بأن علماء جنس الإنسان (Anthropologists) قد قسموا مراحل تطور الإنسان منذ أن وجد على سطح الأرض وحتى وصل إلى صورته الحالية فى وقتنا هذا ، إلى ست مراحل تطور أساسية سنتعرض لها فيما يلى فى إيجاز شديد .

فبادئ ذى بدء ؛ تشير الحفريات ـ التى وجدت فى الكهوف وغيرها حتى الآن ـ إلى أن أول ظهور لجنس الإنسان على سطح الأرض ، كان فى وسط شرق أفريقيا [6] منذ حوالى (٤ إلى ٣) مليون سنة مضت . أى قرب نهاية " الحقبة البليوسينية : Pliocene Epoch " (وهو ما يعرف باسم العهد الحديث القريب [7]) . وقد تم تعريف هذا النوع الإنسانى الموجود فى ذلك الوقت ؛ باسم " أسترالوبيثيكس : Australopithecus " ؛ الذى تم تقسيمه إلى طورين أساسيين هما ما يعرف باسم ؛ " أسترالوبيثيكس أفرانسيس : Australopithecus Afarensis " والذى عاش منذ حوالى (٤ إلى ٣) مليون سنة مضت ، ثم تلى هذا النوع ؛ نوع آخر عرف باسم : "

---

[5] أنظر الفصل الأول ، ص : ٤٦ .

[6] فى مناطق (جنوب) أثيوبيا ، وكينيا ، وتنزانيا ، وزيمبابوى ، وبتسوانا .

[7] " **الحقبة البليوسينية : Pliocene Epoch** " : هى الحقبة الزمنية التى بدأت منذ حوالى (١٢) مليون سنة تقريبا ؛ وإستمرت لفترة ـ زمنية ـ قدرها حوالى (٩) مليون سنة تقريبا . ثم تلى هذه الحقبة : " **الحقبة البليوستوسينيه : Pleistocene Epoch** " : وهى الحقبة الزمنية التى بدأت منذ حوالى (١,٧) مليون سنة ، واستمرت نفس هذه الفترة الزمنية تقريبا . ثم تلاها " **الحقبة الهولوسينية : Holocene Epoch** " وهى الحقبة التى بدأت منذ حوالى (١٠) آلاف سنة وتمتد حتى وقتنا المعاصر ، وفى هذه الحقبة الأخيرة ظهر الإنسان الحديث بشكله الحالى .

أسترالوبيثيكس الأفريقي : Australopithecus Africanus " والذى عاش منذ حوالى (٣,٥ إلى ٢,٥) مليون سنة مضت [٨] .

وقد تطور هذا النوع الأخير إلى **ثلاثة أنواع** أخرى عاشت متزامنة ، أى فى نفس الفترة الزمنية منذ حوالى (٢ إلى ١,٥) مليون سنة مضت . **والنوعين الأولين** ـ من الثلاثة ـ هما : "أسترالوبيثيكس بايوساى : Australopithecus Boisei " و " أسترالوبيثيكس روباستس : Australopithecus Robustus " ، ويعتقد بأن هذين النوعين قد إنقرضا فى نهاية هذه الفترة .
أما **النوع الثالث** والذى إستمر ولم ينقرض ، والذى يعتبر الجد الأساسى للإنسان الحديث [٩] فقد تم تعريفه بإسم : " هومو هابيلس : Homo Habilis " ، وهو ما يعنى بـ " الإنسان الماهر أو القادر على إلتقاط وتناول الأشياء " . وقد تطور هذا النوع ـ فيما بعد ـ إلى **ثلاثة أطوار** أخرى رئيسية حتى وصل إلى الإنسان الحديث بصورته الحالية .

وأول هذه الأطوار هو ما يعرف بإسم : " هومو إيركتس : Homo Eructus " ، والذى يعنى " **الإنسان ذو القامة المعتدله** " . وقد عاش الـ : " هومو إيركتس : Homo Eructus " منذ حوالى (١,٦) مليون سنة ، إلى حوالى (٣٠٠,٠٠٠) سنة مضت تقريبا .

---

[٨] ينبغى الإشارة ـ هنا ـ إلى أن التداخل الذى يحدث بين أرقام السنوات التى يتم ذكرها فى هذا الجزء ، هو ناتج طبيعى من أن النوع لا يتطور فجأة عند سنة بعينها إلى النوع الآخر ، ولكن التطور يحدث تدريجيا على مدار سنوات طويلة تتعايش فيها الأنواع المتطورة مع بعضها البعض إلى أن ينقرض النوع الأول ، ولهذا تتداخل سنوات التطور كما هو الحادث فى هذا العرض . كما ينبغى الإشارة إلى أن التواريخ المذكورة جميعها تواريخ تقريبية لعدم وجود مجاميع كاملة ومتصلة من الحفريات التى وجدت حتى الآن .

أما تقدير أعمار أو تواريخ الحفريات ؛ فعادة ما يتم بإستخدام ظاهرة الإنحلال النووى للمواد المشعة ، والتى توجد فى هذه الحفريات ، كما توجد فى الصخور . وبعض الطرق المستخدمة فى تقدير هذه التواريخ هى : طريقة إنحلال " بوتاسيوم إلى الأرجون : Potassium - Argon Method " ، وطريقة إنحلال " الروبيديوم إلى الإسترنشيوم : Rubidium - Strontium Method " ، وطريقة إنحلال " اليورانيوم أو الثوريوم إلى الرصاص : Uranium or Thorium - Lead Method " ؛ وطريقة إنحلال " الكربون ـ ١٤ : Carbon-14 Method " إلى الكربون العادى (١٢) ... وهكذا . ولكل طريقة ـ من هذه الطرق ـ المدى الزمنى الخاص بها والذى يمكن إستخدامه لتحديد عمر " الحفرية : The fossil " أو الصخور بدقة كافية . فعلى سبيل المثال ؛ تستخدم طريقة [الكاربون ـ ١٤] لتقدير أعمار الحفريات التى يبلغ عمرها حتى (٤٠,٠٠٠) سنة ... بينما تستخدم طريقة [اليورانيوم ـ ٢٣٨ إلى رصاص] فى تقدير عمر الصخور التى يبلغ عمرها حتى ٤,٥ بليون سنة ... وهكذا .
وتمثل ظاهرة الإنحلال النووى **للعناصر المشعه الطبيعية** ـ فى الواقع ـ **الساعة الجيولوجية** التى تركها الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان للتعرف على التواريخ الجيولوجية لتاريخ حياة الأرض ؛ وكذا معرفة بداية الخلق بدقة كافية . ونذكر من هذه العناصر ـ على سبيل المثال ـ سلسلة " **عناصر الأكتينايد : Actinide Elements** " . وهى سلسلة مكونة من (١٥) عنصر ويقع عنصر اليورانيوم من ضمنها ، ويتراوح أنصاف أعمار ـ هذه العناصر ـ بين (٣٥) ثانية (أى جزء من الدقيقة) إلى (١٤) بليون سنة (أى منذ بداية خلق الكون تقريبا وحتى الان) . وهكذا جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الساعة الزمنية ـ الجيولوجيه ـ المناسبة لكل عمر من أعمار الحفريات والصخور ؛ حتى يمكن الحصول على الدقة المناسبة والكافية عند تقدير هذه الأزمنة . [ولمزيد من التفاصيل العلمية أنظر : " **الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى** " لنفس مؤلف هذا الكتاب] .

[٩] وهكذا فإنه يمكن القول بأن تطور الإنسان الحديث يكون قد بدأ مع بداية " الحقبة البليوستوسينية : Pleistocene Epoch " (وهو ما يعرف بإسم العهد الحديث الأقرب) ، أنظر التذييل الأسبق .

وقد بدأ هذا النوع فى الهجرة من داخل قارة أفريقيا إلى قارتى آسيا وأوربا . ثم هاجر - بعد ذلك - إلى قارة أمريكا الشمالية عبر القارة القطبية الشمالية ، ثم من أمريكا الشمالية - فيما بعد - إلى قارة أمريكا الجنوبية . كما هاجر أيضا - هذا النوع - من قارة آسيا إلى قارة إستراليا من خلال بعض المضايق التى كانت تربط القارتين معا ؛ حيث كانت - القارتين - فيما مضى أكثر قربا مما هما عليه الان [١٠] .

وقد إستخدم هذا النوع الإنسانى (أى الـ " هومو ايركتس : Homo eructus ") **الفأس ، كما عرف النار أيضا** ، وقد بدأ فى صناعة بعض الإدوات البدائية من الأحجار والمواد التى توجد فى البيئة المحيطة . وقد عرفت هذه الأطوار باسم " إنسان ما قبل التاريخ : Prehistoric Humans " . وتشير الحفريات التى وجدت إلى أن **حجم مخ إنسان ما قبل التاريخ** كان صغيرا بدرجة واضحة ، ثم أخذ هذا الحجم فى الإزدياد مع مرور الزمن .

ثم تطور بعد ذلك الـ " هومو إيركتس : Homo eructus " - إلى نوع اخر يعرف باسم : " هومو سابينس : Homo sapiens " ، وهو ما يعنى " الإنسان العاقل " . وقد عاش هذا النوع فى الفترة من حوالى (٥٠٠,٠٠٠) سنة إلى (٤٠,٠٠٠) سنة تقريبا . وحتى نهاية هذه الفترة - أى منذ حوالى ٤٠,٠٠٠ سنة مضت - لم يكن شكل إنسان ما قبل التاريخ يماثل تماما شكل الإنسان المعاصر والموجود الان . بل إستبقى - إنسان ما قبل التاريخ - بعض الملامح العامة الخاصة بأجداده ككبر الوجه ، وكبر الأسنان . كما كان ذو جمجمة صغيرة ، وكانت حواف حواجبه بارزة بشكل ضخم ، ويشبه فى هذا الغوريلا إلى حد كبير . كما كان بجبهة صغيرة أو كان بدون جبهة على الإطلاق . ومع ذلك فقد كان حجم مخه فى حدود حجم مخ الإنسان الحديث .

وقد وجدت حفريات كثيرة لإنسان ما قبل التاريخ منها ." **إنسان جاوا : Java man** [١١] " ؛ و " **إنسان بكين : Peijing Man , or Peking Man** " الذى عاش فى الفترة منذ حوالى ٤٦٠ ألف سنة إلى ٢٣٠ ألف سنة مضت تقريبا فى كهوف ما قبل التاريخ [١٢] . وكان من الناحية التشريحية ، ذو رأس صغيرة إلى حد ما ، كما كانت جبهته ضيقة جدا . أما الحافة العظمية الثقيلة التى تبرز فوق عينيه فقد كانت تشبه كثيرا تلك التى تعلو عيون الغوريللا . كما كان طوله يبلغ حوالى

---

[١٠] لمزيد من التفصيلات أنظر المرجع السابق .

[١١] جزيرة بأندونسيا .

[١٢] عثر على بقايا حوالى ٤٤ هيكل عظمى لهذا الإنسان مع آلاف من شظايا وعظام محترقة لحيوانات مختلفة من هذه الفترة ، فى مكان يعرف باسم " شوكوديان : Zhoukoudian " بالقرب من بكين (بالصين) . كما عثر مع هذه الهياكل العظمية على العديد من الآلات الحجرية . وبديهى كلنا يعلم أن القردة لا يمكن أن تقوم بتصنيع الآلات الحجرية وبالتالى فإن ماعثر عليه لابد وأن يكون هياكل عظمية لإنسان ما قبل التاريخ فعلا ، وليس لقرود أو خلافه .

خمسة أقدام (أى حوالى ١٥٠ سنتيمترا) ، كما كانت سيقانه مقوسة ، ولكن لا يعرف بالضبط ما إذا كان جسمه مغطى بالشعر أم لا .
وأخيرا تطور الـ " هومو سابينس : Homo sapiens " ، منذ حوالى (٣٠,٠٠٠) سنة تقريبا ، إلى الـ " هومو سابينس سابينس : Homo sapiens sapiens " ، وهو الصورة الحالية للإنسان الحديث . وقد يتطور الإنسان الحديث أو المعاصر إلى صور أخرى فى المستقبل ، ولكن هذا لا يمكن الجزم به - على الأقل - الآن . وهكذا أصبح القول بتطور الإنسان من سلالة أدنى إلى سلالة أعلى ، له دلالاته الواضحة المعالم والتى تشير إليها بوضوح نتائج الحفريات التى وجدت حتى الآن .

وهكذا كان لنظرية دارون - شأنها فى ذلك شأن نظرية كوبرنيكوس عن الأرض - اثارا بعيدة المدى فى الفكر الأوربى وجدلا عنيفا ونقاشا طويلا وقد حاربتها الكنيسة فى حينها محاربة شديدة [13] . وفى أسلوب ساخر كان يقول الفيلسوف برتراند رسل عن هذا **الأصل المشترك بيننا وبين القردة : " إن إقتراحا كهذا لابد وأن يجرح مشاعر القردة "** .

ويجدر الإشارة - هنا - إلى أنه ليس من الضرورى أن يكون الجد الأعلى للإنسان هو أحد أنواع القردة الموجودة حاليا والتى نراها الآن . فمثل هذا الفكر لا يعنينا كثيرا نفيه أو إثباته . ولكن ما يعنينا هو القول **بتطور الإنسان من حيث المبدأ فحسب** ؛ وهذا هو الحادث فعلا . وهو ما يعنى بأن الإنسان قد تطور من سلالة دونية قديمة ، إلى سلالة عليا حديثة كما نراها الان . كما ينبغى الإشارة إلى أن الفكر القائل بتطور الإنسان فى حدود نوعه [14] ، **هو فكر يمكن قبوله كذلك** ؛

---

[13] إنعقدت الجمعية البريطانية فى أكسفورد سنة ١٨٦٠ ، وكان برنامج الإجتماع هو مناقشة النظرية الدارونية . حيث مثل الهجوم على النظرية الأسقف " **ويبرفورس : Wiberforce** " أسقف أكسفورد ، بينما كان المدافع عن النظرية عالم النبات " **توماس هكسلى : T. Huxley** " . وبعد حديث صاخب من الجانبين ، إستدار الأسقف إلى هكسلى وسأله متهكما : أود أن أسأل الأستاذ هكسلى ؛ هل جاء الإنحدار عن القرد من ناحية جده أو من ناحية جدته ؟ ويقال بأن هكسلى أجاب : بأن الرب أسلمه الإنسان بين يديه ، وصعد ليجيب أو ليبحث عن إجابة لهذا السؤال . وأضاف : أنه لا يحق للمرء أن يشعر بالعار من أن جده قردا ، ولكن العار أن يأتى رجل مضطرب الذكاء ، لا يقنع بالنجاح فى ميدان عمله ، ويقحم نفسه فى أمور علمية لا يلم بها إلماما حقيقيا ، فيلقى الغموض عليها ببلاغة عديمة الهدف ، ويسرح بإنتباه سامعيه بعيدا عن جوهر الموضوع ، بإنحراف بلاغى ونداء بارع إلى التعصب الدينى ...!!!
وكان هذا أحد الإصطدامات العديدة التى حدثت بين الكنيسة والعلم بسبب المذهب الدارونى . [عن كتب غيرت وجه العالم ، روبرت ب. داونز ، ترجمة أمين عزت سلامة . الهيئة المصرية للكتاب ص : ٢٧٨/٢٧٩]

[14] الفكر القائل بـ " **التطور فى حدود النوع** " ، هو فكر مبنى على المشاهدات المعلمية التى تمت حتى الآن . فلم يحدث - مثلا - عند تعديل الجينات الوراثية فى فأر ما ... أن نتج عنه - فى سلالاته التالية - أسدا أو ذئبا أو حوتا ، ولكن تعديل الجينات الوراثية فى فأر ما ... ينتج عنه فأرا آخر ، ولكن بصفات وراثية قد تختلف قليلا أو كثيرا عن الفأر الأصلى ، ولكنه يظل فى الأول وفى الأخر فأرا ، أى أن التطور يحدث فى حدود النوع أو الذات ، ولا يحدث بالقفز إلى الأنواع الأخرى . وعموما ليس هناك ما يمنع من قبول هذا الفكر بمرونة كافية ؛ بمعنى أنه يمكن قبول أى إنحراف عن هذا الفكر يمكن أن يجىء به المستقبل . ولكن مثل هذا الإنحراف أيا كان بعده - عن الفكر الحالى - فإنه لن يؤثر على فكر القضايا المتداولة هنا . فالقضايا التى سوف نتناولها - فى هذا الجزء - تعتمد فقط على وجود التطور من حيث المبدأ ؛ وهذا هو الحادث فعلا . ولكنها لن تعتمد على ناتج أو شكل هذا التطور .

وإن كان هذا لن يؤثر بالسلب أو بالإيجاب على عمومية فكر " قضية التطور " الذى سوف نتناولها الآن . ففكر هذه القضية سوف يعتمد فقط على وجود التطور من حيث المبدأ ـ وهذا هو الحادث فعلا ـ ولكنه لن يعتمد بشكل أو آخر على ما سوف تؤول إليه أنواع السلالات المتطورة .

ونأتى الان لفكر التطور كما جاء به القران المجيد . وعلى الرغم من أننى لست بصدد المقارنة الان بين ما ورد فى الكتاب المقدس [١٥] ، وبين ما ورد فى القرآن المجيد حول بعض النصوص ، إلا إننى ـ قد رأيت ـ إستكمالا لإتصال المعانى فى هذا الكتاب ، أن أذكر ـ بإختصار شديد ـ ما جاء فى القرآن المجيد عن قصة خلق آدم أو الإنسان ، وحول ما جاء عن الفكر الداروني [١٦] فيه .

وتأتى قصة خلق ادم ، أو الإنسان ، فى القرآن المجيد ، متفرقة فى عدة سور منه . نبدأها بما جاء ـ أولا ـ فى سورة البقرة (ثانى السور) بقوله تعالى :

[وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢}: ٣٠ - ٣٩)

---

[١٥] بناءا على حسابات علماء اللاهوت المسيحى ، والمستمدة من واقع نصوص الكتاب المقدس ، نجد أن " الله " قد خلق الأرض ـ وما عليها ـ من جميع صور الحياة النباتية والحيوانية كان منذ ستة آلاف سنة فقط ...!!! والمعروف أن تاريخ حياة الأرض يمتد إلى أكثر من ٤ بليون سنة مضت ، أى أكثر من حوالى (٦٥٠ ألف ضعف) ما قال به الكتاب المقدس .

[١٦] وهو الفكر الذى سبب حرجا شديدا للكنيسة ، وحاربته بشدة إثر ظهوره .

وهذه هى قصة خلق ادم فى أحكم صياغة لها (أى فى أقل عدد ممكن من الكلمات) ؛ وهاك بعض ما تشتمل عليه هذه الايات القليلة من معانى عريضة [17] :

[**أولا**] : أن " الله " قد خلق " الإنسان " **واستخلفه فى عمارة الأرض** ، كما جاء فى قوله تعالى :

(... وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ...)

[**ثانيا**] : **أن " الله " قد قضى ، عند خلق " الإنسان " بتطوره من بدائية مفرطة أو حيوانية أولى** ، وهى الصورة التى كان عليها ادم ــ عند بداية خلقه ــ وكما رأته الملائكة [18] عندما (... **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ...**) ، إلى السمو به إلى صورة الإنسان الحالى ، بعد أن قام الله ـ سبحانه وتعالى ـ بتعليم ادم جميع الأسماء الممكنة (**... وعلم آدم الأسماء كلها ...**) وهى الأسماء : الطبيعية ، والفيزيائية ، والإجتماعية ، والتاريخية ، والتشريحية ، والكيميانية ، والبيولوجية ... إلى اخرة . ويتأكد معنى هذا التطور وأطواره المختلفة بالنسبة للإنسان فى موقع اخر ـ فى القران المجيد ـ كما جاء فى قوله تعالى :

[**وقد خلقكم أطوارا (١٤)**] (القران المجيد : نوح {٧١} : ١٤)

هكذا بنص مباشر ، وبمنتهى الوضوح ... (**وقد خلقكم أطوارا**) . وهنا نكون بصدد " **قضية تطور كلية** " بالمعنى العريض للكلمة . فـ " **أطوارا** " هنا تعنى الأطوار الجنينية داخل رحم الأم ، كما تعنى أطوار الإنسان ومراحل تطوره على سطح الأرض . كما تعنى بتطور الإنسان فى المستقبل القريب أو البعيد ، كل على حد سواء . كما تعنى أيضا بالأطوار التى قد يقضى بها " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ فى الأشكال الحياتية الأخرى فيما بعد الموت ، بعد هذه الحياة الأرضية ، كما جاء فى قوله تعالى :

---

[17] سوف يتم شرح النص القرآنى السابق هنا ؛ فى ستة بنود تبدأ بـ " أولا " وتنتهى بـ " سادسا " ، وذلك كملخص لما تشتمل عليه هذه الآيات الكريمة من معان كلية . وسوف يتم الرجوع إلى هذه الآيات السابقة ــ على طول هذه البنود ــ بدون الإشارة إلى مواقعها أحيانا لتجنب التكرار . أما أى نصوص أخرى مستخدمة فسوف يتم الإشارة إلى مواقعها من السور كالمعتاد .

[18] نؤكد هنا على أنه ليس للملائكة رؤية غيبية أو رؤية مستقبلية ، حتى يمكن أن نقول بأن الملائكة قد رأت أفعال الإنسان وحروبه فيما بعد (حيث نلاحظ أن العملية التعليمية قد جاءت بعد الخلق ، أى إنه لم يكن هناك للإنسان معرفة ما أو حضارة حال رؤية الملائكة له) . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقرر بأنه وحده هو الذى عنده مفاتح الغيب وليس لأحد سواه ، كما فى قوله تعالى :

[**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ... (٥٩)**] (القران المجيد : الأنعام {٦} : ٥٩)

[... وننشئكم فى ما لا تعلمون (٦١) ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون (٦٢)]
(القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٦١ – ٦٢)

إذن فغاية علمنا عن التطور ، هو التطور الحادث فى هذه الحياة الأرضية فقط ، وهى ما تعنى به الاية الكريمة (**... ولقد علمتم النشأة الأولى ...**) ، أى حتى بعد وصولنا إلى نهاية تقدمنا وعلمنا الأرضى فغاية علمنا هو النشأة الأرضية الأولى .

وسنأتى إلى ذكر **مزيد من التفاصيل عن المعنى العريض لتطور الإنسان** ، كما جاء به القران المجيد فى كتابات تالية إن شاء الله ، لأن هذا يتطلب الدخول فى تفاصيل الأكوان المتراكبه ، ومعنى **الروح والنفس والجسد** [١٩] ؛ وهى تفاصيل تخرج كثيرا عن نطاق هذا الكتاب الحالى . ليرى الإنسان مدى محدودية فكره ، وضيق معنى التطور الذى جاء به دارون ، فى نظريته عن النشوء والإرتقاء ، وأصل الأنوع .

وكما سبق وأن إنتهينا ، فإن الكلمات فى النص القرآنى هى بمثابة الأحكام العامة التى تنطبق على الجزئيات والكليات معا ، أى لا تحديدية على نحو مطلق فى كل ما يقع تحت طائلة النص القرآنى من أحكام . فالحكم هنا هو حكم جامع لرؤية لامحدودة لقانون واحد لا ندرك منه إلا رؤية محدودة - وباهته - لشريط ضيق (A Narrow Band) من المعانى الجزئية فقط ، من أصل الطيف اللانهائى (An Infinite Spectrum) من المعانى الكلية . ويتأكد معنى التطور أيضا بشكل اخر فى قوله تعالى :

[يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذى خلقك فسواك فعدلك (٧) فى أى صورة ما شاء ركبك (٨)]
(القران المجيد : الإنفطار {٨٢} : ٦ – ٧)

هكذا بمنتهى الوضوح ... (**الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك**) ، **وهى كلمات تحمل معانى عريضة جدا بالتطور** . هكذا (**... سواك فعدلك**) ، **وهو فكر يسمح بالإنتقال بالإنسان من علقة أو حتى دودة ، إلى الشكل النهائى الذى هو عليه الآن** . والتسوية تعنى الإنتقال بالشيء من حال إلى أحوال أخرى ، كما تعنى كلمة " **عدلك** " بإعتدال قامة الإنسان بعد إنحناء ، (فعدل الشئ عدلا : أقامه وسواه) . وهذا النص يسمح بأن يكون الإنسان كان يمشى مشية مشابهه لمشية القرود مستخدما يديه فى الإتكاء عليها . وبديهى ليس من الضرورى -

[١٩] أنظر كذلك صفحتى (٤٨٩/ ٤٩٠) من هذا الكتاب لرؤية بعض معانى فكر التطور النفسى للإنسان فى الاخرة .

كما سبق وأن ذكرنا - أن يكون الإنسان منحدر أصله من أحد أنواع القردة الموجـودة الآن ، بـل يمكن أن يكون واحد من أنواع هذه المملكة (**One of the species**) ، ولكن أصله مختلف عمـا نراه ونألفه الآن فى هذه المملكة . ثم تضيف الاية الكريمة (**فى أى صورة ما شاء ركبك**) . أى أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد ركب الإنسان فى الصورة التى قد قضى له بها ... من الناحية الفسيولوجية والنفسية والعقلية . أو قل ما شئت عما نحن عليه الان ، فجميـع تركيبـات الإنسـان تدخل فى حيز الإرادة الإلهية ، أى فيما أراده " **الله** " له . ولكن يخبرنا المولى - عز وجل ــ أن الصورة النهائية أو الحالية للإنسان هى أعدل وأكمل صورة للإنسان ، أى أن ليس هنـاك أفضـل منها كما جاء فى قوله تعالى :

[**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم (٤)**] (القران المجيد : التين {٩٥} : ٤)

وكلمة (**تقويم : Calendar**) [٢٠] هى كلمة جامعة وتعنى المفردات التركيبية للإنسان ، بما فـى ذلك أحداثه التطورية الزمنية على نحو عام سواء فى أثناء حياته الأرضية ، أو فى أثنـاء حياتـه فيما بعد ذلك . وبديهى إن أى تحرك من القمة سوف ينتهى بالحركة وبالمتحرك إلى القاع أو إلى الأدنـى . وبهـذا المعنـى فـإن أى محـاولات تبـذل مـن جـانب الإنسـان لإستخدام علـم " **الهندسـة الوراثية : Genetic Engineering** " [٢١] لإنتاج سلالة إنسانية أفضل (أو الإنسان السوبر كمـا

---

[٢٠] لم تستخدم هذه الكلمة فى التراجم الإنجليزية المتداولة للقران المجيد ، بل إستخدمت كلمات أخرى منها :
Mould, Symmetry, Form, Nature, Constitution, Best Stature, ...

والآية الكريمة المشار إليها ، وما يليها من آيات هى كالنحو التالى :

[**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم (٤) ثم رددناه أسفل سافلين (٥) إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون (٦)**] (القرآن المجيد : التين {٩٥} : ٤ - ٦)

وهو ما يعنى بأن هبوط الإنسان إلى أى فكر متردى يمكن التغلب عليه بالإيمان والعمل الصالح ، وجميعها أمـور يستطيع الإنسان أن يأتى بها ، بتحكيم العقل وتغليبه على هوى النفس وليس بتعديل جيناته الوراثية . وبديهى أن تحقيـق صفات الخير فى الإنسان بإستخدام **الهندسة الوراثية** يتعارض مع حكمـة إختبار الإنسان أو إبتلاؤه فـى هـذه الحياة الدنيا ، وبالتالى فليس من المتوقع على الحصول على " **الإنسان الخير** " من الإنسـان الحـالى ، بتعديـل جينـات الأخير الوراثية ، باستخدام **علم الهندسة الوراثية** (أنظر التذييل التالى) .

[٢١] **علم الهندسة الوراثية** ؛ هو العلم الذى يبحث فى تغيير أو التحكم فـى الجينات الوراثيـة للنبـات والحيـوان بصفـة عامة ، لمنع إنتقال أى عيوب أو نقائص موجودة فى الجيل الأول (أو الجيل الأصلى) إلـى الأجيـال التاليـة ، وبهـذا يمكن الوصول بالسلالات المتولدة عن بعضها البعض إلى السلالة الفائقة أو السلالة السوبر .
أما عن فكر الهندسة الوراثية نفسه ، فإنه يأتى بشكل مباشر فى القرآن المجيد ، وإنه عمل ممكن حدوثه ، ولكنـه عمـل غير مرغوب فيه لأنه يمكن أن يضل به - الشيطان - الإنسان وبهذا يخسر الإنسان نفسه ، وذلـك كمـا جـاء فـى قولـه تعالى (فيما يقوله الشيطان لله - عز وجل - عن سلوكه { أى عن سلوك الشيطان } المتوقع مع الإنسان) :

[**ولأضلنهم ولأمنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا مـن دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩)**] (القرآن المجيد : النساء {٤} : ١١٩)

يقولون) سوف تقود فى النهاية إلى إنسان ذى صفات أدنى أو صفات أضعف من الإنسان الحالى . هذا إن لم تقد هذه الأبحاث ـ فى حالة إجرائها على الإنسان ـ إلى إنسان مشوه عقليا وجسميا ، أو تقود إلى إنسان أبله أو مغتوه ...!!!

وبديهى يبدأ تطور الإنسان على الأرض ، بمرحلة ما قبل التاريخ الفكرى والحضارى له ، كما جاء فى قوله تعالى :

[هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (١)]

(القرآن المجيد : الإنسان {٧٦} : ١)

وهو **إستفهام تقرير** وتقريب ، وهو ما يعنى بأنه قد (... **أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**) ، وهى فترة إنسان ما قبل التاريخ . هكذا بمنتهى الوضوح والصراحة ، فلا تأويل فى النص ، ولا إجتهاد فى الوصول إلى المعنى المراد . وقد تكون هذه الفترة الزمنية ؛ هى الفترة التى بدأت ببداية خلق الإنسان على الأرض وبداية تطوره ـ على النحو السابق ذكره ـ وحتى تمام إستكمال الله ـ سبحانه وتعالى ـ تعليمه للأسماء كلها (**وعلم آدم الأسماء كلها ...**) أى حتى قرب نهاية مرحلة نضجه العقلى ، وقرب نهاية التطور الذى قضى ـ الله ـ له به حتى وصل إلى شكل الإنسان الحديث ؛ وهو ما يعنى بداية التاريخ أو الحضارة الإنسانية .

وفترة ما قبل التاريخ الإنسانى ، هى الفترة التى لم ينضج فيها عقل الإنسان على النحو الذى نراه عليه الان . فكما رأينا فإن الإنسان قد تطور فى هذه الفترة عقليا وجسميا أيضا ، فجميع هذه الأمور تخضع لمبدأ التطور . وهكذا ـ فكما نرى ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يشأ أن يخلق الإنسان دفعة واحده بشكله الحالى ، ولكن قضت إرادته وحكمته أن يخلقنا فى شكل سلسلة من الأطوار المختلفة ، كما فى قوله تعالى : (**وقد خلقكم أطوارا**) .

ولكن من المؤكد أن بدء السلالة الإنسانية ـ فى صورتها الأولى ـ كانت مختلفة عما نراها عليها الان ، وإلا لما قال المولى عز وجل :

فكما نرى أن عملية "**تغيير خلق الله**" أو "**تغيير الخلق**" بصفة عامة ، **هو** عمل ممكن حدوثه ، وجاء بنص مباشر فى القرآن المجيد ، **ويديهى إن هذا العمل لا يتم إلا بإستخدام علم الهندسة الوراثية** . أما عن معنى " ... **ولأمنينهم** ... " فهى تعنى بأن الشيطان سوف يعطى الناس ـ بهذا العمل ـ الأمل فى طول الحياة والبقاء ، وأنه لا موت ولا بعث ولا حساب ، وبالتالى سوف يستخدم هذا العلم فى إضلال الإنسان بإبعاده عن معنى الحكمة من وراء خلقه ووجوده .

[قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (٢٠)]

(القران المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٢٠)

فلولا وجود هذا الخلاف (أو الفرق) بين ما بدأ الله - سبحانه وتعالى - به الخلق ، وبين مانحن عليه الان (وكله فى إطار المشيئة الإلهية) لما استطعنا تمييز " **كيف بدأ الخلق** " التى جاءت بها هذه الاية الكريمة السابقة . وإطلاق معنى " **الخلق** " فى النص القرانى بالعبارة " **كيف بدأ الخلق** " ، **إنما يعنى أن كل أنواع المخلوقات خاضعة لمبدأ التطور بما فى ذلك الإنسان .**

ويترك لنا الخالق - سبحانه وتعالى - الاثار الدالة على **نشوء الخلق** فى سلسلة من الأطوار - سواء كان هذا إنسانا أم حيوانا - فى داخل القشرة الأرضية لتكون محورا لدراسات الإنسان وبحثه . فالآية الكريمة تشير إلى أن الاثار الدالة على بداية الخلق أو نشوء الحياة وتطورها قد تركه الله - سبحانه وتعالى - لنا **فى الأرض** . وهو كما نرى - الان - فى صورة " **حفريات أرضية : Fossils** " . كما يشير قوله تعالى : (**قل سيروا** ***فى الأرض*** ...) ، إلى وجوب إجراء البحث والتنقيب **فى داخل الأرض ، أى فى داخل صخورها وطبقاتها الجيولوجية .**

كما تمثل بداية هذه الاية الكريمة (***قل سيروا*** **فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ...) **الأمر الإلهى الصريح والواضح للإنسان بالبحث العلمى** لمحاولة إكتشاف هذه النشأة الأولى أو إكتشاف بداية الخلق - على الأرض - على نحو مطلق بما فى ذلك الإنسان ، وذلك بإكتشاف الاثار الدالة على بداية سلسلة التطور التى قضى بها الله - سبحانه وتعالى - وتركها لنا فى صورة حفريات أرضية . **وهكذا يصبح البحث العلمى ضرورة يحتمها الله - سبحانه وتعالى - على الإنسان للتدليل على أو للبرهان على صحة النص القرآنى ، وبالتالى صحة القضية الدينية .**

ويبين لنا المولى ، عز وجل ، فى هذه الاية أن منتهى العلم الإنسانى ، سوف ينتهى عند حدود هذا الوجود الأرضى فحسب ، ولا يتعدى علم الإنسان ما بعد هذه النشأة الأولى . (... **ثم الله ينشئ النشأة الآخرة** ...) ، أى فيما بعد الموت . إذن فغاية علم الإنسان هو النشأة الأولى فحسب كما سبق وأن بينا فى النص الأسبق (... **ولقد علمتم النشأة الأولى** ...) [٢٢] . وهكذا نرى أن الإنسان - فى الفكر القرانى - مازال يقع داخل سلسلة من التطور لا يعلم الإنسان عنها شيئا إلا معرفة جزئية فقط ، وحتى بعد غاية تقدمه العلمى .

---

[٢٢] سورة الواقعة {٥٦} : ٦٢ .

" ونكرر القول هنا : بأنه على الرغم من عدم وجود البراهين الرياضية المباشره الداله على صحة وصدق المسلمات العلمية الكبرى ، إلا أن هذه المسلمات تستمد صحتها وصدقها من صحة وصدق النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمات ، والتى يمكن قياسها معمليا أو التحقق منها بشكل مباشر . وهكذا فإن صدقت نتائج المسلمات صدقت المسلمات نفسها ، وإن بطلت نتائج المسلمات بطلت المسلمات نفسها ، كما سبق وأن قلنا بهذا مرارا " .

وهكذا فالاية الكريمة السابقة تقول بأن " الله قد خلق الخلائق فى صورة أطوار " ، هذا وقد ثبت صدق هذه القضية العلمية ، وبالتالى صدقت أحدى " **نتائج المسلمة** " التى تقول بأن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " ، وهى المسلمة التى لا يمكن إقامة الدليل على صحتها بطريقة مباشرة كما سبق وأن ذكرنا ، إلا من خلال إقامة الدليل على صحة النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة .

ولنا الآن وقفة أخرى ؛ للرد على كل **من ينكر ويشكك فى دلالة الحفريات التى وجدت حتى الآن** ، بل وما زال يصر ويحتج ويقول بأن مبدأ التطور لم يتأكد بشكل نهائى وقاطع بالنسبة للإنسان . فنقول له ـ فى الواقع ـ **إن مبدأ التطور قد ثبت الآن معمليا وتأكد بشكل قاطع وبما لا يدع مجالا لأى شك** . بل وأصبح البرهان المعملى واضح الدلالة على صدق معنى التطور . ولكن هذا البرهان المعملى ؛ يأتى ـ فى الواقع ـ **بطريقة عكسية** ويمكن أن يصاغ على النحو التالى :

لقد إستطاع الإنسان ـ الان ـ تغيير بعض **الأكواد (أى الشفرات) الوراثية : Genetic Codes** [٢٣] ، فى بعض أنواع أجنة الحيوانات المختلفة لإنتاج سلالات (أو أطوار) أخرى مختلفة عن الطور الأصلى للحيوان ، وهو ما يعنى بأن التطور قائم وموجود فعلا . وبديهى ليس هناك ما يمنع من وجود عكس العكس ، أى أننا يمكننا القول بأن الطور الأصلى للحيوان يمكن أن ينتج أو أن يأتى بطريقة عكسية من السلالة المعدلة للحيوان والتى تم التوصل إليها معمليا ، وذلك باسترجاع الكود الوراثى الأول للأجنة على ما كان عليه سابقا . أو بمعنى اخر إعادة الكود الوراثى إلى ما كان عليه أولا حتى يمكن الحصول على الطور الأول من الحيوان المعدل والذى جئنا به معمليا . **وبهذا يكون مبدأ التطور ووجود الأطوار المختلفة قد تم التثبت منه فعلا ولكن بطريقة عكسية .**

---

[٢٣] **الشفرة الوراثية أو الكود الجينى : The Genetic Code** : هو المعلومات الجينية أو التركيبة الشفرية داخل سلاسل النوى من الـ (DNA) ، و (RNA) والتى تحدد تسلسل تركيب الأحماض الأمينية فى البروتين والتى يتوقف عليها عناصر الوراثة للأجيال التالية .

وقياسا على ذلك ؛ يمكننا القول بأن الطور الحالى لأى شكل من الأشكال الحياتية الموجودة الان على سطح الأرض ، يمكن أن يكون ناتجا تطوريا من أطوار آخرى سابقة عليه ، وبهذا يكون قد تم البرهان على مبدأ التطور ـ من حيث المبدأ ـ كما تم التأكد منه معمليا وبشكل قاطع .
وبديهى أن الإنسان لم يتجاوز ـ فى معناه ـ إلا أحد هذه الأنواع الحياتية (**One of the Species**) والتى يمكن تعديل سلالته هو الآخر (أى إنتاج أطوار مختلفة منه) تماما كالحيوان ، وذلك بتغيير جيناته الوراثية . فمثلا إذا ما تم تغيير كود الجينات الوراثية للإنسان ونتج عن هذا التغيير مخلوقا مشوها ، فإن الأصل الإنسانى ـ بداهة ـ يمكن إسترجاعه من هذا المخلوق المشوه بإعادة تكوين الكود الوراثى إلى ما كان عليه أولا (هذا بفرض أن العمليات الجينية فى الإنسان قابلة للعكس ، وليس هناك ما يمنع ذلك كما سبق وأن ذكرنا) . وبهذا المعنى ؛ نقول أن تطور الإنسان من حيث المبدأ يكون قد ثبت معمليا وبشكل حاسم .

وباسترجاع ـ الآن ـ ما جاء عن الدارونية فى القرآن المجيد مرة أخرى ؛ فإننا نجد أن ما جاء به ـ القران المجيد ـ عنها هو أعم وأشمل مما جاء به دارون وما تم إستكماله ـ بمعرفة العلماء ـ من بعده فى هذا الإتجاه . وهكذا نجد أن القضايا القرانية تمثل النبوءة العلمية التى يتم التثبت منها مع مرور الوقت . وهذا هو القران المجيد ، الذى يبلغنا عنه ـ الله ـ فى محكم تنزيله ، بقوله تعالى :

[إن هو إلا ذكر للعالمين (٨٧) ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨)]
(القران المجيد : ص {٣٨} : ٨٧ - ٨٨)

وهو ما يعنى أن إدراك معانى القرآن المجيد ، لن يأتى إلا مع تقدم الحضارة البشرية ، أى **(ولتعلمن نبأه بعد حين)** . فإن لم نكن نعلم هذا النبأ القرانى الان ، فسوف نعلم (**... نبأه بعد حين**) . وهذا هو أحد أنواع الغيب فى القران المجيد ، إنه غيب متحرك أو هو غيب مرتبط بتقدم علوم الإنسان بشكل أساسى .

أما الغيب المطلق ، كما فى قوله تعالى : [**وإذ قال ربك للملائكة** (أى غيب عالم الملائكة) **إنى جاعل فى الأرض خليفة ...**] ؛ فهو غيب ـ فى الواقع ـ يمتد جذوره إلى " **عالم الشهادة** " أو " **الواقع الفيزيائى** " الذى نحيا فيه ، لأن صدقه قد إرتبط بصدق قضايا يمكن التثبت منها فى أرض الواقع ، مثل إكتشاف أمر التطور الحادث للإنسان والخلائق . وبهذا يكون الواقع دليل صدق على هذا الغيب المطلق .

ويتأكد هذا المعنى ـ أيضا ـ بنحو اخر فى قوله تعالى :

[لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون (٦٧)]

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٦٧)

وهو ما يعنى بأن كل خبر جاء به القرآن المجيد له الوقت الذى يتحقق فيه . فقوله تعالى : (**لكل نبأ مستقر ...**) يفيد بأن التثبت من القضايا العلمية سوف يأخذ الوقت الكافى حتى تستقر فيه القضية العلمية على صورتها النهائية الصحيحة لها ، وعندئذ سوف يعلم الإنسان صدق ما جاء به القران المجيد . كما تتأكد المسئولية الإلهية تجاه الإنسان فى بيان هذا ــ للإنسان ــ كما فى قوله تعالى عن القران المجيد :

[إن علينا جمعه وقرءانه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرءانه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩)]

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ١٧ – ١٩)

ومعنى قوله تعالى : **(... ثم إن علينا بيانه ...) ، يعنى ... أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ سوف يقوم ببيان صحة ما جاء به القرآن المجيد من قضايا ، للإنسان على مر تقدمه ورقى حضاراته .**

وكما نرى أيضا من هذه الاية الكريمة ؛ فإن " الله " ـ سبحانه وتعالى ـ ينسب إلى نفسه جمع القرآن ، أى هو الذى جمعه فى صدور الذين آمنوا به وحفظته ، وهو أيضا الذى جمعه فى كتاب واحد هو القرآن المجيد ، حتى وإن بدا لنا ـ نحن بنى البشر ـ أن القائمين بهذا العمل هم كتاب الوحى وصحابة رسول الله [٢٤] (ﷺ) . فهذا هو القرآن المجيد ...

---

[٢٤] من المعروف أن القرآن قد نزل منجما على محمد (صلى الله عليه وسلم) فى ثلاث وعشرين سنة مدة بعثته موزعا على الحوادث . ومما هو معلوم أيضا ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان أميا ، أى لا يعرف القراءة والكتابة ، ولهذا اتخذ له كتابا يسمون **كتاب الوحي** منهم من كان من مكة ، ومنهم من كان من المدينة بعد هجرته إليها (فمن مكة كان : عبدالله بن أبى سرح ، وأبو بكر ، وعثمان ، وعمر ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وخالد ، وأبان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظلة بن ربيع الأسدى ، ومعيصب بن أبى فاطمة ، وعبدالله الأرقم الزهرى ، وشرحبيل بن حسنة . **ولما هاجر ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة كان من كتاب الوحي أيضا :** زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب (وهما أنصاريان) ، وأبان بن سعيد بن العاص (مهاجر) ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وخالد بن الوليد ، وعبدالله بن رواحة ، وثابت بن قيس) .

وكلما نزل القرآن على محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يحفظه ويبلغه للناس ليحفظوه ، ويأمر كتاب الوحى بكتابته ، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته . فيقول لهم : **ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة ، وهذه الآية بإزاء تلك الاية . ولم ينتقل النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوبا فى عهده .**
وكلمة (جمع القرآن) تارة يراد منها حفظ القران واستظهاره فى الصدور ، كما تطلق تاره أخرى على كتابة القرآن . وجمع القرآن بمعنى كتابته ، قد تم ثلاث مرات : الأولى فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والثانية فى خلافة أبى بكر (أول الخلفاء الراشدين) ، والثالثة فى خلافة عثمان بن عفان (ثالث الخلفاء الراشدين) ، وفى هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف ، وأرسلت إلى الأمصار ، أى إلى الآفاق .

[قل هو نبأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨)]
(القران المجيد : ص {٣٨} : ٦٧ - ٦٨)

فهل أدرك الإنسان أنه (... **نبأ عظيم**) ، وهل أدرك الإنسان معنى (**أنتم عنه معرضون**) ، أم ما زال الإنسان يقف ويغلفه عجز الإدراك والفهم ، أو أنه ما زال يقف ... لا يرى ... ولا يسمع ...!!! حتى ينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى :

[ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٨٩)]
(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٩)

وننتهى من هذا البند بالقول ـ وكما رأينا ـ بأن البحث العلمى هو ضرورة يحتمها البرهان اللازم للتثبت من صحة وصدق القضية الدينية ، **وبهذا المفهوم يصبح البحث العلمى ، جزءا مكملا ومتمما للدين** . فلا دين صحيح ، بدون براهين علمية كافية للبرهنة على صحتة ، وصدق ما ورد فيه من قضايا . ولهذا نجد أن الأمر الإلهى للإنسان نحو حثه على البحث العلمى هو أمر واضح وصريح فى هذا الشأن . كما يأتى ـ البحث العلمى ـ على قمة قمم الأعمال الصالحة فى " **القضية الدينية** " فى الفكر الإسلامى ، والتى يمكن أن يؤديها الإنسان . وسنأتى إلى تفصيل ذلك فى " **فضل العلم والعلماء فى الديانة الإسلامية** " فى كتابات تالية إن شاء الله . **فكما نرى أن الدين ... هو الدعوة الصريحة والحث الواضح على البحث العلمى ... لإستكمال البراهين الأساسية الدالة على صحة القضية الدينية وسلامتها** .

[ثالثا] : وتحسم الآيات الكريمة الأولى ـ والخاصة بقصة خلق الإنسان ـ نظرية المعرفة (**Epistemology**) أو (**The Theory of Knowledge**) عند الإنسان ، وبأن أصلها عقلى ، أى أن أصل المعرفة هى معرفة ميتافيزيقية ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وعلم آدم الأسماء كلها ... (٣١)] (القران المجيد : البقرة {٢} : ٣١)

وهى قضية لم تحسمها الفلسفة منذ نشاتها حتى الان ، أى منذ حوالى ثلاثة الاف عاما وحتى الان . حيث لم يتفق الفلاسفة على نوع المعرفة لدى الإنسان حتى الان ، وهل هى أصلها عقلى (أى معرفة ميتافيزيقية) أم أن أصلها بالحواس (أى معرفة علمية) ، أم أن أصلها بهما معا . ثلاثة الاف عاما من الإختلاف ... ومن الجدل ، ولم يصل الإنسان إلى كلمة نهائية حول نوع

المعرفة (راجع كذلك ، الفصل الرابع) . ويقرر اللـه ـ سبحانه وتعالى ـ فى قرانه المجيد ، بفطرية المعرفة فى العقل البشرى ، أى أن أصل المعرفة فى الإنسان هى " معرفة عقلية " ، أى معرفة ميتافيزيقية (كما يحلو للفلاسفة تسميتها) . كما جاء فى قوله تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها ...)** . وظاهر المعنى ، كما جاء فى النص ، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد ركب المعرفة بالكامل فى العقل البشرى من قبل . وبهذا تصبح المعرفة البشرية هى " **معرفة قبلية : A priory** " ، وتصبح الحواس هى مجرد الوسيلة للمقابلة بين " المعرفة القبلية " أى بين ما هو مخزون أو مركب فى العقل البشرى ، وبين ما هو موجود فى العالم المحسوس ، والتى يمكن تسميتها بـ " المعرفة البعدية : A posteriority " أو " المعرفة العلمية " . وبهذا تصبح المعرفة تمثل **تناظر الواحد للواحد** بين ما هو معروف من قبل ، وبين ما هو معروف من بعد [٢٥] .
وإستكمالا للنص السابق يقول المولى ، عز وجل ، فى موضع آخر : .

[خلق الإنسان (٣) علمه البيان (٤)] (القرآن المجيد : الرحمن {٥٥} : ٣ – ٤)

وكلمة " **بيان** " هى كلمة جامعة للمعرفة والعلم البشرى على نحو مطلق ، كما تعنى أيضا العلاقات المتبادلة بين الأسماء ، وبذلك يكون " المنطق " أحد أفرع البيان . **وتدل هاتان الآيتان الكريمتان ـ أيضا ـ على المعنى الضمنى القاضى بتطور عقل الإنسان** . فكما نرى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق الإنسان أولا ، ثم علمه البيان أو المنطق ثانيا . أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أن خلق الإنسان ، أودع فى عقله القدرة البيانية ؛ وهى القدرة على التحليل والجمع والتركيب لبيان معانى الأشياء (أى المنطق) ، ثم تخزين هذه المعرفة للإستفادة منها عند الحاجة . وهكذا ، فكما نستطيع أن نكون جميع مفردات اللغة من عدد محدود من الأحرف ، نستطيع أن نكون كل المعارف الممكنة من الأسماء وتركيباتها المختلفة ، بإستخدام القدرة البيانية التى أودعها الله فى العقل البشرى . وهنا تصبح المعرفة ، ناتجا طبيعيا من هذه القدرة البيانية (أى القدرة التحليلية والمنطقية والتركيبية : Synthetic) التى أودعها الله فى العقل البشرى كفطرة أولية . تماما كما تصبح الكلمات فى اللغة ناتج طبيعى لأحرف اللغة المحدودة .

وسواء كانت المعرفة هنا ، هى معرفة قبلية بالكامل ، أو معرفة قامت على أساس قدرات تحليلية ، نقدية ، تركيبية ، وتعريفية للأشياء قد أودعها الله أو ركبها الله فى العقل البشرى ، ثم تخزينها للإستفادة منها عند الحاجة ، فإنها فى جميع أحوالها هى " معرفة عقلية " أى " معرفة ميتافيزيقية " . وبهذا تصبح الحواس ؛ هى مجرد النافذة المطلة على العالم المحيط بنا ، والتى

---

٢٥ إقترب من هذا المعنى جدا الفيلسوف الألمانى هيجل (أعظم فلاسفة الألمان والغرب) فى فلسفته المثالية ، أو الفلسفة الهيجيلية ، أنظر الباب الرابع (فقرة ٣. ٤. ٥.) . كما إقترب أيضا من هذا المعنى كل من هنرى بيرجسون ، وعمانويل كانط (أنظر الفصل الرابع فقرة : ٣. ٥. ، وفقرة : ٣. ٤. ٤.) .

تسمح بالمدخلات الخارجية (External Inputs) إلى هذا النظام العقلى البديع ، إمـا لعمل عمليـة المقارنة (أو التناظر) بين ما هو فطرى (أى ما هو مركـب فعـلا) وبين مـا هـو خـارج . أو لتحويل مفردات المعانى الخارجية ، باستخدام القـوى العقليـة المركبـة ، إلـى الصياغـة المعرفيـة المناسبة ، وتخزينها للإستفادة منها عند الحاجة . وبهـذا تصبـح الحـواس البشـرية ، ذات طبيعـة مكملة (Complemantary) وليست ذات طبيعة أساسية فى " نظرية المعرفة " .

كما يجب ألا يغيب عن الذهن أن الحيوانات تمتلك نفس الحواس الخمسه الخاصة بالإنسان (وهى : السمع ، والبصر ، والشم ، والتذوق ، واللمس) . وليس هذا فحسب ؛ بل نجد أن بعـض هـذه الحيوانات يتفوق فى بعض هذه الحواس بشكل واضح وملحوظ علـى الإنسـان (كحاسـتى السـمع والشم عند الكلاب والقطط) . ولكن الحيوان ـ كالقرد مثلا ـ لا يملك من القوى العقلية ما يلزم ، أو ما يكفى لتعريف ما يراه من موجودات فى هذا العالم المحيط بـه ، وتخزينـه للإستفادة منـه عند الحاجة كما يفعل الإنسان (أى ليس لديه القدرة على البيان) . وهكذا فـإن المعرفـة البشـرية هى "معرفة عقلية " أو " معرفة ميتافيزيقية " ... كما يقرر الله بهذا فى كتابه العزيز .

والقضية هنا مشابهه ، إلى حد بعيد ، لما نقوم بتركيبة نحن فى الكمبيوتر (أو الحاسب الالى) ، من برامج لـينة مختلفة (Software Programs) على القرص الصلب (The Hard Disk) . ففى الحقيقة ؛ نحن لا نستطيع أن نجعل " الحاسب الالى " أو " الكمبيوتر " التعرف على أى شىء مهما صغر ، مالم يكن هذا الشئ قد تم وضعه مسبقا فى ذاكرته . فإذا أردنا ـ مثـلا ـ أن نجعـل الكمبيوتر التعرف على حروف اللغة العربية والكتابـه بهـا ، فلابـد لنـا مـن تعريـف جميـع صـور أحرف هذه اللغة ووضعها فى ذاكرته ، أى وضع البرنامج العربى الخاص بذلك (The Arabic Software Program) فى ذاكرة الكمبيوتر حتى نستطيع أن نكتـب بهـذه اللغـه ، وهـذا هـو مـا نعنى به المعرفة العقلية أو المعرفة الميتافيزيقية ، وهو ما يتم تركيبه تركيبا قبليا فى عقل الإنسان من برامج .

وسواء كان هذا البرنامج العربى مركب تركيبا قبليا فى الكمبيوتر ، أو أن الكمبيوتر عنده القدرة أو الأسلوب الكافى (The Algorithm) ، لتركيب هذا البرنامج ذاتيا ، عند الحاجة إليه أو عنـد طلب هذا منه [٢٦] ، فإن هذا لن يتم إلا إذا كان **تصميم الكمبيوتر أصـلا يسـمح بهـذا** . وهـذا هـو تركيب الإنسان الذى يسمح بهذا ؛ كما فى قوله تعالى : (**... فى أى صورة ما شاء ركبك**) .

---

[٢٦] أى توصيف المطلوب عمله وإدخاله للكمبيوتر ، على أن يقوم الكمبيوتر بكتابة البرنامج الـلازم . وهـذا النـوع من البرامج هو أكثر تعقيدا من كتابة البرنامج مباشرة بمعرفـة الرجل المـبرمج (The software programmer) . ولكن فى جميع الأحوال يلزم تحديد أسلوب وخطوات العمل ـ بدقة متناهية ـ واللازمـة للكمبيوتـر (The Algorithm) حتى يمكنه أن يقوم بأداء مثل هذا العمل ، بدون أخطاء .

[**رابعا**] : تحوى الآيات الكريمة الخاصة بخلق الإنسان ، إغواء الشيطان لآدم ، فيقوم آدم بعصيان الله . فيقضى " الله " ، سبحانه وتعالى ، رحمة منه بالإنسان ، وإمتدادا لفكر التعليم الوارد فى الايات الكريمة السابقة ، بتعليم ادم ، كيف يستغفر لذنبه ، وكيف يتوب إلى " الله " بعد أن عصاه ، كما جاء فى قوله تعالى :

[فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧)]

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣٧)

هكذا ببساطة شديدة ، يعصى ادم الله ، **فيعلمه الله** ؛ كيف يستغفر لذنبه ، **ويعلمه الله** ؛ كيف يتوب من ذنبه ، وكيف ينيب إلى الله ، وكيف يعد الله بألا يعصيه مرة أخرى ، كما يعده الله أيضا بأن يغفر له ، كما فى قوله تعالى :

[وإنى لغفار لمن تاب وءامن وعمل صالحا ثم اهتدى (٨٢)]

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ٨٢)

ويقول المولى عز وجل لرسوله الكريم :

[نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم (٤٩) وأن عذابى هو العذاب الأليم (٥٠)]

(القرآن المجيد : الحجر {١٥} : ٤٩ – ٥٠)

إذن فالقضية الدينية - فى الفكر الإلهى - هى قضية تعليمية بحته ، وهى قضية توجيهيه بحته ... من " إله " أدرى بالإنسان من نفسه ، كما جاء فى قوله تعالى :

[ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦)]

(القران المجيد : ق {٥٠} : ١٦)

وحبل الوريد هنا ، يعنى عرق الوريد الظاهر فى رقبة الإنسان ، وبهذا المعنى يكون الله – سبحانه وتعالى - أقرب إلى الإنسان من جسده ، وأدرى به من نفسه .

ولكن ما هو هذا الشيطان ، فى كل هذه القصة ، وما هى وسيلته لإغواء الناس ؟ وماهى سلطته على الناس حتى يستطيع أن يغويهم ...؟؟!!! فإمتدادا للفكر الإلهى القاضى بتعليم الإنسان ، يرينا الله - سبحانه وتعالى - لقطة للحوار الدائر بين الإنسان والشيطان فى الأخرة ، بعد أن يقضى – الله - الأمر بيننا . وتأتى هذه اللقطة التنبيهية ، على النحو التالى فى قوله تعالى :

[وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم (٢٢)]

(القران المجيد : ابراهيم {١٤} : ٢٢)

فهل وعى عبدة الأوثان مقولة الشيطان لهم (**... إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ...**) ... وهل وعى عبدة الأوثان مقولة الشيطان لهم (**... وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ...**) .

فهل أدرك الإنسان ذلك ... فهل أدرك الإنسان .. (**... إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ...**) ، وهل أدرك الإنسان (**... ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ...**) أم أن الإنسان مازال مغيب الوعى ...!!! فبداهة إن الشيطان لن يغيث أهل النار مما هم فيه ، كما وإنهم لن يغيثوه مما هو فيه . ويقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ للشيطان ؛ فى محكم تنزيله :

[إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢) وإن جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣)]

(القران المجيد : الحجر {١٥} : ٤٢ - ٤٣)

فهل وعى عبدة الأوثان هذا ...!!! فهل وعى الإنسان قول الله تعالى للشيطان : (**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**) ، وبالتالى فأن الإنسان هو الذى يتبع الشيطان برغبته . ويؤكد المولى ـ عز وجل ـ هذا المعنى أيضا للإنسان حتى يطمئن فؤاده ، وحتى يعلم أن الشيطان لا سلطان له عليه إطلاقا ، إذا ما كان يؤمن بالله ويتوكل عليه ، كما جاء فى قوله تعالى :

[فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٩٨) إنه ليس له سلطان على الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)]

(القران المجيد : النحل {١٦} : ٩٨ - ١٠٠)

فهل وعى عبدة الأوثان ... قوله تعالى ... (**إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**) . فهذا هو حال الشيطان مع الإنسان ، وهذه هى حال سلطة الشيطان على الإنسان

... لا شيء ...!!! لا شيء مطلقا ...!!! لا سلطة للشيطان على الإنسان ، إلا من إتبعه من الغاوين ، أى برغبته . وهذا هو حال الشيطان مع الإنسان ، وليس حال الشيطان مع " الله " كما تجيء به الديانات الوثنية ....!!!

[سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣) تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)]
(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٤٣ - ٤٤)

حليما على ذلك الإنسان الجاهل الغير واعى لوجوده ... غفورا له إذا ما تنبه لذنبه ، وتاب وأناب إلى الله ، قبل فوات الأوان .. فهل وعى عبدة الأوثان ذلك ...؟؟!!!

فلا ندية بين الشيطان وبين الله ...!!! ولا معركة ولا حرب بين الله وبين الشيطان ...!!! كما تقول بذلك الديانة المسيحية على النحو السابق شرحه فى الفصل الثالث ...!!! ولا أملك إلا ما قاله نوح لقومه ، يا قوم إنى ....

[أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين (٦٨)]
(القران المجيد : الأعراف {٧} : ٦٨)

ويحضرنى هنا الفكر الصوفى عن إبليس (أى الشيطان) وحول معنى عصيانه لله ، عندما أمره الله بالسجوده لادم ، كما جاء فى قوله تعالى :

[وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤)]
(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣٤)

وكما جاء فى قوله تعالى :

[ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١)]
(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١١)

ويقول الحلاج [٢٧] أحد أئمة الصوفية ؛ " لما قيل لإبليس أسجد لآدم ، خاطب الحق ـ أى الله ، سبحانه وتعالى ـ قائلا : أرفع شرف السجود عن سرى إلاك حتى أسجد له ؟ إن كنت قد أمرتنى فقد نهيتنى ...

قال له الحق : فإنى أعذبك عذاب الأبد ...!!!

فقال إبليس : ألست ترانى فى عذابك لى ؟

قال الحق : بلى ؟

فقال : فرؤيتك لى تحملنى على رؤية العذاب ، إفعل ما شئت [٢٨] "

وهكذا إبليس عند الحلاج ، من أهل الفتوة لأنه هدد بالعذاب الخالد فلم يرجع عن دعواه التى امن بها ... **وهو ألا يسجد إلا لله وحده** ... حتى وإن أمره الله بهذا .

وهذا هو فكر بعض الصوفية عن الشيطان ، وبديهى ليس من الضرورى أن يكون هذا الفكر صادقا ، ولكنها محاولة تبريرية (ويمكن أن تكون منطقية) لعصيان الشيطان لله فى عدم سجوده لادم . ويمكن للقارىء أن يذهب إلى الفصل الثالث (بند ٤. ٢. ١.) ليرى ما جاءت به المسيحية من معان حول إمساك إبليس (أو الشيطان) للإله [٢٩] ووضعه أمامه على الجبل ، ثم طلب الشيطان من الإله أن يسجد له ...!!!

[**خامسا**] : إمتدادا لفكر التعليم الوارد فى الايات الكريمة مرة أخرى ، ورحمة من الله ، سبحانه وتعالى ، بالإنسان ... يعد " الله " ادم أو الإنسان بأن يرسل إليه الرسل (.. **فإما يأتينكم منى هدى ...**) ، لمساعدته فى أثناء رحلة حياته الأرضية ، والقيام بتعريفه بالله ، وتبصيره بالغايات من خلقه ، وبطرق الهداية إليه ، وبأن جزاء هذا الإتباع هو الرحمة والمغفرة :

[... فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨)]

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٣٨ -- ٣٩)

[... لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)]

(القران المجيد : النساء {٤} : ١٦٥)

---

[٢٧] أنظر تذييل رقم ٤٥ من الفصل الثانى (من هذا الكتاب) ، صفحتى ٧٦/٧٥ . (وبديهى إن هذا الفكر الصوفى هو أحد التخيلات الممكنة لحدوث مثل هذه القصة ، ولا يمثل هذا الفكر حقيقة ما يمكن أن يعول عليها) .

[٢٨] " **الطواسين** " للحسين بن منصور الحلاج ؛ ص : ١١ . " **الحلاج ـ شهيد التصوف الإسلامى** " ، طه عبد الباقى سرور . الطبعة الثانية . دار نهضة مصر ؛ ص : ٢١٩ .

[٢٩] كما سبق وأن ذكر مرارا ، لا يمكن أن يزج بلفظ الجلالة " الله " ؛ فى مثل هذه الوثنيات الفكرية .

[**سادسا**] : أما جزاء من يكفر بالله وآياته ، فهو ، فى الواقع ، **يكون فى حالة إمتداد لعصيان " الله " والتمرد عليه** ، وبالتالى لم يحقق ــ الإنسان ــ الغايات من خلقة ، فى أنه لم يعرف الله خالقه ، وبذلك يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه بهذه المعصية ...

[**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)**]
(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣٩)

وهذه بعض من المعانى القليلة الوارد ذكرها فى الأيات الكريمة السابقة ، عن خلق الإنسان ، والتى لايمكن إحصاء عطائها . وهذا هو بعض ما نرى من الإحكام القرآنى ، كما يقول المولى عز وجل عنه :

[**آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١)**]
(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

وفصلت ، تعنى بأن اللـه ــ عز وجل ــ سوف يقوم بشرح وبيان وتفصيل معانيه على مر حضارات الإنسان ، وتطور فكرة .

وهكذا فكر الإنسان ، وهكذا فكر دارون الهزيل عن التطور الذى قضى به الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان . إنه فكر محدود للغاية ولم يتعد فكر التطور فى أضيق معانيه فى هذا الوجود ، هذا إذا ما قورن بفكر التطور العريض واللامتناهى الذى أتى به القرآن المجيد ، عن هذا الوجود والوجود التالى لنا فى العالم الاخر ، أو العوالم الأخرى ...

[**... وننشئكم فى ما لا تعلمون (٦١) ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون (٦٢)**]
(القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٥٨ – ٦٢)

ملحق " ٤ "

مباحث الفلسفة ومشكلاتها الأساسية

أولا : موضوعات الفلسفة قديما وحديثا

كان الفلاسفة فى العصر اليونانى القديم ، ثم فى العصر الإسلامى والمسيحى الوسيط وحتى أوائل عصر النهضة الأوربية ، ينظرون إلى الفلسفة بوصفها " **علم العلوم** " . لذلك جعلوا موضوعها يشمل كل المعارف الإنسانية . وتناولوا بالبحث الفلسفى كل موضوعات الفكر والحياة والوجود . لذلك كانت الفلسفة عندهم تضم موضوعات إلهية وطبيعية وإنسانية . إلى جانب علم المنطق وعلم النفس والأخلاق والرياضيات والموسيقى والفلك ، وغيرها من العلوم الأخرى المتعددة . والتى كانت ترتد كلها عند القدماء إلى حظيرة الفلسفة عندهم بإعتبارها علم العلوم ، وعلم المعرفة الكلية الشاملة ، وعلم المبادىء الأولى لكل ظواهر الوجود .

لكن مع بداية عصر النهضة حديثا وإكتشاف المنهج التجريبى ، ثم إزدياد تقدم ورقى العقل البشرى وانتشار مبدأ التخصص ، بدأت مجموعات من العلوم تنفصل عن الفلسفة تدريجيا لعدم ملاءمة منهجها التأملى العقلى مع طبيعة تلك العلوم . فانفصلت العلوم الطبيعية عن الفلسفة واستخدمت المنهاج التجريبى .

واستقلت أيضا العلوم الرياضية بمنهجها التحليلى الرياضى . ثم إنفصل أيضا كثير من العلوم الأخرى التى أصبح لكل منها منهاجها الخاص بها ؛ مثل **الفلك والموسيقى والإجتماع** وغيرها من العلوم الأخرى التى قطعت صلتها بالحقل الفلسفى وبالمنهاج التأملى العقلى .

ثانيا : الموضوعات الرئيسية للفلسفة حاليا

إذن ماذا بقى من موضوعات تبحثها الفلسفة فى الوقت الحاضر ؟ لقد بقيت للفلسفة ثلاث مباحث رئيسية وعدة علوم أخرى فرعية ، تتوافق كلها مع المنهاج التأملى الفلسفى ، وتتسم جميعها بالطابع العقلى الكلى والإعتماد على المبادىء الأولى ، وذلك حسب المعانى السابقة للفلسفة . وتلك المباحث هى :

(١) مبحث الوجود (الأنطولوجيا : Ontology)

(٢) ومبحث المعرفة (الأبستمولوجيا : Epistomology)
(٣) ومبحث القيم (الأكسيولوجيا : Axiology) (ويشمل : قيمة الحق ، وقيمة الخير ، وقيمة الجمال)
وفيما يلى عرض موجز لكل مبحث من تلك المباحث الرئيسية .

١. مبحث الوجود ومشكلاته : Ontology

ويطلق على هذا المبحث إسم الأنطولوجيا ، وهو المبحث الذى يدرس الوجود عامة وفى صورته الكلية ، أو هو مبحث الوجود المطلق . وذلك فى مقابل بقية العلوم الأخرى التى تدرس جوانب محددة من هذا الوجود ، وتهتم فقط بدراسة بعض الظواهر الجزئية المتشابهة ، بينما تهتم "الأنطولوجيا " بدراسة ما هو أبعد وأعلى من الظواهر الجزئية المتغيرة أى " ما بعد الطبيعة " أو " الميتافيزيقا " . ومن أمثلة الموضوعات والمشكلات التى يتعرض لها هذا المبحث ، محاولة إكتشاف قوانين المادة والحركة فى الوجود كله ، وهل هى عشوائية أم منظمة ؟ وما علاقتها بالله تعالى ؟ وهل هذا الوجود فى حقيقته مادى فقط ؟ أم روحى خالص ؟ أم هو مزيج من المادة والروح ؟ وغير ذلك من المشكلات والموضوعات الأخرى المرتبطة بالوجود الكلى .

وفى الفلسفة المعاصرة يوجد من يستخدم كلا من مفهومى الأنطولوجيا والميتافيزيقا على أنهما مفهومان متماثلان . وهناك من يصف الأنطولوجيا بأنها القسم الأول للميتافيزيقا . والمذاهب الأنطولوجية تتوقف على النظرة إلى أصل الوجود . فإذا أعتبرت المادة هى الصورة الأصلية للوجود كان لدينا " **المذهب المادى : Materialism** " . وإذا أعتبرت الحياة هى أصل الوجود كان لدينا " **المذهب الحيوى : Vitalism** "[٣٠] (كما عند برجسون) . أما إذا أعتبرت الروح هى أصل الوجود كان لدينا " **المذهب الروحى : Spiritualism** " . أما **المثالية الميتافيزيقية** فإنها ترى أن الأشياء تتلقى وجودها الواقعى من الفكرة الثابته الأزلية المستقلة عن العقل وعن الأشياء نفسها ، ومن ممثليها كل من أفلاطون وهيجل .

أما مذهب **وحدة الوجود** (عند الرواقيين وأفلوطين واسبينوزا) فإنه يعتبر المادة والحياة والروح مجرد جوانب مختلفة لحقيقة غير معروفة هى " الله " .

---

[٣٠] يطلق المذهب الحيوى على الرأى القائل بأن الظواهر الحيوية لها خواص أساسية لا مثيل لها فى الظواهر الفيزيائية والكيميائية ، ومن ثم تنطوى هذه الظواهر على " قوى حيوية " مغايرة للقوة المادية (أنظر المعجم الفلسفى).

٢. مبحث المعرفة ومشكلاته : Epistomology أو (Theory of Knowledge)

ويطلق عليه إسم " الأبستومولوجيا " أو " نظرية المعرفة " ، وهو يرتبط بالمبحث السابق ، لأنه يدور حول مدى إمكانية معرفة هذا الوجود ، ووسائل إدراكه والعلم به . إنه يدرس المعرفة الإنسانية عامة من حيث طبيعتها ، وهل يمكن أنْ تكون المعرفة كاملة وشاملة لكل حقائق الوجود ؟ أم هى مقصورة على ما يظهر لنا فقط من هذا الوجود دون الباطن الخفى فيه ؟ وهل نستطيع التوصل إلى حقائق يقينية ؟ أم أن معارفنا قابلة للشك ؟ ويهتم هذا المبحث أيضا بدراسة وسائل المعرفة والموازنة بين الحواس والعقل والحدس ، مع بيان طبيعة كل منها ، وحدودها وأيها أكثر دقة .

وقد أنتهى الفلاسفة إلى أن المعرفة تتكون من عنصرين : معرفة ذاتية (Subjectivity) ، ومعرفة موضوعية (Objectivity) ، والعلاقة بينهما هى أساس نظرية المعرفة ، أو المشكلة الإبستومولوجية (Epistomplogical Problem) . وقد قسم الفلاسفة " مبحث المعرفة " إلى ثلاثة مذاهب أساسية هى :

المذهب التجريبى أو الواقعى : وفيه يتم إرجاع كل معرفة إلى التجربة أو الواقع . وفى هذا المذهب فإن العقل قبل التجربة يكون بمثابة صفحة بيضاء ، ثم تطبع عليه الحقائق الخارجية - بعد التجربة - بدون أن يكون للعقل أى فاعلية أو تأثير على هذه المعرفة .

المذهب العقلى : وهو عكس المذهب السابق ، وهذا المذهب يعتبر أن العقل هو مصدر المعرفة ، وهو الذى يصدر عنه كل علم حقيقى .

المذهب النقدى : فهو محاولة الجمع أو التوفيق بين المذهبين السابقين . وذلك بتفسير المعرفة بأنها تحوى عنصر صورى يرجع إلى طبيعة العقل ، وعنصر مادى يتمثل فى المدركات الحسية .

٣. مبحث القيم ومشكلاته : Axiology

ويطلق عليه أيضا إسم " الأكسيولوجى " ، ويتعرض هذا المبحث لدراسة المثل العليا والكشف عن ماهيات القيم المطلقة التى يسعى الجميع لتحقيقها فى حياتهم . وتوجد ثلاث قيم أساسية ، لكل واحدة منها علم يدرس موضوعاتها ، وهى :

أ . **قيمة الحق :** ويدرسها علم المنطق ، وهو العلم الذى يتضمن بيان القواعد التى ينبغى على الفرد إتباعها حتى يكون تفكيرة صحيحا .

ب . **قيمة الخير** : ويدرسها علم الأخلاق ، وهو العلم الذى يختص ببيان القواعد التى ينبغى على الفرد إتباعها ، لكى تتوافق أفعاله وسلوكه مع مبادىء الخير والأخلاق الخيره .

جـ . **قيمة الجمال** : ويدرسها علم الجمال ، وهو العلم الذى يبحث فى القواعد والمعايير التى يجب توافرها فى عمل نطلق عليه صفة " الجمال " .

ثالثا : الموضوعات الفرعية للفلسفة

إلى جانب الموضوعات الثلاثة السابقة الرئيسية ، توجد موضوعات أخرى فرعية للفلسفة هى :

١. **فلسفة الدين** : وهدفها تدعيم الإيمان بالله والعقائد الدينية الأخرى بواسطة الأدلة العقلية والحجج المنطقية ، مع كشف حقيقة الإيمان وطبيعة الإعتقاد عامة ، دون الإعتماد على دين معين .

٢. **فلسفة القانون** : وتدرس الأسس العامة التى يقوم عليها القانون ، مع بيان علاقته بمبادىء الأخلاق ، وفكرة العدالة . وبحث مدى إرتباط القانون بفكرة الإلزام والحرية ، وذلك دون النظر إلى قانون دولة معينة .

٣. **فلسفة التاريخ** : وهى تهدف إلى كشف القوانين العامة والمبادىء الأساسية التى تحكم سير الأحداث التاريخية عامة . ومعرفة الحقيقة الكلية الكامنه خلف تطور التاريخ البشرى بصفة عامة ، دون حاجه إلى تقرير وقائع جزئية ، أو ترصد سير أحداث مجريات التاريخ المتغير لبلد ما أو أمة بعينها .

قائمة ببعض المراجع المختارة

[١] " **القرآن الكريم** " (مختصر تفسير الإمام الطبرى ، وتفسير الجلالين ، وتفسير محمد فريد وجدى ، وتفسير المنتخب)

[٢] " **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** " محمد فؤاد عبد الباقى ، دار ومطابع الشعب .

[٣] " **حياة محمد** " (ﷺ) ، محمد حسين هيكل ، دار المعارف .

[٤] " **قصص الأنبياء** " ، عبد الوهاب النجار ؛ مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع .

****

[٥] **الكتاب المقدس** (ترجم من اللغات الأصلية وهى اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية) ، دار الكتاب المقدس ، رقم الإيداع ١٢٢١ لسنة ١٩٦٩ .

[٦] **الكتاب المقدس** (ترجم من اللغات الأصلية) دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط .

[٧] **الكتاب المقدس - كتاب الحياة** (ترجم بلغة عربية حديثة) ، رقم الترقيم الدولى (١٥٦٣٢٠-٠٠٦-٦) .

[٨] " **الكتاب المقدس ـ الأسفار القانونية الثانية** " ؛ مكتبة المحبة .

[٩] " **فهرس الكتاب المقدس** " ؛ د. جورج بوست ، دار الثقافة .

[١٠] " **سنوات مع أسئلة الناس** " (سبعة أجزاء) ؛ البابا شنودة الثالث ، الكلية الإكليركية للأقباط الأرثوذكسية .

[١١] " **يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته** " ؛ د. هانى رزق ، مكتبة المحبة .

[١٢] " **التوحيد والتثليث** " ، فوزى جرجس إلياس (تقديم الأنبا غرغوريوس أسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى) ، مكتبة المحبة .

[١٣] " **كيف تستفيد من القداس الإلهى** " ، نيافة الخورى أبسكوبس ، الأنبا متاؤوس ، كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر .

[١٤] " **حل مشاكل الكتاب المقدس** " ، القس منسى يوحنا ، مكتبة المحبة .

[١٥] " **الكتاب المقدس والنقد الحديث : الكتاب المقدس ... هل هو كلمة الله ؟!** " ، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير ، مطرانية القليوبية ـ قطاع شبرا الخيمة .

[١٦] " **قيامة المسيح والأدلة على صدقها** " ، عوض سمعان ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة .

[١٧] " **محاضرات فى التاريخ الكنسى ـ المجامع الكنسية** " ؛ لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، مطبعة الأنبا رويس .

[١٨] " **تاريخ الكنيسة القبطية** " ، القس منسى يوحنا ، مكتبة المحبة .

[١٩] " **السماء** " ؛ لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، مطبعة الأنبا رويس .

[٢٠] " **كلمات هادئة عن الروح القدس** " ؛ القس ابرام داود سليمان ، مكتبة النسر للطباعة .

[٢١] " **أديان العالم** " حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

[٢٢] " **إنجيل برنابا : هل هو الإنجيل الصحيح** " ، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير ، مطبعة الأخوة المصريين .

[٢٣] " **إستحالة تحريف الكتاب المقدس** " ؛ مهندس وهيب عزيز خليل ، مطبعة قاصد خير .

[٢٤] " **التاريخ الأسود للكنيسة** " ؛ القس بيتر دى روزا ، الترجمة عن الألمانية : اسر حطيبة الدار المصرية للنشر والتوزيع .

****

[٢٥] " **الدين والتحليل النفسى** " ؛ آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب .
[٢٦] سلسلة " **مقارنة الأديان** " (٤ أجزاء : اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام ـ أديان الهند الكبرى) ؛ د. أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية .
[٢٧] " **القرآن والتوراه والإنجيل : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة** " ؛ موريس بوكاى ، دار المعارف .
[٢٨] " **الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله** " ؛ أنيس منصور ، الزهراء للإعلام العربى
[٢٩] " **كتب غيرت العالم** " ، روبرت ب. داونز ، ترجمة أمين سلامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
[٣٠] " **قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام** " د. توفيق الطويل ، الزهراء للإعلام العربى .
[٣١] " **روجيه جارودى : لماذا أسلمت ؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة** " ، محمد عثمان الخشت . مكتبة القرآن .
[٣٢] " **الألوهية وفكر العصر ... أهناك إله** " ؛ حامد عوض الله ، المركز الثقافى الجامعى ، سلسلة الدراسات العلمية .
[٣٣] " **الغفران بين الإسلام والمسيحية** " ، إبراهيم خليل أحمد (سابقا : القس ابراهيم خليل فيلبس ، راعى الكنيسة الإنجيلية وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط) ، دار المنار.
[٣٤] " **محاضرات فى مقارنة الأديان** " ، إبراهيم خليل أحمد (سابقا : القس إبراهيم خليل فيلبس ، راعى الكنيسة الإنجيلية وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط) ، دار المنار.
[٣٥] " **محاضرات فى النصرانية** " الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى .
[٣٦] " **الكتاب المقدس فى الميزان** " ، عبد السلام أحمد ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .
[٣٧] " **المسيح فى مصادر العقائد المسيحية** " ؛ أحمد عبد الوهاب ، مكتبة وهبة .
[٣٨] " **الإسلام يتحدى** " ؛ وحيد الدين خان ، المختار الإسلامى .
[٣٩] " **دراسات فى الكتاب المقدس : العهد القديم والعهد الجديد** " ، د. محمود على حماية ، دار النهضة العربية .

****

[٤٠] " **تاريخ الفلسفة الحديثة** " ؛ يوسف كرم ، دار المعارف .
[٤١] " **تمهيد للفلسفة** " ؛ د. محمود حمدى زقزوق ، دار المعارف .
[٤٢] " **المرجع فى الفكر الفلسفى : نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى** " ؛ د. نوال الصراف الصايغ ، دار الفكر العربى .
[٤٣] " **الله ... فى الفلسفة الحديثة** " ؛ جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب .
[٤٤] " **الوجودية** " ؛ جون ماكورى ، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام ، مراجعة د. فؤاد زكريا ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .
[٤٥] " **نوابغ الفكر الغربى** " ؛ المجموعة الصادرة عن دار المعارف **منها** : " **ديفيد هيوم** " ؛ د. زكى نجيب محمود . و" برتراند رسل " ؛ د. زكى نجيب محمود ، و" ديكارت " ؛ د. نجيب بلدى .

[٤٦] " **الفيزياء والفلسفة** " ؛ جيمس جينز ، ترجمة جعفر رجب ، دار المعارف .
[٤٧] " **موقف من الميتافيزيقا** " ؛ د. زكى نجيب محمود ، دار الشروق .
[٤٨] " **مشكلات الفلسفة** " ؛ د. ماهر عبد القادر محمد على ، دار النهضة العربية .
[٤٩] " **فلسفة : برتراند رسل** " ؛ د. محمد مهران ، دار المعارف .
[٥٠] " **الله** " ؛ محمود عباس العقاد ، مطابع الأهرام التجارية .
[٥١] " **الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين** " ، د. محمود رجب ، دار المعارف .

****

[٥٢] " **الإسلام كبديل** " ؛ د. مراد هوفمان (سفير ألمانيا ـ بالرباط) ، مؤسسة بافاريا .
[٥٣] " **الإسلام بين الشرق والغرب** " ؛ على عزت بوجوفيتش (رئيس البوسنة والهرسك) ، مؤسسة بافاريا .
[٥٤] " **الجزء والكل ـ محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية** " د. فيرنر هيزنبرج ، ترجمة محمد أسعد عبد الرؤف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
[٥٥] " **الإنسان ذلك المجهول** " ، د. الكسيس كاريل ، ترجمة عادل شفيق ، الهيئة العامة للكتاب.
[٥٦] " **حقيقة الإنسان** " (ثلاثة كتب) ؛ د. عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحى ، دار المعارف .
[٥٧] " **الله : يتجلى فى عصر العلم** " ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين . ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية .

[٥٨] " **د. رشدى فكار فى : حوار متواصل حول مشاكل العصر** " ؛ خميس البكرى ، مكتبة وهبة .

[٥٩] " **مطول الإنسان روح لا جسد** " (جزأين) ؛ د. رءوف عبيد ، دار الفكر العربى .
[٦٠] " **الإتصال بين عالمين** " تعريب وتقديم د. رءوف عبيد ، دار الفكر العربى .

[٦١] " **الحلاج : شهيد التصوف الإسلامى** " ؛ طه عبد الباقى سرور ، مطبعة نهضة مصر .
[٦٢] مجموعة كتب الشيخ محمد الغزالى منها : " **نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم**" ، دار الشروق . و" **المحاور الخمسة للقرآن الكريم** " ؛ محمد الغزالى ، الوفاء للطباعة والنشر .
[٦٣] مجموعة كتب الدكتور مصطفى محمود منها : " **القرآن كائن حى** " ، دار النهضة العربية .
[٦٤] مجموعة كتب الدكتور يوسف القرضاوى منها : " **الإسلام والعلمانية : وجها لوجه** " ، دار الصحوة .
[٦٥] " **اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام** " ؛ د. فرج الله عبد البارى ، دار الوفاء للطباعة والنشر .
[٦٦] " **الإنسان والدين** " ؛ إعداد المكتب العالمى للبحوث ، بيروت .

[٦٧] " فضح التلمود - تعاليم الحاخامين السرية " ؛ الأب أى . بي . برانايتس . إعداد زهدى الفاتح . دار النفائس ؛ بيروت .

[٦٨] " الله ... ليس هكذا " ؛ زيجريد هونكه . ترجمة د. غريب محمد غريب . دار الشروق ، مؤسسة بافاريا ، مجلة النور الكويتية .

****

1. **The Holy Bible , King James Version** ; Ivy Books . New York.
2. **New World Translation of the Holy Scripture** ; WatchTower Bible and Tract Society of New York . Inc.
3. **Aid to Bible Understanding** ; WatchTower Bible and Tract Society of New York . Inc.
4. **World Religions, From Ancient History to the Present** ; Editor. Geoffrey Parrinder . Facts on File Publications . New York .
5. **God and the New Physiscs** ; Paul Davies. A Touch Stone Book New York .
6. **The Moment of Creation** ; James S. Trefil. Collier Books. New York .
7. **In Search of the Big Bang** ; John Gribbin. Bantam Books. New York .
8. **In Search of Schrodinger Cat, Quantum Physics and Reality** ; John Gribbin. Bantam Books. New York .
9. **Perfect Symmetry, the Search of the Beginning of Time** ; Heinz R. Pagels. Bantam Books. New York .
10. **The Forces of Nature** ; P. C. W. Davies. Cambridge University Press .
11. **Quarks, the Stuff of Matter** ; Harald Fritzsch . Basic Books. Inc. New York.
12. **The Search for a Grand Unified Theory of Nature, SUPERFORCE** ; Paul Davies. A Touch Stone Book New York .
13. **The search for Gravity Waves** ; P. C. W. Davies. Cambridge University Press .
14. **Quantum Reality** ; Nick Herbert. Anchor Press/ Doubleday. New York .
15. **Beyond Einstein** ; Michio Kaku and Jennifer Trainer . Bantam Books. New York .
16. **Evidence That Demands Verdict** ; Josh McDowell . HERE ' S LIFE PUBLISHERS . INC. . San Bernandino . CA. USA .
17. **The 1995 " GROLIER " Multimedia Encyclopedia** ; Grolier Electronic Publishing . Inc.

****

موافقة مجمع البحوث الاسلامية
بتاريخ ٤/٢/١٩٩٦

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

هذا الكتاب

• يتناول هذا الكتاب بحث " القضية الدينية " من منظور مطلق ، وليس من منظور نسبي ، أو من منظور ديني مقارن ، لينتهي إلى أن " القضية الدينية " هي " قضية علمية كلية " ، يحتل فيها الوجود الإنساني ، والوجود الفيزيائي ، والوجود الكوني جزئية صغيرة لا تكاد ترى ، ولا يحول دون إدراك المرء لهذا ، إلا قصور النظرة الحالية إلى الدين ، كنتاج طبيعي من التجربة الدينية الفاشلة التي خاضها الإنسان مع الأديان الوثنية والموجودة الآن على ساحة الفكر البشري .

• إن " القضية الدينية " ليست " قضية غيبية " كما هو الاعتقاد السائد في هذا ، بل هي - في الواقع - " قضية يقينية " بكل ما تحوي الجملة من معنى شامل لها ، وبالتالي يمكن التثبت منها ، ومن صدقها إلى أي درجة مطلوبة من الدقة .

• إن " القضية الدينية " ليست " قضية صراع بين حضارات مختلفة " أو " قضية صراع بين أيديولوجيات مختلفة " ، كما وأنها ليست " قضية تطورية " في أديان تتخبط في تحديد هوية أصنامها ، وهي أيضا ليست " قضية سياسية " لكسب " أتباع " على أرض ما ، ولكنها - في الواقع - هي " قضية وجود الإنسان ذاته ومصيره هو " ، ذلك الإنسان الذي سرعان ما سيذهب فيه " الفناء " وتدركه " الشيخوخة " ، هذا إن لم تدركه الموت قبل ذلك ، ليغادر هذه الحياة إلى الفناء الكامل ...!!! ليقف وجها لوجه - بحواسه كاملة - أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو العنصر الوحيد للقضية في هذا الوجود ، إذا لم ينتبه إلى المعنى الحقيقي للقضية الدينية ، وبهذا تكون الفرصة الوحيدة لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك المعنى الحقيقي من وراء وجوده ... ومن وراء وجود هذا الوجود ...!!!

• إن رحلة حياة الإنسان عبارة عن طريق واضح المعالم ومليء بالنور ، بدايته نور ، وأوسطه نور ، ونهايته نور ، وطريقه لا يحوي حتى الظلال ، ولا لبس ولا غموض ولا يحتاج إلى تعقيدات عقلية فيه ، والحقيقة المطلقة في انتظاره ... عند أول ... هذا الطريق ... وهو ملاقيها ... شاء هذا أم أبى ...!!!

• هذا الكتاب ليس " كتاب فلسفة " أو " كتاب أدب " أو " كتاب يعكس وجهة ... شخصية في الدين " ، بل هو " كتاب علم " يحسم وبشكل قاطع المعنى الحقيقي للقضية الدينية " ، أو هو ببساطة " كتاب علم " يحسم الحقيقة المطلقة عن : الله ... والإنسان .